فتواردوا وكان افتتاح المجتمع في ٩ تشرين الاول في دير مار افرام بحضور السيد هنزي التماير القاصد الرسولي وكانوا ما عدا سيادة النائب السادة : يعقوب متى احمر دقنه مطران نصيبين والجزيرة :وديونوسيوس افرام رحماني مطران حلب: وماروثا بطرس طوبال اسقف ميافرقين وراعي شعب ديار بكر : واثناسيوس اغناطيوس نوري مطران بغداد:ويوليوس باسيل قندلفت اسقف يافا : وقورلس بولس دانيال اسقف دارا : وغريغوريوس عبدالله سطوف مطران حمص وحماه— وبعد المفاوضة اجمعوا باكثرية الاصوات على انتخاب السيد افرام رحماني وفي ١٦ تشرين الاول نادوا به بطريركاً انطاكياً في كنيسة ماردين الكاتدرائية فسلموه عصا الرعاية وكرّسوه حسب رسوم الطقس وهو الجالس سعيداً

تم تبيضه في ١٨ اذار سنة ١٩١٠

ملحق

اصفحة ٣٦١ بعد قوله بموجب شرع قرآننا

فتضاعف حنق الدخيل وقدم الى الحاكم خمسة اكياس على ان يساعده لدى الوزير و يفهمهُ ان البطريرك متى « صاحب فرمان سلطاني » يأمر كل سرياني باتباعه وبالخضوع له فكتب الحاكم كما اراد الدخيل · وانفذ الدخيل المطران عبدالاحد شقيقه الى بغداد صحبة الشماس شمعون الحكيم وراهبٍ من دير الزعفران وسلمهم رسالة الحاكم مشفوعةً بما له من الفرامين السابقة واجزل الهدايا لتوزع في بغداد لهذا الشان · غير ان الله سبحانه وضع حدًّا للمظالم فعاقب المطران المذكور اذ اباده بريح السموم قبل وصوله الى بغداد بمرحلةٍ واحدة وذلك في شهر آب سنة ١٧٩٢ فدخل رفيقاه المدينة ورفعا الصكوك مع عرضحال الى الوالي · وحينئذ حرك الله الخواجا قسطنطين الامدي وصهره اروتين فمنعا مطلوبهما وتغرما دفع ثمانية اكياس وهكذا خابت تلك المساعي بتدبير رباني · ولما نعي المطران في ماردين شهد الناس حتى المسلمون قائلين : لم يقصّر الله مع هذا الرجل فانه قضى عمره في تنغيص المظلومين · اما متى الدخيل فاصابه غم شديد ومغصٌ في امعائه (١)

١٨٤ وعلاوةً عَلَى غموم الدخيل الهم الله قسيسين في جزيرة ابن عمر فنهضا الى نصر المعتقد القويم وفضح الدخيل ورياءه · وذلك ان القس عبدالله الازخي الذي كان قبل ثلاث سنوات انتمى الى الديانة الكاثليكية كما مرَّ بك تعرض له اهل قريته في شهر نيسان سنة ١٧٩٣ ليستردوه الى الشقاق فلم يذعن · فاتفق اقاربه ورفعوا امره الى محمد بيك حاكم البلد فطرحه في السجن وبعد ايام غرمه مائة وخمسين غرشاً وخلى سبيله فتبعه عشرون عائلة · ثم نزل هذا القسيس الى الموصل فحله السيد بشاره وارجعه الى قريته ليرشد المنفصلين ويستميلهم اليه · ووعده بجمع اسعافٍ من المؤمنين عَلَى اسمه

---

(١) عن رسالة الخوري يوسف حجار الى السيد ميخائيل ١٨ نيسان سنة ١٧٩٣

فيه خبر انتقاله من هذا العالم الفاني الى العالم الباقي . لانه بينما كان في اواخر تموز سنة ١٨٩٧ متأهباً للسفر الى ماردين فمذيات ليفتقد الذين تكثلكوا واذا بالداء هجم عليه للمرة الثالثة وانشب مخاليبه في احشائه وعذبهُ زماناً ينيف عَلَى الخمسين يوماً وهو يحتمل اوجاعه بصبرٍ وسكينة . ولما ظهرت علامات الخطر تزود باسرار الخلاص . ولما كانت اقامته خارجاً عن البلد وخيف ان لا يُسمح بنقله الى الكنيسة ميتاً اهتم السيد هنري التماير القاصد الرسولي بنقله في ١٢ ايلول الى داره محمولاً في تختروان ومنذ دخوله بدأ بالنزع حتى قضى نحبه في ١٣ ايلول عشية عيد الصليب سنة ١٨٩٧ وله من العمر ستة وستون عاماً وكانت بطريركيته اربع سنين وتسعة اشهر: وللوقت نُعي الى الانحاء بالتلغراف فأُلبس افخر حلله وأُجلس على كرسي في صدر الدار وسارع الناس عَلَى اختلاف طقوسهم الى تقبيل يديه ثم حُملت جنازته في تابوت مجلل بالاقمشة بحفلةٍ شائقة . ورافق جنازته اقليرس السريان والكلدان واللاتين متشحين بالحلل البيعية الحزينة يتقدمهم حسني باشا قومندان الضابطة رافعاً وسادةً عليها الوسامات السلطانية التي كان صدره مزداناً بها تحف به كوكبة من الجنود والبوليس يتبعهم القاصد الرسولي وغبطة البطريرك عبد يشوع بطريرك بابل فقنصل دولة فرنسا بالالبسة الرسمية وبعده جماهير الناس فساروا به الى كنيسة الطاهرة اذ كانت النواقيس تقرع قرعات الحزن . ووُضع عَلَى نصبةٍ مرتفعةٍ في الخورس وعليها بات جثمانه تلك الليلة . ومن الغد صباح عيد الصليب احتفل السيد اثناسيوس نوري بقداس الراحة عن نفسه ثم أُودع القبر الذي هيأه لنفسه يوم اسس الكنيسة في مغارة تحت درج المذبح الكبير وأبَّنه في اليوم الاول السيد عبد يشوع . وفي اليوم الثاني الاب اغسطين صائغ

كاتم اسرار القصادة · وفي اليوم الثالث الاب يوسف كلاّند رئيس المرسلين ·

وكان رحمه الله طويل القامة مليح الهيئة شديد البأس رحب الصدر كريم النفس رفيعها رؤوفاً بالفقراء سديد العبارة طيب المعاشرة مرضياً بحديثه لكبار القوم من عثمانيين واوروبيين· وكفانا بينةً لذلك ان القاصي والداني اسف على فقده ونحن نخص بذلك موسيو كمبون سفير دولة فرنسا في القسطنطينية فانه في رسالةٍ برقيةٍ ارسلها الى السيد بولس دانيال عَلَى يد موسيو فيات وكيله في الموصل قال: « بلّغوا احبار الطائفة السريانية مزيد اسفنا على وفاة الطيب الذكر البطريرك اغناطيوس بهنام بني الذي عرفناه حق المعرفة وكنا نخصهُ بالمودّة والاجلال· ولتتاكد الطائفة السريانية ان الجمهورية الفرنساوية تشاطرها الحزن عَلَى وفاة السيد المشار اليه رحمه الله »

ومنذ نُعي ابو الطائفة للكرسي الرسولي ولّى السيد يوحنا معمار باشي النيابة الرسولية عليها فطفق يتعاطى شؤونها بالمكاتبة ثم ضعن في منتصف تشرين الثاني الى الموصل مستصحباً كاهنين ماردينيين الخوري روفائيل بردعاني والقس الياس سالم تلميذ الشرفة واثناء سفره رقاه الى الرتبة الخورنية وابتدأ سيادة النائب بتعزية ابناء الابرشية عَلَى فقدها الحبر الجليل فريد عصرهِ· ولما كان الشعب متشكياً من تبديد تركته الغنية استعان النائب بنيافة القاصد فصفّى ما وجده من تلك التركة وبدأ بالسعي في انتخاب مطران للموصل: غير ان عدوّ الخير افسد العمل وفرّق المنتخبين الى احزاب وافضى الخصام ببعضهم الى اللياذ بالسلطات غير الكاثليكية· حتى اضطرّ النائب ان يؤجل الانتخاب الى وقت نصب بطريرك جديد وكرّ عائداً الى ماردين وفي خريف عام ١٨٩٨ انتدب اساقفة الطائفة الى سنندس الانتخاب في ماردين

الفصل الثالث

٢٩٠ مرض البطريرك — وفاته — دفنه — نيابة السيد
يوحنا — انتخاب البطريرك افرام

٢٩٠ غير انه قبل ان يتهنأ البطريرك الهمام بالراحة عَلَى اثر الاتعاب والاهوال أُصيب بمرض في امعائه عذَّبه زمانًا حتى يئس الاطباء من شفائه ومع ذلك لما نال قسماً من الراحة قام بحفلات اسبوع الآلام وعيد القيامة · ثم عاوده المرض مع ضعف وهزال وبقوة المعالجة تعافى ايضاً وعاد الى سياسة الرعية بل انتعش باخبار ماردين ان جانباً من اليعاقبة سئموا الخصام القائم بين اساقفة طائفتهم وبطاريركهم فرغبوا في الكثلكة ومعهم نفر من الرهبان والقسوس : وان نائبهُ المطران حنا رحّب بهم ومنحهم الحلّ والبك اسماء الرهبان : الربان شمعون الذي من قرية باتي في الطور والربان افرام الرهاوي والربان عبدالله الطوراني والربان بشاره مانيط الامدي · ولحق باثرهم كاهنٌ في سعرت اسمه القس موسى ابن القس كوركيس : فشرع هولاء يبدون لاصحابهم حقائق الكنيسة الكاثليكية بشواهد من الكتاب المقدس ومن الكتب السريانية فامر البطريرك ان يقيم بعضهم في دير مار افرام بماردين ويُرسل غيرهم الى دير الشرفة · وبعد ايام انتمى الى الكثلكة ما ينيف عَلَى خمسٍ واربعين عائلة من محلة الشمسية بماردين · فثبت منهم جانب وغيرهم ارتدوا الى الوراء

واذ ذاك كان عدد المتكثلكين في حمص قد بلغ الى ستٍّ وعشرين عائلة ما عدا الذين في قرى حمص · ومثل ذلك حدث في مذيات · ولهذا امتدَّ المرسلون من رهبان مار عبد الاحد اليها وافتتحوا مدارس · وادرك البطريرك عبد المسيح المتكثلكين فردَّ بعضاً منهم وغيرهم ثبتوا ففصلوا خاناتهم في دفتر الحكومة وانتسبوا الى الكاثليكيين فوعظهم السيد يوحنا معمار باشي في ماردين وفي مذيات واطلعهم عَلَى دستور الايمان الذي قرَّره البطاركة السابقون جرجس الثالث ومتيوس وجرجس الرابع ويعقوب الذي من قلعة الامراة فزادهم ذلك تايداً وثباتاً · فكانت هذه الاخبار توعب البطريرك سروراً وتعزيةً · وتمم الله النجاح بانتماء كاهن من قرية برطلي اسمه القس بهنام بسبوس الى الكثلكة وتبعه نفر من ارباب العائلات : وحضروا الى غبطته فرحب بهم واكرم مثواهم وخلصهم من اذى المؤذين · واهتمَّ بلوازم سائر المتكثلكين فارسل اليهم نسخاً من كتب صلاة الفرض وابتاع ارضاً لمقبرة في مذيات ووسع الكنيسة التي كانت للكاثليكيين فيها · وفيما كانت الحال كما وصفنا اقبل المطران اغناطيوس نوري من بغداد ليفاوض السيد البطريرك في مسائل قام من اجلها جدال بينه وبين شعبه رعيته

وفي غضون ذلك كنا فرغنا من تبييض هذا الكتاب ورفعناه الى غبطته في ٣٠ حزيران سنة ١٨٩٧ فطابت له مطالعته وسُرَّ به جداً وردَّه الينا بعد ان اوضح بقلمه بعض ما دوَّناه من اخبار قديمة كان مطلعاً عليها او كان قد سمعها من شقيقه الاكبر ومن شيوخ الطائفة وحثنا عَلَى الاسراع الى طبعه لفائدة الطائفة

غير انه يا للاسف لاننا بعد ان ختمنا الكتاب بقولنا انه تمَّ الفراغ من تبييضه عَلَى عهد السيد اغناطيوس بهنام بني الجالس سعيداً : اضطُررنا ان ندوّن

الكبار في الكنيسة وما زال يفتقدهم حتى وصل عددهم الى المائة والتسعين عائلة لكنهم لم يلبثوا زماناً ان تشتتوا حين نكبة الارمن

٢٨٨ وفي خلال ذلك كان السيد بطرس بطريرك السريان المنفصلين قد توفي منذ ٨ تشرين الاول سنة ١٨٩٤ واجتمع اساقفتهم لانتخاب خلفٍ له ووقعت اكثرية اصوات الشعب والمطارين على المطران بهنام سمرجي فلما علموا ان نظارة المذاهب اعلنت انه لا ينتخِب ولا ينتخَب مالوا الى انتخاب عبدالله سطّوف. ثم عدلوا عنه لما بلغهم عنه انه بخيل حريص ضعيف الراي. وحدث من ذلك خصام طويل حتى في دار الحكومة افضى بهم الى اقامة المطران عبدالمسيح الذي من قلعة الامرأة لانه استمالهم بالهدايا واستجلب رضى الاسقف بولس الرهاوي وكيل طائفتهم في العاصمة فتلوا عليه رتبة التكريس في ٢٤ حزيران سنة ١٨٩٥. عند ذلك اعتزل المطران عبدالله عنهم واعلن للبطريرك بهنام بني انه يريد الانتماء اليه. ففهمهُ ان الذي يطلب الكثلكة لغاية الانتقام والطمع يُرفض وامهله اياماً ليفتكر وتركه ورحل الى الموصل في اواخر حزيران. وانتقل المطران عبدالله الى ديار بكر ولحق البطريرك عبدالمسيح في اثره وكان يقاومه حتى جرت نكبة الارمن فاستحصل امراً بنفيه فلاذ المطران عبدالله بالقنصلية الفرنساويه وانتقل الى كنيسة الارمن الكاثليك حتى ورد امر من البطريرك بهنام بقبوله فقرر صورة ايمانه بين يدي السيد بطرس طوبال وعاهد الله وملائكته عَلَى ثباته في الايمان الكاثليكي حتى الممات. غير ان معارفه رابهم ثباته لغرامهِ في جمع المال وميله الى البروطستانت

٢٨٩ واما البطريرك بهنام فمنذ وصوله الى الموصل رقّى ثلاثةً من كهنتها

الى الرتبة الخورنية وهم الخوري سمعان يونان والخوري يهنام بدرية لكنيسة الطاهرة والخوري الياس سنبل لكنيسة مار توما · ووافت اليه اخبار الاهتداء من قرية كربوران في طور عبدين ومن الكولية او القصور وسواها وكان اهالي الكولية قد فاتحوه في ذلك يوم نزوله من ماردين اليهم فما كاد يعيّن لهم كهنة و يُعنى بامرهم حتى بددتهم عاصفة نكبة الارمن واهوالها المريعة في الرها وفي قرى ماردين بل عم البلاء سائر البلاد حتى وقع نصارى الموصل في خطر عظيم · عند ذلك تشجع البطريرك الهمام وكان يستميل اليه قلوب الوجهاء بحسن تدبيره وبسخائه فنجا والشعب

ولما عقب الامان تلك الاهوال انتمى الى الكنيسة الكاثليكية الراهب صليبا الامدي كاهن بدليس عَلَى اليعاقبة وتبعهُ شاب من قرية كعبية بجوار ديار بكر اسمه الشماس نوح · ورغب المطران عبدالله في الحج الى ضريح زعيم الرسل برومية فكتب البطريرك الحازم اليه ان اعتزل الآن في دير الشرفة لمباشرة رياضة الاختلاء ولمطالعة علم اللاهوت وغيره بمعاونة احد الكهنة فسافر في اواخر الخريف وادّى ذلك ثم عاد الى حمص

واذ ذاك وردت الى السيد البطريرك رسائل من الآباء اليسوعيين الذين في حمص يخبرونه ان نفراً من يعاقبة حمص وضواحيها راغبون في الكثلكة فانفذ اليهم القس ميخائيل ابن القس موسى القرقوشي تلميذ الشرفة فبادر اليهم و كان يرشدهم في الايمان والثبات

الفصل الثاني

٢٨٧ اجتماع لاون ١٣ بالبطاركة ٢٨٨ خصام المنفصلين
بعد وفاة بطريركهم ٢٨٩ اهتداء في عدة جهات

٢٨٧ اما السيد البطريرك فمنذ وصوله الى روميه ذهب الى مقابلة البابا مار لاون ١٣ فرحب به. وكان الكردينال لنجنيو منذ عودته من اورشليم قصد الحبر الاعظم واخذ يطلعه على نتائج المجمع القرباني و يبين له ان معاملة الطوائف الشرقية بما يمكن من المجاملة هي احسن وسيلة لاستجلاب غير الكاثليكيين الى الصلح. فاستحسن البابا رايه وعزم ان يجتمع بالبطاركة الموجودين اذ ذاك في روميه ويسمع رايهم في هذا. فاستدعاهم اليه وكانوا السيد غريغوريوس يوسف بطريرك الملكيين والسيد بهنام بني بطريرك السريان والمطران الياس حويك وكيل بطريرك الموارنة ما عدا الكردينال رمپله وزير البابوية والكردينال لودوكسكي رئيس مجمع بروبكندا وسائر زملائهم. فلما عرف ان رايهم يطبق على ما اختبره الكردينال في اورشليم: اعلن لهم انه اول مدافع عن حقوقهم وموسع لنطاقها على قدر الامكان فشكر البطاركة الاجلاء لحبر الاحبار وغادروا رومية غانمين مفعمين سروراً وطفق الاب الاقدس يبذل النفس والنفيس لانشاء المدارس الكهنوتية ويجمع اسعافات وافرة لتقدم مدارسهم الطائفية ولارسال دعاة الى اجتذاب المنفصلين ويسعى في تعزيز وحفظ طقوسهم والزام المرسلين باحترامها الى غير ذلك.

ولتاييد هذه التدابير اصدر في ٣٠ تشرين الثاني سنة ١٨٩٤ منشوراً في هذا الشان فما عتمّ ان نُقل الى العربية ونُشر بالطبع فوزع في كل الانحآء . فاخذ الجميع من كاثليكيين ومنفصلين يلهجون به لهجة الاستحسان ويثنون على فطنة مار لاون الثالث عشر ولطفه وقداسته . ومن ذلك تقاربت القلوب ومال كثيرون الى الصلح مع الكرسي البطرسي المقدس

ولدى وصول البطريرك بهنام الى بيروت طفق يحدّث عن لطف الحبر الاعظم فارتقش الشعب ولا سيما اسرة طرازي الفخيمة لانها نالت بتوسط غبطة البطريرك رتبة الكنتية فلقّب رئيسها بالكونت نصرالله دي طرازي . وكذلك عائلة شقال فان رئيسها تشرف باسم الشفاليه رزق الله شقال . وبعد هذا تفقد السيد البطريرك مدرسة الشرفة واوقافها واوقاف دير مار افرام ثم انتقل الى دمشق فحلب حيث بعد نظره في شؤون ابرشيتها نقل الطغراء السلطانية الى ماردين وسافر الى ديار بكر ومنها رافقهُ السيد بطرس طوبال الى ماردين فدخلها محفوفاً بالاقليرس ووجهاء الطوائف والشعب واقام في ماردين مدة طويلة فيها رتب الشؤون المادية والادبية . وكان اول ما بدأ به مصالحة النافرين الذين كانوا يترددون الى كنيسة الكبوشيين . وكان البغداديون انتخبوا الخوري اغناطيوس نوري المارديني وكان من تلامذة الشرفة وقضى في خدمة النفوس في بغداد والبصرة زماناً . فانتدبهُ السيد البطريرك الى ماردين ورقاه الى درجة رئيس اساقفة في ١٦ حزيران سنة ١٨٩٥ وسماه اثناسيوس . وكان ذلك بموازرة السيد بطرس طوبال . وبعد هذا تواردت الى البطريرك اخبار اهتداء جانب من سريان الرها فاوفد اليهم كاهناً من الموصل مولعاً في التبشير فافتتح مدرسة لتثقيف صغارهم في امور الديانة خصوصاً وكان يرشد

انتخابه على الكرسي الرسولي · واما الماردين فسمي المطران يوحنا معمار باشي نائباً · وحينئذٍ عرض بعضهم الخوري باسيل قندلفت ليقام اسقفاً فلما وافقوا اخذوا بالرجوع كلٌ الى محله قبل حلول الشتاء · اما السيد انطون قندلفت فمنذ وصوله الى بيروت رقى شقيقهُ المذكور الى الدرجة الاسقفية علَى يافا شرفاً ودعاه يوليوس وذلك في ١٤ كانون الاول سنة ١٨٩٣ وتعين رئيساً علَى الشرفة كما كان سابقاً ثم نُقل الى النيابة في مصر سنة ١٨٩٥ · واما المطران يوحنا معمار باشي فبعد عودته من اورشليم تنزَّل عن اسقفية دمشق فتعيَّن المطران باسيل راعياً موقتاً عليها سنة ١٨٩٦

وكانت ابرشية حلب منذ وفاة البطريرك جرجس شلحت سعيد الذكر الى هذا الزمان بدون راعٍ يسوسها · فاوعز اليهم البطريرك بهنام ان ينتخبوا شخصاً جديراً بذلك ووضع لهم شروطاً موافقة للزمان وللحق القانوني · ومع ذلك لم يخلُ عملهم من جدال حتى اجمعوا علَى انتخاب السيد افرام رحماني واذ وافق ذلك البطريرك وايده الكرسي الرسولي رحل المنتخب الى حلب في اوائل شهر كانون الثاني سنة ١٨٩٤ مستصحباً والدته وكانت لدخوله حفلة شائقة · فطفق يسوس ذلك الشعب المبارك بغيرة رسولية فنظم المدارس وحالة الاقليرس واتقن الحفلات البيعية واكثر من الوعظ والارشاد واقامة الرياضة الروحية في ايام الصوم الكبير تارةً للرجال وطوراً للنساء فسمعه المؤمنون بلذةٍ من السريان وسائر الطوائف ·

وكان السيد البطريرك منذ تكريسه رفع التماساً الى الباب العالي يلتمس تاييده ببراءةٍ سلطانية فلما نالها مع الوسام المجيدي من الصنف الاول رأى واجباً

ان يقدم شكره لجلالة السلطان فغادر الموصل في ٢ ايار سنة ١٨٩٤ ولدى وصوله الى اسكندرونه اقبل المطران انطون من بيروت لملاقاته وذهب بصحبته الى عاصمة المملكة حيث نال ان يواجه جلالة السلطان عبدالحميد مرتين فبشّ به وانعم عليه بالوسام العثماني من الصنف الاول· وحدث ايام وجوده ثم زلزال افسد جانباً من الابنية فعجّل البطريرك في السفر الى روميه

واذ ذاك وافت رسائل الرضى بانتخاب الخوري بولس دانيال اسقفاً فحضر السيد هنري التماير الى كنيسة السريان وقام بحفلة رسامته بالطقس اللاتيني علَى دارا شرفاً ودعاه قوراُّس وذلك في ٢٨ تشرين الاول سنة ١٨٩٤

واصحاب الخواجه عبد المسيح حناشي الى بيت الخواجه الياس عبد النور لعمل مضبطة الاتفاق وفيما هم يتفاوضون واذا بالمطران بهنام سمرجي دخل عليهم وكان مغتاظاً من البطريرك لانه سخط عليه وحبسه عن الذهاب الى الموصل فلم يشركه في المشورة لئلا يفسد الصلح. وطفق يشرط على الجماعة ان يحملوا البطريرك على ان يقيمه مفريانا وان يطلعوه على المضبطة. واذ انكروا عليه طلبه طفق يقول: ان بطريركنا خرفان لا يدري بما سيكون من هذا الامر فانصحكم ان تعدلوا عنه. وقصد ان لا يفقد امله من ضبط البطريركية من بعده ولهذا اردف يصعّب شروط الصلح ووافقه بعضهم غير ان اصحاب ابن حناشي انتهروه قائلين: ان البطريرك غير راضٍ عنك ولا انت مطراننا فما دخولك بيننا؟ ان الصلح سيد الاحكام يريده الله والناس لقول الانجيل طوبى لفاعلي السلام فلا تفسده بعد ان تعبنا في سبيل انجازه؟

ولما اوشك الصلح ان يُبرم راى الخوري افرام ان يبشر سيادة المطران بهنام بني قائم مقام البطريركية بالنجاح ومن ذلك شاع الخبر في احدى الجرائد بعبارة شقّت على المنفصلين. فاعتصب وجهاؤهم وانفذوا الى البطريرك توبيخاً وتهديداً. فكف عن متابعة الشغل ووقتئذٍ انعكست المساعي الى هجو الكاثليكيين واقليرسهم وذلك في مقالةٍ سفيهة اللهجة كلفوا لعملها رجلاً بروتستانياً فنشرها في مجلة مصرية. ثم بايعاز البطريرك نُشرت بمطبعة الزعفران سنة ١٨٩٣ صورة الايمان التي الفها وقرها البطريرك جرجس ابن السيار ولكن أُدخل فيها تحريف خاصةً في ثلاثة مواضع (١) فاولاً ورد في القسم الثالث منها ان اوطيخا حرمه المجمع الخلقيدوني وفي المطبوعة نقرأ ان حارمه المجمع

(١) يجلي التحريف بمقابلة المطبوع مع النسخة الاصلية التي في مجموعة الدولباني وغيرها

الافسوسي (١) : ثانياً : ورد في القسم ١٤ : « نقرّ ايضاً بوجوب الكرامة للاربعة البطاركة ٠٠٠ ومقدمهم الكبير صاحب الكرسي الروماني» ٠ فأُضيف اليها في المطبوعة: « كلٌّ منهم مستقلّ في منصبه بالحرية المطلقة والسلطة الذاتية » (٢) ثالثاً كان القسم ١٥ متضمناً ٢٢ راساً ٠ وذكر المحرّف آراء شتى بخصوص ناسوت المسيح وطبيعته الانسانية فأضحت ٢٨ راساً ٠

٢٨٦ وبعد المجمع القرباني انتدب سيادة النائب آباء الطائفة الى سنُّدس الانتخاب فبادروا الى الموصل في خريف سنة ١٨٩٣ فاجتمعوا في الكنيسة الكاتدرائية يوم الخميس ١٢ تشرين الاول يتقدمهم السيد هنري التماير القاصد الرسولي علَى بلاد ما بين النهرين وكانوا : قورلس بهنام بني مطران الموصل النائب والمطران انطون قندلفت والمطران متى احمر دقنه والمطران افرام رحماني والمطران بطرس طوبال والمطران يوحنا معمار باشي ٠ وجرى الاقتراع بحسب القوانين المقدسة فوقع الانتخاب علَى النائب الرسولي نفسه ٠ فاعتذر وامتنع لارتباك الاحوال فلما الحّ عليه القاصد الرسولي والاساقفة من اجل خير الطائفة وافقهم فاجتمعوا يوم الاحد ١٥ تشرين الثاني وقضوا عليه حفلة التكريس وتسليم العصا الراعوي والجلوس علَى السدّة البطريركية بغاية الاجلال والفرح ٠ ونُثرت عليه التهانئ من سائر انحاء الطائفة ٠ ورأى البطريرك الجديد ان يقيم اسقفاً نائباً عنه في الموصل وفي ماردين ٠ اما للموصل فعرض علَى الاساقفة الخوري بولس دانيال لتعبه في الابرشية ما ينيف علَى اربع وثلاثين سنة فلما وافقوه عرض

(١ و ٢) للمطالع اللبيب ان يلاحظ المناقضات التي وقع فيها المحرف لمحاولته التملص من الحق ٠

وفيما كانت القلاقل تشغل الشعوب الشرقيـة عن عبادة الله باطمئنان ٠ كان المؤمنون في اوربا ولا سيما في فرنسا وبلجكا يناطحون الخلاعة والكفر حتى جعل حجاج التوبة موعد اجتماعهم سنة ١٨٩٣ بالاتفاق مع رؤساء المجمع القرباني في اورشليم واجلوا شهر ايار للاجتماع ٠ والاخويتان تالفتا للتعويض عن الكفر الدارج في اوربا فحجاج التوبة للحج الى اورشليم مرةً في كل سنة ٠ والمجمع القرباني للالتئام في بلدٍ يختارونه فيهبّون اليه ايضاً مرةً في السنة كلٌّ من وطنه فيتفاوضون في شرف الاوخارستيا وقِدَم الطقوس والانية والرموز المختصة بها فلما تمّ اتفاقهم المذكور انتدبوا المؤمنين واساقفتهم من العالم كله الى اورشليم فهبّ اليها في المدة المذكورة ماينيف علَى عشرة الاف نفس في جملتهم ثلاثة وثلاثين اسقفـاً ومئات من الكهنة يتقدمهم الكردينال لنجنيو رئيس اساقفـة رمس من اعمال فرنسا باسمه وبالوكالة عن البابا مار لاون الثالث عشر ٠ وكان الذين حضروا في هذا الاجتماع من طائفة السريان ما عدا بعض القسوس والعوام السيد انطون قندلفت والسيد افرام رحماني والسيد يوحنا معمار باشي وقد عوّل هذا المطران علَى الاستقالة من رعاية شعب دمشق والقى السيد افرام في احدى الجلسات العلنية خطبةً علميةً بديعةً في القداس السرياني وما يتعلق به افتتحهـا بقول مار افرام السرياني ما تعريبه: « طوباكِ يا جلجلة لانكِ مع صغركِ حويتِ ذبيحة الفداء الاصلية التي لم يسعها العالم باسرهِ » ٠ وطبَّق ذلك علَى موضوعه احسن تطبيق فقاطعه السامعون اكثر من مرة بتصفيق الاستحسان حتى دعوه الى إقامة القداس وتمّ ذلك تحت السماء اذ حُجِبَ المذبح بخيمةٍ في محل استشهاد مار اسطيفانس بكر الشهداء والشمامسة فاعجب الكردينـال والشعب بذلك حتى هطل المطر

عليهم اثناء القداس فلم يتحول احد من مكانه

واثناء المجمع القرباني قابل السيد جرجس كساب الصددي رئيس دير مار مرقس الذي للسريان المنفصلين نيافة الكردينال فش به وبعد مفاوضة حبية في شان اتحاد الطوائف المنفصلة مع البيعة الجامعة قال له الكردينال : أصحيح هو ما يقال عنكم انكم تقولون مقالة اوطيخا بطبيعة واحدة في المسيح وتنكرون رئاسة الحبر الروماني ؟ فقال معاذ الله بل اننا نحرم اوطيخا وقرر ايمانه كالكاثليكيين وكان جوابه ملخصاً من ايمان البطريرك جرجس ابن السيار (١) فقال الكردينال : لستم بعيدين منا . ففرح المطران بالسعي في مصالحة طائفته مع البيعة الرومانية . ولما رجع الى ديره كتب الى بطريركه وعرض عليه رغبة الكردينال وما قرره امامه فوافقه البطريرك ودار هذا الحديث بينه وبين وجوه رعيته سراً . فصوّبوا هذا التدبير وحمل الطرب احدهم وهو الخواجا عبد المسيح حناشي الى ان نقل الخبر الى وكيل الكاثليكيين الخوري افرام احمر دقنه . وطفق يتردد الى أصحابه اناء الليل والنهار ويحثهم ان لا يتركوا فرصة الصلح بلا اجراء . وانفذ البطريرك الخوري ابرهيم شاكر الى اقليرس الكاثليكيين يدعوهم اليه فهرعوا من ساعتهم فرحين وبعد تقبيلهم يده دخلوا في البحث فتليت رسالة مطران القدس . وفيما كان وجهاء شعبه يشترطون على القسوس إبقاء عوائدهم القديمة والقسوس يجاملونهم . قال البطريرك في اذن الخوري افرام احمر دقنه ان : تساهلوا الان . وانا اجري كل مايفرضه الحبر الروماني علينا

وانصرف الفريقان مسرورين : قسوس الكاثليكيين فالى كنيستهم

(١) راجع هـ عدد ٢٠٦ ص ٤١٥

الماrديني برخصة المجمع المقدس ليقيمه خلفاً للسيد اقليميس يوسف داود في دمشق ومع وصوله الى حلب ادنف البطريرك وقضى . لهذا اول امر ابرمه السيد بهنام كان اقامته هذا المنتخب مطراناً عَلَى دمشق ودعاه باسم اقليميس كسالفه فسافر الى ابرشيته ·

و بعد هذا رتب سيادة النائب شؤون القلاية البطريركية والابرشية الحلبية وكر عائداً الى ماردين وهناك تجددت المودة بينه و بين السيد بطرس بطريرك السريان المنفصلين وقال له : لقد حان الوقت ان نتحد معاً ونجعل الشعبين رعيةً واحدة لان بطريركنا تنيح ونحن مستعدون للاجتماع ولانتخاب خلفٍ له · فاذا تم اتفاقنا لا نحتاج الى انتخاب بل تكون غبطتك بطريركاً على جميعنا فطاب له هذا الكلام واعطى جواباً مبهماً خوفاً من ذويه فان ميله الى المحبة والاتفاق المرغوب كان معلوماً عند الجميع

﴿ الباب الخامس عشر ﴾

في بطريركية السيد بهنام بني الموصلي

الفصل الاول

٢٨٥ نيابته وسفره — المجمع القرباني — مودة الكردينال ومطران المنفصلين — سعي العوام في الصلح — فساده ٢٨٦ انتخاب وبطريركية السيد بهنام — انتخاب الحلبيين السيد افرام

---

٢٨٥ لما انتهت النيابة الرسولية الى السيد بهنام فبادر الى حلب وفحص وضبط تركة البطريرك المتوفى وشؤون الطائفة: انتقل الى ماردين ودبر كذلك وفي غضون غيبته عن ابرشيته اصابها ضيم لان الدولة سمّت فريقاً اسمه عمر باشا مأموراً لاصلاحات العراق. فقدم الموصل وطفق يستحصل الاموال الاميرية مع بقايا الاعانة العسكرية من غير المسلمين. فزجّ اعضاء مجلس الادارة في السجن وبالغ في جفاء المطلوبين بالضرب والحبس والتحقير. وآذى اليزيدية واكرههم على الاسلام واذ رفضوا طلبه بحماسة عجيبة اخجلت المؤمنين. فضح معبوداتهم الكفرية وهدم قبب مزاراتهم وعذبهم كثيراً حتى امات بعضهم.

واذ ذاك عاد السيد بهنام الى رعيته وعزاها على ما كابدته. ثم اخذ يكاتب المجمع المقدس في شأن سنذس الانتخاب

الفصل السادس

٢٨٤ همة بطريرك المنفصلين في الصلح — مرض ووفاة البطريرك جرجس

٢٨٤ وفي غضون ذلك قدم الى الموصل الشيخ الوقور بطرس سلمو بطريرك السريان المنفصلين مستصحباً معه المطران دنحا الطور عبديني والمطران الياس هأوله المارديني ليُصلح شؤون طائفته المضطربة بسبب غيبة مطرانها في ماردين كما سبقت الاشارة. فذهب السيد بهنام بني الى زيارته فاحبه وانس بمجالسته حتى سأله ان يطلعه عَلَى الرابورت الذي اعطاه السفراء لتخصيص بيعة الطاهرة للكاثليكيين فلما رآه صدقه بختمه واشار عَلَى شعبه ان يكفّوا عن الخصام ويشيدوا لهم كنيسةً جديدةً عوضها فساءهم ذلك لكنهم وافقوه خوفاً من دعائه وعوّل على شراء ارض من ماله ليشيدوا فيها كنيسةً. فاختاروا داراً هي ملك عائلة كاثليكية. فاشتراه السيد بهنام بخمسة واربعين الف غرش وتمم ثمن الدار ثمانية الاف غرش من عنده رغبةً في الصلح. واعلن هذا البطريرك منشوراً في ابطال المناحة عَلَى الميت والمصاريف الزائدة عَلَى الاعراس فرضي السيد بهنام بقبوله فتُلي في كنائسه. وابتدأ الاخوة المنفصلون بعمارة كنيستهم منذ شهر ايار سنة ١٨٩١ وطمعوا في سخاء بطريركهم فنفر منهم وسافر في ١٤ ايلول

ولدى وصوله الى ماردين منع السيد بهنام سمرجي من الذهاب الى الموصل

وكان المتصرف في ماردين أنيس باشا فتوسط بين البطريرك ومطرانه وحمل البطريرك على تسريح المطران فعاد الى الموصل

وفي خلال هذه الامور لما كان السيد البطريرك جرجس معذّباً بمرضٍ قديم اشتد مرضه لخصامٍ اثاره الشيطان كما في ابرشية بغداد فالزمه الفراش وحمل المطران انطون قندلفت ان يعود الى بيروت للقيام بوظيفة النيابة التي تعين لها منذ رسامته مطراناً. وادنف فحلت وفاته في ٨ كانون الاول سنة ١٨٩١ ودُفن في حجرةٍ ضمن كنيسته الكاتدرائية بحلب يقال لها بيت الشمع . وكانت مدة رئاسته سبع عشرة سنة . وجرت حفلة مأتمه بحضور ارباب المناصب الدينية والدنيوية. وأبنهُ السيد كيرلس جحا مطران الملكيين.

ومنذ عشية اليوم الثالث رُفعت لذكر الفقيد في الخورس نصبة صُمدت عليها افخر الحلل البطريركية والاواني البيعية مع منائر الشموع. لكن شبّت اثناء الليل نار لم يُعرَف شاعلها التهمت النصبة وما عليها. فانقلب غمّ المؤمنين الى غيظ علَى الفاعل. ومنذ نُعي البطريرك للكرسي الرسولي اقام السيد بهنام بني نائباً رسولياً علَى الطائفة. فاخذ يدبر ويسوس بالمكاتبة اولاً. فلما اقتضى له ان يصير الى حلب استقدم اليه السيد افرام رحماني من بغداد . وكان البطريرك رحمه الله قد انفذ الخوري بطرس بوسيك المارديني تلميذ بروبكندا الى الهند. ولما صادفت عودته الى بغداد استعداد السيد افرام للسفر. اقامه هذا السيد نائباً عنه في بغداد ورحل سنة ١٨٩٢ ومنذ وصوله الى الموصل عهد السيد بهنام النيابة علَى ابرشيته اليه والى الخوري بولس دانيال معاً وبادر الى السفر في ٤ ايار.

وقُبيل ذلك كان البطريرك رحمه الله انتدب الخوري يوحنا معمار باشي

استنزلت العبرات واقتلعت من الصدور الحسرات · وكانت الآية الأساسية من سفر سموئيل الثاني (٣ : ٣٨) وهي « اما تعلمون ان رئيساً كبيراً سقط من اسرائيل » وخطب ايضاً السيد نيقولاوس قاضي مطران الملكيين مستعظماً المصاب · ثم اودع جثمان المتوفى لحداً هيئ له في المذبح بجانب سالفهِ السيد يعقوب الحلياني تغمدهما الله بغزير رحمته ·

ومثل ذلك حدث في ابرشيات الطائفة ولا سيما في الموصل وطنه حيث اقيمت له عدة جنازات · ففي كنيسة السريان احتفل بها اقليرس السريان الكلدان وفيها ابّنه في اليوم الأول السيد افرام رحماني بخطبة بليغة صدّرها بآية الانجيل « ما من حبٍّ اعظم من هذا » الخ (يو ١٥ : ٣) وبين فيها ان الفقيد بذل نفسه حتى الموت فداءً للعلم والطاعة والغيرة · وكان لكلامه اشدّ التأثير في القلوب · وابّنه في اليوم الثاني السيد يعقوب ميخائيل نعمو مطران الكلدان وكانت الآية لموضوعه آية سفر الرؤيا « على راسهِ اكاليل كثيرة » ثم تكررت الجنائز في كنيسة المرسلين وكنيسة مسكنتا للكلدان وكنيسة مار توما للسريان · وأُلحقت بذلك جملة مراثي اعتنى بجمعها في كتابٍ الشاب الاديب فيليب افندي طرازي وطبعها في بيروت سنة ١٨٩١ وبعد حين (سنة ١٩٠٨) نُصب في قلاية السريان في دمشق تمثال من رخام يشخص السيد يوسف داود بنفقة الخوري يوسف هبرا الدمشقي مكافأةً له عن سعيه في تثقيف هذا الخوري في العلوم

واذ ذاك كان السيد روفائيل من بعد عودته وحضور نائبه يومل قضاء ايام شيخوخته براحة بال · غير ان عدوّ الخير اثار سجساً في رعيته وطال السجس نحواً من سنتين حتى اعتزل في بستانٍ كعادة اهالي بغداد ابتغاء تبديل الهواء وترويح

النفس وهناك فاجاته المنية في ٢٩ نيسان سنة ١٨٩٠ اذ كان يصلي ماشياً ٠ ولساعته نُقل الى البلد حيث أُقيم له ماتمٌ حافل واودع جثمانه في قبر اعده لنفسه في البيعة التي شادها ٠ وكان هذا الاب طاهر السيرة والسريرة وديعاً نقياً محباً لشعبه سخياً يجبر قلوب الفقراء البائسين

واسف السيد البطريرك على فقده واوعز الى البغداديين ان ينتخبوا خلفاً له ٠ فلما وقع انتخابهم علَى السيد افرام رحماني ايده البطريرك نائباً في ٢٠ ايلول من سنة ١٨٩٠ فبادر الى بغداد وباشر وظيفته بعمل الرياضية للكهنة والشعب فانتعشت روح الديانة في شعبه وسائر المسيحيين ٠ وبعد الرياضة اخذ يقيم الحفلات البيعية على حقها بعد ان أُهملت زماناً واستقدم لمساعدته القس ميخائيل ابن القس موسى الفرقوشي تلميذ الشرفة وقسيس زاخو سابقاً ٠ وبذلك تمكن الراعي الهمام من مصالحة المتحزبين

واذ ذاك كان الخوري بطرس بن شمعون طوبال تلميذ الشرفة الذي ارتسم كاهناً سنة ١٨٤٨ قد حجّ الى روميه ولدى عودته عرج الى الشرفة فرقاه غبطته في ٣٠ ايلول وهو في سن الثانية والستين الى مقام الاسقفية على ميافرقين شرفاً لينوب عنه في ديار بكر وطنه فاشترك مع الاباء في السنذس · وكانت الجلسة العلنية الثامنة في ٨ تشرين الاول والتاسعة وبها ختام الجلسات في ١٢ منه وفيها قرئت تقارير السنذس فعرض الاباء حكمهم فيها على الكرسي الرسولي · وبعد هذا فُتحت الكنيسة للشعب · وقام احد الاباء يسأل زملاءه قائلاً : هل قبلتم تقارير مجمعنا من اولها الى آخرها · فلبوه معلنين بحفظها واجرائها بامانة · فنودي بإقفال السنذس رسمياً · وختموا مرتلين التسبحة شكراً لله تعالى · وانفذوا رسائلهم الى الحبر الاعظم والى المجمع المقدس يلتمسون التأييد الرسولي

ولما كانت جزيرة قردو مترملة بوفاة راعيها السيد بطرس متاح منذ ١٦ حزيران سنة ١٨٧٤ · تعين السيد يعقوب متى احمر دقنه راعياً لها فرحل اليها وشاد داراً لسكناه

ثم ان السيد روفائيل جرخي طلب الاستقالة من ابرشية بغداد واذ لم يقبلوا عذره اتخذ له الخوري باسيل قندلفت الحلبي نائباً عاماً · وكان عماذه في حزيران سنة ١٨٥١ تلقى العلوم في مدرسة غزير وارتسم كاهناً باسم باسيل في ١ تشرين الاول سنة ١٨٧٦ وتعين رئيساً للشرفة سنة ١٨٨٥

وقفل اباء السنذس في ١٦ تشرين الاول كلٌّ الى محله وتبع الخوري باسيل السيد روفائيل الى بغداد · اما السيد يوسف داود فتخلف في الدير يجمع اعمال السنذس وانتقل بها الى دمشق حيث نقلها كلها الى اللاتينية وهو يشكر

الله على انه لم يُنظم عند الطوائف الشرقية مجمع اكثر اتقاناً منه • واثباتاً لقولنا نستشهد ما كتبه الحبر الاعظم الى اساقفة الطائفة بتاريخ ١٠ ايلول ١٨٨٩ قال « نهنئكم ايها الاخوة المحترمون ليس فقط على انكم قمتم بعون الله ومدده بانجاز هذا العمل الجزيل الفائدة بل الضروري والمشتاق اليه من زمنٍ مديد : بل انكم بقضاء ذلك اعطيتم مثلاً ساطعاً جلياً تقتدي به كنائس الطقوس الغربية والشرقية كافة »

٢٨٣ غير ان الاعمال التي اتعب السيد اقليميس ذاته بها اكثر من طاقته سببت له داء القلب منذ اوائل سنة ١٨٨٩ فاذاقه من الالم ما لم يعهده قط في سالف عمره • ومع ذلك لبث مكباً على المطالعة حتى قضى الحفلات البيعية وهو لا يعبأ بمرضه • وكان السيد افرام رحماني قد رحل الى اوروبا منذ ختام السنذس فلما عاد الى بيروت وبلغه مرض السيد اقليميس عادهُ وأتى به الى بيروت واستحضر جمعية اطباء فلم يقووا على شفائه فاخذه الى الشرفة لاجل تبديل الهواء واخذ هو بالعود الى الموصل

وشعر المريض بقرب زواله فرجع الى كرسيه في ٢٨ حزيران وتفاقم مرضه الى ان زايل الدنيا في ٤ آب وهو في سنّ السبعين الا ثلاثة اشهر وذلك بعد ان سمع القداس الالهي وتزود بالمشحة وبسرّ القربان المقدس •

فأُجلس بحلته الحبرية في صدر الكنيسة وتقاطرت الناس على اختلاف طوائفهم الى تقبيل يده ريثما جنزه صف الكهنة وقدّس احدهم عن روحه • وحضر حفلة تجنيزه اقليرس دمشق الكاثليكي والمرسلون والناس من كل الطوائف مع اولي المراتب البلديين والاجنبيين بالالبسة الرسمية وابّنه احد قسوسه بعبارات

الفصل الخامس

٢٨٢ السنذس واعماله — رسامة السيد بطرس طوبال ٢٨٣ مرض
ووفاة السيد يوسف داود — والسيد روفائيل — نيابة
السيد افرام في بغداد

٢٨٢ وبعد الاتفاق مع مجمع بروبكندا المقدس بعث السيد البطريرك بمنشور تاريخه ١٨ ايار سنة ١٨٨٨ الى جميع اساقفة الطائفة يبشرهم فيه بعزمه على عقد السنذس في دير الشرفة ويكلفهم للحضور ثمَّ في شهر تموز. وكان السيد بهنام قد سافر الى بلجكا والمجر لبعض اشغاله فوردت اليه رسالة البطريرك وهو هناك. وحضر الاساقفة الى الشرفة في الوقت المؤجل ماعدا السيدين ايليا عمة وافرام توكجي فانابا آباء السنذس عنهما لشيخوختهما. وتعين السيد لودوفيك بيافي رئيساً للسنذس باسم الحضرة البابا ويَّة وسبق اجتماعهم برياضةٍ روحيةٍ مدة ثلاثة ايام.

وكانت جلسة الافتتاح في ٢٧ تموز علنةً دُعي اليها احبار الطوائف غير السريانية وبعض من رؤساء الاديرة واعيان السريان البيروتيين فدخلوا الكنيسة باحتفال أثناء تهليل الشعب وقرع النواقيس والتراتيل اذ كان كلٌّ من الآباء متشحاً بحلته الحبرية الكاملة

فجلس رئيس السنذس والبطريرك في الصدر وبينهما المذبح ثم بقية السادة

صفين متقابلين وكانوا السادة يوحنا الحاج مطران بعلبك الماروني بالنيابة عن بطريركه · وباسيليوس كبريان مطران قبرص على الارمن · ثم الاباء السريان وهم السادة اثناسيوس روفائيل جرخي مطران بغداد · واقليمس يوسف داود مطران دمشق · ويعقوب متى اسقف نصيبين · وثاوفيلس انطون قندلفت اسقف طرابلس وافرام رحماني مطران الرها

وللوقت احتفل القداس السيد روفائيل ثم تليت مناشير البابا ومجمع بروبكندا لتسمية السيد يافي رئيساً للسنذس باسم الكرسي الرسولي · ثم منشور بروبكندا الى بطريرك الطائفة واساقفتها · وبعده اعلن الرئيس بافتتاح السنذس رسمياً وتلا خطاباً في ذلك · ثم قرر السيد اقليمس دستور الايمان باسم السادة وصدقه كل منهم جاعلاً يده على كتاب الاناجيل · وفي الاخر قرأ كاتم الاسرار مناشير لتوزيع الوظائف على الاعضاء فتعين السيد كاودنسيو بونيفلي معاون القصادة لاهوتياً اولاً للسنذس · وختمت هذه الجلسة بتلغراف من لسان الاباء الى الحبر الاعظم لاون الثالث عشر يبشرونه بالافتتاح تحت حمايته ويلتمسون بركته · وخرجوا مسرورين

ومن غدٍ ابتدأ الاباء بعقد جلساتهم الخصوصية في احدى قاعات الدير · وكانوا يلتئمون مرة او مرتين في اليوم للمذاكرة ولتهيئة المواد للجلسات العلنية · فكلما انتهوا من قسم منهم تلي في جلسة علنية ضمن الكنيسة فيجري التصديق عليها

واذ ذاك وصل السيد بهنام الى بيروت في ٨ آب فايد ما كان قد جرى ووفق ما كان بعضهم يترددون الى قبوله وكانت الجلسة العلنية الثانية في ١٩ آب والثالثة في ٢٧ منه والرابعة في ٦ ايلول والخامسة في ١٦ منه والسادسة في ٢١ والسابعة في ٢٦ منه

شموني ما ينيف على سنتين ٠

٢٨١ وفي غضون ذلك انتدب السيد البطريرك الخوري لويس من القسطنطينية اليه ليرقيه الى الاسقفية ويبقيه عنده في حلب نائباً ٠ ووفد الخوري انطون قندلفت الى عاصمة المملكة ليرفع الى جلالة السلطان عرائض الاخلاص باسم الحلبيين ٠ ولدى عودته الى بيروت عرض بعضهم ان يقام اسقفاً عليها فلما راى البطريرك ان ذلك لا يوافق لان بيروت ليست كرسياً اسقفياً سماه اسقفاً شرفياً على طرابلس ونائباً بطريركياً على بيروت ٠ وتمت حفلة رسامته في كنيسة بيروت في ٢٠ حزيران سنة ١٨٨٦ بحضور اصحابه السيد لودفيك پياڤي القاصد الرسولي ومعاونه السيد كاودنسيو بونفيلي وملاطيوس فكاك مطران الملكيين وبطرس البستاني مطران صيدا على الموارنة ٠ والمطران يوسف الدبس مطران بيروت على الموارنة ٠ وكان كلٌّ من الخوري افرام ابيض الحلبي والخوري روفائيل بردعاني شاد حجرتين بجانب كنيسة بيروت فشاد السيد انطون قاعة الاستقبال وكمل بناء الطابق العلوي فاضحت داراً نفيسة للروساء والكهنة

واما الخوري لويس رحماني فلدى عودته الى حلب اقامه السيد البطريرك اسقفاً على الرها في ٢ تشرين الثاني سنة ١٨٨٧ ودعاه افرام ربولا على اسم القديس ربولا اسقف الرها قديماً ٠ ولما كانت ابرشية ماردين مضطربة في هذا الزمان بخصام قام بين الشعب فافضى الى ان هجرت الكنيسة نحو ثمانين عائلة منهم وكانوا يترددون الى بيعة المرسلين الكبوشيين: سمى البطريرك المطران الجديد زائراً بطريركياً في ماردين لدرايته وعلمه وفصاحته ٠ فسافر وطفق يصلح حالة الكهنة بعمل الرياضة وبمراجعة دروس اللاهوت والفقه البيعي ٠ ثم ثنى على نصح

الشعب ووعظه فنجحت مساعيه اذ اذعن له جانب من النافرين والبقية لانوا لكنهم اصرّوا عَلَى الابتعاد من كنيستهم الى ان تم صلحهم عَلَى يد السيد بهنام بني بعد حين . وفي سنة ١٨٨٧ نفسها اتحف السلطان البطريرك برسم الطغراء الهمايونية عربوناً لرضاه عنه . واذ ذاك كان السيد يوسف داود ساعياً في نظم المسائل الطقسية والتهذيبية استعداداً لافتتاح السنذس الطائفي والسيد افرام يعاونه بالمكاتبة اذ كانت تلك المسائل تُرسَل الى اساقفة الطائفة بالبريد فيبدي كلٌّ منهم رايه فيها خطاً و تُعرَض اخيراً عَلَى غبطة البطريرك وطال هذا العمل من ١٠ تشرين الثاني سنة ١٨٨٢ الى شهر نيسان من سنة ١٨٨٥ وجُمعت تلك المسائل في كتابٍ فكان عددها ما ينيف عَلَى ٥٠٠ وعدد البنود ٨٩٦ وافتتح السيد ربولا هذا الكتاب ببحث مطوَّل في المعتقد الكاثليكي مؤيداً بشواهد من الكتاب المقدس و بنقول من اباء البيعة السريانية مع اثبات الحقائق التي ينكرها اليعاقبة او يخطئون في تعليمها وختمهُ بفصلٍ في السيرة النسكية ٠

الفصل الرابع

٢٨٠ مجادلة شماس قسيسهُ — خيبو بة خصم ٢٨١ اسقفية السيدين قندلفت ورحماني — الاستعداد للسنذس

٢٨٠ وقبيل هذا الفوز بطل شقاق الكلدان فتبودلت التهانيء بينهم وبين السريان الكاثليك . وحينئذٍ حسدهم عقلاء المنفصلين وسئموا حالة شقاقهم وخصامهم مع بذل اموالهم للظلم وتاقوا الى الاتحاد والصلح . نخصّ بذلك الشماس عبدالرحيم عيواز فانه بادر يوماً القس اسحق كريمة قائلاً : يسوءني جداً يا ابانا ان الكاثليكيين في نجاح وتقدُّم لاتفاقهم مع البابا : واننا نحن في انقسام وخمول: فالى متى نوثر بذل اموالنا للظلم علَى توحيد طائفتنا معهم مع اننا بالصلح المرغوب نملك الكنيسة باشتراكٍ حبي دون تعب . اجابه القسيس: وما مرادك هل ان نصير باباوبين . قال الشماس : لقّبهم كيفما شئت لكنهم علَى كل حال احسن منا طاعةً وتهذيباً : وطقسهم طقسنا : ومعتقدهم بالجوهر معتقدنا فايُّ مانع ياترى يمنعنا من ان نصير معهم رعيةً واحدةً حسب امر المسيح . اجابهُ القسيس : قل اننا اتحدنا لكن اين نجعل عبادتهم الوردية . قال الشماس :ليست الوردية الا تعبُّد للعذراء واي صلاةٍ عندنا خالية من مدح العذراء والاستغاثة بها ؟ فاننا اذا عدلنا عن التشمشت المختص بها وصلواتنا واصوامنا في اعيادها: اليس ان القومة الاولى من صلاة الليل في الاشحيم موجّهة كلها الى العذراء

مريم سلام الله على قلبها ؟ قال القسيس : وما رايك في اعتقادهم بالمطهر ؟ اجابه الشماس ان : اذكر يا ابانا تعليم ابن العبري ملفاننا في كتاب الاشراق (ميمر ٥ فصل ٥ قسم ٣) حيث قال : ان الامكنة للنفس من بعد الموت ثلاثة : غمام الملئكة في السماء ومأوى الابالسة في جهنم وبينهما فردوس عدن لتنقيتهم . وحسب غيره هي السماء وجهنم وبينهما شيول . فعليك ان تقبل المطهر سواء سميته مطهراً او عدناً او شيولاً . ولما كنتم يا معشر الكهنة تاخذون الحسنات عن القداس او عن تشمشت الموتى : نتج اما انكم تخدعون الشعب او تقولون بوجود مكان لتطهير النفس المنتقلة من جسدها — قال القسيس : اذا عدلنا عن المطهر كيف نقبل رئاسة البابا ؟ اجابه الشماس : نقبله كما قبله ابن العبري في كتاب شرعنا (في مفتتح الفصل السابع من كتاب الهداية) فاذا ابيت الا ان تعتبر البابا ابا للمشورة كما دعاه بعضنا . اسالك في اي مسألة استشرناه واحترمنا مشورته ؟ قال القسيس للشماس كفاك تهذر ! فلعمري ما انت الا سكران ومجنون . اجابه الشماس : قد افقدتمونا الراي لاننا اذا كلمناكم بالواقع دعوتمونا سكارى ومجانين واذا سكتنا تمزق افئدتنا ولهذا تلعب ايادي الحكام بنا

اما المطران بهنام سمرجي فلم ييأس من اقتناء البيعة فقصد العاصمة في ١٠ تشرين الاول سنة ١٨٨٧ ولدى اجتيازه بماردين نصحه بطريركه ونهاه عن السفر فلم يذعن له بل اهانه فاكمل سفره وحاول كثيراً نيل اربه فلم يكترث له احد بل أبعد عن العاصمة بامر الصدر الاعظم لنزاع حدث بينه وبين الاسقف بولس الرعاوي وكيلهم وبلغ بهما الى الشتم والضرب . وفي ماردين اشتد خصامه مع بطريركه حتى نهاه عن العودة الى الموصل . فاقام في بيعة

مجلس الوكلاء ايد الصدر الاعظم حق الكاثليكيين في كنيستين كالسابق· غير انه محاشاة لاستحداث مشاكل وقلاقل سأل وكيل المطران ان يتنزّل عن كنيسة احوديمي ويكتفي بكنيسة الطاهرة الكبرى فقط· فلما وافق المطران على ذلك بواسطة وكيله أُعطي إعلاماً حاوياً كل ماسبق من مسائل الكنائس · ودفعاً لكل اعتراض ذُكرت حجة الخصوم «إن الوقف القديم هو حق الملة القديمة»· وأُردف جواب الوكلاء عليها انه «لو صح قولهم هذا لاقتضى معاملتهم كمعاملة البلغار الذين تساووا في الحقوق مع الكاثليكيين» · وكان الجواب على اعتراض الخصوم الاخر وهو «ان الكاثليكيين في غنىً عن الكنائس العتيقة لحصولهم على كنائس جديدة»· انهم شادوا كنائسهم الجديدة على نفقتهم فليبنِ خصومهم نظيرها ان شاءوا ومن ثم صدر الحكم مويداً بتوقيع السلطان · فلما سمع الربان عبد نور الرهاوي وكيلهم ذلك طفق يحتجّ مستظلماً· فقالوا له أوَ تستظلم ايضاً بعد ان انصفناكم باعطائكم ثلاث كنائس وتركنا لخصومكم كنيسة واحدة؟ ومع ذلك فاذا اطنبت قاسمناكم في بقية الكنائس والاديرة واوقافها · واذ اغلظ الكلام صدر امرٌ بابعاده عن العاصمة فأُبعد رغماً — وفي ١٢ ايار سنة ١٨٨٧ أُنفذت الاوامر الى تحسين باشا تلغرافياً ليُجريها فبلَّغها من ساعته للخصوم وامهلهم الى يوم الخميس ٢ حزيران وكانت ليلة عيد برصوم قديسهم فهبُّوا اليها رجالاً ونساء مع قسيسين وباتوا فيها· وتعين اسمعيل كرد باشا نائب عشيرة الهموند للاجراء وللوقت احاطت فرقة توفيق بيك ميري الاي بالكنيسة ففرقت المجمعين في الازقة اذ كان الموجودون داخلاً يطربون وبعضهم يرقصون مستهزئين وخسرو بيك الاي بيكي يامرهم بفتح الباب فيابون ومطرانهم يشجعهم

من حجرته · فلما امسى نهار الخميس كلمهم خسرو بيك شفاهاً وبورقة القاها اليهم فاهانوه · وفي صباح الجمعة اعادوا عمل الامس حتى اشتــد الحرّ فناشدهم خسرو بيك ايضاً ان يمتثلوا الاوامر · واذ لم يسمع منهم غير الشتم وقرع الناقوس · تسلقت جنوده اليهم بالسلم فهاجوا مستغيثين بالمسلمين وسمعوا يقولون « يا مار برصوم ما بالك لا تستجيب الى صراخنا هل صرت باباوياً »؟ اما الجنود فمع نزولهم الى الكنيسة فتحوا بابها وطفقوا يخرجون الناس منها واحداً واحداً حتى أخليت فسلموها الى السيد بهنام بني

وكان السيد بهنام بني من بعد بنائه هيكلاً للرب قصد سنة ١٨٨٢ ان يشيد داراً اسقفية لسكناه على ان اقامته الى هذا الحين كانت ضيقةً في حصته من بيت اهله واذ لم يجد في البلد ارضاً كافية للدار٠ رأى ان يخططها خارجاً في بستان اسمه بستان الدفتردار كان ابتاعه قبيل هذا٠ ثم اذ لم تكن له النفقة الكافية واقتضى له في الوقت نفسه ان يوفد احد قسوسه الى روميه لبعض اشغاله وهو القس لويس رحماني٠ رقاه الى رتبة الخورنة في ١٤ ايلول وانفذه٠ ولما فهم منه المؤمنون في النمسا والمجر ضيقة مطرانه وصلوه باحسانٍ وافٍ فسرّ المطران بتوفيق رسوله وشاد الدار المرغوبة٠ وانقلب الخوري لويس عائداً الى الشرق فامسكه البطريرك جرجس بحلب ليجمع ويهيئ مسائل فقهية طقسية لفحص في سنُدس كان في نيته ان يفتتحه لانه لم يجد في الطائفة كاهناً متضلعاً في ذلك احسن منه٠ فاكبّ الخوري الشاب على هذا العمل مدة صيف سنة ١٨٨٣ الى ان عاد الى الموصل٠ ولم يكن البناء يُشغل المطران بهنام عن سياسة رعيته المحبوبة فانه ارسل نخبةً من كهنته الى قرى ابرشيته ليلقوا عظات الرياضة على كهنتها وشعبها كعادتهم في كل سنة وكلل الله هذه المساعي بنجاح روحي وزمني

٢٧٩ واذ ذاك لم يكن مطران اليعاقبة في عاصمة المملكة يفتر من السعي في استرجاع الكنائس اليه حتى نال بمساعدة اغوب باشا امراً سلطانيا في ذلك وكتمه عن الناس اذ كان وجوه شعبه في الموصل يستميلون اولي الامر والاعيان الى السعي في اجراء فرمانهم٠ ودخل مطرانهم الموصل يوم الخميس ٢٣ حزيران سنة ١٨٨٥ على ايام تحسين باشا الوالي وحمدي بيك المتصرف٠ واخبر هذا الوالي وجوه الكاثليكيين بالفرمان دون ان يطلعهم على نصه٠ واذ طلبوا تبليغه تحريراً

بمقتضى النظام لم يُصغِ بل صرفهم بقوله اني اجري الفرمان وبعده لكم الحق باقامة الدعوى . ثم انه بينما كان الكاثليكيون في الغد آمنين انه يوم عطلة . انفذ الجنود متفرقين حتى احتاطوا الكنيسة وطلبوا مفاتيحها وفيما كان الكاثليكيون يرفعون احتجاجهم فاجأهم الجنود وفتحوا الباب الصغير الذي كان أُفتح بحجة الدفن وسدوا الباب الكبير بالحجارة ورفعوا ناقوساً كبيراً وبدّدوا امتعة الكنيسة والمدرسة وللحال رُفع مطرانهم بحلته وبكرسيه وكان يُطاف به وهو يصيح الله ينصر السلطان فيجيبهُ القوم آمين ويردف عَلَى القوم الكافرين آمين (١)

ونفر من الجهال غرّهم الافتخار فكانوا يثلبون الكاثليكيين عَلَى مسمع من المسلمين ويطلعوهم عَلَى كتب التعليم المسيحي التي وجدوها في المدرسة ويصفون ذلك التعليم بالكفر . وصادف احدهم وهو داود بن توما القصير صورة مريم العذراء فوطئها واهانها مجاملةً لمسلمين كانوا برفقته وبصق عليها وهو يقول لهم : هذا هو صنم خصومنا . ولم تمضِ ايام حتى أُصيب هذا الرجل بالفالج فمات معذباً

وفي ١٥ ايلول سنة ١٨٨٥ انفذ السيد بهنام الخوري لويس رحماني الى العصمة لينوب عنه في طلب حقوقه المغتصبة واقامة الحجة عَلَى خصومه .

وفي الوقت نفسه انتُدب هذا الخوري الى دار القصادة ببيروت لفحص كتب الفرض كما اشرنا في كلامنا عن السيد يوسف داود مرتب هذه الكتب فاعتاق شهرين ثم توجه الى العاصمة واوقفه رفع اوراق الدعوى الى الباب العالي ففحصت وأُثبتت في مجلس العادليـة فالمذاهب فشورى الدولة ولما أُعيدت الى

(١) شهدنا هذه الحفلة وسمعنا الكلام بنفسنا

كركيبدرو واسم القسيس يوحنا فلبث ثابتاً الى وفاته في قرية الغالبيـة بجوار سعرت · وهناه ايضاً بهداية نفر من اهالي ازخ مع كاهن اسمه يشوع ابن المقدسي شرفو مرمريجان وانضمّ اليه القس الضرير توما هندي المار ذكره فانفذ المطران اليهم قسيساً من لدنه فارشدهم وثبتهم حتى بلغ عددهم خمسة وسبعين عائلة · وبعد هذا ذهب المطران بذاته الى افتقادهم سنة ١٨٨٤ وبذل مبالغ من المال على استئجار دار جعلها بيت صلوة ومدرسة ثم اشترى لهم داراً علَى يد قسيسه فجعلت معبداً ومدرسة ورسم لهم قسيساً من قريتهم اسمه بهنام قريو وكانت اذنه مقطوعة لتمسكه بالايمان المقدس فكان يقول اني ربحتُ نفوساً بقطع اذني اكثر مما بوعظي ودامت الحالة علَى ما قلنا الى ان أُلحقت ازخ بولاية ماردين سنة ١٨٨٦

واثناء ذلك لم يخب امل السريان المنفصلين من نيل الكنائس المعطاة للكاثليكيين في الموصل فان السيد بهنام بن عبدالله السمرجي مطرانهم رتب مضبطة يستظلم مدعياً فيها من قبل اهالي الموصل المسلمين والمسيحين: قِدَم شعبه وحاجتهم الى الكنائس التي استولى اخصامهم عليها وطفق يتردد الى اعيان البلد المسلمين يترامى عليهم ملتمساً ان يوقعوا على المضبطة بختومهم فرفض كثيرون طلبـه واشفق غيرهم عليه فختموها مصدّقين ما كان يثلب خصومه به من انهم حرّفوا الانجيل الشريف وعبدوا البابا الى غير ذلك · وسافر بها الى الاستانة سنة ١٨٧٩ وشرع يستعطف الوزراء والسفراء الغير الكاثليكيين مستشهداً الموقّعين على مضبطته فلم يكترث احد لكلامه حتى تعطف عليه اغوب باشا مشير العادلية المقدَّم عند السلطان لقوله له : اننا فقدنا البيعة ولم نفقد حقنا في المقبرة التي في

فنائها وهذا بابها: فنال بواسطته رخصةً لفتح هذا الباب فما عتم ان فُتح في ١١ نيسان سنة ١٨٨٣ وتشاءم الناس انه سيكون باب مكيدة:

وفي خلال ذلك أصيبت الموصل بغلاء ومجاعة كبرى سنة ١٨٨١ وذلك ان ريح السموم احرقت زروعها ثم جمد نهر دجلة فتعضل جلب القمح من ديار بكر فبلغ سعر وزنته (٥١٢٠ درهم) ليرة عثمانية فقيل لتلك السنة سنة الليرة. واذ ذاك حملت الرحمة قلوب الرؤساء على مساعدة الفقراء وكان السيد بهنام بني اول الراحمين لانه فرض على كل من اغنياء شعبه اقاتة عائلة من الفقراء او تادية صدقة وافرة في الاسبوع: ودلّ الحكومة على جلب الحنطة من القرى فكانت تباع بقيمة محتملة. وكان ياتي من فرن الحكومة بخبزٍ فيباع للفقراء بقيمة متوسطة ولهذا اخذ الناس من مسلمين ونصارى يصفونه بأبي الفقراء ويدعون له بالنصر. وتبع موسيو سيوفي قنصل فرنسا مثل المطران فاستدرّ من كرم دولته احسانًا. فكان يوزع في كل اسبوع مائتي غرش على البائسين ما عدا الف غرش ارسلها موسيو پرتيه سالفه من بغداد. وكذلك فعل القاصد الرسولي والرسلون فكانوا يقدمون في كل صباح شوربه لمائتي محتاج ولاربعين صبيّ من تلامذة المدرسة. وأُنشئت اخوية نساء باسم مار يوسف تتقدمهن زوجة القنصل فكنّ يجمعنَ في الاسبوع تسعمائة غرش ثمن كسوة للمحتاجين. ومع ذلك كنا نرى بقلبٍ جريح الناس يأكلون خبز النخالة وقرصاً من زبل الكرش الممزوج بدم الغنم ولحوم البهائم الفاطسة وحب القطن المحمص الى غير ذلك فحصلت من ذلك اورام وامراض

المدارس في المدينة وقراها لتثقيف الفتيان والفتيات· وكان مع سياسته الابرشية لا يفتر من التأليف والمطالعة والدرس· وكان منذ وجوده في الموصل ضبط كتب الصلاة الفرضية فنشر كتاب الحسايات بمطبعة الاباء الدومنيكيين سنة ١٨٧٩ · ثم بدأ بضبط فناقيث اي كتب صلاة الفرض لتوحيدها في كل انحاء الطائفة وكانت سابقاً في اثور اطول مما في سواها وذلك من بعد مخابرات جرت بينه وبين غبطة البطريرك فاكب على هذا العمل باجتهاد عجيب لا يعرف الملل· ثم اكمل العمل في دمشق فاعاد تلاوة المزامير من بعد اهمالها وجعل مداريش مار افرام في خلال الصلوة وحذف غيرها لم تكن ذات اعتبار· ثم جرى فحص ما رتبه جمعية لاهوتيين في دار القصادة الرسولية ببيروت وبعضهم ارسلهم المجمع المقدس من روميه سنة ١٨٧٩ فطُبع الجميع في الموصل سنة ١٨٨٦ الى سنة ١٨٩٦ وذلك في سبعة اجزاء الواحد عمومي والستة خصوصية على مدار السنة

الفصل الثالث

٢٧٨ : اجرآء حكم السفرآء — اهتداء في آزخ — مضبطة خصوم
الكنائس — غلاء الليرة — انشاء دار اسقفية — ٢٧٩
استيلاء الخصوم على الكنائس وكالة الخوري
رحماني في الاستانة — انجاز فوزه —

٢٧٨ ولكي نعود الى اخبار السيد بهنام بني نقول ان الحكم الذي أعطي نسختهُ مويدة بتوقيع السلطان تاخر اجراؤه مدة شهرين الى ان جعلت الموصل مركز ولاية ووليها لاول مرة رجل اسمه فيضي باشا فجاءها ماموراً ان يجري القسمة بالطريقة السابق شرحها. ومن ثمّ فلما كان يوم الاثنين ١٢ ايار سنة ١٨٧٩ ارسل الوالي الجنود متفرقين ما بين السراي والبيعة مع بوزران مستعدّ للهتاف لدى الحاجة وانفذ المتصرّف مع فرقة من الجنود فسلم كلاً من الفريقين ما اصابه كما في صك الحكم. وبعد هذا دعا الوالي فريقي الدعوى الى مجلس مشكل لفحص مسالة المقبرة وبساتين الوقف فحضر وكلاء الكاثليكيين وامتنع خصومهم. فمنع الوالي الفريقين من الدفن في الكنيسة العتيقة. فساغ للسيد بهنام ان يرمّ الكنيستين: ويبلطهما على نفقة دولة فرنسا الفخيمة على يد قنصلها موسيو نيقولا سيوفي الدمشقي تايداً للحكم:

وكلل الله سعي السيد بهنام بهداية قسيس لقرية بين زاخو والجزيرة اسمها

ولوازمهُ على نفقة الكاثليكيين

ولما استتبّت الراحة قصد السيد بهنام القسطنطينية يوم الخميس ٤ نيسان سنة ١٨٧٨ وكان السيد بطرس بطريرك المنفصلين قد سبقهُ اليها من اجل مسالة كنائس الموصل ولما كان موسيو فورنيه سفير دولة فرنسا مطلعاً على الدعوى ومدافعاً عن حقوق الكاثليكيين: لاذ السيد بطرس ايضاً بمستر لايارد سفير دولة انكلتره فاستحسنت الدولة العلية ايضاً ان تسلم القضاء بذلك الى عهدة السفيرين فسمعا تقرير كل من السيدين علَى حدة

وفيما كان السيد بهنام ساعياً في حسم مسالة الكنائس في عاصمة المملكة انتخب الدمشقيون الخوري بولس دانيال خلفاً للسيد يعقوب الحلياني رحمهُ الله ولما استعفى هذا انتخبوا الخوري يوسف داود· فتمنع معتذراً مختاراً حتى فوّض امرهُ الى الكرسي الرسولي فاوعز اليه ان يرضى· واذ شقت مفارقتهُ على الموصليين لما كانوا استفادوا من خدمته نفوسهم وعلمه وطبه· ما زالوا يحاولون بكل قواهم إبقاءه عندهم حتى اقنعهم هو بوجوب تسليم الارادة للروسآء الكبار وتأهب للسفر·

واذ ذاك كان سفيرا الدولتين ابرزا حكمهما في ان كنائس الموصل العتيقة واوقافها تحقّ للطائفتين: وجعلاها حصتين: فكنيستا مار توما واحوديمي حصة: وكنيستا الطاهرة الكبرى والصغرى حصة· ورفع كلٌّ منهما حكمه الى دولتـه والى الكرسي الرسولي· وخيرا البطريرك بطرس والمطران بهنام بني في هذا الحكم فرضي المطران: واما البطريرك فاجاب مغضباً انه لا يسلم لخصمه حجراً واحدة عند ذلك تساهل المطران فاردف انه يرضى بكنيسة الطاهرة الكبرى مع كنيسة احوديمي علَى ان يُعطى شعبهُ بستان الزيتون الذي في قرية باحزواني لانه وقف

لدير مار بهنام · ونصف بستان الزيتون الذي في قرية بعشيقا لانه وقف لكنيسة شموني في تلك القرية · وكان الحكم في مسألة المقبرة ان يتشكل لحسمها مجلس قوميون بالموصل فيكون كل قبر ملكاً للذي يثبته انه له · والا فيعتبر انه لاحق بالكنيسة المحاذية لتلك المقبرة · وكذلك بساتين الزيتون التي في قرية باحزواني وهي وقف لكنيسة قرقوش ولدير مار بهنام تكون للفريق الذي يملك الكنيسة والدير المذكورين اذا اثبت ان ذلك البستان وقف للمعبد المذكور · فكتب رابورت في ذلك كله بالفرنساوية والتركية وحفظ الاصل في الباب العالي وفي كل من السفارتين وعند كل من الخصمين نسخة ·

فرفع السيد بهنام الشكر الى الباب العالي والى السفيرين وانقلب عائداً الى رعيته وكان وصوله في ١٢ اذار سنة ١٨٧٩ اذ كان منتخب دمشق على اهبة السفر فودعه السيد بهنام · وكان وصوله الى حلب في ١٦ نيسان · فرقاه البطريرك جرجس الى درجة رئيس الاساقفة في ٢٠ نيسان بموازرة السادة غريغوريوس بليط مطران الارمن وبولس حاتم مطران الروم ويوسف مطر مطران الموارنة وبحضور قناصل الدول ودعاه اقليميس وكان باكورة المطارنة الذين رسمهم هذا البطريرك

ولدى وصول المطران الجديد الى بيروت استقبله وفد من كهنة واعيان رعيته وكان دخوله دمشق للمرة الاولى في ٢٣ ايار سنة ١٨٧٩ فهرع المسيحيون لاستقباله على اختلاف طوائفهم · وباشر السيد اقليميس رئاسته بغيرة متقدة فرتب حال الكهنة وأنعش الطقس السرياني واعاد رتبه من بعد اهمالها زمانا وانشأ اخويات وكان يديرها بذاته واقام مجلساً طائفياً للنظر في شؤون الابرشية · وانشأ

واشدّ من هذا اصاب القس سمعان يونان . ولما بقي في البيعة ستةٌ من الكاثليكيين ساقهم الجندرمه الى السجن رغماً عن جروحهم فباتوا بدون عشاء وعلاج

اما السيد بهنام بني فكان يشهد من نافذة حجرته ما يلمّ بابناء رعيته فيُصعد الزفرات باكياً . وشعر المائجون بمراقبته من النافذة فاطلقوا عليه الرصاص . والحاصل ان فتنة ذلك النهار اوشكت ان تعمّ اهالي الموصل من مسلمين ونصارى لولم تتدارك جنود الدرك ويرسل الله مطراً غزيراً حمل المتجمعين علَى الشتات

وبعد هذا ظهر الامر السامي بتأخير اجراء الفرمان وعقبهُ امرٌ ثانٍ يوبخ المتصرّف توبيخاً عنيفاً ويامر باصلاح الشرّ والخراب فبادر يوم الثلاثا ٩ ايار الى دار السيد بهنام مستغفراً معتذراً فادّى له المطران الاحترام لكنه رفع اليه عتاباً مرّاً على ما عامله به خلافاً للعدل والانصاف الذي تقتضيه الدولة . ثم اراه اثر طرق الرصاص في الجدار وفي اخشاب النوافذ وابان انه لسوء سياسته فقد الحرية بل الامن علَى نفسه . ولما جلس عُرضت عليه ثياب المجروحين الملطخة بدمائهم اذ كان اهلهم يولولون مستظلمين فتأسف واقرّ بالتعدي واقسم بالله ان الامر جرى بدون علمه . ومنذ انصرافه اخذ يصلح ما فرط من غروره كما امره الصدر الاعظم فاحضر فرقتين من الجنود النظاميين وامرهم بالمحافظة علَى دور كلٍّ من المطران والقاصد الرسولي والمرسلين والقنصل موسيو پرتيه وبابي البيعة التي لسببها جرى الخصام فتفرّقوا ممتثلين . وشكل خمسة من اطباء البلدة لافتقاد المضروبين وكانوا : واسيلاكي الطبيب العسكري والخوري يوسف داود من الكاثليكيين والشماس ارشليدس من جماعة الخصوم وعبدالله افندي الطائي ومحمد ابن صاري من المسلمين وكان عدد المضروبين ما ينيف على الثمانين فلما افتقدهم

الاطباء المذكورون ذكروا منهم سبعة واربعين في رابورت دُفع الى الحكومة ٠ واما البقية فاختفوا خوفاً (كما اوهموهم) من ان يُسجنوا كرفقائهم واكد واسيلاكي افندي الطبيب انه وجد في جسم احدهم اثنتين واربعين ضربة او جرحاً ٠ هذا واضطرَّ الكاثليكيون ان يقفلوا كنيستهم الجديدة لخوفهم وكان يقام قداسهم في كنيستي القصادة والمرسلين او في بيوت كهنتهم ورفعوا تلغرافاً الى الدولة استرحموا فيه المعاملة بالانصاف والعدل ٠ فورد منها يوم الاربعاء ١٠ ايار امرٌ بعزل ويسي باشا واعادته في مساء ذلك النهار ؛ وامرٌ آخر الى كركوك يوعز الى نافذ باشا القومندان ان يُسرع الى اطفاء نار الفتنة ويحكم عَلَى الموصل موقتاً

٢٧٧ وفي خلال ذلك نُصب صدر اعظم جديد فامر باعادة حائط القسمة كما كان قبلاً ٠ غير انه لما عينت الدولة كشافاً اسمه ناظم بيك لفحص المضروبين والكنائس عدلت عن اعادة الحائط ٠ ووصل الكشاف المذكور في ١٦ ايار فافتقد المضروبين وعزَّاهم وامر بمعالجتهم عَلَى نفقة الحكومة

واذ ذاك جرى خلع السلطان عبدالعزيز وبويع للسلطان مراد ابن السلطان عبدالمجيد

وفي ٨ آب شكل ناظم بيك مجلساً دعا اليه وكلاء الطائفتين ورتب مضبطتين سيرهما الى الباب العالي بيَّن في الواحدة حق الكاثليكيين في الكنائس واوقافها وفي الثانية ذنب الخصوم في الفتنة ٠ واوشكت المسألة ان تحسم لكنها حالت دون ذلك لحدوث اضطراب في العاصمة ٠ وعَلَى اثر الاضطراب جرى جلوس السلطان عبدالحميد عوض اخيه السلطان مراد وعقب ذلك محاربة روسيا الدولة العلية فتأخرت مسألة الكنائس مدة سنتين اذ لم يزل العسكر محافظاً في الكنيسة

واذ ذاك دعا وَيسي باشا المتصرّف وجوه الجماعتين الى مجلس الادارة يوم الاثنين ٨ ايار سنة ١٨٧٦ وللوقت قُرئ الفرمان فامر الكاثليكيين ان يسلموا مفاتيح حصتهم · فاجابوه اننا لامر السلطان خاضعون غير انه لما كانت المسألة طائفية نطلب مهلة ثلاثة ايام لنقنع افراد الطائفة فيحملوا امتعتهم فاذا انكرت علينا طلبنا وحدث ما لا نحبّ حدوثه كنت انت المسؤول · واذ ابى الاّ تسليم المفاتيح حالاً : قالوا امهلنا اذاً اربعاً وعشرين ساعة عَلَى الاقلّ · وكان اعضاء المجلس الى الآن ساكتين فصوّب احدهم هذا الطلب وراى ان يخابر فيه والي بغداد · فردّه الخصوم وقالوا إن انتم اخرتم الاجراء فنحن عندنا من يجريه : وخرجوا يتقدمهم مطرانهم قائلاً : يا امّة الدين متى سمعتم او رايتم ان فرماناً سلطانياً يحتقرهُ نصارى مثل هولاء · ووقتئذٍ استمهل المتصرف اعضاء المجلس ريثما يخابر والي بغداد · ولكن ظهر منه بعد ذلك انه لكي يستحلّ ما قبضهُ من الخصوم ساعدهم · فانه لدى توجههِ الى دائرة التلغراف اومأ الى بعضهم ان يستعجلوا بهدم جدار القسمة · وللوقت طار الخبر الى الكنيسة ومعه ابتدأ ضرب المعاول والرصاص واختلطت تهاليل الفائزين وولاول الخاسرين وفتحت الثُلم داخل الكنيسة ومن سطحها : وانقضّ الفائزون مع نفرٍ من الجندرمه ورعاع المسلمين كانوا اخفوهم للمساعدة عَلَى خصومهم وهم كامنّ بك لا اسلحة معهم ولا عصيّ · وكانوا يضربون كل من صادفوه منهم ويسلبون ما وجدوا عليه من ثمين كالنقود والساعات والامتعة

وكان جواب الوالي ان يوخّر الاجراء فلم يكترث المتصرف لهُ وانما احتج في المجلس بتوقيف المخابرة التلغرافية لوقوع صواعق في الطريق : وبلغت اصوات

الفتنة وإطلاق الرصاص الى المجلس مع بُعد المسافة نصف ساعة · فبادر ويسي باشا الى الكنيسة راكبًا وشهد الجسارة فلم يمنعها بل عاد الى المجلس واذ وجد اكابر الكاثليكيين غير آمنين على انفسهم : صرفهم الى منازلهم برفقة جنود مسلحين · وازداد الهاجمون جُرأةً فكانوا يجرّون المنكوبين الواحد بعد الاخر الى الخارج فيساق الى بيته بالشتم والضرب او يُحمل حملاً لملاشاة قوته من جراء الضرب والتهشيم · ثم لما كانت الازقة غاصةً بالمتفرجين والسالبين كان الذي نجا من السلب داخلاً لا يامن على حياته ومتاعه الاّ عند وصوله الى بيته · واغتنم بعضهم فرصة السلب فكانوا يطرقون ابواب الناس فاذا خرج صاحب الدار ليعلم من الطارق أُشهر عليه السلاح فسُلب · وافضت القساوة ببعضهم الى ان نعى واحدهم لرفيقه فلانًا على مسمع من اهله فارتعبت نساء العائلة فمرضن والحاملات اسقطن · وروي عن احدهم وهو داود بن توما القصير انه وجد في الكنيسة صليبًا فبصق عليه مجاملةً لمسلمين كانوا معه فلما عوتب على صنيعه بعد ذلك قال لا باس لاني سوف اغسلهُ :

ولما أُخرج القس لويس رحماني من البيعة بادرهُ الهاجمون بالشتم وجرّه احدهم من لحيته وضرب به الارض · وجرّه آخر من رجله الى الساحة فأُلحق به الضرب والرفس ما يوقف القلم عن وصفه ورفع احدهم قلنسوة المضروب على عصا (وكان معروفًا بالصلاح) وهو يقول: اولادي اجعلوه ضحيةً للبابا · وحينئذ اشفقت امرأة فالقت نفسها عليه لتخلصه وعاونها رجل من المسلمين فابعد الضاربين قائلاً: «لا تسبّوا القسيسين والرهبان» ثم اوصله الى بيته وهو يذبّ ملاحقيه ويقسم بالله انه يقتل كل من يمدّ يده عليه فأُدخل بيته مغشيًا عليه·

المحبة التي كان فريقا السريان بالموصل مرتبطين بها كدّرها عدو الخير بحجة مسالة كنائسهم فطال الخصام فكان سبباً لاذاهم ولخسائر جمة بُذلت للظلم فاقتضى لنا ان نسرد خبرها كي يعتبر الخلف فلا يعودون الى ما اغترّ به السلف وذلك ان اضداد السيد بهنام كانوا يحاولون في عاصمة المملكة سراً بواسطة وكلائهم ان يستولوا على كنائس الموصل القديمة مكررين زعم اسلافهم ان الكاثليكيين احداث هجروا ملتهم وقاسموهم فيها وفي اوقافها بدون حق · ومن حيث انهم في غنىً عن القديمة لحصولهم عَلَى كنائس جديدة حتى ملاوها « خرقاً واقداحاً » مع ان الدولة لم تكن تسلمهم اياها الا بطريق العارية : وختموا يلتمسون ردّ تلك الكنائس باجمعها اليهم لشديد حاجتهم اليها · وما انفكوا يكررون هذا الكلام وامثالهُ ويهيئون قلوب اولي الامر في العاصمة وبغداد والموصل بالكلام والبراهين الرنانة حتى نالوا فرماناً شديد اللهجة لاجراء طلبهم فطربوا سراً وافرط بعض المتعصبين منهم في تمليق المسلمين فطفقوا يذيعون بينهم ان خصومهم حرّفوا الانجيل الشريف وانهم يعبدون البابا : ويعترفون بخطاياهم لقسيسهم فيغفرها لهم ويناولهم ··

اما الكاثليكيون فلم يدروا بشيء من الشكاية والفرمان الا في اوائل اذار سنة ١٨٧٦ لاعتقادهم ان الدولة لا تنقض ما امرت به في فرامينها الممنوحة لهم سابقاً · وفيما هم عَلَى يقينهم هذا بلغهم في ٤ ايار ان فرمان خصومهم تسجل في دار الولاية ببغداد : وقد توجه به البريد الى الموصل : فشملهم الاسف والغمّ فطفقوا يستظلمون تلغرافياً الى الباب العالي مما حكم عليهم دون محاكمة فاستجابهم وامر حكومة الموصل تلغرافياً ان توخر اجراء الفرمان · وكان

مامور التلغراف من جماعة الخصوم فأخر تبليغ هذا التلغراف

ثم لما كانت الدولة يومئذٍ تنصر الكوبليانيين على الحسونيين الكاثليكيين كما مرَّ بك : اتخذها الخصوم وسيلةً لاضعاف عزم خصومهم فاقنعوا وَيسي باشا متصرف الموصل ان لا يعرف السيد بهنام بني مطراناً: واغروا في الوقت نفسه رجلاً من شعبه فادَّعى انه منتمٍ الى كوبليان نخابر المتصرّف الباب العالي شارحاً المسألة كما لفقها الخصوم له · واذ حقق الباب العالي ذلك أعلن للسيد بهنام بواسطة المتصرّف انه لا يعترف به مطراناً بل يعرف الرجل المشار اليه وكيلاً عن الشعب وحقوق الشعب · فلما سمع المطران ذلك قلق واستعان بالله واستغاث بمريم العذراء ثم اجتمع باكابر شعبهِ وبعد ان اطلعهم عَلَى الخطر قال لهم مدمعاً : تعلمون اني ثابت في خضوعي للكرسي الروماني فان شئتم اتبعوني وان شئتم اعدلوا عني · فاجابوه من فمٍ واحد متأثرين: اننا لم نزل كآبائنا اولاداً للبيعة المقدسة ولسيادتك نشاركك في الضيق كما في الرفاهية · انما للملافاة حقوقهم في تلك الحقبة الحرجة سمّوا احدهم وكيلاً عن الطائفة في وجه الحكومة · وبلغ الخبر الى الحبر الاعظم فاثنى على شهامة الراعي والرعية لانه « ناطح اعداء الدين مناطحة مار اثناسيوس الاريوسيين »

واما الخصوم فشرعوا يجتمعون في حصتهم التي في الكنيسة القديمة وهم حاملون العصي والاسلحة · وكذلك شبان الكاثليكيين في حصتهم لكي يعلنوا احتجاجهم ويجمعوا امتعتهم البيعية والمدرسية · وتبعهم القس لويس رحماني والقس سمعان يونان لكي يحملا ذويهما عَلَى السكينة والفطنة ونزعا ما اتى به شبان طائفتهما من الاسلحة والعصي للمدافعة فاخرجاه وأُقفل الباب ·

وبعد ايام قليلةٍ توفاه الله كاثليكياً

وفي خلال هذه الامور أُنشيء في الموصل ديرٌ لراهبات تقدمة العذراء الفرنساويات تثقفت فيه الفتيات الموصليات في الديانة والعلوم والخياطة والتطريز وضمّ الى الدار محلٌ لتطبيب المرضى مجاناً ثم انشئت مدرسة كهنوتية عَلى نفقة البابا لاون الثالث عشر لشبان من الكلدان والسريان وجُعل شفيعها مار يوحنا الحبيب فزهت بلاد ما بين النهرين والعراق والكردستان بكهنةٍ مهذّبين ·

الفصل الثاني

٢٧٦ وفاء ديون قديمة — ذكر المحسنين — استيلاء اليعاقبة
على كنائس الموصل غيلةً ٢٧٧ ملافاة
الاضرار — لياذ بسفراء الدول

٢٧٦ وكان في سنة ١٨٧٤ قدم الموصل السيد لويس ماريّا ليون قاصداً رسولياً وكان قبلاً رئيساً للرهبان الدمنكيين بالموصل · ولما كان هذا الرجل الجليل من اسرةٍ شريفة متصفاً بالحنية والسخاء يسرّه انشاء المعابد : وقد اطلع عَلَى ضيقة السيد بهنام بني انه كلما وفي جانباً من الديون التي عليه فاض غيره بالفائض : سعى بوفاء تلك الديون عن آخرها فلما وفاه تماماً : شكرهُ المطرانُ ورعيتهُ وعربوناً لامتنانهِ اعتدّه في صف المحسنين الكبار الى عمارة الكنيسة وفي منشورٍ اصدره في هذا الشان خصص قداساً مخلداً يقام عن كل منهم مرةً في السنة والحسنة من صندوق الكنيسة واليك اسماءهم اولاً المومنون المحسنون احياء ومتوفين ثانياً الخوري بولس دانيال · ثالثاً شعب ايرلندا · رابعاً الآنسة الايطالية اليزه تونلي · خامساً سيادة القاصد ليون · سادساً البطريرك انطون سمحيري · سابعاً القاصد هنري امانتون · ثامناً المطران بهنام بني منشئ الكنيستين :

غير انه ما كاد هذا الراعي الغيور ينجو من الديون الا دهمتهُ شدةٌ منها فان

الحلبيون بما لا يوصف من الفرح والاجلال

ولما ارتاح من اتعابهِ وافى اليه التماس من السريان المنضوين الى سويرك ومن المتكثلكين في جبل الطور ان يرسل اليهم قسوساً · فرقى الى درجة القسوسية في ٢٧ نيسان سنة ١٨٧٩ القس بهنام صالحاني الدمشقي وانفذه الى سويرك وكان تلقى مبادي العلوم في بروبكندا · والقس بطرس صلبو المارديني وارسله الى الطور · ولما حان الوقت لاقامة نائب اسقفي ينوب عنه في ماردين انتدب اليه الخوري متى بن ابراهيم احمر دقنه الماردیني ورقاه في ٢١ ايلول سنة ١٨٧٩ الى اسقفية نصيبين وجزيرة قردو واقامهُ نائباً عنه في ماردين · وكان هذا الحبر دخل مدرسة الشرفة سنة ١٨٤٩ وهو في سن السادسة عشرة وارتسم كاهناً سنة ١٨٥٨ باسم متى ·

وكان في نية البطريرك الهمام ان يحيي الرهبانية التي همَّ أَسلافهُ بجمع افرادها فلم تمكنهم كوارث الزمان · وفي بادىء الامر رتب اخوية افرامية انتمى اليها بعض المنضوين الى الشرفة ومنح التائقين منهم درجة الكهنوت ورتب لسلوكهم قوانين بغاية الانقان فاستحسنها مجمع بروبكندا وحمل غبطتهُ الاخوة الافراميين على ابراز النذور الموافقة للحال · وعزم ان يعدل عن دير مار افرام عين الرغم ويشيد ديراً في ماردين او في جوارها رجاء ان ينضوي اليه الطلبة من فريقي السريان عسى ان ينتج من ذلك هدى المنفصلين وتوحيد الطائفة وكان السيد متى نائبهُ قد ربّى فتىً هو ابن شقيقهِ واسمهُ ابرهيم وارسلهُ الى مدرسة بروبكندا فارتسم كاهناً في ٢٥ اذار سنة ١٨٧٢ اذ كان في سنّ الخامسة والعشرين · ومنذ عودة القس ابرهيم الى الوطن طفق يخدم النفوس بنشاطٍ وخوف الله ويرغب

بعضاً من الشبان الاتقيـاء في الزهد في حطام الدنيا ورتّب لهم بعض القوانين لسلوكهم وكان يتمنى ان يجمعهم في دير ينشئهُ في ارض الوقف التي كان البطريرك انطون السعيد الذكر ابتاعها للوقف وموقعها قريباً من باب المشكيـة واذ ذاك اعلن البطريرك جرجس لسيادة نائبه عمّ القس ابرهيم نيته اقامة الدير المرغوب. واذ بلَّغ لغبطته عمل ابن اخيه استحسنهُ ورضي ان يغرس الدير في الارض المذكورة. غير انه لقلة ما بيده أنفذ تلميذين لمدرسة بروبكندا الى رومية وهما الخوري يوسف معمار باشي والخواجا يوسف بن الياس شلحت لجمع احسان فمن بعد وصولهما الى رومية جالا في بلاد اسبانيا واميركا الشمالية حيث جمعا من كرم المؤمنين ما تيسر وانقلبا عائدين الى مرسلهما غانمين. وحينئذٍ رحل السيد البطريرك الى ماردين في حزيران سنة ١٨٨١ فهرع الناس الى استقباله ودخلوا به المدينة بابهةٍ لم يسبق لها مثيل. وفي ٢٠ تشرين الاول المعيّن لحفلة وضع الحجارة الاولى توجه مع السيد متى ولفيف الاقليرس والشعب الى موقع البناء فصلّوا تشمشت للعذراء وآخر لمار افرام ووضع بيده الحجارة الاولى في زاوية البنيان جاعلاً تحتها ذخيرة القديس وبدأُوا في العمل. ثم استقدم البطريرك الخوري انطون قرواني واقامهُ رقيباً للعاملين. فلما انتهى البنـاء وبقيت كنيسة الدير فوض المراقبة الى نائبه السيد متى وعاد الى حلب في ١ ايلول سنة ١٨٨٢ وبعد ان انتهوا من بناء الكنيسة في ٣ تشرين الثاني سنة ١٨٨٣ سمى غبطته لقس ابراهيم احمر دقنه رئيساً للرهبان اذ رُفع الى رتبة الخورنية

وسنتئذٍ لما كان المطران زيتون حلبا المدياتي قد وخطهُ الشيب وبدأ فيه خرف جفاه بعضهم فاحتاط المدياتيون به وحاولوا اخذه الى كنيستهم رغماً

الكوبليانيين بحجة البراءة المعروفة براورسورس الصادرة منذ سنة ١٨٧٥ وفيها يُعاد الحق كما حتم في القوانين المقدمة لانتخاب كل شخص يُعرَض للاسقفية الى سنذس الاساقفة دون تداخل العوام وهذا السنذس يَعرض ثلاثةً من ذوي الشهادة الحسنة الى الكرسي الرسولي فيؤيد من كان اكثر جدارةً من الثلاثة فاذا كانوا غير اهلٍ عيّن حسب عرفه شخصاً رابعاً٠ وكان السيد انطون بطرس حسون بطريركهم قبل ذلك ورفضهُ السيد كوبليان مطران ديار بكر فمسكت الدولة العلية بيده وسمته بطريركاً سنة ١٨٧١ ونُفي السيد حسون الى رومية٠ فانقسمت طائفتهم الى حسونيّين وكوبليانيّين٠ وبعد سنتين امتدّ هذا القلق الى طائفة الكلدان فانقسمت الى طائعين وعاصيين٠ ودام شقاقهم اربعة عشر عاماً وفيما كانت الدولة العلية مشتددةً على الكاثليكيين للسبب المشروح انتهز بعض المفسدين ذلك وبلغوا للباب العالي عن بطريرك السريان ومطارنته انهم قبلوا منشور الكرسي الرسولي الذي بدءهُ «راورسورس» وتبعوا الحزب الحسوني رغماً عن امتناع الدولة٠ فتعضل استحصال البراءة الشاهانية فاضطرّ البطريرك ان يلبث في الشرفة زماناً يراجع الباب العالي راساً وبواسطة وكيلٍ فانه ارسل الى العاصمة الخوري يوحنا معمار باشي ليبرىء ساحتهُ ويستجلب رضى الدولة عليه٠ ثم انفذ القس بطرس بوسيك المارديني تلميذ بروبكندا فتعب الاثنان زماناً الى ان صدرت البراءة في ٥ جماد الثاني سنة ١٢٩٢ (٦ ايار سنة ١٨٧٨) وكانت احسن براءةٍ جادت الدولة بها على امثاله٠ وبعد البراءة حضي بالنيشان المجيدي الرابع من الرتبة الاولى٠ ولما عاد القس بطرس الى غبطتهِ اقامهُ خورياً وانفذهُ الى بلاد الهند لقضاء اشغالهِ

٢٧٥ غير ان العناية الربانية انتحت من المرّحاواً اي مع بقاء البطريرك في الشرفة فوائد جمّة فانه نظم في تلك الفرصة شوؤون المدرسة البطريركية ومرّن طلبتها مع نفرٍ من الكهنة في صلوة الفرض والالحان والهلاّلات السريانية بعد ان اوشكت ان تكون في سوريا نسياً منسياً . فلما تعلموها من هذا الاب المغبوط رسخت في اذهانهم فعاد امر تخليدها مامولاً

هذا وانشأ البطريرك للدير المذكور كنيسةً جديدةً استقدم لبنائها معلمين حاذقين من برج البراجنة واقام رقيباً للبنائين الخوري انطون قرواني احد وكلاء ارزاق الدير لما اختصّ به من الالمام بالهندسة . وكان غبطتهُ يجلس على كرسيهِ مراقبةً للعمل وتنشيطاً للعاملين حتى النهاية فاضحت ابدع الكنائس واجملها

وبعد هذا عُني غبطتهُ بانشاء كنيسة بيروت على اسم مار جرجس الشهيد فبُنيت بمساعي واحسان وجهاء الشعب البيروتي نخصّ منهم الشريف نصرالله بن انطون طرّازي الذي أُعطي بعد حين شرف الكنتية والوجيه رزق الله شقال ولا سيما نعوم شقيقهُ مع سائر المحسنين من شعب بيروت وباكتتاب يانصيب اشترك فيه كثيرون من السريان في انحاء الطائفة . فشيّدت الكنيسة على نفقة المذكورين حتى نهايتها سنة ١٨٨٢ فاصبحت رحبةً جميلةً ذات ثلاثة مذابح وثلاثة ابواب تدعي زوّارها الى العبادة والخشوع . وبعدها بُنيت القلاية المحاذية لها شيئاً فشيئاً

ولما خرج البطريرك من محل عزلتهِ طفق يفتقد شعبهُ في بيروت ومصر واورشليم ودمشق . ولما كانت رعية دمشق قد ترملت بوفاة السيد يعقوب الحلياني في ١٠ ايلول سنة ١٨٧٦ بعد ان ساسها ثماني وار بعين سنة حرّض البطريرك الشعب الدمشقي ان يستعدوا لانتخاب خلفٍ لائقٍ . وعاد الى حلب فتلقاه

﴿ الباب الرابع عشر ﴾

في بطريركية السيد جرجس شلحت الحلبي

الفصل الاول

٢٧٤ انتخاب وتاييد البطريرك جرجس كنسياً ٢٧٥ احياؤه الالحان المنسية — انشاء كنيستي الشرفة فبيروت — رسامة نائب لماردين — انشاء دير مار افرام

٢٧٤ : لما نعي البطريرك فيلبس للمجمع المقدس في ٧ اذار سنة ١٨٧٤ سمّي السيد جرجس شلحت رئيس اساقفة حلب نائباً على الطائفة · ولوقته كتب الى اباء الطائفة ينتدبهم الى سنذس الانتخاب في دير الشرفة وسبقهم الى هناك فلبوا دعوته ولما تمّ اجتماعهم في ٨ تشرين الاول من السنة نفسها وكانوا ما عدا سيادة النائب : الخوري ميخائيل ازرق رئيس الشرفة بالنيابة عن السيد قورلس بهنام بني والسيد غريغوريوس الحلياني بالاصالة عن نفسه وبالوكالة عن السيد اثناسيوس روفائيل جرخي والسيد اوسطاثاوس افرام توكجي · والسيد ايونيس ايليا عتمة مطران القلاية البطريركية · والخوري الياس شهوان بالنيابة عن السيد غريغوريوس جرجس شاهين المتغيب في الاستانة : ابتدأوا بالمفاوضة ثم اجمعوا بالقرعة الرسمية على انتخاب سيادة النائب

نفسه فلما اعلن ذلك اعتذر قائلاً : لما كانت الطائفة في راحة ابيتُ قبول البطريركية لعدم موافقة مناخ ماردين صحتي فكيف اقبلها اليوم وقد كثرت مصاعبها · غير ان منتخبيه الحوا عليه واعدين ان يقنعوا الكرسي الرسولي للعدول عن اقامته في ماردين ووثقوه بصكٍ في ذلك وسلموه الصكّ فرضي ولساعتهم شرعوا بحفلة تكريسه بحضور السيد يوحنا الحاج مطران بعلبك عَلى السريان الموارنة : والسيد يوحنا حاجيان مطران الارمن : والاب لودفيك پياڤي بدل القاصد الرسولي · فقرر دستور الايمان المقدس ثم سلموه عصا الرئاسة كالعادة وكرّسوه بطريركاً انطاكياً في ١١ تشرين الاول ومن غدٍ كتبوا الى روميه شرح ما جرى ملتمسين تايدهُ وقبول ما شرطهُ : وكذلك كتب البطريرك موّسطاً القس امبروسيوس الدرعوني وكيلهُ بروميه · فما عتم الحبر الاعظم ان سمح له بالاقامة في حلب او في الشرفة فيسوس رعية حلب بصفة مدبّر رسولي ويقيم اسقفاً ينوب عنه في ماردين · وجرى تبليغ ذلك الى البطريرك عَلى يد الكردينال اسكندر برنابو رئيس المجمع المقدس · وفي ٨ كانون الاول وجّه الاب الاقدس خطاباً الى نيافة الكرادلة ايّد فيه البطريرك الجديد وفي ختام خطابه امر بتدوين صكٍّ في ذلك وارسلهُ اليه واتبع الصكّ بمنحهِ الباليون الرسولي في ١١ كانون الاول سنة ١٨٧٤ وفوّض الى البطريرك حسب طلبه منح البركة الرسولية مع الغفران الكامل في عيدي الميلاد والقيامة وعيد مار اغناطيوس النوري وفي يومٍ آخر يختارهُ البطريرك ·

وكان البابا لما فاه بخطابه الكرادلة على ما ذكرنا لم يتمالك من إظهار اسفه عَلى شقاق الجرمانيين بحجة اعلان عقيدة العصمة سنة ١٨٧٠ وعَلى شقاق الارمن

عَلى شط الفرات ولتوسطها بين حلب وماردين و بغداد والموصل · نصبت الفريق عمر باشا والياً عليها وفي برهةٍ يسيرة نزح اليهـا خلق كثير اغلبهم سريان فرفعوا مضبطةً الى البطريرك فيلبس يطلبون منـه ان يرسم الشماس سليمان بن ابراهيم لبتوني الموصلي قسيساً و يرفدهُ اليهم فلباهم فنال القس الجديد من الوالي المذكور ارضاً واسعةً شاد فيها كنيسةً وداراً

وفي ١٩ اذار سنة ١٨٧٠ انتقل في حلب المطران يوسف سمنة الى رحمة الله تائباً فجنزوه كاسقف ودفنوه في مقبرة الاباء وكان كثير النكت في حديثهِ ومحبوباً · و نُقل عنه انه عاد يوماً من القداس الى بيته وثيابه مبلولة بالمطر فقال لمن حوله تعالوا شُمّوني هل بقي فيَّ شيء من رائحة برصوم

٢٧٣ : وكان السيد بهنام بني حين توقيف اعمال المجمع الواتكاني قصـد جزيرة ايرلندا فلندرا فلما عرف المؤمنون ما هو عليه من ضيقة اليد وصلوه بما امكنهم من المساعدة نخصّ منهم اساقفة ايرلندا رغماً عن فقرهم وفتاةً مثريةً اسمها اليزه تونلي · والّف وهو في لندرا كتاباً فحواه تقاليد الكنيسة الانطاكية السريانية في رئاسة الحبر الروماني وعصمته وجعل شهاداته علَى اصلها السرياني وشرحها باللغة الانكليزية فامكنه لدى عودته سنة ١٨٧٢ من تلك الرحلة ان يفي جانباً من الديون المطلوبة · غير انه اصيب بغمٍّ جديد علَى كاهن شهير بالغيرة الرسولية اسمه القس روفائيل دبه توفي على اثر خصامٍ حدث في خورنة مار توما فسعى في ملافاته · ثم تعزَّى برجوعِ تلميذٍ له من مدرسة بروبكندا سنة ١٨٧٣ واسمه لويس بن ابراهيم رحماني اشتهر بالذكاء وبلغ من العلوم مبلغاً عظيماً فحاز قصبات السبق علَى اقرانه في العلوم والفنون

واذ ذاك كان خصوم السيد بهنام يمنعون شعبه من التصرّف في المقبرة المشتركة في كنيسة الطاهرة فكان يبقى الميت الكاثليكي اياماً بلا دفن . والنيل اربهم عبثوا بالواح الرخام المنقوشة عليها اسماء اصحابها وطرحوها خارجاً فاشتدّ الخصام وصارت للفريقين خسائر جمة . فرُفعت الدعوى الى المتصرّف واسمه عبدي باشا ففحص المقبرة وسمع شهوداً من النصارى والمسلمين وكان احدهم شيخ هرم جيء به محمولاً واسمه الملاّ عبد الرحيم إمام جامع النبي جرجس فقالوا اننا نعرف من زمانٍ غير معهود ان فريقي السريان يدفنون موتاهم في هذه المقبرة فامر المتصرّف قسيسين من الفريقين ان يحررا اسماء اصحاب القبور في دفترٍ فسلم لكلٍّ من الطائفتين نسخةً واعلاماً شرعياً فعادوا الى الشركة في المقبرة كالسابق اما البطريرك فيلبس فما زال مرضه يشتدُّ عليه وهو في القلاية البطريركية بماردين يكابد الاوجاع حتى ادنف واستكمل حياته في ٧ اذار سنة ١٨٧٤ ماسوفاً عليه من الجميع وعاش سبعاً واربعين سنة وكانت مدة رئاسته ثماني سنوات وللوقت اجتمع الاقليرس السرياني يتبعهم اقليرس طائفتي الارمن والكلدان لحفلة تجنيزه ودُفن جثمانه الموقر في الكنيسة الكاتدرائية بجانب سالفه تحت مذبح مار افرام .

وكان هذا الحبر الخطير متصفاً بالغيرة الرسولية والوعظ يخطب الشعب بالتركية والعربية فترك مواعظه مجموعةً في كتابٍ . وهو الذي اغنى مكتبة القلاية بكتبٍ علمية اتى بها من اوربا بفرصة اجتيازه

ومنذ نعي للكرسي الرسولي اقام السيد جرجس شلحت نائباً رسولياً المرة الثانية

في قلاَّيته بماردين الى ان صالحهُ وجوه الشعب فانطلق الى ديار بكر حيث اقام حتى وفاة بطريركهِ

واذ ذاك كان يعاقبة الموصل ينازعون الكاثليكيين في حصصهم من البيع القديمة زاعمين ان استيلاء خصومهم عليها كان ظلماً وانهم في غنى عنها والكاثليكيون يدّعون انها إرث عن اجدادهم وان البيع الجديدة تشيّدت بمالهم وجدّهم · وطال هذا الخصام الى ان عُزل آصف افندي وولي مقامهُ ضيا باشا ايام نصب مدحت باشا والياً لبغداد سنة ١٨٧٢ · ولدى اجتيازه بالموصل عُرضت عليه دعوى الكنائس فقضى بقسمتها بوجه الانحصار اي ان يُعطي كلّ فريق كنيستين صحيحتين · ولما كان هذا الحكم مغايراً لمنطوق الفرامين السابقة : نتج منه خصامٌ شديد فتوقّفت الدعوى · وعلاوةً علَى ذلك نهض ارباب الديون يطالبون السيد بهنام بني بوفائها وبفائض فائضها · فرافعوه حتى اخذوا منه كفلاء فضامهُ ذلك

٢٧٢ وفيما كانت الحال علَى ماذكرنا اصدر البابا بيوس التاسع في ٣ تموز سنة ١٨٦٨ منشوراً انتدب فيه اساقفة العالم الكاثليكي ورؤساء الاديرة الى المجمع المسكوني الذي رغب في التئامهِ · ثم ارسل منشوراً ثانياً في ٨ ايلول انتدب فيه الى المجمع المذكور الاساقفة المنفصلين على اختلاف مذاهبهم عسى ان يبطل الشقاق وتعاد الالفة المسيحية بحضورهم · ثم اصدر منشوراً ثانياً في ١٣ ايلول دعا فيه رؤساء المذاهب البروتستانية · وكانت النتيجة ان غير الكاثليكيين رفضوا جميعاً دعوة صاحب الكرم الانجيلي لعللٍ باطلة واما الكاثليكيون فهبّوا من كل الانحاء الى رومية وفي جملتهم بطريرك السريان ومطارنتهُ السادة بهنام بني وجرجس شلحت وروفائيل جرخي وبطرس متاح وافرام توكجي وايليا عتمه ·

اما السيد يعقوب حلياني فلم يتمكن من الذهاب لشيخوخته فناب عنهُ الخوري يوسف داود الموصلي الذي كان قد دُعي الى ذلك المجمع كلاهوتي فاقبل مستصحباً كتباً سريانية وكلدانية اودعها في مكتبة برو بكندا واغتنم تلك الفرصة فنشر كتاباً باللاتينية في رئاسة الاحبار الرومانيين وعصمتهم ايده بشهادات سريانية وعربية من تقاليد الكنيسة السريانية

وكان افتتاح المجمع الواتكاني في ٨ كانون الاول سنة ١٨٦٩ في كنيسة مار بطرس الكبرى . وكانت المفاوضات في المواد المعدّة للبحث منقسمةً الى لجنٍ فتُعرَض خلاصتها عَلَى الاباء باجمعهم في جلساتٍ سريّةٍ تبتدىء بقداسٍ يقيمهُ احدهم . فلما كانت نوبة السريان للقداس قدّسه السيد بهنام بني وخدمه تلامذة برو بكندا السريان وكان مدير الرتب يعلن للاباء رؤوس الاجزاء باللاتينية كنومن وقدوس فيكملها كل منهم بلغة طقسهِ . فكان لقداسهِ وقع حسن في الاباء الغربيين وكانت القضايا المعدّة للمفاوضة كثيرةً غير ان اكثر الاباء اجمعوا عَلَى تقديم اعلان عقيدة العصمة التي يمتاز بها حبر الاحبار انها من الايمان وذلك كلما علّم المؤمنين من الكاتدرا اي بصفةٍ رسميةٍ فاعلنها قداسة بيوس التاسع في ١٨ تموز سنة ١٨٧٠ ومنذ ذلك امسى مخالفها مضاداً للايمان . غير انه لحربٍ انتشبت بين دولتي فرنسا وبروسيا ولحصار الكربالديين مدينة رومية توقّفت اعمال المجمع فقفل كلٌّ من الاباء الى ابرشيتهِ . وكان البطريرك فيلبس قد أُصيب وهو في رومية بمرضٍ عضال حتى ان الحبر الاعظم تنازل الى زيارته واضطرّ الى العودة الى ديار بكر فماردين دون تأخير

ولما عزمت الدولة العلية عَلَى توسيع نطاق مدينة دير الزور وتحسينها لوقوعها

الحدّاد عاملها واقفال الكنيستين عن الفريقين ولدى عودة السيد بهنام من سفره وجد الحال كما ذكرنا وقد نصب للموصل متصرف جديد اسمه آصف افندي وهذا سمح للخصوم بالتصرّف بالكنيستين اللتين عليهما النزاع فسارع الى العاصمة بالوثائق المؤيدة للقسمة واستحصل اوامر باعادة قسمة الكنيستين بحاجز غير ان آصف افندي ماطل الاجراء زماناً حتى تشبث الخصوم بدعوى ثانية وهي رفعهم حاجزاً قديماً كان يفصل المقبرة المشتركة في فناء كنيسة مار توما رغماً عن احتجاج حنا طوّاف خوري الكنيسة ٠

الفصل الثاني

٢٧١ اخبار بطريرك المنفصلين — نزاع شعبه من اجل كنائس الموصل —
٢٧٢ التئام المجمع الواتكاني— انشاء رعية وكنيسة في دير الزور —
٢٧٣ سفر السيد بني الى انكلتره — فتنة بسبب المقابر
بالموصل — مرض البطريرك فيلبس

٢٧١ واثناء ذلك اقام يعقوب بطريرك اليعاقبة مطراناً ماردينياً لشعبه في الموصل اسمه جرجس بن القس عبدالنور خلفاً للمفريان بهنام ولانهم لم يرضوا به رسم لهم مطرانين وهما بهنام ابن عبدالله السمرجي للموصل والياس قدسو لدير مار متى· ولما توفي هذا البطريرك سنة ١٨٧١ خلفهُ بطرس بن سلمو مسكو مطران حمص وحماه سنة ١٨٧٢ واذ نازعه عبدالنور مطران القدس عزله ونصب بدله المطران عبدالله سطّوف الصددي· واراد البطريرك المذكور السفر الى الهند وسمح لابن سطوف ان يكون في رفقته على ان يدفع له اربعين ليرة· ونال البطريرك بطرس في لندره مطبعتين ارسلهما الى دير الزعفران ورخصةً من الملكة وكتوريا للذهاب الى ملبار فكان له حظٌّ سعيد عند الملباريين فجمعوا له مبلغاً جزيلاً من المال· ولدى عودته تخلف ابن سطوف هناك رغماً عن ارادة بطريركه وجاب الكنائس الملبارية وهو يوزع الميرون ويقبض عوضه مالاً حتى جمع مبلغاً كبيراً اما بطريركهُ فتوجه الى القسطنطينية سنة ١٨٧٨ فلما بلغهُ ان ابن سطوف رجع الى حمص اعلن بعزله وباخذه الى دير الزعفران لانه ابى دفع الاربعين ليرة ثم حبسه

اعلن حبر الاحبار رغبته في التئام مجمعٍ مسكونيّ قريباً

وفي تلك السنة مرض السيد متى نقاًر وضعن الى بيروت فدير الشرفة عساه يتعافى بتبديل الهواء والاَّ فاذا شاء الرب وحلت وفاته كان له ما يساعد به بهمة كهنة الدير. غير ان المنية عاجلته فقضى في ٢٨ اذار سنة ١٨٦٨ في شيخوخة صالحة بينما كانت عبرات التقوى تتساقط من مقلتيه فتخشّع سكان الدير وحفظ كل منهم شيئاً من ثوبه للتبرك وكان رحمه الله راعياً شهماً قد صرف عنايته في انارة المنفصلين فاتحد اكثرهم وقسوسهم في النبك وقريتيم (١) وغيرها مع الكرسي الرسولي . وتمكن بحسن ادارته من استرداد دير مار اليان في قريتيم ودير مار موسى الحبشي في النبك فجرت منازعات بينه وبين المنفصلين اضطرّ من سببها ان يسافر الى الاستانة حيث نال فرماناً مؤرخاً في ١٢ شعبان سنة ١٢٣٦ (مسيحية ١٨٤٩) ومن هناك قصد مقابلة الحبر الاعظم وتجوَّل في اوروبا متخذاً ترجماناً له شاباً موصلياً اسمه عبو فجمع احساناً تمكن به من مرمّة وتأثيث ديري وكنيستي ابرشيته مع انه لم يجد فيها اوّلاً فراشاً ينام عليه

فلدى رجوع البطريرك فيلبس الى الشرفة كما قلنا عُرض عليه ان يقيم القس جرجس شاهين الراشياوي تلميذ الشرفة خلفاً للسيد متى نقار فاذن للسيد يعقوب حلياني ان يرسمه اذا تحقق جدارته فرسمه في ١٩ ايار سنة ١٨٧٢ ودعاه غريغوريوس فتايد ببراءةٍ سلطانية كالعادة . وكان اقتبل درجة الكهنوت باسم ميخائيل سنة ١٨٦٢ ورتبة الخورنة سنة ١٨٦٦

---

(١) طالع اسم قرياثايم وقريتيم وحوارين تكوين ١٤ : ٥ و٦ — وصدد وحوران وحماة سفر العدد ٣٤ : ٨ وحزقيال ٤٧ : ١٥ — ٢٠

غير ان الخلاف الذي حدث للسيد متى رحمه الله تجدد على زمان المطران جرجس تجدد بينه وبين يعاقبة تلك الناحية فرافعه السيد بطرس بن سلمو مسكو مطرانهم حتى سخطت الدولة العلية عليه ورفدت اسمه وعلى اثر ذلك انفصل من ابرشيته ايضاً فاعتزل في بيته وسافر اكثر من مرة الى الاستانة. واغترَّ بخرافات حسبها حقيقة. ومن بعد اعتزاله ولي النيابة في النبك الخوري يوسف معمار باشي الماريني سنة ١٨٨٥. وكان هذا أُرسل الى الشرفة سنة ١٨٥٨ ثم الى برو بكندا سنة ١٨٥٩ وارتسم قسيساً سنة ١٨٦٩ ولدى عودته الى الشرفة جُعل رقيباً للطلبة ثم رئيساً سنة ١٨٧١ وبعدها أُوفد الى رومية كما مرَّ بك. ولما عاد الى البطريرك اقامه نائباً في النبك حيث أُصيب بالفالج فرجع الى ماردين ومات سنة ١٨٨٩.

ولكي نعود الى اخبار كنيستي الموصل نقول انه ما كادت تحسن ابرشيتها وتزهو بعد تشييدهما حتى اثار عدوُّ الخير فيها فتنةً عظيمة وذلك انه لما راى المنفصلون فوز الكاثليكيين بحصولهم على كنيستين جديدتين: طفقوا يقولون عنهم انهم استغنوا بهما عن الحصص التي لهم من الكنائس القديمة: ومن ثم ارادوا الاستيلاء عليها اثناء غيبة السيد بهنام. واذ انكر خصومهم هذا الطلب لان حقوقهم المذكورة مؤيدة باعلامات شرعية وفرامين سلطانية القوا نظرهم على الكنيستين المقسومتين بدون حيطان وهما كنيسة الطاهرة القريبة من السور وكنيسة مار سمعان العمودي المعروفة باسم احوديمي. ولما كانت المفاتيح مودعةً بالمهاياة تارة بيد اليعاقبة وتارةً بيد الكاثليكيين استلمها اليعاقبة وأبوا ردها وبرخصة كنعان باشا المتصرف صاغ لها الكاثليكيون مفاتيح جديدةً ومع ذلك امر مجلس

بالحلل الكهنوتية يتقدمهم سيادة النائب ماسكاً العكازة الراعوية وبجانبه المنتخب بالاثواب العادية وساروا جميعاً الى الكنيسة وراء راية الصليب · وصعد الاباء الى قدام المذبح الكبير والبسوا المنتخب القميص والبطرشيل والزنّار والكمّين واسبلوا عليه برقعاً بهيئاً فذهب به اثنان منهم الى مخدع في ناحية المذبح والبقية جلسوا · وشرع النائب بالقداس · فلما حان وقت المناولة جلس علَى كرسيّه وكلف الاباء ليستدعوا المنتخب من خبائه وداروا به الكنيسة بالترتيل وعند دخولهم المذبح استقبله النائب قائلاً : ان روح القدس دعاك الى السدّة البطريركية الانطاكية · فجثا علَى مسجد وجلس الاباء علَى كراسيهم وابتدأ النائب بالرتبة وفي نهاية جزئها الاول اجهر المنتخب بدستور الايمان وهو جاثٍ ثم وقّع عليها اسمه وسلمها للنائب · وبعد تلاوة فصل الانجيل صعد به الاباء الى درج المذبح وجثا فوضع الاباء اياديهم عليه بدءاً من النائب وفُتح الانجيل فوقها فقرأ النائب ابتهالاً · فلما فرغ منه رفع الاباء اياديهم واجهر النائب باسم البطريرك الجديد « اغناطيوس فيلبس عركوس بطريرك السريان الانطاكي » · فانتصب فالبسه الاباء بقية حلته وهم يرتلون · فلما اتشح بها صعد الى الدرجة العليا والعكازة بيد النائب فقبضوا عليها بيسراهم جميعاً ويد المنتخب تحت الكل : فلما جعلها النائب فوقهنّ تركوها بيده وحده وهم هاتفون : « عصا العز يرسل لك الرب من صهيون ونتسلط علَى اعدائك جميعاً » فرفعها وبارك الشعب بها واستوى علَى السدة : فرفعه الاباء بكرسيّه فتلا فصل الراعي الصالح · ولما فرغ منه هتفوا مع الاقليروس « اوكسيوس » (اي لائق وجدير) ثلاث مرات وانزلوه فبارك الحاضرين وانتصب يكمل القداس حتى تناول

واكمل الرتبة وحينئذٍ ساروا به الى القلايـة يتقدمه الاقليرس والاباء وراية الصليب : وتبعه المدعوون ورفعوا اليه التهانىء اثناء كانت نغمات الموسيقى تصدح · واذ ذاك حضر الوالي وسائر المتوظفين وجلسوا للطعام · وفي اثنائه دعا غبطته للحضرة السلطانية وللوالي · وانصرف القوم وهم يلهجون بعبارات السرور والرضى · واخذ الاباء بالعودة الى ابرشياتهم

٢٧١ اما البطريرك والسيدان جرجس وبهنام فقصدوا رومية وبرفقتهم الخوري انطون قندلفت فرحب بهم قداسة البابا بيوس التاسع وايد البطريرك الجديد وقلده الباليون الرسولي بيده في ١٦ آب بحضور أُولي الوظائف وتلامذة بروبكندا الشرقيين · واذ ذاك اثنى حبر الاحبار على همة السيد بهنام بانشاء الكنيستين في ابرشيته وفوّض اليه ان يجعل المذبح الكبير في كلتيهما مغفراً وذلك بصكٍّ تاريخه ٢٧ آب سنة ١٨٦٦ وفي التاريخ نفسه فوض قداستهُ الى السيد جرجس حسب طلبه ان يمنح البركة الرسولية في عيدي مار جرجس ومار اسيا وكلما افتقد الشعب في بيروت ومصر

وبعد هذا جال الثلاثـة في فرنسا وبلجكا وانتهوا الى عاصمة المملكة حيث نال البطريرك براءة البطريركية وعاد الى الشرفة فماردين وكلّ من السيدين الى ابرشيته ·

وعقب ذلك احتفل الكرسي الرسولي في رومية بالسنة القرنية وهي التي تعاد في كل مائة سنة لعيد زعيمي الرسل بطرس وبولس · وتضاعف بهاء هذه الحفلة سنة ١٨٦٧ لان قداسته ثبت فيها قداسة خمسة وعشرين ولياً من اولياء الله · وفي جملة الملتئمين في هذا العيد كان نفر من مطارنة السريان · واذ ذاك

ولما كانت مدارس الموصل مفتقرةً الى كتب اجهد الخوري يوسف نفسه بتأليف كتب كان الطلبة يستنسخونها للدرس ثم طُبعت تلك الكتب بالمطبعة الحجرية ثم بالحديدية التي اتى المرسلون بها · وما عدا ذلك اعدّ نسخةً عربية للكتاب المقدس طُبعت بعد ذلك على نفقة الكردينال لوقيان بونابرت ووُزّعت مجاناً وقصد بذلك اشغال المؤمنين عن كتب البروطستانت المطبوعة في مالطة ولندن وبيروت واعتنى بجمع النسخة السريانية للكتاب المقدس المعروفة بالبسيطة فطبعت بحروف الكلدان وللغاية نفسها اعني لفضح البدعة البروطستانية صنَّف السيد بهنام بموازرة نائبه العلاّمة كتاباً صدَّره بترجمة حياة لوثار وزوينكل وكلبين وايَّده بشهادات الكنيسة السريانية تنويراً للسريان المنفصلين فطبع سنة ١٨٦٧ فافاد كثيراً

٢٧٠ وفي خلال ذلك كان السيد جرجس شلحت النائب الرسولي من بعد عودته الى حلب يهيء ما يلزم لالتئام السنذس واستعان بالقس مرقس قندلفت فرقاه الى رتبة الخوري في ٢٥ اذار سنة ١٨٦٥ ودعاه انطون وفي شهر اذار سنة ١٨٦٦ انتُدب اساقفة الطائفة الى حلب فغادر السيد بهنام الموصل في ١١ نيسان مستصحباً ثمانية تلامذة من ابرشيته فدخلوا مدرسة الشرفة وأُرسل احدهم الى مدرسة بروبكندا · وبعده اقبل السيد روفائيل من بغداد ومعه ثلاثة تلاميذ فارسل اثنين منهما الى رومية وابقى ثالثهم في الشرفة · فلما كمل عدد الاباء جلسوا في قاعة القلاية يتقدمهم سيادة النائب وبعده السيد بهنام بني ثم مكان السيد يعقوب حلياني اذ ناب عنه عموم الاباء · فالسيد فيلبس عركوس · فالسيد روفائيل جرخي · ثم مكان السيد متى نقار اذ ناب عنه

عموم الاباء · فالسيد بطرس متاح · ثم مكان السيد زيتون المذياتي اذ ناب عنه الخوري انطون قندلفت · فالسيد افرام توكجي · فالسيد ايليا عتمه · وبعد المفاوضة في الشؤون المتوقف عليها نموّ الطائفة ونجاحها فتحوا الانتخاب في ٢١ حزيران سنة ١٨٦٦ بحضور الاب نيقولا برشلونا نائب القصادة عوض السيد هنري امانتون المتوفى · فرافقوا سيادة النائب الى الكنيسة حيث حضروا قداسه وبعد بركة القربان اوعز الى الشعب ان يخلوا الكنيسة للاباء وعُرض على الاباء ان يكتب كل منهم اسم الذي ينتخبهُ بالرب عَلَى ورقة ويختمها فيلقيها في كاس موضوع عَلَى المذبح الكبير · وبعدهذا اخذ نائب القصادة احد الاساقفة وكاهناً وفتح الاوراق وحررها في قرطاس ونادى ان اكثرية الاصوات وقعت عَلَى السيد يوليوس فيلبس عركوس · واقبلوا يهنئونه ويقبلون يده · فاعتذر اولاً ثم سألهم ان يصلوا من اجله وناشدهم ليكونوا مرتبطين معه برباط المحبة حيث ان كل مملكة تنقسم عَلَى ذاتها تخرب فاجابوه بخلوص الودّ والاتفاق ووشحوه بالحلة الحبرية واجلسوه عَلَى العرش وانتصبوا امامه · واذ ذاك فتحت الابواب ودخل الشعب فقري صكّ الانتخاب علناً وختموا بتقبيل يده فرفع يمينه وبارك الشعب وخرج الى الدار يتقدمهُ الاقليرس والاباء بالترتيل · وفي ٢٣ حزيران ذهب مصطحباً باثنين من الاباء الى مقابلة الوالي السيد احمد جودت باشا ودعوه الى حفلة التكريس ومناولة الطعام فرحب بهم ولباً ثم وشيعهم باجلال · ثم دعوا مطارنة البلدة الروم والارمن والموارنة والاباء الفرنسيسيين والعازاريين والكبوشيين وذوات الدول المسيحية · فلما حضروا في اليوم المعين اتشح الاباء بالحلل الحبرية والاقليرس

عاصمة المملكة المصاعب الممكن حلولها

وبعد هذا توجه السيد جرجس الى ماردين مستصحباً القس مرقس قندلفت كاتم اسراره فسجل متروكات البطريركية ورتّب كلما لزم للانتخاب وكان يومئذٍ في الدار البطريركية بماردين تلميذ من الموصل اسمه الشماس سمعان يونان فرسمه سيادة النائب قسيساً في ٢٥ ايلول وصرّفهُ في خدمة النفوس في ماردين ومديات زماناً الى ان استدعاه السيد بهنام الى الموصل

٢٦٩ واذ ذاك كان الكاهنان المنفذان الى الهند قد حصلا في مدينة بمباي ورحب مطرانها اللاتيني واوصى قسوسهُ بهما فسلموهما دفتر الخورنات واستأجروا دليلاً يرافقهما اليها · غير انه قسيس بغداد مرض بعد شهرين فعاد الى بلده فاضطر القس بولس ان يكمل جولانه وحده وفي اواخر آذار كرّ راجعاً وكان صافي ما اتى به خمسين الف غرش لكلٍ من الابرشيتين خمسة وعشرون الفاً · ومجازاةً لاتعابه رفعه السيد بهنام الى رتبة الخوري

وكان هذا الحبر النشيط يومئذٍ متفقاً مع الخوري يوسف نائبه عَلى بذل قصارى الهمة بسياسة الرعية وتقدّمها : اما السيد بهنام ففي الشؤون المادية والمدنية : واما نائبه ففي الروحية · فكان يجتمع بالكهنة بحضور المطران مرةً في الاسبوع ويطرح عليهم المسائل اللاهوتية والذمية ليحلوها ونظم لحسن سلوكهم قوانين مقتطفة من اعمال المجامع المقدسة ورتب خدمة الشمامسة الكبار والصغار وصفوفهم في الحفلات والدورات باحسن نظام · ورتّب ايضاً كتب القراءات والخدم · وكان يجمعهم في السهرات المسائية ليتمرّنوا في الالحان السريانية والتراتيل العربية بمرافقة صوت القيثار ولا سيما استعداداً للحفلات الكبيرة

واعدّ منهم ما ينيف على سبعين شماساً في كنيسة الطاهرة فمنحهم السيد بهنام يوم الاحد الثالث من الصوم ٢٦ شباط الدرجات الصغار من درجة المزمر الى درجة الهوندياقون · ومثل ذلك رسم في كنيسة مارتوما في الاحد الرابع من الصوم ٥ اذار فزهت الابرشية بذلك اكثر من كنائس الموصل بل من سائر كنايس الشرق · هذا ومرّن المشتركين في اخوية الحبل بلا دنس في اعمال الرحمة الروحية والجسدية كتعليم الجهلة اصول الدين والعبادة وتأهيبهم للاعتراف والتناول : وافتقاد المرضى وتعزيتهم واسعاف الفقراء منهم فكانوا يجمعون يوم خميس الاسرار الاثني عشر فقيراً فيغسل الخوري يوسف اقدامهم ويعطي كلاً منهم بدلة ثياب مع بعض النقود وذلك ما عدا الغسل الطقسي الذي يباشره المطران في اليوم نفسه · واذ نتج من اخوية الحبل بلا دنس فئة عديدة من العابدات ميز الخوري الهمام ثماني عشرة ورتب لسلوكهنّ قانوناً دقيقاً فرض فيه عليهنّ تلاوة فرض السيدة وقراءة روحية وزيارة القربان وصلا عقلية وافتقاد المرضى لتعزيتهم وترغيبهم في اقتبال اسرار الخلاص والحضور الى بيوت الحزن وإشغال اهل الميت بقراءةٍ روحيةٍ ومدراش رثاءٍ بدلاً عن البكاء والمناحة التي قصد الراعي الجديد الغاءها : فاستحبَّ الناس ذلك على اختلاف مذاهبهم وطقوسهم واستحسن السيد بهنام هذا العمل فقضى على هؤلاء العابدات الطقس المرتب عند السريان لتكريس الراهبات بعد اجهارهنّ بنذر العفة والفقر والطاعة · وفي خلال تلك الحفلة خلعت العابدات الحلي والزينة العالمية بحضور جمهور الشعب فسلمهنّ رداء الحداد ومنطقة الجلد فتقلدنهُ · فكان للحفلة وقوع الخشوع والازدراء بحطام الدنيا في قلوب الحاضرين

ايام شبوبيته طفق يبكي ويقول : كنا قبل سنين نتحسر علَى قسيس واحد وان اعور واما الآن فقد بارك الله بالكهنة كما اراكم . ومنذ توفي البطريرك الشهم الجليل حضر الى حفلة تجنيزه الاقليرس السرياني مع لفيف كهنة الارمن والكلدان وبعد ان صلوا عليه وأبنهُ السيد اغناطيوس دستو مطران الكلدان أُودع جثمانه بغاية التعظيم قبراً جديداً في بيعة ماردين الكاتدرائية التي انشأها وذلك تحت مذبح مار افرام . واقيمت في سائر الابرشيات جنازات عن نفسه النزيهة غير ان ذكر ايمانه وغيرته وحزمه وهيبته لبث خالداً تلهج به الناس الى يومنا

الباب الثالث عشر

في حال الطائفة على عهد البطريرك فيلبس عركوس الامدي

الفصل الاول

٢٦٨ : اقامة السيد شلحت نائباً — اخبار المرسل الى الهند — نظام الاقليرس والاخوية والراهبات والمدارس وكتبها ٢٦٩ التئام للسنذس في حلب — انتخاب السيد عركوس بطريركاً — حفلة تكريسه ٢٧٠ سفره الى رومية ففرنسا فالعاصمة — حفلة السنة القرنية — وفاة مطران النبك — نصب خلفٍ له — بدء الخصام من اجل كنائس الموصل :

٢٦٨ ولما نُعي فقيد الطائفة للكرسي الرسولي سنة ١٨٦٤ انتدب بتوسّط الاب نيقولا برشلونا رئيس الكبوشية بماردين ووكيل قصادة ما بين النهرين : السيد جرجس شلحت مطران حلب ليقوم بالنيابة الرسولية على الطائفة الى ان يقام لها بطريرك جديد فلبى طائعاً انما لتوعك صحته وكل الاب المذكور ان يكسر ختوم الفقيد ويختم متروكاتهِ ودفاتره · وكتب في ٢٣ حزيران الى نيافة الكردينال اسكندر برنبو يخبره بذلك ويلتمس صدور الامر باجتماع الاساقفة للانتخاب وتوصية مونسنيور حسونيان بالسريان ليتلافى في

فاشتروا داراً في الجزيرة وجعلوها معبداً · وتخص بالايمان الكاثليكي في قرية آزخ الشماسين شمعون ابن المقدسي حنا وتوما هندو هذان لجأا الى السيد انطون في ماردين فرحب بهما وفوض الى القسوس ان يثقفوهما بما امكن من العلوم استعداداً لدرجة الكهنوت · واثناء ذلك رجع الشماس توما الى قريته لبعض اشغاله · واما شمعون فرسمهُ غبطته كاهناً في ٥ تموز سنة ١٨٦٣ · ولتأييد النجاح اقام السيد بطرس متاح مطراناً على الجزيرة كما سبقت الاشارة · وعاد القس شمعون الى ازخ وكان يقدس في بيته فيخدمهُ الشماس توما هندو والمهتدون الجدد يحضرون قداسهُ · وحينئذٍ استاء برصوم مطران آزخ وهيّج اهل القرية على القسيس فهجموا عليه وهو في بيت شماسه وكان بعضهم يطلقون عليه الرصاص وبعضهم يدحرجون صخوراً على سطح البيت قاصدين كسر اخشاب سقفه ليهبط فيقتل الاثنين مع اهل البيت · فلما رأى القس شمعون الخطر بدّل زيه وخرج فهرب الى قرية للمسلمين قريبة اسمها الخربة واستجار باصدقاء له فتسلحوا وذهبوا به الى الجزيرة ثم اتوه بعائلته فاقام فيها الى اليوم · واما توما شماسهُ فخافهم وارتدّ الى مذهبهم فرسمهُ المطران برصوم قسيساً · وحدثنا هذا الرجل عن امره بعد ذلك وقد أصيب بالعماء قال : تكثلكتُ ثلاث دفعات وثلاث دفعات ارتدّيت عن الكثلكة وكان لي ولد شابّ فمات بعد المرة الاولى ثم أُصبت بالعمى في الثانية : وفي الثالثة خسرت اموالي بعد ان كنتُ مثرياً

وبمساعي المطران برصوم اضطهد الازخيون بقية المهتدين في قريتهم فأفسدت كرومهم وزروعهم : وزُغموا اضعاف الخراج وضُربوا وحُبسوا حتى ان موسى جمعة كاد يموت لشدة ما ناله من الضرب · وتخص من الذين قاسوا

الاضطهاد يونو جمعة والمقدسي ارسو ومع ذلك لم يرتخ عزمهم بل لبثوا مع ابناء قبيلتهم ثابتي الجنان اذ كانوا يصلون وحدهم بدون كاهن ويقضون فريضة الفصح فى الجزيرة الى ان تضاعف عددهم سنة ١٨٨١ كما سيأتي

ولكي نعود الى اخبار السيد بهنام بني نقول ان الديون وفائضها ما زالت تتراكم عليه حتى خطر له ان ينفذ القس بولس دانيال احد كهنته الى بلاد الهند مؤيداً بمنشورٍ من البطريرك انطون مكتوب بالسريانية وبشهادةٍ من السيد امانتون القاصد الرسولي · وتبعه القس ميخائيل ايلو من بغداد من قبل السيد روفائيل جرخي من اجل كنيسته فأقلع الاثنان من بغداد في شهر ايار سنة ١٨٦٣

٢٦٧ واذ ذاك كان السيد بهنام بني ينظر الى مستقبل رعيته فارسل الى مدرسة بروبكندا شابين منتخبين وهما لويس بن ابراهيم رحماني وداود بن بهنام رضّاعة · واما ضيقته بسبب الديون فكانت تفضي به الى اليأس لان قسيسه المنفذ الى الهند كتب اليه انه لم يأتِ بكبير فائدة وبلغه ان البطريرك انطون أُصيب بداء الفالج فكتب اليه يستنجده فوعده بالمساعدة ولكنه قبل الانجاز بوعده عاجلته المنية فغادر العالم الفاني يوم الخميس ١٦ حزيران سنة ١٨٦٤ بعد قيامه بالوظيفة احدى عشرة سنة وفيها اعاض الله بالراحة والسعة عن الضيقات · واكتملت الابرشيات باحبارها واقليرسها واستنار الشعب بالمدارس والعلوم · من ذلك لما اجتزنا بماردين اذ كان قسوس الارمن الكاثليكيون يقدسون في بيعة السريان لسبب الشقاق الكوبلياني الشهير دخلوا جميعاً ونحن معهم الى بيت الشماس حنا دقاق واذ سأله احدهم عن حالة الطا

ولما انتهت الحفلة رقي السيد عبد يشوع خياط مطران الكلدان المنبر والقى خطبةً عجيبةً فيها شبَّه المطران عيسى المثلث الرحمة بداود الملك الذي شغلتهُ الحروب عن بناء هيكل الرب : ومثَّل سيادة المطران بهنام بني بالملك سليمان الذي متعهُ الله بالراحة والسعة فشاد هيكل الربّ باورشليم ونقل اليه تابوت العهد ودشنه بصلاته العجيبة التي تلاها بحضر شعب اسرائيل كما جاء في الاصحاح الثامن من سفر الملوك الاول : ثم طبق الخطيب الكلام على الحبر الجديد وشعبهِ وختمهُ بالدعاء وطلب النجاح لهم وللكنيسة الكاثليكية جمعاء

ومثل ذلك دُشنت بيعة مارتوما الرسول يوم عيد البشارة ٢٥ اذار سنة ١٨٦٣ اذ بُدئت الحفلة في البيعة القديمة وانتهت في الجديدة بحفاوة جزيلة وفي السنة نفسها كرّس السيد روفائيل كنيسة بغداد في ٨ كانون الاول

ولما كان هــذا العمل يفوق طاقة المؤمنين لفقرهم اضطرّ الراعي الهمام ان يستقرض بالرباء ما ينيف علَى المائة والعشرين الف غرش فداته شهامتــهُ علَى عمل لا مثيل له في تلك البلاد على انه حشد يوماً الشعب وقت قداسهِ والقى خطاباً مؤثراً به استفزّ غيرتهم وحثّ شهامتهم علَى بذل المال وفي الختام تطوّع الحبر الفضيل فقدّم اثمن امتعته البيعية ليسدّ بثمنها المبلغ المطلوب . ثم استدرّ سخاء شقيقه الخواجا حنا بني بمبلغ وافر ثم انحدر فجال بحلته الحبرية بين الرجال وجال الخوري يوسف نائبه بين النساء فجمعا من النقود والحلي ستين الف غرش . وخرجوا مسرورين منذهلين من مشاهدتهم ما لم يشاهده آباؤهم في ايامهم

ومنذ ذلك اليوم كانت القداديس تقضى في كلتا البيعتين وجُعلت البيعة العتيقة من بعد القداس مدرسةً للبنات

٢٦٦ وذاعت اخبار النجاح في عهد البطريرك انطون في انحاء فونيقيه وفي طور عبدين وقرية بيث زبدى التي يقال لها اليوم آزخ

وذلك ان قسيساً من صدد اسمه جبرائيل الدسيني انتمى الى الكنيسة الكاثليكية مع خمس عشرة عائلة من حمص فلبثوا زماناً ثم ارتدّوا الى طاعة مطرانهم بطرس بن سلمو مسكو الموصلي المعروف بابن الطباخة (١) وهذا فرض على القس جبرائيل المذكوران يدفع له خمسماية غرش عن زواجات ذوي الوجه التاسع والعاشر من القرابة الدموية واذ امتنع حرمهُ سنة ١٨٦٢ فحرد وتحزّب له الياس بن موسى زيدان شيخ قرية زيدل مع مائة وعشرين عائلة من قريته · ولان المطران بطرس وشى بهم الى والي دمشق اجهروا بالكثلكة في شهر كانون الاول سنة ١٨٦٣ ولاذوا بالسيد يعقوب حلياني · وعزم السيد يعقوب على مصالحتهم مع مطرانهم فاجابهُ مطرانهم ان ليتهم يتكثلكون جميعاً لنخلص منهم وعلى اثرهم تكثلك جانب من سريان حماه لكن اكثرهم ارتدّوا اذ لم يوجد قسيس كاثليكي يسوسهم وأُنفذ القس حنا كركجي الموصلي لارشادهم وخدمة نفوسهم وبعده القس ميخائيل باخس وغيره من كهنة دمشق الى ان رسم لهم المطران يعقوب القس بولس سفر الزيدلي فثبتوا ونموا الى يومنا

واما قرية آزخ فاهتدى فيها بعض العائلات بتوسط كاثليك الجزيرة الذين كانوا الى هذا الزمان يترددون الى بيعة الكلدان · فلما منحت حرية الدين تنشطوا

(١) لما اسلم ابوه هربت امه به الى دير الزعفران حيث صارت طباخة فترهب بطرس ولدها وارتسم كاهناً فمطراناً

وفي شهر تموز من سنة ١٨٦٣ اهتدى مطران رهاوي اسمه اوسطاثيوس افرام توكمجي كان راسمه البطريرك ابن السيار سنة ١٨٣٥ على خربوط وبوجاق ونال الحلّ من السيد انطون وفي ١٤ آب من السنة نفسها اهتدى ايضاً المطران ايونيس ايليا ابن القس نعمة عتمه المارديني من عائلة بلدو الذي كان يعقوب بطريرك اليعاقبة قد رسمه على القسطنطينيـة سنة ١٨٥٤ فمنحه البطريرك المغبوط الحلة وخصصه لقلايته بماردين

وفي ١١ تشرين الثاني من السنة نفسها أقام البطريرك القس بطرس بن عبد المسيح متاح الماريني مطراناً على جزيرة عمرو دعاه فلابيانس : وكان من تلامذة الشرفة الاوّلين يوم كان رئيسها المطران بولس صعب · وتاريخ قسوسيته سنة ١٨٤٦ وكان البطريرك راغباً في نموّ شعبه في الرها فعهد سياستهم الى المطران افرام توكمجي انما لكونه حديث الايمان استقدم البطريرك اليه القس بطرس تفنكجي من الموصل وجعلهُ دليلاً ومعاوناً له وانفذهما الى الرها معـاً : وسبق فكتب الى المرسلين الكبوشيين المقيمين في الرها ان يشتروا محلاً باسم السريان لان السريان الكاثليكيين كانوا في الرها وخربوط يتردّدون الى كنيسة المرسلين حتى حُسبوا لاتينيين في خربوط خاصة · فلما حصل القس بطرس في الرها ساءهُ ان موقع الدار التي اشتراها المرسلون لشعبه في محلة المسلمين بعيـدة عن مساكن النصارى فاشترى بدلاً منها داراً للمرحوم ميخائيل غنيمة وجعلها كنيسة ومسكناً له الى اليوم · فانضمت اليه بعض العائلات اليعقوبية وعدد المهتدين يزداد تارةً : وتارةً يقلّ(١) حتى صاروا يوم وجودنا في الرها سنة

(١) رواية الخوري بطرس تفنكجي

1895 مائة عائلة · واقام المطران افرام في الرها سنتين ثم انتقل الى بلد حصن منصور و بوجاق حيث ابتنى داراً و كنيسةً صغيرتين فاهتدى على يده بعض العائلات وقام بسياستهم حتى وفاته وتعين لمساعدته القس انطون صبّاغ الحلبي

الفصل السادس

٢٦٥ حفلة تدشين كنيستي الموصل بسخاء عجيب ٢٦٦ اهتداء في
حمص وزيدل وفي ازخ والجزيرة — اضطهاد ٢٦٧ انفاذ
قسيس الى الهند — وفاة البطريرك انطون —
حفلة تجنيزه ودفنه

٢٦٥ واذ ذاك انتهت عمارة كنيستي الموصل في اواخر سنة ١٨٦٢ وأجل المطران بهنام بني تكريسهما وتدشينهما الى ٨ كانون الاوَّل عيد الحبل بمريم العذراء بلا دنس ومن ثم في صباح العيد المذكور اتشح المطران بحلته الحبرية وخرج من البيعة القديمة بكامل الأبهة تتقدمه راية الصليب ثم الشمامسة بالقمصان والمراوح والشماع بايديهم ثم الكهنة بالحلل المقدسة والمباخر اذ كانت اصوات الاناشيد تصدح فغصّ الطريق والكنيستان بجماهير المؤمنين علَى اختلاف طقوسهم ودخلوا البيعة الجديدة وشرعوا بطقس التكريس فاودع المكرّس تحت كلٍ من المذابح الثلاثة شيئاً من ذخائر القديسين ومسح المذابح والعواميد واربع جهات البيعة داخلاً وخارجاً بدهن الميرون المقدس

يوم عيد الاربعين شهيداً ودُعي قورلّس بكار بكر المطارنة الذين رسمهم البطريرك المغبوط وجاد البطريرك عليه باسعافٍ ثانٍ لانجاز البناء فكرّ راجعاً الى الموصل مستصحباً الشماس ميخائيل ايلو تلميذ الشرفة٠ فخرجت الرعية الموصلية الى لقائه افواجاً افواجاً مترنمين بتراتيل الفرح حامدين الله عَلَى تبديل ايام الضيق السابقة بايام السعة والهناء ٠ وأول امر اجراه ترقيته رفيقه القس يوسف داود الى رتبة الخوري نائباً عاماً له ورسم الشماس ميخائيل ايلو قساً وارسله الى بغداد٠ واتمّ الرب فرح المطران بنجدةٍ وصله بها السيد هنري امانتون الذي وُلي قصادة ما بين النهرين خلفاً لسالفه السيد مبارك بلانشه الذي قتله الاكراد بالقرب من سويرك٠ وعامئذٍ انتدب البطريرك الخوري يوسف داود الى مقام المطرانية فاعتفى متضعاً ومؤثراً بقاءه في الموصل يخدم النفوس ويلقي العلوم في المدرسة التي افتتحها

ولما حان الوقت لاقامة مطران لحلب كتب الى وجوه الشعب ان يجتمعوا باسم الرب وينتخبوا شخصاً متصفاً بالمزايا الصالحة ولائقاً بهذه الوظيفة المقدسة فاجمعوا على انتخاب النائب المذكور وشرحوا ذلك في مضبطة تاريخها ٢ كانون الاول سنة ١٨٦١ بتوقيع ثمانية من الاكليرس وهم الخوري يوسف ياقين والقسوس حنا اسلامبولية وبطرس سالمه ويوسف اسلامبولية وميخائيل ضاهر وبولص صباغ وافرام مداراتي ومرقس قندلفت ومائة وثمانين من الوجوه ورؤساء العائلات نخص بالذكر الخواجا الوجيه نعمة الله فرج الله صباغ الشهير مع سائر آل صباغ وآل ضاهر وحمصي وهندي وشلحت ويوسفي وبخاش وصعب ورباط وبهنا وياقين وفتال وهزاز واسطنبولية وخُتم انتخابهم باستحسان السيد

يوسف حائك (١) فسر غبطته واثنى على همتهم وارتباطهم انما أجل الرسامة الى بعد عيد القيامة وفي ١٨ ايار سنة ١٨٦٢ انتدب المنتخب فسافر ومنذ وصوله بدأ بالاعتكاف وبعده اقامه البطريرك رئيس اساقفة حلب بموازرة اغناطيوس دشنو مطران الكلدان وجبرائيل شاشاتي مطران الارمن وبحضور الرهبان الكبوشية وجمعٍ غفيرٍ من اقليرس وشعب الطوائف: ودعاه ديونوسيوس وذلك في الاحد الخامس بعد الاحد الجديد ٢٥ ايار · ورخصه ان يقدس الميرون وسائر الزيوت المقدسة · ولدى عودته الى حلب شرع يسوس رعيته بنشاط فأنشأ مدرستين للصبيان والبنات ومأوى للفقراء وابنيةً جديدةً واغنى مكتبة القلاية فعظم جاهه حتى عند المسلمين وأُولي الامر نخصّ بالذكر الشيخ بهاء مفتي حلب الشهير فانه كان يوده فيقضي كل ما اشكل وعسر عليه من المصالح حتى دعاه الناس كهيا المطران جرجس

٢٦٤ وبعد رسامة السيد جرجس انتدب البطريرك الخوري روفائيل جرجي منتخب بغداد والخوري فيلبس عركوس منتخب ديار بكر ورفعهما الى المقام المطروبوليتي في ٢٨ ايلول سنة ١٨٦٢ ودعا اوّلهما يوليوس وثانيهما اثناسيوس · فاعتنى كل من المذكورين باستحصال براءة سلطانية لتأييده · وقفل المطران روفائيل عن ماردين مستصحباً الشماس بطرس تفنكجي الامدي فرسمه السيد بهنام بني كاهناً وعهد اليه خدمة النفوس في خورنة مارتوما · ومنذ وصول المطران روفائيل الى بغداد شرع بعمارة كنيسة علَى اسم مريم العذراء المحبول بها بلا دنس اذ كان المرمر ينقل اليها من الموصل على الكلك

(١) عن نسختها المحفوظة في القلاية

عَلَى المسيحيين ففتكوا ونهبوا وسبوا وقتلوا حتى اضطر المطران يعقوب الحلياني ان يهرب مع اهالي راشيا الى صيدنايا فبيروت وقسوسه الى غيرها · وعمّ الخوف لبنان و كسروان فأغلقت مدرسة الشرفة بعد ان اخفيت أمتعة الدير في موضع امين وهرب التلامذة الى جونية · فلما ارسلت الدولة العلية فؤاد باشا للاصلاح عاد المطران يعقوب الى دمشق ونال من الدولة عزاً وجاهاً اكثر من سائر الرؤساء الروحيين فاسترد مسلوبات كنيسته وطائفته حتى تمكن من توسيع الدار المطرانية واعادة الكنيسة الى حالتها الاولى · وما عدا ذلك شاد كنيسة في قطنة لانه انضوى اليها بعد الثورة كل سريان راشيا وقلعة جندل · وشاد كنيسة ثالثة في الصالحية وهي احدى ضواحي دمشق ·

الفصل الخامس

٢٦٣ الابتداء بالبناء — رسامة السيد بهنام مطراناً — انتداب الخوري جرجس من حلب — رسامته — نشاطه وجاهه ٢٦٤ اسقفية السيد فيلبس عركوس — والسيد روفائيل جرخي — بناء كنيسة بغداد — اهتداء السيدين افرام توكمجي وايليا عمه — رسامة السيد بطرس متاح ارسال مطران وقسيس الى الرها ـ افتتاح كنيسة

٢٦٣ وحينئذٍ صدر فرمان الرخصة لانشاء كنيستي الموصل فشرع الخوري بهنام بني بالعمارة اذ كان شبان الطائفة يسارعون الى الشغل تطوعاً بفرح وارتقاش و ينقلون مواد البناء و يسحبون قطع المرمر الكبيرة بالعربات من المقاطع الى الكنيسة حتى انه لما دخلت سنة ١٨٦٢ ربت الكنيستان وعقدت قببها اذ كانت الجوائز تنهلّ علَى البنائين من اغنياء الشعب و كرمائه وكانت تهاليل النساء تصدح وابناء الطائفة يتسابقون منهم الى الشغل مجاناً ومنهم الى تقديم الاطعمة للبنائين والفعلة · ومع هذا كله احتاجوا الى المال للنفقة واثناء ذلك انتُدب الخوري بهنام بني الى ماردين للرسامة فغادر الموصل في ٢٠ شباط سنة ١٨٦٢ مستصحباً شابين وهما الشماس سمعان يونان وداود بن بهنام رضاعة ليقتبسا العلوم بماردين · ومنذ وصول الخوري بهنام انقطع الى رياضة الاختلاء وعلى اثرها استلم عصا المطرانية على الموصل في ٩ اذار سنة ١٨٦٢

فعرض عليهم ان ينتخبوا مطراناً لقرقوش دون نظر الى الموصل ولما كان اكابرهم منتمين الى اسرة الخواجا حنا بني اخي القس بهنام اجابوه . اننا نحن وشعب الموصل رعية واحدة غير منفصلة فنتخب القس بهنام راعياً . ثم عرضوا عليه ثلاثة من الشمامسة ليقيمهم قسوساً فاقامهم وكانوا يوسف عمنو وطوبيا جميل وايليا حبش . ثم انتقل غبطته الى قرية برطلي فبعشيقا ومنها كرَّ راجعاً الى الموصل وفيها اعادوجوه الشعب عليه الحديث في شأن الانتخاب . وفيما كان غبطته محتاراً في ما يجيبهم حضر القس يوسف داود وقدَّم استعفاءه من الاسقفية فبطل الجدال فساغ للبطريرك اذ ذاك ان يقول للقس بهنام « ان قرعة الانتخاب وقعت عليك كما على ماثيا انما نعدل الان عن رسامتك الى حين بلوغك الى العمر المقتضي واكتفى آنئذٍ ان يرفعه الى رتبة الخوري وسمح له ان يتقلد التاج وصليب الصدر ويبارك الشعب بالصليب (١) كنائب اسقفي .

فشرع الخوري الجديد من ذلك الحين ينظر في سياسة الابرشية ويعتني بمصالحها فعرض الخوري ووجوه الشعب على غبطته ان الحصص التي لهم في الكنائس ضاقت بهم وانهم في حاجة الى انشاء كنيستين الواحدة في خورنة الطاهرة على اسم مريم العذراء المحبول بها بلا دنس والثانية في خورنة مارتوما على اسم مار توما الرسول والتمسوا مساعدته بمبلغ من المال كافٍ للغاية المطلوبة تخصص لكل من البيعتين اربعين الف غرش . ومن ساعتهم رفعوا الى الباب العالي التماساً ليرخصهم في العمارة . واخذ البطريرك بالرجوع الى ماردين في ٥ ايار سنة ١٨٥٩ وعاد القس مرقس قندلفت الى حلب وطنه

(١) هي عادة مستجدثة في طقس السريان

فصرّفه النائب في خدمة النفوس والوعظ

٢٦٢ واذ ذاك شرع الخوري بهنام يختط الكنيستين اما في خورنة الطاهرة فحيث كانت قلايتها الاسقفية التي ابتناها المطران عيسى والمدرسة المحاذية لها. واما في خورنة مارتوما ففي دار واسعة معروفة ببيت الجمال. وكان قدم اليه كاهن من حلب اسمه الخوري يوحنا دنبكلي المعروف بابن الطواف فاقامه رئيساً على كاهني الخورنة المذكورة القس نعمان فندقلي الموصلي والقس توما بن متى القرقوشي

واستقدم البطريرك اليه القس روفائيل بن داود جرخي كاهن بغداد تلميذ الشرفة وكانت رسامته كاهناً سنة ١٨٤٨ فاقبل مستصحباً معه الشماس ميخائيل بن ايلو فأرسل الى مدرسة الشرفة ورافقه من حلب شاب أمديّ اسمه بطرس تفنكجي. وعرض القس روفائيل على غبطته حاجة شعب بغداد الى كنيسة واستنجد سخاءه فرقاه الى رتبة الخوري ووصله بما شاء فكرّ راجعاً الى بغداد وشرع يسعى بمساعدة واليها في استحصال فرمان للرخصة ويعدّ ارضاً كافية للبناء. وبعد هذا اخذ السيد البطريرك يهتم برعيته الحلبية: وكذلك كتب الحلبيون يكررون طلبهم نائباً نبيهاً نشيطاً لحينما يسهل الرب فيقيم لهم اسقفاً قانونياً. فسمى لهم في ٢٥ آب سنة ١٨٥٩ الخوري جرجس شلحت نائباً اسقفياً وسمح له ان يتقلد في الحفلات التاج والخاتم والصليب انما اوصاهم ان يراعوا سالفه توقيراً لشيخوخته وحرّض النائب الجديد ان يتقن خدمة النفوس وتلاوة الفرض بالاتفاق مع الكهنة حلفائه بكرةً واصيلاً

واذ ذاك شبت فتنة دمشق الشهيرة سنة ١٨٦٠ وفيها هجم الشاغبون

الفصل الرابع

٢٦١ انشاء كنيسة ودار بطريركية في ماردين — افتقاد الموصل وقرقوش انتخاب شعبها مطرانًا — نية لانشاء كنيستين في الموصل — خورنية بهنام بني ٢٦٢ عودة البطريرك الى ماردين — تخطيط الكنيستين — خورنية روفائيل جرخي — نيته انشاء كنيسة في بغداد — جاه المطران الحلياني بعد الفتنة

٢٦١ وبعد هذا سافر البطريرك انطون الى ماردين واصحب معه من حلب شماسًا خفيفًا ذكيًا اسمه جبرائيل بن يوسف اشرم قندلفت الكنيسة : وكان قرأ العلوم الضرورية في الشرفة مدة سبع سنوات وارتسم شماسًا وأوتي البطريرك وهو في ماردين الفرمان الشاهاني في ٢٥ رمضان سنة ١٢٧٣ (٨ نيسان سنة ١٨٥٧ مسيحية) لتأييده ثم الوسام المجيدي جاد به السلطان عبد المجيد وكان يوم وصوله الى ماردين شائقًا جدًا افعم افئدة الطائفة حبورًا وانساها ما كانت نالته من الجور والعذاب · وكان البطريرك المغبوط قد اتفق مع المجمع المقدس عَلَى توسيع نطاق ملته وتعديد مطارنتها في حلب وديار بكر والجزيرة وبغداد اذ يفصلها من ابرشية الموصل ويقيم في الموصل خلفًا لحليفه المحبوب السيد عيسى محفوظ · واول امرٍ ابرمه في ماردين هو انه شاد فيها كنيسة « كاتدرائية » نفيسة عَلَى اسم مريم العذراء ففرح المؤمنون . وهبَّ شبانهم الى العمل والى حمل مواد البناء مجانًا · وضم الى البيعة دارًا بطريركية

ذات ردحةٍ فسيحةٍ ومدرسةً مع مأوى للكهنة · وابتاع لهذه الدار اوقافاً في ماردين وخارجاً عنها من ذلك بستان يقال له باسبانوس وهو الذي كان يملكه الياس شاده الشهير وارضاً قريبة من باب المشكية التي عُمر فيها بعد حين دير على اسم مارفرام

واراد التوجه الى الموصل اولاً لان مدة ترمل رعيتها طالت جداً والمجمع المقدس يستعجله على هذا العمل فبادئ بدء عزم على اقامة الكاهنين الفاضلين يوسف داود وبهنام بني مطرانين احدهما لماردين بمثابة نائب عنه والثاني راعياً لشعب الموصل واعد لكل منهم حلة حبرية

وقبل مبارحته ماردين رقى في ٣ تشرين الاول سنة ١٨٥٨ الشماس جبرائيل بن يوسف اشرم الى درجة الكهنوت ودعاه مرقس وكان مناهزاً سن الاثنتين والعشرين وبعد ثلاثة ايام استصحبه معه الى الموصل هو والقس بولس وكان آتياً من مديات · فخرج اكابر الشعب الى ملتقاه يتقدمهم القس بهنام بني وسمعان وجرجس سمحيري اخو البطريرك · وكان نزوله في القلاية المطرانية التي في خورنة الطاهرة · وعزم غبطته في هذه الفرصة على ادراج القلنسوة في الموصل فلما حفّ الكهنة به ليرافقوه الى صلاة الرمش وضع براس كل من الكاهنين المنتخبين قلنسوةً لاوّل مرة فكان هذا الزيّ عجباً للشعب ·

وبعد ان تفقد البطريرك شؤون الابرشية واصلح ما وجب اصلاحه اجتمع باكابر الشعب من الخورنتين وعرض عليهم ان ينتخبوا قسيساً جديراً بالاسقفية ليقام راعياً لهم فانتخب بعضهم القس يوسف داود وبعضهم القس بهنام بني · وحفظاً لالفة الشعب رأى غبطته ان يؤجل الانتخاب الى وقت آخر · وخرج الى زيارة قرقوش حيث دلته فطنته ان يختبر راي شعبها ايضاً في امر الانتخاب

لهم راعياً اصيلاً فاجاب انه يتمنى هذا العمل اذا ما اجمعوا على انتخاب شخص جدير بالمقام وموافق لذوقهم · واذ لم تتوحد كلمتهم في حينه : ابقى المطران الشيخ نائباً واوصاهم ان يستعدوا للانتخاب فيعلنوه له قانونياً لما يوعز اليهم من بعد وصوله الى مقرّه .

وكان السيد بلانشه اشار على البطريرك ان يقرب الطقس السرياني الى اللاتيني فيجزم على الكهنة ان يستعملوا الحلة اللاتينية القصيرة ويقيموا القداس السرّي بدون مبخرة ويتخذوا هيئة القربانة (البرشانة) لاتينية · ويلغي تقدمة القداس التي يقضيها الكاهن قبل لبسه الثياب الكهنوتية · وشارط غبطته ان الكهنة لا يرغبون هذا التبديل · فلكي يمتحن غبطته افكارهم ويوكد انه لا يهون عليهم العبث في طقسهم المتسلسل من الرسل عرض عليهم الغاء المبخرة في القداس السرّي وعمل البرشانة بالطابع اللاتيني

وكان احدهم وهو الخوري جرجس بن روفائيل شلحت شديد التمسك بالطقس السرياني آخذاً عن السيد بطرس جروة معلمه فلما سمع كلام البطريرك تجرّأ وقال باسم زملائه : « يا سيدنا انه لدى ارتقائنا الى الدرجة المقدسة سلمنا راسمونا المبخرة والبرشانة القديمة العهد المرسوم فيها اثنا عشر جزء على عدد الرسل وامرونا بالمحافظة على طقس اجدادنا دون انثلام وعليه فنلتمس من غبطتك إما ان تأمرنا بالمحافظة التامة على هذا الطقس الشريف : واما ان تأمرنا ان نتبع الطقس اللاتيني برمته وبذلك نكون قد نجونا من تهمة فظيعة سيرمينا بسهامها الاعداء اذا تجاسرنا وحرّفنا جوهر طقسنا المتسلسل من ايام الرسل » فاقتنع البطريرك بكلامه متأثراً ومثنياً على شهامة المعترض وامر بالمحافظة على اصول

الطقس وفروعه بضبط وامانة

ولما كان لهذا الخوري الشاب مستقبل حسن وحظّ سعيد افتخرت به رعية حلب · بعد حين ساغ لنا ان نلخص خبره فنقول انه كان منذ نعومة اظفاره تعلم المبادئ السريانية والعربية · ولسرعة فهمه وحسن خطه جعل كاتباً لجباية الاموال الاميرية في حكومة ابراهيم باشا المصري في حلب اذ كان في سن التاسعة والعشرين ولم يشغله ذلك عن التردّد الى حضور القداس وخدمة الكنيسة واذ احبه البطريرك بطرس جروة اخذ يمرّنه في الخدم المقدسة والالحان السريانية فاقتبسها سريعاً منه ومن يوسف شقال الحلبي الضرير لشدة ولعه بالاغاني والترانيم · فلما تهيأ للدرجات المقدسة واتقنها رقاه في ٢ شباط سنة ١٨٤٣ الى درجة الكهنوت ولنشاطه رفعه في ٢٩ آذار سنة ١٨٤٦ الى رتبة الخوري مع اربعة آخرين وهم الخوارنة جبرائيل رباط وباسيل صعب ويوسف ياقين وروفائيل جروة

ثم انه كما سبقت الاشارة سافر الى روميه سنة ١٨٥٠ ولدى عودته عرّج الى مصر ومنها الى الشرفة وبعد ان شهد انتخاب البطريرك انطون عاد الى خدمة النفوس في حلب

الفصل الثالث

٢٥٩ اخبار يوسف داود برومية — اعماله والقس بهنام في الموصل
٢٦٠ اخبار البطريرك في حلب

٢٥٩ واثناء ذلك كان يوسف داود الموصلي قد انجز علومه في رومية واقتبل الدرجة الكهنوتية في الاحد السادس من الصوم ٢٥ اذار سنة ١٨٥٥ وحاز وسام الملفنة في الفلسفة واللاهوت · وكان في جملة الثلاث عشرة الذين غسل الحبر الاعظم اقدامهم وخدمهم على العشا يوم خميس الاسرار ٥ نيسان وكان لتلاميذ بروبكندا عادة ان يزوروا كل سنة في ١٢ نيسان دياميس القديسة اغنيسه حيث كانوا يحضرون الذبيحة الالهية ويتناولون الطعام · وتنازل الحبر الروماني في تلك السنة فحضر بينهم · ولما كانوا مجتمعين في تلك الغرفة هبطت بهم فتهوروا واستنجدوا العذراء المحبول بها بلا دنس فسلموا بشفاعتها جميعاً · وكان في جملتهم يوسف داود وبهنام بني الموصليان وبطرس بوصيك الماردیني · فرسمت صورة الحادثة ورقمت اسماء الحاضرين برمتهم على لوحي رخام · وبعد ذلك عاد القس يوسف داود في ١٥ آب الى دير الشرفة ليطالع الكتب التي فيه ثم وصل الى وطنه في غرة تشرين الثاني وذلك بعد وفاة المطران عيسى بواحد واربعين يوماً فاغتم شديداً عليه وعربوناً لاسفه وشكره له نظم بالسريانية تاريخ حياته ومحاسنه فنقش على لوح من المرمر

اما بهنام بني فرقي الى درجة الكهنوت سنة ١٨٥٦ وبعد رسامته ونيله رتبة الملفنة حج الى القدس الشريف · ولهذا فلدى وصوله الى الموصل زيحه الكهنة في باب المذبح كعادة حجاج القدس · واتفق مع القس يوسف زميله في خدمة النفوس بغيرةٍ ونشاطٍ عجيبين · ولم يكتفِ القس يوسف بذلك بل فتح مدرسة لتثقيف الشبان وطفق يعلم فيها الصرف والنحو والجغرافية والتواريخ والحساب والجبر ما عدا اللغة الايطالية والموسيقى · فاستنارت بذلك عقول الطلبة بما لم يكن معروفاً اذ ذاك في الموصل بل في سائر البلاد الشرقية · وكذلك هذَّب مدرسة البنات · وحملت الغيرة الكاهنين المذكورين على تثقيف الشعب ايضاً فابدعا نوعاً من الارشاد لم يسبقهما احد فيه : اذ كان كل منهما يجلس بعد صلاة الرمش قدام الشعب فيتفاوضان بهيئة محاورة الواحد يسأل ويعترض والآخر يحلّ المشاكل والشعب على اختلاف اصنافهم وطقوسهم يصغون بلذة · ثم انهُ تقلد القس بهنام رئاسة اخوية الحبل بلا دنس التي انشأها المطران عيسى وجعل يتفقد احوال الشعب عائلة فعائلة ويجلب الجهلة الى اقتبال اسرار الخلاص ويرغب فيها الفقراء منهم بتوزيعه عليهم ما يصيبه من الحسنات المعطاة للكهنة اعتيادياً فتتلمذ اكثر الشعب للكاهنين الشابين

٢٦٠ ولكي نعود الى اخبار البطريرك انطون نقول انه منذ وصوله الى حلب عام ١٨٥٦ شكى الحلبيون له حالة ابرشيتهم · على انه كان اقيم عليها المطران اثناسيوس جبرائيل حمصي منذ سنة ١٨٣٢ فلما ارتخت عزيمته لشيخوخته عزل بامر المجمع المقدس سنة ١٨٥٤ فخلفه السيد كوارتس يوسف حائك وهذا ايضاً وخطه الشيب فكلَّ عن السياسة · ولهذا سألوا البطريرك ان يقيم

ساعتين ونيفاً · اما تعبده للعذراء المغبوطة فكان جزيلاً جداً علَى انه لما كان يترنم بالدعاء الذي نسميه « السهرانة » لم يكن يتمالك الحضور من البكاء والخشوع · وكان حادّ المزاج سليم السريرة بحيث انه اذا اغتاظ من احد كبيراً او صغيراً استدعاه فصالحه · من ذلك انه غضب يوماً علَى احد الوجوه فلما امسى ارسل اليه يقول قد مالت الشمس للغروب فهل آتي اليك ام تأتي اليَّ · فلما سمع الوجيه هذا الكلام بادر الى المطران فقام اليه وعانقه

٢٥٨ اما البطريرك انطون فانتشر خبره في بلاد اوربا وحسبهُ الناس شهيداً ووليّاً ونال في عيونهم الحظوى وحاز علَى عزٍّ وفخرٍ منقطع النظير وانهلت عليه الهدايا والتحف والحسنات من كل صوب من اثاث وامتعة وحلل وأوانٍ كهنوتية وحبرية وبيعية كالتيجان والصلبان والعكاكيز والكؤوس والصواني اغلبها تناسب الطقس اللاتينيّ · وفي جملة ما ناله قلنسوة فاخرة عليها قيطان مقصب اهداها اليه وزير الخارجية في فرنسا فلبسها البطريرك هناك وعند دخوله حلب وماردين والموصل وفي ايام المواسم والحفلات · ومنها ابريق ولَگَن فاخران قدمهما له عموم شعب بلجكا وقد نقش عليهما اسمه بالسريانية

وجرت على يده امور عجيبة لدى تجوُّله في تلك البلاد · وقد اطلعنا عليها القس حنا معمار باشي المارديني كاتب اسراره وأكدها لنا · من ذلك انه زار في ٦ حزيران سنة ١٨٥٥ ديراً لراهبات في ابرشية روان من فرنسا وكانت احداهن طريحة الفراش منذ ثمانية اشهر · فلما بلغه امرها طلبها فاحضروها علَى مئزر تحمله اربع منهن فبارك وصلى عليها وعلَى رفيقاتها · وما كاد ينصرف البطريرك حتى نهضت المريضة واسرعت مع المشيعات تقبل يمينه فاندهلت

اخواتها وصرخن أعجوبة أعجوبة

وفي ١٥ ايلول سنة ١٨٥٥ زار البطريرك ديراً لاخوات المحبة في دونكرك من ابرشية كمري وهي بين فرنسا وبلجكا وكانت احداهن قد انكسرت رجلها وهي نازلة من درج المستشفى . فلما صلى عليها قامت وشكرت له وعادت الى خدمتها

ولما كان غبطته في ليدن بهولندا في ٢٣ كانون الأول سنة ١٨٥٥ كان ابن حاكم البلد قد ترك المدرسة ولزم الفراش لمرض اعتراه في صدره وكان لسببه يسعل ويبصق دماً فصلى عليه البطريرك فتعافى وعاد الى مدرسته بعد يومين وهذا ما حمل اهل تلك البلاد على ان يلهجوا بذكره الطيب وينشروا قصائد الثناء عليه (١) حتى ان بعضهم اتخذوا صورته بركة فكانوا يوقدون امامها قنديلاً

ولما قابل البطريرك اوجانيا الملكة قرينة نابليون الثالث سلطان فرنسا وكانت عاقراً اتى بماء وصلى عليه وباركه بالصليب وقدمه لها قائلاً : اشربي هذا الماء ومتى عدتُ الى باريس في العام المقبل سيكون لكِ ولد باذن الله فكان كما قال . وكان هذا النجل وحيداً لنابليون ووريث عهده في عرش السلطنة فسمي اوجين نابليون الرابع وحضر البطريرك حفلة عماده وذلك ليلة احد الشعانين سنة ١٨٥٦ فاكرمه الملك وقلده بيده وسام جوقة الشرف

وفي انسلاخ عام ١٨٥٦ غادر البطريرك باريس وقصد دير الشرفة فنظم امورها ورتبها ومنح الدرجات المقدسة للتلامذة الذين كانوا قد انجزوا دروسهم منهم ارسانيوس يوحنا بن اسحق كركجي الموصلي رسمه كاهناً في ٢ تشرين الثاني سنة ١٨٦٠ ثم انطلق البطريرك الى حلب

---

(١) قرانا احدى تلك القصائد بالفرنساوية قوافيها اسم سمحيري

الفصل الثاني

٢٥٧ مرض ووفاة السيد عيسى — نيابة القاصد بلانشه للرعية المترملة — صفات المتوفى ٢٥٨ تعزيز البطريرك في اوربا

٢٥٧ واذ ذاك اشتدَّت عَلَى السيد عيسى محفوظ العلة التي أصيب بها منذ ايام حبسه في دير الزعفران حتى لزم الفراش وطفق يتشاءم انه لن يقوم من المرض · وفي تلك الغضون اقبل من مدرسة الشرفة الشماس بولس بن يونو دانيال صامت وكان قد رسمه السيد يوسف حائك مطران بيروت دياقوتا سنة ١٨٥٣ · فلما القى مطرانه طريح الفراش سيره السيد بلانشه الى مذيات لكي يحافظ على جماعة المهتدين فيها بدل المرسل اليسوعي ويقتبل درجة الكهنوت بيد المطران غريغوريوس زيتون · فارتسم ثمَّ واقام سنتين يخدم النفوس ·

اما السيد عيسى فعلى مرضه واوجاعه كان مشغول الخاطر برعيته العزيزة وتهذيبها فينتظر بفروغ صبر عودة تلميذيه يوسف داود وبهنام بني ليتهنأ بمشاهدتهما ويطمئن بايداعه اليهما شؤون الرعية قبل مزايلته الحيوة الفانية غير ان المنية عاجلته فانتقل الى جوار ربه في ١٥ ايلول سنة ١٨٥٥ ثاني عيد الصليب اثناء غيبة البطريرك في اوروبا

وكان السيد عيسى رحمه الله قد دبر ابرشية الموصل وبغداد بغيرةٍ ونشاط

ثمانية عشر عاماً · فكأَنَّ يسوع المسيح انتخب هذا الحبر البارّ ليحمل الصليب ويحمل سعيه بالتجلد على الشدائد والعذابات المعدَّة لمختاريه فبكاه المؤمنون بكاءً مراً واجلسوه علَى كرسيه متشحاً بالحلة الحبرية متقلداً الصليب والعكاز والتاج فتألب الناس على اختلاف مذاهبهم وطقوسهم الى التبرك منه ثم اودعوه قبراً جديدا حفر في المحل الذي اضيف بسعيه الى حصة شعبه من بيعة العذراء الطاهرة على ما مرّ بك

ولما نُعي خبره للبطريرك اغتم عليه شديداً وكتب الى المجمع المقدس ان يقام السيد بلانشه نائباً للابرشية المترملة ريثما يُنصب لها راعٍ جديد · فجعل القاصد مقامه في الدار الاسقفية التي شادها المطران عيسى في خورنة مار توما فأُطلق عليها لقب بيت القاصد الى يومنا · وكان المطران عيسى محفوظ متصفاً بايمانٍ ثابتٍ وطيد خاضعاً للكرسي الرسولي اتم الخضوع · متضعاً صبوراً حليماً دمث الاخلاق سريع الخشوع فالبكاء ولا سيما في القداس الالهي وقت الكلام الجوهري · وروى عنه الثقات انهم كانوا في ذلك الوقت يسمعون شهيقه وينظرون دموعه تتناثر من مقلتيه فيتعظون بمثاله ويبكون لبكائه · واخبرنا احد جماعة المتفصلين وهو نعمان حلاّجة قال : « حضرت قداس المطران عيسى في كنيسة بغداد اكثر من مرة ولدى تلاوته الكلام الجوهري يوماً لمحتُ علَى بدلته هيئة خروف يتلألأ فخدقتُ نظري وتأكدت ذلك ثم اشرت الى الذين بجانبي فشاهدوا مثلما شاهدتُ · وعند نهاية الكلام الجوهري غاب عنا ذلك المنظر » ·

وكان رحمه الله رخيم الصوت جهوريه يلذ سامعيه على اطالة قداسه الحبري

الذهب الخالص

ولما كان البطريرك محتاجاً الى اسعاف لتنظيم البطريركية ونجاحها اخذ يتجول في بلاد فرنسا وبلجكا وهولندا حيث نشرت باللغة الفرنساوية حوادث اهتدائه مع بعض ما ناله من الضيم والعذاب في سبيل الايمان المقدس ورفعت اليه قصائد مديح بالفرنساوية ايضاً

وفي سنة ١٨٥٤ لما كان المرسلون الكبوشيون يسوسون الشرذمة الكاثليكية في الرها انفتح السبيل لانشاء رعية كاثليكية اكبر من السابقة وذلك ان ابرهيم مطران السريان المنفصلين في تلك البلدة اجهر بالكثلكة وقرر الايمان المقدس واستشهد بذلك الله وملائكته . وكان الباعث الى ذلك نفوره من يعقوب بطريركه . فانه كان يطالبه بمائة وخمسين ليرة كان الزم نفسه بادائها للبطريرك لقاء رسامته مطراناً . وكتب الى البطريرك انطون يبشره باهتدائه (١) ولحق باثره سبعون عائلة من رعيته . حينئذ توسط المقدسي يشوع احد وجهاء شعبه وكان وكيلاً لقنصلية الانكليز بالرها وعضده على ذلك اسطيفو مطران الجزيرة فصالحاه مع البطريرك يعقوب فنكث العهود المقدسة واما العائلات المذكورة فلبثت ثابتة . ولما اتصل الخبر بالبطريرك انطون كتب من اوروبا الى السيد بالانشه ان ينفذ اليهم كاهناً ينشطهم ويؤيدهم فارسل كاهناً من تلامذة الشرفة اسمه القس فيلبس بن جرجس عركوس الامدي (٢) اذ كان يحسن العربية والتركية والارمنية الدارجة يومئذ بالرها .

١ رسالته محفوظة في الشرفة بتاريخ سنة ١٨٥٤

٢ وُلد سنة ١٨٢٧ ودخل مدرسة الشرفة سنة ١٨٤٤ وارتسم كاهناً سنة ١٨٥٠

وكان فصيح اللهجة مولعاً بالوعظ · فرحل لوقته ونزل في دار المرسلين وطفق يرشد الناس فطاب لهم وعظه وتعليمه فبالغوا في حبه · فتنغص المقدسي يشوع من هذا العمل وحاول استرداد المتكثلكين الى رأيه حتى استمال اليه احدهم وهذا اجتذب غيره · فعرضوا علَى القس فيلبس ان يلبث لديهم علَى ان يقتبل الاسقفية من بطريركهم ويدفع له المائة والخمسين ليرة · فانذهل من طلبتهم وسئم غلاظتهم ومكر المقدسي يشوع فقال لهم «دعوني اشاور نفسي هذه الليلة وغداً اعطيكم الجواب» ثم انطلق الى غرفته وتأهب للسفر · فلما اصبحوا قدموا اليه ليستصحبوه الى بيعتهم اما هو فنزل الى الكنيسة وقدس كعادته وفي نهاية القداس اتشح بحلةٍ سوداء والتفت يعاتبهم ويعذل الذي افسد نياتهم واغراهم ثم قذفه بالحرم واطفأ شمعةً وكسرها اشارةً الى الحرم حسب عادة اليعاقبة ثم خلع البدلة وخرج وقفل من ساعته الى ديار بكر وتركهم حائرين فعاد اكثرهم الى مذهبهم · ولم يبرحوا حتى اليوم يذكرون غيرته ونشاطه ويذمون الذين نفَّروه (١)

(١) رواية بطرس تفتكجي الامدي خوري طائفتنا في الرها

بالصوت الحي السيد انطون سمحيري · فاستعفى بيد ان الاباء هتفوا قائلين له : لسنا نحن منتخبوك بل الروح القدس · فرغب اليهم اذ ذاك ان يلتمسوا من الحبر الروماني ان يجعل ماردين مركزاً للكرسي البطريركي لانها احسن موقع لسياسة الطائفة ولاجتذاب المنفصلين فصوبوا رأيه · ومن ثم سلم لهم مستعيناً بسيدة النجاة لتساعده عَلَى القيام بالوظيفة وقرّر دستور الايمان كالعادة واستوى عَلَى السدة البطريركية وتسلم عصا الرعاية يوم عيد الحبل بلا دنس ٨ كانون الاول آخر عام ١٨٥٣ في حضور السيد يوسف الخازن بطريرك الموارنة والاساقفة المشار اليهم · وعرضوا ذلك عَلَى الكرسي الرسولي ملتمسين تأييده ثم رغب اباء السنذس قبل تفرقهم ان يسنوا قوانين لانتظام الطائفة فلم يتأتَّ لهم ذلك فعاد كلٌّ الى محله (١)

ورجع القاصد الرسولي الى الموصل مستصحباً بالبادري يوسف كانوتي الدومنكي والتقى وهو في ديار بكر بالبادري يوسف لابورد اليسوعي مرسل مذيات فاخبره بنجاح مساعيه في تلك الرسالة · غير ان ذلك النجاح لم يدم لان البطريرك اليعقوبي وانصاره ولا سيما سفر كبير مذيات ودنحو كبير انحل اثارا شغباً عَلَى المتكثلكين فثقلا مقدار الجزية عليهم وافسدا زروعهم وكرومهم فشبت فتنة في قرية انحل افضت الى اطلاق الرصاص بين الفريقين وعلى اثرها هاجت اغوات مذيات فاضطر المرسل ان يغادرها الى ديار بكر فرافق القاصد الى الموصل

٢٥٦ وخطر للبطريرك انطون ان يسافر الى رومية ليتشح بالباليون

(١) ان اعمال هذا السنذس محفوظة صورتها في القلاية بحلب

الابوي · ولما كان يهمه امر الابرشية الحلبية لخلوها من راع ٍ اعاد النيابة فيها الى السيد يوسف حائك وابقى المطران يوسف سمنة في بيروت يخدم النفوس الى سنة ١٨٥٩ (١)

ولما كان غبطته على اهبة السفر رسم في ٢٣ نيسان سنة ١٨٥٤ الشماس يوحنا معمار باشي الماردیني قسيساً وخصه بكتابة اسراره واصطحبه الى روميه مع بطرس بوسيك الماردیني ايضاً لينجز علومه في بروبكندا · وكانت البراءة البطريركية قد رقمت بامر الحبر الاعظم في ٧ نيسان وظلت لدى المجمع المقدس فلماقدم البطريرك روميه اخذه الكردينال فرنسوني رئيس المجمع بعزٍ واكرام الى قداسة البابا مار بيوس التاسع اذ كان ترجمانه الخواجه متى شهوان الماروني فرحب به خليفة زعيم الرسل وسرَّ باخباره وابرم اليوم الثاني من تموز لاجراء حفلة تأييده واتشاحه بالباليون · وفي ذلك النهار حضر الى قصر الواتكان بعض الكرادلة مع حاشية الحبر الاعظم وتلامذة المدرسة الاربانيه الشرقيين وفي جملتهم التلميذان يوسف داود وبهنام بني الموصليان فالقيت خطب الثناء وعلى اثرها اثبته بيوس التاسع بطريركاً انطاكياً على الطائفة السريانية وايد ما كان قد قرره مع الاساقفة اعني ان يجعل ماردين مقراً لكرسيه وعزمه الى مناولة الطعام معه · واهدي اليه كاساً وصينية من

(١) تثقف ابن سمنة في الشرفة في طورها الاول وصار كاهناً سنة ١٨٢١ وخدم النفوس في مصر اربعاً وعشرين سنة ثم قصد مدينة الرها في سنة ١٨٤٥ حيث اقامه اليعاقبة مطراناً على حلب ودُعي ديونوسيوس عساهم يستولون على كنيستها الكبرى · فلما وبخه ضميره عاد الى حلب تائباً سنة ١٨٤٦ فقبل على ان يتنازل عن الدرجة المختلسة وعن كل حق على كرسي حلب فاخذ يقدس عند اللاتين او في كنيسة مار اسيا واقام هكذا حتى وفاته سنة ١٨٧٠

الباب الثاني عشر

في حالة الطائفة على عهد البطريرك انطون سمحيري الموصلي

الفصل الاول

٢٥٥ نيابة السيد سمحيري — التئام اباء الطائفة — انتخابه فتكريسه
بطريركاً — اهتداء في طور عبدين ٢٥٦ تأييد البطريرك
في رومة — تجوله في اوربا — اهتداء في الرها
ارسال كاهن اليها — نفوره وعودته

٢٥٥ لما نعي البطريرك بطرس جروة للمجمع المقدس اوعز الكرسي الرسولي في ٢٢ اذار سنة ١٨٥٢ الى السيد انطون سمحيري مطران ماردين وديار بكر ان يتولى النيابة الرسولية على الطائفة ريثما يقام خلف لفقيدها وكتب الى الموصل الى السيد مبارك بلانشه (الذي كان اقتبل الرسامة الاسقفية من السيد يوسف اودو بطريرك بابل) ان يتوجه الى دير الشرفة ليحضر سنندس الانتخاب من قبل الكرسي الرسولي . وفي الوقت نفسه كتب رئيس المجمع المقدس الى السيد عيسى محفوظ (١) مطران الموصل يقول ان كرادلة المجمع المقدس القوا نظرهم عليك يتمنون ان تخلف البطريرك بطرس السعيد الذكر: فعند وصول كتابنا بادر الى دير الشرفة حيث يتم الانتخاب والرسامة . فلما اطلع المطران البار

(١) عن رسالة رئيس المجمع المحفوظة في قلاية المطران بالموصل

عَلَى تلك الرسالة ارتاع من ثقل الوظيفة فاجاب معتذراً بحجة شيخوخته والعلة التي حصلت له اثناء الاضطهاد السابق · واعلى الى السيد بلانشه ان ينوب عنه فينتخب السيد انطون سمحيري لوفور حزمه وغيرته وجدارته واخذ السيد سمحيري بالاستعداد فكتب الى اساقفة الطائفة ينتدبهم الى الشرفة فحضروا وقدم ايضاً الخوري جرجس شلحت من مصر لينوب في الانتخاب عن كرسي حلب حسب تفويض سيادة النائب الى الحلبيين وتفويض الحلبيين ابن وطنهم في صك بتاريخ ١٩ تشرين الاول سنة ١٨٥٣ (١) وكان الخوري المذكور منذ عودته من رومية في مصر حيث عاون القس يوسف شمعوتا الموصلي (٢) في خدمة النفوس

اما اباء السّنذس فتم التئامهم في ٣٠ تشرين الثاني وكانوا السيد يعقوب حلياني مطران دمشق والسيد متى نقار مطران النبك وحمص وحماه · والسيد غريغوريوس عيسى محفوظ مطران الموصل بواسطة القاصد الرسولي وكيله · والسيد يوسف حائك مطران بيروت (٣) يتقدمهم سيادة النائب فاختاروا

(١) عن سجل القلاية بحلب

(٢) هو ابن اخي حجو سنبل هجر الموصل وطنه نحو سنة ١٨٢٧ وارتسم كاهناً وخدم النفوس في مصر من سنة ١٨٤٥ الى سنة ١٨٥٢ ثم اقام في ليفورنو واحدة وثلاثين سنة حتى وفاته سنة ١٨٨٣ — وكان لحق باثره اخوان له وانتميا الى الرهبانية الباسيلية للروم الملكيين — وطلبهما اهلهما زماناً فلم يقعوا عَلَى اثرهما

(٣) هو من تلامذة الشرفة اقتبل القسوس سنة ١٨١٤ وتعين لخدمة النفوس في حلب مسقط راسه ثم اقام في دير الزعم الى ان تفرق رهبانه سنة ١٨٤١ وفي اواخرها رفعه البطريرك بطرس جروة الى درجة الاسقفية عَلَى بيروت ودعاه كوارتس فكان يمنح تلامذة الشرفة الدرجات المقدسة · فلما ارتقى القس بولس صعب الحلبي رئيس المدرسة المذكورة الى الاسقفية سنة ١٨٤٥ تعين سيادته نائباً عَلَى حلب ومنها اقبل الى هذا السنذس

القنصلية الفرنساوية ومنها غادر حلب ليلاً ثم توجه الهائجون الى بيعة السريان وكان البطريرك بطرس خائفاً على حياته فتقلد النيشان العثماني لعل الثائرين يحترمونه لكنهم لم يعبأوا به بل هشموه بالخناجر ظناً منهم انه مكسيمس . وللوقت ادركهم نجار طويل القامة اسمه الحاج قاسم فالقى نفسه عليه وهو يقول : ويحكم أتقتلون ولياً وليس هو مطلوبكم فكفوا عنه بعد ان جرحوه واثنين من قسوسه ثم دخلوا الكنيسة وسلبوها وقتلوا رجلاً يقال له فتح الله ياقين وطرحوا الاسرار المقدسة على القاع واضرموا النار والقوا عليها الاخشاب والزيت فاحترقت الكنيسة والمدرسة والقلاّية الكبرى والصغرى والمكتبة وكانت غنية بالكتب السريانية الفاخرة والصكوك القديمة مع دكان وستة بيوت ملاصقة فاضحت هذه كلها تلاً من رماد وامست الجدران كلساً وقدر البعض خسارة السريان في هذه الحادثة فكانت اضرار كنيستهم وقلايتهم ١٤٩٣ كيساً واضرار البيوت والدكان ما ينيف علَى ٢٤٥٤ كيساً اما البطريرك بطرس فحمله احد السقاجية بين حي وميت الى دار للمسلمين حيث عُني الحاج قاسم بتضميد جروحه ثم حُمل بامر مسيو لسبس قنصل دولة فرنسا الى دار المازارية حيث عولج . وعني القنصل المذكور بسائر المجروحين حتى نعته الناس بابي النصارى وأُصيبت بقية الكنائس مثل بيعة السريان الاّ بيعة الموارنة فانها نجت من النهب والحريق ودخل الثائرون البيوت فنهبوا وفتكوا حتى ادركهم العسكر السلطاني فشتت شملهم وانتقم منهم . وبعد هذا قدم والٍ جديد ارسل المفتنين الى العاصمة فعوقبوا

اما البطريرك بطرس فاقام في دار القنصل ثلاثة اشهر حتى تعافى غير ان

جرح قلبه لم يندمل على انه كان مغموماً على ما نُهب وأتلف بالحريق فكان يريد رجلاً ذكياً نشيطاً يسعى في المرمة والتعويض فلم يجد احسن من القس جرجس بن روفائيل بن جرجس شلحت فانفذه الى روميه ليأتيه باسعاف كافٍ لذلك وهو الذي اضحى بعد ذلك مطراناً فبطريركاً وسنأتي بذكر اخباره في محلها ·

غير انه قبل ان يتهنأ البطريرك المسكين بنجاح رسوله عاجلته المنية لان تأثير الهلع نغّصه حتى أُصيب بالفالج وعلى اثره قضي نحبه في ١٦ تشرين الاول سنة ١٨٥١ ودُفن في كنيسة حلب

واشتهر رحمه الله بالعلم والنشاط والغيرة فرمّ دير الشرفة ودير مار فرام الزغم وبيعة حلب قبل ان احترقت وانشأ لها اوقافاً · وصنف كتباً نفيسة منها كتاب مواعظ سماه (الخطب النفيسة عن الله والكنيسة) ضمنه في ثلاثة مجلدات احترق احدها يوم ثورة حلب · وترجم اللاهوت النظري لتوما دي شرمز · وكتاب مرشد الكاهن وكتاب مرشد المستفحصين · وحياة مريم العذراء لمار اوغسطينوس · وكتاب الحياة الالهية والطريق السلطانية · ولشدة ولعه بالطقوس السريانية واجرائها على اصولها كتب شرح القداس لابن الصليبي · وعني بطبع الاشحيم للمرة الثالثة · وكتاب القداس الذي يقال له انافوره والف سيرة عمه ومعلمه البطريرك ميخائيل جروة المثلث الرحمات · وكان على جانب عظيم من الذكاء · وروي عن حذقه مع سرعة الجواب ان بعضهم عاب زرق عينيه وقصر قامته وخفة عارضيه ولحيته فاجابه على الفور: ان السماء ايضاً زرقاء والقلم قصير والمسيح ربنا خفيف شعر العارضين واللحية

عمره في التدريس حتى اضحى كاهناً ثم خورياً في شيخوخة موقرة٠ واما الدار التي في خورنة مار توما فوصل معها مدرسة خورنية وكان المعلم في هذه المدرسة شماساً آخر نشيطاً وغيوراً اسمه الشماس عيسى بن الياس دنبه الذي اضحى بعد ذلك كاهناً باسم القس روفائيل

وكانت ايضاً الجهة الجنوبية من دير مار بهنام الشهيد مهدومة فرمها المطران عيسى٠ وشرع المطران البار يثقف كهنة رعيته في علم اللاهوت فكان القسوس السريان والكلدان يجتمعون مرة او مرتين في الاسبوع بالقس بطرس بر نتار الكلداني تلميذ بروبكندا فيطارحهم مسائل وحوادث ذمية يحلونها خطاً وشفاهاً فاستفادوا وفي زمان قليل تمرنوا في ما عرفه الدارسون في المدارس

وحضر اذ ذاك الى الموصل يعقوب بطريرك اليعاقبة يرافقه اثنان من الاساقفة فارتد بعض الكاثليكيين الى مذهبه ولكن تكثلك غيرهم وثبتوا

٢٥٣ وختاماً للنجاح اختار السيد عيسى شابين لمدرسة بروبكندا وهما يوسف بن داود زبوني من اقارب الشماس جرجس صنغ المار ذكره: وبهنام ابن الشماس عبدالكريم بني مراد وهو ابن عمة يوسف داود وكان الاثنان قد تعلما في مدرسة الطاهرة ثم في مدرسة المرسلين التي انشأها موسيو اوجين بوره العازاري سنة ١٨٤٠ وقرأا الصرف والنحو العربي على القس انطون غالو الكلداني ما عدا ما كسباه من مبادىء اللغة الايطالية فسافر يوسف في ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٨٤٥ وعمره ست عشرة سنة والتقى في دير عين طورا بلبنان بالسيد ولاّ رديل قاصد سورية فارسله الى مدرسة غزير حيث درس مبادىء اللغة اللاتينية حتى طاب السفر بحراً فنزل في آخر ايار سنة ١٨٤٦ في سفينة هوائية

قاصداً رومية ولما بلغ مدرسة بروبكندا انس بتلميذ كلداني من الموصل اسمه جرجس بن الياس بزوعي . واما بهنام بني فلصغر سنه تأخر سفره الى سنة ١٨٤٧ واكبّ يوسف وبهنام عَلَى درس العلوم واللغات بنشاط عجيب فبرعا وامتاز التلميذ يوسف بولعه في الموسيقى وكان يستغرق ساعاتٍ من الليل والنهار للتفقه باللغتين العربية والسريانية حتى نال جوائز العلم والشرف في سنيّ المدرسة الاولى وذاع خبره في الموصل فحدث جدال شديد في طائفتي الكلدان والسريان من سببه اذ كان كلٌّ من رؤساء الطائفتين يدعي بانه من طائفته فخيره رئيس المجمع ان يختار الطقس الذي يريده فاختار الطقس السرياني وايّد البابا بيوس التاسع نخبة يوسف بامرٍ تاريخهُ ٢٧ آب سنة ١٨٥٤

٢٥٤ وبعد هذا قصدت الدولة تجنيد المسلمين في حلب سنة ١٨٥٠ فساءهم ذلك فهاجوا : واتفق دخول مكسيمس مظلوم بطريرك الروم الكاثليك الى حلب بموكب حافل في محلة المسلمين تتقدمه راية الصليب فاستاءوا من ذلك وافرغوا غيظهم في النصارى بفتنة بدأت يوم الخميس ١٧ تشرين الاول . فضُربت الطبول ورُفعت الاعلام وتجمهرت الناس وهجموا عَلَى مخزن اسلحة الحكومة وتقلدوها وامامهم امير اسمه محمد آغا البابلسي بين كانت نسائهم تهزج وتهلهل حثاً لهم عَلَى القتال . وتوجه الثائرون الى محلة الصليبة هائسين وصارخين الله اكبر وكان المسيحيون اقفلوا ابواب الحارات فكسرها الهائجون وطفقوا ينهبون البيوت . وقتلوا نعوم حمصي كبير المسيحيين . ودخلوا كنيسة الروم الكبرى فاذّنوا عَلَى منبرها وكبروا والقوا فيها النار وخرجوا الى القلاّية فنهبوها وذبحوا شماس المطران وطلبوا البطريرك مكسيمس فهرب الى دار

الفصل الرابع عشر

٢٥٢ اهتداء بماردين وملحقاتها — مرسل يسوعي في مذيات — تشييد السيد عيسى دارين ومدارس — تمرين كهنته في علم الذمة ٢٥٣ اختيار شابين لبروبكندا — شهرة احدهما يوسف داود زبوتي — جدال الكلدان والسريان بسببه — حسم المسألة ٢٥٤ شغب المسلمين بحلب — جرحهم البطريرك بطرس — حرقهم كنيسته وداره مع مكتبتها الثمينة — تقدير الخسائر — شفاء البطريرك ارساله الخوري جرجس شلحت الى رومية لجمع اسعاف وفاة البطريرك — اوصافه

٢٥٢ وعلى ايام هذا البطريرك نزع كثير من اليعاقبة الى الكثلكة على يد السيد انطون سمحيري في ماردين ومذيات وغيرها من طور عبدين · وصارت في مذيات مباحثة دينية سنة ١٨٤٦ اهتدى بسببها السيد زيتون جلمه ورضي ان يُدعى المطران زيتون وتبعه جملة عائلات (١) واسطيفان مطران الجزيرة مع القسيسين كوركيس وانطون (٢) وعلى اثر هولاء انتمى الى الكثلكة غريغوريوس عبدالمسيح مطران حمص وحماة والياس شهوان اللبناني ويوسف سمنة الحلبي وكانا قد اخذا الرسامة الاسقفية عند اليعاقبة فقُبلا كقسيسين

وكان السيد تريوش قد ارسل اسعافاً الى ماردين كما وعد فامكن السيد انطون ان يشتري ارضاً جعلها ا مقبرة لشعبه عوض المقبرة المشتركة · واشترى داراً

(١) عن كتاب رسالة اليسوعيين في سورية جزء ١ ص ٢١٨ و ٢٢٣

(٢) رواية اهالي الجزيرة

في ديار بكر جعلها مدرسةً ومسكناً للكهنة ورسم ثم ثلاثة قسوس

وكان السيد بلانشه القاصد الرسولي قد توجه الى الموصل وبعده اقبل المطران زيتون الى ماردين يريد الاعتراف بخطاياه واذ لم يثق الكاثليكيون به عرض حاله عَلَى القاصد المذكور فانفذ البادري لابورد اليسوعي الى مذيات وبرفقته كاهن مهتدٍ اصله من قرية قوب اسمه القس بطرس دانو . واستأجر البادري المذكور داراً في مذيات وفتح فيها مدرسةً . وكان تبّاع المطران زيتون يجهلون طريقة الاعتراف بالخطايا فيناولون القربان المقدس للاطفال والرجال على حدٍّ سوى فارشدهم المرسل وعوّدهم عَلَى اتباع عوائد الكنيسة الكاثليكية حتى تبعهم اناس من القرى المحيطة فخاف البطريرك المشاق من فقد رعيته واستعان بالحكومة فازعجت المرسل والمتلمذين له فلم يفشل بل انفذ القس بطرس الى القاصد الرسولي برسائل واستعان القاصد بالقنصل موسيو پلاس واستحصل اوامر سلطانيةً تشجع بها المرسل فبنى له بيتاً وكنيسةً يعلوها ناقوس . وبتلك الذريعة حمل الناس عَلَى المسارعة الى الهدى وذلك من مذيات واستل وخراب آلي وانحل وغيرها وطلبوا الحماية لئلا يؤذيهم احد

وفي هذا الزمان لما اطمأنّ المطران عيسى في رعيته انشأ في كلٍ من خورنتي الموصل داراً اسقفيةً كما عند اليعاقبة اما في خورنة الطاهرة فكان ذلك عَلَى اثر الدار التي كان الاسقف بشارة يقطنها وضم اليها غيرها من بيوت الوقف ووصل معها مدرستين الواحدة للصبيان والاخرى للبنات وكان المعلم في تلك المدرسة شماساً تقياً نشيطاً اسمه الشماس الياس بن ججو بن فتحي الصباغ وهو الملقب بابن سنبل فتثقف فيها اكثر شبان السريان من الكاثليك واليعاقبة وهذا المعلم قضى

ان زواج مثلك جائز في شرعنا فما الذي يحبسك عنه فطغي المسكين ودنس طهارة الكهنوت وفتح له دكاناً للخياطة ٠ فاغتار نفر من خورنة مار توما واستحصلوا امراً من الحاكم بنفيه الى كركوك فشق عليه الهوان واستغاث بالمسلمين في اربيل فاسلم ونجا من الضرب والنفي ٠ ولما رجع الى بيته وهو مسلم ندم المسببون ثم ندم هو ايضاً فصنَّف مرثيةً لحالته(١) وكان يذم خادعه وما زال على هذا حتى قضى ٠ وعوتب القس اسطفان علَى عمله فكان يجيب انه حضره في ساعة وفاته وسمع اعترافه وزوّده بالاسرار المقدسة ٠

وكتب المطران يعقوب الى بطريركه انه خسر دعوى كنائس الموصل فلم يقطع امله منها بل سافر لوقته الى العاصمة وشرع يتملَّق ويحاول الاستيلاء عليها حتى نال امراً بكتابة فرمان في حقه سرّاً ٠ غير انه بتدبير رباني اتصل الخبر بالخواجه قسطاكي الصراف صديق السيد عيسى وكشف الدسيسة للصدر الاعظم اذ ذكَّره بما جرى سابقاً في هذا الشان فطالع السجلات وتحقق ما قاله الوكيل فخزق الفرمان المختلس وطرد المشتكي بخاب ٠ وكتب الوكيل الى السيد عيسى يخبره كيف اكتشف على الدسيسة ففضحها وابطلها فشكر له المطران صنيعه واقتضى للخواجه توما كساب صهر الخواجه حنا بني ان يسافر الى العاصمة فاخذ معه هدايا نفيسة لعائلة الوكيل المحسن ٠ وعاد البطريرك الياس وترك المطران يعقوب وكيله فاشترى لطائفته داراً صغيرة جعل قسماً منها بيت صلوة ومحلاً لمطبعة واقام هناك يطبع كتيبات كرشونية لتعليم الاحداث ٠ اما

(١) روي انه كان يقول في مرثيته لنفسه : كنت قسيساً وشماس بيدي الصينية والكاس جاءني المخزي بالوسواس اخذ عقلي ومرمرني

البطريرك الياس فبعد عودته الى ماردين بقليل توفي سنة ١٨٤٧ فاقبل المطران يعقوب وكيله ونُصب خلفاً له ٠ وكان يجامل الناس حتى اعلن باحترامه للحبر الروماني وصدق بختمه صورة الايمان التي لسالفه البطريرك جرجس الثـالث الموصلي ٠ ولما عاتبه بعضهم اجابهم ان في صدري اثدية كثيرة تحوي انواعاً من الحليب ومنهـا أُرضع كل احد حسب شاكلته فاستملك زماني ٠ وانفذ اليه البابابيوس التاسع رسالة حبيَّة يدعوه الى المجمع الواتكاني فأوشك ان يذهب لو لم يمنعه البعض من اخصائه

اعملوا بها واما احرقوها . واراد ان يلغي اعياداً وعوائد قديمة فسخطوا عليه وجادلوه حتى سعوا في ابعاده واخرجوه نفياً الى العمادية وبعد خمسة اشهر عاد الى الموصل ولبث عَلَى هذا الى وفاته سنة ١٨٥٩

ثم قدم الموصل مطران ملباري اسمه كوركيس كان قد تشرّب تعليم الابروتستنت فخدعهم وحملهم عَلَى احتقار الصور المقدسة ورفعها من كنائسهم كأنها اصنام الوثن فنزعوها من جدران كنائسهم وابقوا امثالها في معابدهم في القدس وماردين وفي كتبهم وعَلَى رخام كنائسهم

ولنرجع الآن الى اخبار السيد انطون سمحيري فانه اقام بديار بكر نحو اربعة اشهر ولما امن عَلَى نفسه نزل الى الموصل سنة ١٨٤٩ لزيارة اهله ووصل الى بغداد يلتمس توصيات من واليها الى حاكم ماردين ليساعده عَلَى الاقامة في ابرشيته بحرية واغاثه في ذلك السيد لورنس تريوش القاصد الرسولي ونائب قنصل فرنسا وكان هذا القاصد على اهبة السفر الى اوروبا فوعد السيد انطون انه اذا وصل الى بلاده يمده باسعاف لابرشية ماردين المفتقرة

اما السيد عيسى فاقام القس انطون حبش نائباً عنه ونزل الى افتقاد رعيته البغدادية وكانت عودة السادة الثلاثة الى الموصل معاً ورافقهم رابع وهو السيد باسيليوس اسمر التلكيفي مطران ديار بكر فلما دنوا من قرقوش خرج المؤمنون الى دير مار بهنام للقائهم ومن هناك توجه السيد عيسى الى الموصل والبقية الى دير الربان هرمزد حيث حضروا مجمع الرهبان الكلدان . ثم انتقلوا الى ماردين وانطلق السيد تريوش الى روميه

اما البطريرك الياس عنكز فانه من بعد قسمة كنائس الموصل المرة الثانية

انتقل الى ماردين فلما بلغه ان محمدا باشا حاكم الموصل قد مات : امل في نيل بغيته : فانفذ يعقوب مطرانه وكان من قلعتمرا الى العاصمة ليجدّد دعوى كنائس الموصل مستعينا ببطريرك الارمن فرفع عرضاً الى الباب العالي يريد استعادة تلك الكنائس ودُعي وكيل المطران عيسى الى المحاكمة فاحتج ان الكنائس المذكورة قُسمت باعلام من الشرع مبني عَلَى فتوى المفتي · فحوَّل الصدر الاعظم الدعوى الى باب المشيخة فقال شيخ الاسلام انه لا يجري الحكم الا ان يسمع الدعوى مجدداً من اربعة يشهدون بما يطبق على الفتوى · ولدى وصول هذا الخبر الى الموصل عني الكاثليكيون بارسال اربعة من العلماء وضمنوا مصروف سفرهم ذهاباً واياباً · ورافقهم القس يوسف زرازير من قبل الكاثليكيين لتضلّعه بالتركية والقس اسطفان (١) دواسه عدو المطران عيسى من قبل اليعاقبة

فلما وصل الوفد الى القسطنطينية وادّوا الشهادة ايد شيخ الاسلام الحكم السابق باعلام منه ايضاً ·

غير ان هذا الفوز اضحى وبالاً عَلَى القس يوسف فان معاشرته غير قومه افضت به الى سلوك ذميم عابه فيه كثيرون حتى كتب اليه المطران عيسى من بغداد نصائح ابوية وناشده « ان يعدل عن طريق بابل الشقية » فلم يستفد من ذلك بل ازداد عتواً وسبب عثاراً : فذهب اليه القس اسطفان مومًا اليه مملقاً وشرع يذم الكاثليكيين ومطرانهم لعله يستميله الى عقيدته حتى قال له :

(١) هذا كان قد تكثلك ولما طلب من المطران عيسى دراهم ليتاجر بها ولم يعطه رجع الى اليعقوبية ساخطاً

ثم سافر القس والركا الى العجم وركادونا الى لبنان في اواخر سنة ١٨٤٤ وانجز البناء فمالت الناس الى المرسلين ولا سيما اهالي القرى

وفي خلال ذلك جرت عَلَى يد الخواجه حنا ترجمان القنصلية ونائبها مساعدات جمة للنصارى والمسلمين والله يعلم كم خلص من الحبوس والمظالم ومن العسكرية تلك محاسن ومآثر يلهج بها اهالي الموصل الى اليوم وها اننا نورد منها حادثتين

الاولى : لما شن اسماعيل بك حاكم بلد راوندز الغارة على البلاد العثمانية سنة ١٨٣٤ ضعضع عسكره نصارى الجزيرة وازخ والقوش ونهبوا اديرتهم وبيعهم وسبوا من قرية ازخ خمساً وعشرين امرأة وساقوهن في فصل الشتاء الى الموصل حيث جمعوهن في خان وعرضوهن للبيع بالمزاد فبذل الترجمان الشهم همته وسعى لدى القنصل الجنرال ومسيو ويتال في اعتاقهنَّ

الثانية : تكثلكت ابنة من اهالي العمادية اسمها شموني سنة ١٨٤١ ولجأت الى اربيل حيث شغف بها عالم من المسلمين فانكرت عليه مراودته فسخط فاوقف عَلَى باب شموني امرأة مسلمة تقول : انا شموني وقد عشقت الاسلام فنال العالم المزوّر اعلاماً من القاضي في اسلامها · واذ كذبته اذاقها الحبس والجلد والجوع فهربت في ٨ حزيران ولاذت بالخواجه حنا اذ كان شريف باشا حاكم الموصل متغيباً لاخضاع العربان فدافع الترجمان عنها وقاومه المتسلم استناداً عَلَى الاعلام وهيج مسلمي الموصل على الترجمان رغماً عن اوامر الحاكم باطلاقها ولكن ناصرها لم يفشل بل استحصل اوامر من علي باشا والي بغداد ومن الباب العالي فخلى سبيلها في ١٥ تشرين الاول وردها الى اهلها

وفي تلك الايام اخضعت عساكر الدولة اغوات العمادية فساغ للمرسلين ان يقيموا في دير مار ياقو (يعقوب) فبناه البادري ماركي والبادري مارچاي سنة ١٨٤٨ اذ كان قنصل الموصل موسيو لورجويل

وبعد اشهر توفي السيد تريوش خليفة القاصد كوپري فسمى الكرسي الرسولي البادري مارچاي قاصداً فسافر برفقة موسيو بوره فأقيم بوري رئيساً عاماً على العازارية وتوفي مارچاي في ديار بكر وأقيم عوضه الاب مبارك بلانشه اليسوعي فتوجه الى الموصل برفقة البادري يوسف لابورد سنة ١٨٤٨ وبعد قدومه اقبل الى الموصل الاباء المرسلون باوزا الذي صار بعد ذلك كردينالاً ومطراناً لفلورنسه وكرنياني ميچيكي ومالسانو · وادركت المنية احدهم في دير مار ياقو سنة ١٨٥٠ وكان رفقاؤه معتنين في المدارس والاب ماركي يتجول في قرى كردستان والتيارية ولبثوا كذلك خمس عشرة سنة الى ن بدل رئيسهم العام الاب جنديل الرهبان الايطاليين بفرنساويين نذكر منهم الاباء ليجه وترنيل ولاون الذي أقيم بعد ذلك قاصداً لما بين النهرين · ودوفال الذي صار بعد ذلك قاصداً اسورية

٢٥١ وكما انتشلت الطائفة السريانية من الجهل والبلبلة بانضوائها الى البيعة الجامعة واخذت تتفقه بالعلم والانتظام : حدث عكس ذلك لبقية شعبها الذين اصرّوا عَلى البقاء في حالة الانفصال فانهم مالوا الى الشيعة البروتستانية ففقدوا تقليداتهم الابوية والطقسية · وفي جملة المخدوعين نورد ما حدث في الموصل لمفريانهم بهنام ابن فيرقه فانه اخذ يعاشر البروتستنت حتى مال الى عقيدتهم فكان يعير شعبه قائلاً : أليس ان كتبكم تشهد لمعتقد الكاثليكيين فاما

وثلاثين سنة واشترى المحل الذي كان المطران جبرائيل حمصي قد نوى ان يجعله كنيسة واسس فيه ديراً صغيراً وكنيسة · ثم انتقل الى خربوط وحصن منصور والبيرة (بره جيك) وغيرها حيث فتح محلات للمرسلين · ورجع الى الرها وطفق يطبب الناس مجاناً فاحبته الناس ومالوا اليه وما برح الرهاويون يلهجون بمديح البادري الى اليوم حتى دعوا كنيسته باسمه كنيسة انجلو

غير ان الخير المؤمل من المرسلين كان ضرورياً في الموصل وملحقاتها اكثر مما في سائر بلاد ما بين النهرين · ومع ذلك كانت خالية منهم على انه منذ بارحها البادري كومبانيلي سنة ١٨١٥ لم يقصدها غيره الى سنة ١٨٤٠ لسبب الثورة في اوربا فكان محلهم تحت نظر السيد كوبري مطران بغداد اللاتيني الى ان سعى الكردينال فرنسوني رئيس مجمع نشر الايمان في نصب قنصلية فرنساوية في الموصل فسمي الموسيو بوتا سنة ١٨٣٤ وجعل الخواجا حنا الشاب ابن عبدالكريم بني كبير السريان ترجماناً له لشهرته بالنشاط والذكاء وطلاقة اللسان والجراءة · ففتح بيته لضيافة السفير الفرنساوي الذي قصد تفقد بغداد وملحقاتها · ولما انقضت مدة موسيو بوتا في القنصلية وكانت سبع سنين عزم على مبارحة الموصل وسمي ترجمانه المذكور نائباً قنصلياً فقام بوظيفته احسن قيام الى سنة ١٨٤٨ اذ كان في معضلات الامور يراجع قنصل بغداد الجنرال ويشاور ضيفه موسيو ويتال سرتيج قنصل العجم الخبير باللغة العربية وبالفقه الاسلامي · ثم تعين خلفاً لموسيو بوتا فانطلق الى الموصل ونزل في دار الخواجه حنا

وكان الكردينال فرنسوني من بعد نصب القنصلية في الموصل طلب من رئيس الاخوة الواعظين العام ان يوفد نفراً من رهبانه الى الموصل فسافر اربعة

منهم مات احدهم بالوباء في بيروت وثانيهم عند وصولهم الى الموصل . اما ثالثهم فضجر وعاد الى اوربا فظل البادري انطون مارچاي وكان يجهل لغة البلد . وبين هو محتار اذا بموسيو اوجين بوره العازاري حضر لمساعدته عائداً من العجم ثم قدم البادري بولس ريكادونا اليسوعي من لبنان والقس يوسف والركا وكان يحسن التكلم باللغات الشرقية . ففتح بوره مدرسة واشترى لها داراً وهي التي اعطاها بعد ذلك لرهبان الكلدان فملكوها الى اليوم . واثناء ذلك قدم الى الموصل اثنان من رهبانية الواعظين وهما البادري يوديجي للموصل والبادري اوغسطين ماركي لكردستان واخذا في ١٤ حزيران سنة ١٨٤٤ يوسّعان دار الرسالة . ورأَى المسلمون ان قد وردت الى المرسلين صناديق شمعدانات بيعية فتشاوروا قائلين: الا ترون ان الفرنج يبنون قلعةً لحصار البلد وفي صناديقهم اسلحة ؟ فلا بد من ان يأتينا عَلَى اثرها عسكر فرنجي للقتال . فهاجوا وماجوا وتحمسوا ولا سيما لانهم كانوا ممتعضين من استرداد النصارى ابنةً ارادوا اكراهها عَلَى الاسلام كما سنرى . فتجمعوا وهجموا عَلَى دار المرسلين ونقضوا بناءهم وخزقوا كتبهم واحرقوها . فهرب المرسلون واختفوا ما عدا القس يوسف والركا فانه تأخر ليتناول القربان فانقض الهائجون عليه وجرحوه بالخناجر . وقصد بعضهم ان يقتلوا القنصلين والترجمان معاً غير ان اغوات البلد استدركوا الخطر وسوء العاقبة وكانوا عمر آغا التفنكجي باشي واحمد آغا الذي من محلة باب الجديد وحسين آغا بيرقدار وسليمان آغا الذي من محلة باب البيض فجمعوا عشائرهم واقبلوا باسلحتهم وانقذوا المجروح وهدأوا الثائرين فاضحوا اصدقاء للمرسلين من ذلك اليوم . وما عمت الاخبار ان عرفت في العاصمة فوردت الاوامر في معاقبة المهيجين فعوقبوا .

به كنيسته وشيد بجانبها داراً اسقفية واضاف اليها اوقافاً · وعلى اثره سافر المطران متى نقار ايضاً وتجول بين مومني اوربا وطبعت اخباره بالفرنساوية فجمع اسعافاً لنفسهِ ولمرمة دير مار موسى الحبشي بالنبك ·

ولما كان السيد يعقوب حلياني في حاجة الى كهنة عاملين أُرسل اليه من دير مار افرام الشماس فيلبس الموصلي ابن عبد الاحد قزّازه فاقامه كاهناً واستخدمه في ابرشيته فاضحى محبوباً لدى الشعب السرياني والملكي لجزيل تقواه

واحتاج المطران عيسى ايضاً الى كهنةٍ للموصل ولبغداد فانفذ اليه البطريرك القس جبرائيل الحلبيّ والقس بطرس طوبال الآمدي فاقاما في الموصل · وارسل اليه المطران انطون سمحيري القس روفائيل جرخي الماردي فعينه المطران عيسى الى بغداد وهو الذي اضحى بعد حينٍ مطراناً لها لما انفصلت من ابرشية الموصل

وكان كاثليك بعشيقا متضايقين من خصومهم فعُني اسحق قسيسهم وبمساعدة القاصد الرسولي شاد لهم كنيسةً على اسم مريم العذراء وتركوا حقوقهم في الكنيسة القديمة لخصومهم ·

اما البطريرك بطرس جروه فلم يزل مجداً في نمو الطائفة حتى ساقه الشوق الى العناية بكاثليك مدينة الرها لانها مركز بلاد السريان ومثوى مار افرام الملفان الشهير وضريحه · وكان قد اهتدى نفر من سريانها على عهد البطريركين اندراوس وميخائيل كما قدمنا ثم ارتدّوا الى اليعقوبية لسبب كوارث الزمان ومنذ ايام المجاعة سنة ١٨٢٤ انضوى اليها جملة عائلات من ماردين والموصل وغيرها : فانفذ البطريرك بطرس اليها نحو سنة ١٨٤٥ شكرالله بن توما يغمور الحلبي الذي كان قد اقامه كاهناً سنة ١٨٢١ ودعاه اندراوس لكي يسوس

الكاثليكيين و يجتذب المنفصلين الى حضيرة الكنيسة الكاثليكية · فاقام فيها بضعة اشهر ولما استصعب التكلم بالتركية والارمنية ادركه الملل والضجر فعاد الى وطنه · فانفذ البطريرك عوضه المطران اثناسيوس جبرائيل حمصي سنة ١٨٤٦ (١) فاستأجر داراً قريبة من موقع الكنيسة الحالية وعزم ان يشتري محلاً يشيد فيه كنيسة ولكنه مل ايضاً وعاد الى حلب قبل ان يضع اساساً راسخاً

٢٥٠ وفي نحو سنة ١٨٣٨ قدم الى الرها اربعة اباء كبوشيين يصحبهم اخ من رهبنتهم تحت رئاسة البادري انجلو ودخلوها باسم سياح واستأجروا داراً لحسين آغا فاقاموا فيها خمس سنوات يرشدون الكاثليكيين وكانوا نحو خمس عشرة عائلة · فاستاء اليعقوبيون من ذلك وهيجوا عليهم اميراً يقال له بابكي آغا فآذاهم زماناً حتى بضرب الرصاص الى ان جاءه توبيخ من القناصل الذين بحلب وتهديد من الدولة · ثم انه اسلمت ابنة يعقوبية فاستنجد اهلها بالبادري انجلو واعدين الانتماء الى الكنيسة الكاثليكية فحاول المرسل وسعى في امرها حتى تسلمها عَلَى ان تبقى عنده ثمانية ايام ليمتحن ثباتها وقبل الاجل المسمى سخط اليعاقبة وهجموا عليه بالسلاح يريدون البنت فقبضت الحكومة عَلَى خمسة عشر منهم وعَلَى قسيسهم واودعتهم السجن فاقاموا فيه اياماً الى ان حنّ قلب المرسل فاطلق القسيس ثم رفقاؤه بعد ان ادّبتهم الحكومة

ثم تفرق المرسلون · فاثنان قصدا ماردين وقتما كان الكاثليكيون فيها يتناوبون الحفلات الدينية وقصد البادري يوسف القسطنطينية ليستحصل فرماناً في شان الرسالة وتوفي في طوقات · واقام البادري انجلو في الرها نحو خمس

(١) ارتسم مطراناً سنة ١٨١٤ بيد البطريرك سمعان وقبل بحضور غريغوريوس بطرس بطريرك الارمن ومطرانين ارمنيين والمطران بوليوس انطون الامدي

الفصل الثالث عشر

٢٤٩ انتظام الابرشيات — محاولة ضبط كنائس حلب ودمشق — سفر البطريرك بطرس عودته — رسامة مطارين — سفر المطران حلياني — تجوله باوربا — رمه القلاية والكنيسة تجول المطران متى نقار — همة البطريرك بطرس بالرها ٢٥٠ قدوم مرسلين — نفوذهم قنصلية فرنساوية بالموصل — ترجمانها حنا بني — لمحة في مرسلي الموصل — شهرة حنا بني ٢٥١ ميل المفريان الى البروتستانية — نفيهُ — احتقار شعبه للصور بايعاز مطران مليباري — سفر اربعة اساقفة — رسول البطريرك الياس — ارادة شيخ الاسلام استماع الشهود سفرهم — تأييد ما حكم به محمد باشا — شرود القس زرازير باغواء القس يلدا — تخزيق فرمان — وفاة البطريرك الياس — تخلف يعقوب — تصديقه صورة ايمان سالفه السابق — جوابه لعاذليه

٢٤٩ وعلى اثر فرمان الاستقلال وتحرير الكاثليكيين من عبودية الميشاقية شرع البطريرك بطرس واساقفته يسوسون رعاياهم بنشاط واخذوا يتهنأون باخبار الاهتداء في كل انحاء الطائفة على ان السيد انطون سمحيري تايد راعياً لماردين وديار بكر وما يليهما . والسيد عيسى للموصل و بغداد وجزيرة قردو وملحقاتها . والسيد يعقوب حلياني لدمشق وراشيا وتوابعهما . والسيد متى نقار للنبك وقريتيم . وعزم ان ينصب غيرهم تكميلاً للعدد فرقى روفائيل حائك الحلبي الى درجة الاسقفية راعياً لبيروت سنة ١٨٤١ ودعاه يوسف (١)

(١) رسم قساً سنة ١٨١٤ وخورياً سنة ١٨٢١

وفي تلك الاثناء وصلت الى سورية الاخبار بان الياس بطريرك اليعاقبة يحاول في القسطنطينية الاستيلاء على كنائس السريان التي بحلب ودمشق فاستدرك البطريرك بطرس الامر واستحصل شهادات قوية من حكومة حلب واعيانها بان كنيستها بقيت للسريان لان جميعهم تكثلكوا واوعز الى المطران يعقوب حلياني ان يدبر كذلك من اجل كنيسة دمشق وضواحيها ففعل. وسافر البطريرك باوراقه الى عاصمة المملكة سنة ١٨٤٣ مستصحباً القس روفائيل جروة ابن اخيه ورفعها الى الباب العالي مسترحماً فرماناً لتأييد الحقوق المذكورة ولبث ينتظر صدوره. وبلغه وهو هناك ان كتاب القداس السرياني تمَّ طبعه برومية في تلك السنة نفسها فشكر المجمع المقدس والتمس طبع كتاب الاشحيم ايضاً للمرة الثالثة والحق التماسه بشهادةٍ تاريخها سنة ١٨٤٤ بان ذلك الكتاب يحوي الفرض الاسبوعي للاقليرس السرياني. غير ان الطبع تأخرت سنين اعني الى ما بعد وفاة البطريرك. وصدر اذ ذاك الفرمان المطلوب وتاريخه آخر شهر ربيع الثاني سنة ١٢٦١ هجرية ومع الفرمان نال النيشان العثماني من كرم السلطان. وكانت عودته الى الشرفة رأساً حيث منح بعض التلامذة درجات الشمامسة. وفي ٣١ آب سنة ١٨٤٥ رقى الخوري جرجس بن ايليا صعب الحلبي الى الاسقفية عَلَى طرابلس ودعاه اقليمس بولس واقامه رئيساً على الدير وكان الموازرون له في الرسامة السيد يوسف حائك السرياني والسيد انطون الخازن الماروني. وانتقل الى حلب.

وتوجه السيد يعقوب حلياني ايضاً الى العاصمة باوراق شهادةٍ من حكومة دمشق فنال فرماناً حسب رغبته ثم قصد رومية ففرنسا وغيرهما ونال اسعافاً رمَّ

اعلامات من محاكم الشرع المحلية فتوقف تدبير الخصوم لعدم امكان ذلك

ولما تمت كتابة فرمان المطران تسلمه واجزل الشكر لله وللمحسنين وكرّ راجعاً · غير انه قبل ان يتوغل في مسيره ذاعت الاخبار تنعي السلطان محمودا وتبشر بمبايعة الملك للسلطان عبد المجيد ابنه فانقلب المطران الى العاصمة ونال ان يوقع اسم السلطان الجديد علي الفرمان وعاد الى سفره

وفي اثناء ذلك كان الخصوم في الموصل يذيعون ان المطران قضي عليه بالنفي وان السلطان القاه في البحر · هذا ولما كان الكاثليكيون يقضون صلاتهم في المحل الذي يقال له الزابوق ويدفنون موتاهم في الساحة التي قدامه (ويقال لها حوش البيعة) لان البطريرك خصمهم منعهم من الدفن في فناء البيعة : وشى بهم هذا الخصم الى المتسلم بكونهم استباحوا دوراً هي وقف البيعة واستحدثوا لهم بيعة فيها بدون رخصة الحكومة · فرفع المتسلم الدعوى الى محمد باشا فدعا الفريقين الى المحاكمة فانكر الكاثليكيون زعم الخصم اعني وجود وقف باسم البيعة لانه لا يصح في الشرع : وقالوا انما تصرفهم هو في بيوت موقوفة من كاثليكيين باسم فقرائهم واثبتوا مقالتهم بشهادة تواتر ادّاها المشايخ من نصارى ومسلمين واسندوا جواز ذلك الى فتوى استحصلها جبرائيل رحماني الصائغ من المفتي فابكم الخصم · اما البيعة التي زعم الخصم بان الكاثليك استحدثوها فانفذ الباشا ابرهيم افندي ليتحققها فرأى الزابوق وسأل الخصم : اين الكنيسة التي قلت عنها · فأشار الى الزابوق وقال هذه هي · فاغتاظ وبصق بوجهه قائلاً : اما تستحي من الكذب وانت بطريرك ؟ اني لا ارضى ان اربط فرسي في هذا المكان الضيق وانت تسميه بيعة ؟ واخبر الباشا بذلك فطرد المشتكي

وفي تلك الغضون وصل المطران عيسى الى رعيته في آخر كانون الثاني سنة ١٨٣٩ وذهب توّاً بفرمانه الى الحاكم فقرأه وسرَّ به وامر بتنفيذه سريعاً فبنيت حيطان القسمة واشترك بالعمل الرجال والنساء بحضور المطران والبطريرك خصمهوا كابر الشعب ونواب الحكومة · ولما وصلوا بالحائط الى ارتفاعه السابق التمس بعض الكاثليكيين من الباشا ان يسمح برفعه الى السقف منعاً لتصويت الخصوم كالسابق فسمح وانقضى الشغل كله مدة الليل لانه كان عيد دخول المسيح الى الهيكل واشترك في العمل الكلدان ايضاً لفرحهم · قيل ولفرح العملة جبل بعضهم الجص بالعرق · ولدى انتهاء العمل استمد المطران من الباشا ان يسمح له في توسيع حصته من البيعة بقطعة يأخذها من تحت الزقاق وباقامة تختبند من خشب لجلوس النساء فسمح ايضاً وانقلب عنكز الى ماردين خائباً · ثم احتاج شعب اليعاقبة ان يرمّوا حصتهم من بيعة مار توما والتمسوا من المطران عيسى ان يكون ذلك بقوة فرمانه ففعل فتعجبوا من حلمه ومجاملته · وبالفرمان نفسهُ رمَّ الكلدان ايضاً بيعة مار اشعيا ثم بيعة مسكنته

ويعدهم بالرجوع الى حقوقهم سريعاً فلما سمعوا ذلك فرحوا وحصلوا في امل · ولكي يتحققوا كلامه اشاروا على مطرانهم ان يقصد الحاكم بنفسه فذهب اليه مع اثنين منهم · ولما دخلوا عليه تكلم المطران بتذلل وغلبه البكاء فقال :

تعلم سعادتكم اني طلبت السلام دائماً ولم ازعج راحتكم قط بل احتملت اذى هذا البطريرك مع انه ما زال يجفوني منذ عدة سنين · فاسمحوا لي ان اذكركم بالفتوى وبعهودكم وانصافكم · قال هذا وغص بالبكاء · وكان الباشا يسمع قابضاً على لحيته غيظاً من عنكز لانه حقر تدبيره حتى امر المطران بالجلوس فجلس وفيما هو يمسح دموعه روّعه الباشا وقال له بصوت منخفض اعلم يا باباس ان عنكز اهدى اليّ سبعين الف غرش فاصبر قليلاً حتى ابلعها وفي نهاية السنة تتسلم كنائسك : فعليك بالمصير الى الباب العالي سريعاً ·

قال هذا وكتب له توصيات قوية · واوعز الى ابرهيم افندي ايضاً ان يكتب له الفتوى والاعلام مع بينات جديدة وفي ايام قليلة تحررت فتسلمها شاكراً · وطارت البشارة الى وجوه الشعب فاستأجروا مركوبين الواحد له والثاني للقس يوسف زرازير اختاروه لمرافقته لانه يحسن التكلم باللغة التركية · ومنذ وصول المطران الى داره اركبوه وخرجوا يشيعونه بتاريخ غرة شباط اذ كانت الدنيا باردة والسماء تمطر الرذاذ ولما وصلوا الى باب سنجار جمعوا له زهاء المائة والخمسين غرشاً لمصروف طريقه فتسلمها وباركهم وسار متكلاً على العناية الربانية مستغيثاً بمريم العذراء · ولدى وصوله الى العاصمة حل ضيفاً في بيت صديقيه الخواجات قسطاكي ونيقولاكي الصرّافين في الباب العالي · وقص عليهما ما جرى له فسألاه : بكم من المال اتيت للمصروف : قال ان مصروف سفري كان

صدقة بالكاد كفت لوصولي · قالوا : ان البطريرك عنكز انفق من اجل فرمانه خمسة واربعين الفاً وانت تريد قضاء مسألتك مجاناً فأبكم وطفق يبكي ودموعه تتساقط عَلَى لحيته وقال بصوت منخفض : قد القيت همي على الرب وما لي سواه من نصير · فقامت سيدات العائلة وقبلن يده قائلات عَلَى مَ البكاء : نحن ورجالنا فداك وكذلك قال الرجلان وقاما الى العمل فقدما اوراق المطران الى الوزير الاعظم وكلماه كلاماً حمله عَلَى الشفقة وبواسطته رفعا الى السلطان عرضاً يحوي المسألة · ثم صرفا من مالهما وسعيا كثيراً حتى صدرت الارادة الشاهانية بكتابة فرمان قوي اللهجة يأمر بقسمة الكنائس واوقافها كما قسمها حاكم الموصل · ويرخص للكاثليكيين ان يهدموا ويرمّوا ما يشاء مطرانهم بحريته · غير ان كتابة الفرمان تأخرت لان اعلام قاضي الموصل لم يكن مختوماً بالختم الرسمي (وكان قد بديء بالعمل به في ذلك الزمان) ولهذا أُرجع الاعلام الى الموصل فختمه ابراهيم افندي وردّه بالبريد الى القسطنطينية · ثم تأخر الشغل لسبب آخر كتب المطران عنه الى خواجات الطائفة حنا بني وتوما كساب والمقدسي بطرس قليان بتاريخ ٢ آب سنة ١٨٣٨ (١) و وحدوث حريق في بيك اوغلي شهده ابن ملك فرنسا اذ قدم الى العاصمة لغاية التنزه واحترق فيه اربعة آلاف بيت في مدة ثماني عشرة ساعة ووصل الى البيت الذي كان المطران نازلاً فيه · وفي كتابه اوعز اليهم ان يرفعوا شكرهم الى الخواجات الساعين في نجاحه · واخبرهم ان البطريرك المخاصم ومفريانه حاولا استحصال فرمان لضبط كنائس حلب ودمشق وغيرها فتعذر ذلك لطلب الباب العالي

(١) رسالته محفوظة في القلاية الاسقفية في الموصل

زاعماً انه افسد النصارى بدين الفرنج وفتح محلاً للصلوة بدون رخصة وكان ذلك اثناء صوم رمضان فهاج رعاع المسلمين وطلبوا المطران البارّ ليقطعوه ارباً ارباً فلما بلغه خبرهم هرب الى كنيسة الكلدان لقربها من محله واختفى تحت مذبح القربان المقدس وهو يقول يا ربنا يسوع المسيح ها اني لذتُ بحمايتك فخلصني ولحق المسلمون باثره حتى دخلوا الكنيسة المذكورة وبحثوا عنه فلم يجدوه فرجع كلٌّ الى شأنه فلما بدأ الليل قام من مكانه وسجد للقربان بخشوعٍ شاكراً ولمع فقيراً من المومنين فتردّى بثيابه الرثة وقصد داراً قريبة من السور ومن غدٍ دبر تدبير بولس الرسول في دمشق (قصص ٩ : ٢٥)

فاستاجر المومنون له ثلاثة شبانٍ امناء لياخذوه الى ديار بكر فتسلحوا وسبقوه مساءً الى قارعة الطريق وفيما كان المسلمون منشغلين بفطورهم تدلى بالحبال الى خارج السور وسعى الى الطريق فسار برفقة الشبان الليل كله حتى قطعوا تخوم ماردين وزال عنهم الهلع وكان وصولهم الى ديار بكر مساءً ودخل المطران الى بيت الخواجا توما ابن الشماس ججو الموصلي فلم يعرفه اهل الدار حتى سلم واسمعهم صوته فدُهشوا من حالته وبكوا وشكروا الله على سلامته

٢٤٨ وفي خلال ذلك كان البطريرك الياس قد كتب الى بطريرك الارمن مستظلماً عمل حاكم الموصل بقسمته الكنائس · ولما افلت المطران انطون من فخه اقام للموصل مفرياناً من بيت سعيد اسمه بهنام بن فيوقه واخذه مع نفر من الرهبان الى القسطنطينية سنة ١٨٣٨ وبمساعدة بطريرك الارمن رفع عرضاً الى السلطان فيه سمى كنائس الموصل وقراها باسمه دون ذكر حق للكاثليكيين فيها فنال فرماناً في ذلك وانقلب الى الموصل ودخلها يوم الاثنين

اوّل صوم الباعوثة بموكب حافل من قوّاسين وجمهور الناس وقصد محمد باشا وقدم له فرمانه فلما تصفحه احتدم غضباً اذ اعتبر عمله تحقيراً لما كان قد ابرمه بتاً قطعياً لمسائله المملة · فانتهره قائلاً : انك استغفلت الدولة واستحصلت هذا الفرمان فخافه البطريرك وطفق يتذلل مسترحماً حتى وعده بدفع سبعين الف غرش هديةً اذا نفّذ له الاوامر · ولما رجع الى القلاية ابتدأ بجمع المال وبعث اليه به يوم الثلاثا فلما تسلمه انفذ جنوده فطردوا الكاثليكيين من الكنائس وبدأوا بهدم حيطان القسمة · فاغتم المطران ورعيته وبادر فحمل حقّ القربان المقدس في عبه مخاطراً بنفسه ولما جاء ليخرج صادفه احد الاضداد واسمه نعمان العقراوي فلطمه لطمة قوية رضّ بها رقبته وخلخل اسنانه فاندفق الدم من فمه فلم يجبه بكلمة بل مضى بالقربان الى محل امين صابراً دون ان يقطع صلاته ثم رجع الى ضاربه فباركه ودعا له خيراً فتعجب الناس من حلمه · وكان اليعاقبة يهدمون ونساؤهم تهلهل وشبانهم يعيرون وختاماً لظفرهم جعلوا يوم الخميس خاتمة الباعوثة عيداً لمار الياس على اسم بطريركهم · فاضطرّ الكاثليكيون ان يقيموا قداسهم خارجاً عن الكنيسة · اما رعية بيعة الطاهرة ففي المحل الذي يقال له الزابوق · واما رعية بيعة مار توما ففي احد البيوت ·

واجتمع المطران عيسى باكابر رعيته وفاوضهم فيما يلزم تدبيره فانفذوا الشماس جبرائيل الصائغ ابن بنت الاسقف بشارة الى قاسم آغا ديوان افنديسي الحاكم وكان صديقه واستنجده فدخل على الباشا وطفق يقول له : افندم ان البطريرك عنكز مفتن وفي فرمانه غبنٌ وظلمٌ للمسيحية المساكين · فقاطعه الباشا بقوله : « عنكز يوخ ير » اي يهذي وامره ان يروع الكاثليكيين

خصاماً جديداً

وبعد هذا أنفذ الكشافون الى القرى فقسموا اوقافها فاصاب الكاثليكيين في قرقوش بيعة العذرا الطاهرة وبيعة مار يوحنان وبيعة مار يعقوب وبيعة مار زينا · واصاب اليعاقبة وكانوا ابناء عائلة واحدة اسمها آل البابلوي بيعة مار كوركيس وبيعة القديسة شموني وبيعة القديسين سركيس وباخس ودير نقورتايا · وفي برطلي اعطيت بيعة القديسة شموني لليعاقبة وبيعة مار كوركيس للكاثليكيين · وفي قرية بعشيقا ارتضى الفريقان بالتصرف في كنيستهم بمناوبة ثلاثية فالثلثان لليعاقبة والثلث للكاثليكيين حسب عدد شعبها

ثم جعلوا دير مار متى ويقال له دير الشيخ متى لليعاقبة ودير خضر الياس (مار بهنام الشهيد) للكاثليكيين · وختاماً للقسمة شكر المطران عيسى لمحمد باشا ورفع من اجله دعاءً حاراً وتوجه الى بغداد ليفتقد الرعية · واعتاد بعد هذا على هذه الزيارة مرةً في كل ثلاث سنين · وختاماً لذلك انتمى كاهن من خورنة مار توما الى الكنيسة الكاثليكية اسمه القس اسطفان نوّاسة · وتبع مثله نفرٌ من الشمامسة

٢٤٧ ولسبب القسمة المشروح خبرها تفاقم سخط البطريرك الياس وانصاره فكانوا يتخذون الحجة للخصام والشغب ولا سيما كلما اقتضى توزيع الخراج لأن دفتره بقي مشتركاً · بل اتخذوا حائط القسمة حجةً لذلك · فكلما اقيمت الحفلات او صار الوعظ عند الكاثليكيين جمعوا صبيانهم وشمامستهم وراء الجدار المذكور ورفعوا اصواتهم بالتراتيل ودقوا بالصنوج لتشويشهم

وبعد ايام اقام البطريرك الياس القس يلدا طرطون القرقوشي نائباً عنه ·

وبارح الموصل · ونحن تعريفاً بهذا الوكيل نذكر شيئاً من تصرفه زيادة على ما مرَّ بك عنه فنقول انه لما فنيت بقية يعاقبة قرقوش ما عدا عائلة الباباوي استولى عَلَى اثمن ما وجده في كنائس القرية من الكتب والامتعة وجعل اقامته في الموصل واودع بعضها عند الوجهاء ففقدت · وفي جملة افراد عائلة الباباوي عجوز اسمها هندية : هذه ابت الا ان يعرّفها القس يلدا فلما اتى الى قرقوش وسألته ان يعرّفها اجابها : اعترفي عند الذي تقدمين له الخاتم في كل اسبوع واشار بذلك الى قسيس كان قد قطن قرية بعشيقا فلما قال هذا اشمأزّت منه وانتمت الى الكاثليكيين · وكان يلدا يعرف صحة راي الكاثليك فيدلسها رياء · وظهر هذا مما جرى لرجل معروف بعبوّ النصراني يمقت الكاثليك و يشتم قسوسهم وشتم ذات يوم القس انطون حبش فسامحه وحمله على ان يستحلف القس يلدا ليقول الصدق في اية من الجماعتين يجد المسيحي خلاصه · فلما سأله سمعه يقول لِمَ تسألني اعمل بما يدلك عليه ضميرك فشتمه وقال : اذا كنت عَلَى ضلال فعلى مَ تخدعنا بريائك · واهتدى من يومه · وكان القس يلدا يجادل القس موسى القرقوشي فقال له : لا تحسب اني اجهل الحقائق فقد قرأت كتبكم وانما كما يستحيل عَلَى الغراب ان يضحي حمامة كذلك يصعب عليَّ ترك عقيدتي · ولبث عَلَى ريائه حتى وفاته ·

قلنا ان البطريرك بارح الموصل فلما صار الى ماردين عاد الى متابعة المطران انطون وكان المطران يهرب الى ديار بكر فاذا لحق البطريرك في اثره آب الى ماردين فيعني بسياسة خرافه الناطقة وارشادها ونموّها وما فتر من هذا العمل الى ان عُزل بكنذي فطفق البطريرك يهيج متسلم ماردين ومسلميها على السيد انطون

تاريخية طبقتها عليه وهي اشتراك المسلمين والنصارى في الجامع الاموي الذي بدمشق واشتراك فرق النصارى في بيعتي القيامة باورشليم ومولد المسيح عليه السلام في بيت لحم منذ افتتاحها واقتسام المذكورين فيها . واليك ملخص الاعلام :

« لما كانت ملة السريان من نصارى مدينة الموصل منقسمة منذ عهد فتح القسطنطينية الى مذهبين معتزلين الواحد من الاخر وهما مذهب اليعقوبية ومذهب المسيحية (الكاثليكيين) ولكل منهما مطران وجماعة والفريقان متصرفان منذ القديم تصرفاً شرعياً عاماً بالكنائس والديورة وامتعتها وكتبها و بالقبور التي لهم في فناء كل منها و بالنفقة علَى كل ما اقتضت من البناء والمرمة : بناءً عليه كما انه بموجب شرعنا الشريف تجوز قسمة الجامع بين اهل مذهبين اذا وجد لكل منهما جماعة وإمام ومأذنة كما جاء في نص تنقيح الحامدين : فقد حكمنا بخصوص الطائفتين المذكورتين المسيحية واليعقوبية القاطنتين في مدينة الموصل ان نقسم بينهما الكنائس التي لهما في الموصل وقراها قرقوش و برطلي وبعشيقا مع دير الشيخ متى (الناسك) ودير خضر الياس (مار بهنام الشهيد »

تحريراً في الموصل شهر ذي القعدة من سنة ١٢٥٤ هجرية

ومنذ كتب هذا الاعلام وتسجل امر الباشا ان يحضر وكلاء الشرع مع بنائين الى بيعة الطاهرة ولحق بهم هو والقاضي والمطران عيسى والخواجا بطرس قليان ركاباً وتبعهم الخواجات حنا بن عبد الكريم بني وجرائيل رحماني الصائغ وغيرهم وسبقهم البطريرك الياس عنكز واعيان شعبه وكان كبيرهم الشماس عبد الكريم نجايا فقسمت البيعة حصتين : حصة شمالية لها حضرة او هيكل

كبير وفناء صغير : وحصة جنوبية هيكلها اصغر وفناؤها اكبر مع ثلاث غرف ثم اقترعوا على الحصتين بين الجماعتين فاصاب الكاثليكيين الحصة الشمالية التي كانوا وسعوا بابها ورموها منذ سنة ١٨٢١ واصاب اليعاقبة الحصة الجنوبية · واثناء القرعة تفاقم غيظ البطريرك عنكز من المطران فقال له على مسامع الباشا والناس « فلينزل غضب الله عليك وعلى قامتك لانك صرت فرنجياً وقسمت جماعتي وبيعتي »

ولما تم سحب القرعة صاح البطريرك « اني لستُ براضٍ بهذه القرعة » فكرروها ثانياً وثالثاً وفي الدفعات الثلاث وقعت الحصة الشمالية للكاثليكيين · فامر الباشا ببناء جدار فاصل بين الحصتين · فبني باسرع وقت في المذبح والهيكل داخلاً وفي الاروقة خارجاً وجُعل لكل حصةٍ باب

وبعد هذا انفذ الباشا كشافين يتقدمهم ابرهيم افندي الى بيعة مار توما وبيعة احوديمي وبيعة الطاهرة القريبة من السور ليقسموها فامتثلوا امره · فاصاب الكاثليكيين في بيعة مار توما الجهة الشمالية ايضاً فاقيم حائط فاصل بين الحصتين اما بيعتا احوديمي والطاهرة فتمت قسمتهما بعلامات بمسامير دون جدار وذلك برضى الفريقين على ان يتصرفوا بهما بالمناوبة اعني ان يعطى كل فريق المفاتيح شهراً · ثم قسمت الكتب والآنية والامتعة · وفي خلال الدعاوي المشروحة تكلم البطريرك في محكمة الشرع كلاماً كذّبه به المقدسي بطرس قليان فاغتاظ البطريرك منه ورفع عليه الشكاية الى محمد باشا · فسأله الباشا هل كان تكذيب خصمك وانت تقرا في الانجيل الشريف ؟ قال لا بل اهانني بمحضر اهل الشرع وانا صاحب فرمان · فصرفه قائلاً كفانا ما سبق فلا نفتحن

الفصل الثاني عشر

٢٤٦ فرمان لمنع الكاثليك من كنائس الموصل — استعطاف محمد باشا حاكمها — قسمة الكنائس صورة الفتوى والاعلام ٢٤٧ سفر الخصم — كشف رياء وكيله — تهييج الخصم المسلمين عَلَى كاثليك ماردين ايام صوم رمضان — احتماء سمحيري بالقربان المقدس فنجاته — هربه الى ديار بكر ٢٤٨ نيل الخصم فرماناً ثانياً لضبط كنائس الموصل — اجراؤه برشوة — نقض حيطان القسمة — غم السيد عيسى سفره بتوصيات محمد باشا — تحنن المحسنين ومساعيهم — صدور اوامر سبب تأخير كتابتها — اوامر سرية لضبط كنائس حلب ودمشق ايضاً — تخويف الموصليين — عودة السيد عيسى اجراء القسمة — توسيع الكاثليك حصتهم

٢٤٦ فلما خاب امل البطريرك الياس من اباذة السيد انطون قصد تنكيس كاثليك الموصل وكانوا يصلون في الكنائس بالمناوبة مع اليعاقبة وقد سمح اليعاقبة لفئة من الارمن ايضاً بالصلوة في علية بيعة الطاهرة · وكانوا ثمان عائلات متجمعة من سعرت يرأسهم ورتبيت اسمه خاچو · وكان عنكز قد نال بتوسط بطريرك قوم قاپو خطاً شريفاً بتوقيع السلطان محمود سنة ١٨٣٧ لطرد الكاثليكيين من الكنائس بناء عَلَى نبذهم مذهبه وطاعته وكان دخوله الموصل بابهة وموكب حافل افتخاراً بظفره · وقصد المطران عيسى زيارته في قلاية مار توما واكابر شعبه معهُ عساه يكسب خاطره بالمجاملة فيكف شره لكنه

ساء ظن المطران البار لان عنكز مذلح خصمه مقبلاً احتدم غيظاً وشتمه قائلاً « فرنجي مغضوب » اما كفاك انك قسمت شعبي في ماردين حتى جئت الى الموصل لتعمل كذلك : سوف اطردك وجماعتك من كنائسي · وطرده · فخرج المطران منكسر الخاطر وقصد محمد باشا ليعرض عليه ما جرى فلما مثل امامه غلبه البكاء فبكى ثم قال : او تحتمل عدالتكم ان أُطرد انا وشعبي من كنائس اجدادنا وتحقر البراءة السلطانية المؤيدة لرئاستي ولهذه الحقوق · ثم لك ان تعتبر ان شعبي اكبر من شعب خصمي عدداً وذلك في المدينة وقراها · ولتذكر سعادتكم اننا منذ القديم تصرفنا في الكنائس بالمناوبة مع ما يلحق بها ما عدا حقوقنا في المقبرة حسب اوامر الحكومة السنية · فرقّ لهُ الحاكم واستدعى محمداً افندي نقيب الاشراف وكان من مقدمي علماء الموصل ومفتياً معروفاً بالعدل والانصاف واستدعى ايضاً ابراهيم افندي نائب الشرع فلما حضرا بادرهما الباشا قائلاً : الى متى نحتمل هذا البطريرك المقلق المتطاول على جماعة المطران المسكين فانه منذ تقلدت الحكم لم يفتر هو وجماعته من رفع الشكوات على خصومهم ويتعبني : فهل من فتوى تجيز قسمة كنائسهم فنعطي كل فريق حقه ونستريح

فاطرق محمد افندي ساعة ثم قال نعم نعم يجيز شرعنا قسمة جامع المسلمين اذا اختص باهل مذهبين متخاصمين وكان لكل فريق جماعة وامام ومأذنة وهذا ينطبق على مسألة النصارى كذا ورد في نص تنقيح الحامدين · ولوقته كتب ورقة الفتوى بتاريخ اواخر ذي الحجة سنة ١٢٥٤ هجرية (مسيحية ١٨٣٧) ووقع عليها اسمه وختمه · فامر الباشا ابرهيم افندي ان يعطي اعلاماً شرعياً بهذا الخصوص · فكتبه باللغة التركية وبناء على الفتوى المذكورة واثبته بحوادث

محمد رشيد باشا الوالي لشهرته بالعدل والرحمة · فرفع اليه عرضحال شرح فيه كل ما اصابه من بكندي · فلما قرأه الوالي تعطف على المطران واشمأز من قساوة بكندي فامر كاتبه وكان كلدانياً يقال له الشماس اسطيفان چپال ان يكتب بيورلدياً اليك تعريبه (١)

« الى حضرة بكندي باشا قايم مقام حكومة ماردين سلام : بلغنا انك قبضت على انطون سمحيري مطران السريان الكاثليك محتجاً عليه حججاً لا تستحق القصاص واهنته بالكلام والضرب وحبسته وضميت اخاه اليه فمات ثم غرمت هذا المطران ستة الاف غرش · اما نحن فبعد الفحص والتدقيق رأينا انك تعديت عليه وعاملته بالجور والظلم رغماً عن البراءة السلطانية التي تستوجب احترامه والالتفات الى جماعته بعين اللين والرحمة

ومن ثم فقد اخذنا العجب من جسارتك كيف انك بدون تروٍ وخلافاً للامر الشاهاني المسلم ليده عاملته بشراسةٍ وحشية · و يغلب ظننا انك لم تطلع على البراءة المذكورة مع انه ادعى بها وعرضها عليك · فالان سلمناه هذا البيورلدي ونريد منك اجراءه بالتمام اعني ان تعوض له عن كل ما تعديت به عليه وترد اليه الستة الالاف غرش التي غرمته بها ظلماً وان تلاطفه وتومنه واياك ومخالفة امرنا هذا الذي لا نقبل اعتراضاً عليه البتة بل ان تجري كلما أُمر له به في براءته · فلا تاخذ منه العشر من الكروم والبساتين المختصة به او بالوقف المتولي هو عليه ان سابقاً وان لاحقاً · هذا وليس كلامنا عن شخص المطران وحده بل

---

١ عن سجل ولاية ديار بكر كتبه في يومه صديقنا منصور ابن الشماس اسطيفان جبال

عن جماعته افراداً واجمالاً وبناءً عليه اصحبناه بمباشر من لدننا يرافقه وغب تنفيذ امرنا هذا يعود الينا بالجواب · فأُصلح غلطك والا فنلتزم ان ندبر تدبيراً آخر والسلام »

تحريراً في دارالولاية بمدينة ديار بكر سنة ١٢٥٢ (مسيحية ١٨٣٥)

فتسلم السيد انطون البيورلدي شاكراً وعاد الى ماردين برفقة المباشر وفي حال وصولهما ذهبا الى بكنديـ وسلماه البيورلدي فلما قرأه رد الستة الالاف غرش الى المطران مستعذراً منه وصرفه الى بيته مكرماً وانقلب المباشر الى مرسله واخبره بما صار

الثمينة وقدم ثمنها البكندي باشا طالباً ان يقتل خصمه بحجة يمسكها عليه · فاذعن الحاكم لطمعه · فلما بلغ الكاثليكيين قصد الحاكم اشاروا على السيد انطون بالهرب فهرب الى ديار بكر واقام فيها مدة اشهر يرشد ويعلم · فلحق البطريرك باثره وطفق ينصب لخصمه اشراكاً ليوقعه فيها · فذكر السيد انطون وصية الرب لرسله انه : اذا طردوكم من مدينةٍ اهربوا الى غيرها · فرجع الى ماردين فوجد اخاه المقدسي عيسى بن الياس سمحيري عائداً من زيارة القدس الشريف ومنتظراً مشاهدته فرحب به وفرح · وفيما كان الشقيقان يأنسان ببعضهما اذا بالبطريرك عنكز فاجاهما فآب من ديار بكر وذهب الى الحاكم راساً واعاد عليه طلبه ابادة خصمه ولكي تكون له حجة في ذلك قال ان المطران انطون فتح له بيعةً مستحدثة بدون رخصة · فانفذ الحاكم قواسيه موعزاً اليهم ان ياتوه بالمطران المسكين فلما بلّغوه الامر التمس منهم ان يمهلوه ريثما يودّع شقيقه ويشيعه الى السفر فلم يستجيبوه بل طفقوا يسحبونه بعنفٍ ويضربونه بايديهم وبعصيهم حتى قام المقدسي عيسى ليدافع عن شقيقه فضربوه هو ايضاً ضرباً مؤلماً على جسمه وراسه ثم كبلوا الاخوين بالحديد وسحبوهما الى السجن المعين لسافكي الدماء · ثم احضر الحاكم المطران وبادره بقوله : ترى بأي رخصة جعلت بيتك كنيسةً ولِمَ عصيت البطريرك · فقال : ان عندي براءةً اباح لي السلطان بها ان اصلي مع شعبي في كنائس اجدادهم واكون لهم مطراناً مستقلاً من حكم هذا البطريرك لان مذهبي ليس من مذهبه فلما منعني منها ظلماً اضطررت ان اقيم الصلوة في بيتي · فما كاد يتم جوابه حتى انتهره الحاكم شاتماً قائلاً له : أَبحجة مودعة اخيك تذهب الى والي بغداد لتقيم عليَّ دعوى · لأتركنَّ وافعلنّ · قال هذا وفرض عليه

ستة الاف غرش غرامةً وردّه الى السجن عَلَى ان لا يُطلق الا بعد نقدها

وكان الهواء الاصفر قد داهم ماردين فأُصيب به شقيق المطران في تلك الليلة وادنف وكان منظر الاخوين المغللين في ذلك السجن المكرب يجرح القلوب ويمزق الاكباد اذ كان يتمنى المطران ان يساعد اخاه اقلما يكون باسناده اياه على صدره فلم يتهيأ له · فتجرع في تلك الليلة كاس المرائر واستصعب العذاب وفضله عَلَى كل ما قاساه في عمره كله حتى انفطرت قلوب المسلمين رفقاء حبسه · وعند انفجار صباح الغد أُخبر الحاكم بالواقعة وبالجهد الجهيد سمح بحمله فحمل عَلَى ظهر حمال وقلب اخيه يتفطر الماً · ولما وصل الى البيت زوّده الكهنة بالاسرار وانتقل الى رحمة الله · فلما نُعي للمطران بكاه بكاءً مراً وقلق وتضايق جداً حتى خاف المومنون ان يصيبه ما اصاب اخاه فبعثوا اناساً الى الاسواق والبيوت يجمعون مبلغ الغرامة فجمعوا من كل من صادفوه حتى من النساء فبذلوا بسخاء منهم نقوداً ومنهم امتعةً بيعت حتى جُمع سبعة الاف غرش في ايسر وقت ورُوي عن احدهم وهو جبرائيل نوري انه لما عُرض عليه الاشتراك في افتداء مطرانه الجليل ولم يكن حاملاً دراهم : خلع من ساعته كسوته وكانت من جوخ فبيعت وضم ثمنها الى المجموع فدفعوا الستة الالاف غرامةً والفاً رشوةً للحاكم حتى سمح بتخلية السجين الكريم

٢٤٥ وسافر السيد انطون حالاً الى ديار بكر فلما سمع المؤمنون بمجيئه هرعوا الى زيارته وفي جملتهم مار يوسف اودو الالقوشي مطران الكلدان (١) وكانوا يسمعون خبره ويبكون عَلَى مصابه واشار عليه بعضهم ان يرفع دعواه الى

١ هو الذي خلف البطريرك نيقولاوس زيا تلميذه بروبكندا لما استعفى من البطريركية

قال الراوي (١) : واحس المطران اثناء الزوبعة بشيء وقع في حضنه فجعل يجس خشونته دنانير مصرورة بمنديل فلما هدئت العاصفة حل العقدة فوجد خمسا وعشرين قطعة ذهب قيل له انها سكة جديدة يقال لها ليرة فطفق ينفق منها في حاجاته شاكراً الله

ولدى قدومه الى الموصل خرج الاقليروس والشعب الى لقائه فدخل لابساً قلنسوة مربعة : فكانت للاضداد علة استهزاء وكثيراً مارمت نساؤهم اقذاراً عليه من السطوح (٢) فاضطر ان يرجع الى لبس العمامة

وفي اليوم الثاني لوصول المطران قدم براءته لمحمد باشا فرحب به واكرمه وبعد ان سجلها وعده بالمساعدة لدى الحاجة • وفي يوم الجمعة الاولى من الصوم الكبير اجرى المطران بنفسه عبادة درب الصليب لاول مرة فاستعذبها الموصليون من كاثليكيين وسواهم فاخذوا يحضرونها كل يوم جمعة من الصوم الكبير بخشوع وعبادة ولم تكن في كنائس الموصل من العبادات قبلاً سوى اخوية احزان العذراء عند السريان والكلدان • فاصدر المطران عيسى منشوراً في نصب اخوية الحبل بمريم بلا دنس عوضها فاشترك فيها خلق كثير : واقام للاخوية القس انطون حبش رئيساً والشماس الياس بن جرجس فتحي الصباغ المعروف بابن سنبل معاوناً • فما زالت تنتشر هذه الاخوية الى ايامنا

٢٤٤ وفي خلال ذلك توفي البطريرك جرجس ابن السيار في ديار بكر

---

١ رواية القس توما بعد حين

٢ حكت عجوز معاصرة عن بعض جاراتها انها سمعتهن يقلن : مطران عيسى الهارون دنكته اربعة قرون يردن بالدنكة تاج العمود

سنة ١٨٣٦ ونُصب المفريان الياس عنكز خلفاً له · وكان ذا كيدٍ ودهاء مبغضاً للكاثليكيين اي بغض حتى سمعه الناس يقول في شدة حقده عليهم: ترى من يعطيني ان يلج هولاء الفرنج بطني فأطعن بسيفٍ واموت فيموتوا معي · فلما اضحى بطريركاً تضاعفت غيرته المذهبية ونوى ان يستأصل الديانة الكاثليكية من بطريركيته ان امكن فاسرع الى القسطنطينية وبمساعدة السفير المسكوبي نال براءةً بطريركية وفرماناً لضبط المقبرة المشتركة بين سريان ماردين ولدى رجوعه الى دير الزعفران سنة ١٨٣٧ أُجريت رسامته البطريركية

ولما راى هذا البطريرك ان محمد شريف باشا والي ديار بكر شديداً فلم يجسر عثمان اغا حاكم ماردين ان يخالفه من اجل مآربه: راى ان ينزل الى الموصل اولاً لعله يزعج المطران عيسى · ولدى وصوله عرض براءته على محمد باشا وساله ان يطرد الكاثليكيين من الكنائس ويساعده في ارغامهم على تأدية الزدق · فدعا الحاكم المطران عيسى ونفراً من اكابر شعبه للمرافعة فاظهروا له فرمان الاستقلال وبراءة المطران · فلما قرئت قال للبطريرك: ان مولانا السلطان فصل هذه الجماعة من رئاستك وجعلها مستقلةً منها فطالب المنتمين الى طاعتك فاذا عصوك اساعدك واوّد بهم واما هولاء فلا حق لك عليهم · اما البطريرك فاكثر الكلام وشرع يصيح فطرده من امامه فانصرف مخذولاً وانقلب الى ماردين فوجد قد نُصب لها حاكم جديد يقال له بكنيدي باشا فقصد ان يفرغ غضبه علَى المطران انطون لانه كان يبغضه بغضاً شديداً ويقول عنه: هذا هو المسمار الذي طعنني في قلبي فلا يبرد غليلي الاَّ بقتله وطفق يسخو بالهدايا الى المسلمين ليقتلوه · ولما احتاج الى دراهم جسر فباع الامتعة والآنية الكنسية

ولداً فصلى على قليل من الطعام ودفعه للرسول وهو يقول اسأل الرب الكريم ان يمنحها مرادها و بتدبير الخالق وضعت الامرأة ابناً في اواخر تلك السنة · وذاع الخبر فاتخذ الناس ذلك آية من قداسته وحج المطران الى اورشليم في اواخر حزيران ثم ظعن الى رومية وانطلق الى البابا غريغوريوس السادس عشر فرحب به وعانقه واجلسه بجانبه وسمع منه بواسطة ترجمان كل ما قاساه من الاضطهاد وكان الاب الاقدس يتنفس الصعداء ويتحسر ثم قدَّم له هدايا نفيسة وامر له بثياب تليق بمقامه فاكتفى باليسير منها حتى تعجب الوكلاء من قناعته · ولما كان البحث في مسألة الحبل بمريم ذائعاً في تلك الايام برومية استعذب المطران عيسى التعبُّد لها فاحرز عنده نسخة من قوانين اخويتها مع صور درب الصليب ليجري العادتين في ابرشيته واستعدَّ للسفر الى القسطنطينية ليؤيد مطرانيته ببراءة سلطانية · ولما كان يحتاج الى قسيس يرافقه كتب الى ماردين يستقدم القس توما القرقوشي المار ذكره واوعز اليه ان يسبقه الى العاصمة لان هذا القسيس كان قبل قسوسيته ططرياً خبيراً بالاسفار يذهب بدواب البريد من بلد الى اخر · فلما تأهب المطران للسفر رفع شكره الى الحبر الروماني فشيعه بكل حنوٍّ ولطف الى باب الديوان ولما ان بلغ الى القسطنطينية حلَّ ضيفاً في دار الخواجات قسطاكي ونيقولاكي الصرّافين في الباب العالي لانهما المساعدان للسريان فسعيا في استحصال البراءة باسمه

وبينما كان المطران عيسى في العاصمة ينتظر براءتهُ كانت ماردين مضطربة بشغب الاغوات حاجي بيك وعلي بيك واتباعهم لانهم عصوا وتحصنوا في القلعة : فاوعز الصدر الاعظم الى مصطفى باشا والي بغداد والى محمد باشا حاكم

الموصل ومحمد رشيد باشا والي ديار بكر ان يجتمعوا بعساكرهم عليهم وبدات الحرب في ايلول سنة ١٨٣٤ حتى ختمت بطاعة العصاة

وخاف المفريان الياس فهرب اثناء تلك الفتنة الى الموصل فالفى الكاثليكيون بلا راعٍ وشرع يطالبهم بحقوق الزدق وضايقهم في ديوان الكهيا وكيل محمد باشا فاظهروا فرمان الاستقلال وانكروا على خصمهم طلبته قائلين : لست منا ولا نحن رعيتك بل انا بطريرك ومطران مستقلاّن من حكمك بامر السلطان فأُبكم لكنه عند رجوعه الى الكنيسة طردهم منها شاتماً لاعناً ولساعته بعث بهدايا الى الكهيا وحاشيته فاستدعى الكهيا الكاثليكيين ونصحهم ان يدفعوا مبلغاً ليدفع خصمهم عنهم فلما ادّوا طلبه اجرى لهم الحق في البيع بمناوبة يومية كالسابق .

وكان كهنة الموصل الخوري يوسف قندلي والخوري عبد الكريم ميرك والقس نعمان ابن المقدسي الياس قندلي والقس يوسف بن الياس زرازير والقس جبرائيل ابن القس نعمة صائغ . فكتب البطريرك بطرس اليهم يعزيهم ويحثهم على الشجاعة (١)

اما ما كان من المطران عيسى فانه بعد انتظاره عدة اشهر في عاصمة المملكة صدرت الاوامر باعطائه براءة بتوقيع السلطان محمود سنة ١٢٥٥ (مسيحية ١٨٣٧) فتسلمها فرحاً ونوقته شكر الله والمحسنين وسافر بمعية القس توما القرقوشي وقبل ان يتجاوز تخوم خربوط قلّ ما بيده من الدراهم فاحتار وفيما هو يلتجيء بالله ويستغيث بمريم العذراء مردداً كلام المرتل ان : القِ همك على الرب وهو يعولك : واذا بعاصفة شديدة قامت بوجهه وحملت دواب الركاب عَلى الوقوف

١ قرأنا خبرهم واسماءهم في رسالتهم المحفوظة في الشرفة

القلعة راكباً و بعد مفاوضةٍ طالت نحو ثلاث ساعات استدعى الامير المطران انطون فلما حضر قبّل يد البطريرك وقدّم له الغليون وجلس في اخر الديوان فالتفت الامير الى البطريرك وطفق يقول : اننا مسلمون ولا علم لنا بامور دينكم ولكني تحققتُ اليوم ان مذهب هذا المطران احق من مذهبك لانك طلبت مني قتله وقتل المنتمين اليه ٠ وهو طلب الوقوف بخدمتك كما رأيت ٠ وهنا اذكر كلاماً موافقاً لكلام المطران ورد في قرآننا وهو ان العفو اقرب للتقوى ٠ وعليه فعملكم دليل عَلَى سوء نياتكم وعمل المطران عَلَى تقواه وحسن نياته ٠ وانصرف البطريرك خجلاً و بعده انصرف المطران ونزل في دار المرسلين وكان يقيم القداس فيه هو والقس عبد المسيح والقس حنا زرّيِ القرقوشي

الفصل الحادي عشر

٢٤٣ عجيب ما حدث للسيد عيسى بحلب — حجه الى اورشليم فرومية فالعاصمة — اجتماع عساكر لكسر العصاة — هرب عنكز — طلبه الزدق — خذل الخصوم — نيل السيد عيسى براءة — عجيب ما حدث له بقرب خربوط — وصوله الى الموصل بالقلنسوة استهزاء الاضداد — انشاؤه اخوية الحبل وغيرها — ٢٤٤ موت ابن السيار — تخلف عنكز — بغضه الكاثليكيين — استحصاله اوامر لضبط المقبرة — ازعاجه المطران عيسى — رجوعه — ازعاجه سمحيري بحكم بكندي باشا وحبسه مع اخيه اصابة اخيه بالهواء الاصفر — وفاته — تسريح السيد انطون — رفعه شكاية ٢٤٥ رسالة تعنيف بكفديمد تعويضه الخسارة واستغناءه

٢٤٣ اما ما كان من السيد عيسى فانه حين وصوله الى حلب رحب به البطريرك وعانقه وهنأه عَلَى نجاته وسلامته فاقام عنده زماناً حتى استراح . وكتب البطريرك الى الموصل يخبر الخوري النائب والشعب بقدوم راعيهم برفقة السيد بطرس الكسندر كوّپري القاصد الرسولي بيد ان المطران اعلن للبطريرك انه يروم السفر

وروى بعض الثقاة انه بينما كان السيد عيسى يتغدّى يوماً مع البطريرك ارسلت امرأة تطلب منه لقمة يباركها حسب عادة الشرقيين عساها ترزق

ومع ذلك أثبت مدعى البطريرك وأبطل حق المطران من اجل المال الذي قبضه الحاكم فصرف البطريرك لابساً فراجة وسلمه مفاتيح الكنيستين لكنه لم يجسر ان يقتل المطرانين حرمةً للفرمان والبراءة وانما وعد الخصم بالسعي في ذلك سراً . واخذ البطريرك يجمع المال ومنع الكاثليكيين من الدفن في مقبرة السريان فحدثت لهم اضرار بسبب ذلك . فانه مات احدهم ومُنع دفنه في مقبرة القديسة شموني فدافع اولاد عمه عن حقوقهم فسيقوا الى سجن القلعة وكتب البطريرك الى اميرها يقول : اشنقهم وعليَّ دفع الدية . وآخر جرحه اليعاقبة فلما رفع دعواه علَى ضاربه امسكه علي بيك واظهر له رسالة البطريرك حيث يقول له اشنق خصومي وعليَّ الضمان نخاف المجروح وتغرّم خمسمائة غرش . هذا وبسعاية ابن السيار تغرّم القس عبد المسيح الفي غرش وغيره من العوام الف غرش . وحدثت لذلك فتنة بين المسلمين انصار الكاثليكيين وانصار خصومهم . وزد على هذا ان ابن السيار لقن علي بيك امير القلعة ان يضبط كنيسة الكلدان محتجاً انها بدون فرمان ففدوها بالف غرش . ولهذا خاف المطران انطون علَى نفسه فاعتزل في احد البيوت ولم يصلّ في كنيسة

وبلغ المطرانين ان الحاكم والاغوات تآمروا علَى قتلهما بدسيسةٍ فهرب المطران عيسى من ماردين صباح عيد الذبح سنة ١٨٣٤ للملك من الاضطهاد وقد عزم علَى زيارة الاراضي المقدسة . وتوارى السيد انطون عن العيون وهو بزي فقير ولحفظ حياته استأجر حراساً من اصدقائه المشكاوية واختفى في بيت احدهم مدة اربعين يوماً

٢٤٢ فلما سئم الاقامة مستتراً خطر له ان يلوذ بعلي بك امير القلعة احد

المتآمرين عليه واستصحب خادماً اسمه اوسي بن سعيد وصعد الى القلعة فلما دخل على الامير ترامى على قدميه فرق لحاله وامنه واعجب من جراءته ولاطفه حتى قال له : ان البطريرك سعى لديَّ في قتلك وحيث انك لذت بحمايتي ففضلاً عن عفوي اعدك بقتله اذا شئت · فاجابه المطران : اذا خيرتني التمس امراً آخر · قال وما هو واقسم بالله العظيم انه ينجزه · قال المطران : اما ان البطريرك سعى في قتلي فهذا يوافق شريعة ذمته · واما انا فلا اطلب من سعادتك الا ما تعلمني ذمتي وشريعتي المسيحية وهو انه اذا حضر البطريرك تأمر ان احضر انا ايضاً لاقوم بخدمته : فاقدم له الغليون والقهوة مع تقبيل يده وارجع فاجلس في الموضع الادنى توقيراً له لانه اكبر مني · وما عدا هذا لا التمس شيئاً · فانذهل علي بك وذكره بكل الدسائس التي اذاه البطريرك وآذى شعبه بها وختم قائلاً · اسألني ان اخذ بثارك اذ قد حضرت الفرصة لاني اريد ان اجري مهما تشاء فترامى المطران ثانية على قدميه قائلاً : فديتك اني لا التمس من سعادتك اكثر مما خرج من فمي · فرضي الامير من اجل القسم وقد تضاعف وده له فقال له انصرف الان غير خائف · ومتى دعت الحاجة استدعيتك · فشكره ونزل فاقام في بيت انطون لوسي شاكراً الله · وفي الغد ذهب به علي بيك الى الحاكم والى حاجيّ بك وبقية الاغوات وحدثهم بماجرى فامنوا المطران ورخصوا له ان يطلب مهما شاء فقال : اني اطلب اولاً سلامتكم ثم راحتي وراحة شعبي · فطمنوه واخبروه ان قد وردت اليهم توصية فيه وفي شعبه من لدن علي باشا والي بغداد فسكن روعه وشكر لله

وبعد هذا ارسل علي بيك الى البطريرك يطالبه بالمال الموعود فاقبل الى

وكان يتعذر علَى المنتخب السفر الى بلدٍ اخر بسبب الحرب الناشبة وكان اولئك الشعب يخافون ان يفتك المشاقون بهم وليس لهم راعٍ يحميهم · ولذلك فعلى اثر حضور السيد انطون رفعوا عرضاً الى البابا غريغوريوس السادس عشر يلتمسون فيه ان يأذن للمطران السرياني ان يمنح منتخبهم درجة الاسقفية · فاجاب حبر الاحبار الى سؤالهم وتمت رسامة تاودورس على الطقس السرياني ففرح الشعب فرحاً عظيماً لانه منذ اعصارٍ كثيرة لم تجرِ ثم رسامة كاثليكية

هذا ولما عرف المؤمنون في تلك الديار السيد انطون واطلعوا علَى ضيقته من اجل الديون المتراكمة عليه جمعوا له خمسة عشر الف غرش فارسلها من ساعته الى ماردين فوزعها على ارباب الديون · واستقام السيد انطون في القاهرة الى ان خُتمت المحاربة بالصلح فقدم حلب في شهر حزيران سنة ١٨٣٣ والتقى بالسيد البطريرك وقد امل ان يتشرف بصحبته الى ماردين ولكن تعذّر سفر غبطته فسافر السيد انطون اليها وحده وكان دخوله ماردين في ٢٥ تشرين الاول اعني بعد غيابه عنها بنحو اربع سنوات وكان لابساً الفراجة التي انعم بها السلطان محمود عليه وبرأسه القلنسوة التي جرى استعمالها في حلب · وفي اليوم الثالث لوصوله ذهب الى ديوان الحاكم وسلمه براءته التي بها منحه السلطان بيعة الاربعين شهيداً وبيعة القديسة شموني فتليت البراءة وفرمان الاستقلال وأُعطي المطران فتوى واعلاماً من القاضي في ذلك · ورجع مصحوباً بالخزندار والقواسين والاغوات فسلموه الكنيستين ورجعوا

فطفق يصلي في بيعة الاربعين والسيد عيسى في بيعة القديسة شموني منذ اول شهر تشرين الثاني سنة ١٨٣٤ واشترى السيد انطون ثلاث دورٍ في

ديار بكر لكي يشيدها بعد حينٍ كنيسة · وللغاية نفسها اشترى داراً في ماردين تشتمل عَلَى اربعة مساكن وخصص المسكن الواحد للصلوة والثاني لسكناه والثالث لاستقبال الناس والرابع لمدرسة وكان قد قصده الشماس اسحق الموصلي ابن شكري بن القس سليمان بن الشدياق حنا فجعله معلماً للمدرسة · ولبث هذا المعلم بتولاً طول عمره الى ان قضى نحبه في بيت اهله بالموصل وكان ديناً غيوراً مهاباً وقرأ عليه كثير من اقليرس ماردين وجهاتها فقام منهم اساقفة ومطارنة مثل فيلبس عركوس وروفائيل جرخي ويوحنا معمار باشي ومتى احمر دقنه وافرام كرش مرش وغيرهم · ولما قل عدد المساعدين للسيد انطون من القسوس اذ لم يبق منهم سوى القس عبد المسيح الماردِيني والقس حنا زرّي القرقوشي : كتب الى الموصل في ٢٥ ايار سنة ١٨٣٤ يستقدم القس انطون حبش القرقوشي او القس يوسف زرازير الموصلي فوجه اليه القس توما بن بولس القس متى القرقوشي فنجحت مساعيه بهذا التدبير حتى انتمى اليه في مدةٍ يسيرةٍ خمس واربعون عائلة من اليعاقبة

٢٤١ وكان ابن السيار استاء من ظفر السيد انطون واستيلائه عَلَى الكنيستين فاقبل الى ماردين برفقة محمد اوصو وشرار الغضب تقدح من عينيه فواجه الحاكم والاغوات ووزع عليهم ثلاثين كيساً مالاً عَلَى ان يردوا الكنيستين اليه ويقتلوا المطرانين عيسى وانطون فوعدوه · وفي الغد دعوا المطران الى المحاكمة بازاء البطريرك فدافع عن نفسه اقوى دفاع واتى ببينات تقنع الحجارة بتعدي خصمه وبحقوق الكاثليكيين في الكنيستين سواء بطريق الارث عن اجدادهم او بقوة الاوامر السلطانية التي في البراءة حتى وافقه المفتي والقاضي

يعقوب تكثلك المطران متى نقار ايضاً فلما بلغه ان البطريرك بطرس انتقل الى حلب مضى باثنين من قسوسه اليه في منتصف تشرين الثاني من سنة ١٨٣٢ وقرر دستور الايمان الكاثليكي وبعده الكاهنان وبحضور قسوس السريان ومطارنة الطوائف منحهم الحل وارسلهم الى دير العازرية حيث دخلوا رياضة الاختلاء وختموها باعتراف عام · وكتب المطران متى الى الموصل يبشر اهله واصحابه باهتدائه ويحثهم عَلَى اتباعه وآب الى النبك فلما انتشر الخبر فرح الكاثليك في ماردين والموصل : واغتم اليعاقبة ولاسيما المفريان الياس فانتقل الى ديار بكر يهيج واليها عَلَى خصومه فلم يلتفت الى كلامه حرمةً للفرامين السلطانية ولاوامر الولاية التي للكاثليكيين وبلغه وهو هناك ان اهالي القصور او الكولية اعلنوا بالكثلكة وان المطران عيسى ارسل كاهنين لارشادهم · وعلاوةً على غم المفريان سلب بطريركه مائة كيس مالاً اثناء انتقاله من البشيرية الى ماردين

الفصل العاشر

٢٤٠ فرح السيد انطون — رسامته مطراناً للقبط — جمعهم اسعافاً له — ايابه الى ماردين
تلاوة براءته مع فتوى واعلام = استلامه كنيستين — شراؤه دوراً في ماردين
وديار بكر للصلوة والسكنى والمدرسة — شهرة المعلم فيها والذين قرأوا عليه
استدعاء قسيس من قرقوش للخدمة ـ ٢٤١ استياء ابن السيار
شكايته ـ حكم ظلمي ـ مؤامرة عَلَى قتل السيدين والتنكيل
بشعبهما ـ منعهم عن المقبرة ـ هرب السيد عيسى الى
حلب ٢٤٢ ـ اقتفاء سمحيري احتماؤه برئيس القلعة
استحسان الرئيس ذلك — وعده بانجاز رغبته
رفضه ذلك — تخجيله خصمه

٢٤٠ بقي ان نرى ما جرى للمطران انطون سمحيري وكيف حول الله غمه الى فرح فنقول انه منذ وصوله الى مينا الاسكندرية ارسل كتب سفير دولة فرنسا المار ذكره الى قنصلها هناك واسمه موسيو ميمو: فلما انقضت مدة الكرنتينا انفذ القنصل المذكور ترجمانه الى السيد انطون وبرفقته دخل البلدة راكباً فرساً وذهب الى دير الاباء الفرنسيسيين اولاً وبعد ان استراح مضى الى زيارة القنصل يشكر له ولدولته جزيل فضلها ثم ذهب بعد ايامٍ الى القاهرة فاستقبله القبط الكاثليكيون بفرحٍ كأنه ملاك هبط عليهم من السماء فكانت عاقبة صبره كعاقبة يوسف بن يعقوب وذلك لان اسقفهم كان توفي قبل اشهر فانتخبوا رجلاً يقال له ثاودورس جاد الكريم خلفاً له ولم يكن عندهم من يرسمه

مكسيموس مظلوم بطريرك الروم الكاثليك من كرم السلطان محمود الحق لاقليرسه في استعمالها : سعى السيد انطون نوريجان المقام في العاصمة وكيلاً عن كاثليك المشرق باسم بريمات في استحصال فرمان للارمن والسريان ايضاً لاستعمال القلنسوة وكان البطريرك بطرس قد شرع في استعمالها سنة ١٨٣٠ وكذلك اقليرس حلب كما سبقت الاشارة واما الارمن فزادوا غطاءً على القلنسوة قيل له البرنجوك ووصل فرمانهم الى ماردين الى يد الحاج احمد اغا حاكمها في ٢٣ كانون الاول سنة ١٨٣١ وغب قراته بحضور اعيان البلد البس السيد يواقيم والسيد ابرهام نائبه والقسوس الكسوة المذكورة وشيعهم الى كنيستهم محفوفين بموكب من الجنود والجوخدارية

وكان فرمان الاستقلال قد وافى من بغداد مؤيداً ببيورلدي من علي باشا واليها · فبعد انصراف الارمن قُري الفرمان البيورلدي فألبس السيد عيسى فراجةً وعاد الى بيعة الاربعين مشيعاً ومحفوفاً بالموكب نفسه

واراد السلطان محمود في هذا الزمان ان يستأصل شأفة الاغوات الذين يقال لهم الاينكچاريه المتمردين في انحاء المملكة فنصب حاكماً لماردين اسمه عثمان بيك وللموصل محمد باشا انجي بيرقدار وكانا ممن وجهت اليهم الطوغات فاكتسوا بالسترة والبنطلون · ولما توجه محمد باشا الى منصبه بالجنود النظامية ترك عائلته في حلب تحت نظارة مسيحي من اعيانها وسافر فاوصاه الرجل بالسيد عيسى محفوظ مطران الموصل ان يجعله تحت حمايته فوعده ومنذ وصوله الى الموصل سال عن المطران فعلم من ابناء شعبه انه لم يأتِ بعد فاستخصهم بصحبته ولاسيما الخواجا بطرس بن يوسف قليان

اما عثمان بك فمنذ بدأ حكمه في ماردين بلغه خبر فتنة حدثت بين اليعاقبة وعلم انها بدأت من المفريان فحبسه في ٦ تشرين الثاني سنة ١٨٣٢ وبعد ثلاثة ايام غرمه عشرة اكياس واطلق سبيله · واما القاه المفريان طامعاً في المال وقد حاول قبلاً التنكيل بالخواجا الياس شاده لانه يساعد الكاثليكيين فلم تنجح مساعيه · وشى اخيراً بالياس انه يسك دراهم مزيفة وانه ذو اموال غزيرة فاباده الحاكم ونهب امواله وتم مقتله في ١٥ آب

فلما حصلت له دالة عند الحاكم ذهب الى دير الزعفران واتفق مع البطريرك على ان يجمع مالاً يسترد به بيعة الاربعين من الكاثليكيين · وآب الى ماردين فجمع مائة وخمسين كيساً وقدمها للحاكم على ان يسلمه البيعة والمطران عيسى وقسوسه رجاء ان يبيدهم · وما عتم ان انجلت الدسيسة للمطران المسكين فاغتم وخاف ثم استصحب القس ايليا نحيت وقصد احد الاعيان واسمه مصطفى اغا الشيخ وابو السرجي كبير المشكاوية مستظلماً من خصمه مستغيثاً بحمايتهما فلبياه وسلماه صكاً موقعاً عليه ختم الحاكم يرخصه في اقامة الصلوة حيثما شاء · فعاد السريان الى التردد الى بيعة الارمن منذ ٢٩ آب سنة ١٨٣٢ لكنهم اضطروا ان يوزعوا خمسة اكياس على المشكاوية وعلى ابو كبيرهم واحتاج المطران عيسى الى اسعاف فأُسعف بامةٍ جُمعت له في الموصل وقرقوش وبرطلي

وفي تلك الاثناء كان المطران يعقوب الحاج المعروف بالحلياني قد رجع من لبنان ورسخ فيه روح الديانة المقدسة وكذلك شعب رعيته ما عدا خمس عشرة عائلة بقيت يعقوبية فلما استولى ابرهيم باشا المصري على دمشق وكان مساعداً للكاثليكيين تكثلكوا جميعاً ما خلا رجلاً من قبيلة جبور · وعلى اثر المطران

بانتظام الخدم البيعية فرتب شمامسة وهذّب ما كانوا اقتبسوه من جيل الشقاق وكان سريع المنطق حاذقاً في اعطاء الجواب كما تبين من اجوبته علَى سئلة المفريان المشاق ومن اللائحتين اللتين اوضح فيهما الاعتقاد بالطبيعتين وشرح طومس مار لاون البابا ومعنى لفظة عدن

وروى الثقات عنه اذ كان خورياً انه اجتذب خمس عشرة عائلة الى الايمان القويم بسبب كسرة خبز · وذلك انه حضر يوماً مادبةً فسمع احد المدعوين يوبخ صاحبه لانه داس كسرة خبز بقوله انظر انك وطئت الايمان فانتهز الخوري هذه الفرصة فرمى كسرةً لكابٍ دخل تلك الدار قائلاً تعال كل ايمان هولاء · فلما استغرب القوم ذلك وانكروه عليه شرع يفهمهم معنى الايمان الصحيح وشرائطه حتى قال : واما الخبز فهو زاد يُشكر الله واهبه لا اكثر · فاستصوبوا كلامه وانتموا الى ديانته من ذلك اليوم

ومنذ نُعي الاسقف ميخائيل للبطريرك كتب الى الموصليين في ٣٠ ايار سنة ١٨٣١ يعزيهم ويعرض عليهم السيد غريغوريوس عيسى محفوظ وطنيهم راعياً عليهم بما انه مشهود له بالصلاح والثبات وحسن السياسة وسمى الخوري يوسف قندي نائباً عنه ريثما تتأيد رئاسة السيد عيسى وكرر ذلك في ١١ تموز فلم يجمع شعب الموصل علَى قبوله لان بعضهم آثروا ان يترأسهم السيد انطون سمحيري · فلما عرّفهم البطريرك ان اهالي ماردين سبقوهم في هذا الطلب اتفقوا علَى قبول السيد عيسى · وكانوا ينتظرون قدومه حالما يرجع السيد انطون من سفره · فطفق السيد عيسى يسوسهم عن بعدٍ ففي ١ و٩ تشرين الاول سنة ١٨٣١ كتب الى الخوري قندي يبشره بصدور فرمان الاستقلال

وتسجيله في بغداد واخبره انه سيرَ اليه النسخة التي باسم الموصل · وبشره ايضاً بامل قدوم السيد البطريرك لزيارة كاثليك ما بين النهرين· وفي السنة التي بعدها ارسل الى ابرشيته الموصلية الزيوت المقدسة مع الخواجا سمعان ابن الشماس ابرهيم احد ابنائها وسمى الخوري يوسف قندي نائباً عنه في خورنة الطاهرة والخوري عبد الكريم ميرك في خورنة مار توما

وكان كاثليك الموصل اذ ذاك يحاولون موالفة خصومهم فتجددت المودة بينهم غير ان بعضهم واولهم القس يلدا طرطور القرقوشي لم يخلصوا المودة على ان هذا القسيس استولى بعد الوباء عَلَى اخر كتب قرقوش ولم يشركهم فيها وشمت بوفاة الاسقف ميخائيل والشماس عبد الكريم بني كما ظهر في رسالةٍ له ارسلها الى ماردين الى المفريان الياس فعثر المطران عيسى عليها فانفذها الى الموصل وكان القس يلدا كتب فيها ما يأتي « ابشركم بان الشماس عبد الكريم بني عدونا وركن جماعة الفرنج هلك وارتخت جماعتهم» وكان جواب المفريان اليه « لقد فرحنا ببشارتك والامل انك تبشرنا بقصف الخوري ابن قندي » (١) وحضر هذا الخوري والقس يلدا مأدبة في بيت الخواجا نعمو برصوم وفيها اثناء المظاهرة بالمودة المتبادلة عاتب الخوري يوسف القس يلدا عَلَى كضمه العداوة · واثباتاً لريائه اظهر الرسالتين فقرأها المدعوون فانصرف الخوري ساخطاً وتركهم خجلين حائرين

٢٣٩ وفي خلال ذلك كان كاثليك ماردين الارمن والسريان يتبادلون الافراح والتهاني بمناسبة استعمال القلنسوة لاول مرة وذلك انه لما نال السيد

١ بدأ حقد المفريان عَلَى ابن قندي منذ انتصر عليه وابطل لمة الزدق من الكاثليك

ورتب احوال البلد · فعرض النصارى عليه امر محمد اوصو انه مقيم في دير الزعفران يستخرج الناس وقد عذب مطرانهم وقسوسه فلم يسلمه لهم الا لما اعطوه وثيقة باربعة الاف غرش ولما كان الوزير موصى بالمطران عيسى كتب الى محمد اوصو يدعوه الى الطاعة و يعده بالامان · فاطاع وطلب الدخالة وحضر بين يدي الوزير فغرمه مبلغاً كبيراً وامره بدفع الوثيقة فدفعها وحسب طلبه اذن له بالرجوع الى الدير مع جاويش يتسلم المـال · غير انه لدى وصوله الى قرب الدير هرب واختفى وانقلب الجاويش يخبر الوزير فركب لوقته يريد الدير فلم يجد المذنب فنهب الدير واقام فيه حراساً يحرسونه باجرة يأخذونها من اصحابه وتوجه بعساكره الى بغداد وتبعه ايوب آغا والي ديار بكر بعساكره ايضاً · فلما رأى اليعاقبة ان بطريركهم معزول ومحمداً اوصو هارب والحكومة ضدهم التمسوا من الكاثليكيين ان يقبلوهم عندهم وفتحوا لهم بيعة الاربعين وكان ذلك بحضور المطران عيسى ومطراني الارمن والخواجا الياس شاده · فاجابوهم ان لا ثقة لنا بمواعيدكم الا اذا نقيتم الزئوان من بينكم اعني اذا حذفتم ذكر السبعة ائمة البدعة وخضعتم للحبر الروماني وجعلتم القداديس متتابعة · فأَدوا كل ما شرط · وبعد عشرة ايام اقبل قسوسهم واكابرهم الى المطران عيسى واخذوه مع قسوسه الى بيعة الاربعين باحتفال · فكرَّس ماءً مباركاً وامر ان يضعوه عند الباب وعيدوا عيد الصعود وعيد الثالوث الاقدس وعيد الجسد اذ كانت الطوائف تتردد الى الكنائس بمبادلة حبية

الفصل التاسع

٢٣٨ وفاة اسقف الموصل والشماس عبدالكريم بني — منع دفنهما — ردع المضادين — اوصاف الاسقف المنتقل — تعيين السيد عيسى للموصل — اقامته نوابًا عنه — كشف رياء الخصوم
٢٣٩ حفلة لبس القلنسوة وقراءة فرمان الاستقلال — وعد حاكم الموصل بحماية السيد عيسى — حبس عنكز من اجل فتنة — مؤامرة على قتل الياس شاده — سعي في قتل السيد عيسى — نجدة الاعيان للمظلوم اسعاف ابرشية الموصل الماردينيين — اجهار السيد حلياني بالكثلكة — كثلكة السيد متى نقار بحلب — اهتداء في ضواحي ماردين

٢٣٨ وفي شهر نيسان من سنة ١٨٣١ نفسها بينما كان الموصليون مسرورين بفرمان الاستقلال ظهر الهواء الاصفر في الموصل وضواحيها فاصيب من الجملة الاسقف ميخائيل يوحانا والشماس عبد الكريم بني ركن الكاثليكيين في يوم واحد يوم احد الشعانين وتوفيا يوم الثلاثا الحاش · فبكاهما الشعب بكاءً مرًّا ولما ازمعوا ان يودعوهما القبر داخل بيعة الطاهرة قاومهم حنا بخايا احد الاضداد ونفر من اصحابه فلما بلغ الحاكم هذا الخبر انفذ قواسيه فمنعوا الفتنة وقضيت الدفنة كما شاؤُا

وكان الاسقف المتوفى عالمًا لاهوتيًا وواعظًا فصيحًا حسب مقتضى زمانه مشهودًا له بالورع وحسن السيرة كما ظهر من تذلله يوم استغفر الاسقف بشاره بحضر الشعب وكان رخيم الصوت خبيرًا بالالحان السريانية محبًا الطقس مولعـًا

المطران ايضاً براءة باسمه لمطرانية ماردين ومعها خلعة نفيسة وهي فراجة حسب عادة ذلك الزمان . ولما عزم على السفر سلمه السفير رسائل توصية الى قناصل دولته في البلاد . فقدم الشكر لله ولسائر المحسنين وابحر على مركب عثماني صغير . ويا لعمق احكام الله لانه بعد ان قطع المركب جزيرة رودس صادف عمارة سفن لمحمد علي باشا والي مصر وكان يحارب عساكر الدولة العلية فاستاسرت جنوده ذلك المركب واخذته الى مينا الاسكندرية حيث أُمسك الركاب والمطران انطون في جملتهم في الكرنتينا واحداً وعشرين يوماً في مدة شهر حزيران فاحتار في امره واغتمَّ . غير ان الله بدَّل غمه بالفرح

وكان البطريرك بطرس جروة منذ صدور فرمان الاستقلال قد عرض على الكرسي الرسولي ان يجعل اقامته في حلب لانها قريبة من البلاد التي تستوطنها الطائفة وكان قد سبق واخبر الابرشيات بذلك فما عتمت المضابط ان تواردت من كل انحاء الطائفة فيها التمس الشعب ذلك من المجمع المقدس ومن الكرسي الرسولي و بعد مشاورات كثيرة أُعطي البطريرك الطلب المذكور فانتقل الى حلب سنة ١٨٣٠ وكان دخوله اليها وهو لابس القلنسوة لاوّل مرة بعد ان كان يلبس العمامة (١) ومنذ ذلك الحين شرع اقليرس حلب في استعمال القلنسوة انما كانت قصيرة وكان بعضهم يلفّ منديلاً عليها . ومن حلب انتشرت في سائر الابرشيات . وجمع البطريرك الهمام في مقرّه الجديد كتباً قديمة وامتعة ثمينة اغتنى بها الكرسي البطريركي

---

١ كذا يبان من صورته المحفوظة في القلاية بحلب

٣٢٧ واذ ذاك لما بقي المطران عيسى وحده في حبس دير الزعفران وردت الاخبار الى ماردين ان الكرسي الرسولي اقام وكيلاً في القسطنطينية يقوم بمصالح الكاثليكيين الشرقيين على اختلاف طقوسهم وان السلطان محموداً ايد هذا الوكيل ببراءة وافت صورتها الى ماردين . ففرح المومنون وهموا في نجاة المطران عيسى وحده . وكان البطريرك ابن السيار قد وقع في حيرة عظيمة لان المطران عبد المسيح خصمهُ كان قد استحصل براءة بطريركية ووافت صورتها الى حاكم ماردين فسجلها وارسل الى ابن السيار يقول انك معزول فاما ان تبعث الينا بكما صرف بسبب دعواك وتلبث كراهب بسيط او تحضر للمحاكمة مع المقدسي حنا اسكندر وكيل البطريرك المؤيد باوامر الباب العالي

فاضطر ابن السيار ان يترك المطران عيسى تحت نظر محمد اوصو ويهرب الى قرية معصرتي حيث كان عنكز مفريانه . فاغتنم الكاثليكيون هذه الفرصة وذهبوا الى الدير يوم السبت ١١ نيسان سنة ١٨٣١ والتمسوا من محمد اوصو اطلاق المطران فلم يرضَ الا بعد ان اعطوه صكاً باربعة الاف غرش ورجعوا الى ماردين بالمطران فنزل في بيت ايليا بن يعقوب كدا فاحتسبهُ الناس شهيداً وطفقوا يقصدونه للتبرك منه وكان يقص عليهم ما جرى له من الضيق ويختم قائلاً:
كنت في ضيقاتي اندب اسم يسوع ومريم فأُحس براحةٍ في باطني وهناءٍ في جسمي

وفي تلك الايام قدم الوزير علي باشا ليتولى ولاية بغداد ونُصبت خيمه بين قريتي القصور وحرّين وفي ثاني يوم العيد الكبير ارسل الى ماردين حاكماً جديداً اسمه زينان آغا برفقة تفنكجي باشا حلبي اسمه احمد آغا وتبعهما الوزير

الفصل الثامن

٢٣٦ وصول السيد انطون الى حلب فالشرفة — تعيينه مطرانًا لماردين — سفره الى العاصمة
نيله براءة لنفسه وفرمانًا للبطريرك مع نسخ فرمان الاستقلال — نصب علي رضا
باشا لبغداد — توصيته ان ينفذ السيد عيسى — مغادرة السيد انطون
العاصمة — اخذه الى الاسكندرية الى الكرنتينا — نقل البطريرك
بطرس كرسيه الى حلب ٢٣٧ هرب ابن السيار — نجاة
السيد عيسى بوثيقة لمحمد اوصو — تعزية
المومنين — قدوم علي باشا — تتبعه محمد
اوصو — انضمام اليعاقبة الى
الكاثليك — اشتراكهم في
الصلوة

٢٣٦ واذ ذاك كان المطران انطون قد وصل الى حلب ووردت اليه كتب ماردين حاوية اخبار المطران عيسى رفيقه فاغتمّ واطلع القنصل الفرنساوي عليها فتأسف وسلمهُ كتب توصية الى سفير دولته في العاصمة فاخذها معه الى دير الشرفة وسلمها ليد البطريرك بطرس جروة : وكان شعب ماردين قد اخبروا غبطتهُ بكل حوادثهم وطلبوا مساعدته والتمسوا ان يقيم المطران انطون راعيًا فوافقهم · ولهذا خرج الى لقائه مرحبًا وعانقهُ · ثم اطلعهُ عَلَى رغبة الماردينيين انهم طلبوه راعيًا لهم · وبشره بان السلطان محمودًا تعطف عَلَى الكاثليكيين وامر باستقلالهم من بطاركة واساقفة الطوائف غير الكاثليكية · وقال له انّنا

في حاجة الى رجل لبيب نرسله الى العاصمة ليستحصل فرمان الاستقلال المذكور وبراءتين الواحدة لبطريركيتنا والثانية لتأييدك مطراناً لماردين · حتى قال وليس عندنا رجل اجدر منك بقضاء هذه المصلحة فعجل بالسفر واستعن بسفراء الدول الكاثليكية ولا سيما بسفير دولة فرنسا · فظعن لوقته الى القسطنطينية في شهر اذار وسلم الرسائل والتوصيات الى سفير دولة فرنسا موسيو كيلمينو فلما قرأ الرسائل واطلع عَلَى اخبار الاضطهاد الوحشي اتقدت فيه الغيرة الفرنساوية ومن دون تأخير عرض الامر عَلَى الباب العالي فضلاً عَلَى مساعيه السابقة في اصدار فرمان استقلال الكاثليكيين من استعباد المشاقين وبتوفيق رباني نال السيد انطون كلما كان يتمنى وذلك من بعد انتظاره ثلاثة اشهر وفي هذه المدة نشأت مودة بينه وبين رجل وجيه عند الوزراء يقال له ابن اوزقلي فحدثهُ عن المطران عيسى رفيقهُ انهُ محبوس عند خصومه ويكابد كذا وكذا ·

ولما كانت الدولة قد نصبت علي رضا باشا والياً لبغداد بعد ان كان والياً لحلب عَلَى ان يحارب داود باشا سالفه المستبد ويجمع عساكر نظاميةٍ ليستأصل شأفة الاينكجارية : التمس ابن اوزقلي من هذا الوزير ان ينقذ المطران عيسى من مضطهديه فوعده بذلك · وبعد هذا نال المطران انطون في اواخر ذي الحجة من سنة ١٢٤٦ هجرية فرمان الاستقلال في اربع نسخ مصدقة ومسجلة في الباب العالي · وارسل الواحدة الى حلب والثانية الى ديار بكر والثالثة الى ماردين عَلَى يد الخواجا حنا الصرَّاف والرابعة الى الموصل . فتسجلت في الحكومات المحلية المذكورة فكانت للكاثليكيين سبب فرحٍ عام · ونال

براءة البطريركية للمطران عبد المسيح فقال المطران جبرائيل : اني طائع لكل بطريرك تنصبه الدولة فخلى سبيله وحبس المفريان في الطمرغ (١) مدة طويلة حتى غرمه اثني عشر كيساً واطلقه فاقام في ديار بكر ينتظر ورود البراءة من العاصمة ليعلم هل هي باسم ابن السيار ثم خاف ان يغرموه كل ما ترتب عَلَى المطران عبد المسيح فهرب الى قرية معصرتي التي عَلَى طريق مذيات

٢٣٥ واما المطران عيسى فلما بلغه تلقين المفريان اهالي بلالية عَلَى قتله طفق يترقب فرصةً للهزيمة فتذلل يوماً وبكى مستظلماً قدام زوجة رئيس القريـة حتى رقت له وشفعت فيه عند بعلها فكف عن ضربه وفك اغلاله · فلما ارتاح وجد حبلاً فربط به مندرونة (محدلة) السطح وتعلق بها ليلاً ونزل من وراء القصر وهو يجهل أَجبل تحته ام هاوية ثم رمى بنفسه الى اسفل فقامت عليه كلاب القرية فقعد مختفياً ثم استغفلهم وانساب يمشي الهوينا حتى وصل الى الطريق وطفق يسير في تلك الليلة الدامسة وهو لا يعلم الى اين حتى طلع الفجر

اما رئيس القرية فانتبه من نبح الكلاب ودعا المطران باسمه وفحص عنه فلم يجد له اثراً وحار فيما يجيب المفريان و بطريركه عنه · وكان المطران المسكين تائهاً في منحدر القرية فسمع صوت الديوك ولمح باباً كبيراً فقال في نفسه : ادخله لاستريح · فلما دخل الباب علم انه القصر الذي هرب منه فضاقت روحه واغتم وشرع يبكي ثم سلم نفسه الى تدبير العناية الربانية واستشفع البتول القديسة كعادته · اما رئيس القرية فلما لمحه قال له اين كنت اما تعلم ان المفريان يخرب بيوتنا بسببك؟ ثم اخذه الى الدير وحكى البطريرك خبره فحبسه

١ آلة من خشب يحبس بها المجرم ممدوداً عَلَى الحضيض

ولم يكن الكاثليكيون يفترون من الصلوة من اجل نجاة الاسرى حتى استجابهم الحاكم فقبض ليلة عيد الميلاد عَلَى قسوس اليعاقبة عبد النور ويوسف واسحق وحبسهم وارسل الى البطريرك يقول · قد قبضت عَلَى قسوسك لاعذبهم فلا اطلقهم حتى تطلق المطران عيسى وقسوسه · فاشتد عَلَى القسوس وكان يجلدهم كل يوم · وفيما هو كذلك دخل رئيس القرية ماسكاً المطران بيده كما قلنا فخلى سبيل القس ايليا والقس عبد المسيح فرجعا الى ماردين واخذ كل منهما يصلي في بيته وغرمهما الحاكم الفاً وخمسمائة غرش · اما المطران عيسى والربان حنا جاجه فسلمهما البطريرك للخادم ليعذبهما ثم احضر المطران وطفق يوبخه وامر بتعريته من ثوبه تاركاً عليه القميص والسروال فقط وربط يديه ورجليه باوتاد · وفيما كان المطران مستلقياً كان البطريرك يشرب الدخان بالغليون ويوبخه فاذا صار التبغ جمرة نفضه عَلَى صدره فيحترق شعره ويُكوى جلده فيبكي ويستغيث وليس من مغيث · ثم كان يأمر ان يقلب عَلَى ظهره ووجهه نحو الارض ريثما يدخن الغليون الثاني فاذا صار التبغ جمرة نفضه عَلَى رقبته · قيل وكان يعيره بالتاج الذي أُرسل اليه من روميه ويُلبسه قبعاً من شوك مضفور ويكبسه عَلَى رأْسه قائلاً هوذا التاج الذي تستاهله(١) وفي خلال ذلك وجد الربان حنا فرصة فهرب الى ماردين يوم السبت الاول من الصوم · وبقي المطران عيسى وحده في سجن دير الزعفران

---

١ عن اخبار السيد سمحيري بالفرنساوية

الطاعة فلما استمروا لابثين غير متزعزعين امر بجلدهم مرةً في الليل ومرةً في النهار وان يقدم لهم الخبز والماء فقط . وكان الزبل فراشهم والبراغيث تمص دمهم في ظلمة الاخور . فتضايق المطران وآثر حبس القلعة عند المسلمين علَى الحبس في دير كرسي بطاركتهم . وكان يبكي أثناء جلده ويلتمس من الخادم ان يكف فرق له وقال ماذا اصنع وانا مأمور . قال له المطران وجّه ضرباتك الى هذه البردعه وكانت ملقاة قدامه وانا اولول فيتوهمون انك تضربني ففعل فارتاح قليلاً . وكان البطريرك يدخل احياناً الى الاسطبل وهو سكران ومعه المفريان فيتهدد الاسرى حتى انه لم يستحِ من ان يضربهم بنفسه ولا سيما المطران عليهم يرتدون اليه ولكن مساعيه حبطت علَى انهُ لم يكن يسمع منهم الا الهتاف قائلين : اننا نحيا ونموت علَى الايمان المقدس . ويسألون الله ان يقبل احتمالهم تكفيراً عن خطاياهم وينير عقل ضاربهم لانه سكران من العرق والطغيان معاً وكان المفريان يحث البطريرك على قتلهم فيجيبه : قد كنت فعلتُ ما تقول لولا وعيد الحاكم ان يأخذ دية كلٍ منهم خمسة وعشرين كيساً : ومع ذلك فلو كان المطران انطون بينهم لاذقته الموت ودفعت ديته . وبلغت الاخبار الى المومنين الذين في ماردين فانفطر فوءادهم الماً علَى المطران خاصةً فكتبوا الى حلب يحرضون المطران انطون ليهتم بنجاته سريعاً

ولما راى المطران عيسى ان ليس له امل برحمة البطريرك والحاكم خاف ان تتبدد جماعته فعول علَى الهزيمة وكسر ذات ليلةٍ اغلاله وشباك الحديد ورمى بنفسه الى خارج الدير فرضت يده وشعر بعلةٍ خفية دامت فيه الى ساعة وفاته وفرّ الى ماردين . وبلغ البطريرك ذلك في حينه فارسل الخدام في اثره فارجعوه

مهاناً فثقل قيوده وزاد في تعذيبه · ولما انقضت بضعة ايام والاسرى في ضيقهم ارسل المطران عيسى الى المومنين يقول : من اجل دم المسيح اشترونا ونجونا نجاكم الله واولادكم من كل سوء · فلما سمعوا هذا الكلام بكوا وبكت معهم النساء والصبيان فالتمسوا من الحاكم والاعيان نجاة المطران فلم يستجبهم فالتجأوا الى الصلوة · واما المطران عيسى فضاقت نفسه وحمله الضجر على الهرب ايضاً فكسر اغلال رجليه وحمل بقيتها على عاتقه وخرج يطلب ملاذاً وكان سكان الدير نائمين الا البطريرك فقال في نفسه استجير به مملقاً عله يلين فاتجه اليه وترامى على قدميه يقبلهما قائلاً : ترى اي سوء جرى مني حتى تعاملني بهذه القساوة فانتهره قائلاً تنح عني يا عيسى الشقي قد صرت فرنجياً وقسمت جماعتي وضبطت كنيستي وتقول اي سوء جرى مني ؟ قال المطران اما قلت لي ان الايمان الكاثليكي حق فقال نعم قلت لكني لم اقل لك ان تضع كرسيك فوق كرسي وعند هذا الكلام استيقظ الناس الدير فوثبوا على المطران وادخلوه الى الاسطبل واحكموا قفله وعادوا الى النوم

وكان المفريان متأهباً للسفر الى ديار بكر لمقاومة المطران عبد المسيح المدعي بالبطريركية فلما بلغه ان المطران عيسى حاول مرتين ان يهرب خاف ان يفلت من فخه او ان يتساهل البطريرك معه فعاد الى الدير وساق المطران الى قرية بلالية التي تبعد مسير نصف ساعة من شرقي الدير وسلمه لرئيس القرية موعزاً اليه ان يحبسه عنده ويجلده ثلاث مرات في اليوم · ولقن اهالي القرية ان يقتلوه غيلة اذا امكن · ثم عاد الى الدير بالمطران جبرائيل وتوجه الى ديار بكر فقبض الوالي على كليهما وقال للمفريان ان بطريرككم معزول وقد اعطيت

واثناء ذلك نُعي اليهم البابا لاون الثاني عشر وأخبروا بجلوس مار بيوس الثامن

ولما استبطأ المفريان جواب الوالي استصحب معه اغا الاومريان الى الحاكم وطلب ان يسلمه المطران عيسى وقسوسه وهم ايليا نحيت وعبدالمسيح والربان حنا جاجه وكان هذا الربان امياً لا يقرأ ولا يكتب وانما انتمى الى المطران انطون غراماً بحبه ووعد المفريان للحاكم بعشرين كيساً هديةً اذا اجرى طلبه . فطمع بالمال واحضر الخصوم الذين طلبهم باسم بطريركه وطلب منهم مالاً كثيراً لكي ينصرهم واذ لم يكن لهم ذلك كتب الى البطريرك يقول : سأبعث اليك بالاربعة الخصوم الذين طلبهم المفريان وكيلك فاذا عذبتهم اياك ان توصلهم الى الموت لان سعادة الوالي امر بحفظهم واعلمك ان دية كل منهم خمسة وعشرون كيساً . انما كتب هكذا نظير بيلاطس واسلم الاسرى ليد قيافا الجديد في اواخر تموز سنة ١٨٣٠ فساقهم المفريان فرحاً وهو يضربهم و يهينهم . ومنذ وصولهم الى الدير دخلوا على البطريرك وقبلوا يده فلم يكلمهم بردي بل ادخلهم حجرةً فكان ذلك دليلاً عَلَى انه لم يتعدَّ عليهم الا خوفاً من مفريانه الشرس لئلا يسعى في خلعه او في قتله . ولا سيما لان احد مطارينه عبدالمسيح الامدي كان قد استمال جانباً من المطارين اليه وسعى في خلعه محتجاً ان استيلاءه عَلَى البطريركية كان ظلماً وغدراً ولهذا وقع ابن السيار في حيرةٍ اذ كان ضميره يوبخه على اهماله المعتقد القويم بعد ان اقر به ووقع عليه : وعبدالمسيح وانصاره يحاولون خطف الرئاسة منه فاذا ساعد الكاثليكيين يجعل بطريرك الارمن خصماً له فلم يبقَ له امل للمساعدة الا في المفريان الياس

٢٣٤ وبعد ايام اختلجت افكار الكاثليكيين بسبب المطران والقسوس

فانطلقوا الى الدير وقالوا للبطريرك الى متى تعذب نفسك وتعذبنا رخصنا ان نبحث عن الحق امامك فاذا ظهر لك تبعناك نحن والمطران عيسى . واذا ظهر لنا خلّ سبيله دون اذى . والا فنرفع دعوانا الى ديوان الرب الديان العادل . فاحتار في ما يجيبهم لوجود المفريان في الدير ثم قال لهم انصرفوا الآن وفي عيد السيدة ١٥ آب يحضر اثنا عشر منكم واثنا عشر منا ونبحث عن الحق . وفي اليوم المعين حضر الكاثليكيون حسب الوعد فوجدوا نحو مائتي رجل اكثرهم من قرى طور عبدين قد جمعهم المفريان للشر وجلس اثنا عشر منهم للمباحثة والبقية جلسوا وراء الحائط باسلحتهم ينتظرون الاشارة للفتنة . فلما رأى الكاثليكيون ذلك خافوا شرهم فاسترخصوا من البطريرك بالرجوع واذ عرف السبب صرفهم بقوله لا تقلقوا فاني سأعين لكم محلاً تصلّون فيه

وشرع المفريان من بعد انصرافهم يوبخ البطريرك على تساهله قائلاً : لقد خسرتُ عشرين كيساً لكسر شأفتهم وانت تتركهم في حريتهم . فخافه البطريرك فامر بتحديد الاسرى وزج المطران عيسى في اسطبل مظلم نتن موقعهُ عند جبٍ يقال له جب" الست" ماراني وسدوا عليه الباب بالحجارة . وطرحوا القسوس الثلاثة في حجرةٍ مهجورة . وسمع محمد اوصو انين المطران البار من وراء الحائط وسال الطباخ عنه فقال : انهم حبسوا المطران عيسى في اسطبل وسدوا عليه الباب بالحجارة

وكان البطريرك يصلي الرمش في بيعة مار يوحنا . فدخل محمد اوصو واخرجه بلجاجة وطلب ان يفتح باب الاسطبل فلم يطاوعه فتهدده بضرب وقتل فخافه وفتح الباب واوقف خادماً يحرسه و يجلد الاسرى في كل ليلة اذا ابوا

راسمه • ورقى الى الخورفسقفسية القس عبد الكريم بن حنا عبد النور لخورنة مار توما والقس يوسف فرعاوى رفيق سفره لخورنة برطلي • ورسم الشماس اسحق بن يوسف انطون كاهناً لقرية بعشيقا عوض سالفه الذي توفي بريح السموم فعاش مثله عمراً طويلاً • ورسم ايضاً القس باخوس لجماعة زاخو

وكان قد اتى الاسقف بامر من البطريرك فيه يخصص لدار الاسقفيه كل الكتب السريانية التي في مكتبة الخوري ميخائيل صائغ • بيد ان اخاه الشماس جبرائيل صائغ لم يرضَ بل كتب الى البطريرك بتاريخ ٢٨ حزيران سنة ١٨٢٩ يشتكي من الاسقف • فاجابه البطريرك ان الامر بذلك صادر منه وان اكثر الكتب هي لمكتبة دير الشرفة اخذها اخوه المرحوم لغاية نفع الطائفة حتى قال له : انك شماس وتاجر فلا تمنع فائدة الطائفة وتجعل الكتب للغبار والعث • فلم يذعن بل طلب ان يرسم كاهناً حرصاً عَلَى تلك المكتبة فلما رسمه الاسقف ترك القسوسية وعاد الى تجارته في سعرد وبدليس وموش كما كان يتعاطاها سابقاً وأُخذ الى تفليس اسيراً عقيب محاربة المسقوف للدولة • ولما عاد الى الموصل وافى اليه من لدن البطريرك توبيخ وتهديد بالقصاصات البيعية عَلَى مخالفته القوانين • فاطاع (١) وخدم النفوس زماناً حتى ارسله القاصد تريوش الى البصرة فقضى فيها • واما المكتبة التي كلامنا عنها فتبددت

ولكي نرجع الى اخبار المطرانين انطون وعيسى نقول انه من بعد سفر الاسقف ميخائيل ورد جواب رسائلهما من البابا لاون الثاني عشر فيه نعتهما بالاخوين الامينين وارسل لكل منهما صندوق كتب دينيـــة روحية مع تاج

---

١ عن رسائل قديمة في قلاية الاسقفية وفي بيت اسرة صائغ بالموصل

وصليب وخاتم اسقفي واوفد كذلك غبطة البطريرك باسم الشعب رسائل تتضمن ثناءً على غيرتهما وثباتهما و بركات لهما وللشعب فقرئت بفرحٍ عام

واذ ذاك خطر للمطران انطون ان يذهب الى زيارة البطريرك ليعالج امر الديون المتراكمة عليه اذ لا امل لوفائها في ماردين فاودع الشعب لعناية الله والمطران رفيقه وذلك في مبادئ الخريف نهار السبت ٩ تشرين الاول سنة ١٨٢٩

وكان المطران عيسى يظن ان قد عبرت ايام الشدائد والعسر وبدأت ايام الحبور والراحة غير انه في مبادىء سنة ١٨٣٠ قامت عليه زوبعة جديدة لان المفريان الياس قصد اعيان المسلمين يشنع على خصومه مفترياً فلم يعبأ احد بكلامه · وكان بطريركه في قرى طور عبدين فلما عاد الى ماردين سأله المفريان المساعدة فاجابه ان الوقت لا يوافق وليس عندنا مال نصرفه على الخصام فاصرّ المفريان ورفع شكواه على الكاثليكيين والخواجا الياس شاده مساعدهم زاعماً انهم افسدوا طائفته وقسموها وبنى دعواه على بيورلدي كان قد استحصله من والي بغداد ليكرههم على الصلوة معه فاخذ الحاكم البيورلدي ليتحققه وقال له ان لخصومك بيورلدياً احدث من هذا بثمانية اشهر (١) فيه الحرية ليصلوا حيثما شاؤا ومع ذلك فاكراماً لخاطرك استعلم من بغداد وكيفما كان الجواب اعمل به · وبعد ايامٍ استدعى الحاكم الكاثليكيين واطلعهم على طلب المفريان وطلب منهم ثلاثة الاف غرش ليبطل دعوى خصمهم فجمعوا المال من السريان والارمن لخوفهم

---

١ هو الذي استحصله السيد الكسندر كوبري المطران اللاتيني من والي بغداد

الامر الى حاكم ماردين مع مباشر ولاية بغداد. وكان ابن السيار يومئذٍ في دير الزعفران خائفاً من الحاكم فذهب المباشر اليه ودعاه الى الحضور والى دفع خدمته فلم يأتِ بنفسه بل كتب الى شعبه ان يجمعوا المبلغ المطلوب فجمعوه من ماردين وضواحيها. وحينئذ اطلق الحاكم المطرانين فنزلا من القلعة الى بيت معمار باشي. فهرع الشعب الى زيارتهما مسرورين وشاكرين لله على سلامتهما واحتسبوا نجاتهما اعجوبةً من عجائب الله واما الغرامة فجمع ربعها من المؤمنين والباقي استقرضوه بالفائض من نصارى ومسلمين

وشرع المطرانان يقيمان القداس في بيت معمار باشي فوشى بهما المفريان عنكز الى الحاكم انهما افتتحا كنيسة بدون رخصة فنهاهما. وبعد الالتماس اذن لهما بالصلوة في بيعة الارمن وكان ذلك من عيد الميلاد حتى الاحد الجديد: اذ كان مطرانا الارمن ومطرانا السريان يتناوبون الحفلات والمواعظ فيخرج اربعتهم لابسين التيجان مرافقين بالتراتيل بين فوجين الفوج الواحد بالسريانية والثاني بالارمنية

وفي خلال ذلك كان رجوع الاسقف ميخائيل يوحانا من لبنان الى الموصل ولدى وصوله الى ماردين التقى بالسيدان عيسى وانطون واشترك معهما في الحفلات والتهاني ولبث مدة الصوم كله الى الاحد الجديد ينتظر وصول براءته وفي احد الشعانين ندب الى الوعظ فوعظ صباحاً ومساءً ونهار الخميس احتفل السيد يواقيم طقس الغسل فغسل اقدام المطارين الاربعة وتسعة قسوس من الارمن والسريان ثم رفعوه بالكرسي حسب عادة السريان ونهار الجمعة وعظ الاسقف ميخائيل عظة الالام وفي خلالها رتل المطران انطون بصوته الجهور ترتيلة « من لا يحزن » فكان لكلام الواعظ ولصوت المرتل وقع الخشوع في قلوب المومنين وفي ذلك اليوم قتل المتسلم

الفصل السابع

٢٣٣ وصول براءة الاسقف — سفره الى ابرشيته — رساماته — مسألة مكتبة الخوري ميخائيل
صائغ — رسالة البابا الى السيدين — سفر السيد انطون — محاولة عنكز اضطهاد السيد
عيسى وانصاره — استلامه السيد عيسى وثلاثة قسوس برشوة — موافقته للبطريرك
٢٣٤ دسيسة للشغب — زج السيد عيسى في أسطبل — جلده حتى
بيد البطريرك — هرب السجين — ارجاعه — التماسه النجاة
هربه ثانيةً — توبيخ البطريرك له ٢٣٥ حبسه عند
رئيس قرية بلالية — حبس عنكز في ديار بكر
هرب السيد عيسى — رجوعه الى
حبسه — سوقه الى الزعفران
تعذيبه بالنار

٢٣٣ وبعد العيد الكبير وصلت البراءة للاسقف على يد البطريرك فحملها الى الموصل مع قسيسه ورسائل من المطران انطون الى اخوته واقاربه فيها شرح لهم حاله وما ناله من اجل الايمان القويم وحثهم على اللحاق به فاهتدى بعضهم وبعضهم لبثوا كما كانوا الى حين ذهابه اليهم . اما الاسقف فبعد مسير تسعة ايام وصل الى ابرشيته وقدم براءته الى محمد امين باشا فسجلها وكانت اقامته ببيت الكرمانجي كالسابق وتوارد الشعب الى زيارته وشرع بوظيفته بغيرة ونشاط ولما كانت رعيته قد تيتمت من الكهنة اخذ يقيم كلّ احدٍ وعيدٍ قداسين الى ان انتخب اشخاصاً جديرين بالخدمة فرسم قسوساً وشمامسةً كما اوصاه البطريرك

يقول هذا القى الجند طوق الحديد في عنقه وعنق رفيقه وفي رجليهما وللوقت ساقهما علي بيك الى سجن القلعة على اعين الجمهور اذ كان محبوساً يتحبون

٢٣٣ ومنذ دخول السيدين انطون وعيسى القلعة زجهما الجند في الزندان الذي مدخله عن شمال الداخل وهو سجن منقور في الصخرة لا منفذ له للنور وللتنفس غير المدخل (١) فضلاً عن القمل المعشش كالنمل · وكان محبوساً معهما اثنان من قطاع الطرق فصاروا اربعة فراشهم الزبل ووسادتهم الصخر · وزد على هذا ان علي بيك ارتشى فكان يجلدهم ولا يسمح لمعيشتهم سوى بالخبز الردي والماء · وعلاوة على ضيقة السجينين اتصل الوباء الى ماردين منذ دخول شهر نيسان سنة ١٨٢٨ وفشا في عسكر القلعه وسجنائها اكثر مما بالبلد بحيث انه لم يسلم من الجنود الثلاثمائة الذين كانوا فيها سوى خمسة وثلاثين ودُفنت الجثث كلها داخلاً · ولما كان الصخر اكثر من التراب زادت النتانة وكان السيد انطون يستنشق العطوس عله يخفف المصاب · فكانت صيانة السجينين البارين من الموت ضرباً من المحال بل اعجوبة العناية الربانية فحصل المطرانان في ضيقٍ جدّ عظيم وذات يوم لحا الامير من بعيد فرفعا أنين الاستغاثة والتمسا منه ان يسمح لهما بالجلوس في الشمس ولو ساعة من الزمان فتحنن ورخصهما وكانا قد لبسا في الامس ثياباً نظيفة فتفقداها واحصيا ما وجداه من القمل فكان يربو على السبعماية قملة ما عدا الصئبان الذي خرطاه بسكين عسى يمكنهما النوم (٢)

وكان المؤمنون في قلقٍ وغمٍ عظيمين من اجل السجينين فكان بعضهم

---

١ قصدنا الحبس المذكور فوجدناه كما قرأنا في اوراق الخوري ابرهيم

٢ عن اخبار السيد سمحيري المطبوعة فرنساوياً

يفتقدونهما بدراهم يدفعونها للامير فتمكنوا بهذه الوسيلة من تنظيف السجن من الاقذار وغسل جسدهما وتبديل ثيابهما ورجعوا وهم يتنهدون اسفاً عليهما · ولما بلغ غيرهم خبر المطرانين قدموا للامير شيئاً من الهدايا فسمح ان يأخذوهما ليلاً الى بيت المقدسي ملكي معمار باشي بن داود الاورفلي ثم ردهما قبل الصباح الى السجن واغتنم السيدان تلك الفرصة لحث المؤمنين على الشجاعة والصبر · والعجب من ان الله صانهما من كل عارض وباني فكانا يتعزيان ويشجع احدهما الآخر

ثم انه صدر الامر بشنق ذانك الرجلين اللذين كانا في الزندان مع المطرانين فلما علم الاضداد رشوا القواس حامل الامر ان يعلن بان الامر بالشنق صدر على المطرانين ايضاً وقصدوا ان يميتوهما رعبة · فلما سمع المطرانان اغتما على الرعية لئلا تبقى بدون راع فصليا قائلين : يا ربنا يسوع المسيح ان كان يستطاع فلتعبر عنا هذه الكاس ولكن فلتكن مشيئتك · ثم تعانقا وتحالفا على الثبات حتى النفس الاخير · وعادا الى الصلوة وقدما الشكر لله على انه أهلهما لنيل اكليل الشهادة · ولما حانت الساعة المعينة خرجا برفقة اللصين وقد علق المباشر حذاءً عتيقاً في عنق كل منهما فشنق اللصين وقال للسيدين ان الامر لم يصدر عليكما بعد فعادا الى السجن واستمرا فيه مدة ثمانية اشهر الى ان تجدد الصلح بين الدولتين العثمانية والفرنساوية وكان من جملة الشروط إطلاق كل المسجونين من الكاثليكيين في البلاد العثمانية · وكان السيد بطرس الكسندر كبرّي المطران اللاتيني ونائب القنصل في بغداد تتمزق احشاؤه غماً على حالة السجينين الواصلة اليه اخبارهما برسائل كاثليك ماردين والبطريرك بطرس جروة · فاغتنم فرصة الصلح المذكور وسعى في دار الولاية ليطلقهما فنال عفواً عن الاسيرين على ان يدفعا عشرين كيساً غرامة ووصل

ان هذا يحدث بسحرهما (١) وكان هذا المفريان اثناء ذلك قد لقن اناساً من بنابيل وداندانه يقال لهم صومي وحدوويشوع ان يقتلوا الخواجا الياس شاده الذي ساعد الكاثليكيين بجاهه وماله · وكان الياس الموما اليه قد انتقل بعائلته الى بستان له في باسپانس بماردين هرباً من الوباء وكان عنده القس حنا زرّي القرقوشي فهجم الاشقياء المذكورون علَى عائلة الياس ليلة الجمعة ١٥ حزيران سنة ١٨٢٨ وذبحوا اخويه جبرائيل وميخائيل ونهبوا ما وجدوا لديه من المال وكان خمسين كيساً · وهرب القس حنا ونجا الياس لانه كان غائباً ولما اخبر الاشقياء المفريان بما صار شتمهم علَى انهم لم يذبحوا نساء العائلة واطفالها ايضاً (٢)

وجاء البطريرك الى ماردين يوم الاثنين ١٨ حزيران وقدم هدايا لعلي بيك المتسلم وللمفتي فاعطاه المفتي مفاتيح بيعة شموني فاستصحب اليها المفريان وكيله وراهباً ونفراً من الشمامسة فصلوا فيها · ثم قال المفريان لبطريركه انك لم تكسر شأفة الكاثليكيين تماماً لان المطرانين في سجن طيب فاذا كان لك جاه ونفوذ فارسلهما الى سجن القلعة المعدّ للمحكوم عليهم بالموت · فاذعن وحدّث المتسلم في ذلك فلم يلبه خوف ان يصيبه ضرر لانه شهد في المطرانين ما بيّن انهما من اولياء الله فغضب البطريرك وانطلق الى الدير وكتب الى والي بغداد يشكو المتسلم والقاضي والمفتي لانهم لم يجروا الفرمان السلطاني واذ ذاك نُصب الحاج احمد افندي المفتي حاكماً وابتدأ حكمه بزج المطرانين في سجن القلعة ثم دعا البطريرك الى المحاكمة وكان خائفاً ان يُشجب فيسجن الم يتهيا له اثبات ذنبٍ عليهما

١ رواية الشيوخ بماردين

٢ الاخبار اليومية المحفوظة عند الخوري ابرهيم معمار باشى

ولدى حضوره قُرِئ الفرمان على مسمع من المطرانين فاوعز الحاكم الى الاسيرين ان يخضعا للبطريرك حرمةً لفرمانه · فاجاب السيد انطون : اما في الخدم المدنية فنطيع السلطان والبطريرك : واما في امور الدين فلا حق له علينا · قال الحاكم ما حجتك للامتناع من إطاعته · قال لان معتقده مخالف لتعليم الانجيل وللحواريين انصار سيدنا عيسى · فانه يزعم ان سيدنا عيسى احتمل الصلب والموت بجوهر لاهوته اعني من حيث هو كلمة الله ومن روح الله · ونحن نقول كما ورد في الانجيل انه احتمل ذلك بجوهر ناسوته الذي من مريم العذراء · ثم اننا نقول في صلاتنا قدوس انت يا الله قدوس انت ياقوي قدوس انت ياغير قابل الموت ارحمنا · واما البطريرك فيكرهنا على ان نضيف عليها يامن صُلب من اجلنا · وهذا اكفر لانه يجعل الله نفسه مصلوباً ومائتاً · فلما سمع الحاكم هذا الكلام وكان مفتياً وعالماً راعه الامر ودخل في جدال طويل مع البطريرك ثم صرفه قائلاً ان مقالتك كفر فلا حق لك ان تكره خصميك على اتباعك فيها · وكان يؤمل منه مالاً ايضاً · فانصرف وبعث يقول للحاكم : اذا كانت مقالتي كفراً او حقاً فهذا ليس من وظيفتك انما استنادي على فرمان الدولة فاذا كنت امين الدولة فأجرِ اوامرها وعاقب من عصاني بالحبس او بالنفي الى حيث اشاء انا · وبعث بهذا الكلام مع هدية · فاحضر الحاكم المطرانين وسألهما الطاعة لخصمهما · فجاوباه كالاول فامر بتسليمهما الى علي بك مصفدين بالاغلال فتعانق المطرانان باكيين وقال السيد انطون لرفيقه يا اخي ها قد حان وقت الضيق الذي قبله يسوع معلمنا والشهداء بسرور فلنلبث على وعدنا حتى الموت · قد كان الضلال سجناً مؤبداً لنا لان عاقبته جهنم اما هذا السجن فزمني وعاقبته المجد السماوي · وفيما هو

يعيرونهم شامتين وبعد انقضاء عشرة ايام غرّمهم الحاكم سبعمائة ايكيلغ وخلى سبيلهم

اما الخوري المنتخب فبعد ان سمع البطريرك منه اخبار الموصل سأله عن الدرجات التي اقتبلها قبل القسوسية فعلم انه لم يقتبل الدرجات الصغيرة كعادة اليعاقبة فمنحه اياها سراً ثم اقامه اسقفاً في ١٣ كانون الثاني سنة ١٨٢٩ ودعاه ثاوفيلس لكنه قال له بعد الرسامة « اسفاً عليك لان مدة اسقفيتك لن تطول كثيراً فمع وصولك الى رعيتك تجل برسامة قسوس لها خوف ان تتعطل » وكان المشتركون في الرسامة: السادة غريغوريوس سمعان زورا الموصلي البطريرك المتنازل · واثناسيوس جبرائيل حمصي الحلبي · ويوليوس انطون القطربلي · وكتب البطريرك الى القسطنطينية يطلب براءة سلطانية لتأييد الاسقف الجديد ولاستقلاله من حكم بطريرك اليعاقبة حسب الانعام المعطى من السلطان محمود كما المعنا سابقاً · واقام الاسقف القس يوحنا استنبولية الحلبي وكيلاً عنه وعاد الى الموصل مستصحباً القس يوسف فرعايه البرطلي الراجع من زيارة القدس وكان دخولهما ماردين يوم احد مدخل الصوم الكبير سنة ١٨٢٨!

وكان السيدان عيسى وانطون والرعية الكاثليكية بماردين في ضيق عظيم منذ مبادىء سنة ١٨٢٨ وذلك لان البطريرك ابن السيار لما قرأ جواب المطران انطون وتحقق اصراره على الكثلكة: اغتاظ غيظاً لا مزيد عليه وارسل هدية ثمينة ورسالة الى عبدالله اغا حاكم ماردين والتمس فيها منه ان يقبض على المطرانين · فقبض عليهما وحبسهما عنده خمسة عشر يوماً · فخاف الكاثليكيون غير الثابتين وارتدوا الى اليعقوبية وسارع البقية فجمعوا مالاً وافتدوا به المطرانين

نخرجا من السجن

٢٣١ فلما بلغ ابن السيار ذلك جمع مبلغاً كبيراً من المال وتوجه بـه الى العاصمة فوجد الاحوال موافقة لمرامه اذ كانت سفن الدولة قد ضُبطت في نوارين او زنكيو وهي شبه جزيرة المورة من بلاد اليونان حيث كان اليونانيون طلبوا الاستقلال من الدولة وساعدتهم دولة فرنسا فكسرت عساكر الدولة ولهذا كانت الدولة مائلة الى قهر الكاثليكيين. فنشط ابن السيار ورفع الى الباب العالي عرضحال قال فيه « انا البطريرك الانطاكي بنعمة الله وبانعام السلطان محمود الطائع الامين للدولة العلية اعرض انه قد اشهر العصيان عليَّ اثنان من مطارين طائفتي واتبعا مذهب الفرنج وجذبا الى حزبهما قسماً كبيراً من طائفتي ووفقاهم مع الفرنج اعداء الدولة فاضطررت ان اقدم بنفسي الى اعتاب دولتكم ملتمساً من جلالة السلطان ان يصدر امراً شريفاً بارجاع المذكورين الى طاعتي او بحبس المطرانين او نفيهما الى ان يقدما لي الطاعة »

فنال فرماناً صارماً وانقلب به الى ديار بكر ومنها ارسله مع نفرٍ من رهبانه الى والي بغداد فسجله وردّه الى ماردين مع مباشر خصوصي وكان عبدالله الحاكم قد مات بالوباء . فكتب البطريرك الى علي بيك المتسلم يطلب تنفيذ فرمانه . فالقى القبض على السيدين عيسى وانطون وزجهما في السجن مصفدين بالاغلال وكان يعذبهما . وكتب الى البطريرك يطلب حضوره عاجلاً سريعاً

وروى بعضهم ان السجان كان يتفقد السجن كل يوم صباحاً فيجد المطرانين محلولين فيكبلهما بحديد اثقل ويقفل الباب عليهما ويمضي ثم يلقيهما صباحاً محلولين ايضاً فاخبر المتسلم بذلك فامتحن الامر بنفسه وحكاه للمفريان عنكز فقال

الفصل السادس

٢٣٠ انتخاب الموصليين الخوري ميخائيل يوحانا اسقفاً—سفره الى لبنان—حبس القسوس رفقائه—رسامته—وصوله الى ماردين—انتظاره براءة—حبس السيدين عيسى وانطون افتداؤهما بالمال ٢٣١ سفر ابن السيار الى العاصمة حين استياء الدولة من فرنسا—صورة شكايته—نيله فرمان شديد—حبس السيدين ايضاً— عجيب ما شهده السجان جواب عنكز—مقتل عائلة الياس شاده—محاكمة السيدين—رفعهما الى سجن القلعه رغماً — احتجاج السيد انطون ٢٣٢ وصف السجن ومصاعبه—وسائل لترعيبهما—قلق المؤمنين واشفاقهم—اطلاق السجينين بعد ثمانية اشهر—قداسهما في بيت ثم في بيعة الارمن—حفلات متبادلة— اشتراك الاسقف يوحانا بها لا سيما في جمعة الالام

٢٣٠ ولما تيتمت جماعة الموصل بانتقال راعيهم القديس طفقوا يتفاوضون في من يخلفه فاجتمعوا في دار الشماس عبد الكريم بني اكبرجم واتفق اذ ذاك ان توفيت زوجة الخوري ميخائيل بن عيسى يوحانا فتحققوا ان الله اختاره اسقفاً عليهم لاسيما لانه كان جامعاً الصفات الجديرة بهذا المقام في زمانه • وكان الاسقف البار قد رقاه الى رتبة الخوري في ٣ تشرين الثاني سنة ١٨٢٣ فاعتذر بشيخوخته و بعد المسافة الى لبنان لكن الجماعة الحت عليه في انها لا تريد غيره فاستحصلوا له توصيات من عبد الرحمان باشا شفعوها بمضبطة الى البطريرك موقع عليها ا ختوم واسماء خمسة قسوس وتم القس يوسف حنا قندي والقس نعمان بن

الياس فندقلي والقس بطرس اخطل ابن الاسقف بشارة تلميذ بروبكندا والقس حنا بن شمعون الحائك والقس يوسف بن الياس زرازير وتسعة من وجوه شعب الطاهرة وهم الشماس عبد الكريم ابن الشماس بنى مراد · وبطرس ابن الشماس جرجس وبطرس الصائغ والشماس يوسف فرجو الوكيل ويوسف دكرمانجي والياس بن موسى عبد الكفيم وفتح الله ابن المقدسي عبد الكفيم والمقدسي ايلو والشماس جبرائيل رحماني · وخمسة من وجوه شعب مار توما وهم اسحق بن هندي جبرائيل والمقدسي بطرس بن يوسف قليان وسمعان بن فتحي وانطون ابن الشماس جرجس والشماس متى بن جرجس : والتمسوا من غبطته ان يقيمه مفريانـاً باسم باسيليوس نظراً الى امتياز كرسي الموصل سابقـاً · فسافر المنتخب بالصكوك المذكورة على طريق كركوك حيث حلّ ضيفاً عند رفيقه القس عبد الكريم الموصلي الذي كان لجأ هرباً من الوباء فحثه عَلَى الرجوع الى الابرشية لمساعدة القسوس· وتوجه هو الى بغداد ومنها سلك طريق القفر الى دمشق فلبنان · فرحب بـه البطريرك واكرم مثواه وغب استراحته اياماً انقطع الى الرياضة

وبعد سفر الخوري ميخائيل نُصب محمد امين باشا حاكمـاً عَلَى الموصل · فاغتنم اليعاقبة الفرصة وسعوا لديه بحبس قسوس الكاثليكيين فزجوا في السجن وكُبلوا بسلسلةٍ واحدة بحيث لا يبتعد احدهم من مكانه الا اضطر الاخرون الى اتباعه · وكان في جملتهم القس بطرس بن الياس قليدجي تلميذ بروبكندا وكانت تهمه النظافة جداً · فشق عليه الامر الى الغاية وسوّل ذلك للبقية ان يمازحوه تسلية فكانوا احياناً يظهرون حاجتهم الى المرحاض فيضطر القس بطرس ان يتبعهم فيستنكف متخلقاً مغتاظـاً فيضحكون · وكان الخصوم خارج السجن

اما اخبار تواضعه وصبره واحتماله ومسالمته الناس فالى اليوم تلهج بها السن نصارى الموصل وبها اجتذب كثيرين الى الهدى والتوبة وكفانا برهاناً على ذلك ما حدث له وهو قسيس مع الشبان الذين لسبب اهانتهم له اقبلوا الى الحق وما حدث كذلك ايام اسقفيته مع عزّان « عبد العزيز » سر يدار احمد باشا الجليلي عبليش المتشدد في اليعقوبية جهلاً على انه كلما كان يصادف الاسقف يشتمه ويوذي ابناء رعيته فيتشكون منه للاسقف فصلى الاسقف البار من اجله وخرج الى الزقاق ينتظر مروره فلما راه ذاهباً الى استماع القداس بادره قائلاً صباح الخير يا ابني عبد العزيز فاستحيا الرجل وقال انك وحدك عرفت اسمي ودخل الى استماع قداسه واضحى كاثليكياً هو وذريته الى اليوم

ولنجعل مسك الختام لمقالتنا هذه بحادثة جرت للاسقف في نحو السنة الرابعة لاسقفيته اي سنة ١٧٨٤ وذلك ان تاجراً بحلب اسمه الياس بن عبد العزيز نقاشة كان الحلبيون قد دعوه الى الصلوة في كنيستهم فلما عاد الى الموصل وطنه دعا الاسقف عزّو وقسوسه والاسقف بشاره وقسوسه الى الغداء في بيته وضم اليهم نفراً من مسلمي محلة راس الميدان واجلسهم في ناحية دون ان يعلم احد بهم فلما حضروا وجلسوا في ايوان الدار قال الياس لاسقفه قد اسمعني الكاثليكيون بحلب كلاماً كثيراً فلم اصدقهم لثقتي بانك انا سمعت مقالتهم ابكمتهم وها ابونا الاسقف بشاره وقسوسه منهم فتباحثوا بينكم ودلونا على الحق لنتبعه . فتباحث الاثنان طويلاً اذ كان السيد بشاره يتكلم بصراحة ووداعة وعزّو يعاند مغلطاً الكلام حتى دخلا في البحث في اضافة يا من صُلب من اجلنا على التقديسات الثلاث . واذ ذاك ضجر المسلمون فقام احدهم وقال للاسقف عزّو كفاك عناداً

لان الله القدوس لا يموت فبأي حقٍ ترذف قائلاً له يا من صُلب من اجلنا ارحمنا فقال الياس نقاشه لاسقفه ان بينات السيد بشارة ووداعته اقنعتني ان انتمي اليه فهو من اليوم ابي واسقفي وانا واهل بيتي من رعيته · وكان السماط قد مُد للاكل فتركه عزو وانصرف بذويه مغضباً · واكل بشارة وقسوسه · واكل المسلمون على سفرةٍ منفردة (١)

---

١ روى لنا جبرائيل رحماني ذلك وقال كنت جالساً قدام الاسقف بشاره سيدي «جدي اي والد امي» وعمري اثنتا عشرة سنة

والاباء المرسلين وكان منقطع النظير في زهده وحبه الفقراء اخوة يسوع المسيح. فكان يكثر من الاصوام زيادةً على الايام المفروضة. ولم يكن له مطبخ خصوصي بل كان يؤتى له بالطعام من بيوت الشعب وخصوصاً من بيت الشماس عبدالكريم بني. وطالما حُمل اليه العشاء من بيتين فيكتفي باليسير ويبعث بالباقي الى عائلةٍ فقيرة او اذا جيء اليه بالعشاء من بيتٍ واحد وقصده فقير يعطيه اياه ويبيت طاوياً. من ذلك روي انهُ أُرسل اليه ذات مساء رغيفان مع بطيخ لعشائه وقصد بابه فقير يتسول فاعطاه الرغيف الواحد ثم جاءه فقير اخر فاعطاه الرغيف الاخر مع البطيخ وبقي هو بلا عشاء. وكان احد المؤمنين حاضراً فحمل اليه عشاءً من بيته فاكل منه قليلاً ورده الى مرسله. ويوماً اخر اعطى عشاءه للفقراء وترك لنفسه قليلاً من الخبز الجاف فلما جلس على السطح يتعشى اذا بقطةٍ اقبلت من السطوح وبفمها قطعة من السمك المقلي فوضعتها امامه غير مثلومة وانصرفت وبعد قليل رجعت اليه بقطعة ثانية فاكلها شاكراً الله الذي سخر القطة لتحمل الرزق اليه كما كان قد سخر غراباً يحمل الغذاء الى ايليا النبي. ولما علم الشماس عبدالكريم بني انه اعطى عشاءه للبائسين وبات صائماً عاتبه فسمعه يقول مبتسماً ان اتكالي على الرب رازق الجميع وما البشر الا واسطة. وكانت صدقاته تفوق مقدرته حتى انه طالما باع جبته ووزع ثمنها عليهم. فاذا صادف المؤمنون رداءه وعرفه احدهم افتداه بالدراهم وردّه اليه

وروى بعض الثقات ان جبته نقلت اكثر من مرة من السوق الى البيت لهذا السبب واهدى الشماس عبد الكريم اليه عباءة ليلبسها في عيد الميلاد اذ كانت حينئذٍ في عيد الميلاد احسن رداء فقصده في صباح العيد فقير عليه ثياب رثة وسأله كسوة على حب العذراء القديسة فرقّ الاسقف له واعطاه العباءة. ولما

خرج الفقير من عنده وهو فرحان صادفه الشماس عبد الكريم اذ كان اتياً للمعايدة وسأل الفقير من اين العباءة فاجابه من كرم ابينا الاسقف فاخذها ودفع له ثمنها وحملها تحت ابطه ودخل بها. وبعد ان قبل يد الاسقف وبارك له بالعيد قال اين العباءة وقد حان وقت لبسها اجابه الاسقف دعنا الان من ذكر الثياب ونقلها ثم غير الكلام فضحك الشماس واخرج العباءة قائلاً اني خصصتها لك وقاراً لمقامك فلم اعطيتها للفقير. كم من مرة التمس منك ان تخبرني بحاجتك دون ان تبيع ثيابك او تعطيها فاجابه : لا باس يا ولدي لانه كيفما كانت ثيابي فتدفئني اكثر مما تدفئ مخلصنا في المزود فضحك الحاضرون مندهلين من تواضعه وزهده ولما حلت المجاعة الكبرى في الموصل وقل ما بيد الاسقف ارسل اليه مطران بغداد اللاتيني اسعافاً فصرفه على الجائعين ثم ارسل اليه البابا لاون الثاني عشر ايقونة ذهبية مع خاتم اسقفي عربوناً لمودته نحوه فباعهما ووزع ثمنهما ايضاً على المحتاجين واتخذ له عوض ذلك خاتماً من فضة فيه فص من الفيروزة غير انه لما كثر يوماً عدد البائسين الواردين اليه حملته الشفقة عليهم فانسل الى بيت الدكرمانجي حيث كان جرجس دكرمانجي يشتغل بالصياغة مع بهنام فتوحي ابن اخته (١) وسالهما: الا يمكن تبديل الخاتم بغيره من نحاس فاجابه الصائغ انه لا يسوى اكثر من غرش ونصف فقال ولا بأس لان القرش والنصف يكفي لاشباع ثلاثة من المحتاجين فصاغ له كما اراد ونزّل فيه فصّ الفيروزة ووزع ثمن الفضة على المحتاجين. وكان هذا الخاتم نفسه قد أرسل الى السوق اكثر من مرة وبيع ففكه المومنون بالدراهم

---

١ ان بهنام هذا هو الذي روى لنا الخبر على جليته

واحسنهم حديثاً ورصانة محباً للفقر والقشف حليماً مسالماً جميع اصناف الناس يحترم كبيرهم ويرفق بوضيعهم · وبالجملة كان معروفاً بقداسة السيرة مزداناً بالخصال الحميدة والفضائل الطبيعية والمسيحية ما نظر اليه انسان الا احتسبه ملاكاً ارضياً وامتاز بالمزايا المذكورة عند الاقارب والاجانب بل عند اكابر المسلمين واولي الامر · فكانوا يكثرون من التردد الى زيارته والاستيناس بحديثه

وكان كثير التعبد ليسوع المسيح مغرماً بحبه والاقتداء به على قدر وسعه ولهذا كانت صورة المصلوب على مخدة بجانبه فكان يتعزّى بذكر آلامه ويستعين بالله بجاهها في ضيقاته · وطالما شوهد يقضي الليالي ساهراً في الصلوة · وروى الذين كانوا يرقدون عنده انهم رأوه مرتفعاً عن الارض اثناء صلاته ورأوا كثرةً من نور تضيء امامه · وكان يسمي مريم العذراء امه فيناجيها كالذي يناجي اماً حاضرة فكانت تعينه في سجونه واسفاره وفي الاخطار

اما ايمانه فكان عظيماً ورجاؤه بالله ثابتاً ولاجله سُلبت امواله ولم يعد يشتغل بحرفته الا لدى حاجته الى القوت · وكان يرشد الناس في الايمان القويم ببراهين بسيطة تلائم فهم سامعيه وكان يتلوها باخبار يحكيها في محلها فتوثر · ورغماً عن شيخوخته كان صوته جهيراً يسمع خارج الكنيسة · وروى بعضهم ان رجلاً من ابناء رعيته قال له يوماً : نشكر الله ان صوتك اقوى من شيخوختك · فاجابه اني اذا متّ فاذكروني وقولوا قد كان لنا اسقف جاوز التسعين وصوت وعظه يصل الى خارج الكنيسة

وروى الثقاة انه تحاكم قدامه اثنان من رعيته فقضى بان يؤدي المعتدي حقوق قريبه فلم يذعن فاستعمل هذه الوسيلة لاقناعه وهي انه اوصى الشعب صباحاً

ان يحضروا في الساعة العاشرة الى الرمش والوعظ فاجتمعوا وانتظروه الى قرب الغروب حتى اوشكوا ان يملوا واذ ذاك اقبل الاسقف وانتصب يقول : اني لم اخالف وعدي كسلاً ولا سهواً وانما بينما كنت آتياً في الوقت المعين سمعت انيناً في الازقة وبينما انا احاول ان اعرف صوت اي مظلوم هو فأنقذه واذا بالصوت خارج من بلوعة فسألته من انت فاجابني : انا الحق وقد داسني المسيحيون وطرحوني في هذا الموضع القذر · ثم قال الاسقف ألا يا اولادي من كان منكم ظالماً للحق فلينصفه عاجلاً · وكان الخصم المعاند حاضراً فلوقته وقف وقال قد علمت من تعني فاستغفره ودفع لقريبه ما عليه · واتعظ الشعب من هذه النكتة اللطيفة كأنها من احسن واصرح الوعظات والى اليوم كتاب مواعظ الاسقف البار محفوظ في خزانة بيعة الطاهرة

٢٢٩ ومن بديع مزاياه انه لم يكن ييأس عند نزول المصائب بل كان يقول : ان جميع اوجاع هذا العالم لا توازي المجد الذي سيظهر فينا · وكان في السجون ينسى نفسه ويعزي القسوس رفقاءه ويشجعهم قائلاً · لا تخافوا من الذي يؤذيكم ويقتلكم · اذكروا وعد المسيح لنا انه يكون معنا كل الايام الى المنتهى · ثقوا فان الملاك الذي نجّى بطرس الرسول من سجنه قادر ان يخلصكم من سجنكم بهذا وامثاله كان يعظهم فيتعزون

اما خضوعه للحبر الروماني ولشرائع الكنيسة فكان يحاكي طاعة الولد لوالده وتجاوز فيه الحدود حتى انه لما قلّ بصره لشيخوخته وكان يمكنه ان يعفي نفسه من صلاة الفرض طلب من الكرسي الرسولي التفسيح فوافاه الجواب ان ذاك مباح ولهذا وثق المجمع المقدس بشهادته بسلوك غبطة البطريرك يوحنا هرمزد الكلداني

آخرها (١) وكان لما اشتد مرضه اجتمع تلاميذه واخصاؤه فطفق يقول لهم مقالة بولس الرسول : ها قد حانت ساعة انتقالي من هذا العالم الفاني ويشهد لي ضميري باني جاهدت جهاداً حسناً حسب ضعفي وقضيت سعيي وحفظت الايمان وحفظ لي من الان اكليل البر الذي يجازيني به الرب العادل فاسالكم ان توازروني بصلواتكم كي يتجاوز الرب عن تقصيراتي وما كاد ينتهي من كلامه حتى رفع الحاضرون اصوات البكاء فباركهم وبسط يديه طالباً المدد السماوي ليحفظهم وذريتهم في ايمان الكنيسة المقدسة وفي البر ثم قال لهم اذا متُّ اجعلوا الخوري ميخائيل يوحانا اسقفاً عليكم ثم اخذ بالنزع الى ان طارت روحه الى خالقها

وكان يوم وفاته يوماً تعيس الطالع على سريان الموصل خاصة حتى انهم لم يعودوا يكترثون لمصابهم وموتاهم · فاحتفلوا بجنازه بما يجب من التوقير والخشوع بينما كان المؤمنون يتسابقون الى تقبيل يده والتبرك منه وهم يتمنون فداء اسقفهم بنفوسهم لو امكن · ولما حملت الجنازة ارتفعت اصوات البكاء والاسف غير ان حزنهم تحول الى غيظ لقساوة نفر من اضدادهم الذين تآمروا سراً على منع دفنه داخل البيعة واتفقوا على ان يجمعوا عشرين الف غرش هدية لعبد الرحمان باشا الجليلي الحاكم لكي يوافقهم فشرع بعضهم بجمع المال وغيرهم بمنع فتح القبر وهم يشتمون كل من يسمح بدفن الاسقف داخلا · وكان القس يوسف قندي تلميذه يتألم ويتنغص من جرا ذلك فسارع الى الحاكم المومإ اليه ودخل عليه دون استئذان · فلما سأله الباشا عن ما دهاه اخذ يبكي وينتحب حتى انه رمى بعمامته في الارض وغلبه البكاء وشهق به فنهض الباشا من مكانه وسأله عما جرى له فقال ان الاب بشارة

١ عن رسالة الشعب الى الكرسي البطريركي بالشرفة حيث وجدناها

صديق سعادتكم الذي كنتم تلتمسون دعاءه اعطاكم العمر فهل تسمحون في مدة حكمكم ان يحرم الدفن داخل الكنيسة · فلما تحقق الخبر تأسف عَلَى فقده وطيب خاطر القسيس واصحبه باربعة جوخداريه وبعثمان ابن الدبوني آدمي الشرع وقال لهم : اريد ان تردعوا كل معارض وتمنعوا كل فتنة ولا تعودوا اليَّ الا بعد ان يودع الأب بشارة في ضريح يليق بمقامه · فلما دخل المذكورون البيعة سكت الخصوم الاّ يوسف بخايه فلبث يصيح ويشتم ليمنع دفن الاسقف · فضربه الجوخداريه وذبوه فتقدم الشماس عبد الكريم بني الى القس يوسف وقبله شاكراً همته (١) وتعزّى الكاثليك واثنوا عَلَى محبة الباشا ولما دفنوا الاسقف بوقار انقلب الجنود الى الباشا والناس الى بيوتهم · فتفطرت القلوب غمّاً عَلَى فقد تلك الدرة الثمينة وافول ذلك النجم النيّر · ومن جملة مشيّعي الجنازة كان القس اسحق بن يعقوب كاهن بعشيقا وكان الاسقف قد رسمه سنة ١٧٩١ وخدم سبعاً وثلاثين سنة فهذا بينما كان عائداً الى قريته مات بريح السموم (٢)

وكان الاسقف البار قد ساس رعيته منذ تقلدها بما امكنه من الغيرة والنشاط · وتجشم من اجلها اتعاباً ومشقات يعجز اللسان عن وصفها ورسم لها شمامسةً وقسوساً للموصل وقرقوش وبرطلي وبعشيقا والعقر والجزيرة وبغداد والبصرة يربوا عددهم عَلَى الالف

وكان معتدل القامة مبارك السحنة طويل اللحية عريضها مهاباً سهل الخلق كريم الطباع سليم السريرة حسن الراي جهير الصوت اصدق الناس لهجةً

---

١ رواية الخوري يوسف قندي

٢ رسالة شعب الموصل الى البطريرك بطرس جروه

اما الاسقف بشاره اخطل فظهرت منه غيرة فنحاسية وشجاعة رسولية رغماً عن شيخوخته حيث كان قد تجاوز التسعين من عمره٠ فكان يفتقد المصابين من سريان و يعاقبة و كلدان وهو حامل قصبة يدهن بها المصابين بمسحة المرضى فاذا دخل على احد من اليعاقبة يحثه على ان ينتمي الى الكنيسة الكاثليكية فاذا قبل ذلك سمع اعترافه وزوده بالقربان الطاهر والمسحة ومن هولاء الشماس يوسف كريمه المعروفة قبيلته باليعقوبية الى اليوم فانه قضى وهو كاثليكي٠

وكان القس بهنام والخوري ميخائيل ولدا القس نعمة الله صائغ يعاونان الاسقف في افتقاد المصابين من الصباح الى العشاء فكان القس بهنام يطوف بيوت محلة المكاوي ومار اشعياء والاسقف محلة القلعة كلها والخوري ميخائيل محلة مار توما ومحلة مسكنتا وكل منهم حامل علبة المسحة وكتاب العب والبطرشيل مع قصبة لمسح المصاب عن بعد فاذا عاد الى بيته ترك ادواته عند وساداته استعداداً للخدمة اذا دعي ليلاً ٠ وما زالوا على هذا حتى أصيب القس بهنام ثم اخوه الخوري ميخائيل ولما علم هذا الخوري بقرب وفاته استدعى اليه الشماس يوسف بن الياس زرازير ليساعده في صلاة توديع النفس فتلا بنفسه طلبة جميع القديسين وسلم الكتاب للشماس المذكور فكمل بقية الصلوات ولدى الفراغ منها لفظ الروح وكان اخوه القس بهنام قد اخذ في العافية فلما بلغه ان اخاه انتقل الى جوار ربه اغتم عليه فتوفي بعده بخمسة عشراً يوماً٠ وكان البطريرك بطرس جروة قد انتدب الخوري ميخائيل الى الاسقفية فوافت رسالة البطريرك في ٥ اذار وتوفي المنتخب بعد يومين اي في ٧ اذار سنة ١٨٢٨ فاغتم الشعب على فقده وصرفوا الف قرش ورغماً عن الخوف من العدوى رافقوا جنازته

بالشموع وتراتيل الحزن من بيته الى كنيسة مار توما واودعوه قبر الاساقفة (١)

وكان هذا الخوري رحمه الله قد جعل بيته مدرسة لقسوس البلد وقراها للتمرين في المسائل اللاهوتية فترك مكتبة معتبرة فافاد كثيرين بكتبها وكان شجاعاً باسلاً. قيل ان بعض الاضداد تآمروا على قتله حسداً فعلموا انه لا يمتنع من خدمة المرضى ليلا ونهاراً فاجتمع نحو ثلاثين شاباً وقرع احدهم بابه يدعوه الى منح الاسرار لمريض اسمه هندو البنّا فخرج ولما رآهم وعلم بالدسيسة هزم الثلاثين وافتقد هندو فالفاه معافى فعاد الى بيته (٢)

٢٢٨ اما الاسقف بشارة فمنذ ابتداء الوباء رأى نفسه متجاوزاً عمر الشيخوخة والمنية على الباب فاخذ يهتم بانتخاب خلف له فلمح القس بطرس القرقوشي الارمل لكنه توفي بالوباء فانتخب القس يوحنا كرزو الارمل كاهن زاخو وهذا ايضاً أصيب بالوباء مع عدد كبير من ابناء خورنته. فالقى الاسقف نظره على الخوري ميخائيل صائح فتوفي هذا ايضاً كما قلنا حتى أصيب الاسقف نفسه واذ لم يبق في الموصل قسوس لخدمة النفوس قلقت الجماعة وقدموا اليه الشماس يوسف بن الياس زرازير من خورنة مار توما والشماس حنا بن شمعون الحائك من خورنة الطاهرة فاقامهما كاهنين في دار الشماس عبد الكريم بني وبعد الرسامة أدركته المنية فكانت به خاتمة الوباء يوم عيد مار توما ٣ تموز سنة ١٨٢٨ فكانه عزّ شأنه حفظه ليعين اولاده وبني وطنه على الفوز بميتة صالحة وبسعادة الملكوت فينال اكليلاً بهياً فاخراً عما قاساه من الاتعاب مدة حياته الفانية وفي

١و٢ رواية جرجس ابن القس بهنام نعمه صائح اكثر من مرة

الفصل الخامس

٢٢٧ مجاعة في الموصل—مهاجرة كثيرين — استشهاد ١٨ قرقوشي في آزخ — وباء في الموصل—هرب القسوس—خدمة الاسقف بشاره وقسيسين اباَّن الوباء—وفاة الخوري ميخائيل صائح—اوصافه ٢٢٨ اعتناء السيد بشاره باقامة خلف له — اصابته بالوباء خاتمة — رسامته كاهنين وهو طريح الفراش — منع الخصوم دفنه — انصاف الحاكم اوصاف الاسقف ٢٢٩ تتمة ذكر اوصافه

٢٢٧ وفي خلال ذلك كان الغلاء مشتدًّا في الموصل حتى بلغت وزنة الحنطة بخمسة وعشرين غرشاً اذ كان مثقال الذهب بواحد وعشرين غرشاً(١) وصارت مجاعة هائلة اضطر فيها الى اكل لحوم الدواب والدما وهجر كثير من الاهالي اوطانهم فاخذت الحمية الشماس عبد الكريم بني الشهير بالسخاء والكرم فوزع خيرات كثيرة علَى البائسين · وكان يفرق يومياً خلقين من الشوربه وسلة كبيرة خبزاً كان علَى باب داره · وكثير من المهاجرين استوطنوا البلدان البعيدة ووصل بعضهم الى لبنان وترهبوا في اديرة الموارنة والروم كاولاد شمعونا سنبل وغيرهم

ومن جملة الهاربين بسبب الغلاء ثمانية عشر رجلاً من قرقوش قصدوا قرية آزخ من قرى جزيرة قردو · ولما كان اهلها متعصبين باليعقوبية منعوهم من الدخول الى قريتهم واسكنوهم مغارة تحت كهف يقال لها قصر

١ الوزنة ٧٦٨٠ درهماً بما ينيف علَى ٩٠ غرشاً وهي قيمة مثقال ذهب

البطريرك وكانوا يجمعون لهم خبزاً ويأتونهم به · فلما ذهب يوماً احدهم يستعطي على باب الكنيسة وجده كبير القرية واسمه الشماس اسطيفو فدعاه ليدخل الى الصلوة فابى لانه كاثليكي فاغتاظ منه وتهدده بالضرب بخنجره ثم طعنه به فمات ولما خرج الناس وسألوا عن من قتله حكالهم الشماس اسطيفو بالخبر فقالوا ماقصرت بقتل هذا الكلب · وطرحوا الجثة في حفرة · ثم اقبلوا الى الذين في الكهف وكانوا يلقون حبلاً في عنق كل منهم ويسحبونه الى الوادي قائلين اما ارجع الينا او خنقناك فلما قتلوا منهم خمسة او ستة تركوا البقية حتى امتلأ الوادي من مياه الامطار ودخلت الكهف فمنعهم اهل القرية من الخروج فماتوا مخنوقين(١)

وعلى اثر المجاعة انتشر وباء هائل فكانت تظهر في جسم المصاب حبة سوداء بقدر عدسة علامة لموته لا محالة وابتدأ الوباء في شهر شباط وانتهى بثلاثة تموز سنة ١٨٢٨ فهرب نفر من القسوس الى كركوك وغيرهم ماتوا عند توزيعهم الاسرار على المصابين في جملتهم القس بطرس النجار والقس يوسف ججو الحداد والقس نعمان والخوري ميخائيل صائغ الواعظ العلامة واخوه القس بهنام صائغ وكذلك قسوس الكلدان واليعاقبة ومفريانهم وموسى الاشة مطران دير مار متى · فاقفلت الكنائس وخليت البيوت والعمران من سكانها ولم يبق غير اربعة قسوس كاثليكيين وهم القس ايليا في قرقوش والقس بطرس نيم في برطلي والقس اسحق في بعشيقا وآخر في بغداد (٢)

---

١ عن رواية شيخ من آزخ شاهدها بعينه واطلعنا عليها لما كنا في تلك الجهات ندعوهم الى الديانة الكاثليكية

٢ عن رسالة الموصليين الى البطريرك بطرس وهي محفوظة في الشرفة

جداً ولاسيما لان المطران يعقوب اخص تلاميذه ولذلك فسلم فرمانه للمطران متي نقار واوفده الى دمشق ليسترد شعبها ومطرانها اليه (١) فاذا امتنع المطران يعقوب يذيقه مرارة السجن · فسافر المطران متى وخاف الكاثليكيون في حلب من ان يزعجهم كما فعل غيره فتملقوه وادخلوه الى القلاية وكتبوا الى المطران يعقوب يعلموه بقدوم خصمه فهرب الى لبنان ولاذ بحماية الامير بشير

فلما وصل المطران متى الى دمشق سأل عن خصمه فعلم انه قد هرب فتوجه الى الكنيسة فالفاها مقفولة فانزل عدة سفره قدام بابها وارسل الى الوكيل يطالبه بالمفاتيح فاختفى ساعةً ليستشير بالجماعة ثم ارسل جواباً الى المطران يقول ليس لك عندنا مفاتيح لان كنيستك ليست في دمشق بل في ماردين او في الموصل فغضب وامر بقية اليعاقبة مرافقيه ان يكسروا الباب فكسروه ودخل فاشتكى عليه الكاثليك عند الحاكم فاستدعاه وسأله باي حق كسرت باب الكنيسة وانت لست بمطران هذه المدينة · فاظهر له رسالة البطريرك وبراءته · فلما قرأها قبض علَى خمسة وعشرين من الكاثليكيين وطرحهم في السجن خمسة وعشرين يوماً · وكتب الى الامير بشير يطالبه بالمطران يعقوب · فاجابه جواباً مدلساً فالح المطران متى على الحاكم يريد إنجاز رغبة بطريركه والا فيرفع دعواه الى الباب العالي فكتب الى الامير بشير ثانيةً يريد المطران فاجاب انه اذا هجم عليَّ الجبل من راسه الى اسفله فلا يسلمه لانه استجار به ودخل تحت حمايته · فقال الحاكم للمطران متى اعلم اني لا اقدر علَى امير الجبل وانما اشير عليك ان تغيب زماناً حتى يأمن خصمك فيرجع فاقبض عليه ولعله حين عودتك يكون في السجن

---

١ عن اخبار السيد متى نقار مطبوعة بالفرنساوية

فاذعن المطران متى واغتنم الفرصة ليحج الى اورشليم فنزل في اواخر الصوم الكبير في دير اليعاقبة عند المطران عبد الاحد وبعد التبرك من الامكنة المقدسة حضر رتبة اخراج النور في الساعة التاسعة من السبت ليلة عيد القيامة · ورأى البلبلة وسمع لغط الجماهير المتجمعين من كل البلدان خامره فكر ان ذلك النور مدبر بصناعة بشرية لا بقوة الهية فطفق يرتاب في اعتقاد اليعقوبية ويفحص عما بينهم وبين الكاثليكيين من الفرق · ولما عاد الى دمشق علم ان المطران يعقوب لم يرجع من لبنان فكتب الى بطريركه يخبره بواقعة الحال · فاجابه موعزاً ان يذهب الى النبك والقريتين ويسوس ذلك الشعب ريثما يأتيه امر جديد (١)

١ عن اخباره التي طبعها بالفرنساوية ايام تجوله في اوروبا

٢٢٦ وبعد هذا مرض السيد انطون وادنف وكان اربعة يتناوبون السهر لمداراته . وذات ليلة انطفى السراج في الهجعة الاخيرة من الليل فابصر الساهران نوراً حول فراش المريض وسمعا كأن مار اغناطيوس المنوّر بطريرك انطاكية يناجي مريم العذراء قائلاً : اطلبي من وحيدك شفاء للمريض لكي اذا ما تقلد زمام البطريركية يتم به نظامها وثباتها . فلمست المريض فتعافى وجلس يطلب ماء ليغتسل وطعاماً فانتبه النائمان فدُهشا من حالته ثم قدما له ما طلبه واسرع احدهما الى المطران عيسى يبشره وهو خارج من بيعة القديسة شموني فلما لقيه المطران ظن ان رفيقه قد قضى فارتخت عزائمه وطلب حبلاً لينزل به من السور ويهرب فاوقفه الرجل مؤكداً ان المطران معافى . فهرع اليه واحتضنه وقال : اما كنا قد تحالفنا على ان لا يكتم احدنا امراً عن رفيقه فاحكيني كيف عوفيت من بعد اليأس فحكاه قصته وحلفه ان يكتمها . وبعد حين اطلع عليها كاتب اسراره (١)

ولما تواردت اخبار الكاثليكين الى ابن السيار كتب الى المطران انطون موبخاً ومحاملاً فقال « يا اخي وولدي انك علة الحركات الجارية بماردين وانقسام الشعب وبما انك كاتم اسراري فالاساقفة والشعب عزوا ذلك كله لي فالان اذا سكت ربما يشتكون عليّ ويخلعوني فاخسر مقامي وتكون حياتي في خطر وانا لا ارغب ازعاجك لاني احبك كما تعلم فاريد ان تقبل نصيحتي وترجع اليّ من تلقاء نفسك والا فتضطرني الى ان اجفوك واعاملك بالصرامة » فاجابه السيد انطون « اما بعد فاني وجدت الحق ولا بدَّ لي من التمسك به حتى مماتي لان

---

١ عن السيد يوحنا معمار باشي كاتم اسراره

لي نفساً واحدة فاذا هلكت تهلك الى الابد ولا تستطيع انت تخليصها · ولهذا اقول كما قال بطرس الرسول : ان كان عدلاً قدام الله ان اطيعك اكثر من اطاعتي له فاحكم · على اني لا اقدر ان اكتم الحق الذي اعلنه الله لي (قص ٤ : ١٩) بل انصحك ان تتبعني وتعمل بالحق الذي اقررت به و بينته ببراهين ساطعة · ولا تخف من الذين يقتلون الجسد بل خف من الذي يقدر ان يهلك النفس والجسد جميعاً في جهنم (متى ١٠ : ٨) واما التهديد الذي كتبت لي عنه فقد فهمته ولست اخاف منه · لاني اخترت لي نصيباً صالحاً ولي الثقة بانه لا يُنزع مني » (لوقا ١٠ : ٤٢)

فلما قرأ البطريرك هذا الجواب نبض فيه عرق الغضب فكتب الى عبدالله اغا الحاكم ان يقبض على المطرانين ويطرحهما في السجن وبعث اليه مع الرسالة بهدية ثمينة لينفذ طلبه

وفي خلال هذه الحوادث نزع اكثر يعاقبة دمشق وراشيا الى الكنيسة الكاثليكية بمساعي ابي حمد كبيرهم فلم يبق من المتمسكين باليعقوبية سوى خمس عشر عائلة فاضطر المطران يعقوب حلياني ان يتبعهم وكرس كنيستهم التي على اسم مار بهنام الشهيد ومار موسى الحبشي حسب الايمان الكاثليكي · وكانت تلك الابرشية مشتملة على سريان دمشق الذين اصلهم منها ومن راشيا وحمص وحماة والنبك · وعلى سريان راشيا الذين اصلهم من عين حليا وكفرقوق القريبة من راشيا · وعلى سريان قلعة جندل وبيتيما · وعلى سريان الصالحية احدى ضواحي دمشق (١) فلما بلغت هذه الاخبار مسمعي ابن السيار شق عليه

(١) عن فقرة تاريخية للسيد يوسف داود الموصلي مطران دمشق

فنطلق المطرانين ونسلمكم بيعة شموني فلم يقبلوا فالتجأوا الى علي بيك ليقنعهم ففرض عَلَى الكاثليكيين ان يدفعوا ستة اكياس على ذلك الشرط فلبوه خوفاً من معاداته فاطلق المطرانين من السجن بعد ان اقاما فيه ثلاثة ايام ونزلا في بيت الخوجا حنا صراف الى ان تسلما البيعة حسب الوعد · وهكذا عاد الكاثليكيون الى قضاء حفلاتهم بالمبادلة مع الارمن والكلدان وكانت تختم الحفلة بمادبة يأدبها مطران عَلَى نفقة الأكابر · وجرت الحفلة يومي خميس الصعود وعيد الجسد عند الارمن حيث أُقيمت التراتيل بين فوجي الارمن والسريان كلٌ بلغة طقسه · وحصلت الحفلة يوم عيد قلب يسوع في بيعة باهرمزد للكلدان · وفي عيد انتقال العذراء في بيعة شموني للسريان

واثناء حفلة السريان اقبل المطران يوسف كروم فخرج المطرانان الى لقائه واجلساه بينهما باكرام · ولما انقضى زياح القربان انتصب هذا المطران وقال للشعب لا يريبنَّ مجيَّ احداً فاني لم احضر بينكم للسجس ولا للجاه بل لخلاص نفسي وايد كلامه بشواهد من الكتاب المقدس فقال : يكون فرح في السماء بخاطيء واحدٍ يتوب · واقول يااخوتي واولادي ان الكنيسة المقدسة وايمانها صحيح وهي نظير سفينة نوح لان فيها فقط الالفة والمحبة التي ثمرتها وعلامتها اجتماعكم من طوائف شتى والخارج عنها هو في طريق الهلاك مادام لا ينضم الى هذه الحظيرة المقدسة · وختم برفع الدعاء فبكى السامعون سروراً · ثم انه حضر في الغد الى القلاية وقرر صورة الايمان المقدس واشهد الله والانجيل عَلَى تقريره · لكنه بعد يوم جادل القس عبدالمسيح فافحمه القس فخطف الفير من راسه وانصرف وبذلك عرف رياؤه · ثم ندم وقدم توبةً فلم يصدقه احد · وعاد الى اليعاقبة

فلم يقبلوه فاعتزل في بيته ولم يستجرء ان ينظر بعد هذا الى كاثليكي بل ذهب الى الدير وارسل الى الخواجا الياس شاده يعتذر فلم يحفل بكلامه

وكان المفريان الياس عنكز اثناء ذلك يحث بطريركه على ان يعامل الكاثليكيين بصرامة ولا سيما المطرانين واقبل الى ماردين ومعه المطران عبد الاحد البنابيلي

وكان المطران انطون قد ادب مادبة لمطراني الارمن ولمطران الكلدان وقسوسهم ومن بعد الطعام دخلوا ليصلوا الرمش فوعظ السيد يواقيم في المحبة وشرفها وثمارها فحنق المفريان وحرم في بيعة الاربعين مطراني الارمن وقسوسهم وكل من يسلم عليهم · فعارضه نفر من شمامسته فاذن لهم بالتكلم فقط معهم

وبعد هذه الامور قدم ماردين حاكم جديد يقال له عبد الله اغا وكان السريان قد عيدوا في غرة تشرين الثاني ١٨٢٧ لجميع القديسين لاول مرة· فاحتفلوا في مسائه بزياح القربان ورتلوا بالسريانية والارمنية · وحضر بينهم البادري انجلو المرسل الكبوشي ليرى هل يمكن فتح رسالة بماردين : فرتل هو ايضاً باللاتينية

اما انصار المفريان الياس فكانوا يذيعون عن الساعين اكاذيب شتى على الكاثليكيين حتى هيج هذا المفريان فتنة في اوائل سنة ١٨٢٨ ضرب فيها القس ايليا نحيت واولاده وسبقه اليعاقبة في الشكاية الى حسين اغا بن خاجي خاتون المتسلم فالقى القبض على القس ايليا وعلى جبرائيل نوري وطرحهما في سجن القلعة عند الجنود الذين يقال لهم الرباطية وارادوا مسك المفريان ايضاً لكنه هرب الى دير الزعفران وبعد عشرة ايام غرّم القس ايليا ستمائة غرش واطلقه هو ورفيقه (١)

---

(١) جريدة اخبار قديمة محفوظة عند الخوري ابرهيم معمار باشي

الفصل الرابع

٢٢٥ انتماء اكثر الشعب الى السيدين انطون وعيسى — اقامتهما حفلات مؤثرة — شغب الخصوم
حبسهم — استلام الكاثليك كنيسة الاربعين — دسيسة البطريرك — مشورة شعب البطريرك
حبس السيدين عيسى وانطون — جمع رشوة — اطلاق السيدين — تسليمهما بيعة
شموني — حفلات مؤثرة — حضور ابن كروم — خطابه — تقريره الايمان
حث عنكز البطريرك ان يشتد — مداومة الحفلات — حبس القسوس
٢٢٦ مرض السيد انطون — شفاؤه باعجوبة — كتاب البطريرك
اليه — جوابه — كثلكة مطران دمشق — ملحقات ابرشيته
ارسال متي نقار — التجاء مطران دمشق الى الامير بشير
الحاح متي على الوالي — حجه الى اورشليم
ارتيابه في المشاقين — ذهابه
الى النبك

٢٢٥ اما السيدان عيسى وانطون فتبعهما جانب كبير من الشعب والاقليرس فلم يبق منهم في اليعقوبية سوى القس نعمة بن داود شاه والقس كبوي الاخرس فاغتاظا من الكاثليكيين وطفقا يهيجان المسلمين عليهم اذ يصفانهم باسم فرنج عاصين على الدولة كما تسلما من قدمائهم · لكنّ الكاثليكيين لم يكترثوا بذلك بل كانوا يقيمون الحفلات الدينية في بيعة الارمن برفقة المطرانين والقسوس الاربعة والقس ميخائيل الموصلي · فكانت هيئتهم تحاكي المسيحيين القدماء وقد زادهم عمل السيد انطون خشوعاً فانه نصب ذخيرة عود الصليب الكريم يوم

الاحد السابق لعيد الصعود ونادى بغفران كامل لكل من اعترف وتناول القربان المقدس وصلى قدام الذخيرة من اجل الحبر الاعظم ورفع شأن الكنيسة المقدسة . فتوارد الكاثليكيون في ذلك النهار من كل طائفة الى بيعة سورب كيورك . وبمقدار سرورهم اضطرم اليعقوبيون حسداً وحنقاً حتى حملوا شبانهم عَلَى الخصام فاقبلوا وقت صلاة الرمش يشتمون الكاثليكيين ويرجمونهم بالحجارة واشتدت الفتنة عند خروج الشعب من البيعة حتى اضطر السيد يواقيم ان يرفع عليهم الشكاية فقبضت الحكومة على المفتنين وطرحتهم في السجن وأغلقت بيعة الاربعين وسلمت مفاتيحها للسيد انطون . فاجتمع اليعاقبة في الغد الى بيعة مار ميخائيل وارسلوا الى الحاكم يعدونه بستة اكياس اذا اطلق سجناءهم واسترد المفاتيح من المطران . فاجابهم الغرامة عَلَى الكنيسة ثلاثون كيساً وعليكم عشرون كيساً فكيف ارضى بما وعدتموني

وعند الظهر اقبل المطران يوسف كرّوم من لدن بطريركه وادعى امام المتسلم بانه وكيل عنه وطلب المفاتيح فلم يصغ الى كلامه فجمع شعبه في بيعة مار ميخائيل ولقنهم ان يدعوا المطرانين لمجادلته واعداً ان يتبعهما اذا اثبتوا له الحق فلما وصلهما هذا الخبر علما انها دسيسة مدبرة للفتنة فقالا : ان لا حاجة لنا الى جدالك دعنا وشأننا فانصرف خائباً

ثم اجتمع وجوه اليعاقبة في دير الزعفران بدون علم البطريرك وتشاوروا وانفذوا رسلاً الى المتسلم يقولون اذا استجبتنا واطلقت مسجونينا وسجنت المطرانين وسلمتنا البيعة اعطيناك اثني عشر كيساً ففعل كما طلبوا . وبدأوا بجمع المال فلم يتهيأ لهم جمعه برمته فارسلوا الى الكاثليكيين يقولون : ادفعوا لنا اربعة اكياس

وكان البطريرك بطرس جروة اذ ذاك في رومية كما قدمنا · فكتب المؤمنون والسيدان انطون وعيسى يبشرونه بانضوائهم الى الكنيسة الكاثليكية ويخبرونه بما جرى لهم · والتمس المطران منه ان يوسط من ينجدهما لدى الباب العالي من غيظ ابن السيار اذا ما شمر الساعد للمقاومة · فاعتنى السيد يواقيم في تسيير هذه الكتب كلها الى رومية (١)

وفيما كان الكاثليكيون من الطوائف الشرقية يئنون تحت نير عبودية الرؤساء المشاقين لانهم فضلاً عما كانوا يستجبونه منهم مما يسمونه حقوقاً ابوياً كانوا ينغصون عيشهم بالحبوس والجلد والنفي والخسائر اذ يحسبونهم رعية شرعية لهم ولكنها عاصية عليهم كان الكرسي الرسولي يسعى في ايجاد الوسائل لانقاذ المظلومين المذكورين

وكان البطريركان الرومي والارمني في العاصمة يخاصمانهم اما الرومي فلنصر المشاقين من الملكيين · واما الارمني فلنصر المشاقين من الارمن وغيرهم ولا سيما السريان

وكان سفير روسيا يسند البطريركين وخلفاءهما وسفراء الدول الكاثليكية ولا سيما سفير دولة فرنسا يسندون الكاثليكيين ويدافعون عن حقوقهم اما الدولة العلية فكانت تؤيد بفرامينها تارة هذا وطوراً ذاك وما زالت الحال على ما شرحنا حتى منح الكاثليكيون حرّية الدين والاستقلال من صولة المشاقين علَى ان يقام في العاصمة مطران كاثليكي بصفة بطريرك مدني يقوم بمصالح طوائف

١ التقطنا ذلك من جريدة اخبار قديمة محفوظة بماردين عند الخوري ابرهيم معمار باشي

الشرق الكاثليكية . وجرى ذلك بموجب خط شريف من السلطان محمود تاريخه ٢١ رجب سنة ١٢٤٦ الموافق ٣ كانون الثاني سنة ١٨٣١ واذ لم يوجد مطران مستعد لهذه الوظيفة انفذ البابا بيوس الثامن السيد انطون نوريجان الى العاصمة وسماه بريماتا او جاثليقاً وايده ببراءة تاريخها ٦ تموز سنة ١٨٣١ غير ان المشاقين احتجوا على المذكور فصدر خط شريف بانتخاب وترتيب ارمني اسمه اكوب وشوركيان عوضه وطالت هذه الحال الى ان أجري استقلال الطوائف الكاثليكية فأعطي كل من روسائهم براءة لتأييد استقلاله من مستعبديه ولتوليته على شعبه (١)

وكانت هذه الحوادث سبباً لتيسير مسألة البطريرك بطرس جروة فعقدت في ديوان الحبر الاعظم في ٢٨ كانون الثاني سنة ١٨٢٨ جمعية الكرادلة وفيها قرّر البطريرك صورة ايمانه حسب العادة فقضى البابا لاون الثاني عشر بصحة انتخابه ووشحه بالباليون وسلمه صك تثبته فعاد الى دير الشرفة ظافراً

١ عن اخبار السيد مكسيمس مظلوم بقلم الخوري قسطنطين الباشا في المقدمة

الفضائل المسيحية · بخلاف ملتنا اليعقوبية التي خسرت هذا النجاح والشرف وافضى بها الخمول الى الجهل البالغ حتى صارت تحرم فرق المشاقين كما يحرمونها هم ايضاً ولهذا عولت اليوم عَلَى الرجوع الى طاعة الكرسي الرسولي الذي نبذه اباؤنا وهماً فدهمهم الخمول المذكور واما الاعتقاد بطبيعتي المسيح مخلصنا واقنومه الواحد فتشهد كتبنا باننا لاننكره حقيقة بل نفوراً من الكنيسة الكاثليكية فاننا نقرأ فيها ان المسيح الاه تام وانسان تام مسيح واحد ابن واحد عمانوئيل واحد وكذلك ننكر وجود ارواح القديسين في الملكوت السموي قبل الدينونة العامة وكتبنا تجعلهم في عدن السماوية بين ملائكة الله فنستشفعهم ونصوم ونعيد لهم ونقدم لهم النذور · وهذا العمل يكذب بزعمنا · ننكر ايضا الدينونة الخصوصية والمطهر لكن عملنا يكذب قولنا لانه يرد في كتبنا الطقسية كما ابان بطريركنا الحالي ذكر ثلاث كلمات وهي « ملكوثا » محل سعادة القديسين « وشيول » اي الجحيم بمعنى المحل الزمني لتطهير الابرار من نقائصهم « وجيهنّا » وهي محل الخالدين في اهلاك مع الشياطين وهذا اتيتكم اليوم عَلَى حريتي ومن كل قلبي راجياً خلاص نفسي لألتمس منكم ان تقبلوني انا وهذا الكاهن في حضن الكنيسة الكاثليكية المقدسة · ونسأل الله ان يقبل توبتي وايماني هذا و يعينني عَلَى الثبات ويقويني لاصلح فيما بقي من عمري كل ماصدر مني من الاضرار التي سببتها سابقاً للكنيسة الكاثليكية

وكان السيد يواقيم يصغي الى هذا الكلام منذهلاً مدمعاً · ولما فرغ المطران انطون من كلامه احتضنه وهو يقول : قد اقتبلتك بكل سرور لكني اذكرك بكلام الرب ورسله ان كل الذين يحبون ان يعيشوا بالتقوى في يسوع المسيح

يضطهدون « ٢ طيم ٣ : ١٢ » كما جرى لرسل المسيح فان بطرس صلب منكس الرأس وباد غيره بسلخ جلده وغيره بحد السيف وكانوا يفوقوننا قداسة . فهل انت مستعد ان تثبت وتحتمل نظيرهم . قال نعم بنعمة ربنا يسوع المسيح بل منذ الآن اقدم نفسي ذبيحة لمجده وتكفيراً عن سالف خطاياي لانه ماذا ينفع الانسان اذا اربح العالم كله وخسر نفسه او ماذا يعطي الانسان فداءً عن نفسه اذا اهلكها طمعاً في حطام الدنيا «متى ١٦ : ٢٥ » بل اقول مع الرسول غير خائف من الذي يفصلني عن محبة المسيح أضررٌ ام ضيق ام جوع ام خطر ام سيف « رومية ٨ : ٣٥ » ولما انهى السيد انطون كلامه نهض المطران يواقيم ومعاونه وطلع بالمطران وقسيسه الى الكنيسة وتبعهم الكهنة فاوقدوا الشموع وصعد السيد يواقيم على درج المذبح الكبير وركع السيد انطون وقسيسه وقرا صورة الايمان الكاثليكي واستشهدا عليهما الثالوث الاقدس والقربان الطاهر والانجيل والصليب وختما قائلين : اننا نحيا ونموت على هذا الايمان المقدس ومن تجاسر ونقض هذا العهد كان نصيبه مع يهوذا الجاحد . فمنحهما المطران الحلة وقال للسيد انطون : قم الآن يا اخي وارِ نفسك للكاهن « لوقا ١٧ : ١٤ » فاعترف عند كاهن ارمني اسمه دير اسهاك فقلده السيد يواقيم صليباً وخاتماً وعانقه . ثم جلس السيد انطون وسمع اعتراف القس ايليا نحيت وانصرف وهو جذلان مسرور

وفي الغد وكان غرة ايار سنة ١٨٢٧ ذهب ايضاً المطران عيسى والقس عبدالنور الى السيد يواقيم وقرا صورة الايمان الكاثليكي بين يديه كما قررها السيد انطون فمنحهما الحل ومن بعد اعترافه قلده تاجاً وصليباً وخاتماً . وكذلك صنع القس يعقوب والقس عبدالمسيح وتكثلك على اثرهم مائة وخمسون عائلة .

استولوا عليها قدم رسول البطريرك بهدايا للحاكم ولعلي بيك وحاشيتهما وبرسالة التمس فيها من الحاكم ان يحلق لحيتي الكاهنين وينفيهما ووعده باثني عشر كيساً يقبضها من جماعته ما عدا الهدايا وكان يوم الخميس فضبط الحاكم الكنيسة من القسيسين دون ان يلحق بهما اهانة لتوسط بعض الوجوه وطردهما الى قلعة الامرأة · وتهدد الحراس بتغريم كل منهم مايتي كيس اذا خرجت نقطة دم منهما فكملا ايام الصوم في تلك القرية · وفي سبت النور ردهما الى ماردين · فلما انقضى العيد استدعاهما وسألهما اين يصليان فقالا لا محل لنا للصلوة · فكتب لهما صكاً فيه سمح لهما بالصلاة حيثما شاءا غير خائفين · وكتب هو وعلي بيك الى البطريرك ما ياتي « اما بعد فقد فحصنا امر خصميك القسيسين فوجدنا انهما لم يسيئا بشيء مما يخالف الشرع ومع ذلك فإكراماً لفرمانك عاملناهما بما امكن من القصاص فنسالك ان تصالحهما وتسلمهما الكنيسة »

فلما انصرف القسيسان يعقوب وعبد المسيح بصك الرخصة توجها الى السيد يواقيم راساً (١) ومعاونه السيد ابراهام بلعام الذي كان قد رجع من مدرسة بروبكندا سنة ١٨٢٢ فحلهما وقدس احدهما باحتفال اي بالصنوج والمراوح والنواقيس بحضور المطرانين وجمع غفير في جملتهم ثلاث ائمة من السريان · واخذ الكاهنان منذ ذلك اليوم يترددان الى تلك البيعة ومعهما القس ميخائيل الموصلي · ولم يكن يسمع قبلاً في بيعة سورب كيورك قداس سرياني

---

١ كان السيد يواقيم طاز باز قد أقيم مطراناً بماردين بيد البطريرك كركور الكلزي سنة ١٧٨٩

اما البطريرك فلما وافته رسالة الحاكم خاف ان يرفض طلبه فاجابه ان اصنع كما تشاء . فلما وصل هذا الجواب الى الحاكم بعد تسعة عشر يوماً فاستدعى المطران انطون اليه من حيث انه نائب البطريرك ومعه وجوه الشعب من الفريقين وصالحهم وسلم الكاثليك بيعة القديسة شموني

٢٢٤ ولما ان انقضت سنتان على اهتداء المطران انطون وجرى له ماجرى اختلى بالمطران عيسى وقال له . ها ان القسيسين وجماعتهما قد تبعونا واستولوا على الكنيسة . اما انا فسأذهب في الغد الى السيد يواقيم لاجهر بمعتقدي وآخذ الحلة . واما انت فاتبعني بعد يومين فوافقه وتوجه اليه السيد انطون في الساعة الثانية من الليل مع القس ايليا تحيت قائلاً انا من جوهرنا سريان كاثليك حسب قانون الايمان الذي تسلمناه من الرسل حيث نقول بالسريانية ماتعريبه « نومن بكنيسةٍ واحدة كاثليكية « اي جامعة » مقدسة رسولية ولسنا يعقوبيين إلا توهماً وبالتسليم والتربية . واما الآن فقد فحصت طويلاً وتبصرت فرأيت انه لايركن ضميري الا بانتمائي الى الايمان الكاثليكي وبالخضوع للحبر الروماني صاحب كرسي مار بطرس راعي الخراف والنعاج والكباش « يوحنا ٢١ : ١٥ » . هذا والعلامات الاربع المذكورة التي بها تمتاز كنيسة الحق وعلائم الرئاسة الاولى المسلمة لبطرس هامة الرسل تنطبق كلها على الكنيسة الكاثليكية الرومانية . واما كنيستنا فتكفي نسبتها الى يعقوب البرادعي لتكون لنا اوضح دليل على انها قطعت يوماً سلسلة الرئاسة والتعليم الرسلي وتعلقت بسلسلة زورية انشأها اهل البدع . ومن ثم ارى انه ما من طائفة انتمت الى كرسي بطرس واقتبلت ايمانه الا زهت وازهرت وازدانت باعمال

ذو دهاء يسلك حسب زمانه لا حسب معتقده فيميل الى الكاثليكيين مع موافقته ايانا على مقاومتهم حرصاً عَلَى مقامه · فلكي نختبر جوهره فلنسلم بيعة الاربعين للقس ميخائيل عبيد الموصلي فاذا اجتمع معه فيها كل السريان الذين يصلون منذ زمان مديد عند الارمن والكلدان جاملناهم فلعلهم اذا عدنا الى اعتقادنا يلبثون معنا وبذلك تنجلي لنا افكار البطريرك ايضاً لانه اذا هجر معتقدنا خلعناه وسمينا غيره : واذا حرمنا كان رأينا خيراً عَلَى خير · لكن مرعيث بيعة القديسة شموني قاوموهم لانهم كانوا اكثر اخلاصاً وقالوا : بل فليصلّ الكاهن الموصلي عندنا فنتبعه وننزع جميعاً الى الكثلكة فوافقهم خورنتا الاربعين ومار ميخائيل مكراً وقالوا : نكتب الى البطريرك الى ديار بكر · فان رضي برأينا واهتدى انقضى اربنا واذا رفضه سلمنا بيعة القديسة شموني للقس الموصلي وللمنتمين اليه · فخيرهم شعب القديسة شموني المتفقون مع المطران انطون ان يكتبوا ما شاؤوا ولم يكترثوا لهم بل شرعوا منذ يوم الاحد الثاني من الصوم يسلكون مسلك الكاثليك اي جعلوا قداديسهم متتابعةً ولبث البقية على يعقوبيتهم ومعهم السيدان عيسى وانطون وكانوا ينتظرون جواب البطريرك وانما دبّر السيدان المذكوران هذا التدبير مع شعب بيعة القديسة شموني رجاء ان يثق الشعب بهما فيتبعوهما رويداً رويداً

اما البطريرك فقرأ الرسائل بحضور يوسف كرّوم وقال له : ها قد حان الوقت لنعلن بالكثلكة فأنجز ما وعدت المطران انطون اذ ان الشعب قد رضي كما يتضح من رسالتهم · اجابه المطران لا نعجل في تصديقهم لان عملهم دسيسة قصدوا به جس افكارنا فاذا وافقناهم خلعونا واقاموا بدلنا والراي عندي ان

نحتال بهم ونكتب فنحرمهم عَلَى يد المطران انطون نفسه · فـان اصاب ظنك وتكثلكوا فلا جرم انهم يناذرون البيعه لدى سماعهم قراءة الحرم ويقولون : ان حرومكم لا تصيبنا لأننا لسنا منكم : واذا سمعوا وسكتوا نستدل عَلَى انهم باقون عَلَى ما تم عليه بعكس ظنك · وعند ذلك كُتب الحرم على قسيسي بيعة القديسة شموني عبد المسيح ويعقوب وعَلَى جماعتهما · واوعز البطريرك الى المطران انطون ان يقرأ حرمه على مسامع الشعب في صباح الاحد · فلما وردت رسائل البطريرك أسر المطران انطون الى المخلصين انه : اذا قُرئ حرم البطريرك في بيعة الاربعين : اقرأوا انتم ايضاً صورة ايمانه التي هي علة اهتدائي واليكم نسختها وهكذا صار

فلما سمع الشعب صورة أيمان البطريرك وفهموا مآلها توطد الكاثليكيون وتحققوا رياء البطريرك وخجل انصاره وأُبكموا· غير انهم عوض الاذعان الى الحق استشاطوا غضباً وكتبوا الى البطريرك لينقم منهم · ومن ثم هب السجس والاضطهاد لان البطريرك منذ قرأ رسالتهم غضب فكتب الى احمد اغا الحاكم والى علي بيك الالاي بيكى المتسلم ملتمساً طرد الكاثليكيين وحبس كل الذين عصوه ووعدهما بمال كثير فقبض الحاكم عَلَى القس عبد المسيح والقس يعقوب والشماس ايليا جاجه والشماس جرجس بن شمو والخواجا هرون ويوسف ملاش وزجهم في السجن · ثم استدعى اليه المطران عيسى من قلاية بيعة الاربعين وطالبه بدهيك واعداً ان يسلمه المفاتيح فلم يرضَ بل قال له فلتكتب سعادتك الى البطريرك ان يحضر للمحاكمة بنفسه او بواسطة وكيل · فكتب فتأخر جواب البطريرك ولذلك غرّم السجناء ستة اكياس واطلق سبيلهم وسلمهم البيعة · فلما

واكثر شعبنا غليظوا العقول فلنصبرنّ اذن ولا نجرب الرب لاسيما وقد قال الحكيم من يحب الخطر يبيد فيه · هذ ولا بد ان الله يعلم ما في صدورنا من صحة الراي فاذا عدانا عن اجهاره يحاسبنا حسب نياتنا لا حسب ظاهرنا واذ لم يستطع البطريرك اقناع مطرانه عرض عليه ان يرقيه الى رتبة المفريان اذا عدل عما عوّل عليه فابى وخرج من عنده ساخطاً وقد قطع امله من ارعوائه ونوى الإجهار بالحق مهما حدث · ولحق المطران يوسف كرّوم بأثره وكان يعده بالموافقة حتى قال له يظهر انك لا تعرف ما حمل بطريركنا على الاصرار على الشقاق فاعلم انه عاهد بطريرك الارمن ان لا يميل الى معتقد الكاثليكيين · وعلى هذا الشرط نال براءة البطريركية بعد ان كانت للبطريرك يونان فما محاولته الا لخوفه من خسارة مقامه · فلم يثق السيد انطون بوعد هذا المطران بل قصد ماردين وهو يفتكر كيف يقنع الشعب

٢٢٣ ومنذ وصول السيد انطون اختلى بالمطران عيسى وقص عليه ما جرى له · فاهتز فرحاً واعلمه بامره هو ايضاً · فقال المطران انطون ما الذي حملك على كتم ذلك عني · قال خوفي منك ثم شرعا يتفاوضان في التعليم الصحيح ورئاسة الكرسي الروماني وتطبيق علامات الكنيسة على الكنيسة الكاثليكية فتعجبا من انهما لم يدركا هذه الامور الى تلك الساعة · قال السيد عيسى علينا الان ان نجد سبيلاً للاجهار بما في خاطرنا · قال السيد انطون فلنذهب الى السيد يواقيم مطران الارمن ونقرّ ايماننا بين يديه · فلنتشجع ولا نرخ عزمنا على اني اعرف ان هولاء القوم ظلاّم قساة وايديهم سريعة الى الشر فيؤذونا و يذيقونا العذاب وربما الموت · اما انا فقد اتكلت على الرب وثقتي

بالذي قال تعرفون الحق والحق يصيركم احراراً (يو ٨ : ٢٢) ان ينشلنا من هذه العبودية ويجعلنا مع هذا الشعب المبارك احراراً · وختما بمعاهدة احدهما رفيقه على المعاضدة والثبات الى النفس الاخير

غير ان السيد انطون رأى ان يؤجل الاقرار بالايمان الى وقت آخر ويشرع باقناع الشعب اولاً كي يصبحوا جميعاً يداً واحدة كجيش منيع · فطفق كلٌ من الاثنين يفاتح سراً اولي الفهم والثقة من الاقليرس والشعب ويبين لهم اهمية هذا العمل وفوائده · فتبعهما حزبٌ كبير وكان البعض لا يصدقونهما فكتب المطران صكاً في ذلك واشهد عليهما عدة شهود (١)

وكان لليعاقبة في ماردين ثلاثة مرعيثات اي خورنات مع بيعها وهي بيعة الاربعين شهيداً وكان يقيم فيها المطران عيسى مع القس نعمة بن داود شاه والقس كيوي الاخرس والقس ايليا نحيت · وبيعة القديسة شموني يقيم فيها المطران انطون ومعه القس عبد النور والقس يعقوب والقس عبد المسيح ابن القس ايليا ساعور · وبيعة مار ميخائيل وهي في جهة البلدة الجنوبية فلما ذاع خبر اهتداء المطرانين عيسى وانطون تآمر المتعصبون منهم لليعقوبية وقالوا ان بطريركنا

---

١ قرأنا في ورقة قديمة في دار البطريركية بماردين صورة ايمان المطرانين انطون وعيسى مصدقة بشهادة وختوم الآتي ذكرهم : المطران الياس خادم كرسي اورشليم · جرجس خادم كرسي دمشق · المطران عبدالاحد بنابيلي · القس ايليا زاعور · الخواجا هرون وابنه الشماس عبدالاحد · الشماس الياس دولبه وكيل بيعة الاربعين · يوسف جدى وكيل بيعة القديسة شموني · المقدسي عبدالمسيح بن حانه وكيل بيعة مار ميخائيل · يوسف مقدسي بشرو عبدالمسيح بن جقي · ابرهيم بن خضر شاه الصباغ

الصلب في صلاة الفرض حتى عاتبه بطريركه على ذلك لكنه اضطر اخيراً ان يذعن لبينات المطران . فتجرأ المطران وسأله ذات يوم عن رأيه في معتقد الفريقين فقال انه سيان انما معتقد اليعقوبيه يلزمه تنقيح في عبارته (١) واردف قائلاً « ولا غرو ان الله يسامحنا في النقصان من اجل ضبط شعبنا القريب من نبذ الطاعة لادنى حجة » فسكت المطران عيسى ولكن ضميره لم يسكت بل كان يطلب النور السماوي ليجلي له الحق ونوى ان يفاتح المطران انطون رفيقه . وسنرى عما قليل باي طريقة تنتشل العناية الربانية اصفياءها من الضلال وتجذبهم الى الحق كما جذبت نثنائيل والسامرية وزكى العشار

وحدث مثل هذا للمطران انطون ايضاً وكان منذ قدومه الى دير الزعفران قد ازداد ترفضه من الكاثليكيين ولو خامره الريب احياناً كما خامره في فرصة تقديس الميرون ومراقبة السيد بشارة فكان يبغضهم اي بغض ويجفوهم ما استطاع . غير ان الحق ظهر له اثناء مقاومته وذلك انه بينما كان يعير الكاثليكيين سمع من بعضهم جواباً مفحماً حمله على فحص الكتب فذهب الى دير الزعفران اذ كان رئيسه المطران متى بن بني الطويل الموصلي وكان البطريرك في ديار بكر . واخذ يطالع الكتب رجاء ان يجد ما يبكم المعترض به . فعثر على كتاب يحوي صور الايمان التي خلفها البطاركة جرجس الثالث ومتيوس وبهنام : وعلى كراسة حاوية دستور ايمان جرجس الرابع بطريركه الحالي وكانت اقرب من سواها الى معتقد الكاثليكيين والى حقوق الرئاسة للبطريرك الروماني فاعجب بها لاثباتها

---

١ ربما عنى بذلك ترتيبه صورة الايمان يوم كان مطراناً ولم يكن للمطران عيسى اطلاع عليها

براهين من ملافنة السريان وعلمائهم · وطفق يقرأها ويكرر النظر فيها حتى تجلت له الحقيقة · فركب بغلةً وقصد ديار بكر ودخل على البطريرك وقتما كان عنده المطران يوسف كرّوم الماردينى فبادره بقوله ما الذي الجأك الى الحضور على خلاف العادة وماذا جرى · قال السيد انطون جرى لي ما لم يكن في حسباني · قال البطريرك وما هو · قال اليس اننا نقاوم الكاثليكيين من اجل معتقدهم ونحاول بكل قوانا ارجاعهم الينا · قال نعم وحسناً نصنع · فاخرج المطران الكراسة ودفعها اليه وهو يقول اليك صورة ايمانك فاذا كان ما كتبته فيها حقاً ولا فرق جوهري بيننا وبين الكاثليكيين فلمَ نخاصمهم وهم اولادنا : واذا كان لا فلمَ كتبته · وقصّ عليه خبره وكيف عثر على الكراسة · قال البطريرك انا رتبت هذا الكلام وايدته منذ ثلاث عشرة سنة بختمي الاسقفي بدمشق ثم بالختم البطريركي يوم كنت في دير مار قرياقس في البشيرية · لكني اريد ان تكتم الان هذا الامر لئلا يدري الشعب فيقلق فنكون سبب عثار له · فاخذ المطران الكراس وحفظه لوقت الحاجة وقال للبطريرك اذا كتمنا الحق عن الشعب فنكون قد خدعناه وعاملنا الله بالرياء الذي ذمه الرب وانكره على الكتبة والفريسيين · قال البطريرك دع الان هذا عنا ريثما تصطلح الحال · قال المطران وان دامت الحال على ما هي الان وهلكت الرعية من يكون المسبب لهلاكها أليس نحن فما لنا والحالة هذه الاّ الاجهار بالحق والانضمام الى البيعة الكاثليكية الرومانية والا فنحن مسؤولون قدام منبر العدل الالهي · قال البطريرك اذا نزعنا الى البيعة الرومانية يصيبنا ما اصاب غيرنا من ذي قبل الذين لهذا السبب حُبسوا وخسروا وتعذبوا كما جرى للبطريرك ميخائيل جروه · ألا ترى ان اساقفتنا عنيدون

الفصل الثالث

٢٢٢ اقامة ابن السيار يعقوب حليـاني مطراناً لدمشق — سفر البطريرك بطرس لروميه
عرضه كتابي النافوره والاشحيم للطبع — سياسة السيد عيسى — شعب ماردين — ريبه
في اليعقوبية — جواب بطريركه — ارتياب سمحيري — محاورته مع بطريركه
٢٢٣ مفاتحته السيد عيسى بذلك — تأجيله الاجهار بالكثلكة لاقناع الشعب
تدابير الشعب والكهنة — كتبهم الى البطريرك — تلاوة حرم البطريرك
صورة اعتقاده — عجب الشعب — الشروع بالاستعداد — حبس القسوس
نفيهم الى قلعة الامراء — ارجاعهم — الترخيص لهم في الصلوة
ببيعة الارمن — اجهارهم بالكثلكة مع ثلاثماية نفس — ٢١٤
ذهاب السيد انطون وقسيسه الى مطران الارمن ـ خطابه
اقتباله الحل — ذهاب السيد عيسى وقسيسه —
حاتمها — كتبهم الى روميه — السعي في اقامة
وكيل في العاصمة عن المهتدين ـ خط
شريف في هذا الشأن — تأييد
الكرسي الرسولي ـ البطريرك
بطرس — قدومه الى
الشرفة

٢٢٢ وكان ابن السيار منذ طرده حاكم ماردين من ديوانه قد توجه الى افتقاد شعبه بدمشق نحو سنة ١٨٢٤ صحبة الربان يعقوب الحاج المعروف بالحلياني (١) ورسمه مطرانا باسم غريغوريوس وتركه فيها وآب هو الى ماردين. وكان

١ عُرف بالحلياني لانه من جملة الذين نزحوا من قرية عين حليا وقطنوا راشيا

التكثلكون بدمشق نحو عشر عائلات ظلت من الذين كانوا قد تكثلكوا على عهد المطران نعمة الصددي و بهمة الخوري ميخائيل صائغ الموصلي . وفي سنة ١٨٢٤ اهتدى غيرهم نخص منهم الرجل الشهير الذي يقال ابو حمد من اعيان راشيا واغناها ثم تبعه اهالي قرية مهيناً فاصبحوا جماعةً معتبرة وكانوا يصلون في كنيستهم التي علَى اسم مار بهنام الشهيد بالناوبة مع اليعاقبة اذ كان الفريق الواحد ينتصر تارة و يستبد فيها وحده : وتارة يُخذل فيطرد منها على رغم المطران يعقوب

واما البطريرك بطرس جروة فحيث لم ينل صك تاييده من روميه توجه اليها سنة ١٨٢٥ بنفسه في ٢١ ايلول مع القس روفائيل جروة كاتم اسراره واخذ يدافع عن نفسه . ولما طال انتظاره للتحقيق : اغتنم فرصة وجوده هناك . واخذ يعتني بتنظيم كتابين ضرور بين لاقليرس طائفته وهما كتاب القداس السرياني وكتاب الفرض الاسبوعي وقابل كتاب القداس علَى النوافير التي كان عمه المثلث الرحمات قد تعب في جمعها وهيأها للطبع ليُعمل بها علَى نسقٍ واحد في كل انحاء الطائفة ونسختها موجودة حتى اليوم في المكتبة البطريركية بدير الشرفة ثم دفع الكتاب ليفحص ويطبع . ولبث مقيماً في رومية الى سنة ١٨٢٨

وفي خلال ذلك كان المطران عيسى محفوظ الموصلي قد ناب عن بطريركه ابن السيار في سياسة شعب ماردين : وهو يردد ما كان يريبه من غلط بيعته وصدق الكنيسة الكاثليكية و كثيراً ما جرت له محادثات مع الكاثلكيين في طبيعتي المسيح ومشيئته وفي اضافة عبارة الصلب على التقديسات الثلاث الى غير ذلك فاثر البحث فيه خصوصاً في علامات بيعة الحق اي انها واحدة جامعة مقدسة رسولية . وانها تنطبق علَى البيعة الجامعة بعكس بيعة امته فاخذ يهمل ذكر عبارة

وربما يموت باول ضربة ثم ان يضربوني انا عوضه · فرق الحاكم له وعفا عنه وعن البقية فانصرفوا · وبقي الشماس يوسف مدة شهر يبصق دماً حتى تعافى(١)

قال الراوي وكان جرجس شرماء من اخص تلامذة الخوري ميخائيل يسمع وعظه ويحفظه في قلبه وبه يفند حجج المعترضين · واشهر المعترضين القس هندي شندخ هذا كان يكثر من شرب العرق وفي وقت سكره كان يعير الكاثليكيين كانهم فرع منفصل من طائفته حتى قال ذات مساء لهم: انكم خرجتم منا ونسيتم قول المسيح لبطرس وبشخصه لبطريركنا انت الصخرة وعلى هذه الصخرة ابني بيعتي · فبادره جرجس موبخاً بعبارة مزحية قال: لا تقل هكذا بل قل: انت المقطرة (٢) وعلى هذه المقطرة ابني قصبتي وكل ما صعد من العنبيق ينزل الى بطني فخجل فاردف جرجس: ان الحقيقة واضحة ثم بالك تعكسها: اننا كنا خرافاً بددها الشقاق والان دعانا نائب المسيح الراعي الصالح فعرفنا صوته وتبعناه راجعين الى اصلنا وعليه لستم اصلا بل فرعاً انفصل من امنا الكنيسة الجامعة أفعلى هذا تعيرنا بدلا من ان تلحق بنا ووافت في ذلك الزمان اوامر البطريرك بطرس جروه الى ماردين تفرض اجراء التقويم الجديد وقال ان ذلك اجري في كل البلدان حتى في القسطنطينية · فبدأ كاثليك ماردين بالعمل به وكذلك الارمن والكلدان فكان ذلك للبطريرك ابن السيار حجة لازعاجهم والوشاية بهم فاستدعى حاكم ماردين اليه من الارمن السيد يواكيم مطرانهم والخواجا الياس شاده : ومن اليعاقبة بطريركهم ومطرانه عبد الاحد البنابيلي وصراف يقال له ابن سيده · وسألهم عن ذلك فتباحثوا

---

١ رواية ابرهيم ابن القس سليمان عن ابيه

٢ في اللغة الدارجة برج او مشربية او كرّه

في ديوانه وتشارطوا على ان يدفع المغلوب منهم عشرة اكياس مالا غرامة اذا تحقق ان هذا الحساب عمل به في بلاد الدولة العلية وكان النصرة للكاثليكيين فانتهر الحاكم ابن السيار ومطرانه والزمهم بدفع المبلغ المشروط وعزل الصراف المذكور وولي وظيفته رجل كاثليكي اسمه داود لوسي ابن العركوس(١)

ومع ذلك فلم يكن ابن السيار يفتر من ازعاج الكاثليكيين وضايقهم ووصلت اخبارهم الى السيد اسكندر كبري فانفطر قلبه غماً عليهم واستحصل سنة ١٨٢٥ امراً ثانياً من والي بغداد بتأييد القس ميخائيل بن عبيد الموصلي لئلا يعارضه احد في ماردين · وسلمه السيد كبري ايضاً صكا من لدنه ليقيم في دار المرسلين فانطلق اليها وسجل اوامر الوالي في محكمتها وفي ديوان حاكمها · فتعزى المومنون وفرحوا به واخذوا يجتمعون ويحضرون قداسه وارشاده مع نفر من شعبي الارمن والكلدان

١ اخبار يومية قديمة محفوظة عند الخوري ابرهيم معمار باشي

ان ارسل كاهنا من حلب اسمه القس افرام ليقوم مقامه · ولدى اجتياز الخوري ميخائيل بالرها زار قبر مار افرام ووعظ الشعب الرهاوي ورغبهم في الكثلكة فوشى الاضداد به الى حاكم البلد فقبض عليه وزجه في السجن فبقي فيه اياما ثم غرمه الحاكم مبلغاً كبيراً واطلقه ولوقته ركب دواب المنزل وسافر برفقة البريد الى الموصل فوصلها في ١٠ كانون الثاني سنة ١٨٢٣ اذ كان القسوس في سجن السراي بسبب دعوى المفريان الياس عنكز والمفريان الياس كرمه فلما ادوا عشرين الف غرش غرامة وخرجوا من السجن تضاعف سرورهم بوصول الخوري المذكور لكونه واعظاً وبتولاً · وكان اخوه الشماس جبرائيل صائغ في سعرت فبشروه بذلك لان غربة شقيقه طالت احدى عشر سنة · وفي تلك الايام رغب الشماس لوقا بن يوسف حسن في السلك الاقليرسي فاوفد الخوري ميخائيل برسائل توصيه الى رئيس دير الشرفة

٢٢١ وشق على الخوري ميخائيل الجهل السائد في خورنة مار توما فشرع يعظ الشعب ويرشدهم في الكنيسة ولما انتشر الخبر ان قد اقبل واعظ مفلق هرع الناس على اختلاف نحلهم وطقوسهم الى تلك الكنيسة لاستماع وعظه اذ لم يسمعوا قبلا وعظاً مرتبا الا ما ندر فغصت الكنيسة بالجموع فاضطر الواعظ الى الكرز خارجاً في ساحة الكنيسة التي هي مقبرة ايضاً · وكان السامعون يجلسون على الارض مستعذبين تعليمه

غير ان المفريان الياس عنكز ساءه ذلك فطفق يهزأ بالواعظ ويهيج الجهلة عليه فكانوا يرشقونه بالحجارة وهو يحتمل كخروف وديع فكان لاحتماله وقع اكبر من وقع كلامه فيهم · ورغما عن ذلك حدث شغب في الشعب افضى الى الضرب

فضرب الشماس يوسف ابن الشدياق حنا في صدره بحجر كبير فاندفق الدم من فمه فهرب الواعظ الى بيت الخواجا الياس الحلبي واختبأ القس بهنام صائغ في غرفة الكنيسه واسرع المضروب الى دار يحيى باشا الحاكم ليرفع دعواه اليه فوجد المفريان عنكز قد سبقه اليه وكان جالسا يكيل و يذرع حسب خاطره

فلما نظر الحاكم الشماس المضروب اغتاظ وقال للقواسين اسرعوا الى البيعة واقبضوا على من تصل يدكم اليه من اخضر و يابس · فجمعوا جماً غفيراً غص بهم فناء السراي وجلس الحاكم وامر ان يعتزل كل فريق في ناحية والفريق الواحد يشتكي على الاخر حتى اختلطت اصواتهم فاذن الحاكم لاهل الشكاية بالكلام · فتقدم الشماس يوسف والخواجا توما فارة وجرجس شرماء وشكوا من المفريان · قال توما افندم اننا منذ بدأ حكمكم كنا في راحة · ووافانا قسيس واعظ سمعه الشعب مستعذباً كلامه · ولما جاءنا هذا المطران من ماردين طفق يهيج الجهلة و يقلق السامعين وحمل بعض الاوباش على ان يرجمونا بالحجارة فاحتملناهم صابرين اما اليوم فحيث بلغت جسارتهم الى اشهار السلاح فالضرب حتى دفق الدم من فم شماسنا اضطررنا ان نرفع الدعوى الى عدالتكم · وما كاد ينهي كلامه حتى صرخ المفريان قائلاً : افندم ان الذين تراهم كانوا من شعبي وابتدعوا دين الفرنج خلافاً لارادة مولانا السلطان · و بحجة الوعظ قصدوا اجتذاب بقية الشعب الى مذهبهم · فاوعز الحاكم اليه بالسكوت وامر بضرب كل فرد من الحاضرين مائتين وخمسين عصاً · وبدأوا بضرب انصار المفريان ولما جاء دور الكاثليكيين ضربوا اولاً ميخائيل ابن القس سليمان فاحتمل صابراً و بعده قدموا القس سليمان اباه فترامى ميخائيل على قدمي الباشا قائلاً : افندم ان والدي شيخ كما تراه

السيد يواقيم مطران الارمن يعزيهم ويقبلهم في كنيسته · والخواجا الياس بشاره يساعدهم بجاهه لدى الحكام ولهذا فمنذ وجود المفريان عنكز في الموصل اوعز اليه بطريركه ان ينزل الى بغداد ليشتكي عَلَى الخواجا المذكور ويحرم كاثليك الموصل من حقهم في الكنائس · فاضطروا الى اقامة القداس في بيوت الناس اما خوارنة الطاهرة فكانوا يصلون في بيت الشماس خدوري بن عبادة او في بيت المقدسي ميخائيل او في بيت الاسقف بشارة في موضع يقال له الزابوق · اما خوارنة مار توما ففي بيت القس سليمان شدياق او في الغرفة الملاصقة للبيعة · ومع ذلك فلم يبرح خصومهم من موأذاتهم فمن ذلك انه بينما كان القسيس قد ابتدأ بالقداس في بيت عبادة تسلق الخصوم عليه من الجيران فشتموه وضربوه وسبقوه الى الشكاية قائلين : ان جماعة الفرنج استحدثوا لهم كنيسة بدون رخصة من الحاكم فلما فحص الحاكم المحل وعرفه انه ليس بكنيسة انتهر المشتكين وطردهم وبدأ القداس يوماً في الزابوق السابق ذكره فانقض الخصوم وخطفوا الكاس والصينية واخذوهما الى الحاكم قائلين : ان جماعة الفرنج قد فتحوا لهم بيعة بدون رخصتكم · فتعجب الحاكم من الانائين وسال ماذا يصنع بهما فاحتاروا ماذا يجيبونه حرصاً عَلَى اسرار الديانة · واتفق رجلان من عقلاء الفريقين وهما الياس قندلا ونعمو برصوم فقالا عن الكاس انها لسقي المرضى ماء مباركا وعن الصينية انها لجمع صدقات ايام العيد · ثم عرف الحاكم ان المحل ليس بكنيسة فطرد المشتكين وكان الاسقف بشارة منذ علم بسفر المفريان الى بغداد قد توجه هو ايضاً اليها واستنجد المتوظفين في الولاية ولا سيما قسطنطين واروتين فساعداه واقنعا الوالي ان يرفض كل شكاية ترفع اليه على

الكاثليكيين فلما حضر المفريان اليه انتهره وطرده وكتب اوامر جديدة لتأييد حقهم في الكنائس فرجع الاسقف الى الموصل ظافراً

وتمادى ابن السيار في معاداته كاثليك ماردين ليمنعهم من التردد الى كنيسة الارمن رجاء ان يملوا فيعودوا الى اليعقوبية وكان يطالبهم بما دفعه من الغرامات للحكام وكان المطران انطون سمحيري يساعده في ذلك اما الكاثليكيون فكتبوا الى السيد بطرس جروه والى الاسقف بشاره والى السيد بطرس اسكندر كبري المطران اللاتيني في بغداد يسئلونهم المساعدة والاسعاف · ويطلبون على القليل كاهناً من جنسهم مويداً من والي بغداد ليقوم بحاجاتهم الدينية بطمانينة فيكونوا في غنى عن كنيسة الارمن · ولم يبرحوا من طلبهم حتى هيأ الله لهم كاهناً موصلياً اسمه القس ميخائيل بن عبيد كان قد اقتبل درجة الكهنوت سنة ١٧٩٥ (١) وتعين مع قسيس آخر لسريان بغداد · فحن الرؤساء المذكورون وساعدوا الماردينيين بمبالغ وفوا بها ما ترتب عليهم من الدين ايام الاضطهاد · ورضي كذلك الاسقف بشاره بتعيين القس ميخائيل عبيد لماردين على ان يؤيد بصك اوامر من لدن والي بغداد · وهذا الامر استحصله السيد اسكندر كبري بمساعيه في باب الولاية · وزد على هذا ان العناية الربانية اعدت مطرانين جاليلين من اليعاقبة للمناضلة عن المعتقد القويم ولنصر الماردينيين تباعه كما سيأتي امامك

وفي ايام السجن القائم في الموصل حاول القس بهنام بن نعمة صائغ واخوته ان يستدعوا الخوري ميخائيل شقيقهم من النبك واتفق الاسقف معهم في هذا الطلب فلبائم البطريرك بطرس جروه ورخص للخوري المذكور في السفر بعد

١ عرفنا كنيته وسنة رسامته من ختمه في رسائله المحفوظة في الشرفة

٢١٩ وقبل انقضاء السنة عُزل يحيى باشا وذهب الى ديار بكر ولما عاد الى الموصل نشبت فتنة قُتل فيها ونُصب عوضه عبد الرحمان باشا بن محمود باشا٠ وفي اثناء ذلك اجهر المفريان الياس كرمه بالكثلكة بتوسط الخواجا ارميا دغلو فارشده الاسقف زماناً وبعد ان اخذ منه العهود على الثبات منحه الحل٠ ولما بلغت هذه الاخبار الى المفريان الياس مزاوج قدم الى الموصل حانقاً على الكاثليكيين ودخلها بابهة كما في المرة الاولى وقدم هدايا للمتوظفين طالباً الانتقام من السيد بشارة واذ لم يكن بيده حجة جديدة اشار اولو الامر عليه ان يثير فتنة لكي يتخذوا حجة على اسقف الكاثليكيين وانصاره فيجفوه٠ وما زال المفريان المذكور ينصب اشراكاً حتى يوم الجمعة العظيمة على انه لما كانت نوبة الصلوة لشعبه اولاً: دخلوا البيعة واطالوا صلواتهم تعمداً الى قرب الظهر وتممها المفريان بوعظة الالام حيث ابتدأ من سقطة ادم واطال خطابه الى ما بعد الظهر بساعة٠ وكان الكاثليكيون ينتظرون النهاية في الرواق خارجاً فتضايقوا جداً وعيل صبرهم فدخل احدهم وهو المقدسي جرجس دهين وقال للمفريان: ان المسلمين فرغوا من صلاة الجمعة وانت الى الان لم تصل الى خبر تعذيب المسيح فمتى تصلبه وتميته وتنوح عليه ومتى تكون صلاتنا نحن٠ فلم يكد ينتهي من كلامه وصاح المفريان الى شعبه: اين غيرتكم اين شهامتكم فضجت الجماعة ووثب احدهم وهو عبدالله الشيخ وطفق يضرب الصارخ ويشتم جماعته وتبعه شجعانهم ولا سيما جموعه وبحوّ اسود وغيره فاخرجوا عصياً كانوا توا بها لمثل تلك الساعة فكانوا يضربون بها وكان بحو اسود قد جاء بنفر من المسلمين خبأهم في زاوية الهيكل ليخيفوا الكاثليكيين وينتصروا للمعاقبة٠ فلما اشتدت الفتنة قام شبان الكاثليكيين وهم بحوّ الخانجي ورزقو الاعور وعبو برصوم

وحنا قندلا واخذوا يضربونهم في دار البيعة وفي سطحها ووثب عبو برصوم على عبدالله الشيخ فادخل راسه في مرزاب السطح وطفق يضربه ويقول لعمري اني لا اكف عن ضربك حتى تشتم برصوم· فلما اوجعه والمه شتم برصوم فتركه ثم اصاب جموعه ايضاً · وعلق يصرخ من داخل المرزاب على حب النبي تبت تبت ' وبالحقيقة تاب لانه بعد ان رجع عقله الى راسه انتمى الى جماعة خصومه

وفي اثناء الفتنة اسرع المفريان مع بعض الوجوه الى عبد الرحمان باشا ورفعوا اليه دعواهم على الاسقف بشارة وقسوسه وعلى سبعة من شعبه واشهدوا عليهم اناساً من المسلمين فامر بحبسهم فكبلوا بالحديد في سجن السراي ثم انقلب المفريان الى الكنيسة وطرد الكاثليكيين من البيعة واستقدم قسوس قرقوش بواسطة جنود الحاكم وامره وحاقهم · اما الاسقف ورفقاؤه المسجونون فشفع الاعيان فيهم عند الحاكم فغرمهم عشرين الف غرش وخلى سبيلهم بعد ان حبسوا سبعة عشر يوماً ومثل ذلك حدث في خورنة مار توما· فتباً لزمان فيه اعمى الجهل عقول المغرضين حتى اهانوا الله في محل عبادته في اقدس الايام · واما المفريان الياس بن كرمة فاغتنم انصار عنكز تلك الفرصة وذهبوا اليه ليلا بالمشاعل واستردوه اليهم بالوعد والوعيد

٢٢٠ وعند ذلك انتدب البطريرك ابن السيار الربان انطون والربان عيسى الى ديار بكر ورقاهما الى درجة المطرانية سنة ١٨٢٦ ودعا انطون يوليوس وخوله ادارة دير الكرسي والنيابة عليه ودعا عيسى غريغوريوس ورسمه على كرسي اورشليم · وبعد حين اقام الربان متى نقار مطراناً تيبلياً اي عاماً ودعاه ديونوسيوس · ولم يبرح هذا البطريرك من التنكيل بكاثليك ماردين فكان

والنوائب فاخلصك والشعب من هذه المظالم الى ما شاء الله · فقال اعمل ما بدا لك · وفي صباح الغد اعني احد الشعانين اخذ القس يوسف زوجاً نفيساً من الجوارب شغل العجم وقصد عبد الوهاب اغا القابجي كياسي اعني مقدم الدعاوي وسلم عليه وقدم له ما بيده معتذراً · فرحب به واكرمه وسأله عما حمله على الحضور اليه باكرا · فشرع القسيس يرثي لحال اسقفه الشيخ صاحبه ويبكي مستظلماً · قال له الاغا احكي ضيمك وقل لي على م البكا · قال ان المطران الذي يقال له عنكز طلب من جماعتنا صدقة لرهبان البطريرك فجمعنا له ما تيسر حباً بالسلامه ورغماً عن كوننا في ضيق في هذه ايام الغلاء طمع بنا وارسل يطالبنا بدهيك لنفسه وتهددنا بحبس وقتل وصلب كأن حكم افندينا بيده · وعند هذا الكلام نبض عرق الغضب في الاغا واوعز الى القسيس ان يسبقه الى دار يحيى باشا والى خادمه ان يذهب في طلب المفريان عنكز فلما ذهب اليه اجابه ان: سابعث بوكيلي · ولما رجع الخادم بهذا الجواب تزايد غضب عبد الوهاب · وقال للخادم خذ معك مربط الخيل وارجع اليه فاذا ابى ايتني به مكبلاً مسحوباً الساعة الساعة · فانطلق وهو حامل الحديد على كتفه ووجد عند المفريان ثمانية من وجوه شعبه قد جمعهم عنده فلما لمح المطران الخادم قام وتبعه الى السراي وعند وصوله نهض عبد الوهاب الى دار الحاكم وتبعه عنكز ورفقته · وكان القس يوسف قد دخل دار الحاكم فراى اخاه اسعد بيك الكهيا فامره بالجلوس واذن له بالكلام فطفق يحكي والكهيا يسمعه متعجباً من جسارة عنكز حتى عيل صبره فدعا اخاه يحيى باشا فجلس يسمع ايضاً واسعد بيك يقطع كلام القسيس ويقول لاخيه ما سمعنا قط ان في الموصل حاكماً غيرك ثم سال القسيس من هو المطران عنكز · وعند

هذا السوال دخل اسعد اغا والخصم وراءه فقال القسيس ها هوذا مقبل فبادر الكهيا المطران قائلاً هل انت من اسرة عبد الجليل وحاكم ثانٍ حتى تأمر وتنهي وتتهدد جماعة القسيس . قال المفريان اغندم ان معي براءة سلطانية في ذلك . فقال الكهيا : هل براءتك تعطيك الحق على المسيحية (يعني الكاثليكيين) ام على اليعاقبة ملتك . قال ان براءتي تعطيني الحق على كل السريان وتامرهم بتأدية الحقوق لي فتميز يحيي باشا غيظاً من اجوبة المفريان التي اثبتت ما قاله المشتكي وقال: لا حاجة الى اطالة الحديث . تقدم يامطران الى محاكمة خصمك . قال ليس هذا خصمي بل الاسقف بشاره . قال الكهيا وهذا وكيله وهو كاف فشرعا في المحاكمة وفيها اقر المفريان انه طلب مالاً زيادة على ما اداه الكاثليكيون لكنه احتج ان الزيادة حقه من حيث الكاثليكيون رعيته . قال القس يوسف: اما في امور الدين فنحن مستقلون منك واما في المدنية فنحن رعية الدولة العلية وعبيد افندينا فلا حق لك علينا ولا لبطريركك . فنهض الباشا وشتم المفريان وقال له : ويحك أَبلغت جسارتك الى مشاركتي في الحكم حتى تريد ذهيكاً من عباد الله . فالآن حكمت عليك بالنفي وامهلتك ثلاثة ايام . فترامى المفريان على قدميه وتوسل بالحاضرين طالباً العفو . فلم يلبه احد . فنهض القس يوسف ودعا للحاكم والكهيا وانصرف يبشر الاسقف بالفوز فقدم الشكر لله وأُبطلت سنّة جمع الزدق من كاثليك الموصل منذ ذلك اليوم . اما المفريان الياس مزاوج فأخرج من الموصل نفياً متبوعاً بضرب السياط الى قرية حميدات وكان خروجه يوم خميس الفصح ثم اوصلوه الى قلعة الامراة بجوار ماردين (١)

١ سمعنا هذه الرواية اكثر من مرة من فم القس يوسف قندي وهو خوري

الفصل الثاني

٢١٨ قدوم المفريان عنكز للموصل بابهة — عزله ابن كرمه — تظاهره بالعلم — اغتصابه من الكاثليك حقوق الزدق — قهره — نفيه الى ماردين — كثلكة ابن كرمه ٢١٩ موت الحاكم — قدوم عنكز ايضاً — فتنته جمعة الآلام — طرده خصومه من الكنائس — حلقه القسوس ٢٢٠ اسقفية سمحيري ومحفوظ — التنكيل بكاثليك ماردين — قداس كاثليك الموصل في البيوت — الوشاية بهم — جوابهم للحاكم عن استعمال الصينيه والكاس فوز السيد بشاره ببغداد — رغبة الماردينيين في كاهن مؤيد يرعاهم تعيين ابن عبيد الموصلي — سفر ابن صائغ الى وطنه — سجنه في الرها — قدومه للموصل ٢٢١ شهرة ابن صائغ في الوعظ والتعليم فتنة عنكز حسداً — جلد انصاره — نكت جرجس شرماء في تخجيله كاهن سكير — ازعاج عنكز الماردينيين — فرحهم بقدوم الكاهن ابن عبيد مؤيداً باوامر والي بغداد

٢١٨ وابتدأ المفريان الياس بسياسة شعبه بمسالمة كل احد حتى الكاثليكيين بل لما اراد نفر من شعبه مخاصمتهم ردهم ونصحهم وابى موافقتهم فنفروا منه وقالوا يظهر من كلامك انك تريد اللحاق بجماعة الفرنج وكان المطران الياس مزاوج الملقب بعنكز يتوقع رئاسة ابرشية الموصل فلما بلغه خبر هذا الخلاف طفق يتملق البطريرك جرجس لكي يعطيهُ هذه الرئاسة فسماه مفرياناً واعداً اياه بها بعد حين ولوقته سلمه براءته واوفده الى الموصل مع اثنين من الرهبان ليجمع منها

الزدق اعنى الحقوق الابوية كعادته في كل سنة من اليعقوبيين والكاثليكيين وذلك حسب منطوق البراءة اذ كانوا يحسبون رعية واحدة تابعة لرئاسة دير الزعفران · وكان حاكم الموصل يحيى باشا الجليلي · وكان دخول عنكز الى الموصل بأبهة اذ كان راهب يحمل عكازته ويمشي امامه · ومنذ وصوله اخذ يزور وجهاء البلد راكباً والراهبان يمشيان قدامه براس كل واحد منهما عمامة منقوشة فوق القاوق والقسوس وراءه · وحضر الخوري ميخائيل يوحانا الى زيارته باسم الاسقف بشارة حين كان ديوانه غاصاً بالناس فطفق المفريان يتفلسف ويسال زائره مسائل لاطائل تحتها قاصداً المباهاة بعلمه · من ذلك سأله متى اكل المسيح الفصح مع تلاميذه فقال بين العشائين (١) اي بين الغروب والعشاء فمدح ذكاءه

وابتدأ بسياسته بعزل المفريان الياس سالفه فلزم بيت اهله وقد عزم على الانتماء الى الكاثليكيين · واما الزدق فبعد ان جمعه عنكز من شعبه طالب الاسقف بشارة بجمع الباقي من الكاثليكيين فحصله بعناء بسبب الغلاء وارسله اليه يوم سبت لعازر · فقال عنكز للرسول : قل لاسقفكم اني تسلمت حقوق البطريرك فاين حقي انا فليدفعه صاغراً والا رفعت عليه الشكاية وفتحت عليه ابواباً يعجز عن سدها · فلما سمع الاسقف البار ذلك اغتم لانه لا يملك مطلوبه ويستحيل عليه جمعه من الناس · وكان القس يوسف قندي حاضراً فقال له : ما بالك مهموماً؟ دعني ادبر هذه المسألة حسب عقلي والزم راحتك لانك شيخ قد سحقتك الاتعاب

---

١ كذا في النسخة السريانية البسيطة

وكان الكاثليكيون بالموصل منذ سنة ١٨٢١ متوادّين مع اخوتهم المنفصلين اذ كان الحاكم احمد باشا الجليلي المكنى بابي عدلة الموصوف بالاستقامة · فاتفق الاسقف بشارة والشماس عبد الكريم ابن الشماس يني بن مراد على رمّ ما كان مهدّماً في كنيسة الطاهرة · وكان الحاكم يحب الشماس عبد الكريم ويكرم سيدتنا مريم العذراء · فلما عرض عليه ان الكنيسة في حاجة الى المرمّة بالجصّ والنحيت استجابه بل عرض جماله لحمل الحجارة · وكان باب البيعة منخفضاً لا يمكن الانسان ان يدخله الا منحنياً فكبروه ومتنوا الجدران بالنحيت داخلاً وخارجاً · وارادوا توسيع باب الهيكل والشباك فلم يسمح لهم وكيل الشرع ثم كتبوا فوق باب الهيكل آيتين من كلام الانجيل الواحدة تذكاراً لما قاسوه من الاضطهاد وهي ما اضيق الباب واكرب الطريق المؤدية الى الحياة · والثانية تنبيهاً لاخوتهم المنفصلين بخصوص رئاسة الحبر الروماني وهي قوله تعالى انا هو الراعي الصالح ورعيتي تسمع صوتي وتتبعني

وكان عند الاسقف شماس نشيط رباه منذ نعومة اظفاره اسمه يوسف بن حنا قندي : فتمّة لفرحه منحه درجة الكهنوت ليخدم في بيعة الطاهرة ثم رسم لتلك الكنيسة ايضاً القس بطرس بن حنا النجار ولكنيسة مار توما القس جبرائيل بن بهنام جبرائيل

امـا عزو اسقف اليعاقبة ففي ايام شيخوخته ابتلي بالعمى والاقعاد فحرصاً على اتصال سلسلة الاسقفية الى اناس من قبيلته انفذ الربان متى نقار ابن اخيـه الى البطريرك ابن السيار مشفوعاً بضبطة موقع عليه ختوم بعض الشعب يريدونه مطراناً وكتب له كتاب توصية · وبعد سفره توفي عزو فأبقى ابن السيار الربان

متى عنده وسلم سياسة شعبه في الموصل للربان متى بن هندوش البناء بعد ان اقامه مفريانًا · فلم يقبله الشعب فقاومهم فرفعوا امره الى الحاكم فحبسه اياماً ثم نفاه الى ماردين فخرج من البلد والجندي يضربه بالسياط فلما وصل الى تل كناس قرب باب سنجار كشف راسه ودعا على خصومه قائلاً : اللهمّ بدد شملهم فلا رأي يجمعهم ولا بيعة تضبطهم · واستأنف سيره الى ماردين مهانًا

وفي اثناء حبس ابن هندوش انتخب الشعب الربان الياس بن هندي كرمه راهب دير مار بهنام · فلبائم واخفى امتعة الدير وكتبه في خزانة خفية وتوجه الى ماردين ولما كانت تلك السنة جدباء والقوم الباجوان في فقر مدقع ارسلهم حاكم الموصل محمد امين باشا الى الدير وامر اهل قرقوش ان يقرضوهم بذاراً فزرعوه واخصبت غلاَّتهم

وكان الراهب بن كرمة قد أُقيم مفريانًا ورجع من ماردين فذهب الى قرية برطلي راساً مستصحبا ثلاثين رجلاً حاملي سلاح يقودون خمسة عشر بغلاً واخذوا معهم من قرقوش شبانًا آخرين في جملتهم رفو حبش · ولدى وصولهم الى دير مار بهنام فتح المفريان خزانته واخرج منها جميع الكتب والآنية الثمينة وحملها على البغال ونقلها الى الموصل · فلما رأى الباجوان ذلك تأسفوا لانهم لم يستفيدوا من ذلك الكنز شيئاً

وبجانب القدح صينية يلقي فيها كل من :هن ما امكنه من الدراهم وروى الربان عيسى بعد اهتدائه ايضاً «١» ما ملخصه «ان البطريرك جرجس جلس ذات مساء على سطح الدير ليشرب كعادته وكان في عشائه لحم مشوي فلما دنا وقت العشاء لمح احد اكابر شعبه مقبلا اليه من ماردين وكان اعور فقال لي ما جيئة هذا على خلاف العادة. ثم اردف مازحاً ولا بأس حيث انه اعور فضع صحفة اللحم من ناحية عينه العوراء لئلا يرانا ويحكي للناس ففعلت وتقدم الى الطعام مع ضيفه فكان يأكل اللحم ويرمي بالعظام الى البرية وانا في قلبي استشنع رياءه. وفي الغد صباحاً تجرأت وقلت له بعد ان استأذنته: اذا كان اكل اللحم محرم على امثالك كما على الرهبان فكيف اجزته لنفسك. واذا كان جائزاً فلم توهم الناس انك زاهد فيه. فاجابني ان هذا التحريم صار على الرهبان والنساك واما نحن فنمتنع عنه توفيراً لمصروف الدير فسكت ولكن ساء ظني في تدينه دون ان اكشف فكري له ولا للربان انطون»

٢١٧ وبلغت اخبار دمشق الى هذا البطريرك ان الكاثليكيين نالوا حجة شرعية واوامر لاقامة الصلوات في كنيسة مار بهنام بالمناوبة مع شعبه. فساءه ذلك ووجه اليهم الربان يلدا الامدي بحجة وكالة له وبرسالة الى الحاج درويش اغا والي البلد يريد طرد الكاثليكيين من البيعة وحبسهم. واتفق ان بطريرك الروم المشاقين ايضاً حصل بواسطة مطران بلاد عكار على اوامر سلطانية فشدد الاضطهاد على المهتدين في صيدا عكار ودمشق من الروم وضايقهم فانفذ الجنود للقبض على قسوسهم ففاجؤهم ليلاً وتسلقوا السلالم واتوا بهم الى الوالي فنفاهم

---

٣ عن رواية الشماس جبري فرج خادم السيد عيسى

الى طرابلس والى جزيرة طرواذه مقيدين . فسهل اذ ذاك على مرسل الزعفران ان يؤذي السريان الكاثليكيين . فقدم هداياه الى اولي الامر وعرض عليهم ان للبطريرك موكله براءةً سلطانية ومن ثم فله ان يطرد خصومه من كنيسته ويردعهم بالحبس والنفي . فزج الخوري ميخائيل صائغ واكابر الكاثليكيين في السجن . واستمروا فيه اربعة وخمسين يوماً من غرة ايار سنة ١٨٢١ الى ان تحنن قلب الوالي فغرمهم خمسة وعشرين الف غرش وخلى سبيلهم . لكنه اعطاهم حجة شرعية وامراً ثانيا بان لهم حقاً في الكنيسة بالشركة مع اليعاقبة . فاستدانوا المال بالفائض ونقدوا الغرامة وكانت فوق طاقتهم . ومع ذلك نسوا عذاب السجن والخسارة لرجوعهم الى كنيستهم . ومما زاد تعزيتهم هو رجوع قسوس الروم اخوتهم ايضاً من منفاهم . ولهذا كتب البطريرك بطرس الى الخوري ميخائيل في ٢٧ كانون الثاني يعزيه ويقول : « لك الطوبى لانك كسبت الكنيسة بسجنك ودموعك وبالمال » ولما خاب امل ابن السيار من مقاومة الدمشقيين انفذ الراهبين عيسى وانطون الى الموصل ليجمعا له الرزق . وكان الاسقف بشارة قد خصص لنفسه مذبحاً صغيراً في زاوية قدس الاقداس داخل كنيسة الطاهرة ليقيم عليه قداسه اليومي وكان يتشكر لله خاشعاً كأنه ملاك ارضي . ولمحه الراهبان يوماً فاسترقا النظر اليه عن بعد وما كان منهما الا ان الدهشة والاستحسان اخذا من قلبهما مأخذاً شديداً وحملاهما على اعتبار الكنيسة الكاثليكية بعد ان كانا ينفران منها : على ان هذا الراعي الامر تمرن على احترام الاوخارستيا في الكنيسة الكاثليكية بخلاف ما كانا تسلماه هما من طائفتهما . غير انه لم يتجرأ احدهما على ان يكشف فكره لصاحبه

الدرجات الصغار سنة ١٨٢٤ · وانما ذكرنا هذين الشابين لشهرتهما بالتقوى والغيرة على النفوس في دمشق والنبك خاصة · وفي خلال ذلك انتقل السيد ميخائيل ضاهر الى جوار ربه بحلب سنة ١٨٢٣ (١)

اما الخوري ميخائيل الجديد فمنذ عاد الى دمشق ضاعف نشاطه فازداد بهمته عدد الكاثليكيين وصاروا مع اخوتهم الروم يداً واحدة (٢) يتعاضدون في تدابيرهم حتى تمكنوا من قضاء العبادة والحفلات في كنيسة مار بهنام بالشركة والمناوبة مع المنفصلين وذلك بموجب حجة من الشرع وامر من والي دمشق صرفوا عليها خمسة عشر الف غرش · واحتاج الخوري ميخائيل الى قسيس للنبك فسير اليه البطريرك القس انطون بن عبد الاحد يازجي الحلبي كان قد رسمه سنة ١٨٢٠

٢١٦ وفي اثناء ذلك نهبت العربان دير مار بهنام باثور وذلك في مبادئ سنة ١٨٢٠ لحدوث قحط وغلاء · فاضطر الرهبان لهجره وفي جملتهم الراهبان انطون سمحيري وعيسى محفوظ المار ذكرهما فانطلقا الى دير الزعفران · فرحب البطريرك جرجس ابن السيار بهما · ولما لمح فيهما سيماء الحذق والنشاط وسلامة الطوية وشدة التمسك باليعقوبية ووثق بهما وفي ١٥ آب سنة ١٨٢٢ منحهما درجة الكهنوت وسلمهما وكالة الدير فاطلعا على اسراره · غير ان هذه الدالة افضت بهما الى سوء الظن في تدين هذا البطريرك والى الميل نحو الكنيسة الكاثليكية وذلك لحوادث جمة نورد منها حادثين روى الربان انطون سمحيري

---

١ في مجموعة دولباني كتب ابن السيار شامتاً ان قد خبرونا بهلاك المطران ميخائل ضاهر

٢ عن رسائلهم المحفوظة في الشرفة

بعد ان صار بطريركا قال ما خلاصته (١) « حضرت وانا قسيس رتبة تقديس الميرون في دير الزعفران مرتين في عهد البطريرك جرجس الحلبي الذي كان قد جعلني كاتم اسراره وخصصني مأموناً على سر فيضان الميرون · وكان الامر يجري على ما انا شارحه:

بينما كان البطريرك يحمل زجاجة بيضاء طويلة العنق مملوئة زيتاً وقد ترك منها نحو شبراً فارغا وفيما هو يدور بها مع الاقليرس الدورتين الاوليين بحسب الطقس: كنت انا في زاوية قدس الاقداس اغلي بلسما في اناء من نحاس · وعند ابتداء الدورة الثالثة لما يجللون البطريرك بوشاح ابيض كنت احمل البلسم المغلي خفية تحت البدلة وبحجة ادخل تحت الوشاح واسكب البلسم في الزجاجة فتملأ كميته اكثر من فارغ الزجاجة فيغطس البلسم لثقله ويدفع الزيت الى فوق لحرارته وامتلائه المكان فيتدفق وتفوح منه الروائح الذكية (٢) ووقتئذ كنت اخرج الى خارج الوشاح واصرخ قائلاً: قد حلت نعمة الروح القدس هللويه· وتصيح الجماعة باصوات الفرح· ثم يكشفون الغطاء ويكملون الدورة ريثما ترفع الزجاجة على طبق معدني والميرون ينزل على الطبق على اعين الجمهور · ثم ان البطريرك يبل طرف منديل بالميرون ويهديه الى الضابط ومثله الى رفقائه(٣) بينما يملأ الكهنة قدحاً منه ايضاً ويدهنوا الشعب واحداً فواحداً على جبينه·

---

١ الدرة النفيسة للسيد بهنام بين صحيفة ٨٧ — ٩٠

٢ ان في دهن الميرون اجزاء عطرية كما في التوراة خروج ٣٠ — ٢٢ والكنيسة السريانية تشير بها الى مواهب روح القدس

١ ان الضباط كانوا يرسلون للمحافظة

﴿ الباب الحادي عشر ﴾

في حالة الطائفة على عهد البطريرك بطرس جروة الحلبي

الفصل الاول

٢١٥ بطريركية السيد بطرس جروه — تأخير تأييده — اعتزالته — رفعه ابن صائغ الى رتبة الخوري — رسامته شمامسة — تأييد حقوق الدمشقيين في كنيستهم ٢١٦ هرب انطون سمحيري وعيسى محفوظ وغيرهما الى ابن السيار — ترحيبه بهما — جعلهما كاهنين — اطلاعهما على مآربهما من سلوك هذا البطريرك ٢١٧ مضايقة ابن السيار الدمشقيين — اتعاظ سمحيري ومحفوظ من سلوك الاسقف بشاره — مرمة كاثليك الموصل كنيسة مطاهرة — رسامة الاسقف بشاره قسوساً — ترهب متي نقار — اقامة ابن هندوس ثم ابن كرمة مفرياناً كنز دير مار بهنام

٢١٥ انه منذ ولي السيد ميخائيل هداية النيابة البطريركية على الطائفة سنة ١٨١٨ اهتم الكرسي الرسولي باقامة بطريرك جديد وطفق يكاتب النائب المذكور وقاصد سوريا ويحرضهما على انتخاب شخص لائق لهذا المقام فاتفق بعضهم على انتداب المطران غريغوريوس بطرس جروة ابن شقيق البطريرك ميخائيل جروه المثلث الرحمات فدعوه بكتاب تاريخه ١٥ شباط سنة ١٨٢٠

وفي ٣ اذار قرر دستور الايمان الكاثليكي بين ايديهم قدام القربان المقدس ٠ فاحتفلوا بالتكريس البطريركي حسب الطقس واجلسوه على كرسي الرئاسة وهو في الحادية والاربعين ثم كتبوا الى المجمع المقدس يطلبون تأييده٠ وانفذ البطريرك الجديد ايضاً رسالة مع صورة الايمان التي قررها ٠ غير ان السيدين ميخائيل هداية وجبرائيل حمصي جملا يطعنان به لاسباب منها ان المنتخب كان قد صاحب بعض الانكليز ونال منهم مطبعتين لفائدة الطائفة ٠ وتعصب للمطرانين القس نيقولا العازاري فكتبوا رسائل شكوى عليه الى المجمع المقدس ولهذا تأخر صك تأييده نحو ثماني سنوات فاقام في دير الشرفة سنة ثم اعتزل في دير مار افرام نحو اربع سنوات وكان يسوس الطائفة عن بعدٍ على قدر الامكان: ويقضي اكثر اوقاته في مطالعة الكتب وفي درس اللغة الايطالية اذ كان يعرف بعض مباديها منذ وجوده في روميه حتى اتقنها واستخرج منها كتباً روحية ووعظية لفائدة الاقليرس

وفي اثناء ذلك حضر اليه وهو في دير مار افرام القس يوحنا صائغ الموصلي لبعض شؤون الطائفة في دمشق والنبك٠ ولما كان غبطته لحسن سلوكه وشدة ذكائه وغيرته الرسولية اراد ان يكافئه على ذلك فرقاه الى رتبة الخورفسقفس سنة ١٨٢٢ باسم ميخائيل واذن له ان يبارك الشعب بالصليب كالاساقفة (١) عند عدم وجود اسقف ٠ وكان في ذلك الدير يومئذ راهبان موصليان وهما فيلبس بن عبد الاحد قزازه ويطرس بن زكريا زلو عامر فمنحهما البطريرك

---

١ رسالة البطريرك المحفوظة في الشرفة ٠ وناهيك ان هذا الامتياز لا اثر له في القوانين البيعية السريانية

الياس مارداني وبذل له المساعدة الروحية الى ان قضى في شهر تشرين الثاني وحذراً من الخصام كما جرى سنة ١٧٨٠ انفذ النائب الجديد المطران جبرائيل حمصي والقس روفائيل حائك وحرر موجودات الدير المذكور بحضور القس الياس مارداني والراهب مبارك ابن اخي المتوفى فاشتملت على جملة حلل بيعية وكتب عددها ٤٤٦ وبعض كروم وعودات واراض لزرع الغلة (١)

وكان القس يوحنا صائغ الموصلي الذي أُرسل الى دمشق والنبك سنة ١٨١٢ حسن السلوك والسياسة محبوباً في هاتين الابرشيتين اذ كان يبذل جهده في خدمة النفوس ويواظب على مطالعة كتب العلم حتى الف سنة ١٨١٧ كتاباً لانارة السريان المنفصلين وسمه بايضاح الحجج اليقينيه في حقيقة الامانة الارثذكسية (٢) وقدمه الى السيد ميخائيل هداية النائب ٠ فاحبه واثنى عَلَى ذكائه وعلمه ٠ ثم انه عرض عليه ان يخلفه في ابرشية حلب ويقيمه مطراناً ٠ فاستمهله القسيس وكتب الى الاسقف بشارة يستشيره عن نفسه في ذلك ويستأذن منه ايضاً ان يسعى عند سيادة النائب في ان يرقيه الى رتبة المفريان وهي التي تمتاز بها اسقفية الموصل منذ القديم ٠ وكان جواب الاسقف عن المفريانية بقوله « انه فضلاً عن عدم استحقاقه لهذا الشرف تحتاج ابرشية آثور ان يكون فيها كهنة عاملون ابطال اكثر من رتب الشرف » واجاب عن انتدابه الى مطرانية حلب قال « أنسيت ياولدي ان وجودك في الموصل الزم واكثر فائدة من نصبك مطراناً لحلب وقد استتبت الكثلكة فيها بخلاف الموصل المعرَّضة بعد

---

١ السجل الصغير ١ ايلول ١٨١٧

٢ عن كتابة نفسه في قلاية الموصل

لتهديد الضلال واعوانه والمفتقرة الى علماء وواعظين يساعدوني · فكيف ارضى ببقائك بعيداً عني وانت تربية يدي ومن ثمار اتعابي » وطفق الاسقف يسعى في استقدام القس يوحنا اليه قبل ان يقام راعياً

غير ان القس يوحنا أُرسل الى دمشق الى السيد بطرس جروة وتسلم منه الوكالة على اوقاف دير مار موسى في النبك ولم يفتر من رعاية النفوس

ولقد اصاب الاسقف بشارة بقوله ان الكثلكة استتبت ورسخت في شعب حلب على اختلاف طقوسهم وطوائفهم حتى اضحوا قدوة الثبات لسواهم انما ليس ذلك بدون معارض · فان جراسيمس مطران الروم المشاقين قدم الى حلب في ١٤ اذار سنة ١٨١٨ (هجرية ١٢٣٣) ومعه خط شريف به يفوّض اليه ان ينكل بكل من يأبي الارتداد عن الكثلكة ويشاركه في الدين من شعبه وقسوسهم وكان الوالي واسمه خرشيد باشا مقيماً قريباً من مزار الشيخ بكر فعقدت الجمعيات وأُعلنت التهديدات وعمّ القلق وهاج الشعب وماجوا حتى خافهم جراسيمس فهرب · والنافرون من جوره تجمهروا اقدام المزار المذكور ليعلنوا للوالي انهم لا يرتدون عن الكثلكة · وكان القاضي حاضراً فاشار على الوالي ان يقتل بعضاً كي يرعوي الجمهور كله · فاستحسن رايه واوعز الى القواسين ان يقبضوا على من نالته يدهم ويقدموه الى الجلاّد فلما ضرب اعناق احد عشر رجلاً تسعة من الروم وجرجي نخاش من السريان وانطون حوا من الموارنة امره الوالي بالكف وحينئذٍ هدى الشعب وخضع بعضهم للشاق رغماً لكنهم رجعوا بعد ذلك وقد زادتهم دم الشهداء ثباتاً وعقيب ذلك نودي بحرية الدين · وعُرفت تلك السنة عند الحلبيين بسنة الشهداء الى اليوم (١)

---

١ عن اخبار يومية لاسرة روفائيل خياط كاتبها الشاهد العياني

يوسطوا الحكومة · وذلك ان بعض اللصوص نزلوا علَى الاسقف ذات ليلة ليقتلوه بالخناجر فانتبه ورحب بهم وسألهم عن من دلهم عليه · فهابوا شيبته وخجلوا فقالوا : ان خصومك النصارى رشونا لنفتك بك · فاجابهم ان كنتم في حاجة الى دراهم فقولوا وانا اعطيكم ورمى اليهم بكيسه وقال : خذوا ما فيه واذا احتجتم الى اكثر بذلت لكم فانصرفوا متحيرين من لطفه

هذا واكثر من مرة صادف الاسقف في طريقه وهو آتٍ الى البيعة سحراً الى صلاة الليل رجلاً كامناً يريد الفتك به · ولشجاعته لم يذعر بل كان يخطف العصا من يده ويلحق باثره حتى يهزمه ثم يعود فيقضي صلاته كعادته

الفصل الخامس

٢١٤ تنزّل البطريرك سمعان — نيابة السيد ميخائيل هداية ١٨١٨ — خبر دير مار افرام — شهرة القس ميخائيل صائغ — تقدمة تاليفه الى سيادة النائب — قصد النائب اقامته مطراناً لحلب — منع السيد بشاره ذلك — استعفاء السيد بشاره من المفريانية ارسال ابن صائغ الى النبك — استلامه وكالة دير مار موسى — خبر سنة الشهداء بحلب سنة ١٨١٨

٢١٤ اما السيد سمعان زوره المقام بطريركاً سنة ١٨١٤ فكان قد عيي من سياسة الطائفة في تلك الايام الصعبة . ولما كان ميالاً الى العيش الرهباني وقد أُجبر عَلَى قبول المقام البطريركي اراد الاستقالة وما زال يكرر هذا الطلب حتى تنزل عن البطريركية سنة ١٨١٨ بحضور القس الياس حمصي ومطرانين احدهما ماروني والثاني ارمني وذلك قبل ان يأْتيه صك التثبيت من الكرسي الرسولي (١)

ولما بلغ خبره الى المجمع المقدس سمى السيد ميخائيل هداية نائباً بطريركياً فترك حلب وقدم الى الشرفة وكان الرئيس في دير مار افرام المطران شكرالله فولية الحلبي قد مرض منذ شهر ايار سنة ١٨١٧ وادنف فحضر عنده القس

١ عن السجل الصغير بالشرفة ٧ ايلول سنة ١٨٢٣

بحبس الاسقف بشارة وقسوس الفريقين في سجن القلعه · فعظم المصاب وتضاعف الغم لدنو خميس الفصح · حينئذ اتفق الخواجا الياس الحلبي والخواجا داود دغدو والبادري منصور المرسل وبينوا لمحمد باشا الحاكم ان ابتداء الفتنة كان من اليعاقبة حسداً والتمسوا اطلاق المسجونين فلباهم وغرمهم مبلغاً كبيراً اداه الفريقان عن قسوسهم فاطلقهم وعيدت الناس الفصح بالغم والكآبة

اما خصوم الاسقف بشارة فلم يبرد غليلهم بل تآمروا علَى ابادته او إبعاده · ولانجاز ذلك جمعوا مبلغاً كبيراً وارسلوه مع ربطة اقمشة واجواخ فاخرة الى حرم الحاكم · وارسلوا مبلغاً آخر الى حاشيته والى القاضي فتعجب الحاكم من قساوة قلوبهم لكنه رأى ان يقبض علَى الاسقف ويحبسه زماناً ثم يطلقهُ

واحس الاسقف البار بالخطر فهرب الى المدينة واختفى فيها · فلما جاز الليل ركب زوج ظروف وعبر النهر · ثم تلثم وسار بوجهه يقاسي البرد والمطر حتى وصل الى قرقوش ودخل بيت حجو هدايه الوكيل متنكراً · فأجلسوه بين الضيوف ولما وضعوا العشاء قال اني لا آكل من زادكم ما لم يحضر رب البيت وكان متى بن نيسان هدايا حاضراً فتعجب من كلام الضيف وكان عمه حجو هدايا يقضي السهرة عند احد اصحابه فارسل متى في طلبه · فجاء وجلس وسأل الضيف عن اسمه ليعرفه فرفع الاسقف لثامه وعيناه مغرورقتان بالدموع فدهش حجو وطار عقله من رأسه وطفق يقبل يديه ويقول ما دهمك يا ابانا حتى جئتنا في هذا الليل · فحكى له الاسقف ما جرى وكان الحاضرون من رجال ونساء يسمعون ويبكون · حينئذٍ اراد حجو هدايا ان يُحضر الأكابر ليفاتحهم في مسئلة الاسقف · وكان بينه وبين اسحق دنحا كدر فارسل يقول له ان ابانا الاسقف تهور في محنة وقد

قصدنا في هذه الليلة فهلاً تاتي او آتيك انا · فلما سمع الرجل هذا الكلام نهض من ساعته وحضر ثم اقبل خدر سكريا · فلما سمع الثلاثة خبره قالوا له لا تغتم ياابانا فانا مستعدون ان نفديك باموالنا فأكل ونام وعند الصباح خرجوا من القرية راكبين ومع كلٍ منهم مبلغ من المال وساروا الى الموصل فصادفهم رجال الحاكم في الطريق وسألوهم عن الاسقف فقالوا لهم ارجعوا معنا وعلينا الضمان · فامتثلوا الامرهم خوفاً من حجو هداية لانه وكيل آل عبد الجليل ومسموع عند محمد باشا · فلما دخلوا عليه سألوه العفو عن الاسقف وخيروه ان يأخذ من دراهمهم ما شاء · فعفا عن الاسقف وارسل في طلبه فلما حضر طيب خاطره واقنعه ان يذهب الى بغداد الى داود باشا

٢١٣ فسافر السيد بشاره واخذ معه سلة مملوءة من الخبز المرقوق المستعمل في الموصل وسعداً هدية لان ذلك كان من المستحبات لديه فوصل الى بغداد وقصد الخواجا قسطنطين والخواجه اروتين صهره الارمنين لوجاهتهما عند الوالي وقص عليهما قضيته فقصدا الوالي والتمسا منه العفو فاستجابهما وأحضر الاسقف واكرم مثواه وسرّ بهديته ولذا كان الاسقف في كل سنة يبعث بمثل تلك الهدية اليه او يأخذها معه كلما نزل الى بغداد لافتقاد الرعية · وكتب الوالي امراً قاطعاً بشأن حرية الاسقف وحفظ حقوقه فشكره وشكر للمحسنين وآب الى الموصل ظافراً مصحوباً بجوخدار الوالي تنفيذ الاوامر · وعند اجتيازه بقرقوش رافقه الاكابر وبعض القسوس الى محمد باشا راساً وسلموه اوامر الوالي فاحترمها واستدعى اليه الاسقف عزو ووجهاء شعبه وتلا على مسامعهم الاوامر فخرجوا من عنده مخذولين · لكنهم عزموا على ان يؤذوا الاسقف دون ان

وما عتمت دسائس ابن السيار ان انفضحت واتضحت للحاكم وتحقق لديه انه بمكيدته استغفل الدولة ونال البراءة وظلم البطريرك يونان · فطرحه في سجن القلعة حيث اقام اياماً ثم حاول استعطاف الحاكم وصرف سبعة اكياس حتى وعده بالتخلية على ان يتغرم ثلاثة وثلاثين كيساً · ولم يطلقه حتى كفله الخواجا الياس شادة كبير الارمن فاضطر ابن السيار الى بيع اواني الكنائس الثمينة واذ بقي لرصيد الغرامة الف غرش : فرضها على الكاثليكيين فادّوها خوفاً من شرّه وبعد ذلك خرج من السجن وهرب حالاً الى دير مار قرياقس في البشرية خوفاً من اعادة الدعوى · واقام هناك الى ان امر داود باشا والي بغداد بعودته الى ماردين فعاد سنة ١٨٢٢

وفي يوم الاربعاء وهو نصف الصوم التي يقال لها اربعاء المشبة من تلك السنة اشتد على الكاثليكيين الشدة وامرهم بقضاء الصلوة في كنائسه وبتأدية كل ما خسره منذ نُصب بطريركاً : فاطاعوه خوفاً منه (١)

---

١ عن رسائلهم الموجودة في الشرفة

الفصل الرابع

٢١٢ فتنـة في الموصل ايام الفصح — حبس القسوس — مؤامرة عَلَى قتل الاسقف — هربه الى قرقوش — نيله العفو بسخاء اكابرهم ٢١٣ قصده والي بغداد بهدية — جبر الوالي خاطره — عودته ظافراً تلقين الخصوم مسلمين لابادته — استحياؤهم من هيبتـه — وشجاعة الاسقف

٢١٢ واذ ذاك شبت فتنة بين سريان الموصل وسببها توزيع الخراج وذلك ان اليعاقبة اجتمعوا في البيعة قريباً من اسبوع الالام اذ كانت نوبتهم للدخول اولا واطالوا حفلتهم الى قرب الظهر حتى مل الكاثليكيون من الانتظار خارجاً فدخل احدهم وعاتبهم عَلَى ذلك فتلقاه بعضهم بالشتم ثم بالضرب بالايدي وبالعصي وكانوا قد اعدوها لهذه الغاية واذ لم يكن بيد الكاثليكيين عصي اقبلوا الى اكواد (١) الصلوة الصيفية وكسروها وطفقوا يضربون بها· وبينما هم كذلك اسرع بعض الخصوم ورفع الشكاية عليهم ورافق غيرهم عزو اسقفهم الى المتسلم والحاكم وقدموا له هدايا ثمينة وطلبوا نفي الاسقف بشارة لانه بمساعيه ادخل مذهب الافرنج بينهم· فلما رأى المتسلم ان الدعوى جسيمة عرضها عَلَى الحاكم فاحضر وجوه الفريقين للمحاكمة· وبعد مناقشة طويلة امر الحاكم

١ لفظة سريانية معناها الندج اي كراسي كتب الصلوة

يطلعهم عَلَى وثيقة الدخيل وختمه : صادفه بعض الاضداد في ديار بكر ودعوه الى اقامة القداس يوم الاحد ١٤ كانون الثاني ليلة صوم نينوى سنة ١٨١٧ في الدير المعلق و يقال له دير سيدة داغ (اي سيدة الجبل) فوق قرية شمشم القريبة من ديار بكر والدير مشرف عَلَى وادٍ عميق فلباهم · ولما خرج من الدير من بعد قداسه دفعوه الى الوادي فتحطمت عظامه · ونزل بعضهم اليه فالفوه في رمقٍ وهو يستودع روحه الى الله · فطعنوه بالخناجر واماتوه · وكانت وفاته من بعد رسامته بسبع سنوات و يعرف الى اليوم في تلك القرية اسماء قاتليه وهما حسي رئيس القرية وابو الربان توما · وروى بعضهم ان الربان توما نفسه دفعه الى الوادي (١) فلما نُعي البطريرك بهنام الى متى الدخيل بكاه واقام جنازاً عن روحه في بيعة الاربعين وفعل مثله الكاثليكيون في بيعة الكلدان معتقدين انه من جملة الشهداء · وغلب ظن اصحابه ان ذلك تم بتلقين ابن السيار لكي يستولي على البطريركية

ولهذا فمنذ بلغ ابن السيار خبر البطريرك بهنام اسرع الى ماردين ومثل بين يدي الدخيل متملقاً فلم يقبله بل انتخب المطران يونان الموصلي خلفاً له واقامه بطريركاً بحضور ابن السيار وتم ذلك في عيد التجلي ٦ آب سنة ١٨١٨ وذلك بعد ثمانية ايام للرسامة

---

١ في مجموعة الدولباني عن اثر في الزعفران بخط ابن السيار يردّ فيه الشبهة عنه قال : وفي سنة ٢١٢٨ (مسيحية ١٨١٧) مضى البطريرك بهنام الى بلد شمشم الى دير السيدة . و بسماح رباني لما كان المذكور خارجاً من باب بيعة الدير وقع من مقابل بابها الى الوادي ومات ودفن مهاناً

فاسرع ابن السيار الى العاصمة ونال بدهائه براءةً باسمه (١) بتوسط بطريرك الارمن · انما لما كان قد بلغ هذا البطريرك ان ابن السيار متقلب في المذهب حلفه ان لا يعود الى الديانة الكاثليكية فلما له وسلمه وثيقة اقرّ فيها ان عليه لذلك البطريرك مبلغاً كذا اذا جاء الى ديانة الكاثليكيين ثم تسلم البراءة وكرّ راجعاً · ومنذ وجوده في العاصمة كتب الى دمشق الى الربان يعقوب حلياني ان ينتظره في حلب فلما وصلها استصحبه الى ماردين ودخلها اذ كان حاكمها محمد سعيد اغا السلاحدار قد عُزل ونُصب عوضه احمد اغا السلاحدار فخرج الاقليروس اليعقوبي واكابرهم الى لقائه وادخلوه البلد في ٨ اذار ليلة عيد الاربعين شهيداً · وبعد ثلاثة ايام تسجلت براءته في دار الحكومة فالبسه الحاكم خلعةً كالعادة وعاد بها الى كنيسة الاربعين ثم الى دير الزعفران حيث رسم بطريركاً باسم جرجس الرابع في ١٦ اذار سنة ١٨١٩ يوم كان الاغوات يظلمون الرعية فمن فدى نفسه بالمال اطلقوا سراحه ومن عصي شنقوه

واما ما كان من البطريرك يونان فانه لما رأى نفسه مهجوراً وخاف على نفسه من البطريرك المحتال هرب الى الجبال وتاه على وجهه حتى استقر في دير مار ايليا القريب من حباب حيث قضى ايامه الى ساعة موته

---

١ لكي يزيل ابن السيار الشبهة عن نفسه كتب ما في مجموعة الدولباني انه بعد رسامة البطريرك يونان بخمسة عشر يوماً ارسل رجلاً الى الدولة ليحصل له براءة · واستمعنا عن الرجل انه نُفي الى قلعة رودس ومات · فالتزمنا بالمصير الى ماردين واعتبرنا البطريرك يونان فرأينا حالته محلولة · فقصدنا قسطنطينية وقدمنا عرضحال واقبل فانعمت الدلة علينا ببراءة وجئنا الى ديار بكر سجلناها بالشرع ولبسنا خلعتنا كالعادة ومنذ بلغ البطريرك يونان ذلك ترك دير الزعفران وانطلق الى دير مار ايليا القريب من قرية حباب

الفصل الثالث

٢١١ رسامة يعقوب حلياني رباناً بيد ابن السيار — نيابته — رياء ابن السيار — قيامه بالحفلات البيعية في بيت اهله — ضبطه كنيسة حلب — ردها الى الكاثليكيين — تمادي ابن السيار في الشر — كفه خوفاً من احد الاعيان — توبيخ النائب له — استعفاء السيد ميخائيل ضاهر عن راعوية حلب — تقلد السيد ميخائيل هداية رعايتها قتل البطريرك بهنام ١٨١٧ — اقامة كل من الدخيل والكاثليكيين جنازاً عن روحه — نصب البطريرك يونان معاوناً للدخيل — وفاة الدخيل اعطاء براءة لابن السيار عقيب وعده — الثبات في الشقاق قدومه ماردين — نصبه بطريركاً — حبسه — تغريمه بيعه امتعة الكنائس لتأدية الغرامة هربه الى البشيرية — عودته — اكراه الكاثليكيين على الصلوة مع شعبه

٢١١ اما المطران جرجس ابن السيار فانه لما خاب امله من البطريرك متى الدخيل غادر ماردين واخذ ينتقل من حلب الى دمشق. فصادف في راشيا شاباً يصلح للمسالك الاقليريسي اسمه يعقوب الحلياني من آل الحاج فرسمه شماساً وعمره زهاء الخمس والعشرين سنة. واستصحبه الى دمشق حيث رسمه راهباً وكاهناً وابقاه نائباً عنه وسافر الى حلب. وكان السيد ميخائيل ضاهر راعياً للشعب السرياني فيها وطفق يسرح مع الغنم ويأكل مع الذيب اعني تارةً يجهر باليعقوبية وطوراً بالكثلكة دون ان يشترك مع الشعب في الصلوة والقداس.

بل كان يقدس ويقضي الطقوس البيعية في بيت اهله حتى انه قضى فيه رتبة السجدة ودفنة الصليب يوم جمعة الآلام ورتبة السلام في صباح عيد القيامة · ثم طفق يحتج على السيد ميخائيل ضاهر بشان مسائل شمع وبخور وغير ذلك لبيعته البيتية · ويتوعده هو وانصاره خاصةً ابن عمه ويقولون له انه اذا لم يطعهم يعودون الى اليعقوبية ويستولون على الكنيسة · ثم انجز مرامه على انه اختلى باولي الامر ووعدهم بمكاسب اذا سلموه الكنيسة واسند مدّعاه الى الفرمان الذي تسلمه من الدخيل : حتى تمكن من الاستيلاء على الكنيسة ودخلها هو وشرذمة انصاره المار ذكرهم · لكنهم لم يتمتعوا بها طويلاً لان الكاثليكيين اغتاظوا من هذا المحتال واطلعوا الحكام على دسائسه وتزويراته وصرفوا كثيراً من المال فردوها اليهم · ولما تمادى ابن السيار في فتنه نفر منه الكاثليكيون واستنجدوا احمد اغا الحمصي احد اعيان البلد · فاستدعاه اليه وتهدده بالحبس والنفي اذا لم يهدأ من فتنه · فهابه وسكن لكنه رفع الى السيد يوليوس انطون شكايةً على السيد ميخائيل ضاهر في جملتها انه يكاتب البطريرك بهنام · فاجابه مبطلاً حججه وموبخاً له · ومع ذلك لبث ابن السيا مصراً على شره مخاتلاً الروساء الكاثليكيين وعينه على بطريركية الزعفران حالما يموت متى الدخيل او بهنام خلفه · فتضايق السيد ميخائيل ضاهر وافضى الملل به الى ان قدّم استعفاءه من سياسة ابرشية حلب فتعين عوضه السيد ميخائيل هداية فقدم حلب سنة ١٨١٨ ودعي ديونوسيوس

وفي خلال ذلك بينما كان البطريرك بهنام يتنقل في ما بين ماردين وديار بكر وضواحيهما ويجتذب الناس الى اقتبال الايمان الكاثليكي ويكسب كثيرين اذ

البوسطة : فاذا ماتوا تحت العصي : تخسر كل هذه الفوائد » (١) فلما سمع هذا الكلام امر بالكف عن ضربهم وخلى سبيلهم · وبعد رجوعهم الى قريتهم دهمتهم مصيبة اخرى تحققوا منها ان كل ما نابهم الى تلك الساعة كان مأجوراً عند الله · وذلك ان شاباً من قريتهم جميل الصورة يقال له الشماس اسحق ابن الشماس متى عطاالله بينما كان يشتغل في عقاره بعيداً عن القرية انقض عليه بعض المسلمين يريدون امراً منكراً · فامتنع فشهدوا عليه بالكفر زوراً فسيق الى الموصل وشُنق عند باب المدينة في ٢١ حزيران سنة ١٨١٥ (٢)

ولما نقه الاسقف بشارة من مرضه قام جدال بين اقليرسه في لفظة عدن التي يرد ذكرها في صلاة الفرض · وكان قسوس قرقوش مع نفر من الموصليين يذهبون الى انها تشير الى المنازل التي يزعم اليعاقبة جهلاً ان ارواح الموتى تجتمع فيها منتظرةً يوم الدينونة العامة فينبغي حذفها او تبديلها · وذهب غيرهم الى ان السريان القدماء وغريغوريوس ابن العبري في جملتهم قصدوا بها محل ارواح الابرار المتبقية عليهم قصاصات زمنية يتطهرون فيها قبل دخولهم الجنة فهي بمثابة المحل المعروف في البيعة الكاثليكية بالمطهر : فينبغي ابقاؤها · وطال الجدال مدة سنتين الى ان نظم الخوري ميخائيل يوحنا لائحةً لاهوتيةً ايد بها الرأي الثاني ودان ان تبقى لفظة عدن دون تبديل · وعرض مقالته عَلَى الاسقف بشارة

---

١ ان حاكم شهرزور اي كركوك كان ياخذ عشر حاصلات قرقوش سنوياً · ومنذ انتصار الحاج حسين باشا الجليلي عَلَى طهماز ملك فارس : اعطى ذلك لاسرة عبد الجليل · وكانت ادارة البريد تستخدم اناس قرقوش ودوابهم وتنزل في بيوتهم

٢ عن كتابة منقوشة على رخامةٍ عَلَى قبره في بيعة الطاهرة بقرقوش

فاستحسنها وايدها بمنشور تاريخه ١٧ حزيران سنة ١٨١٧

هذا ولما كان السريان المنفصلون يعيرون الكاثليكيين بتعليم المجمع الخلقيدوني وطومس لاون الحبر الروماني كانه لا يفرق عن تعليم نسطور · الف الخوري ميخائيل في تلك السنة ايضاً مقالةً مآلها ارشاد لكهنة الموصل وقرقوش وتفنيد لاقاويل معيريهم وعرضه على السيد بشارة في ٢٩ آب فايده ايضاً وشرح فيها تعليم القديس لاون والمجمع الرابع اي ان اقنوم المسيح واحد الهي بخلاف بدعة نسطور وان في المسيح طبيعتين بخلاف بدعة اوطيخا ومن قال مقالته · وبين ان اليعاقبة بزعمهم طبعاً من طبعين في المسيح عياذاً من تعليم الكاثليكيين : واقنوماً من اقنومين عياذاً من بدعة نسطور: تورطوا باثنينية اقنوم المسيح كالنساطرة · لانهم (اليعاقبة) اذا ارادوا بيان زعمهم هذا بامتزاج الطبعين والاقنومين وافقوا بدعة اوطيخا المحرومة عندهم لهذا السبب · واذا اقروا في بيان ذلك بعدم الامتزاج كما هو الحق اضطروا الى الاقرار بالاقنومين كالنساطرة وبالطبيعتين كالكاثليكيين واثباتاً لذلك اورد اقوالاً من كتب الطقس ومن الملافنة · فبهذه المقالة ابان الخوري المذكور سعة ذكائه وان الكنيسة الكاثليكية تنشط اولادها في العلوم بخلاف المنفصلين عنها

ابشر وحمله رسالة الى الشعب والى الخواجات شيحا خاصة يوصيهم بالربان المذكو

وكانت ابرشية ماردين وديار بكر الى هذا الزمان بلاراعٍ خصوصي يسوسه

فانتخب البطريرك الجديد الخوري اغناطيوس هدايه الحلبي لهذه الوظيفة · وكان

اسم هذا الشاب اولاً فرنسيس واقتبل رسامة الدرجات الصغار سنة ١٨١٠ بيد

السيد ميخائيل ضاهر · واقامه البطريرك سمعان شماساً فكاهناً باسم اغناطيوس في

شهر تموز سنة ١٨١٥ ثم خورياً سنة ١٨١٦ فلما الفاه البطريرك جديراً بسياسة

الشعب استدعاه الى دير الكرمي · وكان السيد يوليوس انطون قد انتقل الى

دير الشرفة بعد بقائه في دير مار افرام سنة ونصفاً · فبحضور هذا السيد والمطران

جبرائيل الارمني رسمه مطراناً لابرشية ماردين وديار بكر وتوابعهما وذلك في ٢٣

تموز سنة ١٨١٦ ودعاه باسيليوس ميخائيل وارسله اليها

الفصل الثاني

٢١٠ نجاح الاسقف بشارة — رساماته — مرضه — فتنة عزو شكايته على
اهالي القرقوشيين — اخذ ١٥٠ منهم الى الحاكم — القضاء — العفو —
شهيد قرقوشي — جدال بالموصل — مقالتان

٢١٠ وفي خلال هذه الامور كانت ابرشية الموصل في راحة حتى سا

للاسقف بشارة ان يتردد الى محلات ابرشيته مطمئناً ورسم في قرقوش جم

شمامسة وستة كهنة وهم دانيال ابن الشماس خوشو • وكوركيس بن حوتو • واقليمس بن كاچو • وايليا ابن القس متي • وانطون بن متي عطاالله • ويوحنابن يلدا • ورسم في الموصل القس بهنام بن متي حاويه • ثم وقع مريضاً وادنف • فانتهز اليعاقبة تلك الفرصة ليؤذوا شعبه وحركوا فتنةً كبيرة حملت الحكومة على حبس عشرين من وجوه الشعب مع الخوري ميخائيل يوحانا • فكبلوا بالحديد لكي يحصل منهم مال اكثر • ولما اتى عليهم خمسة وعشرون يوماً غرّم الحاكم الوجوه خمسين كيساً والخوري ميخائيل وحده خمسة اكياس • ولما كان الاضداد يبغضون هذا الخوري اكثر ويقصدون اذلاله بلغوا الحاكم انه يجمع ما غُرّم به من الشعب • فنهاه عن تحصيلها من احد وامره ان يؤدي الغرامة كلها من ماله • وادى الوجوه غرامتهم بالتمام لكنهم (كما كتبوا الى البطريرك) افتقروا وتضايقوا جداً

ثم لما كان الاسقف عزو يريد الانتقام من القرقوشيين خاصةً رفع شكواه عليهم الى الحاكم فانفذ جنده فجمعوا منهم مائة وخمسين رجلاً حتى ضاق بهم فناء السراي وكان الحاكم جالساً على كرسي فامر ان يُضرب كل منهم مائة وخمسين عصاً وفيما كان الجند يضربونهم اذا بسلطان اغا شحنة قرقوش اعني وكيل آل عبد الجليل قد جاء وقال للحاكم باعلى صوته بلهجة الموصل: «اضرب سلاب بلا اصحاب» ترى كيف خدعك الاسقف عزو: اليس هولاء رعيتك واولادك: تجمع منهم عشر الغلات كل سنة وبهم وبدوابهم ادارة البريد وعندهم منزلخانة

الباب التاسع

في احوال الطائفة في ايام البطريرك سمعان زورا

الفصل الاول

٢٠٩ نصب المطران سمعان زورا بطريركاً سنة ١٨١٤ — استياء السيد ميخائيل ضاهر
مدافعة السيد بطرس جروة عن البطريرك — اذعان السيد ميخائيل وخضوعه
منشور البطريرك الى الموصل — اعتزال السيد يوليوس — كتاب
البطريرك الي الموصل — اقامة السيد بطرس جروة نائباً
ووكيلاً عَلَى دير الكرسي — عودة الربان توما
من بغداد — ارساله الى دمشق — انتخاب
ميخائيل هداية مطراناً لديار بكر
وماردين

٢٠٩ كان الكرسي البطريركي الذي في دير الشرفة قد بقي نحو اربع سنوات فارغاً ثم اتفق الاساقفة ما عدا السيد ميخائيل ضاهر عَلَى انتخاب المطران غريغوريوس سمعان زورا الموصلي مطران دمشق المار ذكره فانتدبوه في ٢ كانون الثاني سنة ١٨١٤ الى الدير واقاموه بطريركاً انطاكياً بعدان قرّر صورة الايمان الكاثليكي التي فرضها البابا اوربانس عَلَى الشرقيين وذلك بحضور غريغوريوس بطريرك الارمن والبعض من مطارنة السريان الموارنة · وفي الغد انفذ حسب العادة منشوراً الى ابرشيات الطائفة يطلعهم على انتخابه وارتقائه · فلما بلغ

ذلك المنشور الى حلب انكره السيد ميخائيل ضاهر ومنع قراءته في البيعة ومنع ايضاً ذكر اسم البطريرك في الصلوة والقداس وأصرّ عَلَى رأيه حتى منع ايضاً ارسال المدخول السنوي المعين من حلب لدير الشرفة وكان الف غرش بل سعى ايضاً بمنع ما يأتي من الاسكندرية ومصر وهو مبلغ الفي غرش فتوقفت بذلك بناية الدير · وكان المطران بطرس جروه يومئذٍ في دمشق فاستاء من هذا العمل وباتفاق رفاقه الاساقفة كتب الى السيد لويس غندلفي القاصد الرسولي يحثه عَلَى مساعدة البطريرك الجديد وعَلَى معاتبة المعارض فتوسط واقنعه حتى خضع وادّى حقوق الكرامة للبطريرك الجديد · وكان هذا البطريرك قد شفع منشوره المرسل الى الموصل برسالةٍ بخصوص النزاع الواقع هناك قال فيها : «لقد شق علينا جداً الكدر الذي احدثه عدو الخير بينكم فياليت لي اجنحة اطير بها اليكم · فاحضر الشخصين الجليلين امام القربان المقدس واناشدهما ان يدبرا سريعاً ما بينهما من الفتور وذلك ليتمجد الله تعالى وتمنع الشرور عن الشعب» غير انه بينما كانت رسالته في الطريق وافته بشائر الصلح المرغوب وان الخلف استحال الى مودة اشد من السابق فسر وتعزى

اما المطران يوليوس انطون النائب فبعد ان نصب البطريرك الجديد اعتزل في دير مار افرام ابتغاء الراحة من بعد اتعابه وتولى ادارته· ولما رأى البطريرك سمعان ان قد بقي وحده وليس من يقوم بوكالة دير السيدة استدعى المطران بطرس جروة من دمشق وولاّه هتين الوظيفتين بموجب وثيقةٍ تاريخها ٥ كانون الاول سنة ١٨١٤ ثم اقبل الربان توما مارداني من بغداد فاقامه البطريرك مدبراً لابرشية دمشق بمنشور مسطر في ٢٨ نيسان سنة ١٨١٥ ومطلعه: الويل لي إِلَم

النيقاوي ··· والمجمع القسطنطيني الاول وهو الثاني بالترتيب ··· والمجمع الافسسي وهو الثالث بالترتيب ··· والمجمع الخلقيدوني وهو الرابع بالترتيب · واعتقد بما حُكم فيه علَى اوطيخا وديوسقورس المحروم ذكرهما · وان ابن الله الواحد سيدنا يسوع المسيح هو هو كامل باللاهوت · وهو بعينه مساوٍ لنا حسب الناسوت ومشابه لنا بالكل ما خلا الخطية ··· ولازم ان يُعرف في طبيعتين بغير تخليط ومن دون تغيير وغير انقسام وغير تفصيل وبغير زوال فرق الطبيعتين لاجل الاتحاد ··· وايضاً في رسالة القديس مار لاون البابا الروماني الذي نادى به جماعة الآباء في ذلك المجمع : ان مار بطرس تكلم بفمه « بفم لاون » فحرمت بذلك التحديد بدعة الذين يزيدون علَى الثلاث التقديسات : قدوس الله · قدوس القوي · قدوس الذي لا يموت ارحمنا · وكانوا يزيدون « قولهم » الذي صُلبت لاجلنا زاعمين ان الثلاثة الاقانيم ممكنة ان تتألم وتموت · والمجمع القسطنطيني الثاني وهو الخامس بالترتيب الذي تكررت فيه قضية المجمع الخلقيدوني · وايضاً القسطنطيني الثالث وهو السادس بالترتيب · واعتقد بما حُكم فيه على ···الذين يقولون ان في المسيح مشية واحدة · واعترف ان في سيدنا يسوع المسيح مشيئتان وفعلان بلا انقسام · وان المشية الانسانية ليست مخالفة لارادته الالهية القادرة علَى الكل بل مطيعة لها ···اكرم ايضاً واقبل المجامع العامة الاخر التي اجتمعت باذن البابا الروماني علَى موجب القوانين وتأيدت بسلطانه

ثم اني احلف واعاهد بالطاعة للبابا الروماني خليفة بطرس الطوباوي زعيم الرسل ونائب سيدنا يسوع المسيح · هذا هو ايمان الكنيسة المقدسة الكاثليكية التي خارجاً عنها لا يمكن الخلاص · وانا بارادتي اعتقد به ··· الى آخر حياتي ··

واجتهد بقدر وسعي ان تتمسك به كل رعيتي والذين تحت تدبيري ويكرزوا به : هكذا اعد واندر واحلف . هكذا الله يعينني وهذه الاناجيل المقدسة

تحريراً في سنة ١٨١٥ مسيحية المقر بما فيه

متيّوس بطريرك السريان الانطاكي

مكان الختم (١)

صورة الختم طو وبه هذه الكلمات

ربّ سهل امور مار اغناطيوس بطريرك السريان الانطاكي في ديار بكر واورفه وحلب وشام وموصل وماردين ودير الزعفران

فلما كتبت هذه الوثيقة تناولها البطريرك بهنام وشرع يجول بها في ماردين وديار بكر وما حولها وفي قرى البشيرية وشيروان ويجهر الايمان المقدس للشعب باسم البطريرك متى . وكل من ارتاب في ذلك اظهر له الوثيقة وختم البطريرك متى فصدق مستغرباً

—◦◦◦◦—

١ الاصل في دار البطريركية بماردين

واجتاز بماردين كاهنان من ابرشية الموصل وهما القس يوسف بن متى فرعاي من قرية برطلي والقس بطرس الفرقوشي · وكانا قاصدين زيارة اورشليم · فاوصلا هذه الاخبار الى دير الشرفة مع رسالة بذلك المعنى انفذها ابراهيم بن خليل رومي · واذ ذاك عاد البطريرك بهنام الى ماردين فعزى المضطهدين وشجعهم ورافقه نفر منهم الى الدخيل فجاملوه مستظلمين حتى قالوا له الى متى يا ابانا يقاوم بعضنا بعضاً والكلدان والارمن يعيرونا قائلين ان السريان في ضلال مبين · السنا شعباً واحداً فنناشدك الله حيث انك معلم الناموس وتعرف الحق ان تبين لنا افكارك · فقال اني اعتقد معكم ان ايمان الكرسي الروماني حق · قالوا اعطنا اذاً معتقدك مكتوباً فاجابهم اني خائف من شراسة الذين يقاومونكم لئلا يزعجوني اذا سلمتكم ما تطلبون · فقال له البطريرك بهنام : ان هولاء محقون في طلبهم فأعطهم صورة اعتقادك · وانا اجد في اقناع المضادين · قال متى : امهلوني اياماً وانا ارضيكم : فقبلوا يده وانصرفوا · وبعد انصرافهم قرأ البطريرك بهنام صورة الايمان التي كان قررها بين يدي مطران الكلدان · وكانت على نسق صورة الايمان التي فرضها البابا اوربانس الثامن على الشرقيين فاستحسنها وامر كاتبه ان يرقم وثيقة على نسقها · واليك ملخصها مع حفظ الفاظها

بسم الاب والابن وروح القدس الاله الواحد امين

اعلم ايها الشعب المستفهم ارشدنا الله واياكم : والمطلع على هذا شرح الايمان البطرسي الكاثليكي المعلن من الله الى بطرس هامة الرسل : المودع الى خلفائه الاحبار الرومانيين القائمين على الكرسي الرسولي الروماني · ان سبب تدوين شهادتي هاهنا انا الحقير في روساء الكهنة هو ان كل من هو خارج عن هذه

البيعة المقدسة الرومانية لا خلاص له البتة · ثم اعلم انني في مدة اوقاتي التي قضيتها في البطريركية كنت اترقب فرصة لاشهر الايمان القويم فلم اجدها الى كمال شيخوختي والسبب هو شدة القنوط من السجس والبلابل المتراكمة من كل جانب · وخاصةً الاضطهادات والجدالات الصادرة بين طائفتنا والطوائف الاخر الذين ينسبون الى طائفتنا السريانية الضلالة والخلاف الى ان انتبهنا على ضلالة هذا الشعب وابتعادهم من الخلاص · فسالنا الله ابا الانوار ان ييسر سبيلاً للوصول الى مينا الخلاص ويبطل الموانع ويمكننا من إشهار هذا الايمان المقدس

فلما حركتني النعمة الالهية حصلت الواسطة الملائمة وهي وجود ولدنا المطران بهنام المقام منا وبامرنا ومساعينا بطريركاً على هذه الطائفة السريانية المغشوشة فلما الفيناه مستعداً للسعي في نشر هذا الايمان المقدس فرحنا وسلمناه هذه الوثيقة عسى ان تنهدم بواسطته الحصون المنيعة · فليكن اذاً معلوماً لدى كل احد ان كل ما اوضحناه فيها من تبيان الخلاص لم يكن قسراً او جبراً من احد بل تبرئةً لذمتنا وصيانةً للايمان القاثليقي المثلوب منا ظلماً · وخشيةً من احكام الله الرهيبة قاصدين بذلك خلاص الخراف المودعة لنا من الهلاك الابدي · ولهذا نامر امراً قاطعاً بالحرم على كل من ينتصب مقاوماً لشرحنا واقرارنا · وكفى هذا لكل من يرغب في الخلاص · فنبتدئ باسم الله ونقول :

صورة الايمان

انا اؤمن ايماناً ثابتاً ٠٠٠ بكل ما يتضمن في قانون الايمان الذي تستعمله الكنيسة المقدسة الرومانية ٠٠٠ اكرم واقبل المجامع العامة · اعني المجمع الاول

في بغداد : فاستاء المطران الياس من ذلك وحمل شعبه عَلَى ان يترافعوا الى الحاكم:
ان ميخائيل قسيس الفرنج استجد له معبداً في بيت فلان بدون رخصة ولا
فرمان سلطاني · ومع ذلك فيتصرف في هذا النهار في كنيستنا · ولتصديق
ذلك طلب جنوداً يفاجئونه · فانفذ الحاكم جنده فأخرجوا الخوري ميخائيل
من البيعة واخذوه الى السراي بالضرب والشتم حتى علت اصوات هياج الرجال
وولولة النساء · فزُج في السجن وفي الغد اسيء يوم سبت النور فحص الجنود
الغرفة المذكورة واخرجوا منها البدلة والكاس والصينية واخذوها الى الحاكم ·
فلما وقع نظره عليها : سألهم عن استعمالها فاجابه الخصوم ان الكاس لسقي المرضى
ماءً مباركاً والصينية لجمع الصدقات ايام العيد · وضُرب الخوري ستمائة عصاً
وبعد حبسه بسبعة عشر يوماً غرّمه الحاكم واحداً واربعين غرشاً وغرّم شعبه
اربعماية غرش · وعلى هذا خرج من سجنه وجرى مثل ذلك في خورنة مار توما

وكان الوالي في بغداد قد تحنن وعفا عن الاسقف بشاره واذن له بالعودة
الى الموصل · واتفق وصوله اليها يوم تسريح الخوري من سجنه ليجمع الغرامة :
وقد باع امتعة داره حتى افتقر · فنوى ان ينزل الى بغداد ليجمع له ما يعتاش
به · وفي ساعة نزوله الى الكلك كان الاسقف واصلاً مع القفل · فلما التقى
الاثنان ببعضهما تصافحا بالغم والدموع

وحلّ الخوري ببغداد ضيفاً عند قسيس ارمني تلميذ بزمار اسمه دير اسهاك ·
وتتمة للمحنة نُعي اليه شقيقه وولده · وبعد مضي اشهر رجع الخوري ميخائيل
الى الموصل والكدر بينه وبين الاسقف · وكان السيد يوليوس النائب من بعد
توبيخه هذا الخوري على تكديره الاسقف قد وسط البادري لئوبلدو القاصد

الرسولي للصلح · فاستعد الخوري لتأديته في فرصة مناسبة

ووقتئذٍ احتشدت الجماعة مع الاسقف بشارة واقليرسه في بيت قندلا من اجل تعزية تلك العائلة كعادة الموصليين على عزيز لهم اختطفته المنية فمن بغتة دخل الخوري المذكور الى هناك وكشف راسه قدام المحفل وجثا امام الاسقف بشارة ورتل بصوت مخشع بيتاً من صلاة الفرض موجهاً الى السيد المسيح اليك تعريبه « انظر ياسيد الى ضعفي لاني اخطأت كثيراً · ولا اعرف الى من التجيء · عرضت نفسي على كثير من الاطباء فلم يقووا على شفائي · وبقي جرحي مثخناً لا ضماد له · وانا بلغني ايها الطبيب الصالح ان لك ادوية كثيرة : وكل من يدنو منك ينال الشفا · فبحق الآب والدك وبصلاة مريم والدتك اغفر ذنوبي » فلم يكن يفرغ من كلامه الا وترامى على قدمي الاسقف وسلمه المنشور الذي كان مستنداً عليه · فنهض الاسقف على قدميه وعيناه مغرورقتان بالدموع واحتضن المستغفر · فكان مثال الاثنين للحاضرين موعظة شديدة التأثير فبكوا متخشعين ومسرورين

٢٠٨ واصاب الكاثليكيين بماردين سنة ١٨١٤ ما اصاب الموصليين لان مطارنة الزعفران غصبوهم على الشركة في معتقدهم ومنعوهم من التردد على كنائس الكاثليكيين الارمن والكلدان وذلك بقوة الفرامين التي بيدهم وبارشاء الحكام · ولما لم يسمعوا لهم عذبوهم بالحبوس والجلد وغرموهم الاموال فاحتملوا ذلك بصبر وثبات عجيب الى ان عوض الله لهم عنها بالانتصار والفوز بالحرية بقوة اوامر من والي بغداد وبواسطتها على ما كتبوا اضمحلت دسائس الخصوم كالدخان وكنسيج العنكبوت

تعالى · تحريراً في ١٥ شباط سنة ١٨١٣

الحقير في رؤساء الكهنة
المطران يوليوس عبد الاحد
البنابيلى
« مكان الختم »

الحقير في رؤساء الكهنة
جرجس مطران دمشق
وما يليها
« مكان الختم »

الفقير
القس اليـاس
خوري
« مكان الختم »

الحقير في رؤساء الكهنة
المطران الياس خادم
كرسي اورشليم
« مكان الختم »

غير انه لما كانت غاية المطران جرجس سيار الاستيلاء على البطركية اكثر من التمسك بالحق كما ظهر من تقلبه الآتي شرحه · فبعد ان لبث على هذا مدة اشهر ورأى ان عمر الدخيل يطول ايضاً · غادر ماردين وانتقل الى حلب فدمشق

الفصل الرابع

٢٠٧ وفاة كاهنين جليلين في الموصل — فتنة ايام الفصح — حبس الخوري ميخائيل يوحانا
اخذ ادوات قداسه الى الحاكم — تغريمه — عفو الوالي عن السيد بشارة —
عودته — التقاؤه يوم قدومه بالخوري ميخائيل وهو نازل الى بغداد
لجمع ما يسد معيشته — عودته — مصالحته السيد بشارة
٢٠٨ اضطهاد بماردين — نقل خبر الاضطهاد برسائل
وباخبار كاهني اثور — مناشدة المضطهدين
والبطريرك بهنام الدخيل ان يقر بالكثلكة
تحريره صورة ايمان — جولان
البطريرك بهنام بوثيقة
ايمان الدخيل

٢٠٧ وفي سنة ١٨١٣ نفسها فقدت الطائفة في الموصل كاهنين فاضلين جليلين وهما القس نعمة الله صائغ المعروف بالتقوى والغيرة والحزم: والقس ابرهيم العقراوي الخطاط الشهير · وقبل انتهاء مأتمهما قدم من ماردين المطران الياس مزاوج الموصلي المعروف بعنكز : اذ كان الكاثليكيون يصلون ايام الاحد والعيد في الكنيسة بالمناوبة وفي بقية الايام يقدسون في بيوت الشعب · اما الخوري ميخائيل يوحانا فكان يقدس في غرفة صغيرة في دار الشماس خدّوري عبادة في محلة السحراء · وفي جمعة الالام كانت نوبة الصلوة في الكنيسة للكاثليكيين · وكان الخوري ميخائيل يوحانا يرأس الحفلة لوجود الاسقف بشارة

الطبيعة الغير المائتة والغير القابلة الالام سرت واتحدت بالجسد ذي الطبيعة المائتة قابلة الالام وصار منها مسيح واحد شخص واحد اذ لم تفترق الطبيعتان اللتان اشتركتا في وحدةٍ مع بعضهما في كل شيء من التدبير الذي لله الكلمة الذي تجسد ... بل الطبيعتان ثابتتان بوحدةٍ لا تضمحل ولا تفترق .... وكلٌّ من الطبيعتين ثابتة بذاتها بدون تغير البتة

كذا شهد ايضاً القديس مار افرام في ميمره في الايمان حيث قال: لو لم يكن انساناً كيف حمله شمعون الشيخ علَى ذراعيه. ولو لم يكن الهاً كيف طلب منه الانطلاق بالسلامة ولو لم يكن انساناً كيف نام في السفينة في وسط البحر. ولو لم يكن الهاً كيف انتهر امواج البحر فخضعت له. وقال مار يعقوب النصيبيني في كتاب الغفران: عجيب هو بكل سياسته: رهيب بلاهوته وناسوته. خرج من بطن البتول بحال يفوق الطبيعة بما انه آله. ولف بالقمط بما انه انسان. سبحته اجناد الملائكة بما انه اله. ونظره الرعاة في المغارة كانسان

ثالثاً «من القسم الثامن» ان البيعة الواحدة الوحيدة المقدسة الثابتة على الصخرة البطرسية قد تسلمت من السيد المسيح السبعة الاسرار. المعمودية والتثبيت اي الميرون المقدس والتوبة والقربان المقدس والمشحة الاخيرة والكهنوت والزيجة

رابعاً «من القسم الثامن ايضاً» اننا نحرم جميع الهراطقة اصحاب البدع الفاسدة ... والمنشقين من بيعة الله الجامعة الرسولية وهم اريوس ... ومقدونيوس ... ونسطور ... واوطيخا السيء الذكر الذي حرمه المجمع الخلقيدوني وكل من تبعه في اعتقاده المستقبح. وبالجملة نحرم كل من

تحرمه الكنيسة الجامعة الرسولية المقدسة · ونقبل كل ما تقبله هذه الكنيسة المحاربة

خامساً «من القسم العاشر» نقر ايضاً بوجود مكان ثالث لانفس المؤمنين المنتقلين على الايمان المستقيم اي سجن الانفس · · · وان الانفس المسجونة فيه يساعدن وينقين بالذبائح الالهية وبالصلوات والحسنات التي تقدم لاجلهن · وهذا المكان هو المسمى في الكنيسة الرومانية مطهراً وفي اليونانية يبوس وفي كنيستنا السريانية شيول كما في اكثر كتب المشاهير من معلمينا · · لان بلغتنا ثلاثة اسماء وهي ملكوتا وجيهانا وشيول شرحها الملكوت وجهنم وسجن الانفس · قال مار افرام : سمعت صوت الانفس التي في المخازن «يوحنا ١٤ : ١» اذ يعطين الطوبى بعضهن بعضاً ويقلن الطوبى للنفس التي لها في العالم اهل يقيمون لها كل يوم تذكاراً على المذبح فيرسم فوقاً في السماء (١)

سادساً «من القسم ١٤» نقر بوجوب الكرامة للاربعة البطاركة كما رسم المجمع القسطنطيني المقدس · وذكرهم ابن العبري قائلاً : يكون البطاركة اربعة على عدد اربعة افاق المسكونة ورئيسهم الاكبر صاحب الكرسي الروماني

سابعاً «من الراس ٢٢ من القسم ١٥» من قال ان التقديسات الثلاث توجه الى الاقانيم الثلاثة ومن ثم اضاف عليها عبارة يا من صلب من اجلنا فليكن محروماً

هذا هو ايماننا واعتقادنا الذي فيه نحن ثابتون الى منتهى حياتنا · وقد عاهدنا الله اننا نتمسك به ونجهر به ولهذا اعطينا صورته بخط يدنا وسجلناها بختومنا لمجد الله

---

١ يشير الى دفتر المراد تقديم ذبيحة القداس عنهم وفي طقسنا نسميه سفر الحيوة رؤيا ٢٠ : ١٥

ومنهم بالاقنوم ومنهم بالوجوه · فنزعت البغضة من قلبي فلا عدت ابحث مع احدٍ في مسائل الاعتقاد »

وبعد الفحص المدقق حررنا صورة ايمان بموجب اقرار آبائنا القديسين وبثينا نسخها في انحاء طائفتنا · والنسخة الواحدة واصلة اليكم لكي بعد الاطلاع عليها تحفظوها عندكم · واما نحن ففي اول شباط اعتزلنا عن البطريركين واقمنا في قلاية بيعة القديسة شموني وتبعنا اكثر الشعب فلم يبق معهما سوى نفر يسير »

الشهود بذلك

القس ايليا ساعور · الشماس ايليا دولباني جبرائيل نوري · يوسف المقدسي بشرو · الشماس عبد الاحد صباغ · حنا عبد الحي · ابراهيم هداية · ابرهيم شمور · حنا بوغوص · عبدالمسيح حقي · يوسف جده · ابرهيم كرمه حنا هرون · عبدالمسيح بن توما · ابراهيم بن خضر شاه · ميخائيل ابن الشماس ميرزه · عبدالمسيح توما حوا

وانفذ مثلها الى شعب دمشق في ١٣ ايار سنة ١٨١٣ الى كاثليك دمشق شكرالله شيحا واولاده واخوته عبد الله وفرنسيس ونيقولا وعميه المعلم شيحا ونعمه والمعلم انطون وديمتري وحنا وجرجس ورفول واليان وموسى يبشرهم انه اذعن لسابق نصحهم

٢٠٦ واما صورة الايمان التي رتبها ابن السيار فأليك نسختها بايجاز

بسم الاب والابن وروح القدس الاله الواحد آمين

نكتب صورة ايمان ابائنا القديسين اعمدة بيعتنا السريانية اليعقوبية

الشرقية مار يعقوب النصيبيني ومار افرام وما يعقوب المقبولين عند الجميع وايماننا نحن المدونة اسماؤنا بذيله

آمن ابرهيم بالله فحسب له ذلك برًّا من آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدان

نومن باله واحد آب ضابط الكل خالق السماء والارض كلما يُرى وما لا يُرى وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد ...

اولاً « من القسم الرابع » نقر ونعترف اعترافاً اكيداً حقيقياً اننا رأينا باعيننا ولمسنا بايدينا المسيح الواحد « يوحنا ١ : ١ » الذي ظهر من مريم البتول القائم من طبيعة اللاهوت وطبيعة الناسوت بواسطة الاتحاد العجيب الغير المنفصل ابداً من دون استحالة ولا اختلاط . فلا طبيعة اللاهوت استحالت الى طبيعة الناسوت ولا طبيعة الناسوت استحالت الى طبيعة بل انهما بقيتا ثابتتين باتحادٍ عجيب دون انفصال . ولهذا نومن ونعتقد بان السيد المسيح اله تام وانسان تام . شبيه بابيه من حيث اللاهوت وشبيه لنا من من حيث الناسوت . لانه اخذ كل مالنا ما عدا الخطية « عبر ٤ : ١٥ »

« من القسم الخامس » نقر ونعترف ان الكلمة المتجسد هو عمانوئيل الذي تنبأ عنه اشعيا اي الهنا معنا : ونما بالقد والقامة وسار معنا عَلَى الارض متردداً بين البشر واكل وشرب ... ومات عَلَى الصليب . وكان موته انفصال نفسه من جسده . ما لم يفارق لاهوته ناسوته ونفسه اصلاً ولا دقيقة واحدة

ثانياً «من القسم السادس» نومن ونعترف ان الجسد الذي اتحد به الله الكلمة لم ينزل من السماء ولا هو خيال او شبح بل جسد حقيقي ابن طبيعتنا .. وان

دسائسه اعاد ما كان قد دبّره بجلب اعني انه طفق يعذل مسلك البطريركين متى وبهنام. ويناضل عن المعتقد الكاثليكي ليس لاقتناعه بل ليجتذب الطائفة من يعقوبيين وكاثليكيين الى حزبه ويحملهم عَلَى ان يجتنبوا البطريركين مخادعين ويقبلوه هو بطريركاً. او يحمل الدخيل على ان يخافه فيجري مرامه. ولهذه الغاية الف في غرة شباط سنة ١٨١٣ صورة ايمان متقاربة في معناها ونسقها من الصورة التي فرضها البابا اربانس الثامن عَلَى المهتدين من الشرقيين بحيث ترضي الفريقين ونشرها بتاريخ ١٥ شباط. وانفذ رسالةً بهذا الصدد الى شعب الموصل في ١٥ نيسان بتوقيع اسماء وختوم الاساقفة: الياس هندوش مطران القدس. والياس كرمة التيبلي الموصليين. ويوليوس عبدالاحد البنابيلي التيبلي. وسبعة عشر من الوكلاء والوجوه (١) واليك صورة الرسالة بحروفها

٢٠٥ «من بعد اهداء السلام والبركة اليكم لا يخفى عنكم البلبلة الشاملة طائفتنا منذ ثلاثين سنة ونازلاً «اي منذ اهتداء المطران ميخائيل جروه» وخصوصاً منذ ارتسم البطريرك بهنام لما اتضح ان لكلٍ من بطريركينا امانتين «صورتي ايمان» يخفي احداها ويظهر أُخراها فيقول البعض ان البطريرك بهنام فقط قد قرر الايمان الروماني واعترف في بيعة الكلدان. وغيرهم: ان البطريرك متى ايضاً اعترف عند المطران اوغسطين في ديار بكر. فكثر العثار وانفسد يقين الشعب

فلما رأينا هذا الحال اوعزنا الى وجوه شعبنا بماردين ان يقولوا للبطريركين انه اذا كانا راضيين بالايمان الذي اعترفا به سرًّا ولا يجهران به خيفة منا فانهم

---

١ وجدنا رسالته بختومها كرشونية في عائلة الغار فوضعناها في القلاية بالموصل

يضمنون لهما اننا نرضاه لانهما رغوبنا عمارة الطائفة لا خرابها. اما هما فانكرا . لكن ظهر من وثيقةٍ بخط البطريرك بهنام وختمه تاريخها من العام الماضي ١٨١٢ قبل ذهابه الى البشيرية انهما يتعاملان بالمكر . فساقتنا الغيرة الابوية ان ندبر تدبيراً لائقاً يرضاه الله وباتفاق وجوه خورنات ماردين الثلاث عزمنا على استئصال الشقاق واختلينا مع الاباء المطارنة وفحصنا كتب الاباء ومعلمي بيعتنا مار يعقوب النصيبيني وغريغوريوس ابن العبري . فرأينا ان اسماء الاباء السبعة الملومين لم تكن مندرجة في شملاية الاباء عَلَى عهد المجامع المقدسة بل أُضيفت اليها بعد ذلك فالتزمنا ان نضع اوسطاثيوس مكان ديوسقورس . وثاوفيلس مكان طيمثاوس . وانطونيوس مكان انتيمس . ومار يعقوب النصيبيني مكان البردعي . ومار بطرس مكان ساويرا

ثم بينا ان الطاعة لمشورة الحبر الروماني واجبة . وذلك من ترتيب المجامع الثلاثة ومن كتاب الهداية في الباب السابع حيث يُقرأ ان : يكون البطاركة عَلَى عدد اربعة آفاق المسكونة ورأسهم الاكبر صاحب كرسي رومية . فلهذا ارتضينا بتقدمة الطاعة للحبر الروماني

ثم فحصنا كتاب الحمامة لغريغوريوس ابن العبري ايضاً فوجدنا انه يقول « لما بلغت من العمر سنة العشرين الزمني ألبطريرك الذي في زماني ان اقتبل رئاسة الكهنوت . والجأتني الضرورة ان ابحث زمانا مع الخوارج من الشعوب ومع المخالفين من طوائفنا حتى تحققت ان الخلق بين الطوائف المسيحية قائم بالعبارة لا بالجوهر . لان جميعهم يعترفون بأن سيدنا يسوع المسيح آله تام وانسان تام . انما يقول بعضهم ان الاتحاد « اتحاد لاهوت المسيح بناسوته » بالطبيعة

الفصل الثالث

٢٠٤ ملل ابن السيار — امله في ان يخلف الدخيل — انتقاله الى ديار بكر ١٨١٣ ملاحقته البطريرك بهنام — اطواره — توبيخه ثم حرمه البطريرك بهنام تظاهره بالكثلكة نكاية — تأليفه صورة ايمان ٢٠٥ صورة رسالته في ذلك الى الموصل ودمشق ٢٠٦ صورة ايمانه — عودته الى سوريه

٢٠٤ اما ما كان من المطران جرجس سيار الذي كما مر بك كان قد قرر الايمان الكاثليكي بحلب فانه لما لم يثق الحلبيون به ولم يكترثوا لاقراره اخذ يقدس في بيت اهله زماناً ثم انتقل الى دمشق ولم يغير من اليعقوبية شيئاً بل كان يحاول ولو من بعيد استلام زمام الرئاسة بعد موت الدخيل · فلما بلغه ان قد سبقه البطريرك بهنام في ذلك عول على الذهاب الى ديار بكر سنة ١٨١٣ وهو يظهر الاسف على خراب الطائفة والغيرة على اصلاح شؤونها ولكي يقف القارىء على حقيقة اطوار هذا الرجل انه لايهمه ان يكون المعتقد قويماً ام لا: نذكر ههنا ما رواه لنا شيخ من حلب نقلاً عن البطريرك انطون سمحيري عن هذا اليعقوبي قال دخل ابن السيار ذات يوم الى صلاة الرمش ليلة عيد برصوم على ابناء شيعته · وجلس على كرسيه بينما كان احد القسوس يتلو الحساية وينغم واصفاً قديسه قائلاً : هذا مار برصوم الذي قام بالصلوة اربعين سنة · هذا برصوم الطوباوي الذي صام اربعين سنة اذ لم يذق طعاماً ولم

يشرب ماء هذا مار برصوم الذي تردى بزرد الحديد مدة اربعين سنة الخ

فضجر المطران من تلك المبالغات وقطع القسيس بعبارات الاستهزاء بكاتب الحساية وبقاريها وسامعها ومصدقها وختمها بالسريانية قائلاً ماتفسيره فلنسأل الله غفران الذنوب الخ حسب الطقس

ومرضت والدته وادنفت · وكانت تصلي قبلاً عند الكاثليكيين فاستدعت ابنها وقالت له حيث انك مطران وتعرف اين هو الايمان القويم فأستحلفك الله والقربان الذي ترفعه كل يوم عَلَى يديك واناشدك بحق الحليب الذي رضعته مني ان تقول لي الحق : عَلَى اي اعتقاد اقضي حياتي واي كاهن يزودني بالاسرار أكاهنك ام قسيس كاثليكي · فقال يا اماه اعملي كما يدلك ضميرك فإن طريقة الكاثليكيين ليست بعاطلة · فقضت نحبها عَلَى الايمان الكاثليكي

اما ابن السيار فمنذ وصوله الى آمد واجه البطريرك بهنام ووبخه على انتمائه الى الكاثليكيين ثم قدم ماردين وعاتب الدخيل على تفضيله البطريرك بهنام عَلَى غيره · فلم يكترث لكلامه بل ذهب الى دير مار قرياقس بالبشيرية واتفق مع بعض الاساقفة عَلَى جرم البطريرك بهنام

واليك الخبر كما كتبه في رسالةٍ له ذكرها الخوري جبرائيل دولباني في مجموعته قال « لما بلغني هذا الخبر (خبر البطريرك بهنام) وانا بدمشق سافرت من ساعتي الى ديار بكر الى البطريرك بهنام ولما وجدته فرنجياً (كاثليكياً) رجعت الى دير الزعفران وعاتبتُ البطريرك متى · · · واجتمعنا انا واثنا عشر مطراناً في دير مار قرياقس وحكمنا عليه بالحرم وحرمناه » واذ لم يستفد ابن السيار من

وكان الاب المرسل من بعد رجوعه من السجن قد قصد احمد باشا كبير اسرة عبد الجليل صديقه واخبره بالامر فاشفق على الربان هندي وامر غلمانه ان يأخذوه الى بيته فاخذه راكباً فرس الباشا (١) فعني المرسل والكهنة بامره. ولكي يستريح ويرتشد اشاروا عليه ان يذهب الى دير الشرفة الى النائب البطريركي صديقه. ولما كان هذا النائب قد طلب بالحاجة ارسال شبان من الموصل جديرين بدرجة الكهنوت: اغتنم الكهنة الفرصة وانتخبوا لهذه الغاية الهوفدياقون ميخائيل ابن القس نعمه صائغ وكان مغرماً بمطالعة كتب العلوم الدينية ودراستها. وانتخبوا شاباً آخر من قرية برطلي فسافروا في شهر نيسان سنة ١٨١٢ عَلَى طريق بغداد فدمشق فكسروان واخذوا معهم الفاً ومائتي غرش اسعافاً لدير سيدة النجاة

وكان السيد يوليوس في حاجة اليهم والى امثالهم. فرحب بهم لاسيما لان اكثر السريان في ابرشية دمشق وراشيا كانوا قد انتموا الى الكنيسة الكاثليكية وتبعهم شعب النبك (٢) وذلك عَلَى ايام السيد ايونيس نعمه الذي تعين راعياً لتلك الابرشية منذ ست وعشرين سنة. فلما اضحى شيخاً عاجزاً كان يستعين بكاهن من النبك غيور اسمه القس ميخائيل بن توما محب الله. فكان هذا الكاهن يتردد من دمشق الى النبك يقوم بخدمة السريان المتكثلكين هناك من سنة ١٨١٠ الى سنة ١٨١٤ ولهذا فبعد وصول الشبان الموصليين بيومين

١ عن العريضة التي رفعها الاساقفة منتخبوا هذا الرجل الى المجمع المقدس — طالع سجل الشرفة الصغير ٢٧ كانون الثاني سنة ١٨١٤؛

٢ عن اوراق قديمة محفوظة في مكتبة القلاية بحلب

اقام النائب الربان هندي احدثم خورياً وجعل اسمه سمعان · وتوفي في تلك السنة المطران نعمة الله الصدي في ٢٣ ايار · فحضر جنازه اغناطيوس صروف بطريرك الروم الكاثليك وابنه واثنى عَلَى سلوكه وسلوك السيد ميخائيل جروة (١) ثم ان النايب رسم الهوفدياقون ميخايل صائغ شماساً دياقوناً في ٢ حزيران ثم كاهناً باسم يوحنا ثاني عيد العنصرة في ١٠ حزيران وفي اليوم نفسه رفع الخوري سمعان زورة الى درجة المطرانية عَلَى دمشق بموازرة السيد غريغوريوس بطرس جروة مطران اورشليم واثنين من اساقفة السريان الموارنة وارسله الى دمشق مقروناً بمنشور او وثيقة رسامته مستصحباً القس حنا صائغ فتلقاهما الشعب بمزيد الحبور (٢)

وكان القس يوحنا مولعاً بالعلم شديد الغيرة عَلَى خلاص النفوس فاقبل على الخدمة الروحيه بجدٍّ لايعرف الملل وكان يصرف اوقات راحته في دراسة كتب اللاهوت والخطابة وكان يعظ الشعب ويرشده بنشاط فريد حتى ان السريان والروم الكاثليكيين احبوا الحضور والاصغاء والاعتراف بين يديه واتى بثمار غزيرة في مدة يسيرة وفيما هو كذلك اوعز النائب اليه ان ينتقل الى النبك ويخدم النفوس فيها فاطاعهُ وفي اقصر مدة اجتذب اكثر اليعقوبيين ونفراً من الروم المشاقين الى الايمان القويم

---

١ عن ترجمة حياة البطريرك ميخائيل بقلم البطريرك بطرس جروة

٢ عن السجل الصغير بالشرفة

الكلام الا وتميز غضباً فاوعز الى الجنود فربطوا ايديهم وبدأ الربان متى نقار يحلق رؤوسهم ولحاهم(١) وكانت ثم امراة بيدها خف عتيق كلما حلق واحد لطمته على امراسه قائلة: فرنجي • هذا جزاء عنادك : والاسقف يشمت ضاحكا فلما بداوا بحلق القس افريم قال للاسقف اراك تكتفي بحلق راسي فلعمري لو نزلت الموسى على حلقي وذبحتني لما نبذت ديني • ومثله قال الاخرون واردفوا : ان كهنوتنا المهان يصرخ الى الله طالبا الانتقام منك • وقال القس افريم لرفقائه : واما انتم فافرحوا لانكم اهنتم من اجل اسم يسوع واذكروا المكتوب انه بشدائد كثيرة ينبغي ان ندخل الملكوت وهذه منها • وعند هذا ازداد غيظ عزو فقصد الحاكم واقنعه بان ينفيهم فارسلهم الى كركوك حيث اقاموا زمانا حتى تعطف عليهم فارجعهم الى عيالهم (٢)

٢٠٢ واما الاسقف بشارة والقس نعمة اللذان هربا الى قرية تل زقيفا فكانا يقضيان النهار بين التلال والمغاور بالتامل في آلام المسيح وتلاوة مايخطر على بالهم من المزامير وغيرها كأنهما في خلوة روحية ثم يبيتان في قرية لليزيدية اسمها دوغات • وكان يوسيفا ابن القلدجي وهو من اقارب الاسقف يفتقدهما ويوصل اليهما اخبار البلد : وخصوم الاسقف يحاولون مسكه غيلةً حتى انهم اجمعوا على ان يتظاهروا بالكف عن الاضطهاد ريثما يأتون به ويسلمونه الى الحاكم فخدع يوسيفا بتأمينهم واخبر الاسقف فعاد الى رعيته • واذ ذاك وافته كتب من دير الشرفة فيها حرضه النائب على الصبر والاتكال على العناية الربانية على

---

١ عن اخباره المطبوعة فرنساويا

٢ سمعنا ذلك من شيوخ القرية

انه لايموت الا اذا ما اتت ساعته (١) وكان خصومه يتآمرون كيف يباغتونه فشعر بذلك وهرب الى بغداد مؤملاً ان يجد في باب الولاية طريقاً لنجاته ولكن آماله حبطت لان الارمن المتوظفين هيجوا غضب الوالي عليه · فلما خاف عَلَى حياته وضجر كتب الى السيد يوليوس انه لولا خوفه عَلَى رعيته المحبوبة لهرب اليه سالكاً طريق القفر · وفيما هو يردد في فكره أيهرب ام لا اذا بكتاب من السيد الموما اليه يشجعه به ويعزيه حتى قال : ان الهرب من شأن الاجير الذي ليست الخراف له واما راعي الخراف الامين فيبذل نفسه عن الخراف

ولم يمر زمان حتى تعطف الوالي عَلَى كاثليك الموصل فردّ اليهم حقوقهم في الكنائس بالمناوبة كالسابق · لكنه غرم القسوس مبلغاً كبيراً ومنع الاسقف من الرجوع الى الموصل

وفي خلال هذه الامور لمح بعض الاضداد الربان هندي بن اسحق زوره في الموصل بعد اعتزاله في دير مار بهنام بسنتين · فلما تحققوا انه مصرّ عَلَى كثلكته رفعوا امره الى ديوان الحاكم سعد الله باشا واتهموه بشكاية جسيمة حملت هذا الحاكم عَلَى ان يامر باحضاره فانقض عليه الغفر وهو في بيت اهله وعقلوه واخذوه الى السراي وخصومه يذيعون ان : قد قضي عليه بالشنق فزج في السجن وهو في رمق يسير حتى انه لما شاهده البادري يوسف المرسل وكان طبيباً آيس من شفائه

فلما عاد هندي الى وعيه وبلغه ان الحاكم عازم عَلَى ان يقضي بشنقه فرح وقال : حيث ان هذه الشدة دهمتني فالان علمت اني ابن البيعة الرومانية المقدسة

١ الرسالة في الشرفة

وعشرون عاماً وذلك لكي يواصل سلسلة المطارنة في اسرتهم(١)

واتخذ يومئذ يعاقبـه الموصل الخصام الناشىء بين الكاثليكيين فرصة لازعاجهم وتشتيت شملهم . وابتدأت الفتنة من الاسقف المذكور والربان متى ابن اخيه . وذلك انه قصد قرقوش ومعه الربان متى اذ كان في تلك القرية عشر عيال يعقوبية فقط وكانت في خصام مع الكاثليكيين واحضر الاسقف عزو قسوسهم واكابرهم وشرع يعاتبهم بالشتم واللعن فخرجوا من عنده مغتاظين فلما اخذ بالرجوع الى الموصل تبعته نساء القرية ورمتـه بالاقذار . فاعرض عنهن في حينه وكظم غيظه . ولدى وصوله الى البلد اتفق وفاة احد الكاثليكيين فمنع الاسقف دفنه في فناء البيعة كالعادة . فحدث من ذلك شغب بين الجماعتين ورفع عزو شكواه الى الحاكم والى والي بغداد على خصومه واستنجد ارمن بغداد المشاقين : ومع الشكاية اجزل الصلات للحكام فما عتمت الاوامر ان صدرت من الحكومتين بمنع خصمه عن البيعة والدفن وبالقبض على الاسقف بشارة . وذاع الخبر للحال بان الاسقف عما قليل يشنق . فقلقت افكار الاسقف البار واحتار في امره . فدخل وقتئذ القس نعمة الله صائح عليه وقال له : ما بالك مختلج فزعان : اذكر ان سيدنا يسوع المسيح كان يتوارى عن اعدائه هاربا . فقال الاسقف : كيف اهرب والى اين . قال القس نعمة الله : اني اسير امامك فاعمل مثلي واتبعني . ثم احضر حزمتين من الخام وبات عنده تلك الليلة . وعند الفجر استيقظ وتزيا كل منهم بزي فعلة الرسامين «البصامين» وحمل حزمة

---

١ عن ترجمة حياة متى التي نشرها بالفرنساوية بعد اهتدائه

وخرجا من باب الجسر دون ان يدري احد بهما · فلما وصلا الى محل القصارة عند النهر الذي يقال له الخوصر تركا الخام عند الرسامين وذهبا الى قرية تل زقيفا ثم الى الكندات (١) التي موقعها قدام القرية المذكورة عَلَى طريق القوش واختفيا هناك

وعند الصباح اقبل جند الحاكم في طلب الاسقف · فلم يجدوه فقبضوا عَلَى قسوسه · وامر الحاكم بزجهم في السجن فطرحوا فيه وكان ذلك في شهر كانون الثاني سنة ١٨١٣ كما كتبوا الى سيادة النائب (٢) فمكثوا سبعة عشر يوماً · ثم غرموا مبلغاً كبيراً واطلقوا · لكن الاسقف عزو منعهم من توزيع الاسرار ودفن موتاهم في المقبرة: فكانت الجثة تبقى خمسة ايام بلا دفن فيصرفون مقداراً من الدراهم باسم رشوة او خرج ما عدا خدمة القواسين فتدفن (٣)

وكان الحاكم قد عرض شرطه عَلَى الاسقف عزو فانفذهم الى قرقوش ليأتوه بقسوسها مع بعض الاكابر فاتوه بهم: واليك اسماءهم: بهنام جبش · وبهنام بن هندي سكريا · وافريم بن عبد المسيح · ومتى اسحاق قاشا · واثنان آخران · فلما دخلوا عَلَى الاسقف وسلموا لم يردّ السلام عليهم بل بادرهم بالتوبيخ عَلَى اهانة النساء له وعَلَى امتناعهم من طاعته حتى قال: انه لا يصفح عنهم ان لم ينبذوا دين الفرنج ويطيعوه · فقالوا اننا لم نضمن احتقارهن لك بعد ان نكلت برجالهن · واما ايمان البيعة المقدسة: ففضلا عن اننا لا ننبذه فاننا مستعدون ان نفديه بدمائنا · وما كانوا يفوهون بهذا

١ سريانية معناها تل مرتفع والكندنات لفظة فارسية معناها العلالي

٢ الرسالة محفوظة في الشرفة

٣ عن رسالة القسوس الى النائب سنة ١٨١١ وهي في الشرفه

الرحمات فاقام الربان توما ثلاث سنوات ببغداد يتبحرّ في الامر ويسعى باستحصال الوسائط فلم يفلح فعدل عن ذلك السفر

وكان لطائفة السريان في طرابلس جماعة وكنيسة عَلَى اسم سيدة الحارة لها اوقاف من بستان وكرم زيتون · فكتب النائب الى العائلات السريانيــة هناك ان يعتنوا بتلك الاوقاف والفاضل مما يصرف عليها يرسلونه الى دير الشرفة فوعدوه بذلك بوثيقة تاريخها ٣ شباط سنة ١٨١٢ (١)

---

١ عُرف ذلك من السجل الصغير بالشرفة وان اسماء وجوههم الحاج يوسف بو رزق وعائلة نادر العاقوري · ويوسف بن فرنسيس وكيل الكنيسة · وحنا عربان · وعائلة بو الياس الطباع الموصلي

الفصل الثاني

٢٠١ خبر الاسقف عزو ومتى نقار في الموصل وقرقوش — احتقارهما لدى نساء قرقوش
مضايقة عزو الكاثليكيين بالموصل بمنعه دفن موتاهم — مؤامرته لازعاج السيد بشارة
هرب السيد بشاره الى الكندات — حبس قسوسه — بذلهم المال لاعادة حقهم
معاتبة عزو قسوس قرقوش وافحامهم اياه — حلقه لحاهم بيد الربان متى نقار
شجاعة القسوس ٢٠٢ دأب الاسقف في محل خفائه — كيد خصومه — عودته
تعزيته برسائل النائب — هربه الى بغداد — الخوف على حياته — عزمه على
الهرب الى كسروان — اعادة الوالي حق الكاثليكيين — حتم الوالي على
الاسقف بالبقاء في بغداد — تنكيل الاضداد بالربان هندي
اطلاقه بشفاعة زعيم المرسلين — ارساله الى الشرفة مع شابين
واسعاف ٢٠٣ عجز نعمة مطران دمشق — نشاط القس ميخائيل
بن محب الله في دمشق والنبك — خورنة الربان هندي باسم
سمعان — وفاة المطران نعمة — قسوسية ميخائيل
صائغ — واسقفية الخوري سمعان زورة
على دمشق — سفر الاثنين — نشاط القس
يوحنا في دمشق والنبك

٢٠١ وكان قد نشأ في اسرة النقار (او يك دست) المعروفة في الموصل باسم بيت المطران (لكثرة المطارنة الذين انتموا اليها وآخرهم عزو اسقف اليعاقبة) شاب اسمه متى وهو ابن شقيق هذا الاسقف بتثقيفه باللغة والالحان والطقوس السريانية منذ نعومة اظفاره حتى اقامه ربانًا اعني كاهنًا راهبًا · وعمره اربعة

ميخائيل راعياً شرعياً لها : لباثم النائب المذكور فايد رياسته بمنشور تاريخه ٧ حزيران من السنة نفسها (١)

وفي تلك الايام استنار من مطالعة الكتب بدير الزعفران كاهن يقال له الربان توما مارداني · فحمله حبه للايمان المقدس على الذهاب الى حلب فاعتنى بارشاده الخوري روفائيل مقدّم الكهنة بامر السيد يوليوس النائب حتى اقتبل الحل واقام في حلب زماناً حتى امره النائب بالعودة الى ديار بكر فسافر بكتابٍ من رئيس الكبوشية الى رئيس رهبانه بديار بكر ليرخصه ان يقيم القداس في معبدهم (٢) وبكتاب آخر من سيادة النائب الى السيد اوغسطين نائب بطريركية الكلدان مآله الشكر على اعتنائه باهتداء البطريرك بهنام · ولدى وصول الربان توما الى ماردين كان الاضداد قد ضايقوا الكاثليكيين بحيث انه لم يمكنه ان يظهر للناس فاقام اياماً قليلة لم يتجرأ فيها ان يقدس سوى ثلاث مرات فقط في مدة الليل دون ان يشعر به احد من المضطهدين (٣)

ولما كانت الاسعافات لبناء دير الشرفة قد توقف جمعها : اوفد النائب الربان توما الى انحاء الطائفة ليحث المومنين على بذل الاحسان لهذه الغاية وشفعه برسائل وبمنشور من لدنه تاريخه ١٨ كانون الثاني سنة ١٨١١ فيه سماه نائبه وفوض اليه سياسة الشعب السرياني في بغداد والبصره

ولدى وصول الربان توما الى الموصل كان السيد بشارة في القرى وقدرسم

---

١ عن الرسائل وعن السجل الصغير بالشرفة ٧ حزيران سنة ١٨١١

٢ عن رسالة النائب الى المرسلين في ديار بكر

٣ عن رسالة اغناطيوس الكرملي بماردين وهي محفوظة في الشرفة

قرقوش كاهنين وهما القس يوسف بن خدر كاجو والقس بهنام بن صومو سقط . فلما التقى الربان توما به لم يطلعه على الرسائل والمنشور ولا استاذنه في الذهاب الى بغداد ولذلك لما عمد على التوجه اليها منعه بقوة السلطان الاسقفي لكون بغداد تحت سلطته الروحية حسب اوامر البطريرك ميخائيل والمجمع المقدس . اوبالحري لانه كان ممتعضاً من سيادة النائب منذ ارساله المنشور الاخر الى الخوري ميخائيل يوحانا كما ذكرنا فكان علة للنفور والشكوك ولهذا قصد الاسقف بمنعه ان يفهم سيادة النائب ان لا حق له في التداخل بحقوقه الراعوية دون ان يطلعه على مقاصده . فلما وصلت المعاتبات الى الشرفة اقر النائب بغلطه واستعذر . وكتب الى الربان توما يوبخه على عمله وامره ان يسترضي السيد بشارة وينزل الى بغداد فسافر

وكان قد بلغ السيد يوليوس ان تجاراً سريانيين مستوطنين كلكتا وسورت وغيرها اصلهم من الموصل وديار بكر قد اضحوا اصحاب ثروة غزيرة : وان عدداً كبيراً من سكان ملبار وكوجين من السريان ينيف على ١١٩٠٠ عائلة لهم ست واربعون كنيسة ميالون الى الديانة الكاثليكية وكان المفريان شكر الله قد افتقدهم سنة ١٧٥٧ مع وفد من القسوس قصد ان يستردوهم الى اليعقوبية وعوائدها فلم يتهيأ لهم . ومن اخبار هذا الوفد انهم ارادوا ان يبدلوا في قانون الايمان عبارة « كما هو مكتوب » بعبارة اليعقوبيين « كما شاء » وارادوا انسدال ستر باب المذبح من بعد تركه زماناً فلم يوافقهم الملباريون فرجع الوفد خائباً . فكتب النائب الى الربان توما يعلمه بذلك ويرغبه في ان يقصد تلك البلاد لعله يكسب نفوساً واسعافاً لدير الشرفة كما كان يتوق الى ذلك البطريرك المثلث

﴿ الباب التاسع ﴾

في حالة الطائفة علَى عهد نيابة السيد يوليوس انطون القطربلي

الفصل الاول

٢٠٠ نيابة السيد يوليوس ثانيةً جبراً — اقامته القس بطرس جروه مطراناً لماردين وبقاؤه في دمشق — تأييد السيد ميخائيل ضاهر راعياً لحلب سنة ١٨١١ — اهتداء الربان توما الامدي — اقتباله الحل بحلب — عودته الى ديار بكر وماردين ايام الاضطهاد — الامر بذهابه الى بغداد بمنشور — رسامات السيد بشارة بقرقوش — منعه الربان توما من الذهاب الى بغداد — سبب ذلك اعتذار السيد يوليوس من منشوره وتوبيخه الربان توما — سفر هذا الى بغداد — خبر سريان مشمولين في الهند — رغبة في اكتساب اهل ملبار او حسناتهم لدير الشرفة خبر سريان طرابلس

٢٠٠ لما تنزل السيد ميخائيل ضاهر عن البطريركية اتفق الاساقفة بحضور القاصد الرسولي علَى ان يعود السيد يوليوس انطون الى وظيفة النائب كما كان سابقاً ريثما يقام بطريرك جديد. فلما عرف نيتهم هرب من الدير يريد الاستعفاء. وبما انه لم يوجد غيره ادرى بامور الطائفة ارسلوا في طلبه واحضروه وبينوا له اضطرارهم الى هذا التدبير. فاطاعهم وتقلد النيابة مرة ثانية. وابتدأ

بادارة البطريركية على قدر استطاعته(١) ولما كان المطران غريغوريوس يوسف قدسي قد توفي سنة ١٧٨٩ ولم يخلفه احد وكان القس بطرس جروة عالماً نشيطاً معروفاً بالتقوى والغيرة على صالح الطائفة: وقد رضي المجمع المقدس والكرسي الرسولي بانتخابه · لهذا أحضره النائب في كنيسة الشرفة يوم عيد الصليب ١٤ ايلول سنة ١٨١٠ واقامه مطراناً باسم غريغوريوس على كرسي اورشليم وذلك بمؤازرة السيد نعمة الله الصددي مطران دمشق · وغبطة السيد يوسف تيان بطريرك الموارنة · ومطرانه السيد يوسف الخازن راعي بعلبك · وتعين المطران الجديد لماردين لان الكاثليكيين كانوا قد كثروا فيها وحصلوا على الحرية (٢) غير ان المطران الجديد عدل عن ذهابه الى تلك المدينة خوفاً على نفسه وعلى الشعب لاسباب صوابية · فجعل اقامته في دمشق وكان يتردد الى اورشليم والى الشرفة الى سنة ١٨٢٠

وكتب النائب الى الابرشيات يعلم الروساء بما صار و يخبرهم بفتح مدرسة الشرفة ويحثهم على ان يرسلوا اليها طلبة لائقين للدعوة الاقليرسية (٣)

ولما كان السيد ميخائيل ضاهر مع وجوده بحلب غير معروف باسم راعٍ لتلك الابرشية سمي المطران يوليوس النائب الرسولي الخوري روفائيل وكيلاً عنه في ٢٧ كانون الثاني سنة ١٨١١ فلما تم اتفاق الرعية الحلبية على قبول السيد

١ عن رسائله في قلاية الموصل

٢ ارتسم شماساً بيد عمه في ١٢ شباط سنة ١٨٠٠ وكاهناً بيد البطريرك ضاهر في ١٢ حزيران سنة ١٨٠٢ كذا سجل الرسامات

٣ رسائله في قلاية الموصل

المنتخب الى المقام البطريركي سنة ١٨١٠ وهو في سن الاثنتين والعشرين (١)

فلما اضحى بهنام بطريركاً اظهر معتقده لراسمه والتمس منه ان يجهر به فاجابه الدخيل : اني معتقد مثلك لكنني خائف من غوائل الزمان ومن شعبي واساقفتي المعاندين جهلاً فلننتظر فرصة اخرى مناسبةً لهذا العمل . فلم يذعن البطريرك الشاب بل كتب الى السيد ميخائيل ضاهر واعلمه بما صار وانفذ اليه ضمن الرسالة صورة ايمانه بالكثلكة مع حجة وكالة عن نفسه لكي يخلصه من جرجس السيار مطران دمشق اذ كان يخاف من مكايده جداً . ثم اجهر بالكثلكة وتلى دستور ايمانه بحضور المطران اوغسطين واقتبل منه الحلّ (٢) فطفق اليعاقبة من ذلك الحين ينعتونه بالفرنجي

وكان ابن السيار في دمشق مترقباً خبر وفاة الدخيل لينقض على البطريركية فيختطفها ويستولي عَلَى دير الزعفران . فلما بلغه عنه انه في قيد الحيوة وقد عزم عَلَى اقامة خلفٍ له قدم حلب عساه ان يسبق غيره في نيل هذا المقام . ولكن ساء ظنه لانه لدى وصوله الى حلب سنة ١٨١٠ بلغه ان قد اقيم الربان بهنام الموصلي بطريركاً فتميز غيظاً على الدخيل واعلن بحضر الشعب والاقليرس انه كاثليكي . وكان وهو في دمشق قد غُلب ببراهين الكاثلكيين فاقرّ بالايمان الكاثليكي . ثم كرر اقراره في حلب ايضاً . غير ان الحلبيين اعتبروا كلامه مكراً ودسيسةً قد سبقه فيهـا غيره فلم يسمحوا له بالقداس في الكنيسة فاخذ يقدس في بيت اهله

وبينما كانت هذه الحوادث في حلب كان البطريرك ميخائيل ضاهر في دير

---

١ مجموعة دولباني

٢ رسالة السيد ميخائيل ضاهر في الشرفة

مار افرام بلبنان مصراً على رأيه · والكرسي الرسولي يكاتبه رأساً و يوسط الامير بشير حاكم الجبل و بطريرك الموارنة ليقنعاه بالاقامة في دير الكرسي بالشرفة فلم يرضَ بل ما زال يكتب الى مجمع بروبكندا طالباً الاستقالة بالحاجة الى ان وافاه الجواب بالقبول · ولساعته حضر الى دير حريصة في ٧ ايلول سنة ١٨١٠ وهناك بحضور السيد لويس كندلفي والاساقفة تنزل عن البطريركية وتوجه الى حلب قاصداً ان يتولى سياسة الابرشية · وفي تلك الاثناء كان البطريرك بهنام قد حج الى اورشليم ولدى اجتيازه بحلب التقى بالسيد ميخائيل ضاهر فرحب به وهنأه على اجهاره بالايمان الكاثليكي و بالطاعة الكرسي الروماني وحرضه على الثبات فيه الى الممات

واقتدى بمثل القس عبد الكريم راهب يقال له الربان هندي بن اسحق زوره. وكان قبل بضع اشهر قد التقى في دمشق بالسيد يوليوس انطون الامدي. فاحبه ونصحه ان يصير كاثليكياً فلم يفعل خوفاً من لوم اقاربه. فلما عاد الى الموصل وطنه سنة ١٨١٠ ووجد ان عبد الكريم ميرك قد اهتدى واقيم كاهناً تشجع بمثله: وبارشاد القس نعمة صائغ قرر صورة الايمان القويم بين يدي الاسقف بشارة ونال منه الحل. ولما بلغ اليعاقبة خبره: اغتاظوا منه وطفقوا يلاطفونه ويحاولون ارتداده الى مذهبهم فلم يذعن لهم. ولكي يتخلص منهم اعتزل في دير مار بهنام حيث تفرغ لعبادة الله والدرس. وبعد هذا انطلق الاسقف بشاره الى قرية قرقوش. ورسم فيها شمامسة للموصل من جملتهم الشماس ميخائيل ابن القس نعمة الله صائغ والشماس نعمان ابن المقدسي الياس فندقلي. وانما ذكرنا هذين الشخصين لشهرتهما

١٩٩ وفيما كانت حالة الكاثليكيين على ما ذكرنا كان البطريرك متى الدخيل في خصام مع اساقفته سنة ١٨٠٨ فنفر منهم وكتم اسراره عنهم الا المطران بهنام بن توما الموصلي فانه لصدق امانته وغيرته قربه اليه واطلعه على ما في خاطره وفوض اليه سياسة البطريركية وقال له: ترى ياولدي اني طعنت في السن ولست اميناً من هوءلاء لمحاولتهم قبل مماتي ان يختطفوا هذا الكرسي من بعدي ولهذا رايت ان اقيمك نائباً عني وساغتنم فرصة لاكرسك بطريركا شرعياً عوضي. وكان بهنام هذا ذا حذق وفهم وقد اخذ خمير الديانة الكاثليكية من المرسلين منذ وجوده في الموصل. وتضاعفت رغبته فيها بعد مطرانيته بسعي الكاثليكيين نخص منهم بالذكر يوسف بن يشوع جردو وميخائيل بن فتحو والخواجا

حنّا حكيم في ديار بكر. والخواجا يوسف شادي الارمني في ماردين . والسيد ميخائيل ضاهر اذ كان خوريًا (١) في حلب وبعد ان تنزل عن البطريركية ايضاً وذلك بالمكاتبة ثم بالمواجهة لدى اجتياز بهنام هذا بحلب وكان المطران المذكور يتردد الى كنائس الكاثليكيين خفية وبقي زماناً حتى تجرأ يوماً وفاتح بطريركه في هذا الصدد فاقرّ بصحة الايمان الكاثليكي لكنه اجابه اني اخشى من ان يجفوك هولاء الاساقفة اذا ما عرفوا مقصدك . فلم يكترث المطران الشاب بقوله بل قدم اعترافه سرًا الى السيد اوغسطين هندي الكلداني واقتبل منه الحل دون ان ينتمي الى البطريركية التي في دير الشرفة

ثم انتقل الدخيل الى ديار بكر برفقة نائبه المذكور فصادف فيها ططريًا «بريدًا» حاملاً رسائل آتيًا من العاصمة وكان كاثليكياً واسمه المقدسي عبد الاحد ابن الخوري اسحق : فاحضره عنده هو ورجلين من المحكمة واشهدهم بانه شيخ عاجز وبانه ليس بين مطارنته اجدر من المطران بهنام الحاضر لديه وذلك بالحذاقة وسياسة الطائفة السريانية واعلن انه يريد ان يسمى بطريركاً من بعده فكتب بذلك عرضمحضر ثم اعلاماً شرعياً في المحكمة بشهادة الثلاثة المذكورين وبتصديق القاضي وانفذ الوثيقتين الى الباب العالي وفي اقرب وقت صدرت الارادة الشهانية وتدونت البراءة البطريركية باسم المطران بهنام موذنة له ان يتولّى البطريركية وجميع معابدها واديرتها ولما وصلت الى ديار بكر سجلها الدخيل في المحكمة وكرّ راجعاً الى ماردين حيث رقى في بيعة الاربعين شهيداً

١ عن الرسائل المحفوظة في الشرفة

الفصل الثاني

١٩٨ رسامات الاسقف بشارة — فتن الموصل على ايام سعد الله باشا — مباغتة القس نعمة ابان قداسه — اتهامه بفتح كنيسة بدون رخصة :جوابه حبسه تغريمه —اهتداء عبد الكريم عبد النور ورسامته والربان هندي واعتزاله في دير مار بهنام رسامات في قرقوش ١٩٩ خصام الدخيل واساقفته — انتخابه اصدقهم الربان بهنام خلفاً — كثلكة بهنام سراً — استحصال براءة باسمه — رفعه الى البطريركيه ١٨١٠ — اعلانه بكثلكته للدخيل — تخوف الدخيل — استنجاده السيد ميخائيل ضاهر — نعته بالافرنجي محاولة ابن السيار — خطف البطريركية — خيبو بته اقراره في دمشق وحلب بالكثلكة مراغمة للدخيل — عدم ثقة الحلبيين باقراره قداس السيار في بيته — رجوع ضاهر الى حلب — ذهاب البطريرك بهنام للقدس — ترحيب السيد ضاهر به

١٩٨ وفي سنة ١٨٠٥ رسم الاسقف بشارة في قرية قرقوش عدة شمامسة ورسم في الموصل قسيساً وهو القس حنا بن شمعون الحائك وفي سنة ١٨٠٩ في زمان حاكم الموصل سعد الله باشا تجددت الفتن بين الجماعتين في خورنة مار توما. وذلك ان الاضداد طردوا الكاثليكين من البيعة فاضطروا الى ان يقضوا صلاتهم وقداسهم في الغرفة الصغيرة الملاصقة البيعة. وازداد نفر منهم

جراءة فباغتوهم ورفعوا عليهم شكاية الى الحاكم وقالوا: ان المسيحية استحدثوا لهم بيعة جديدة بدون فرمان سلطاني ولا رخصة من الحكومة · وكان القس نعمة الله صائح في ذلك الصباح يقدس القداس في تلك الرفة · وفيما هو كذلك دخل القواسون والقوا عليه القبض وشرعوا يعنفونه ويوسعونه شتما وضربا فما كاد يخلع بدلة القداس حتى اخذوه الى السراي مكتفاً · فلما مثل بين يدي الحاكم بادره منتهراً قائلا : من اجاز لك ان تفتح بيعة جديدة بدون امرنا ورخصتنا · فاجابه : ان المحل الذي صليت فيه غرفة ضيقة مهدومة لا جديدة وهي تابعة للبيعة كما شاهد القواسون وانما صليت فيها لان خصومنا منعونا من بيعة ابائنا اما اذا كان مرادهم منعنا الصلوة مطلقاً فهذا امر لا يقبله انصافكم ولا عدالتكم · وكان الحاكم قد اخذ هدية من الخصوم فامر بحبس القسيس الشيخ دون محاكمة · وبقي فيه تسعة ايام الى ان حضر الخواجا انطون فاره احد وجوه الشعب : فادى غرامة كما اراد الحاكم فخلى سبيله ورخص له ان يصلي هو وجماعته في الكنيسة داخلا بعد خروج اليعاقبة منها

واذ ذاك اهتدى شاب من وجوه شعب الموصل اسمه الشماس عبدالكريم بن حنا عبد النور من اسرة آل ميرك ومن قرابة القس زكريا المتوفى بحلب · وعزم الاسقف بشارة ان يقيمه كاهناً لخورنة مار توما · لكنه حذراً من معاداة الخصوم عوّل علَى رسامته في قرقوش ثم رأى ان يصطحبه الى بغداد فرسمه فيها كاهناً سنة ١٨١٠ ولما عاد القس عبد الكريم الى الموصل برفقة راسمه قال له بعض اقاربه لقد كان الاوفق ان تضع لك عمامة بيضاء وتصير مسلماً من ان تقتبل الرسامة بيد الاسقف بشاره الافرنجي

منشور ورده مع ان ذلك غير معهود في تلك الجهات وانه كان يخترق حقوقه الراعوية وانه بحجة ولعه بالالحان الطقسية وتعليمها كان يسمح ان يجالسه الفتيان والشبان فلا يخلو ذلك من شرب المسكرات والغناء العالمي وذلك سبب الشكوك لابناء الايمان واضدادهم واتفق مع الاسقف اكابر الموصل وطالما نصحوا الخوري ميخائيل يوحانا فلم ينتصح

فلما كثر القيل والقال ولم تنتج فائدة من النصح والتوبيخ : عرض الفريقان مسئلتهما على الكرسي البطريركي وعلى المجمع المقدس فوصلت الرسائل الى رومية لما كان فيها البطريرك واطلع عليها المجمع المقدس · ثم كتب البطريرك والكردينال برجيا رئيس المجمع بتاريخ سنة ١٨٠٣ الى الاسقف بشاره يحرضانه على الوفق ويصرحان له كيف يجب ان يدبر عند اقتضاء اختصار شيء من الطقس · وينصحه رئيس المجمع ان يستشير في معضلات الامور بالرهبان المرسلين ولا سيما برئيسهم الاب منصور بيانتا لكونه معروفاً بالعلم والحكمة · وذلك ليس كأن للمرسلين حق الرئاسة عليه بل من حيث انهم مساعدون للاساقفة في ابرشياتهم · ثم اوصاه الكردينال ان يرسل الى رومية شباناً من السريان والكلدان لاقتباس العلم والفضيلة في مدرسة بروبكندا · وكان الاسقف قد اعلم نيافة الكردينال بضعف نظره لشيخوخته وانه لا يتهيأ له تلاوة الفرض الالهي دائماً · فاشار عليه ان يعوض عنها بتلاوة مسبحة الوردية · وعزاه في ما كان يقاسيه من اضطهاد الاضداد · وسأله ان يدون اخباره مفصلا ويرسلها اليه تذكاراً للجيل المقبل · ثم اخبره انه انفذ اليه صندوقي كتب لارشاد المومنين وطلب منه ان يتحفه

بما يعرفه من اخبار السيد يوحنا هرمزد بطريرك الكلدان (١) وكان الخصام قائماً بينه وبين المرسلين ولا سيما البادري فولجنسيوس الكرملي ببغداد . ولما كانت سيرة هذا الاسقف البار معلومة في رومية واسمه محبوبا لم يفتر روساء المجمع المقدس من تعزيته بالرسائل وتبليغ حكمهم في تبرئته من الشكاية المرفوعة عليه ظلماً اعني انه «ادخل غلطاً في كتاب الاشحيم» علَى انه بهذا المعنى كتب الكردينال دي بترا في ٢٢ حزيران سنة ١٨٠٥ والكردينال لُتا في ٣٠ اذار سنة ١٨٠٥ والكردينال فنطانا في ٢٨ اب سنة ١٨١٩

١ كان السيد يوحنا ابن اخي البطريرك ايليا الالقوشي الذي تكثلك ثم ارتد وكان عمه قد جعله مطرانا سنة ١٧٧٦ وعمره ١٦ سنة ثم نصب بطريركا سنة ١٧٨١ ومنذ كمل العمر القانوني جاءه صك التأييد من رومية سنة ١٨٢٨ وتوفي سنة ١٨٤٠ نخلفه السيد نقولا زيا السمصطي

بيوس السادس فايدها بمنشورين بتاريخ ١٥ ايلول سنة ١٧٨٦ و٢٢ كا
الثاني سنة ١٧٨٧ · ثم جددها في غرة شهر شباط سنة ١٨٠٠ (١) ومع ذ
فاراد البطريرك الجديد ان يتصرف بالوقف المذكور خلافاً للوصية · فقا
الوكلاء ولا سيما القس بطرس : فسافر البطريرك الى رومية لزيارة الاع
الرسولية · ولحسم الخلاف وهناك حتم المجمع المقدس عليه ان يراعي تلك الحق
وبعد الشكوك وعلى هذا تأيد بطريركاً وعاد الى دير الشرفة · غير ان ال
لم ينحسم فاعتزل البطريرك في دير مار افرام عين الرغم · وتوجه القس بطر
جروة الى روميه وافهم رئيس المجمع كنه المسألة · واذ طال الانتظار ا
يتجول في بلاد اوربا حتى وصل الى لندره حيث صاحب بعض اهل الي
فاقتنى مطبعة مع حروف سريانية وعربية فارسلها الى دير الشرفة لفائدة الط

وفي خلال هذه الامور رغب البعض من الشبان الموصليين في السفر
كسروان قصد الرهبانية والقسوسية · وعام ١٨٠٤ حضر من الموصل شابان و
المقدسي يوسف بن خدر ومنصور ابن الشماس عبد الاحد طالبين الرهباني
والشماس عبد المسيح بن سعدو الخانجي رغبةً في الكهنوت · ولدى وصوله
الشرفة سنة ١٨٠٥ اجهر بالكثلكة وقرر صورة ايمانه في كنيسة الدير ق
القربان المقدس · ولما كان اهله من الذين يكتمون امرهم خوفاً من الرؤ

---

١ الوصية محفوظة في الشرفة وصورتها في السجل قال فيها : قد اقمنا وكلاء لتنفي
وصيتنا هذه غريغوريوس بطريرك الارمن ورئيس الدير الكريم · والقس يوسف الامد
والقس سمعان صباغ · وبرفقتهم ولدنا القس بطرس ابن شكرالله جروة ١ شباط سنة ٠٠
اما صورة الصك البابوي ففي السجل الصغير ٥ كانون الاول سنة ١٨١٤

فرحوا بعمله وكتبوا الى سيادة النائب سراً يقولون : اننا تبعنا مثل والدنا ونلتمس ان ترسموه كاهناً قبل ان يخطى اليعاقبة به و يغيروا افكاره فاعتنى النائب به وشجعه وثقفه في واجبات الكاهن وبعد ان رقاه الى درجة الكهنوت رده الى اهله فكان احسن قدوة لابناء وطنه

قلنا ان عدو الخير حرك سجساً في ابرشية الموصل ايضاً · وذلك ان الخوري ميخائيل يوحانا منذ وافاه منشور السيد يوليوس شرع يعتني بجمع النذور والاحسانات لدير سيدة النجاة بكل جهده وكانت تلك الابرشية نامية بالاتفاق والمحبة · غير ان اسم النيابة اضحى وبالا عليه وعلى غيره فانه حمله على ان يستبدّ بحقوق السيد بشارة رئيسه و يأبى طاعته وما عتم الخصام ان ذاع فقام لكل من الفريقين حزب من العوام واليك اسباب ذلك

اولاً كان الكاثليكيون قد اعتادوا على ان يقضوا الخدمة الاولى من قداسهم في رواق الكنيسة خارجاً : كلما سبقهم اليعاقبة في الدخول الى الهيكل حسب نوبتهم · فاذا انتهى قداسهم : دخل المقدس الكاثليكي الى المذبح فكرسه فقدس بدءاً من الخدمة الثانية سريعاً و بدون تبخير وذلك توفيراً للوقت ودفعاً لملل الشعب المنتظر : فتكون مدة القداس لا اكثر من عشرين دقيقة

ثانياً كان القسوس قد اصلحوا بعض العبارات في كتاب الاشحيم المطبوع برومية كل ذلك باطلاع الاسقف ورضاه · ولما كان الخوري ميخائيل مولعاً بالطقس محبّاً الالحان ساءه ذلك فكان يعاتب الاسقف و يعذله · وتحزب له اكابر قرقوش ولاسيما متى و بولس ولدا ججو هداية · وتوما يوحانا · وخدر سكريا وكانت حجة الاسقف على كاهنه انه كان يلبس خاتماً اسقفياً استناداً على

الكاثليكي · وفي اليوم نفسه أُقيم بطريركاً انطاكياً ودُعي اغناطيوس ميخائيل بحضور غبطة السيد بطرس تيان بطريرك الموارنة · والسيد غريغوريوس بطريرك الارمن · واغناطيوس صرّوف اسقف الروم الكاثليك · وكتبوا في ذلك الى المجمع المقدس والى قداسة البابا بيوس السابع علَى يد السيد اثناسيوس صراف مطران ثاودسيوبلي الارمني وكيل بطريركية السريان برومية · وعلى اثر ذلك اجتمع الكرادلة والاساقفة في الواتكان وسالوا الحبر الاعظم تاييد البطريرك الجديد · فالقى عليهم خطاباً في ٢٠ كانون الاول قال فيه « لقد شملنا غم عظيم حين نُعي الينا البطريرك الصالح الذكر اغناطيوس ميخائيل جروة الذي لجزيل صلاحه واجتهاده اعاد البطريركية الانطاكية السريانيـة الى حظيرة الكنيسة الجامعة بعد ان كان اليعاقبة القائلون بالطبيعة الواحدة قد اختلسوها منذ زمن مديد · وقد ساس رعية المسيح نحو ست عشرة سنة بهمة تُستحق الثناء · فلما توفاه الله اجتمع اساقفة السريان في دير سيدة النجاة بكسروان وبقرعة قانونية انتخبوا قورلس بهنام بشارة مطران نينوى وقرهقوش بطريركاً · فاحب هذا الحبر ان يجيب دعوة منتخبيه ولكنه احجم لاسباب صوابيـة معقولة واعلن انه يخضع لاي بطريرك ينتخب انتخاباً شرعياً · فاجتمع الاساقفة مرة ثانية وانتدبوا الى هذا المقام الخوري ميخائيل الحلبي الشهير بالصلاح والعلم والثبات · وفي بادئ الامر لم يلبِّ طلبهم · فلما الحوا عليه اطاعهم وحضر الى الدير السابق الذكر وبعد ان قرر صورة الايمان الكاثليكي أُقيم في يوم واحد اسقفاً ثم بطريركاً · وكان الفرح والسرور شاملاً لجميعهم وذلك بحضور المطران انطون النائب ونعمة الله مطران دمشق · ويوسف بطرس تيان البطريرك الماروني ·

وغريغوريوس بطرس الخامس بطريرك قيليقية الارمني : وكتبوا واطلعونا على ما صار فنحن بكل سرور و بسلطان القديسين بطرس و بولس نمنحه براءة التثبيت والباليون الرسولي ونعلنه بطريركاً وراعياً لطائفة السريان : باسم الآب والابن وروح القدس آمين (١)

وابتدأ البطريرك الشاب بوظيفته بنشاط فاهتم بادارة الابرشيات · ولما عرف من الرسائل المنفذة الى البطريرك سالفه خبر الضيقات الحادثة لكاثليك ماردين والموصل والاسقف بشارة: ان الخواجات قسطنطين واروتين وغيرهما كانوا قد ساعدوهم في باب الولاية ببغداد كتب وشكرهم على احسانهم : واوصاهم ان لا ينكفوا عن مساعدة المظلومين · وكتب الى الاسقف بشارة ايضاً بتاريخ ١ تموز سنة ١٨٠٢ يخبره بذلك ويحثه على ان يجد شخصاً جديراً بان يقام اسقفاً فيرسل الى سريان الملبار لكي يدعوهم الى المعتقد القويم قياماً بما كان سالفه البار قد نواه

١٩٧ غير ان عدو الخير حاول تعطيل نجاح الطائفة ايضاً فهيج سجساً في دير سيدة النجاة وفي ابرشية الموصل · اما في الدير فقام خلاف بين سكانه وبين البطريرك الجديد بشأن اوقاف الدير التي بلبنان وروميه · وكان السيد ميخائيل السعيد الذكر قد شرط في وصيته الاخيرة شروطاً للتصرف بها · وعين لمراقبتها ثلاثة من الوكلاء ثم ضم اليهم رابعاً وهو القس بطرس ابن شقيقه شكر الله جروة · ولشدة حرصه على حفظها عرضها على قداسة الحبر الاعظم البابا

---

١ عن صورة التأييد المطبوع لاتينياً وكرشونياً

عينطورا والى سائر الابرشيات · وفي الوقت نفسه انتدب الاساقفة الى انتخاب خلف للبطريرك الماسوف عليه فعم الحزن ابناء الطائفة فاقيم له في جميع الانحاء جنازات مقرونة بسكب الدموع لخسارة هذا الحبر الابر الغيور وقد نال الاسقف بشاره من ذلك الحظ الاوفر لان الفقيد كان من اعز احبائه واحزم مستشاريه واكبر معضد ومساعد له في اعماله الرسولية وعلى اثر ذلك اقبل السيد ايونيس نعمةالله من دمشق والقاصد الرسولي من مقره وانضما الى السيد انطون يتفاوضون بامر انتخاب خليفة للبطريرك المذكور في الخير فلم يجدوا شخصاً متصفاً بالمناقب المطلوبة لذلك غير السيد قرلس بشاره اسقف الموصل واثور لشهرته بقداسة السيرة والغيرة الرسولية والحزم فكتبوا اليه واعلنوا له انتخابهم وطلبوا منه ان يسير اليهم مستصحباً شخصاً من اقليروس ابرشيته لان يخلفهُ في الاسقفية وادارتها ولما كانوا منتظرين الجواب راى النائب الرسولي ان ينجز ما كان البطريرك السعيد الذكر قد نوى عمله اعني توسيع الدير ليكون معهداً للاقليروس الناذرين فبعث الرسائل الى الابرشيات يطلب جمع الاحسان من المؤمنين تاييداً لمشروعه · وحرض شعب الموصل خاصة على الاشتراك في هذا الخير العام

وكان السيد بشاره قد سبق هذا الاعلان فارسل الى لبنان بواسطة الخوري جبرائيل زعتري المقيم بحلب ما امكنه جمعه معتذراً بان كثيرين من رعيته قد اعتادوا على تقديم نذورهم وزكاتهم الى ديري مار متى الناسك ومار بهنام الشهيد · ولما كان سيادة النائب لا يشك في ان السيد بشاره يلبي انتدابه ويعتقد انه قد غادر الموصل قاصداً لبنان : وجه الى الموصل منشوراً به سمى الخوري ميخائيل يوحانا نائباً بطريركياً لجمع الحسنات المطلوبة · وخوله سلطان

ان يبدّل ما نُذر للديرين المذكورين لدير سيدة النجاة · وكان المذكور قد رقاه الاسقف بشارة الى رتبة الخوري سنة ١٧٩٩ غير ان افكار السيد بشارة كانت بخلاف هذا الظن لانه راى ان قد وخطه الشيب وان مرعيته مثل كرم قد غُرس حديثاً وقد افرع ولم يات بالثمرة المبتغاة فيصعب عليه الابتعاد عنه : وليس في اقليرسه من يصلح للقيام مقامه لان بعضهم قد شاخ وبعضهم حديث الايمان فلا سبيل له الى تلبية منتخبيه · ومع ذلك جمع من يثق بهم من الاقليرس والشعب وعرض عليهم الاسباب المذكورة فوافقوه في انها سبب كافٍ للاستعفاء من قبول الوظيفة التي انتدب اليها · فكتب في هذا المعنى كتاباً الى السيد يوليوس انطون

١٩٦ فلما وصل هذا الجواب الى المنتخبين ارادوا ان يلجئوه بالالحاح الى قبول انتخابهم · غير ان بعد المسافة والظروف أدتهم الى ان يسرعوا في اقامة غيره بطريركاً · فاجتمعوا مرةً ثانية في اواخر سنة ١٨٠١ وبعد مفاوضة طويلة اجمعوا علَى انتخاب الخوري ميخائيل ضاهر الحلبي وعمره يومئذٍ ثلاث واربعون سنة (١) فلما اطلع عليها هاله الامر واجاب مستعفياً محتجاً بعدم كفاءته وصغر سنه غير ان الاساقفة لم يقبلوا عذره بل كرروا عليه السوال بعد اربعة اشهر اعني في ٢٤ نيسان سنة ١٨٠٢ وحتموا عليه بالطاعة المقدسة ان يحضر : فغادر حلب وفي غد وصوله اقامه السيد يوليوس انطون مطراناً بموازرة السيد ايونيس نعمة الله مطران دمشق في ٣ ايار سنة ١٨٠٢ بعد ان اعترف جهراً بصورة الايمان

١ كانت رسامته شماساً كما في السجل في ٢٤ تموز سنة ١٧٨٨ وخورياً في ٢٦ تشرين الثاني ١٧٩٩ وعمره يومئذ ٤١ سنة

جثته ثماني واربعين ساعة اي الى ٦ ايلول فجزه البطاركة والاساقفة ولفيف الكهنة والمرسلين واودعوه القبر المعين له

ورجع القوم الى محالهم وكل منهم يلهج بالثناء عليه ويصفه بالقديس والشهيد ٠ وحزنت الطائفة في جميع انحائها عليه كعلى ابيها العزيز الفريد ٠ وابنه كثيرون نخص منهم السيد اغناطيوس صرّوف الملكي مطران بيروت الذي أقيم بعد ذلك بطريركاً وقضى شهيداً ٠ فقال لسامعيه « كنا قد خاطبناكم مراراً عن الرسل الاطهار ٠ والان ظهر من كان يعادلهم بالفضل والقداسة وهو قدس السيد اغناطيوس ميخائيل جروة بطريرك اخوتنا السريان المضطهد من اجل الايمان القويم الرجل القديس العامل الرسول الشهم الراعي الغيور الفطن » وقد كرر هذا المديح نفسه بعد ان أقيم بطريركاً اذ دُعي الى جناز السيد نعمة الله مطران دمشق السرياني في ٢٢ كانون الثاني سنة ١٨١٢

﴿ الباب الثامن ﴾

في احوال الطائفة على ايام البطريرك ميخائيل ضاهر

الفصل الاول

١٩٥ نيابة السيد يوليوس — انتخاب بشارة اسقف الموصل بطريركاً — منشور النائب الى الموصل بشأن دير الشرفة — اعتذار السيد بشارة واستعفاؤه ١٩٦ انتخاب الخوري ميخائيل ضاهر — طاعته ونصبه بطريركاً سنة ١٨٠٢ تأييده — همته ١٩٧ خلاف البطريرك وسكان الدير — سفره الى روميه — حتم المجمع المقدس عليه — عودته واقامته بدير الرغم — سفر القس بطرس جروه — تجوله في اوربا تحصيله مطبعة سريانية — للطائفة قصد شبان موصليين لبنان — سجن في ابرشية الموصل — اسبابه — عرض الدعوى عَلَى الكرسي الرسولي — رسائل روميه الى الاسقف بشارة بذلك الشان

---

١٩٥ لما انتقـل البطريرك ميخائيل جروه الى جوار ربه ولي النيابة البطريركية السيد يوليوس انطون بتأييد الكرسي الرسولي وهو زكريا ابن الخوري اسحق القطربلي الامدي السابق ذكره · فنعى خبر وفاة البطريرك القديس الى السيد لويس كندلفي القاصد الرسولي عَلَى سورية وكان يومئذ بدير

ومار يوحنا مع وجود بيت الاسرار اسيے السكرستيا فلذا نامرهم بسلطاننا ان يلبسوا بدلاتهم في السكرستيا بورع دون تكلم وصياح لان المحل المذكور هو ايضاً مكان عبادة ومن خالف مرسومنا بعد قراءته فنمنعه من غير تنبيه عن تقدمة القداس سبعة ايام واذا لم يمتنع استعملنا دواء اقوى

عاشراً : نلاشي العادة الجارية بحلب وهي استماع الاعترافات داخل المذبح وليكن ذلك خارجاً عنه

حادي عشر نريد ونامر نائبنا ان يجمع الكهنة مرتين في السنة اولا في الاسبوع التابع لعيد الدنح وثانياً في الاسبوع التابع لعيد الجسد ويتلي عليهم منشورنا هذا٠ ومن ابى الحضور فليخبرنا عنه لنجري عليه ما يستحق ٠ وننصح بالرب نائبنا بان لايتهامل عن اجراء منشورنا في المرتين المذكورتين ٠ هذا ما لزم والبركة عليكم ثانية وثالثة

اعطي في شهر حزيران سنة ١٧٩٥ بدير سيده النجاة كرسي بطريركية السريان الانطاكي

وكان نائب البطريرك ميخائيل الخوري يوسف بن جرجس حجار قد شاخ في العمر فنصب عوضه الخوري ميخائيل ضاهر

ثم ان المطران جرجس بن السيار تمكن سنة ١٨٠٠ من ان يدفع الى والي حلب عريضة تتضمن تشكيات شتى على جماعتنا فصدر الامر بحبس القسوس فدفعوا اولاً ثلاثماية غرش ليتملصوا٠ ثم زجوا في الحبس مع وجوه الشعب ولم يخل سبيلهم الا بعد دفعهم الفين وخمسماية غرش ودفعوا ايضاً خمسماية غرش دهيكاً

ومنذ دخول سنة ١٨٠٠ اخذ البطريرك يقول انها السنة الاخيرة من عمره

وفي ٦ كانون الثاني وهو ذكر يوم عماذه «سنة ١٧٣١» ادلج باكراً وقدم الذبيحة الالهية عن نفسه واطلع شماسه عَلَى نيته ليشاركه فيها وبدأ يضاعف اعمال التقوى حتى كاد لاينام غير ساعتين من الليل · وفي غرة شباط جدد وصيته الاخيرة وكان قد رتبها قبل عشر سنوات · ولما وافى عيد الجسد استدعى اليه سكان ديره وطفق يحدثهم في شرف هذا السر وحفلة عيده فكان كلامه يصيب القلوب اصابة السهم فبكوا وبكى معهم وختم وهو يحرضهم عَلَى خدمة القربان المقدس بمزيد العبادة والاجلال وقال: اني اقضي هذه الحفلة معكم لآخر مرة

وفي ٢٩ آب من بعد تقدمته الذبيحة الالهية احس بوجع شديد ففصد ثم دهمته حمَّى قوية ذات بحران · وبعد ستة ايام اعترف وتناول القربان المقدس ثم منح المشحة الاخيرة حسب طلبه · وبارك سكان الدير والطائفة جمعاء والمحسنين واعداءه ووافته اذ ذاك البشارة من لدن الكردينال اسطيفان بورجيا رئيس المجمع بتتويج البابا بيوس السابع في مدينة بادوا وبتوجهه الى روميه فسُرَّ وشكر الله

وفيما كان عَلَى فراش الموت وافت من قرية القليعات بلبنان امرأة حاملة طفلاً له ثلاثة ايام لايقدر ان يرضع واوشك ان يموت جوعاً والتمست بلجاجة ان يقرَّب الى الاب البار فتعطف الارخدياقون عليها وادنى الطفل من البطريرك المريض وعرض عليه مسئلته فباركه ووضع يده عليه · فلما أعيد الى امه اندفع الى صدرها يرضع برغبة حتى دهش الحاضرون ومجدوا الله

وفي اليوم السابع لمرضه في ٤ ايلول سنة ١٨٠٠ عاده السيد غريغوريوس بطريرك الارمن صديقه ومنحه الغفران الكامل وبحضوره اسلم الروح · فابقوا

اولاً   بلغنا بتاكيد ان نائبنا محتقر ولا يخفى ان اهانته تتصل بشخصنا ولذا نحتم بابطال ذلك · ولا نرضى ابداً ان تصير جمعيات ومشورات ضد نائبنا ولا نقبل لاحد شكوى عليه الا في ديواننا ونحتم عَلَى المدعي ان ينتظر امرنا · ومن خالف مرسومنا ان كاهناً يربط عن القداس سبعة ايام وان شماساً انجيلياً او غير انجيلي فلينحدر من الخورس وليقف مع الشعب شهراً هذا عدا القصاص الذي نفرضه نحن عَلَى المذنب · ونأمر نائبنا بسلطاننا الرسولي ان ينفذ ذلك حرفياً

ثانياً   نأمر بشرح التعليم المسيحي في الكنيسة كل يوم احد وليبتدء بذلك اولاً نائبنا اقتداء بالسيد المسيح الذي لما خرج من بحيرة طبرية الى كفر ناحوم اخذ يعلم الاطفال عَلَى ما قرر الاباء · فلا يستحِ اذاً بهذه الوظيفة سيما لان رب المجد قد باشرها في حياته وتركها لنا مثالاً · وبعد نوبة نائبنا فليتولَّ ذلك كل من الكهنه بموجب رتبته ولا نقبل عذراً لاحد البتة · ومن قاوم امرنا فليربط عن القداس اسبوعاً · ومن رفض ذلك فليمنع عن خدمة الاسرار بالكلية · الا اذا اصابه حادث صوابي كمرض او خوف فيعفى

ثالثاً   وكذلك نأمر اولادنا الكهنة ان يعلموا الاولاد الكبار المجتمعين في القلاية الصغيرة او في غير محل بدءاً من نائبنا بالمناوبة ومن خالف ذلك فليعامله نائبنا كما يعامل من يترك تعليم الصغار

رابعاً   بما ان السيد المسيح سمى الفقراء اخوته واختار له فقراء ليكونوا رسلاً وترددَ بين المساكين فلذا نروم من اولادنا الكهنة المصرفين ان يلاحظوا الفقراء والمساكين · ونرغب ان تجتمعوا وتكتبوا اسماء الفقراء وتتقاسموهم وتعتنوا بهم · ونأمر نائبنا خاصةً ان يجري مرسومنا حرفياً والا فسيصله منا ما لا

يرضيه ومن تهامل من الكهنة المصرفين عن خدمته بالاعترافات فليمنعه نائبنا عن القداس ريثما يتمم امرنا

سادساً اذ كنا قد اقمنا كراسي الاعتراف داخل بيت النساء وخارجاً عنه اي في الايوان فنحتم علَى اولادنا الكهنة المصرفين ان يستمعوا اعترافات النساء اذ تركع الواحدة منهن امام شعرية الكرسي · ونمنع قبول الاعترافات علَى غير هذا النمط · وان كانت الكراسي في المحلين المرقومين قليلة فنامر وكيلنا ان يضع غيرها جديدة ولا يضعها في هيكل القديسة بربارة ولا في القلاية الصغيرة ومن خالف امرنا نمنعه عن القداس سبعة ايام

سابعاً اذ قد بلغنا ان الالحان السريانية قد تغيرت في كنيستنا ودخل فيها الحان غريبة · فنامر بان تكمل رتبتنا بالتدقيق دون زيادة ونقصان كما سلمنا للجميع لما كنا في حلب سريانياً او عربياً · ومن خالف مرسومنا فنصدر عليه القصاص فالكاهن بالمنع عن القداس والشماس عن الخدمة ونأمر الشماس ان يكمل السبع الشملايات في القداس بالكلية و يستنظره الكاهن حتى ينتهي و بعد ذلك فليقل « فلتكن مراحم الله العظيم » ولا نسمح قط ان نترك اي قطعة كانت من القداس سواء كانت تخص الشماس او القس · ومن خالف ذلك قاصصناه

ثامناً بلغنا ان الكهنة لا يحضرون صلاة الخورس في الكنيسة صباحاً ومساء ومن ذلك نتحنا كسلهم وتوانيهم ومن ثم فلا نسمح مطلقاً ان يترك ذلك بل نلزم الجميع بحضور الفرض في الخورس ومن خالف فلينصح وان لم يكن له عذر مقبول فليمنع من القداس سبعة ايام

تاسعاً بلغنا ان الكهنة يتشحون بالبدلة امام المذابح اعني مذبح مار اسيا

والحبوس والخسائر فصلينا الى الله من اجلكم لكن سرنا انكم شابهتم تلاميذ المسيح والشهداء الاولين فاستاهلتم حظاً كبيراً في السماء »

١٩٢ وعلى هذا المنوال ثبت كاثليك الموصل وقراها في الايمان والقنوت وكلما وجد اضدادهم فرصة ووجها لدى اولي الامر تطاولوا عليهم وطردوهم من البيعة · وخاصة في ايام الصوم الكبير واسبوع الالام لطول صلاة الفرض والحفلات واحتشاد الناس في البيعة اذ تتم في نوبة كل من الفريقين · ومن ثم كانت تقوم الدعاوي والحبوس والتغريم وطالما اتفق الفريقان على الصلح وانقطع الوارد عن اناس الحكومة فاقاموا عليهم حجة لا اصل لها وغرموهم · والى اليوم يذكر شيوخ الشعب خبر غرامة عرفت بغرامة الصلح فما ارتد بعض المومنين مللاً من الحبس والخسائر الا واهتدى غيرهم باضعاف عددهم الى ان تصفّوا فقامت منهم جماعتان منفردتان جماعة يعقوبية وجماعة كاثليكية · ولما كانت الدولة لا تعرف سوى بطريرك الزعفران واساقفته فكانا يستجبيان الحقوق الابوية من الكاثليكيين ايضاً رغماً عن كونهم منفردين منهم بالمعتقد · ثم يودّون مثل ذلك لبطريركهم ومطرانهم الكاثليكيين الشرعيين

وفي نحو هذا الزمان لما كان دير مار بهنام الشهير في القدم والبناء تحت ضبط اليعاقبة : قصده شابان من الموصل شديدا التمسك في اليعقوبية اسم احدهما الشماس عيسى بن عبدالله الذي من اسرة القس ابرهيم والمعروف بابن محفوظ على اسم ترازيا والدته : واسم الآخر انطون بن الياس بلّو من اسرة سمحيري · ولبسا اسكيم الرهبانية · وانما ذكرنا ههنا خبر هذين الشابين لان في مستقبل حياتهما شأناً كبيراً يتبين لنا منه ان العناية الربانية طالما سمحت بالاضطهاد لتقيم

من المضطهدين اناساً ينصرون الحق وكانت حرفة عيسى الشغل في معصرة السمسم وحرفة انطون الشغل في النول والاثنان متوادّان فقال عيسى لرفيقه يوماً: ما هذا الدأب ان السدى واللحمة لا نهاية لهما وكذلك حرفتي انا. فهلمّ بنا الى الدير نكسب نفوسنا. وقصدا الدير المذكور فدخلاه بصفة مبتدئين ولبثا كذلك مدة سنة ونصف حتى ارتسما ربانيين اي كاهنين

١٩٣ وفشا الطاعون سنة ١٧٩٩ في ديار بكر مات فيه ثلاثون الف نفس في جملتهم ثلاثة قسوس. اما ابن السيار مطران دمشق فكان يقضي اكثر ايامه بحلب ولكنه لم يجد حجة ليقاوم جماعة الكاثليك فيها فحصلوا في راحة. غير ان الكسل والتواني في اداء مراسيم العبادة كان قد اخذ من الكهنة الحلبيين مأخذاً فعدلوا عن اقامة صلاة الخورس ايام الاسبوع وتوانى الشمامسة عن لبس القميص في خدمة القداس وغير ذلك مما كان السيد ميخائيل قد فرضه فتشكى من ذلك اتقياء الشعب ورفع مقدّم الكهنة بشان ذلك عريضة الى غبطته ومثله كتب الشماس جرجس الموصلي الشهير الذي كان يومئذٍ بحلب(١)

فشقت تلك الاخبار علَى البطريرك فكتب يوبخهم بخطاب ابوي ويحرضهم علَى حفظ ما كان قد تعب وسلمهم اياه منذ كان مطراناً ليكونوا قدوة صالحة للشعب ولا يعطوا العدو حجة يفترى من سببها علَى الديانة المقدسة وعليهم. ومع الرسالة وجه اليهم منشوراً بخط يده اليك نصه بتصرف قليل(٢)

---

١ عن رسالته بتاريخ ١٥ تشرين الثاني سنة ١٧٩٥ وهي محفوظة في الشرفة

٢ صورة المنشور التي كتبها البطريرك محفوظة بين اوراق غبطة بطريركنا الجليل

صليباً كبيراً من بقايا دير نقورتايا القريب من القرية الى جهتها الشمالية· وفي تلك الليلة اصيب بداء الزحير وصداع في دماغه· فلما اصبح خاف على نفسه ورد الصليب الى الوكيل وهو محفوظ الى اليوم في كنيسة الطاهرة بالقرية المذكورة واما بقية الاثاث فاستولى الدخيل عليها واكباد المؤمنين تتمزق حزناً

١٩١ وبينما كان الدخيل في قرقوش شفع اراكنة البلد لدى الحاكم بالمنفيين فامر باعادتهم وكان دخول الاسقف الى الموصل يوم جمعة الاربعين آخر الصوم سنة ١٧٩٨ ثم اقبل القسوس من كركوك بعد ان سجنوا اربع مرات وطار الخبر الى الدخيل ان المنفيين رجعوا الى بيوتهم· فترك قرقوش يوم خميس الاسرار قاصداً الموصل فرأى الاسقف بشاره ان يركن الى الفرار فصار يتنقل من قرية الى اخرى حتى وصل الى ماردين (١) ومنها كتب الى السيد ميخائيل يعرفه بحالته ويلتمس صلاته لنفسه ولشعبه وكان البطريرك ميخائيل اثناء ذلك غارقاً في بحر الشجون وخصوصاً لان البابا بيوس السادس أُخذ الى المنفى حتى توفي في ٢٩ آب سنة ١٧٩٩ فلما بلغه خبر الاضطهاد الثائر على السيد بشاره وشعبه تضاعفت غمومه فرتب صلوات يقيمها مع سكان ديره لزوال تلك الضيقات وما برح على هذا حتى عزاه الله بنصب البابا بيوس السابع في ٢١ اذار سنة ١٨٠٠ ولسبب الانقلاب المذكور كان الطلبة الذين في مدرسة برو بكندا قد تبددوا فاضطر بطرس قليدجي وبطرس اخطل الى الرجوع الى اهلهما بعد وصولهما الى درس الفلسفة· لكنهما اقتبسا شيئاً من الطب وتلقيح الجدري فافادا

---

١ نقلنا الخبر عن رسالة للسيد ميخائيل الى الخوري ميخائيل ضاهر ٢ تموز سنة ١٧٩٩

كثيراً حتى في ايام قسوسيتهما · واما يوسف ثالثهما فلصداع اصاب دماغه كان قد رجع منذ سنة ١٧٩٤ الى دير الشرفة ومنها الى اهله

ولكي نرجع الى اخبار الدخيل نقول : انه منذ عودته الى الموصل قصد حاكمها وعاتبه على ارجاعه المنفيين وشكى اليه جسارة نساء القرية فزجره الحاكم علَى تماديه في الظلم حتى قال له او ترضى بمحاجة النساء وقد مزقت اكبادهن بضبطك اموال الكنائس : فخجل وعاد الى ماردين مخذولاً

وكان السيد بشاره قد غادر ماردين متنكراً وهو يتجول ويتجسس اخبار الموصل ولما علم ان الدخيل خرج منها عاد اليها

اما الدخيل فمنذ وصوله الى ماردين فاوض حاكمها في ما جرى له واقنعه بالمال ان يرفع امره الى سعادة الوالي · فكتب اليه خطاباً شديد اللهجة حمله على ان يلبي الدخيل في اسرع وقت · فاقبل مباشر الولاية الى الموصل حاملاً بيورلدى بنفي خصوم الدخيل وللوقت شرع بالتنفيذ فالقى القبض على خمسة عشر من الخواجات واقفل مخازنهم واراد ان يضم اليهم عشرة قسوس ليسوقوهم الى ماردين جميعاً · فاستاء الحاكم من هذا العمل واستمهل المباشر ريثما يكتب الى سعادة الوالي · وكتب ان هذا الامر لا يمكن اجراؤه لعلمنا بتعدي هذا البطريرك وبراءة خصومه فعفا عنهم لكنه اقتضى للكاثليكيين ان يدفعوا للمباشر الف غرش واقل منها في بغداد · قال الراوي « فصارت الفشلة الاخيرة للاضداد اكبر من الاولى · وخسروا جاههم في عيني الحاكم » واما المؤمنون فتعزوا بذلك وخصوصاً بكتب السيد ميخائيل التي رقمها بتاريخ ٩ تموز سنة ١٧٩٨ و٢٣ كانون الثاني سنة ١٨٠٠ اذ قال فيها « لقد تمزق فؤادنا علَى ما اصابكم من الضيق

والمطران صليبا الطور عبديني · والمطران بهنام الامدي · والمطران يونان الموصلي · والمطران متى · والمطران جرجس ابن السيار مع جملة من القسان والرهبان · وفي البلد وزّع هدايا ثمينة على اولياء الامر والمتوظفين وعرض على الحاكم كل ما له من الفرامين والاوامر وطلب مساعدته على العمل بها حرفيًا اعني ان يستولي على كنائس السريان واديارهم قاطبة · ويعاقب بالحبس والنفي وتغريم الاموال كل سرياني يابى طاعته او يقاوم مذهبه وسياسته · فانفذ الحاكم الجنود حسب طلبه فقبضوا على الاسقف بشاره وتسوسه واودعوهم السجن وثم القس سليمان ابن الشدياق حنا والقس ابرهيم والقس ميخائيل يوحانا وطلب الدخيل ان يساق الاسقف بشاره الى ماردين ويُزج في الحبس بقلعتها ثم ياخذه لدى عودته الى الزعفران ويعذبه هناك كما يشاء · غير ان الله لم يسمح بذلك · لان المومنين قصدوا وجوه البلد والحاكم وبرفقتهم البادري منصور سابلاني ووصفوا لهم برارة اسقفهم ولوم متى سابقًا ولاحقًا واستعطفوا الحاكم فرق قلبه فنفاه الى بغداد مومّلاً ان يروي بذلك غليل خصمه ويفتح له بابًا للنجاة · ثم غرّم المسجونيين بعض المال واطلقهم على ان يصغوا الى نصائح الدخيل · فانكروا عليه انه رئيسهم فحبسهم ثانية وثالثة فلم يزالوا رافضين طاعته · وطلب ان ينفيهم الى بغداد ولكن الحاكم شفق عليهم وعلى عيالهم فارسلهم الى كركوك

وطرد الدخيل الكاثليكيين من الكنائس · واستولى عليها · واستدعى اليه وجوه الشعب وشرع يلاطفهم ويتوعدهم بالويل فاستخفوا بكلامه بل وبخوه على انتمائه يومًا الى تعليم البيعة الجامعة ونكثه وعده · فساءت جراءتهم الدخيل وارسلهم الى الحاكم فسجنهم ولم يخلِّ سبيلهم الا بعد تغريمهم مالاً جزيلاً

ثم انفذ الجنود الى دير مار بهنام واستقدم الربان الياس بن هندي من دير مار متى واقامه حارساً لهذا الدير فرافق الجنود وتسلمه منهم ورجع الجنود الى قرية قرقوش · وسلموا الكنائس الى اصحاب الدخيل · وساقوا القسوس الى الموصل فلما رآهم الدخيل اخذهم الى باب كنيسة مار توما فحلقت رؤوسهم وذقونهم واهينوا جداً

١٩٠ وبعد هذا خرج الدخيل الى قرقوش بالشحنة وكيل آل عبد الجليل ودخلها بابهة قصدان يرهب اهلها ويردهم الى طاعته فجمع اكابر القرية وشرع ينصحهم فقالوا له بكل جراءة وحرية ان اجدادنا بالرب هم الرسل واباءنا هم الذين خلفوهم في رئاسة الكهنوت: فلا نعرف يعقوب البردعي ولا الذين دعوا باسمه: ولا كل من جسر وشق قميص المسيح اعني بيعته المقدسة فنصح لهم بعض المطارنة ان يطيعوه و ياخذوا بركته: فقال الاكابر منهم وهم اسحاق دنحا ونيسان هداية وغيرهما ان لنا بطريركا شرعياً وهو السيد ميخائيل جروه الذي نصب برضى الله والشعب: فما لنا وهذا المختلس

وعند هذا الكلام تميز الدخيل غيظاً · وطالبهم باموال الكنيسة · فقالوا انها مجموعة من نذور اسلافنا ونذورنا: فلا حق لك فيها فاحضر وكلاء البيعة وجعل يتهددهم بالعصي ليأتوه بالمال او يدلوه على مكانه

وما زال ينكل باولئك المساكين حتى اطلع على ان المال في بيت المقدسي افرام حبش الوكيل · فاوعز الى سلطان اغا ان يفتش البيت فوجد الصندوق واخرج منه ادوات وامتعة بيعته من فضة وذهب بلغ وزنها ثلاثة امنان فاخذها الدخيل محتجاً انه المتولي العام عَلَى الاوقاف · وطمع سلطان اغا فاحرز لنفسه

على هذا الى ان اعطوا بيعة احوديمي المتطرفة في محلة المسلمين وطلبوا من السيد
ميخائيل ذخيرة قديس مقبول ليضعوها في تلك الكنيسة فبعث اليهم سنة١٧٩٧
بذخيرة مار سمعان العمودي عَلَى ان يودعوها داخل جدار البيعة الشمالي المخصص
للذخائر و يكرسوا البيعة عَلَى اسمه · فاودعوها لكنهم لم يجدوا اثراً لاحوديمي المفريان
فوسموها باسم بيعة مار سمعان العمودي الى اليوم

الفصل السادس عشر

١٨٩ نزول الدخيل بابهة سنة ١٧٩٨ — القبض عَلَى القسوس واسقفهم ليسجنوا في قلعة ماردين نفيهم الى بغداد وكركوك — ضبط الكنائس — التنكيل بوجوه الشعب — ضبط دير مار بهنام وكنائس قرقوش — حلق قسوسها ١٩٠ خروج الدخيل الى قرقوش — توبيخ اكابرها له — فحصه وضبطه اموال الكنائس — ضربة الله لمختلس فتوبته ١٩١ ارجاع المنفيين — هرب الاسقف حتى ماردين — غم السيد ميخائيل عليه وعَلَى نفي البابابيوس السادس — تبديد تلامذة بروبكندا وفي جملتهم الموصليين توبيخ حاكم الموصل للدخيل — عودة الدخيل الى ماردين مهانًا — شكايته الى والي بغداد — القبض عَلَى وجوه الموصليين وقسوسهم للنفي الى ماردين — نيل الحاكم عفواً لهم — توبيخه انصار الدخيل ١٩٢ غرامة الصلح — ترهب عيسى محفوظ وانطون سمحيري بدير مار بهنام ١٩٣ وفاة شعب وقسوس بديار بكر — تهاون في حلب منشور بطريركي للاصلاح ١٩٤ ازعاج الحلبيين بسعي ابن السيّار — وكيل بطريركي جديد في حلب انباء السيد ميخائيل بموته — مضاعفته التقوى — مرضه الاخير — حدوث كرامة عَلَى يده — وفاته — حفلة دفنه — تأبينه

١٨٩ وبعد هذا عزم الدخيل او بالحري عدو الخير خادع هذا الرجل ان ينتقم من السيد بشارة وشعبه · فقصد الموصل في اواخر الشتاء سنة ١٧٩٨ ودخلها يتقدمه ستة قوّاسه وموكب حافل من ستة اساقفة وهم المفريان بشارة ·

انك بعملك تدوس الناموس والانجيل فاسمع نصيحتي وكف عن مضرة بني جنسك وجاملهم كما جاملوك. فجسر وقال انني ادوس الناموس والانجيل واجري مقصادي نكاية فيهم. فلما سمع الوجوه هذا الكلام نفروا من ابن السيار وكتبوا الى متى الدخيل بتاريخ ١٩ نيسان سنة ١٧٩٥ رسالة ذكروه فيها بكل ما فعله معهم من الشرور هو واسلافه. وعاتبوه على اختلاسه المقام البطويركي وجوره على السيد ميخائيل البطريرك الشرعي ورغما عن طرايق السلم والمحبة التي عاملوه بها وعن تأديتهم ما طلبه نفسه ولدير الزعفران والقدس الشريف عن مؤاذاتهم. وفي جملة ما كتبوه قولهم «ان ضميركم يشهد بصدق مقالنا. وان صراخنا يبلغ الى منبر العدل الالهي كما بلغ صراخ دم هابيل المظلوم وكان قد جاء الينا من قبلكم المفريان بشاره وبعده الخوري يوسف الصدي وبعده الربان انطون سفر الموصلي ابن عم البطريرك كوركيس فلبيناهم وصرفناهم بالتي احسن

غير ان الربان جرجي ابن السيار رسولكم الاخير بحجة جمع الرزق عوّل على خراب الطائفة اذا لم ينل مطرانية حلب. وقصارى الكلام اننا نشير عليكم بالكف عن اذانا فلا تطالبونا بما يفوق مقدرتنا مع علمكم اننا لسنا من ابناء معتقدكم فلا حق لكم علينا ورجاؤنا منكم هو ان تستقدموا ابن السيار اليكم والسلام» (١) فاستقدمه الدخيل كما ارادوا لكنه قامه مطراناً لكنيسة دمشق ونائباً لكرسي حلب

١٨٨ وبعد هذا حوّل عدوانه الى الماردينيين وفي مبادىء شهر كانون

---

١ الاصل محفوظ في خزانة الاوراق بالشرفة

الثاني سنة ١٨٩٦ بدأ باستدعاء القس جرجس جاجه والقس اسلانب اليه واعلمهما بما سيكيد الكاثليكيين واجتذبهما اليه بالترهيب والتمليق فارتدا الى اليعقوبية ولحق بهما القس عبدالله الآزخي وهذه المرة الثالثة لارتداده عن المعتقد القويم · ثم انفذ يوحنا هارون احد انصاره الى الحاكم فوشى بالكاثليكيين وكتب اسماء ستةٍ منهم وطرحهم في السجن وغرّمهم الف غرش عدا ما دفعوا للحواشي · فوقع المومنون في حيرةٍ وهرب فئة منهم : هذا الى الموصل يلوذ بالخواجا الياس الحلبي الصراف وهذا الى حلب وغيرهم الى الرها · فكتب الخواجا الياس يعلم سليمان باشا والي بغداد و يذكره باوامره السابقة في شأن الحرية المنعم بها على كل نصراني ان يصلي حيثما شاء · فاغتاظ الوزير واصدر امراً مشدداً على كل من يخالف اوامره المذكورة ففرح المومنون لكنهم خسروا اربعة عشر كيساً للبيورلدي وحينئذٍ رجع القس عبدالله ونذر انه ان يرتد الى الضلال بعد هذه المرة ولو أُلجيء الى فقد امواله وحياته (١)

وفي ١٨ نيسان قُتل احمد باشا متسلم بغداد وولي وظيفته داود بك التفليسي صهر سليمان باشا الوالي فاخذ الامراء والحكام يتواردون لتقدمة التهانئ وفي جملتهم احمد باشا حاكم الموصل وكان برفقته المرسل الاب منصور بيانتا · وما استتبت الحرية لكاثليك الموصل حتى اضطر المنفصلون الى مسالمتهم فكانت جماعة الطاهرة تتناوب الصلوة في الكنيسة مع اليعاقبة اسبوعياً وجماعة مار توما تقضي صلواتها تارةً في غرفةٍ بحذاء الكنيسة واحياناً في احد بيوت المومنين وما زالوا

---

١ عن رسالة في هذا التاريخ الى السيد ميخائيل محفوظة في الشرفة

الفصل الخامس عشر

١٨٦ فتنة الربان جرجي سيار بحلب — ١٨٧ تماديهِ في العناد
عتاب الحلبيين — تهديدهم الدخيل مرسله — ١٨٨
اضطهاد الدخيل بماردين — السلم في شعب
الموصل — تكريسهم بيعة احوديمي
عَلَى اسم مار سمعان العمودي

١٨٦ وكان الدخيل كلما عرف رجلاً ذا دهاء في طائفته وكله عنه ليؤذي الكاثليكيين · ولما كان تدبير الحلبيين يسوءه اكثر من سواهم ارسل اليهم اخيراً راهباً شاباً من وطنهم يقال له جرجي بن يوسف السيار وكان هذا الراهب راغباً في مطرانية حلب فاغتنم هذه الفرصة ليجعل حاجة مرسله ذريعة لنيل مار به وصادف حضوره بحلب وجود المطران موسى صباغ والقس جرجس جاجه والربان ايليا والربان توما الهاربين من وجه الدخيل فتظاهر اولاً بالمودة للكاثليكيين نظير ثعلبٍ ذايل ثم خادع المطران موسى والرهبان وبواسطتهم تجسس حالة الشعب فاستاءوا منهم جداً ولاسيما من المطران موسى صباغ فان حمقه بلغ به الى ان يرسم شمامسةً لليعاقبة مع كونه كاثليكياً ولما وبخوه عَلَى جسارته توعدهم بالاستيلاء عَلَى الكنيسة اذا لم يسكتوا : فكتبوا الى البطريرك ميخائيل يتشكون من وجود المذكورين بحلب · اما ابن السيار فاختلى بالسر يدار زعيم الانكشارية يوم الخميس ٧ اذار سنة ١٧٩٥ وعرض عليه ان السريان

الكاثليكيين يخضعون لبطريركٍ عاصٍ في لبنان وقد ضبطوا الكنيسة و كنوزها·
وكان مرتباً عليهم لبطريركنا الشرعي المقيم بماردين خمسة عشر كيساً مالاً ·
ثم وعده باسم بطريركه ان يعطيه الف غرش و بقجة قماش وواردات الكنيسة
سنةً فسنةً اذا رضي ان يساعده في الوشاية بهم الى الحاكم والقاضي ويسعى في
ضبط الكنيسة منهم و يؤيده رئيساً على الشعب · واكد له انه اذا ارسل وجوه
الشعب الى السجن يتم هذا العمل بكل سهولة فوعده · ومن غدٍ ٩ اذار الواقع
فيه عيد الاربعين شهيداً استدعى اليه اكابر الشعب وفاتحهم بالتدبير · فاختلى
ثلاثة منهم وهم الخواجا يوسف فرّا الوكيل والشماس يوسف بن نعمة الله
استنبوليه والخواجا نصرالله دلال ولاطفوه واستعطفوا خاطره و بينوا له الاضرار
الجسيمة التي سببها لهم بطاركة الزعفران · وما زالوا يتملقونه حتى لان قلبه
فوعدهم ان يبعد عنهم اذى خصومهم اذا دفعوا له تسع مائة غرش لتصرف في
هذا الشان · فلبوه وجمعوا المبلغ باسرع وقت · فلما تسلمه امر باحضار الربان
جرجس وطفق يزجره و يدعوه مفسداً ومفتناً الى ان طرده من امامه

١٨٧ واذ ذاك اجتمع بهم فرج الله عازار وحذرهم من مقدرة راهبه واطلعهم
على اوراقه فعرفوا منها ان الدخيل سيحضر اذا لم يتم مرامه بواسطة وكيله فاجتمعوا
في قلاية الروم الكاثليك وبحضور روساء الطوائف دعوا ابن السيار وفرج الله
عازار وطفقوا يسألون هذا الراهب عن طلبه فاقرَّ بما فرط منه ولكنه احتج انه
مأمور من قبل بطريركه فقالوا ارنا رسالة بطريركك لنتحقق ماتقول فسلمها
بيد احد المطارنة فلما قراها قال له ياولدي اني لم اجد فيها سوى وصايا موجهة اليك
لتعامل الشعب بالرفق والمجاملة · فلم يذعن بل ازداد عناداً وعتواً · فقال له آخر :

متى الوكيل فبلغ المصروف الف غرش كما كُتب عَلَى رخامة في رواق الدير وبعد المرمة اقام الاسقف لقرية قرقوش القس عمانوئيل والقس بهنام ورسم ايضاً الارخدياقون متى بن حبيب رئيساً عَلَى الشمامسة · وامر قسوس القرية ان يقدّسوا في كنيسة الدير بالمناوبة كل واحد منهم اسبوعاً واثرت هذه الاتعاب بالسيد بشارة فاركته حمى شديدة طالت مدة ثلاثة اشهر وكادت تذهب بحياته لكن الله اعاد اليه العافية لتعزية رعيته المحبوبة

فلما رأى يعاقبة الموصل ما نتج من همة الكاثليكيين ساقتهم الشهامة الى ان يرموا هم ايضاً دير مار متى ولا يدرقوا المال في سبيل الظلم وساعدهم الكاثليكيون بالشغل وبذل النفقة وكان رئيس الدير يومئذٍ اعني سنة ١٧٩٥ المطران متى المعروف بابن للشه فلما شهد غيرة الكاثليكيين وورعهم نوى الانتماء اليهم واعلن نيته لوجوههم لكنه لجبانته عدل عن وعده · واتفق شعب الفريقين على الاخاء والمحبة · فرموا ما كان مهدوماً من كنيسة الطاهرة في الموصل (١)

اما كاثليك الجزيرة فمنذ علم الدخيل باهتدائهم وجه اليهم المطران الياس الموصلي ومعه الفرمان البطريركي فرشى حاكمها ملتمساً باسم مرسله ان يتهدد السريان ويامرهم بالرجوع الى مذهبه فاستدعاهم اليه وقال لهم : صلوا مع وكيل بطريرككم فقالوا أيمكنك ايها الامير ان تجبرنا عَلَى الاسلام قال لا · قالوا فكيف تكرهنا ان نتبع هذا المطران قال لان الحق معه قالوا كلا بل هو في ضلال مبين فاجابهم ان وكيل بطريرككم حاضر فبينوا ضلاله · فاخذوه الى البيعة وجادلوه

١ عن رسالة الاسقف بشارة الى السيد ميخائيل بتاريخ ١٥ شباط سنه ١٧٩٥ وهي محفوظة في خزانة الشرفة

فابكموه · لكنه اخذ يحاول ان يبين ان مركز الرئاسة ليس برومية بل بصهيون ام الكنائس كما في نافورة مار يعقوب اخي الرب فاجابوه ان صهيون ام كنائس ابرشية مار يعقوب فقط : كما ان انطاكية هي ام الكنائس الخاضعة لها فقط وليست ام كنائس المسكونة كرومية على ما جاء في كتاب الهداية عن المجمع النيقاوي المقدس · ولهذا الكلام تشهد جميع الطوائف المسيحية والعلماء حتى اوطيخا وديوسقورس وغيرهما ممن رفعوا دعاويهم الى الكرسي الروماني هذا واذا كانت الرئاسة لكرسي صهيون فما بالكم ترفعون بطريرككم على مطرانكم الذي باورشليم فلما ابكمهم بهذا الكلام وامثاله : اغتاظ وجعل يشتمهم ويتوعدهم حتى ارتد عنهم نحو عشرة رجال لخوفهم من الظلم · واما البقية فقدموا للحاكم مائة غرش على ان يحبس المطران ويكفيهم شره فيتوب ولا يعاودهم هو ولا غيره · فلما بلغ المطران ذلك خاف وهرب الى ازخ تماردين وبعد ذلك عزل حاكم الجزيرة وتولى ابن عمه مكانه وكان قاسياً جافياً فتغلب الاكراد انصاره ونهبوا كتب الكنيسة واثاثها · وشهد هذه الحوادث شماس اسمه داود ابن الشماس زكريا فكتب عنها الى السيد ميخائيل والسيد بشارة

المبتدئ بالكلام عبد الله بن فنه من اليعاقبة والقس كيسو من الكاثليكيين. وطال البحث بدون نتيجة حتى نهض المطران يونان وجذب القس عبد المسيح بيده قائلاً : ان بحثكم بالمعاندة لا ينتهي الى سنين. وجلس في موضعه وقال لكيسو: أستشهد الله وملائكته والاربعين شهيداً اصحاب هذا المقام مع جمع الحاضرين عَلَى اينا يقاوم الحق بعناد . وبعد بحث طويل اقر المطران يونان بطبيعتي المسيح من بعد الاتحاد . وكان الشماس نحيت حاضراً فكتب خبر هذه المجادلة (١) فقال انها طالت اربع ساعات وخلاصتها ان كلاً من الفريقين كتب صورة المسألة لتعرض على الحبر الروماني . فكتب اليعاقبة: اننا نقر ونقبل رئاسة الحبر الروماني ونعمل بمشورته بما انه يدعى في كتبنا ابا المشورة في امور الدين والسياسة . ومن ثم فنحذف اسماء زعماء البدعة والزيادة المضافة عَلَى التقديسات الثلاثية لاستحداثها ومخالفتها المعتقد القويم . غير اننا نشرط ان يقبل الحبر الروماني الميرون كما يقدسه البطريرك الانطاكي خالصاً من كل حيلة

ووقعوا عريضتهم باسماء الشهود وختومهم وهم : يواقيم مطران الارمن . وشمعون مطران الكلدان . والمطران يونان والمطران بشارة السريانيان : ما عدا المجادلين وسائر الكهنة ووجوه الشعب . وارسلوا التحريرات الى المجمع المقدس . وكان الدخيل راضياً بهذا العمل لانه كان سابقاً قد اقتبل المعتقد الكاثليكي وناضل عنه ولم يتمسك باليعقوبية الا حرصاً عَلَى الرئاسة وخوفاً من الاساقفة والبعض من الشعب

١ عن رسالة الشماس المذكور الى السيد ميخائيل وكلامها يوافق ما كتبه المطران شمعون والقس كيسو الكلدانيان وجميعها محفوظة في الشرفة

وبعد هذا ارسل شعب الجزيرة في طلب القس كيسو فتوجه اليهم في شهر شباط سنة ١٧٩٤ وشرع ينصح ويعلم حتى اهتدى من السريان عشرون عائلة اخرى واستولوا على كنيسة مار بهنام الشهيد مع انهم لم يصرفوا عليها سوى خمسين غرشاً · وكتبوا الى الاسقف بشارة فاقبل اليهم ولدى وصوله الى بلدة زاخو فرح به المومنون وكرّس كنيسة في الجزيرة اجابة الى طلبة الشعب وارشد المهتدين وحثهم على الثبات · ومن بعد عودته الى الموصل ارسل اليهم القس بطرس بن عبد المسيح القرقوشي باسعاف جمعه لهم من ابرشيته · فاتفق هذا مع القس عبدالله في خدمة النفوس ثم تبعهما كاهن آخر اسمه القس اسحق لحله القس كيسو ثم تبعهم قسيس اخر اسمه رزقو مع بقية السريان فصاروا جميعهم كاثليكيين يسوسهم الاربعة قسوس وكانوا يتعاضدون عند الحاجة مع قسيسي الكلدان كيسو وفتحو الراهب · غير ان القس عبدالله ارتد بعد سنة الى اليعقوبية ورجع القس بطرس الى قرقوش وتوفي القس رزقو فاقام الاسقف للجزيرة قسيساً منها اسمه شمعون في الاحد الاول من الصوم سنة ١٧٩٥ فانضم الى القس اسحق في الخدمة (١) وهكذا امتدت ابرشية الاسقف بشارة من جزيرة قردو الى البصرة

١٨٥ وفي تلك الاثناء لما كان دير مار بهنام خالياً من رهبان لا يقطنه الا ثلاثة رجال من قرقوش لحراسته وقد تهدم منه جانب لقدمه ولاسيما لان العربان كانوا يهجمون عليه مراراً وينهبونه · عُني الاسقف البار في مرمته سنة ١٧٩٤ لكونه مقام اسقفيته · وساعده في البناء القس نعمة صائغ والخواجا

---

١ عن رسالة الاسقف بشارة الى السيد ميخائيل في ١ حزيران سنة ١٧٩٥ عن رسالة الشماس داود بن زكريا

الفصل الرابع عشر

١٨٣ اضطهاد في ماردين — حكم والي بغداد في حرية الدين بناءً على فتوى من القرآن
تكرار الشكاية — فشل الدخيل بموت اخيه — غمومه — ١٨٤ اضطهاد في
الجزيرة — اهتداء عشرين عائلة — هرب القس كيسو الى ماردين
حمله الدخيل عَلَى الجدال — ابكام اصحابه — ارسال
الخلاصة الى روميه — عودة كيسو — اهتداء عشرين
عائلة اخرى ١٨٥ مرمة دير مار بهنام — ثم دير
مار متى — مرض الاسقف — سعي رسول
الدخيل في الجزيرة — ابكامه في
الجدال — هربه — نهبه
بيعة الجزيرة

١٨٣ ولما استقر عيسى بيك في حكم ماردين في ايام عيد الفصح قدم له الدخيل هديةً والتمس ان يكره المتكثلكين من السريان عَلَى اتباعه · فأوعز الى المنادي ان ينادي ان كل نصراني يجب ان يتبع رئيس دينه وحرج على مطراني الارمن والكلدان قبول السريان في كنيستيهما · وضايق المومنين كثيراً حتى ارتد كثيرون الى اليعقوبية وصلوا في بيعة الدخيل خوفاً من الحبوس والغرائم · والذين امتنعوا فصلوا في بيوتهم ساقهم الجنود بالتعنيف والضرب الى الكنيسة وطالت مدة هذا الاضطهاد عشرة اشهر حتى ان الدخيل فحص عن الكاثليكيين الذين كانوا منذ سبعين او ثمانين سنة يترددون الى بيعة الارمن واكرههم عَلَى اتباعه فرفعوا امرهم الى والي بغداد بتوسط الشماس توما بن يوسف

بشاره وعبد الاحد كور كجي باشي والياس اغا تزي باشي · ونالوا رسالة من كهيا باشا وفتوة من المفتي واعلاماً من القاضي وقدموها الى سعادة سليمان باشا الوالي · فاصدر امراً أُدرجت فيه الفتوة والاعلام خطاباً لحكومة ماردين وكان مآله انه · لا يجوز اكراه احد علَى الصلوة مع فلان وفلان استناداً علَى قول القرآن ان · لا اكراه في الدين · بل مباح لكل نصراني ان يصلي مع اي جماعة كانت وفي اية بيعة شاء حسب خاطره وحريته · وكان وصول هذا البيورلدي الى ماردين في شهر آذار ففرح الكاثليكيون وشكروا الله الذي انطق الحكام بالصواب · لكن الدخيل اغتاظ لان اتعابه ونفقاته ذهبت سدى · ورفع عرضحال الى الوالي المذكور بتاريخ آب سنة ١٧٩٢ بتوسط ميركار اغا والكسان اغا المشاقين · فاجاب الوزير: اننا اعطينا الجواب سابقاً علَى هذه المسائل بوجب شرع قرآننا

وفي شهر ايلول من السنة نفسها شب قتال بين اغوات الجزيرة اسفر عن فتك ونهب كثير فانتقل القس كيسو جمعة المار ذكره بعائلته الى ماردين وشرع يتبع السريان المنفصلين ويثبتهم في المعتقد الكاثليكي وغاظ الدخيل · فوافقه كل الذين كانوا قد اهتدوا علَى يد السيد ميخائيل وادعوا بحقوق البطريركية له وبأن متى الدخيل مزوّر ودخلوا عليه قائلين اما تبين صحته فنقلدك او نتبع تعليم هذا الكاهن · فاستدعاه اليه ووبخه علَى صنيعه · فلم يهبه كيسو بل كلمه بجراءة وشارطه بالمناضلة والجدال · فاضطر متى ان يرضى · واجتمع القوم في بيعة الاربعين ليلاً وشرعوا يتفاوضون بحضور اربعة من المطارين وهم المطران يوياقيم الارمني والمطران شمعون الكلداني والمطران بشاره والمطران يونان الموصلي اليعقوبيان ما عدا القسوس والشمامسة والخواجات من الفريقين · وكان

من هو حتى كشفوا لثامه فاذا به اسقفهم المحبوب فهرعوا الى تقبيل يده وتزايد فرحهم بوصوله لانهم لم يكونوا يعرفون الى اين توجه يوم هرب وسبق خبره الى المدينة فهب الشعب افواجاً الى السفن لملاقاته وانما ركبوا السفن لان الجسر كان مقطوعاً بسبب فيضان الدجلة · وخشي اخصاؤه من غدر الاضداد فاوعزوا الى الدباغين اصدقائه فاخذوه الى المدبغة اولاً ثم رافقوه الى دار الحاكم فقرأ امر الوالي على مسمع من اسقف اليعاقبة ثم اطلق القسوس فرجع الاسقف بهم الى الكنيسة وقدموا الشكر لله على الظفر (١)

١٨٢ وبعد هذا عاد السيد بشارة الى العمل بوظيفته دون معارض وكان للكاثليكيين يومئذٍ سبعة قداديس في اليوم تقام في الكنيسة بالمناوبة فاذا اصابت النوبة اليعاقبة قدسوا في بيوت الشعب

وساء الاسقف عزّو نجاح الكاثليكيين فانطلق الى قرقوش واجتمع باكابرها وطفق يتملقهم ويلتمس منهم ان يرجعوا الى طاعته فلم يكترثوا لوعوده ووعيده فاقام ثلاثة قسوس وهم خوشابا عطاالله وكوركيس طرطور والياس بن يوسف البهشيقي وحثهم على ان يشغبوا القرية فيكون ذلك حجة لازعاج خصومه غير ان الله انار ثالثهم وهداه فكان يطلب فرصة للانضمام الى الكاثليكيين فنال بغيته بعد رسامته بثلاثة اشهر · وذلك انه قام للوعظ بحضور اسقفه وكان يؤيد المعتقد القويم · فامره عزّو بالسكوت فاجابه ان سكتُّ انا فالحقُّ لا يسكت اما انك اقتبلت هذا المعتقد نفسه يوم كنت قسيساً وعلى اثر ذلك توجه القس الياس الى بيعة الكاثليكيين وقرر دستور الايمان واقتبل الحل وبعد

---

١ عن رواية شيوخ الشعب في الموصل وقرقوش

ايام استدعاه الاسقف عزو وطفق يجامله ليسترده اليه فلم يذعن فنزع الفير (١) من راسه قائلا له · ها قد نزعت الكهنوت عنك فاذهب حيثما شئت اجابه القسيس ان ضعه في قبر ابيك لانهُ اذا كان كهنوتك بفيرك فمذهبك خرافة· وخرج فتبعه ثلاثون عائلة فخلهم الاسقف بشارة فاغتاظ الاسقف عزو وضجر وطفق يشتمهم · وشق ذلك عَلَى الشعب حتى رجمته النساء بالباطوخ فولى الى البلد مخذولا ولم يجسر ان يرفع ماجرى له الى الحكم لان خصومه كانت النساء وآل عبد الجليل

وما عمت هذه اخبار الاسقف بشارة واقليرسه ان بلغت السيد ميخائيل فكتب الى الاسقف البار بتاريخ ٣ كانون الاول سنة ١٧٩٣ يهنئه عَلَى نجاحه ولاسيما على اهتداء القسيس والثلاثين عائلة بقرقوش · ولما كان في حاجة الى الزيوت المقدسة رخصه ان يقدسها سرًّا كل ثلاث سنين مرةً حسب عادة السريان يومئذ انما شرط عليه احضار سبعة قسوس لموازرته · وختم وهو يناشده ان يجمع له الرزق لسد حاجته وان يرسل قسيساً الى البصرة لئلا تتبدد جماعة السريان فيها · فامتثل الاسقف امره لانه كان قد توفي اثنان من القسوس الذين فيها وثالثهم رجع الى قرقوش وطنه · اما شعب بغداد فامسكوا عندهم الكاهن الاخير وارسل غيره الى البصرة

---

١ الفير عرقية سوداء يغطي قسوس اليعاقبة رؤوسهم بها و يعتقدون وهماً انه بنزعها ينزع كهنوت لابسها

الى العمادية حيث اقام ثمانية وثلاثين يوماً

وفي خلال ذلك وردت توصيات من وزير بغداد الى الحاكم فاستدعى السيد بشارة من منفاه وفرض عليه ان يلازم بيته ويتجنب المعاطاة مع الشعب واكد له ان هذه الوسيلة هي الاحسن لنجاته ولكن خصمه فاضطر الى الخضوع

وفي تلك الاثناء اهتدى مائة عائلة في قرقوش بواسطة قسوسها الذين كانوا يعظونهم برسائله وكان يتمنى ان يذهب اليهم ليدبر شؤونهم فلم يتهيأ له ولهذا كان يقصده كل اسبوع نفر منهم فيؤيدهم بكلمة الحياة (١)

١٨١ اما الدخيل لخين بلغته هذه الاخبار اغتاظ جداً وعاد فارسل رهبانه الى الحاكم مع فرمانه ورسائل معاتبة له عَلَى عدم اكتراثه بالاوامر السلطانية وكانت جمعة الالام واهالي البلد في الصلوة: النصارى في بيعتهم والمسلمون في جوامعهم. فانفذ الحاكم القواسين في طلب الاسقف وقسوسه لياتوه بهم مكتفين فدرى بذلك الخواجا الياس الحلبي الصراف فاخبر البادري منصور وهذا ارسل الى الاسقف يشير عليه ان يلجأ الى الفرار سريعاً. فترك الصلوة وتزيا بزي النساء بالخف والنقاب وهو يستغيث بالذي تألم من اجلنا. وصادف القواسين فلم يعرفوه. ولما وصل الى المدبغة ركب ظرفين سابحاً يريد بغداد ودخل القواسون الكنيسة فلم يجدوا الاسقف فساقوا قسوسه الى السراي فامر الحاكم بزجهم في سجن القلعة فكبلهم السجان بالحديد. وسكب الله عَلَى قلوبهم الصبر بل الفرح لتالمهم ايام ذكر الآلام المخلص

---

١ عن جواب السيد ميخائيل كانون الثاني سنة ١٧٩٣ عَلَى رسالة السيد بشاره ٢٣ حزيران سنة ١٧٩٢

اما ما كان من الاسقف بشارة فان طفوح نهر الدجلة مكنه من الوصول الى بغداد سريعاً . وكان سليمن باشا الوالي وداود بك امينه جالسين في كوشك السراي يتفرجان على طغيان النهر واذ لمح داود بك رجلاً سابحاً تلعب به الامواج قال للخدام ترى من هذا المخاطر بنفسه : فلم يعرفوه . ولما دنا وتحققوه قالوا انه الپاپاس الموصلي صديقك فتعجب وقال : عليَّ به . فلما مثل الاسقف المسكين بين يدي الوزير سلم عليه مرتجفاً لما عاناه من البرد . وكانت ثيابهُ تقطر ماءً فتفطر فؤاد الوالي شفقةً عليه فامر له بثياب فجيء بها فلبسها . ولفه داود بك بفروته وامره بالجلوس ليحكي عما دهاه وعما حمله على القدوم بهذه الحالة . واذ لم يتهيأ له ذلك امر له بطعام فاكل ثم طفق يحدث والوالي يسمع آسفاً ويضرب كفيه متاسفاً قائلاً واهاً عليك يا مسكين وكان داود بك يويد ما يقوله من معاداة خصومه فروعه الوالي وقال له اتحب العودة عاجلاً او ريثما تستريح قال بل عاجلاً ايها الوزير لان قسوسي في الحبس وجماعتي لي قلق وغم في هذه ايام العيد فامر كاتبه ان يكتب بيورلدياً الى حاكم الموصل يقول « اما بعد فنريد ونامر ان يعرف الاب بشارة اسقفاً على المسيحية ولتكن بيعته بكمال حريته ودخوله الى البيعة بنوبةٍ اسبوعية : اسبوعاً للمسيحية واسبوعاً لليعقوبية » واوعز الى احد الاغوات ان يرافقه ولا يعود الا وقد أجريت هذه الاوامر تماماً فشكر له السيد بشارة وسافر وبعد مسير ثمانية ايام وصل الى قرقوش باكراً فدخل الكنيسة وسجد حين اقامة القداس فتعجب الناس من دخول هذا الغريب الى المذبح راساً . وزاد تعجبهم لما راوه وقت الكلام الجوهري يقوم ويكشف راس المقدس الذي نسي ذلك ولما انتهى القداس خرج الشعب وهم ينتظرون خروج الغريب ليعرفوا

البيعة لاني وجدت فيها الاربع العلامات التي تمتاز بها من سواها · وطالما كنت اتلوها في قانون الايمان دون ان افطن لمعناها كما يفعل الشمامسة امثالي الى الان· ولله الحمد اقر الان برئاسة الحبر الاعظم نائب المسيح عَلَى الارض ولهذا بادرت الى ان اعرفكم بامري طالباً ان تباركوني وتحلوني (١)

ولم يبطئ السيد ميخائيل ان جاوبه احسن جواب وباركه هو ومن حذا حذوه ومجد الله الذي يقبل بقلوب الابناء الى الاباء والذين لا يطيعون الى علم الابرار

١ الرساله محفوظة في الشرفة

الفصل الثالث عشر

١٨٠ شكاية الدخيل بعبارة غريبة — نفي الاسقف الى العمادية والقسوس الى كركوك
ترجيعهم — اهتداء مائة عائلة بقرقوش — الحجز على الاسقف في بيته ١٨١ خنق الدخيل
هرب الاسقف الى بغداد سابحاً — حبس قسوسه في الزندان — تأسف الوالي على
الاسقف — اعطاؤه اوامر قاطعة — دهشة القرقوشيين بالاسقف — دخوله
الموصل بالسفينة اجراء الاوامر ١٨٢ راحة الاسقف — رسامة عزو ثلاثة
قسوس في قرقوش — اهتداء احدهم — رجم عزو بالباطوخ
تعزية البطريرك للسيد بشاره سنة ١٧٩٣ ترخيصه
بتقديس الميرون — ارسال قسوس
الى بغداد والبصرة

١٨٠ واما الاسقف بشارة المسكين فما كاد يتمتع بالراحة حتى انفذ الدخيل رهبانه الى الموصل حاملين رسائله الى الحاكم «والكهيا والقابجيلر كهياسي» فيها يطلب قتل خصمه او نفيه هو وقسوسه فاوصلوها مع فرمانه المؤيد طلبه · واوشك الرهبان ان ينالوا بغيتهم من اولي الامر بالتمليقات والرشوات · غير ان الحاكم لم يرد اعدام الاسقف بل وعدهم ان ينفيه بعيداً · فلما شعر البادري منصور بالدسيسة (وكان من اعزّ اصدقاء الحاكم) اخذ يتشفع لديه ولدى وزير بغداد وكهياته في المظلومين فاراه الحاكم رسالة الدخيل وفي ختامها يقول له: «بحرمة البيت (الكعبة) ومن بناه اقتلوا قسرو (بشارة) الذي راح الى جبل الدروز وصار اسقفاً على الفرنج» ومع ذلك فكرامةً للبادري الدمنكي رضي الحاكم ان ينفي الاسقف

فثرو «بشارة» بالسيف وكان يحدث مثل ذلك كلما حبس القسوس. ومنها ان اليعاقبة حاولوا ان يبيدوا الاسقف مسموماً فارسلوا اليه ذات يوم بطيخة مسمومة من بيت برو الحداد فخطر له ان يطعم منها القطة فانتفخت القطة لساعتها وماتت فاخفى الطعام في التراب وبات طاوياً شاكراً الله ومنها ان امراة اتت الى النهر لتغسل ثياب بيتها ووقفت قريباً من باب القلعة الذي يقال له باب السر ثم دنت من باب السجن وعيرت الاسقف قائلة بلهجة الموصليين: قد يبس الكعوب وافرع الكبر. صلبوا فثرو «بشارة» ومالنا خبر. فسمعها الاسقف وسامح غباوتها ثم انها نزلت الى النهر وجلست علَى صخرة لتغسل فتدحرجت الصخرة وغرقت المرأة فتوسل اهلها الى الاسقف فرسم الصليب علَى النهر فطفت الجثة ودفنت. ومنها ان السجان كان يحكم ربط الاسقف واقفال الباب. فاذا جاء صباحاً وجده محلولاً يصلي والحديد مكوَّم امامه. فلما تكرر هذا العمل اخبر الكهيا فجربه بنفسه وتحققه فدُهش وامر ان يترك بدون حديد ومنها انه كان في السجن رجل من قطاع الطريق اسمه الشيخ الياس يفصله عن الاسقف جدار فيه طاقة. فحكى انه كان يشاهد كل ليلة في سجن الاسقف نوراً ساطعاً ورجالاً مكتسين بالنور ومعهم امراة جليلة: يفكون قيوده ويصلون معه ثم يغيبون صباحاً وهم يقولون له: ان الذي سجنت من اجله ينجيك عاجلاً

١٧٩ وصح ذلك لان محمدا باشا رجع بعد ان غاب ثلاثة اشهر. وامر بتسريح الشيخ الياس. ومنذ خروجه من السجن قصده فلما لحه الباشا قال له ويحك ما جيئتك وقد سرّحناك. قال من انت لتطلقني من الحبس ان الذين اطلقوني هم الاولياء الذين يحضرون كل ليلة عند الاب بشاره. وقص عليه

ما كان يشهده · واردف قائلاً لعمري ان لم تخل سبيل الرجل يخنقك الاولياء · فراعه ذلك ومن ساعته استقدم الاسقف بشارة واعتذر اليه وبعد ان البسه فراجة صرفه بسلام وهو يقول له حيث ان الله معك فانا كذلك انصرف غير خائف واشعُ لي فلما رآه المومنون ايقنوا ان الذي نجّى بطرس الرسول من سجن هيرودس قد نجاه من سجن المعتدين (١)

ولما كان العمل ثمرة الايمان ودليله خاصةً وقت الضيق تأتى من ذلك ان استنار في الموصل اهل الحزم من المتوسمين باليعقوبية فانضووا الى البيعة الجامعة نخص منهم بالذكر الشماس عبدالله بن متى الصباغ · كان هذا الشماس منذ سفر الخوري بشارة يتردد الى الكاهنين الفاضلين نعمة صائغ وسليمان شدياق الى ان اطلعها على ما نواه · فرحبا به وشرعا يلقيان اليه ما يزيده رغبةً واقتناعاً · ولما عاد السيد بهنام بشارة اسقفاً واستعد لمنح الرسامات علَى ما قدمنا فرح به واراد ضمه الى المتأهبين لدرجة الكهنوت فامتنع اولاً · فلما بين له الكهنة ان دعوته من الله اذعن واقتبل الرسامة في ١٥ حزيران سنة ١٧٩٢ واليك خبر اهتدائه مما كتبه الى البطريرك ميخائيل بتاريخ ١٩ حزيران سنة ١٧٩٢ قال: «لقد طالعتُ كتب العلم والطقس وجالست البطريركين جرجس الثالث ومتي واخاه المطران عبد الاحد والطارنة الآخرين بشارة وبهنام وجرجس وفحصت اعمالهم فاذا هي كلها مادية عالميـة عارية من روح العبادة وعلم الاصول البيعية وقابلتها مع حسن سلوككم وغيرتكم وصبركم فحملني ذلك على ان انضم الى هذه

١ نقلاً عن بعضهم مما ذكره لنا جرجس غريب شيخ النجارين وهو مناهز الخمس والثمانين وكان يعرفه وهو في الخامسة عشرة من العمر

رفضوا طلبه فوسط مطراني الارمن والروم المشاقين بديار بكر فكتبا لهم ينذرانهم بالعقوبات المحتوية في فرمانه · فلم يهابوهما بل ردوا اليهما كلام لوم وتوبيخ وانذروهما بالعدل الالهي على مظالمه السابقة ومساعدتهما للدخيل · ثم وجه الى الحلبيين منذ سنة ١٧٩٠ المطران بشارة فملقوه خوفاً من الظلم وصرفوه · وعاد الدخيل في سنة ١٧٩٢ فوجه اليهم الخوري يوسف الصدي فجمعوا له مبلغاً كافياً كفاً للشر

١٧٧ واما الموصليون فنهض الدخيل لمقاومتهم في فرصة سوّغت له المعاودة الى ازعاجهم وذلك انه لما انتشر الخبر في الموصل ان والي بغداد متوجه الى محاربة تيمور باشا حاكم الرها ورفقائه الاكراد · طفق يقول الاسقف عزو وقومه انه متى قدم هذا الوزير واجتاز بماردين يشي اليه بطريركنا بالسريان الفرنج (الكاثليكيين) وتم قولهم لان سليمان باشا قدم الموصل بعساكره وصاف فيها وفي الخريف ضمّ اليه محمد باشا حاكمها وانطلق الى ماردين وديار بكر فالرها وحارب العصاة وظفر بهم وقبل وصولهم الى ماردين خرج متى الدخيل لملتقاهم وقدم الى محمد باشا هدية وقال له : ان كنت لا تصغى الى شكواي اضطر الى عرض دعواي على سليمان باشا · فطيب خاطره · ومن ساعته انفذ جوخداراً الى الموصل آمراً بحبس الاسقف بشارة وقسوسه فزُجّ القسوس في سجن الزنجير حيث بقوا سبعة عشر يوما واليك اسماءهم · القس سليمان والقس نعمة والقس سمعان والقس حنا النجار وغيرهم من قسوس قرقوش · واما الاسقف فطرح في زندان القلعة المخصص للمحكوم عليهم بالموت مصفداً بالحديد · فقام فيه ثلاثة اشهر ويومين وبعد سبعة عشر يوما غُرم القسوس تسعماية غرش وأُطلق

سراحهم . وبقي الاسقف في سجنه حتى عاد محمد باشا وكان القسوس اثناء وجودهم في السجن يكابدون الضيق . من ذلك انه كان لاحدهم وهو القس حنا النجار ولد اسمه اوغسطين يحمل العشاء الى والده كل يوم فكان الكاهن البار يضم ولده الى صدره باكيا و يضع الحديد في رجله والطوق في عنقه وهو يقول له تعود ياولداه منذ الان على حمل اغلال السجن حباً بدين المسيح فانك بها ترقى الى نعيم الملكوت (١) .

١٧٨ وحدثت للاسقف بشارة ايضاً اثناء حبسه في زندان القلعة جملة حوادث . منها انه كان قد حكم بالشنق عَلَى مسيحي من قرية تلكيف عقيب اتهامه بالكفر ظلماً فأعدت مشنقته على باب بيعة الطاهرة توهما : واذاع الاضداد انها انما أعدت لاباذة الاسقف . واخبر احدهم عبد الاحد والده بذلك وكان مسنا فارتاع وانذهل فقضى مزوداً بالاسرار المقدسة . فاغتم الاسقف حتى خيف عَلَى حياته . حينئذ اطلع بعضهم الكهيا عَلَى الوهم فنقلت المشنقة الى باب بيعة مسكنته التي للكلدان وظهرت عَلَى جثة المشنوق اشارات القداسة . ومنها ان سجان الاسقف كان يعذبه لرشوة اخذها من خصومه و يتهدده بالقتل . وطالما لكزه في ظهره بقضيب من حديد كانه يتهيأ ليضرب عنقه بالسيف كما يفعل بالمحكوم عليهم بالموت فيجفل ويرفع رأسه موقنا ان قد حانت ساعته فيجمد دمه فزعا فيستودع روحه لخالقه . ومنها ان بعض النساء من الاضداد كنّ من حين الى حين يهلهلن «يزلغطن» على مسمع من الكاثليكيين . و يبشرن ان : قد ضرب اليوم

---

١ عن رسائل الاسقف والشعب الى السيد ميخائيل وقد سمعنا خبر القس حنا اكثر من مرة من القس اوغسطين ابنه اذ عرفناه قسيساً قد تجاوز الثمانين من العمر

الفصل الثاني عشر

١٧٦ رخصة ثانية للاسقف ان يرسم في الموصل وغيرها — خبر الرسامات ونتائجها — كاثليك دمشق — شجاعة الحلبيين لتخجيل الدخيل
١٧٧ انتقام الدخيل من الموصليين — حبس قسوسهم واسقفهم
شهامة القسوس ١٧٨ عجيب ما حدث للاسقف
في سجنه ١٧٩ اطلاق قطاع الطريق
ثم الاسقف من السجن — اهتداء
شماس عالم في الموصل
جواب البطريرك له

١٧٦ وبعد ايام رجع الاسقف بشاره الى الحاكم برفقة اثنين من اكابر قرقوش ونال منه في ايار سنة ١٧٩١ امراً آخر ياذن له فيه ان يقيم قسوساً في الموصل وسائر قراها وصرف عليه ستمائة غرش · فلما بلغ الخبر الى الاسقف عزو منع الرسامة واغلق ابواب الكنيسة ورفع شكاية الى بكر افندي كيخوة محمد باشا الحاكم قائلاً : ايجوز اقامة حاكمين على بلد واحد · ولما كان موصى وفهم المعنى قال له ان البث اباً على اليعاقبة وبشارة اباً على المسيحية: او ما كفاك انك تجبي الحقوق الابوية من جماعة بشارة لخاطر فرمان بطريرك فأبكم · ورسم الاسقف بشارة في بيعه العذراء الطاهرة ثلاثة قسوس بدون مانع وهم القس عبد الله بن متى سبتي · والقس ابراهيم خدر · والقس حنا بن الياس النجار · ورسم ايضاً عشرين شماساً · ورسم في بيعة مارتوما الشماس سمعان تلميذ القس نعمة كاهناً وسبعة

شمامسة ورسم في قرية برطلي القس بطرس نيمو وجملة شمامسة · وفي قرية بعشيقا رسم القس اسحق بن يعقوب المكنى خوش بزار وجملة شمامسة · وهذا القس اسحق البعشيقي قاسى بعد زمان اذى غير يسير من قسيس اليعاقبة عبد الله ابن القس قريو الباحزاني على انه لما اضطر القس اسحق ان يقيم القداس في بيته: كان القس عبد الله يقف على بابه قائلاً متهكماً: كيف تم قداسك اليوم في اسطبل الدواب · فكان تارة يصبر وتارة يجيبه لقد تم كما لما ولد المسيح في اسطبل بيت لحم · وطالما شبّت بين الجماعتين في بعشيقا مشاجرات ومناقشات ومرافعات قدام حاكم الموصل فجرى الحكم بمناوبتهم في البيعة نوبتين لليعاقبة ونوبة للكاثوليكيين حتى توفي هذا الكاهن

وبعد ان اقام السيد بشارة قسوساً وشمامسة داخلا وخارجاً طفق يعلم المومنين ويسوسهم حتى ادخل الى صيرة البيعة الجامعة الرومانية جماً غفيراً

وفي اثناء ذلك كان السريان الكاثليكيون في دمشق مع قلتهم يرغبون في جمع شتاتهم من الكنائس الغير السريانية دون ان يخالطوا اليعاقبة · فكان كبيرهم وهو المعلم لطفي طبيب الباشا امير الحج يطلب من السيد ميخائيل كاهناً سريانيا فلم يجد لتلبيتهم سبيلاً · وما زالوا على هذا حتى قدم دمشق سنة ١٧٩٢ راهب ماروني من دير مارانطونيوس قزحيا يستعطي لديره فامسكوه عندهم ريثما ياتيهم كاهن سرياني

ولم يكن البطريرك الدخيل يحفل بهم لقلتهم لكنه لم يفتر عن ازعاج المتفقين مع السيد ميخائيل خصمه · اما شعب حلب فكان يخشى اعتصابهم فيجاملهم عله يجمع منهم حقوق الزدق له ولدير الزعفران · وارسلوا اليه مبلغاً فلما استزادهم

واذ استاء عزو اسقف اليعاقبة من هذا العمل رفع الى الحاكم ان بشارة لم يكتفِ ان يضحي فرنجياً ويتقلد الاسقفية من بطريركٍ عاصٍ في جبال الدروز بل تصرف في شعبه حتى اقام منهم قسوساً وشمامسة فصرفه الحاكم بقوله له: اننا اذنا له التصرف في جماعته المسيحية «يريد بها الكاثليكية» كما انت متصرف في جماعتك اليعقوبية · فرجع عزو مخذولاً: ونسب تباعه ذلك الى رخاوته وبعد اسبوع قصد الحاكم مع اثنين من اصحابه وساله ان يودّب بشارة ويمنعه من عمله · فسأله: اي حجة نقيم على القس بشارة· قال حجة عدوله عن دين الحق قال: ان دين الحق هو الاسلام فعليك به فقل لا آله الا الله والباقي· ثم قال لخادمه: ايتنا بالعلم من الجامع ليحمله الاب عزو ويطوف به المدينة فانصرف مذعوراً ورجع الى قلايته ورفع القاووغ من راسه وضرب بـه الارض بمحضر جماعته قائلاً ما مرادكم اترومون ان اخرج من ديني · فقال ايوب النجار احد الشيوخ مـا بالكم تموجون: اذا كان عمل خصومكم من الله فعبثاً تعادونهم واذا كان من الناس فسينتقض ولا بد

١٧٥ وبعد خمسة ايام رجع الاسقف عزو باكابر شعبه الى الحاكم وكان سبق فاهدى اليه والى غلمانه هدايا واخذ يحدثه بتذلل قال· تعلم سعادتك ان خصمي جذب الى مذهبه اهالي قرقوش ونصف جماعتنا في الموصل ولما اقمنا عليه حجة دين الحق فتحت لنا سعادتك باباً لم يكن في حسابنا فاحضر الاسقف بشارة وقال له: قد رفع الينا خصمك انك تركت الدين القديم وانتحلت ديناً مستحدثاً فأعرض علينا ما استحدثتموه يامعشر المسيحية · قال الاسقف بشاره: معاذ الله ان نستحدث مذهباً وانما رجعنا عن مقالاتٍ ادخلها اليعاقبة علَى دين

سيدنا المسيح ولما كان شرح ما اشير اليه طويلاً التمس ان تسال سعادتك كلاً منا كيف يصلي فان صلاتنا تحوي ذلك · قال حسناً · فأعرض علينا ما تقول في صلاتك · قال اننا نقول بالسريانية ما شرحه : قدوس انت يا الله · قدوس انت ياقوي · قدوس انت يامن لا يموت : ارحمنا · فكيف ترى مقالنا · قال لقد اصبتم والتفت الى الاسقف عزو وساله السوال نفسه فسكت اولاً ثم قال مقالة خصمه لكنه زادها : يامن صُلب من اجلنا · فانتهره الحاكم وطرده وصرف الاسقف بسلام لكنه غرَّم جماعته خمسماية غرش · فلما خرج قال له بعضهم : كيف خطر لك هذا الكلام السديد · فاجابه : اني اتكلت عَلَى الذي قال لا تهتموا بما تقولونه امام الحكام لان روح ابيكم يتكلم فيكم : وهو ألهمني الكلام واخبر الاسقف عزو بطريركه بما جرى فكتب اليه والى شعبه يحثهم ان يتلافوا امر شعب الموصل قبل ان يتأصل مذهب الكاثليكيين كما حدث بحلب

فاشتد عزم الاسقف عزو وقصد اعيان البلد وتشكى من الكاثليكيين ومن اسقفهم فانتهره بعضهم قائلاً : كُن انت وبطريركك عَلَى اليعاقبة وبشاره وبطريركهُ عَلَى المسيحية وزد على هذا ما يؤديه لكم من الحقوق الابوية فرجع الى منزله مخذولا

١٧٣ واما السيد بشاره فتوجه الى حلب اولاً متنكراً ونزل في بيت احد معارفه ومكث مستتراً الى ان دخل شهر اذار وذلك لئلا ينتشر خبره بين الاضداد فيؤذونه (١) ووصل الى ديار بكر مساء ٢٤ اذار سنة ١٨٩١ فنزل في دار المرسلين واوفد رسولاً يطلب صديقاً له اسمه الشماس ابرهيم والتمس منه ان يهتم في امر سفره سراً وكانت القافلة متأهبة للسفر فاسرع الشماس ابرهيم قبل اغلاق ابواب المدينة الى رئيس القافلة صديقه وسأله ان يستصحب الاسقف دون ان يشعر به احد من نصارى ماردين فلباه · وبعد ان سارت القافلة اركب الاسقف في ٢٦ اذار محتاطاً بخمسة من رجاله (٢) حتى اوصلوه الى قريه تلكيف ففرح اهلها به واقبلوا الى زيارته · وحكى الشماس اشعيا بن كلولا قال كان في تلكيف جانب من المتعصبين للنسطرة · فاخذ الاسقف يرشدهم ليتفقوا مع البقية على الكثلكة · فاعتذروا انه يصعب عليهم تسمية مريم العذراء والدة الله فقال لهم انعتوها بوالدة الكلمة فرضيوا وانضموا الى الفرقة الكاثليكية ومنذ ذلك الحين صارت المودة بين الاسقف بشاره والسيد يوحنا هرمز بطريرك الكلدان

١٧٤ وكان وصول الاسقف الى الموصل ليلة سبت لعازر سنة ١٧٩١ وذلك في الساعة الثالثة ليلاً ولما اصبح انتشرت البشارة بقدومه فهرع الاقليرس والشعب الى الكنيسة حيث اجلسوه على العرش ورتلوا له اكسيوس يستحق ويستوجب حسب الرتبة واجلسوه علَى الكرسي فاقام القداس وبعد تلاوة فصل

---

١ عن رواية قديمة بحلب

٢ عن رسالة هذا الشماس قرأناها في الشرفة

الانجيل التي خطاباً عجيب اللهجة تخشعت له القلوب ونثرت دموع الفرح · ثم خرج من الكنيسة بالتراتيل البيعية وتوارد الناس الى تقبيل يده والتسليم عليه

ويوم الخميس من اسبوع الحوار يين وهو اليوم الرابع عشر لوصوله اخذه اكابر قرقوش الى نعمان بيك ابن سليمان باشا الجليلي من حيث ان قرقوش له وتحت حكمه (١) وقدموا له اربعمائة غرش هدية حسب عادة ذلك الزمان فالبسه فراجةً وسلمه بيورلدي فيه يستعرفه اسقفاً ويأذن له ان يقيم قسوساً في قريتهم · فشكر له وتوجه الى قرقوش · وفي الغد تبعه القس نعمه صائغ ليخدمه في طقس الرسامة وكان عزو اسقف اليعاقبة منذ بلغه هذا الخبر قد كتب الى القرى يقول: اياكم والرضى بان يقتبل احدكم الرسامة من يد فشرو(بشارة)اسقف الفرنج · فلم يكترثوا لمقاله فرسم الاسقف بشارة بقرقوش مدة اربعة ايام اثنين وثلاثين شماساً وعشرة قسوس (٢) واليك اسماء القسوس بهنام حبش · ومتى اسحق قاشا جمعة · وبهنام بن هندي سكريه · ويعقوب بن اسحق · وبطرس بن عبد المسيح · وعبد الاحد بن خدر · وعبدالله بن يوسف · وبهنام ابن القس يلدا · ومتى ابن الشماس خدر · وبطرس بن توما · وارسل اثنين منهم الواحد الى بغداد والاخر الى البصرة · ففرح المومنون لمشاهدتهم رسامةً كاثليكية لاول مرة (٣)

---

١ عن رسالة الاسقف الى الكردينال انطونللي رئيس المجمع ٢٧ ايار سنة ١٧٩١

٢ عن رسالة الاسقف والقس نعمة الى السيد ميخائيل المحفوظة في الشرفة ٢٧ ايار سنة ؛ ١٧٩١

٣ عن دفتر الرسامات المحفوظ في الموصل

الفصل الحادي عشر

١٧٢ انتخاب الخوري بشاره للاسقفية — انتدابهُ — ارتسامه سنة ١٧٩٠ — فقد البطريرك نور عينه ١٧٣ سفر الاسقف بشارة الى حلب وديار بكر فالموصل متنكراً — توقيفه بقايا النسطورية في قرية تلكيف ١٧٤ دخوله الموصل ارتقاش الرعية ترخيص الحاكم له بالرسالة بقرقوش — مقاومة الاسقف عزو انجاز الرسامات — جواب الحاكم — نصيحة شيخ من شعبه ١٧٥ تكرار الوشاية جواب الاسقف بشاره — حث الدخيل اصحابه على استدراك الامر

١٧٢ لما تحقق السيد ميخائيل ان قد حان الوقت لانجاز رغبة شعبه الموصليّ باقامة اسقف لهم لائق لهذه الدرجة السامية : كما كتبوا له هم والبادري موريس كرزوني: كتب اليهم ان يباشروا الانتخاب فاختاروا الخوري بشارة وكان له غلام اسمه بطرس عمره خمس عشر سنة وثلاث بنات صغيرات ففنى القسوس والمرسل ببناته ودبروا امر سفره سراً تملصاً من اذى الاضداد. ولما كان البطريرك قد اوصاه ان يرسل ثلاثة صبيان جديرين بان يتلقوا العلوم في مدرسة بروبكندا وقع اختيارهم عَلَى بطرس ابن الخوري بشارة وعَلَى يوسف خاله المعروف بابن عباد القط . وعَلَى بطرس بن الياس قلدجي البغدادي . فنزل الخوري بشارة الى بغداد متنكراً بزّي اعرابي ومنها سافر بصحبة الفتيان الثلاثة

على طريق القفر الى دمشق فكسروان · وكان وصوله الى الشرفة في ٢٣ تشرين الثاني سنة ١٧٩٠ فتلقاه البطريرك البار فرحاً وعانقه وهو يثني عليه ويهنئه بثمرات غرسه ونجاحه · وتزايد حبوره لما توسم فيه فضائل جديرة برسل المسيح · فسير الفتيان الى روميه واخذ يفقه الخوري بشاره في الواجبات الاسقفية مدة عشرين يوماً ثم اعتكف مدة وعلى اثر ذلك رقاه الى الاسقفية في ٢١ كانون الاول على دير مار بهنام وقرقوش وذلك بموازرة السيد غريغوريوس يوسف قدمي والسيد ايونيس نعمة الله الصدي والسيد يوليوس انطون نائبه وسماه قرلس بهنام · ولدى انقضاء الحفلة تزايد طرب البطريرك بالاسقف الجديد فعانقه معانقة الشهيد للشهيد حتى تخشع الحاضرون ودمعوا · وبعد ان اقام الاسقف بشارة اربعة وثلاثين يوماً : ودّع السيد البطريرك يسده ان يجمع له من شعب الموصل الحقوق الابوية سنةً فسنةً لمعيشته كعادة البطاركة وسلمه وثيقةً بذلك (١) غير ان البطريرك البار لم يتهنا بسروره مديداً اذ ادركته شدائد الشيخوخة فبدا ان يمشي كفيفاً نحو سبع سنين واخذ نور عينه اليمنى بالنقصان · ومع ذلك لم يكن يمتنع من اقامة القداس الا عند حلول الضرورة · وعوض الله له عن ذلك بنور ذهنه فأضحى كالذي لا يفوته امر من امور غيره · ومن اغرب ما حدث له : انه بينما كان ذات يوم يقضي (يكسر) القربانة في قداسه طفر منها جزء فاطرق ورفعه ولم يدرِ الدياقون الواقف في الخدمة بذلك الا عندما جاء بعد القداس ليغسل الموضع الذي وقع الجزء فيه

١ عن رسالة للسيد ميخائيل في شهر كانون الاول سنة ١٧٩٧

وكيلاً على الكرسي البطريركي ولدير: وكان الموازران لنبطته في رسامته السيدان غريغوريوس يوسف قدسي مطران اورشليم · وايونيس نعمة الله مطران دمشق

١٧١ وكان في دير مار بهنام بآثور راهب موصلي اسمه هندي تكثلك بنصائح السيد ميخائيل جروه ومثاله الصالح منذ وجوده في دير الزعفران ثم ازداد ميله لما شهده من اعتصاب بعض الرهبان لمتى الدخيل وسوء تصرفهم ولاستيائه من تطاول الدخيل على البطريرك الشرعي بخلاف القوانين: فتركهم ورجع الى الموصل حيث جاهر بالكثلكة واحب العزله في الدير المذكور· غير انه تأسف واغتم لما الفى الدير وقد اصبح مأوى للدواسن (اي اليزيدية) ولعيالهم ودوابهم· فاغتار غيرة ايليا واخرجهم منه بقوة اوامر استحصلها من محكمة الشرع وحاكم الموصل· ونظمه واقام فيه ثلاثة شهور مع شماس من قرقوش اسمه اسحاق ابن القس يعقوب بن قسطو· وفرح اهالي قرقوش بذلك وعزم كثير منهم على الترهب فيه· ولكي يبقى في تصرفهم سعوا ان يقام الربان هندي اسقفاً له فيحفظه ويقيم قسوساً وشمامسة لقريتهم وغيرها لدى الحاجة· فسيروه الى دير الشرفة الى السيد ميخائيل برسائل في هذا الشأن · ورجع الشماس اسحق الى قريته وارتسم كاهناً· غير ان تلك الرغبة خابت· لان الربان هندي توفي في الطريق قبل وصوله الى لبنان وبقي دير مار بهنام خالياً من رهبان· فعاد الدواسن الى الدير واقاموا فيه زمناً الى ان ساقت الغيرة تلميذاً للقس نعمه صائغ اسمه الشماس سمعان: فكتب الى البطريرك وعرض عليه انه مستعد لخدمة ضريح الشهيد

اذا اقيم كاهناً . ووافق رأيه الخواجا هدايه كبيرقرقوش فكتب ايضاً من اجله(١) ومع ذلك بقي الدير خالياً من رهبان الى سنة ١٧٩٤ وان العناية الربانية هيأت رجلاً جديراً بالاسقفية علي اسم الدير لمراقبته ولسياسة الشعب وهذا التدبير تم كما نحن مخبرون

١ بين اوراق الشرفة رسالة خدر بن عيسى يوحانا الى البطريرك في ٩ و١٤ ايلول سنة ١٧٨٧ قال فيها : ان دير مار بهنام فارغ سكنته الدواسن . وكان الربان هندي من مدة جاء من الزعفران وقبل الايمان لمحله الكهنة فاخذ اوامر من الحاكم والقاضي والمفتي واخرجهم واقام فيه ثلاثة اشهر وجاء ليزوركم فمات فرجع الدواسن الى الدير — وبينها ايضاً رسالة سمعان الموما اليه تاريخها ١٤ ايلول سنة ١٧٨٧

من اجل الطائفة وبالاسعافات المذكورة تمكن البطريرك من وفاء ديونه

١٧٠ غير انه بدأ ان يظهر في جسمه اثر الاتعاب والغموم فكمل فيه ضعف عينه الشمال وضعف نور عينه اليمنى وكان يحتمل ذلك بصبر · والحّ اخصاؤه عليه ان يستعمل الادوية اللازمة وهو يأبى حتى اذعن من اجل راحة ضميره وتعزيته ولم يستفد منها شيئاً · ومع ذلك لم يكن يقطع رسائل الارشاد وشرح قواعد الدين للجماعات والافراد وخاصةً في دحض الزوائد التي دخلت على عقيدة السريان بالبدعة وبالاختلاط مع سائر المنفصلين كالزيادة على التقديسات الثلاثية وانبثاق الروح القدس من الآب والابن · ووجوب حذف اسماء زعماء البدعة السبعة من الصلوة حيثما وردت فاصابت القلوب اصابة السهم فعزّت الحزانى والمضطهدين · وكثيراً ما ابرأت المرضى · فمن ذلك ان الشماس الياس بن يونان الصباغ الحلبي ابتلي بمرض عضال عجز الاطباء عن شفائه فكتب الى البطريرك يشكو من ذلك ويلتجي الى صلواته · فاجابه : قد ابتهلنا الى الله من اجل شفائك متوسلين اليه بسيدة النجاة · ومنذ وصل هذا الجواب الى المريض المذكور نال الشفاء فقدم للدير كاساً من فضة · واعلن الاطباء ان شفاءه تمّ باعجوبة وكان المؤمنون يراسلونه ملتمسين منه البركة والدعاء فكان يجاوبهم برسائل تدل على حنوه الابوي وتقواه وكان يكتب الرسائل كلها ويحفظ الرسائل الواصلة اليه بكل حرص وترتيب لافادة غيره من بعده

ثم ان البطريرك البار منذ وفى ديونه اخذ يوسع ديره ببناء جديد وساعده في ذلك محسنون من الطائفة وغيرها : واسماؤهم مدونة في دفاتر الدير وفي السماء مع المنتخبين · واراد ان يكون الدير كرسياً له ومدرسةً لناذري النذور فطلب

من البابا بيوس السادس تأييد ذلك بسلطانه الرسولي فلباه بكل سرور واصدر منشوراً في هذا الشان واليك خلاصته

« بقوة منشورنا هذا نريد ونحتم بالسلطان الرسولي ان يكون دير سيدة النجاة الذي لطائفة السريان الكاثليكيين في جبل لبنان هو وجميع املاكه الحالية والتي بعدها ثابتةً مخلدةً لاستعمال بطاركة الطائفة المذكورة الذين يقومون بعد البطريرك ميخائيل جروة ولراحتهم · ونقبله تحت حماية هذا الكرسي المقدس وحماية مجمع نشر الايمان · ولهذا فننهى جميع الاشخاص عن ان يتجاسروا باي وجه كان ويخصصوا لذواتهم او يبيعوا او يعطوا شيئاً من اثاث الدير المذكور واملاكه · وذلك تحت طائلة السقوط في الحرم المحفوظة حلته للحبر الروماني »

اعطي في رومية بجوار كنيسة مار بطرس تحت ختم الصياد — تحريراً في ٢٢ ايار سنة ١٧٨٨ وهي الثالثة عشرة لحبريتنا — الكردينال بروما لدو براسكي دي هونستي

وكان البطريرك البار يفتكر في الموت دائماً ويجعله نصب عينيه · ولا سيما لما بدأ ان يحس بانحلال في جسمه وكان عند افتتاح سنة ١٧٩٠ رتب وصيته الاخيرة سراً وعلناً · ثم اظهرها لاخصائه وطلب تثبيتها بامر المجمع ثم اراد ان يقيم نائباً ينوب عنه فالقى نظره على المطران انطون وهو زكريا ابن الخوري اسحق القطربلي الذي كان قد اهتدى على يده وهجر وطنه ولحق به الى حيثما انتقل · وكان رقاه الى درجة الكهنوت في ٢٢ اذار سنة ١٧٨٨ ودعاه يوسف · ثم اقامه مطراناً للقلاية البطريركية باسم يوليوس انطون في ٢١ تشرين الثاني سنة ١٧٩٠ وجعله

الفصل العاشر

١٦٩ ضيم البطريرك — استنجاده موءمني اسبانيا — نجاحه — ايداع الاسقفات عند المجمع المقدس ١٧٠ مداومته اعمال التقوى — ارشاداته المفيدة بالرسائل رغما عن امراضه — همته في توسيع الدير — جعله تحت حماية الكرسي ترتيب وصيته الاخيرة — اقامته مطرانًا نائبًا سنه ١٧٨٨
١٧١ خبر دير مار افرام بآثور — والمتطوعين للاقامة فيه

١٦٩ وكان البطريرك البار اثناء ذلك قد ضامه عمل الديون السابقة المتراكمة عليه ماعدا احتياجه الى دراهم لدفع ثمن ديره ولمعيشته · لهذا لم يكن يفتر من الصلوة والاستغاثة بسيدة النجاة حتى عاده رهبان فرنسيسيون واشاروا عليه ان يلتجيء الى بلاد اسبانيا : واذ ايقن ان العناية الربانية هي التي قادت اولئك الزوار اليه والهمتهم هذه المشورة : كتب الى القسطنطينية الى القس الياس شدياق دبّ وكيله ان يسافر الى اسبانيا من طريق ليفورنو وجنوا الى برشلونا عاصمة تلك المملكة · فسافر منذ سنة ١٧٨٦ · وبعد وصوله واطلاعه على عوائد البلاد الاسبانية : كتب الى البطريرك يطلب مطرانًا يعاونه في الشغل · فانفذ اليه الربان ايليا امير خان الامدي فسافر الى الاسكندرية سنة ١٧٨٧ وفيها التقى بالاب شكرالله الراهب ثم سافر منها الى مدريد فبذل الاثنان اي القس الياس والراهب ايليا جهدهما في جمع الاحسانات فلم ينتج لهما كبير فائدة لجهلهما لغة تلك الديار فكاد ما جمعاه لا يكفي لاسفارهما ومعيشتهما · ولهذا لم يكن

المجمع المقدس يقطع الاسعافات الضرورية عن البطريرك

اخيراً حرك الله اميرتين من التقيات الى الشفقة وهما الدوكسه هرمزه والكنتسه دوليا انطونيا رموروزه · فكلمتا جلالة الملك كارلس الرابع والملكة قرينته فتكرما باسعاف ووعدا بغيره · فلما توفي الملك المذكور سنة ١٧٨٩ وخلفه ابنه : وجه البطريرك رسائل اليه والى وزيره والى الاميرتين الموما اليهما مآلما وصف حاله وضيقاته فاثر كلامه فيهم فبذلوا له الاحسان · و بلغت الشفقة بالاميرة انطونيا الى ان ارسلت ولدها برفقة قسيس الى الكنائس لجمع ما كفى وفاض على الحاجة (١) ثم هب الوكيل وذهب الى البرتغال حيث جمع بموازرة نائب البابا كل ما كان يتمنى · وقد عين البطريرك قداسين موبدين يقامان في دير الشرفة سنوياً على نية المحسنتين الموما اليهما · ومن جملة ما تبرعا به البدلة الحبرية الفاخرة الموجودة الى اليوم في الدير

وفي سنة ١٧٩٣ توجه القس الياس الامدي بالمال المجموع الى روميه فوُضع وديعةً عند المجمع المقدس · وقصد الوكيلان ان يستأنفا شراء دير مار افرام الذي بروميه بعد ان كان قد بيع وذلك ليكون مقراً للوكيل البطريركي ووافقهما البطريرك وكتب الى رئيس المجمع في هذا الشان : فلم يتوفق ذلك السعي فعاد القس الياس شدياق الى مدريد ولبث فيها باسم وكيل للمكتبة الملكية لانه كان من العلماء وقضى عمره في هذه الوظيفة · فلما توفاه الله نُقلت كتبه واثاثه الى دير الشرفة · وها ان صورته محفوظة في الدير الى يومنا تذكاراً لاتعابه

١ عن سجل البطريرك المحفوظ في الشرفة ١٣ ايار و٣٠ حزيران سنة ١٨٨٩

حتى اهتدى بعض اليعاقبة في الجزيرة وآزخ · وفي جملتهم القس عبد الله الازخي وهوا الذي قصد الشرفه سنة ١٧٩٠ لينال الحلة من الهرطقة والبركة من السعيد الذكر البطريرك ميخائيل · لكنه بعد وصوله الى حلب لم يتمكن من ان يتجاوزها فعاد الى قريته · وكذلك القس كيسو غاب عن الجزيرة حتى وصل الى بغداد فكركوك فالموصل وجمع صدقات لسد حاجته لانه كان فقيراً

١٦٨ وفي خلال ذلك حدثت في الموصل سنة ١٧٨٦ مجاعة هائلة اضطرت الناس الى الهرب الى كردستان وعقب المجاعة مرض التيفس مات به خلق كثير داخلاً وخارجاً وكسدت الاشغال · وعلاوة عَلَى ذلك غار الحاج حسين بن عبد الله بك جمرة العرب عَلَى البصرة واستولى عليها فورد امر من الدولة الى سليمان باشا وزير بغداد ان يجهز عسكراً ويخرج الى محاربته · فاخذ من اهالي بغداد ستة اضعاف الخراج · وفرض حاكم الموصل عَلَى السريان الكاثليك دفع مبلغ ستة اكياس مالاً ماعدا ماأخذه من سواهم · فكثر المحتاجون وافتقر الاغنياء · ومع ذلك كان الكاثليكيون متفقين عَلَى المحبة وكهنتهم عَلَى الغيرة والنشاط · وكان الرئيس عَلَى قسوس كنيسة الطاهرة القس بشارة اخطل وهو الذي اعطاه البطريرك اسم الخوري · والقس خدر كتوّلة · والقس قرياقس · وعلى قسوس كنيسة مار توما القس نعمه صائغ وتحت يده القس سليمان ابن الشدياق حنا واتفقوا مع اليعاقبة عَلَى ان يقضوا الصلوة والخدم البيعية بالمناوبة دون إدخال الحكومة فكان يتكثلك الانسان دون ان يمنعه احد او يوذيه

ورأى الكاثليكيون انهم في حاجة الى اسقف يسوسهم ويرسم لهم شمامسة وقسوساً فالتمس من البطريرك ان يسيم الخوري بشارة اسقفاً فلم يوافقهم خوفاً عليهم من حسد اضدادهم · فوسطوا البادري موريث كرزوني في ذلك فكتب بتاريخ ٢ كانون الثاني سنة ١٧٩٠ الى البطريرك وبين له الحاجة المذكورة مستحسناً ان يرسل اسقف او مطران الى بغداد اوالى الموصل سراً فيحضر متنكراً : لان القسوس والشمامسة الاولين مات اكثرهم بالتيفس · ولما كان الخوري بشارة يفوق غيره بالغيرة وقداسة السير فهو الاكثر جدارة بهذا المقام (١)

ثم ان متى الدخيل بطريرك اليعاقبة فسح لشعبه في اكل الزفر يومي الاربعا والجمعة بين الميلاد والدنح وفي اكل السمك في عيدي البشاره والشعانين فجرى مثل ذلك للكاثليكيين ايضاً بامر السيد ميخائيل

---

١ عن رسائل الشعب والمرسل المحفوظة في خزانة الشرفة

ووشوا به الى الحاكم فلم يصغِ اليهم · واجتمع كيسو ذات يوم بدنحا مطران الابرشية النسطوري وكان مقره في دير يبعد عن البلد مسير خمس ساعات · فتملقه حتى نال منه وثيقة رخص له فيها بالقداس في الكنيسة مع وجود قسيس نسطوري فيها وكان امياً فكان كيسو يعظ الناس ويرشدهم في صحة الديانة الكاثليكية · ويلقن صبيان المدرسة تعاليم كاثليكية ترغيباً لهم في الاهتداء · فاثر كلامه فيهم وانضوى اكثرهم الى الكنيسة الكاثليكية

وما عتم خبر المهتدين ان انتشر في القرى المجاورة فحذوا حذوهم · ثم توفي القس النسطوري فلم يُقِم المطران خلفاً له مراعاةً للقس كيسو · ولما كان جانب من المهتدين من شعب اليعاقبة رفعوا شكواهم الى الحاكم وقالوا : ان القس كيسو جعل الناس كلهم فرنجاً · فلم يبالِ بل قال : ترى ماذا عملت حتى اشتكى النصارى عليك · قال لا شيئاً مضراً · قال : اعمل ما بدا لك ما خلا راعي غنمي فاياك ان تجعله فرنجياً · وكان الراعي من قرية هوزومير فتكثلك اهل هذه القرية بعد حين على يد القس كيسو وفي جملتهم الراعي المقول عنه · واقبل المطران دنحا الى الجزيرة فخرج القس كيسو مع صبيان مدرسته الى قرية المنصورية لملاقاته فدخل باصوات التراتيل وانزله القس كيسو في بيته وقام بخدمته احسن قيام وهو لا يبرح من وعظ الناس بحضوره فلا يمنعه · بل رضي ان يبيع الكنيسة بيعاً شرعياً مثبتاً في صك بتوقيع وختوم اعيان البلد

١٦٧ وبعد حين اقبل المطران المذكور الى الجزيرة ايضاً فلم يلتفت القس كيسو اليه ولا سمح له بالنزول في الكنيسة محتجاً انه نسطوري فاغتاظ ورفع شكواه عليه · فحكم الحاكم والقاضي والاعيان ان الكنيسة للمطران وامروا

كيسو بتسليمها • فقال : امركم عليَّ راسي ولكنني اسألكم أحق المطران في الكنيسة شرعي ام غير شرعي • قالوا بل شرعي • قال ايها الامير ان هذا المراي هو لك : فاذا بعته وقبضت حقه أترى يجوز لك استرجاعه مع انك اميرنا وحاكمنا قال لا • فابرز له الصك فلما قراه التفت الى المطران وانتهره وطرده واما القس كيسو فازداد جاهاً ودالةً عند الحاكم وبلغت به الجراءة الى ان دفن جثة فتى شهيدٍ يقال له شيشو كان الاكراد قتلوه وتركوا جثته للكلاب لانه ابى اذ راودوه عن نفسه ورفض الاسلام ولا يزال النصارى والمسلمون يتبركون الى اليوم من ضريحه في مكانٍ يقال له ياني جرف(١)

وقدم راعي الغنم في موسم الربيع الى الجزيرة لياخذ غنم الامير الى البرية وساله الحاكم هل صار فرنجياً كما صار غيره • فاجابه رجلٌ من اليعاقبة يقال له سعيدو : ايها الامير ان راعي غنمك هو اول الذين فرنجهم كيسو اغتراراً بمحادثته له • وكان نفرٌ من النساطرة الذين يقال لهم چوالخة او تيارية حاضرين فاكدوا للامير ان اكثر مجاوريهم صاروا فرنجاً على يد هذا القسيس • فاخذه الحاكم وزجه في السجن حيث صفع سبعمائة عصا ثم جيء به الى الامير فقال له : لقد تجاوزت الحد بحديثك حتى مع راعي غنمي • فالان اقطع لسانك لارى كيف تخالف اوامري • واشار الى خادمه فاخرج لسان القسيس من فمه وطعنه بخنجره فشمت اضداده وفرحوا وبلغ خبره زوجة الامير فاغتمت حتى غشي عليها • وعند ذلك ندم الامير على صنيعه ووبخ الواشي وغرمه الف غرش وعني بمعالجة القسيس فتعافى تماماً وعاد الى التكلم والارشاد اكثر من قبل • واتخذ الناس ذلك اعجوبة

١ عن رواية شيوخ النصارى في بلد الجزيرة

فولي نعمان بك الجليلي وظيفة المتسلم ومحمد باشا النيابة عن الحاكم سليمان باشا الجليلي ريثما يعود من العاصمة

وعم الضيق المرسلين ايضاً وذلك ان محمداً بك الكردي حاكم جزيرة باز بدي استقدم البادري منصور روفو النابلي ليعالج اخاه المدنف فوصف له دواء ادركه الموت بعد ان شربه فادعى الحاكم بانه سبب موت اخيه قصداً وارسل رجلاً من قبله ضرب البادري بخنجر لما كان يصلي عَلَى انفراد فاماته· وكان البادري روفائيل في بغداد فلما عاد الى الموصل كتب الى السفير فرافع محمدا بك وغرّمه خمسة وعشرين كيساً صرفت عَلَى بناء كنيسة للكبوشيين في العاصمة · وفي تلك السنة توفي البادري روفائيل المذكور بعد ان خدم الرسالة اثنتي عشرة سنة بالغيرة والنشاط · فاضطر البادري موريس كرزوني ان يعود الى الشرق مع انه كان مريضاً واستصحب البادري منصور سابلاني واصله من مدينة انكونه وكان ذلك سنة ١٧٨٨

الفصل التاسع

١٦٦ كثلكة شعب الجزيرة بسعي القس كيسو ١٦٧ احتياله بدنحا مطران
النساطرة — جاه كيسو — قطع الحاكم لسانه — تكلمه بعد ذلك — جمعه
اسعافًا — اهتداء كاهن آزخي وغيره ١٦٨ ضيقة الموصل
بالمجاعة وجمع الخراج اضعافًا والغرامات — حالة
المؤمنين فيها — التفسيح لهم بخصوص
السمك في الصوم والزفر في
بعض ايام الاربعاء
والجمعة

١٦٦ واذ ذاك فتح الله سبيلاً لنشر الديانة الكاثليكية في جزيرة قردو وتسمى جزيرة عمرو وهي بين الموصل وماردين ولم يكن فيها من المسيحيين الكاثليك سوى اربع عائلات كلدانية والبقية كلهم نساطرة ويعاقبة . فحدث ان شماساً نسطورياً لبيباً اسمهُ كيسو بن جمعة صاهر احدى تلك العائلات على عهد محمد بيك الحاكم فقاومه المنفصلون فهرب الى قريةٍ اهلها كاثليكيون اسمها هربول وفيها ارتسم كاهناً ثم اخذه رئيس القرية الى الحاكم واوصاه به فاحبه هو واهل مجلسه . فطفق الكاهن يتردد الى زيارة الامير وكان كلما مرض احد من اولاده يصلي عليه فيتعافى باذن الله . حتى اصبحت زوجة الامير تجل القسيس وتحترمه فتشجع وفتح مدرسةً للصبيان وكان يقيم القداس في بيته ويستميل الناس من نساطرة ويعاقبة الى الديانة المقدسة وحل جانباً منهم . فاستاء المتعصبون للشقاق

في اربع وعشرين ساعة ونزل في بيت يوسف قدسي حميه وقد انهكه التعب والبرد و بعث يخبر المطران اللاتيني سراً بأمره

١٦٤ وكان الوالي سليمان باشا التفليسي و كهيانهُ احمد باشا الموصلي واخص حاشيته داود بك الكرجي وكان داود هذا مسيحياً وخاله كونو صهر عائلة جمالا الموصلية مستوطناً بغداد

ولما سمع المطران اللاتيني خبر القس بشاره اندهش واجتمع بداود بك ومركار اغا وكيل دولة الانكليز وعرض عليهما الامر فشفعا فيه لدى الكهيا فوعدهما ان ينقذه من جور ظالمه · ثم فاوض الوالي بشأنه فأمر باحضار داود بك ومركار اغا فمثلا بين يديه واطلعاه علَى حالة القسيس وسبب قدومه الى بغداد مخاطراً بنفسه ليستغيث بمراحمه فاستدعاه اليه فلما نظره توسم فيه علامات التقى والصلاح فقربه اليه وكان احمد باشا المتسلم حاضراً· وكان القس بشاره يقص ماجرى له والباشا يوكد لسعادة الوزير ان قول القس صحيح فأمرا لوزير بكتابة بيورلدي الى عبدي باشا بالموصل يأمره ان يطرد وفد الدخيل ويطلق الحرية للقس بشاره كي يصلي في الكنيسة بالمناوبة مع اليعاقبة وسلم البيورلدي لجوخداره وامره ان يصحب القس بشاره الى الموصل ولا يعود الّم يجره فشكر له القس ودعا له وعاد ظافراً · · اما عبدي باشا فكان قد فرض علَى السجناء مائتين وخمسين كيساً وامر الوجوه منهم بجمع المبلغ فخرجوا من السجن محتاطين بالجنود بحالة يرثى له ولما ان قبض المبلغ سرّح القسوس

وبينما كان اصحاب الدخيل يطالبون المتسلم بالقس بشاره ليصلب اذا بالجوخدار عائد به من بغداد فقرأ الحاكم الاوامر علَى مسامعهم وامرهم بالعود الى

مرسلهم سريعاً · ثم عاد الجوخدار الى بغداد واخذ رسم خدمته · ففرح الكاثليكيون وانطلقوا بالقس بشاره الى الكنيسة وادوا الشكر لله ولمريم العذراء شفيعتهم (١)

اما البطريرك ميخائيل فلما سمع بهذا الحادث اخذ يناجي الله كي يشفق على شعبه ويغيثهم ثم بعث اليهم برسالة ابوية في ٣ آب سنة ١٧٨٦ فيها عزاهم وشجعهم وذكر لهم ان الشدائد من علامات المختارين فلا بد لتلاميذ المسيح من مقاساتها وعليه فيجب ان يفرحوا ويسروا بما عرض لهم · وكانت تلك الرسالة موجهة الى القسوس الخمسة والشماس بهنام وقدسي سنبل وخدر وعبد الله ونعمو ونعمه ويوسف والى خمسة عشر من الوجهاء وهم هندي ويونان وجبرائيل ومتى واسحق وجبرائيل اولاده والياس المقدسي عبد الكريم واخوه جرجس وفتحي : وبهنام سكر وجرجس رسام وعبد الواحد عبد الجليل والياس ابرهيم والياس قندلا وبهنام كوركجي وعُبيد (٢)

١٦٥ ثم ان عبدي باشا وبخ يعاقبة الموصل عَلَى مشاركتهم رهبان الزعفران في سجس الناس وازعاجهم · فلما سمع بذلك الأسقف عزو آخر رجوعه الى البلد · ولما أطلق اكابر شعبه من السجن احتجوا عَلَى الكاثليكيين وطردوهم من الكنيسة واقنعوا عبدي باشا فمنعهم عن التردد اليها ثم وعدهم بالاجابة الى طلبهم على ان يدفعوا له ستماية غرش وقبل انجاز وعده خرج الى مقاتلة الدواسن «اعني اليزيدية» فقتل هو واخوه وخمسون من رجاله في ٧ اذار سنة ١٧٨٦

١ عن رسالتهم المحفوظة في دير الشرفة

٢ عن رسالته المحفوظة في دار المطرانية بالموصل

الفصل الثامن

١٦٣ سعي الدخيل بواسطة وفده في رفع امره الى متسلم الموصل لازعاج القس بشاره وشعبه — حبس القسوس ووجوه الشعب — هرب القس بشاره الى بغداد سابحاً
١٦٤ اشفاق والي بغداد وانصافه — طرده وفد البطريرك — عودة القس بشاره ظافراً — اطلاق قسوسه — طرد الخصوم
تعزية السيد ميخائيل المضطهدين ١٦٥ توبيخ
وحبس الموصليين اصحاب الدخيل
قتل مرسل الموصل

١٦٣ ولنرجع الى اخبار البطريرك الدخيل فنقول : انه لما عاد المطران عبد الاحد شقيقه من الموصل خائباً مقهوراً وقص عليه ما جرى له امتلأ حنقاً على الكاثليك وحاول ان يثأر منهم · و بلغه ان احمد باشا الجليلي انحدر الى بغداد وولي المتسلم عبدي باشا الحكم في الموصل وحده · فبعث متي اثناء الصوم الكبير سنة ١٧٨٦ رهباناً الى الموصل حملهم فرمانه مع الهدايا الى عبدي باشا ليتجسسوا هل يوافقهم على التنكيل بالكاثليك ثم انهم فاتحوه والتمسوا ان يكره كلّ سريانيّ عَلَى طاعة البطريرك الدخيل والاّ فيعاقب العاصي بالنفي واتوه بالفرمان يسألونه تنفيده ثم قالوا له ان بطركنا يطلب ان تنتقم خاصةً من الراهب فشرو (هو القس بشاره اخطل وانما سموه فشرو ازدراءً) لانه افسد شعبنا في الموصل وقرقوش وخلعوا طاعته

اما القس بشاره فلما شعر بوصول رهبان الدخيل اجتمع بالبادري روفائيل

الدومنكي والخواجا الياس الحلبي الصراف والخواجه يوسف شقيقه وشاورهم في كيف يتملص من شرّ خصومه فرأوا ان يختفي عن الاعين او اذا امكنه فليهرب ٠ ثم ان جماعة السريان الكاثليك قصدوا المفتي والقاضي واعيان البلد المسلمين يتظلمون اليهم من تعدي الخصوم ٠ وذكروا لهم ان متى قبل خطفه البطريركية اختلس اموال كنائس الموصل ودير مار متى وغيرها وزرع فتنة حملت الحكومة على نفيه وبعد ذلك حنق عَلَى ميخائيل بطريركهم وتعدى عليه في ماردين والموصل وبغداد وخسره المال والعافية معاً كساً بذلك وزير بغداد وحكومة الموصل ٠ ثم بينوا لهم ان السريان الكاثليك مع انهم ليسوا من رعية البطريرك متى فهم يؤدون له الحقوق المسماة ابوية سنة فسنة

فوعدهم القاضي والمفتي والاعيان ان يفاوضوا عبدي باشا بامرهم ٠ لكنه بعد اطلاعهم على نص فرمان الدخيل قال لهم الوالي انه لا يمكن الاغضاء عن تنفيد منطوق الفرمان حذراً من المسؤولية ولا سيما لان احمد باشا غائب ٠ واذاع الخصوم ان القس بشاره سيطرح عما قليل في الزندان (وهو الحبس المدلهم تحت الارض) ويصلب ٠ وارسل المتسلم الشرط فقبضوا على قسوس الكاثليك ووجوه شعبهم وعددهم اثنا عشر وساقوهم الى حبس الزنجير ٠ بيد انهم لم يظفروا بالقس بشاره لانه هرب من باب سنجار متنكراً حاملاً ظرفين فاختفى في شقوق السور حتى المساء ولما ان خليت البرية من الناس اخذ يسير حتى وصل الى البساتين المطلة عَلَى نهر دجلة وكان طافحاً فوق الحد المألوف فغار القس بشاره وعزم عَلَى امرٍ لم يسبقه اليه غيره من الاقليرس وذلك انه انحدر الى النهر ونفخ الظرفين وشد ثيابه وركب عليها سابحاً قاصداً بغداد والمسافة اثنا عشر يوماً فوصلها

البطريرك ان يربطه وكتب الى روميه عنه · فورد الى السيد يوسف امر من المجمع المقدس بالذهاب الى مصر لخدمة جماعتها · وفي سنة ١٧٨٥ نفسها عزل المطران يوسف قدسي الخوري شكرالله من رئاسة الدير واقام عوضه كاهناً اخر اسمه القس ابراهيم ولبث هو مقيماً ببيروت حتى اوهن قواه ضعف الشيخوخة فتوفي سنة ١٧٧٩

اما الكتاب او المدرسة التي كان السيد جبرائيل فيزون قد افتتحها في دمشق بعد سنة ١٧٤٠ فكان الذي ولي ادارتها على عهد نيابة السيد يوسف قدسي القس انطون شقيقه ولما عجز هذا عن ادارتها : تولاّها من بعده الخوري يوسف اليان البغدادي · فلما اضحى هذا ايضاً عاجزاً أُقفلت المدرسة في نحو سنه ١٧٨٧ لانه لم يوجد معلم لها من السريان الكاثليكيين (١) · بل اوشك اولئك السريان ان يندثروا · والذين ثبتوا في الديانة الكاثليكية انتموا الى المرسلين وبعضهم اضحوا لاتينيين

١٦٢ وما كاد السيد ميخائيل يستقر في عزلته بكسروان حتى هب ارباب الديون لمطالبته ولاسيما اذ بلغهم انه اشترى محلاً فارسلوا يطالبونه بالحاح وبعضهم اغلظ له الكلام وبعضهم حولوا عليه اناساً يقبضون المال منه · وتوعده غيرهم بالحضور اليه مع شرطٍ وجنود وغيرهم اقبلوا الى حلب وضايقوا وكلاءه فاستدانوا دراهم بالرباء ليفوا دين البطريرك

وعلاوةً عَلَى ذلك : كانت تتوارد اليه اخبار متى الدخيل واضطهاده

---

١ عن سجل السيد ميخائيل الصغير المحفوظ في الشرفة

الكاثليكيين في بلاد ما بين النهرين وما يصيبهم من حبوس وضرب واهانات وغرامات وكان ذلك قد اوصلهم الى الفقر بعد ان كان جماعة منهم ذوي يسار فكتبوا اليه يسالونه اسعافاً وصدقات · فاحتار في نفسه وكان يرفع نظره الى العلي ويُلقي همه عليه قائلاً مع المزمر : خيراً صنعت معي لانك اذللتني لكي اتعلم حقوقك : ادباً ادبني الرب والى الموت لم يسلمني فاياه اشكر · فكان بهذه العبارات وامثالها يعزي نفسه الى ان استجابه الله وفتح له باباً وفى به ديونه ووسع دير السيدة كما سيأتي تفصيل الكلام

بطريركهم الجديد وساعدوه عَلَى استيجار ذلك المحل لمدة سنتين بعشرين غرشاً في السنة على ان يدفع قرشين الاَّ ثلثاً كل شهر بدءًا من شهر كانون الثاني سنة ١٧٨٤ وكان يعيش فيه عيشاً فقيراً (١) وبعد السنتين اعني سنة ١٧٨٦ اشترى المحل مع مايليه من حرش وارض من بائعه فارس بو انطون الشنيعي الغسطاوي بمبلغ الفين وخمس مائة غرش عَلَى ان يدفعه بين ثلاثة اقساط كل سنة قسطاً (٢) وجعله وقفاً عَلَى اسم مريم العذراء سيدة النجاة · لانه بشفاعتها نجا من اخطار الموت · وايد البابا بيوس السادس تلك الوقفية برسوم يأتي بيانه في محله وكان البطريرك البارّ حاملاً معه في اسفاره باسرها صورة العذراء عَلَى خشب وهي محفوظة الى اليوم في كنيسة دير سيدة النجاة

والتمس الشماس يعقوب بوزو من البطريرك معلمه ان يرخصه بالسفر الى ديار بكر وطنه بعد ان اقام عنده سنةً واحدة فاذن له وسلمه شهادة بحسن سلوكه وبعد سفره وافى من رومية القس عطا الله يازجي تلميذ برو بكندا حاملاً الى البطريرك براءة التأييد والباليون من لدن البابا بيوس السادس فتعزَّى وتقلد الباليون اول مرة في ٢٥ نيسان سنة ١٧٨٥ — ثم توجه القس عطا الله الى حلب في ١٥ ايار حاملاً شهادة من البطريرك موجهةً الى الخوري يوسف حجار نائبه

---

١ عن سند الايجار المحفوظ في الشرفة — وكان اول من شاد هذا المحل القس يوسف الطرابلسي الدويهي سنة ١٧٥٧ وجعله مدرسة للصبيان

٢ ذلك بموجب حجة شرعية مصدقة بتوقيع وختم الامير يوسف الشهابي تاريخها ١٥ ايلول سنة ١٧٨٦

١٦١ وتضايق السيد ميخائيل جداً من قلة المال وكتب الى اخصائه يستعطفهم فارسلوا اليه ما تيسر وورده من مصر من الخواجا حنا جروة شقيقه ستماية وخمسون غرشاً عَلَى ان يقدس عنه اربعة وستون قداساً يقيمها كل سنة من ينضوي الى الدير من الكهنة ما دام الدير قائماً · فاصدر البطريرك صكاً بذلك في ٣ تموز سنة ١٧٨٥ وبعث الخوري شكرالله براغيث وكيله في مصر آنية بيعية وقفاً من المومنين وبعث غيرهم من المحسنين دراهم او اثاثاً للدير

ولما استقر السيد ميخائيل في دير الشرفة وافى اليه من دير مار افرام عين الرغم السيد غريغوريوس يوسف قدسي والخوري شكرالله رئيس الدير المذكور وقدما له التهاني عَلَى سلامته فشكرهما : لكنه عاتب المطران على تاخره الى تلك الساعة وعلى تغاضيه عن استدعائه الى دير الرغم لما كان في حاجة الى ذلك حتى ان سليمان حاكم الشيبانية وهو غريب الجنس شفق اكثر منه وعزمه الى دير طائفته فاعتذر الاثنان ورجع الرئيس الى ديره والمطران الى بيروت حيث اعلن بخضوعه في صك كتبه بتاريخ ١٧ تشرين الثاني سنة ١٧٨٥

فاجابه البطريرك ووبخه على تركه الدير واقامته في بيروت بحالة لا تليق بمقامه وخاصةً لتعاطيه التجارة · فاعتذر ان مكثه في بيروت انما هو مراعاة لصحته ولتداخل الامير سليمان في شؤونه · ولم تكن هذه الحجج تقنع السيد ميخائيل جروه لعلمه ان ابتعاد المطران يوسف عن الدير لم يكن الاَّ لتعاطيه التجارة فامره بالعود الى الدير والاقتناع بما يرد اليه من رومية من وقف الاسقف سفر وهو مبلغ مائة وخمسين سكوتاً رومانياً راتباً سنوياً فلم ينتصح · فنوى

صابراً على العيش القشف وكان من اولياء الله · ومما ايد حسن ظنهم فيه ان الله اجرى على يده كرامةً وذلك ان عاصفة اشتدت وقلعت شجرة تين قديمة لامراةٍ فقيرة من بيت شباب · ولما كانت الامراة واثقةً بصلاة البطريرك اتته باناء ماء ملتمسةً ان يصلي عليه · فلما صلى رشت ذلك الماء على التينة وساعدها الناس على اعادتها الى محلها فتأصلت كما كانت قبلاً · فتعجب الناس وازدادوا اكراماً للبطريرك وحدث ان امراة قصدته وهي حاملة طفلاً ضريراً تسأله الصلوة عليه فصلى وقال لها : فليعطكِ الرب حسب ايمانك فابصر ولدها · وبعد سنواتٍ لما استقر البطريرك في دير سيدة النجاة بكسروان وافى اليه فتى وقبل يديه قائلاً : اما تعرفني ياسيدنا · قال : لا يابني · قال الفتى أتذكر امراةً اتتك ذات يوم بطفلٍ ضرير يوم كنت في بيت شباب فصليت عليه · قال : نعم اذكر · قال : انا هو والان ابصر فاتيتك شاكراً · فاجابه : ان الذين طلبوا صلاتي كثيرون فعلينا ان نسدي الشكر لله فقط لانه مصدر كل خير (١)

---

١ عن ترجمة حياته بقلم البطريرك بطرس جروه عن رواية الشيوخ من سكان لبنان

الفصل السابع

١٦٠ حضور نفر من اصحاب البطريرك اليه — وصولهم الى الشرفة في كسروان ثم شراؤه دير الشرفة — افتراق اصحابه منه ١٦١ اسعاف مصر للشراء المذكور — معاتبة السيد يوسف قدسي ورئيس دير الرغم — خبر هذا الدير والمدرسة المقامة في دمشق ١٦٢ مناهضة ارباب الديون للسيد ميخائيل — غمومه

١٦٠ كان خبر البطريرك ميخائيل قد انتشر في الانحاء القريبة فسارع اليه المطران ايونيس نعمة الله راجعاً من مصر ثم الشماس يعقوب بوزي الامدي وغيرهما · فلما رأى البطريرك ان قد ضاق المأوى بهم انتقل برفقائه في اواخر تشرين الثاني سنة ١٧٨٤ من بيت ذلك الفلاح الذي كان فيه الى جهات كسروان علّه يجد محلاً معتزلاً لسكناه فوجد في شرفةٍ مطلة عَلَى قرية ترعون او درعون محلاً حقيراً يشتمل على حجرة واحدة تعلوها غرفة فاستحب البطريرك ذلك المحل خاصة لقربه من بزمار حيث كان يعقوب بطريرك الارمن الكاثليكيين قد لجأ اليه سنة ١٧٤٩ وشاد فيه ديراً عَلَى اسم سيدة الانتقال · وخلفه البطريرك ميخائيل سنة ١٧٥٣ وبعده البطريرك غريغوريوس سنة ١٧٩١ فجعله مدرسةً كهنوتية

فلما قدم السيد ميخائيل الى درعون رحب به بطريرك الارمن والسيد ميخائيل حرب النائب البطريركي على الموارنة ثم السيد يوسف اسطيفان ·

ولا تنخدعوا بالسراب الذي خدعكم المفسد به (يريد السيد ميخائيل) بل اطيعوا السلطان واطيعوني · والا عاملتكم شر معاملة · فخافوا وجمعوا له مبلغا وبعثوا به اليه مع كتاب حاوٍ كلام توبيخ على جوره وكتبوا بتوقيع الخوري روفائيل والخوري جبرائيل زعتريه كتاباً الى السيد ميخائيل فيه قصوا عليه ما كتبه لهم الدخيل وما جاوبوه به · ثم نعوا اليه وفاة والده الشماس نعمة الله جروه موءكدين له انه انتقل انتقال القديسين وعزوه عَلَى هذا المصاب عن لسان لفيف الشعب · فاغتمّ ثمّ فوّض امره الى الله (١)

١٥٨ وفي سنة ١٧٨٤ كان القس جرجس جاجه قد عاد من حلب الى ماردين واتفق مع القس اصلان عَلَى خدمة النفوس قال الراوي (٢) وكنا نتمنى لهما فطنة في الكلام والحركة · فمنذ علم الدخيل بخبر القس جرجس استدعاه اليه وطفق يحاول رده الى معتقده القديم وامره ان يصلي معه فابى فرفع امره الى الحاكم فقال الحاكم للدخيل حسبك ما احدثت من الفتن الى الآن وطرده من امامه فرجع الى قلايته بخزي ولبث القس جرجس والقس اصلان يقدسان في بيتهما والناس يذهبون اليه سراً للصلوة ولم يجسر الدخيل عَلَى منعهم حتى بلغه يوماً ان ثلاثة منهم انتقلوا الى ديار بكر لقضاء العيد الكبير فيها وهم : الشماس يشوع خادم المطران بشاره · ويشوع زاخي · والشماس جرجس · فكتب الى عبدي باشا ان يقبض عليهم ويوءدبهم · فلما شعروا بالدسيسة ركنوا الى الهرب فافلت اثنان منهم

---

١ الرسالة محفوظة في خزانة الشرفة

٢ عن رسائل ماردين ولا سيما الياس حنا هندو الى السيد ميخائيل في ١١ حزيران ١٧٨٤ و ١ ايار سنة ١٧٨٥

وقُبض على يشوع زاخي فطُرح في سجن الزنجير وبعد ثمانية ايام غُرّم مائتي غرش وأُطلق سبيله

ولم ينكف اصحاب الدخيل في ماردين عن ازعاج المومنين فكان القس عبدالغني اليعقوبي يرصد بيت القس جرجس جاجة واوقف اثنين من اصحابه ليعرفاه بالذين يذهبون الى هناك للصلوة ولما عرفهم المطران عبدالاحد وشى بهم الى الحاكم ووعده بخمسماية غرش اذا اجبرهم علَى اتباع شقيقه فقبض في ١٣ ايلول على الكاهنين وعلى عشرة من جماعتهما وحبسهم اياماً ثم خلّى سبيلهم آمراً ان يطيعوا المطران عبدالاحد فاخذ المطران الكاهنين عنده واذاع انهما ندما وارتدا الى مذهبه وكان يحاول اجتذابهما اليه بالوعد والوعيد فلم يذعنا ٠ وكان القاضي يوافقه فارسلهما اليه٠ وبينما كان القاضي يعالج اقناعهما اذا بحاكم جديد اسمه عيسى بك اقبل من لدن والي بغداد ليتولى حكم ماردين فاقام في نصيبين وانفذ شرطاً القوا القبض على خمسة من الموظفين وقطعوا رؤوسهم فارسلها عيسى بك الى بغداد وفي جملتهم القاضي المذكور٠ ثم دخل البلد وتسلم الحكم فارتاح المومنون

١٥٩ وبينما كان السيد ميخائيل مقيماً في مأواه الفقري بلبنان دهمته شدائد جديدة كأن الله قصد بها ان يتمم امتحانه ٠ وذلك ان والي صيدا اقبل بعساكره الى محاربة يوسف شهاب امير جبل لبنان واستمرت عساكره سبعة اشهر في الجبل وعقب الحرب غلاء شديد ضايق الاهالي جداً حتى ايقنوا بالهلاك وحدث ان خمسين راهبة هربنَ من الساحل من وجه الجنود ولجأنَ الى ذلك الدير الذي كان البطريرك مقيماً به فالجأه الامر الى ان يخليه لهن من بعد اقامته فيه اربعة اشهر وينتقل الى بيت احد الفلاحين حيث اقام اربعة اشهر اخرى

والا فلا يجيز لهم بعدها ان يقدسوا في البيعة ثم رفع البطريرك الى المجمع المقدس الشكوى عَلَى المطران موسى وقال : لقد عذبني هذا الرجل اكثر من اليعاقبة فانه في مواجهته لي المرة الاولى اوهمني انه مطران الموصل ثم من بعد الرسامة البطريركية زعم انه مرتسم عَلَى حلب : واما رسامته مطرانًا فزعم انها كانت بيد البطريرك المتوفى ولدى التحقيق عُرف ان مدريانًا من اهالي الطور اقامه مطرانًا: هذا ما عدا القلق الذي هيجه في الموصل و بغداد

١٥٧ ولما ان هرب اصحاب البطريرك ميخائيل على ما قدمناوصل المطران عبد الاحد الى ماردين في مباديء الصوم الكبير سنة ١٧٨٤ وبرفقته جاويش من الباب العالي يحمل الفرمان الآمر بالنفي : فسأل المطران عبد الاحد قبل كل شيء عن المطارين موسى ونعمه فقيل له انهما اختفيا ثم لجأا الى الفرار · فكفَّ عن اخذ عبد المسيح كذا ونزل الى الموصل مع الجاويش والمطران متى اللشة · ولدى وصولهم هرب القس بشاره والقس نعمه الى جبال العمادية · فقصد المطران عبد الاحد الحاكم وقد اصحب معه الاسقف عزو وبعض الوجهاء وعرضوا عليه امرهم فارسلهم الى القاضي والمفتي وكان يتبعهم زهاء ثلاثمائة شخص فاستدعى الكاثليكيين فلم يمض منهم سوى خمسة رجال فقط · فلما وصل الجمهور الى المحكمة امر القاضي احد العلماء ان يقرأ الفرمان · وبعد قراءته سأل القاضي الخصوم : اليس مرادكم ارسال بشاره ونعمه الى المنفى · اجاب بعضهم : انهما هاربان وصاح الجمهور : ان هولاء فرنج وقد افسدوا طائفتنا في الموصل وغيرها · فاغتاظ وشتمهم وطردهم وهو يقول : انتم يعاقبة وهولاء سريان كما في الفرمان

فلا حق لكم عليهم فخرجوا مكسورين (١)

وبعد ايام بلغ القاضي والمفتي ان المطران عبد الاحد ورفقاءه عازمون على النزول الى بغداد · فاستدعياهم وقالا لهم : ما قصدكم من الذهاب الى بغداد : أعندكم غير هذا الفرمان · قالوا لا · قال القاضي وهذا الفرمان يخص الموصل ولا يتعدى حكمه الى بغداد · فقال الجاويش وانا كذلك مامور لكنهم التمسوا مني ان ارافقهم الى بغداد ووعدوني باجرة وافية قال المفتي : اذهبوا الى حيث شئتم ونحن نكتب الى سعاة الوالي انه لم يثبت لكم حق في الشرع انما انتم قوم مزوّرون واشرار قصدكم الافتراء وايقاع الضرر بالسريان الكاثليك كما عملتم سابقاً فامست تزويراتكم معلومة لدى الجميع · فلما سمع الجاويش هذ الكلام طفق يطلب اجرته لينصرف · وكتب القاضي اعلاماً والمفتي كتاباً الى حكومة ماردين مآلهما ان هذه الدعاوي كلها افتراء وتعدٍ فخجل المطران عبد الاحد ورجع الى ماردين خائباً وتبعه الجاويش حاملاً الاعلام والرسالة فسلمها للحاكم وطلب اجرة خدمته وكانت خمسة اكياس فجمعها الدخيل من شعبه وصرف الجاريش (٢)

هذا ما جرى قبيل هرب البطريرك من بغداد · فلما حبطت مساعي الدخيل في الموصل : وجه معاداته الى الحلبين اثناء عروج السيد ميخائيل الى لبنان فكتب اليهم في سنة ١٧٨٤ نفسها قال : أرسلوا لنا حقوق الزدق والنورية

١ عن رساله الشعب الى البطريرك سنة ١٧٨٤ وهي محفوظة في الشرفة وعن غيرها في دير الذومنيكان برومية الى البادري يوسف موريس بتاريخ ٢ ايار سنة ١٧٨٤

١ عن رسالة الشماس جرجس الحلبي في ٢٢ نيسان سنة ١٧٨٤ المحفوظة في دير الشرفة

الفصل السادس

١٥٦ خبر شتات اصحاب البطريرك — ١٥٧ نتيجة فرمان النفي في ماردين والموصل تدبير الحلبيين للنجاة — نعي والده اليه — ١٥٨ إزعاج الدخيل ابن جاجه وزميله بماردين — جواب الحاكم له — ازعاجه غيرهم بديار بكر ثم بماردين — الراحة بنصب حاكم جديد — ١٥٩ حدوث كرامة عَلَى يد البطريرك

١٥٦ ثم ان ايونيس نعمه احد الاساقفة الذين كانوا كرسوا السيد ميخائيل بطريركاً تمكن من ان يهرب من ماردين الى حلب ثم توجه الى مصر فلما بلغ السيد ميخائيل الى لبنان ايد السيد ايونيس مطراناً عَلَى دمشق وراشيا فقبلوه بتوسط امراء راشيا · وكان القائم برئاستها قبله كاهن كان اسمه يعقوب فابطله منها بمنشور تاريخه ١٥ حزيران واثبتها للمطران ايونيس الاسقف اقليميس ابراهيم الصدي من ماردين حتى وصل الى البنك حيث ضايقه اليعاقبة فنكث عهوده وارتد اليهم ولجأ المطران موسى صباغ الى عبد القادر اغا بماردين واختفى في حجرة مظلمة في بيته · ثم هرب بزي ساع حامل رسائل الى الجزيرة وزاخو راجلاً · وكان المؤمنون في زاخو في قلق لما بلغهم من اخبار التنكيل بالبطريرك فهدأ المطران موسى روعهم باخباره عنه · وكتب انه وجد في زاخو يوم قدومه اليها مائة وثمانين عائلة · وكان شعبها السريان

في نحو سنة ١٧١٥ اربعمائة عائلة · وبعدها ضايقهم امراء الاكراد والحكام فتفرقوا لاجئين الى الجزيرة وماردين والموصل وجبال كردستان واختلطوا مع النساطرة والكلدان · اما اهتداؤهم الى الكنيسة الكاثليكية فبدأ منذ عهد البادري بُلدو سُلديني سنة ١٧٦٠ وفي سنة ١٧٩٥ تكثلكوا جميعاً · فبعد ان اقام المطران موسى واحداً وثلاثين يوماً في زاخو انتقل الى الموصل ونزل في بيت الشماس هرمزد الكلداني ولبث لديه سبعة عشر يوماً · لكنه تصرف بما ليس من حقه لانه ادّعى بكونه مطران الموصل ورسم عدة شمامسة فحدثت فتنة بين الشمامسة الصغار الذين رسمهم والشمامسة الذين قبلهم · ثم نزل الى بغداد واقام في بيت الاب انطون الراهب اللبناني نحو سنة ونصف بينما كان انصار متى الدخيل يرصدونه ليلقوه في السجن · اخيراً سافر الى دمشق عَلَى طريق القفر بهمة المرسلين الكرمليين يوسف وفوليجنسيوس · ومن دمشق انتقل الى حلب وفيها انضمّ اليه راهبان اقبلا من ماردين هرباً من اضطهاد الدخيل وهما الربان ايليا والربان جرجس جاجه ثم لحق باثرهما الربان توما من ديار بكر فاقاموا بحلب محتجبين عن اعين الناس اما الدخيل فبعث رهبانه في طلبهم فطمست عنه اخبارهم فارسل اخيراً راهباً حلبياً اسمه جرجس بن يوسف السيار ليلقي القبض عليهم ويؤذي الشعب الحلبي بسببهم كما سترى مفصلاً ولا سيما لان المطران موسى افضت به الجسارة الى ان سأل البطريرك ميخائيل ان يعطيه مطرانية حلب ولم يكن الشعب يريده وحدث من جرا ذلك بعض السجس · فكتب السيد ميخائيل من لبنان الى الرهبان الثلاثة بتاريخ ١٥ ايار سنة ١٧٨٥ يامرهم بالمصير اليه عَلَى طريق طرابلس او بيروت معاول فقل يحضر :

قريتيم (١) ومنها ركبوا حميراً واستأجروا اناساً مسلحين ساروا معهم يومين حتى وصلوا يوم السبت ليلة عيد الشعانين الى قرية للمسلمين بجوار دمشق تدعى عدرا فلم يقبلهم فيها احد في بيته وهم لا يريدون الدخول الى المدينة حذراً من بطريرك الروم المشاقين او مطران اليعاقبة · و بعد يومين حنّ عليهم احدهم فاخذهم ليلاً الى قرية للمسلمين ايضاً تبعد نصف ساعة عن دمشق فاختبأوا يومين الى ان سخر الله رجلاً اركبهم حميراً واخذهم الى طريق الجبل فوصلوا يوم السبت ليلة عيد القيامة سنة ١٧٨٤ الى قرية بيت شباب قرب بكفيا في تخوم مقاطعة الشيبانية التي فيها دير مار افرام عين الرغم فنزلوا في دير حقير مهدم وهم في حالة حركت اهل القريه الى الشفقة عليهم فاكرموا مثواهم وقدموا لهم طعاماً

١٥٥ وبلغ سليمان امير الشيبانية خبر قدوم البطريرك · وكان هذا الامير مستقوياً على المقيمين في دير مار افرام عين الرغم · فاوفد احدهم وهو القس انطون شقيق السيد يوسف قدمي اليه برسالة يدعوه فيها الى الدير · فشق على البطريرك ان يدعوه الغريب الى دير لطائفته ورفض الدعوة وقال انه يطلب محلاً يقيم فيه براحة بعيداً عن كل مجس · وبعث من محله رسالةً الى رئيس المجمع المقدس يخبره فيها عن حاله

٢٦٤ ولكي يحيط القارىء علماً بشيء من الاضرار التي الحقها الدخيل بالبطريرك ميخائيل نذكرهنا جملة ماصرفه كما وجدنا في دفتر حساباته من يوم خروجه من حلب في آخر تشرين الثاني سنة ١٧٨١ حتى قدومه الى لبنان

---

١ كذا اسم هذه البلدة في تواريخ ابن العبري

سنة ١٧٨٤ فكان ٦٤٥٣ غرشاً ونصف شاهية · ومصروفه في الموصل وفي اوردي سليمان باشا واخيه محمد باشا وعيسى بيك وعلى شيخ طي ٣١٧٦ غرشاً وعشر شواهي ومن حيث المجموع ٤٩٦٢٩ وعشر شواهي ونصف · ولما كان سعر مثقال الذهب يومئذ نحو اربعة غروش وجد ان جملة المصروف اثنا عشر الفاً واربعمائة وسبعة مثاقيل ذهب

١٥٤ وفي خلال ذلك وصل وفد الدخيل الى العاصمة فهب بطريرك الارمن لمساعدتهم وقصد اولياء الامر وقدم لهم الهدايا · وكان الصدر الاعظم قد وعد والي بغداد والسفير الفرنساوي بصدور البراءة بتأييد السيد ميخائيل · ولكن البطريرك كان عاجزاً عن دفع المبلغ المطلوب لاصدارها · وحاول السفير استحصالها مجاناً فلم ينجح بل ان الصدر الاعظم عاد فوافق بطريرك الارمن فكانت اواخر الامر شراً من اوائله وذلك انه صدر الحكم بنفي ثلاثين شخصاً اعني البطريرك ميخائيل ورفاقه الى قلعة وان في حدود العجم مع ان عدد المطلوب نفيهم اولاً كان ثمانية عشر وأُيد ذلك الختم بفرمان كتبه سراً وسريعاً· وكان الكيسدار في الباب العالي اسمه مصطفى افندي فاخبر اصدقاء الكاثليكيين بالمكيدة فاعلموا السفير الفرنساوي والسفير النمساوي فاقنعا الصدر ان ينزل عدد المنفيين الى خمسة وان يكون البطريرك المغبوط سابعهم وهم المطران نعمه والمطران موسى وعيسى بن جرجس كدا والقس نعمه صايغ والقس بشاره اخطل (١)

فاستلم المطران عبد الاحد الفرمان في ١٠ شباط سنة ١٧٨٤ وتهيأ للعود الى ديار بكر · اما السفير الفرنساوي والنائب الرسولي والقس الياس دب فاخبروا البادري روفائيل المرسل الدومنكي بالموصل بذلك بل كتبوا الى البطريرك ميخائيل انه بسعي بطريرك الارمن المنوفستيين قد صدر الامر الشديد بنفيه ونفي حاشيته وان المطران عبد الاحد استلم الفرمان وعما قليل ينقلب راجعاً الى

---

١ رسالة القس الياس دب من العاصمة في ١١ شباط سنة ١٧٨٤ وهي بدير الشرفة

بغداد صحبة رجل من قبل الدولة لينفذ الامر والحوا على البطريرك المغبوط بالفرار عاجلاً (١) من بغداد وحال وصول الخبر الى البادري الدومنكي كتب الى البطريرك يحثه على الهرب قبل حلول الخطر · فاستدعى البطريرك اهل ثقته وسالهم ان يجمعوا له اسعافاً ويوسطوا اناساً ليقولوا للوالي ان البطريرك شيخ لا رغبة له في البطريركية وليس عنده ما يكفي لنفقة البراءة · وبناء عليه فيلتمس ان يخلّى سبيله ليذهب الى حيث يشاء فتراءف الوالي على شيخوخته وسمح له بالهرب فغادر بغداد بعد ان اقام فيها سبعة اشهر واستصحب اثنين من تلاميذه وهما الشماس توما الامدي والشماس زكريا ابن الخوري اسحق القطربلي المعروف بالامدي وتزيوا بزيء العرب وساروا راجلين مسافة ساعتين حتى وصلوا الى موضع الفوا جمالاً سريعة السير فاستاجروها بماية ذهب وركبوها لاول مرّة ولم ياخذوا معهم فراشاً ولا ثياباً ولا زاداً سوى قليل من الارز والسمن وسار بهم الجمال في تلك المفاوز الشاسعة المحلة ليلاً ونهاراً وهم على عدد خطواتهم يهجسون في الوحوش الضارية والعرب السالبين · وكانوا كلما لمحوا بعضاً منهم احتجبوا في بعض الاودية · وبعد مسير خمسة عشر يوماً وصلوا الى تدمر بحالة يرثى لها وقد اضناهم التعب والسهر والجوع ودميت افخاذهم لمداومة الركوب واذا بهم قد سمعوا ان والي دمشق يتتبع ايوب فامتنعوا عن السير الى ما قدام وارادوا الرجوع · فكان البطريرك يبكي ويبتهل الى الله ويستغيث بمريم العذراء ويلتمس من اصحاب الهجن ان لا يتركوه فشفق عليه احدهم واركبه جمله الى بلدة

١ رسالة البادري روفائيل الى البطريرك ميخائيل خاصة دير الشرفة

الاسطبل ٠ ولما بلغت اخبارهم الى بغداد سعى الكاثليكيون لدى واليها فكتب الى حاكم ماردين ليخلي سبيلهم فاخذ منهم كفيلاً وسرحهم وتمكن احدهم وهو الشماس يعقوب بوزو من الهرب بعد ان حبس خمس دفعات ونزل الى الموصل ثم الى بغداد والتقى بالبطريرك معلمه واخبره بما جرى له ولرفقائه وقال ان بعضهم تغرموا في ايام الحاكم الجديد سبع مرات (١) كل ذلك بسعي الدخيل وشقيقه المطرن عبد الاحد

١٥٣١ فشق ذلك على البادري اغناطيوس الكرملي وتوجه الى الموصل ليجمع اسعافاً للبطريرك وقص عليهم ان الدخيل ساعٍ في استحصال فرمان بنفي البطريرك المغبوط واخصائه ٠ فاخذوا كتاب توصية من مفتي الموصل الى مهردار بغداد في تشرين الثاني سنة ١٧٨٣ ووعدوه بالف ذهب علاوة على الالفي ذهب التي كانوا وعدوه بها ان استحصل فرمان البطريركيه كما قدمنا ٠ ويد مؤمنو بغداد وعد الموصليين للوالي فطلب بتوسط احمد باشا شقيقه وعيسى بك وكيله وايد الطلب هو بنفسه ان يدفعوا له خمسة وعشرين الف غرش ٠ فحار البطريرك بامره واستمد من الرب ان يلهمه ما فيه الخير ثم استشار اخصاءه فقر الرأي على اعلام الوالي بان ذلك ليس في الامكان

ونقل الارمن المراطقة تلك الاخبار الى متى الدخيل فخشي ان يفلت البطريرك المغبوط من بين يديه واجتمع بمطران ديار بكر الارمني على السعي بنفي البطريرك وخمسة عشر من انصاره واوفد اخاه المطران والقس ايليا القطربلي

---

١ عن سجل السيد ميخائيل المحفوظ في دير الشرفة

واسحق الموصلي بوسائل الى بطريرك الارمن في العاصمة فيها يعلمه بعزم والي بغداد ويستنجده على نفي المذكورين · ثم وجه عزمه الى ازعاج كاثليك الموصل فسلم فرمان بطريركيته لعزو اسقفه وبعثه لينوب عنه باجرائه ثم · ولما وصل الى الموصل الفي ان سليمان باشا الجليلي واليها قد عين الى الرها ومصطفى باشا حاكم الرها قد عين للموصل فعرض عليه عزو قائلاً : ان سريان الموصل عصوا بطريركنا وتفرنجوا· وها انهم يحترمون البابا وقسوسهم يحلقون هامتهم ويتركون شعرهم كاكليل ويحللون اكل لحم الخنزير · فارسل الوالي جنوده وطردوا الكاثليكيين من الكنائس والقوا القبض على القس بشاره مقدامهم وعلى نفر من شعبه وزجوهم في السجن والبقية اختفوا· ثم اوقف القس بشاره في المحكمة وسئل عما شكي به · فتشجع قائلاً : ان احترامنا للبابا كاحترامنا لسائر القسوس والرهبان حسب وصية الانجيل الشريف · واما الدائرة المحلوقة في هامتي فلاجل الصحة وقد تكون للمسلم والنصراني وسمى رجلاً حمامياً من المسلمين له مثلها فاستدعوه وصدقوا القس بشاره· قال واما لحم الخنزير فلا آكله وسمى شاهدين من اليعاقبة احدهما نجار شيخ اسمه ايوب معروفة عائلته باسمه الى اليوم فحقق قوله واكد ان القس بشاره ليس فرنجياً وانما يحرض الناس على عبادة الله واجتناب الشرور · فخجل الخصوم وطردهم المتسلم·

اما المتكثلكون فبعد حبسهم اياماً غرمهم عشره اكياس واطلقهم فقالوا للمتسلم لقد ظلمونا وحبسونا وغرمونا فهل نبقى بلا كنيسة ايضاً· فشفق عليهم واخذ منهم ثلاثة اكياس ايضاً وردهم الى الكنيسة سنة ١٧٨٤ (١)

---

١ عن رسالة شعب الموصل محفوظة في اوراق دير الشرفة

قنصل البندقية المستوطن حلب قد كتبت الى داود اغا الصراف بشأن نجاة البطريرك فانضم الى الجمعية فقرروا انه يجب الاستعجال في انقاذ البطريرك ووسطوا لدى الوالي يعقوب اغا صرافه مستمنحين الرخصة للبطريرك بالسفر · فقال انه ناوٍ ان يستحصل له براءة و يخلصه وطلب لذلك خمسة وعشرين الف غرش نفقةً

اما البطريرك فكان في خلال ذلك يعظ و يرشد المؤمنين لانه لم يكن في بغداد الا قسيس كلداني اميّ وآخر ارمني من تلاميذ دير بزمار وثلاثة رهبان كرمليين اثنان يجهلان العربية والثالث يقيم غالباً بالبصرة · ولذلك كانت الناس تتقاطر افواجاً لسماع كلامه

١٥٢ اما متى الدخيل وشقيقه فلم يفترا من قصد حاكم ماردين ووالي ديار بكر لازعاج الكاثليكيين وهاك ماكتبه الى البطريرك ميخائيل بتاريخ ٥ نيسان سنة ١٧٨٣ في هذا الشان الياس حنا هندو ابن عم متى الدخيل قال « قد توجه الدخيل في بدء الصوم الكبير الى ديار بكر صحبة ابراهيم الامدي مطرانها ورجع المطران عبد الاحد اخوه الى ماردين حيث لايزال يتعدى علَى الكاثليكيين فلما دنت ايام الفصح وصّى في البيعة ان كل سرياني لايكمل فصحه عند اليعاقبة يعاقب بشدة وشكا الى الحاكم مطراني الارمن الكاثليك والكلدان بانهما يقبلان شعبه في كنائسهما فحبسهما الوالي وقبل ان يؤذيهما بلغه امر عزله من منصبه فاطلق المطرانين وقال للدخيل دبر امرك مع جماعتك انت بنفسك · وعليه فساغ لجماعتنا الكاثليك ان يأخذوا الفصح لدى الكلدان لانهم يقدسون علَى الخمير · وما كانوا يخرجون من الكنيسة حتى وصل من بغداد

جوخدار بأوامر بعزل الحاكم ونصب صاري احمد اغا بدله فتكدر من ذلك المطران عبد الاحد وقضى ذلك اليوم في قلايته ولم يدخل البيعة فاتخذ الكاثليكيون عزل الوالي ونصب خليفته عنايةً ربانية فتعزوا »

اما المطران عبد الاحد فتوجه الى الموصل بعد عيد القيامة وطرد الكاثليكيين من الكنائس وحبس قسوسهم واكابرهم وغرمهم عشرة اكياس ثم جمع دراهم شعبه في الموصل وزاخو والجزيرة · اما الكاثليك فلم يكونوا يكترثون لمصابهم بل لمصاب بطريركهم المحبوب فكتبوا الى والي بغداد انهم يدفعون مائتي ذهب اذا استحصل له براءة البطريركية · فوعدهم الوالي وطمنهم وذاع الخبر حتى بلغ الدخيل بواسطة الارمن جواسيسه فعزم عَلَى استحصال امر بنفي البطريرك واخصائه ومن ثم عاد الى ماردين ورشى الحاكم فقبض على اخصائه البطريرك وهم المطران نعمه والمطران موسى وتوما وايليا الرهبان وثلاثة قسوس والشماس يعقوب بوزو الامدي تلميذ البطريرك وبعض الشمامسة والخواجا يوسف الصراف · وحبسهم جميعاً في سجن الزنجيل واراد ان يحبس ايضاً بطرس مطران الارمن لانه كان يقبلهم في كنيسته فلم يجسر لان المطران المذكور كان حاصلاً عَلَى بيورلدي من سليمان باشا وزير بغداد فغرمه مالاً وعفا عنه اما السريان فضرب كل منهم فلقاً وغرموا الفين وخمسماية غرش وخلاهم الجند في الخان حتى جمعوا المبلغ ثم اخذوا منهم كفلاء لئلا يهربوا وسرحوهم

وبعد مدة وجيزة عاد الدخيل الى حكايته ورفع الشكوى على الكهنة الكاثليكيين فابيح له ان يسوقهم الى قلايته ويحلق اكاليل رؤوسهم ثم اكرههم عَلَى الصلاة في بيعة الاربعين فامتنعوا فساقهم الى دير الزعفران وحبسهم في

الفصل الخامس

سعي المواصلة في نجاة البطريرك — سعي خصومه في اهلاكه — نزوله الى بغداد — اجتماع المؤمنين لانقاذه — ١٥٢ ازعاج الخصوم شعب ماردين بفرصة الفصح — فشلهم بعزل الحاكم — إزعاجهم الموصليين — همة الموصليين ومخاوفهم لانقاذ البطريرك عزم الدخيل استحصال فرمان في نفيه واصحابه — إزعاجه اصحاب البطريرك ضربه القسوس والشمامسة وتغريمهم وحلقه وحبسه اياهم في الزعفران ثم في سجن ماردين ١٥٣ جمع اسعاف لمنكوبي ماردين — سعي الموصليين والبغداديين في إنقاذ البطريرك — وفد الدخيل الى العاصمة شكاياتهم — القبض على القس بشارة تكذيبه الافتراء اطلاقه وتأييد حقوقه في الكنيسة ١٥٤ صدور فرمان النفي — تنزيل عدد المطلوب نفيهم الى خمسة — هرب البطريرك — اختفاء اصحابه سفره الى لبنان ١٥٥ رفض البطريرك الذهاب الى دير الزعفران — دفتر خسائر البطريرك

١٥١ اما ما كان من السيد ميخائيل فان شعب الموصل اجمع على ايجاد وسائل لنجاته واكثروا الكتب الى بغداد الى بدروس اغا كرجي باشي الوالي يستنجدونه ويستنهضون همته حتى كتب الى البطريرك نفسه يقول قد رفعنا مسألتكم الى اعتاب افندينا سليمان باشا الوالي فسمح بنزولكم الى بغداد لمواجهته فانه مستعد للسعي في استحصال براءة بتأييد رئاستكم وتنكيس خصمكم فعجلوا اليها سفركم ·

ووعدنا افندينا ايضاً ان يكتب الى مفتي الموصل موعزاً اليه ان يرسلكم الى بغداد سالمين . واتفق آنئذٍ قدوم رجل كاثليكي من اشراف تفليس يقال له ايلجى اراكيل خان وكان قاصداً بغداد لزيارة سليمان باشا وزيرها . وفي زعم قومٍ انه شقيقه فلما اجتاز بديار بكر وعلم السريان الكاثليكيون به: اخبروا المرسلين وبطريرك الكلدان فرافقوهم للتسليم عليه . فاخبروه بمصاب البطريرك ميخائيل والتمسوا شفاعته فيه لدى شقيقه فوعدهم . ثم منذ وصوله الى بغداد انجز وعده . فدعا الوالي الكاثليكيين اليه وكرر وعده لهم وامرهم ان يكتبوا الى بطريركهم ويستقدموه سريعاً (١)

ومن الجهة الاخرى كان الدخيل مستاءً من ميل شعب الموصل الى خصمه ومن الوالي عَلَى نجاته وتأييد رئاسته . فبعث بهدايا الى ارمن بغداد ليوزعوها عَلَى حاشية الوالي من اجل اجراء فرمانه وابادة خصمه . فاوعز الوالي الى حاكم الموصل ان يرسل السيد ميخائيل اليه محفوظاً . فاضطر الى السفر في ٢٦ تموز سنة ١٧٨٣ وكان ذلك على كاثك اثناء شدة الحر بعد بقائه اثنين وستين يوماً في الموصل . وكان وصوله بعد مسير خمسة عشر يوماً فنزل في دار المرسلين . وفي ايسر وقت اقبل موسيو روسل قنصل فرنسا والمرسلون الى زيارته معوجوه الكاثلكيين وسائر الشعب يعدونه ببذل وسعهم لمساعدته . وفي اليوم السادس لوصوله جمع اليه اهل الثقة من كل الطوائف مع القنصل الفرنساوي وبدروس اغا كرجي باشي والخواجات استپان قشيشو وقسطنطين ليستشيرهم . وكان

---

١ عن رسالة البطريرك الى الحلبيين وهي محفوظة بين اثاره في الشرفة

الله«١»وذاع هذا الخبر فرغب الناس في الكثلكة

١٥٠ وبلغت هذه الاخبار الى الدخيل وهو في ديار بكر لان انصاره كتبوا من الموصل يعرفونه بميل الناس الى السيد ميخائيل فحنق على الحاكم لانه سمح لخصمه بالذهاب الى الموصل فاخذ يسعى في ابعاده منها · ولهذه الغاية انفذ رجلاً من لدنه الى بغداد يستعين بمركار اغا والكسان اغا الارمنين فاتفقا مع الرسول والثلاثة قدموا مائتي غرش وهدية الى المهردار : ومائتي غرش الى عثمان افندي المكتوبجي ليسعيا في اخذ السيد ميخائيل الى بغداد لكي يُقتل او ينفى بعيداً

اما المطران عبد الاحد اخو الدخيل فكان مجدًّا في اذلال المومنين فانطلق الى ديار بكر بمبلغ جزيل حيث اتفق مع ورتبيت الارمن المشاقين وقدم الاثنان رشوةً الى الوالي · فألقى القبض على القسوس وعلى وجوه الشعب فزجوا في السجن وكان يطلب ان يعذَّبوا ويغرَّموا اموالا · فنهض الخوري يعقوب القطربلي الى مقاومته وكان يفند ضلالته ويعذله على جوره · فاغتاظ المطران منه وعزم علَى ابادته ولاسيما لان الدخيل كان قد ارسله لخبرته بكتب الملافنة والعلم (٢) : ليجادل السيد ميخائيل جروة فغلب ببراهينه واهتدى · ولهذا السبب رفعه المطران عبد الاحد الى ديوان الوالي فزجه في السجن و بالغ في التنكيل به ليرجع الى طاعة الدخيل فلم يفعل · بل قال له بحضور الوالي · لو

---

١ عن القس الياس سنبل عن جرجس ابيه : قصها عليَّ اكثر من مرة فاذا هي هي دون زيادة ولا نقصان

٢ رسامة هذا الكاهن في شهر تشرين الثاني سنة ١٧٧٣ كما في كتاب الرسامات لدير الزعفران ومن مؤلفاته كتاب غرماطيق سرياني نفيس

انك تابع دين المسيح حقيقةً لاصغيت الى بيناتي وارشدتني ببرهان الكلام لا ببرهان العسف والجور فلم يستطع ان يجيبه وانما قال للوالي اني اطلب ان تعاملوه حسب منطوق الفرمان الذي بيدي · فاصدر الوالي امراً ايده في المحكمة بشنقه بناء عَلَى عصيانه عَلَى فرمان السلطان وللوقت ساقه الجنود الى باب البلد المعروف بباب ماردين وهو يجاهر بالمعتقد القويم ويرغب القوم فيه بنصائح مكرَّرة الى ان وضع الحبل في عنقه · وبينما هو يصرخ انا مسيحي يايسوع استودعك روحي · سحب الكرسي من تحت قدميه فقضى في ٢٦ كانون الثاني سنة ١٧٨٣

وكانت سيماء التقوى عَلَى سحنته فبكاه الحاضرون حتى الاسلام فتشهدوا قائلين لا حول ولا قوة الا بالله · لقد كان هذا الرجل بريًا وميتته عجيبة ورجعوا وهم يتاسفون ويشتمون الذي وشى به ظلما · وبعد وفاته كتب يوسف الثالث بطريرك الكلدان والبادري يعقوب رئيس الكبوشيين الى البطريرك ميخائيل فوصفا له استشهاده وحثاه ان يخبر المجمع المقدس ليعتني بدرجه بين الطوباويين «١»

---

١ الرسالتان محفوظتان بين الآثار في الشرفة · حيث كتب البطريرك يوسف الى السيد ميخائيل بتاريخ ٥ شباط والبادري يعقوب في ٢ اذار سنة ١٧٨٣ ! انه منذ تسعة ايام قُتل الخوري يعقوب بسعي المطران عبدالاحد ووربتيت الارمن والمسلمون حتى اليوم يقولون ان ميتته عجيبة · وبالحقيقة لانه ضاهى الشهداء الاولين ببسالته وتقواه فلا بد من نجاحكم لان دم الشهداء بذار الايمان

فانهكه التعب والسهر وشدة الحر • ومنذ شعر المومنون بوصوله كفلوه من سليمان باشـا الجليلي حاكم الموصل واسرع الخواجا جبرائيل بن يونان صديقه فانزله عن دابته وادخله الى بيته (١) وهو بين حي وميت وقد ادركته حمى شديدة لم تفارقه مدة اسابيع • ومع ذلك هرع المومنون الى زيارته والتبرك منه كاحد الشهداء الاولين • وخاصة القس بشارة فتعانقا طويلاً وكذلك الكهنة ووجوه الشعب فسروا جميعاً بمشاهدة حالته المرثي لها وكانوا يقبلون يديه ذارفين الدموع مكتئبين • وتعزى البطريرك بالقسوس لما عرّفه القس بشارة انهم يجدّون في ارشاد الشعب اناء الليل والنهار

وحضر اليه بعض اليعاقبة فادهشهم بحلاوة حديثه وكريم اخلاقه وسديد كلامه فلما خرجوا من عنده اخذوا يقولون : لعمرنا لم نر في من عرفناهم من الاباء اكثر جدارة من هذا بالمقام البطريركي ولذلك اعتنق اكثرهم الكثلكة (٢) وتكثلك كذلك ابان اقامته بالموصل اكثر النساطرة وسموا كلداناً

١٤٩ ومن عجيب ماحدث عَلَى يد هذا البطريرك القديس اثناء اقامته بالموصل ان غلاماً كان يتعلم صناعة الرسم لدى عائلة ججو (جرجس) سنبل من بيت فتحي كان قد رُضّ صدره وعصب بلفائف • فهذا سخره استاذه وكان كاثليكياً ان يحمل سمكة الى دار جبرائيل بن يونان حيث كان البطريرك

١ هو بالقرت من حمام الوادي و يقال له اليوم بيت سلمون

٢ كتب السيد ميخائيل من بغداد في ١ تشرين الثاني سنة ١٧٨٣ الى القس الياس شدياق قائلاً : ان جماعة الموصل كثيرون والكهنة ساعون في الليل والنهار مجدون عَلَى جذب الشعب وانا بنفسي حين وجودي هناك جذبت بعضهم وحللتهم وكانوا كل يوم يقصدوني و يسمعون ارشادي (راجع رسائله خاصةً دير الشرفة)

ميخائيل · فلما دخل دهليز الدار صاح البطريرك : من في الدهليز وكان الدهليز طويلاً بحيث لم يتمكن من ان يعرف او يسمع مايصير فيه · فاجابه اهل الدار ان هو الا فتى حامل سمكة · قال البطريرك فليأتِ اليَّ · وحكى بجو عن نفسه قال : رقيت الدرج وانا خجلان من ثيابي القصيرة ومن قدمي الحافيتين فتقدمت احبو على ركبتي ويدي حتى وصلت الى البطريرك المغبوط فلثمت يده فسألني ابن من انت فقلت ابن فتحي الصباغ · قال لي اسألك عن الدين الذي تنتمي اليه قلت انا مسيحي «يريد كاثليكي» ابن البيعة المقدسة · قال اي وهذا لم تشكو قلت اشكو وجعاً في صدري وذلك اني كنت يوماً عائداً من النهر الى البلد حاملاً كارة خام مقصور فحولتها عن ظهري ووضعتها على جرف لاستريح قليلا وبينما كنت مستلقياً تحت لحف الجرف تهوَّر ووقعت الكارة على صدري فرضته ومذ ذاك لم انل العافية وهذا صدري لايزال مرضوضاً مربوطاً باللفائف فاخرج البطريرك الصليب من عبه وطفق يصلي مناجياً المصلوب قائلاً بحق جروحك بحق دمك الكريم · ثم اتم صلاته بصوت خافت مثلما يمنح الكاهن الحلة في الاعتراف · وفي تلك الحال رأيته قد ارتفع عن الارض حتى فرغ من ابتهاله فوجد في محله فالتفت الي بالصليب وامرني ان اقبله · فلما قبلته قال لي ها انك معافيً فاذهب بسلام · فنهضتُ ونزلتُ من الدرج وانا فرحان · ولكي امتحن نفسي عدوتُ الى حمام قرة علي على قدمٍ واحد ومنها الى بيعة الطاهرة · فلما رآني معلمي سألني : مادهاك اخائف · قلت لا بل فرحان وقصصت الحادثة عليه وعلى رفاقي · فحل اللفائف صدري فوجدني حقيقةً معافيً فتدعل ومجد

الفصل الرابع

١٤٨ اطلاق البطريرك وذويه من السجن—سوقهم الى الزعفران — اعادتهم
الى البلد—اجتماعهم— تعيين وكيل لملاحظة امرهم—التنكيل بالسجناء
السعي بنفي البطريرك—وصوله الى الموصل مريضاً—تبرك
المومنين منه ١٤٩ عجيب ما حدث له في الموصل
١٥٠ سعي الدخيل بقتله او نفيه — ازعاج
المومنين بديار بكر— صلب كاهن عالم
حنق الاشهاد عَلَى المسبب

١٤٨ وكان الكاثليكيون بماردين متعضين ومتأسفين عَلَى السجناء ولاسيما عَلَى غبطة البطريرك وبادر الوجوه الى نجدته بالالتماس والترغيب وبذل المال فدفعوا الف غرش غرامة وصرفوا ثلاثماية غرش على الذين شفعوا فيهم فخلى الحاكم سبيلهم فاقاموا في دار الخواجا يوسف الارمني صراف الحاكم تحت الحفظ فلما علم الدخيل عاد الى قصته واحتال حتى نال ان يساقوا بالعصي والسيوف والشتم والاهانة الى قلايته في بيعة الاربعين ثم الى دير الزعفران ناوياً ان يفتك بهم بواسطة اناس من طور عبدين علمهم ان يكمنوا لهم الا ان العناية الالهية انقذتهم من الخطر فبلغوا الدير وزجوا في اسطبل الدواب وعذبوا ثلاثة عشر يوماً. فعلم المارديniون ورفعوا الامر الى الحاكم مستمنحين اطلاقهم فحنق الحاكم عَلَى متى الدخيل وارسل الجند فاختطفوا البطريرك وحاشيته واتوا بهم الى حبس الحكومة حيث ظلوا خمسة اشهر حتى عُزل عيسى بك فاطلقوا

وكان البطريرك المغبوط ينظر الى مستقبل الامور بعين الفطنة والاستدراك واختلى في ٦ ايار سنه ١٧٨٢ بثقاته وهم : السيد بدروس مطران الارمن والسيد شمعون مطران الكلدان · والمطران نعمه واغناطيوس المرسل الكرملي والشماس جرجس عركوس والخواجات حنا وخليل رومي وعبد المسيح كدا ويونان عاشقه و يعقوب بربس ويونان اسهاك فتداولوا بما ينبغي ان يتخذوا من التدابير لنصر الديانة الكاثليكية · فرأوا ان يقصد الخواجا عبد المسيح كدا اولياء الامر في ماردين وديار بكر وبغداد ويكاتبهم بالمسئلة (١) ليعالجوها بما يرونه مناسباً · بيد ان ذلك لم يجدهم خيراً وذلك لانه قدم ماردين حاكم جديد استماله الدخيل ودفع له اربعماية غرش فسلمه البطريرك ميخائيل ورفاقه ثانية فاخذهم الى بيعة الاربعين حيث حلق روؤسهم وجلد كلاً منهم ثلاثماية سوط : واطلقهم متوعداً اياهم ان يبيدهم · لكنه ابقى البطريرك لديه موثوقاً بالسلاسل مدة ثمانيه ايام : اذ كان يسعى في نفيه الى الخاتونية وهي قرية سيئة الهواء في وسط بحيرةٍ في القفر قدام جبل سنجار وقد قصد ان يعدمه الحيوة غدراً بايدي الاكراد او برداءة الهواء · فلما شعر المومنون بالدسيسة : خافوا علَى البطريرك : فاستدانوا دراهم ودفعوها الى الحاكم علَى ان ينفيه الى الموصل بدلاً من الخاتونية · فامر الجنود وعرب بني عقيل ان ياخذوه اليها · ورافقه الشماس زكريا ابن الخوري اسحق الامدي القطربلي اعز تلاميذه وكان قد اهتدى علَى يده بماردين (٢) فساروا به الليل والنهار حتى اوصلوه في خمسة ايام : والمسافة مسير عشرة ايام عادةً ·

١ عن كراسة الصكوك للسيد ميخائيل خاصة قلاية حلب

٢ هو الذي اقامه بعد ذلك قسيساً ثم مطرانا

لكلامه بكتاب قديم وصف هيئته فأتوا به من الدير بامر الحاكم : فاذا هو كتاب بيث كاز يدعونه الشيخ لقدمه : فوجدت التقديسات فيه دون اضافة الصلب وحضر قسوس من انصار متى استخرجوا معناها الى العربية فكان كما قال السيد ميخائيل

ثم بيّن كذب خصومه بزعمهم ان جميع البطاركة السابقين كانوا منذ عهد المسيح يعاقبة · على ان هذه الكلمه منسوبة الى رجل اسمه يعقوب البرادعي ظهر في المائة السادسة من التاريخ المسيحي وللتحقيق طلب ان ياتوه بكتاب ترجمة حياة يعقوب فلما ابرزوها قرأ فيها هو والخصوم فاذا الكلام كما ادّعى : فأُبكم الاضداد ولم يجيبوا بكلمة · حتى ساغ للسيد ميخائيل ان يردف : فهل من ريب في ان خصمي مزوّر حتى بكتب مذهبه ومرائي وجائر

ثم قال السيد ميخائيل ان خصمي يعذلني على اسماء السبعة الملحدين على انه يعتبرهم ايمة واولياء اما انا فارفضهم من حيث انه لا ذكر لهم في مصاف الحواريين وليسوا سريانًا بل ان اكثرهم من الروم وقد حرمهم الروم لادخالهم الانقسام والفتنة بين النصارى السريان خاصةً وعليه فكيف اوافقه في اكرامهم وانتحل مذهبًا هذا شأنه · وعند هذا الكلام لم يبقَ احد من اولي الامر والاعيان الا برّاه وعذل خصمه واخذ المفتي والقاضي ينهون ويزجرون متى الدخيل وتباعه عن تسمية السيد ميخائيل وتباعه فرنجًا وعن اضافة الصلب وذكر السبعة · وطلب السيد ميخائيل اعلامًا بانه ليس فرنجيًا لا هو ولا المنتمون اليه · واعطاه القاضي ذلك الاعلام وهو محفوظ بين اوراقه في مدرسة الشرفة الى اليوم

غير ان الحاكم رغمًا عن تبرئته للسيد ميخائيل امر بارجاعه الى السجن عملاً

بالبراءة السلطانية وكان السجان يعذبهم ويهينهم لرشوة اخذها من الخصم

وحال رجوع السيد ميخائيل الى سجنه كتب في ٢٥ شباط سنة ١٧٨٢ الى قسوسه وشعبه في ديار بكر يخبرهم بالمجادلة ويحثهم على ان يشرحوا هذا التعليم للشعب · وذاع خبر المجادلة في ديار بكر حتى في المحكمة واستصوب المتسلم والقاضي والمفتي كلام السيد ميخائيل وسألوا بعضاً من اليعقوبية ان يقرّروا التقديسات الثلاث فقرّرها احدهم ولما اتى عليها وقال يامن صلبت لاجلنا انتهره المتسلم قائلاً «اسكت هذا كفر» ثم صرفهم موصياً اياهم ان لا يعيدوا الكفر ولا يذكروا اسماء الزعماء السبعة (١)

---

١ عن رسالة شعب ديار بكر في ٢٥ شباط سنة ١٧٨٢ الى السيد ميخائيل واليك نصها: «كتابكم في رذل السبعة المحرومين وحذف يامن صلبت لاجلنا قد قرئ في ديوان الحكم امام القاضي والمتسلم والمفتي · قبلوه اكثر الجماعة وقليلون رفضوه فحبسهم في الزنجير · سالنا عن معناها فاستصوبوها · ثم سال المحبوسين: كيف كانت سابقا · فلما قالوها · قالوا اسكتوا هذا كفر واطلق سبيلهم بامر صارم على ان يتبعوا امركم واثبتها المتسلم بخطه وختمه

بها السبيل لترأسه · وختموا وهم ينذرونه بالعدل الالهي وبشدة الحساب امام الله· وذكروه بقول السيد المسيح لهُ المجد انه لم يدخل الى حظيرة الخراف من باب الحق : بل كاللص المتسوّر من باب العناد والظلم

واقبل الدخيل من امد الى ماردين وهو يفتخر بالبراءة المعطاة له ومنذ وصوله سجلها وطلب عيسى بيك الحاكم ليجري الاوامر التي فيها ومع البراءة قدم عرضحالا باسم انصاره خطاباً الى الحاكم والمفتي والاغوات : محمود الاوده باشي ومحمد السريدار وحسين وعلي وقاسم · وكتب في العرضحال ماياتي : « اننا منذ عهد سيدنا عيسى بن مريم نصارى : وقد قام لنا مائة وثلاثون بطريركاً جميعهم يعاقبة من مذهبنا والان جسر البعض منا وصاروا فرنجاً : ومرادهم ضبط كنيستنا كما فعلوا بحلب · وعلامتهم هي انهم يبيحون اكل لحم الخنزير : ويحلقون قمة رأسهم ويحترمون البابا · ولكي تتحققوا قولنا اعرضوا عليهم ان يشتموا البابا : فاذا اطاعوكم كان مدّعانا كذباً والا فعقابهم غرامة خمس مايه كيس مالاً وقطع راس ميخو الراهب « يريد به السيد ميخائيل ازدراءً» لان نصبه هو سبب فتن وفساد وتعطيل وخلل في انجيل الشريف · بناءً عليه نلتمس تأييد بطريركنا ورفع ميخو الراهب حسب منطوق البراءة الصادرة في شأنه

وحينئذٍ ترى من يمكنه ان يصف مـا المّ بالسيد ميخائيل من الهوان ولا ينفطر فؤاده · لان الحاكم انفذ في ٢٠ شباط سنة ١٧٨٢ فرقةً من الجنود في طلبه فامسكوه هو والذين وجدوهم عنده وهم المطران نعمه الصددي والمطران موسى الصباغ الحلبي والربان ايليا والربان توما والقس جرجس دجاجه والشماس

توما سعيد· فساقوهم وهم مشهرون عليهم السلاح بعد ان اشبعوهم شتماً وضرباً· ولدى وصولهم الى السراي قُرئت البراءة عَلَى رؤوس الاشهاد · وشرع الدخيل بعد القراءة يعدد شكاياته كما في العرضحال · والسيد ميخائيل يستعين بالرب ويستغيث بمريم العذراء في قلبه حتى قال انه مستعد لتفنيدها واحدة فواحدة كافتراء محض · غير ان الحاكم أَجل ذلك الى يوم آخر وامر ان يتسلم الدخيل الكنائس والدير : وان يُزج السيد ميخائيل ورفقته في حبس الزنجير الصعب بعد ان اهانهم · وذهب الدخيل برفقة الاغوات والجنود الى كنيسة الاربعين شهيداً والقديسة شموني ومار ميخائيل : بينما كان انصاره يطربون فرحاً والكاثليكيون ولاسيما السريان يغتمون : والجند يشتمونهم ويقولون لهم · ويحكم اننا سنحبس ونقتل ونصلب كل الذين يأبون طاعة البطريرك متى · ثم توجهوا الى الدير وسلموه اياه وعلاوةً عَلَى هذا كان انصار الدخيل يقدمون كل يوم دفتر اسماء سبعة او ثمانية من الكاثليكيين : فيسوقهم الجند الى الحاكم فيكرههم عَلَى اتباع متى· فاذا ابوا ضُربوا وأُهينوا وغُرموا

١٤٧ وفي اثناء ذلك حضر الدخيل الى محكمة الشرع وحضر ايضاً الحاكم والمفتي والاعيان : وجاء الجنود بالسيد ميخائيل من سجنه مكبلاً بالسلاسل وهو يبتهل الى الروح القدس ان يلهمه ما يفوه به فطفق يبين : انه ليس بفرنجي كما اتهمه الخصم لا هو ولا اتباعه : لا بالولادة والسحنة : ولا بالزي والقبعة : ولا باللسان والتبعية · وكان الحاضرون يشهدون له بهز الراس وبقولهم قد صدق

ثم دخلوا في البحث عن مسالة عبارة الصلب المزيدة على التقديسات الثلاثية · ففسرها وابان انها مستحدثة لم تكن معروفة عند الاولين واستشهد

الهرطوقي من ذلك فرصة للادّعاء على ان المتكثلكين هم فرنج اعداء الدولة

فلما وصل الى العاصمة رسل متى الدخيل تراموا على قدمي ايونيس همدان البطريرك الارمني واعلنوا انهم ينتمون اليه ويكونون له عبيداً هم وشعبهم اذا نصرهم على السريان الكاثليك فاستكبر في نفسه ووعدهم بالاجابة الى طلبهم واخذ منهم صكاً بانجاز وعدهم ثم قدموا له هدايا من المال الذي كان الدخيل وشقيقه قد سرقاه من حجرة البطريرك المتوفى على ما قدمنا

وكانت البراءة بالبطريركية قد دُفعت الى الكاتب لكي يبيضها باسم السيد ميخائيل فتمكن بطريرك الارمن بمساعدة بطريرك الروم من تأخير كتابتها وبدسيسته وافكه تصدّرت معنونة باسم متى بدلاً من ميخائيل مع ان والي بغداد كان قد كتب ثلاث دفعات انهاء بتأييد السيد ميخائيل بطريركاً وكان قد استوفى خرج البراءة ثلاث مرات من البطريرك المشار اليه · ثم سعى الهراطقة ان يعلق على البراءة هذا الحكم اعني انه حيثما قرئت البراءة يُجبر كل سرياني على اتباع مذهب متى والاذعان لامره وكل من يخالفه ينزل به العقاب الشديد · ثم ارسل بطريرك الارمن يبشر مطران اليعاقبة بديار بكر بصدور البراءة باسم متى · فاخبر مطران ديار بكر عبدي باشا ووعده بمبالغ وافرة اذا نفذها · فاستدعى الوالي متى من طور عبدين ورحب به وطمنه بوصول البراءة عما قليل

وما عتم ان عاد من العاصمة الوفد اليعقوبي حاملاً البراءة فسجلت بعد ان قرئت بحضور الدخيل وذلك في شباط سنة ١٧٨٢ والبسه الوالي خلعة ورجع متى الى الكنيسة محفوفاً بالاغوات وجند الوالي وطرد منها الكاثليكيين · ثم اوعز الى الوالي ان يلقي القبض على جميع القسوس والشعب المكتوبة اسماؤهم في

المضبطة التي رُقمت لتأييد البطريرك ميخائيل ويكرههم على اتباعه· ولما امتنع اكثرهم أمر بضربهم وزجهم في سجن الزنجيل اياماً ثم غرّمهم مالاً وافراً واطلقهم وفعل مثل ذلك بالذين كانوا تبعوا السيد ميخائيل في قرى ديار بكر ولاسيما في قطربل ونكل بهم اشد التنكيل والزمهم باتباع متى · وكان ثم كاهن اسمه اسحق هذا لما شاهد صبر الكاثليكيين وجور الجائرين حمله ذلك علَى المجاهرة بالكثلكة فسجن واصيب بمر العذاب ولم يرتد عن عزمه · وبلغ امره الى البطريرك ميخائيل فكتب اليه يثني علَى صدق معتقده ويحرضه علَى الثبات · ثم دله علَى الخوري يشوع قوّاق ليثقفه في العقائد الكاثليكية · وكتب السيد ميخائيل صكاً في اول اذار سنة ١٧٨٢ (١) فيه اقام نائباً عنه في آمد ونواحيها الخوري يشوع المذكور ليسوس المومنين في تلك الاحوال الصعبة

١٤٦ ثم ان الدخيل كتب الى الحلبيين يتملقهم ويتهددهم عسام ان ان يميلوا الى حزبه : فقال « اننا بامر الله والسلطان نلنا البراءة وضبطنا الولاية علَى طائفة السريان في كل انحائها : وانتم لم تعرفوا بنفسكم · مع ان الاخبار بلغتكم كلها تفصيلاً · فاذكروا انكم خرّبتم بيوتكم بدفعكم المصاريف من اجل الحبس · · · انا · فالويل للذي اطغاكم · · · · وبذلك يشير الى البطريرك ميخائيل » · فالأن اطيعوا الله وأطيعوني وارتدوا عن طريقة الفرنج · واتخذوا ماحدث للاولين عبرةً لكم · وهم الذين رفعهم السلطان الى القلعة (بأذنه) · وختم كلامه مداهناً متوعداً

وكان جواب الحلبيين : تعديدهم الطرائق الزورية والفرّيسية التي مهّد

١ عن رسالة البطريرك ميخائيل بهذا التاريخ وهي محفوظة في دير الشرفة

ملتمسين منه ان يرسل اليهم كهنة لاستماع اعترافاتهم ومناولتهم الأوخارستيا في الفرصة الفصحية · ولكنهم كانوا يجهلون تلك الفريضة بالكلية · وانجلى للبطريرك المغبوط ان طلبتهم مكيدة فاجل الاجابة اليها

ثم انه قدم الى ماردين حاكم جديد طرد العصاة واعاد الأمن الى البلد · وكان البطريرك ميخائيل قد سير الى المجمع المقدس رسائل فيها اعرض حاله للحبر الروماني مار بيوس السادس ووصف ما جرى له منذ تكريسه بطريركاً واستمد تأييد انتخابه · وكان جان باتستا مطران بابل اللاتيني متوجهاً اذ ذاك الى روميه فوكل اليه السيد ميخائيل ان يلتمس له الباليوم والبراءة الرسوليه · فسرّ المطران بهذه الوكالة ولدى وصوله الى رومية اثنى امام الحبر الاعظم والمجمع المقدس عَلَى مزايا البطريرك ومناقبه الشريفة فعقد الحبر الروماني مجمع الكرادلة لتأييده في ١٥ كانون الاول سنة ١٧٨٣

اما انصار متى الدخيل فنالوا رسالة من عبدي باشا الى وزير بغداد مآلها تأييد المطران متى بطريركاً وكتبوا الى مركار اغا الارمني وكيل الشركة الانكليزية في بغداد ليؤيد طلبهم لانه كان قد ساعدهم غير مرّة عَلَى انجاز مقاصدهم و بعثوا تينك الرسالتين مع رجل متنكر اما البطريرك ميخائيل فسعى لدى قنصل الانكليز بحلب فكتب الى مركار الاّ يتداخل في مثل هذه الامور · فلما وصل رسول اليعاقبة الى بغداد لم يلتفت اليه مركار اغا فاضطر الرسول ان يتوجه الى الرسول راساً ليسلمه رسالة عبدي باشا فما كان من حشم الوزير الا انهم احتقروا الرسول وامتهنوه ومزقوا الرسالة وتهددوه بالحبس فاختفى ثم انقلب راجعاً

وبعد سبعة عشر يوماً أُرسل حليم افندي جوخدار ولاية بغداد الى ماردين ليفحص الخلاف الواقع بين الفئة التابعة للبطريرك ميخائيل والفيئه المتعصبة للدخيل . فلما وصل الى ماردين اختلى باكابر الشعب وسأل احدهم حنا هندو : اي البطريركين تريدون . فقصوا عليه حقيقة الامر وقالوا : اننا لانقبل بطريركاً علينا الا السيد ميخائيل جروه وقد كتبنا الى الباب العالي مسترحمين براءة باسمه . ثم سلموه اربعماية وخمسين غرشاً ليستحصل عرضاً من الوزير ويذهب به الى العاصمة فيكون وسيلة الى نيل البراءة المطلوبة عاجلاً

١٤٥ فلما درى بذلك متى الدخيل ارسل الى العاصمة حالاً شقيقه المطران عبد الاحد صحبة قسيسين احدهما ايليا القطربلي وكتب الى بطريرك الارمن اليعاقبة ليغيثهم . وكان ذلك البطريرك الارمني قد اضطهد سنة ١٧٨١ المهتدين من طائفته الى الايمان الكاثليكي في العاصمة ونواحيها ثم استقال في شهر حزيران وخلفه بطريرك آخر قاسٍ مثله اسمه وانيس همدان . فاقسم لهذا البطريرك بالله العظيم ان لا يفتر من التنكيل بالكاثليكيين ولو سفك دمه حتى يستأصل شأفتهم وساعدته الظروف على الفوز باربه فزجّ البعض ولا سيما اثنين من بورسه في السجن واستولى على اربع كنائس كانت للارمن الكاثليك في مدينة انقرة ونال امراً بارسال قسوسهم الى المنفى فعظم الامر جداً لدى سفراء الدول في العصمة حتى انهم لم يعودوا يرون سبيلاً لاغاثة الكاثليكيين المستجيرين بهم . ومما سهل للبطريرك الارمني المنوفستي ان ينتصر على الارمن الكاثليك هو ان القائم برئاسة جماعة الارمن الكاثليك في مدينة انقره كان حينئذٍ اسقفاً نائباً رسولياً من جماعة اللاتين ولم يكن ارمنياً فاتخذ البطريرك

وعيالنا قدامك فلا تسمح ان يقوم بطريركاً علينا غيرك. فها قد صرتُ كما وعدتكم. ولما كان لا بد لمسئلتي من مال يبذل للحكام وللفرمان فابذلوا همتكم واجمعوا لي مبلغاً كبيراً يسدّ هذه الحاجة وارسلوه اليَّ عاجلاً ». فاجابوه « اننا لا ندفع ولا فلساً واحداً » والسبب هو ما كان قد بلغ حاكم الموصل من ان متى الدخيل وعد باشا ديار بكر بمبلغ ثمانية عشر كيساً ومثله لغيره. فحمله ذلك على طلب شيء له ايضا من الموصليين

الفصل الثالث

١٤٤ هجوم الاكراد على ماردين وحاكمها — خوف البطريرك — ازدياد الرعب في الفصح رسائله الى روميه—رسائل الدخيل الى والي بغداد— فشله بسعي الحلبيين— مناصرة ميخائيل ١٤٥ توسيط الدخيل لوالي ديار بكر—انفاذه رسلاً الى العاصمة—اضطهاد الارمن فيها—نيله البراءة—نجدة والي ديار بكر—اجراؤه البراءة—التنكيل بالكاثليكيين—اهتداء كاهن—تشجيع البطريرك ١٤٦ تملق الدخيل للحلبيين—جوابهم—قدومه الى ماردين—رفعه عرضحالا اقترائياً مع براءته—البطريرك واصحابه الى المحكمة والسجن—ضبط الكنائس ١٤٧ مدافعة البطريرك — تفنيده مزاعم الدخيل—اعطاؤه اعلاماً شرعياً بتأييد كلامه ارجاعه الى السجن — وصول اخباره الى ديار بكر — تأييد اولي الامر كلامه وزجرهم حزب الدخيل

١٤٤ ولما كانت الاحوال على ماتقدم هجمت فرقة من الاكراد اعداء الحاكم عليه ليلاً وقتلوا الحراس ونهبوا السراي واقبلوا على البطريرك يريدون منه مالاً والا فيقتلونه . فالتزم ان يستدين و يعطيهم . فاغتنم الفرصة متى الدخيل ورشى الاكراد ليهجموا على السيد البطريرك و يقتلوه بحجة انه فرنجي غريب البلاد . فباغتوه وألفوه يقدس بالطقس والزيّ السرياني فعرفه احدهم وكان قد رافقه يوم سفره من حلب الى ماردين فانصرفوا ولم يأذوه بشيء

ولما حل ايام الفصح حضر نصارى طور عبدين الى البطريرك ميخائيل

روميه قد أُرسل الى القسطنطينيه من اجل كنائس حلب · فكتب اليه يامره بالسعي في استحصال فرمان البطريركيه وشفع الرسالة بتوصيات من لدن سليمان باشا وزير بغداد ومن عيسى بيك حاكم ماردين وقد صرف عليهما ٨٢٥٠ غرشاً تمهيداً للامر

وبعد هذا توجه السيد ميخائيل في غرة كانون الثاني سنة ١٧٨٢ برفقة الاساقفة ووجوه الشعب الى دير الزعفران وبحضورهم كتب دفتر كل موجودات الدير من كتب واثاث وآنية في دفتر خصوصي ورجعوا الى البلد · وفي ٢٢ كانون ٢ المعين لتكريسه انطلق الى الدير ايضاً بموكب حافل من مطارين السريان وشمعون مطران الكلدان وبطرس عازار مطران الارمن والبادري اغناطيوس الكرملي المرسل الرسولي ولفيف الاقليرس والرهبان وتبعهم جمهور كبير من سائر الطوائف · ومنذ وصولهم دخلوا الكنيسة وابتدأُوا الحفلة بدعوة روح القدس

ثم انتصب مطران الارمن والقى خطاباً بليغاً في شرف ووجوب المحبة المسيحية · ثم كرَّس المطارين الاربعة السيد المنتخب بطريركاً انطاكياً على طايفة السريان جمعاء وهو بعمر اثنتين وخمسين سنة وتسعة وثمانين يوماً · فلما سلموه العصا الرَّعوية ورفعوه بالكرسي · تلا انجيل الراعي الصالح حتى قولهِ تعالى · انا هو الراعي الصالح ورعيتي تعرفني · وحينئذ طوى الكتاب والقى خطاباً ابوياً عجيباً في وجوب الوحدة في كنيسة المسيح اي ان تكون الرعية واحدة لراع واحد وهو المسيح في السماء ونائبه المنظور على الارض الحبر الروماني

وان الخارج عن هذه الكنيسة سائر في طريق الهلاك · ثم بين ما هي حقوق الحبر الروماني وما هي حقوق البطاركة · وكان الجمع الحاضر يشهد له انه يقول الحق ويذرف دموع الفرح · حتى خرجوا وقد املوا زوال كل ضلال وشقاق من طائفة السريان

١٤٣ وفي تلك الاثناء غاب المطران متى والمطران عبد الاحد وعُرف انهما هربا بانصارهما الى مذيات لاثارة اهالي طور عبدين · وكان الناس قد رجعوا بعد الرسامة الى ماردين وبعد يومين تبعهم البطريرك ميخائيل · فلما بلغه خبر متى تشاءم من ذهابه الى اولئك الاقوام فدعته الفطنة الى الانتقال من بيت الى بيت ابتغاء ان يكون محله مجهولاً عن الخصوم · وكان المطران متى قد ذهب الى قلّث قريةٍ بطور عبدين يستغيث بعثمان اغا ويوسف اغا زعيمي الاكراد وبرؤساء العشائر فاوصوا به عبدي باشا والي ديار بكر المعروف في العاصمة بسقاّ اوغلي ووعدوه بمالٍ يصيبه من متى اذا اقيم بطريركاً · فاعطاهم عهداً بمساعدته ولذلك اقبل متى على ترقية اربعة من القسوس الى درجة الاسقفية في ٢ شباط سنة ١٧٨٢ وقد اتصلت بنا معرفة ثلاثة منهم وهم الراهب ابراهيم الامديّ والموصليان الربان موسى اللثة والقس عزو المتزوج فبقي اسم الرابع مجهولاً لدينا · وهولاء الاساقفة الاربعة اقاموا المتزوج متى المذكور بطريركاً دخيلاً اي غير شرعي كما اقرّ هو نفسه اذ كتب الى السيد ميخائيل يخبره ويتهدده حتى قال : انه نصب بعده بطريركاً بمدة ثلاثة عشر يوماً · ووجه الى الابريشيات السريانية اليعقوبية منشوراً فيه يعلن لهم انه صار بطركاً · وفي جملة ما كتبه الى انصاره بالموصل قوله « قد كتبتم لي اننا نحن واموالنا

ولما بلغت هذه الاخبار الى شعب الموصل كتبوا الى السيد ميخائيل رسالة بتاريخ ١٩ كانون الاول سنة ١٧٨١ موقّع عليها بختوم ثمانية قسوس وخمسة وسبعين من وجوه الشعب يقولون له فيها : نهنيكم بوصولكم الى ماردين ونسأل الله ان ينصركم على ابراج اريحا السبعة اعني بها زعماء البدعة السبعة · واعلموا ان الذين ختموا عندنا لمتى المعكوس قليلون ومن عامة الشعب · وهم لو كان فيهم خير لخلصوا هذا الرجل من يد افندينا الحاكم لما حبسه وغرّمه مالاً واخرجه من الموصل منفياً · واما القس عزّو الذي استقدمه من الموصل فهو شيطان متجسم وذئب بزي خروف وما قصده منه الا تحريك الفتن · واما الربان الياس تلميذ متى فوعدنا قبل سفره بموافقتكم وعلى هذا الشرط سمحنا له بالسفر لان لنا عليه وعلى معلمه دعوى كبيرة وهي طلب عشرين كيساً مالاً عاونه على اختلاسها من دير مار متى ولهذا فنحن الموصليين لا نكف عنه بل اذا رجع خليفة بغداد (واليها) نعرف كيف ندبر ثم نخبركم انه قد ارتد عنا اثنان ولكن اهتدى عوضهما ستة احسن منهما · واما عدد المتفقين معنا في قرقوش خمساية عائلة وفي برطلّي ماية وفي بعشيقا خمس وعشرون وفي العقر عشر عائلات وشعب زاخو جميعهم كاثليك · اما في الموصل فمن شعب خورنية الطاهرة مايتان وخمسون عائلة ومن خورنية مار توما ماية وستون وماية وخمسون عائلة وعدوا بانهم يتبعوننا اذا ثبتت البطريركية لكم علماً منهم برياء متى وسوء تصرفه ومنذ الآن انقطعوا عن الصلوة مع شعبهم

وبعد ثلاثين يوماً وردت الاوامر من بغداد الى حاكم ماردين بان يسند السيد ميخائيل ويسلمه دير الزعفران ويردع اضداده · وارسل له خلعة اي فروة مع رسالة

يقول فيها انه رفع الى الباب العالي انهاءً يعقبه لامحالة الفرمان المؤيد البطريركية له فدعا الحاكم من ساعته السيد ميخائيل والبسه الفروة فرجع الى كنيسة الاربعين يحف به موكب من الاغوات والجند وجمهور من انصاره٠ الوف من ورائه والوف من قدامه ٠ وحينئذ تبعه بشاره مطران القدس ونعمة الله مطران دمشق والمطران موسى صباغ الحلبي والاسقف اقليميس ابراهيم نعلبند الصدي

١٤٢ وكان اول مادبرهُ المنتخب ان يقرر اتباعه ولا سيما المطارين الاربعة المستعدين لتكريسه بطريركاً دستور الايمان القويم الذي رتبه البابا اربانس الثامن فنزلوا الى بيعة الاربعين وقرروا صورة الايمان المذكورة قدام صورة المصلوب وايقونة مريم العذراء الواحد بعد الاخر ٠ وكان اولهم الياس بن حنا هندو من قرابة البطريرك اندراوس والاسقف سفر (١) فحله السيد ميخائيل قبل المجمع ٠ ثم تلاهُ الكهنة من الرهبان : الربان شمعون شيرواني الامدي : والربان يعقوب ابن الشماس صروخان الامدي : والربان توما الصدي : والربان عبد المسيح الموصلي ٠ وبعد هولاء قررهُ المطارين الاربعة المار ذكرهم وغيرهم كثيرون واعترف كل من المذكورين اعترافاً عاماً

وكان القس الياس شدياق الحلبي تلميذ برو بكندا وكيل السيد ميخائيل في

١ في رسالة للسيد ميخائيل تاريخها سنة ١٧٩٥ الى هذا الياس هندي كتب ان اكبر سرورنا هو انك بكرنا في الايمان الكاثليكي اذ حللناك قبل الجميع — وفي رسالة لالياس عدد ١٧٨٤ دعا الدخيل ابن عمه

فازدادوا صياحاً وهياجاً واشتد الشغب · عند ذلك ترك السيد ميخائيل كنيسة الاربعين واعتزل في احد البيوت وقد عزم على الرجوع الى حلب · فلما بلغ الخبر الى انصاره اقبلوا اليه يستعطفونه · وحثوه علَى ان يطيل اناته ويتربص فيكرس الكنائس تاييداً للكثلكة قبل مرور الفرصة · وطلبوا في ذلك رخصةً من الحاكم وكان اسمه عيسى بيك فاذن السيد ميخائيل وانطلق الى بيعة القديسة شموني وشرع يقدس فيها وكهنته يقدسون في بقية الكنائس لان شعبها تكثلك ومثل هذا جرى في كنيسة ديار بكر وفي قرية قطربل الكبيرة (١)

١ عن رسالة البادري منصور روفو Ruvo بهذا التاريخ وهي محفوظة في الشرفة

الفصل الثاني

١٤١ قلق متي — استمالته مطران القدس اليه — تهييجه اناس القرى — رفع الدعوى الى والي بغداد — تأييد المنتخب من شعب الموصل ومن والي بغداد — اتفاق اكثر المطارنة معه ١٤٢ تقرير كثيرين دستور الايمان — تقديمهم اعترافًا عامًا توصيات في بغداد والعاصمة لنيل البراءة — حفلة تكريس المنتخب في دير الزعفران — ارتعاش الشعب ١٤٣ اعتزال متى — اقامته اساقفة من الرهبان فنصبهم اياه بطريركاً في قلاث نجدة والي ديار بكر له — نشره خبره في الابرشيات — فشل انصاره — تطاول الموصليين عليهم

١٤١ وفي اثناء ذلك كان قلب متي يتضرم حسداً وهو يريد حجةً لزرع الشر وما زال عَلَى هذا حتى قدم المطران بشارة آتياً من القدس · فسبق انصار متي واستمالوه الى حزبهم وطفقوا يهيجون اهالي القرى المحيطة فتجمهروا في السراي ورفعوا شكواهم الى الحاكم مدّعين ان المنتخب الجديد فرنجي عدو الدولة والمسلمين ففتحوا بهذا سبيلاً الى تضرير الفريقين · غير انه لما كان الفريق الكاثليكي اكبر ورأوا ان قد حان وقت الجهاد لاجراء توحيد الكلمة في الطائفة · استدانوا مبلغاً وافراً من المال وقدموا قسماً منه الى اولي الامر بماردين لكي يعضدوهم وخصصوا القسم الآخر لينفق عَلَى نيل براءة بطريركية · فكتبوا الى والي بغداد من حيث ان حكم ماردين تحت امره واستمدوا منه المساعدة بانهاء يرفعه الى الباب العالي تأييداً للسيد ميخائل

هندي · ويوسف حمصي (١) ثم اقام الخوري شكر الله براغيث نائباً عنه في القطر المصري (٢) وفيما كان على اهبة السفر وافاه الجواب من المجمع المقدس يوعز اليه ان لايؤخر سفره عسى ان يبطل الشقاق بنصبه اذا ما عادت بطريركية السريان الى صيرة البيعة الجامعة

١٤٠ ولما دنت الساعة لمغادرة السيد ميخائيل حلب: اجتمع بالكهنة ووعظهم وحرضهم على اتقان خدمة النفوس والكنيسة مدة غيابه واوصاهم خصوصاً ان يقيموا صلاة الفرض بنشاط كما كانوا يقيمونها في ايام وجوده بينهم · وبعد هذا ودعهم وتوجه الى ماردين في ٢٤ ايلول سنة ١٧٨١ ضاماً اليه قسوساً وشمامسة وترك رعيته تسكب الدموع على فراقه · وبعد مسير واحد وعشرين يوماً وصل الى ماردين فخرج جمهور من الاقليرس والشعب الى ملتقاه بالتراتيل البيعية وانزلوه بمزيد الاكرام في قلاية بيعة الاربعين شهيداً · فشرع يلقي كلام الله ولم يفتر من الارشاد والنصح في وقته وغير وقته والناس يسمعونه بلذة حتى لانت بكلامه قلوب المصرّين على الشقاق

اما المطران متى المخاصم فكان يلوم تعليم السيد ميخائيل حيثما وجد خفيةً وعلناً اذ لم يكن يوافقه الا فئةٌ من الذين وعدهم برتب ومناصب من الرهبان والعوام فاخذوا يحذون حذوه مسوقين بتمليقات اخصائه ولاسيما المطران عبد الاحد شقيقه · وما زالوا على هذا الحال حتى حضر الاخوان وجماعتهما يريدون

١ هو احد الذين حُبسوا في الراموسه

٢ هذه الفوائد عن كراسة حاوية صكوك بخط يد السيد ميخائيل ومحفوظة في مكتبة القلاية بحلب

محادلة السيد المنتخب · فبادرهم السيد ميخائيل قائلاً لمتى : يا اخانا يعلم الله وكل احد اني لم اطلب البطريركية بفمي : بل الشعب اختارني لها وحملتني لجاجته على قبولها · فلم ابهم الا حباً بالله وبخير الطائفة · ومع ذلك فان كنت راغباً فيها : تنزلت لك عنها

اما المعتقد الكاثليكي والخضوع للكرسي الروماني فليس بمستحدث بيننا بل انت بنفسك كنت قد رضيت به بقوة البراهين والشهادات التي كنت قد اتيتك بها من كتبنا السريانية يوم حضرت في الدير قبل هذه المرة · ثم جددت اقرارك بذلك على مسمعٍ من الشعب يوم وجودك في الموصل اذ قلت ان الايمان الصحيح هو تعليم الكنيسة الرومانية · فاذا كان الامر كذلك ما الذي دعاك اليوم الى المقاومة وخدع هذا الشعب الساذج : وبعد مباحثةٍ طويلة قال له السيد ميخائيل : ان ذكر اسماء السبعة المحرومين لم يكن له اثر في كتب السريان القديمة كما يظهر لمطالعها وها هي عندك في الدير : فقل لي ناشدتك الله لماذا استحدثتم ذكرهم في طقسنا · فقال اننا ادخلنا ذكر هولاء السبعة لنكيد القائلين بالطبيعتين من بعد الاتحاد · فلما سمع الشعب هذا الكلام : صرخوا قائلين : ان الايمان الذي هو مكيدةٌ للشعب لا نريده · وللوقت نبذ الشقاق كثيرون ولحقوا بالسيد ميخائيل · هذا ما كان من امر الشعب · واما متى فتمادى في عناده · بل لقن انصاره فقالوا : اننا لا نتصالح ما لم يُنصب متى بطريركاً · فاجابهم السيد ميخائيل : ذلك لكم على شرط ان تقبلوا الايمان الحق انتم وهو · لا سيما وقد اتضح لكم بيانه · وكان سامعوه من الذين قيل عنهم يسمعون ولا يفهمون

ماردين موّيدة بختوم ستة وثلاثين شخصاً · وغيرها من عموم خورنياتها الثلاث بختوم مائة واربعة وثلاثين شخصاً · ومن قرية القصور بختوم خمسة واربعين شخصاً · ومن ديار بكر بختوم الخوري يشوع قوّاق والقسوس ارميا ويوسف وابرهيم والخواجا اندريا عن الشعب · ثم وافت مضابط الموصل احداها مويدة بختوم تسعة وثمانين · وغيرها بختوم خمسة وستين · وغيرها من عموم خورنتي الطاهرة ومار توما مصدقة بختوم مائة وخمسين شخصاً ما عدا القسوس الثمانية ومن قرقوش بختوم ثمانية واربعين من الوجوه ما عدا القسوس · ومن كل من اهالي حمص وحماه والنبك والقريتيم وصدد : هولاء طلبوا جميعاً ان يتولّى السيد ميخائيل البطريركية مقرين بالطاعة للحبر الاعظم وللكنيسة الجامعة معتقدين بما تعتقد به ورافضين ما ترفضه (١)

١٣٩ اما ما كان من السيد ميخائيل فلما وافت كتب الالتماس اليه اخذ يفتكر في هذا الامر الخطير وبيقينه ان المشورة من روح القدس كما ورد في حكمة ابن سيراخ : لا تتقدم على عمل حتى تستشير فان فعلت لا تندم (ص٣٢ عد٢٤): راى ان يستشير بالكرسي الرسولي قبل كل احد · ثم اجتمع بالاساقفة والكهنة الوطنيين والمرسلين واراكنة الشعب وعرض مسالته عليهم فقابلوا بين الغاية والوسائط مع ظروف الزمان حتى اجمعوا وهم مراوحون بين الأمل والخوف علَى ان يلبي المطران سائليه وإن اقتحم الاخطار : فوافق · وتمهيداً للشغل اقام اولاً فرنسيس توبجان ترجمان دولة نابلي نائباً عنه في العاصمة ليسعى في استحصال فرمان البطركية باسمه · وكان ذلك بصكٍ تاريخه غرة رجب سنة ١١٩٦

١ هذه المضابط محفوظة كلها في خزانة الاوراق بالشرفة

(مسيحية ١٧٨١) · ثانياً ألزم كل الذين انتخبوه في الأنحاء ان يدفعوا صك كفالةٍ بجميع المصاريف التي تصرف علَى نصبه اذا رجعوا عن انتخابهم اياه · وبعث بصورة الصك الى الموصل موجهةً الى الخواجه الياس صراف باشي ليسعى في ان يختمها الشعب في الموصل وتوابعها وهي: قرقوش وبرطلّي و بعشيقا وباحزاني وقوپ والعقر وزاخو و بغداد والبصرة · ثالثاً اوقف الاساقفة على طلب الشعب اياه بالحاجة وسألهم عن رضاهم ايضاً · فكتب قبل كل احد الى بشارة مطران القدس يلاطفه ويستقدمه لكي يرافقه في السفر · وكان يعقوب شقيق هذا المطران حاضراً فكتب ايضاً الى شقيقه يحرضه علَى ان يكون يداً واحدة مع السيد ميخائيل (١) وفي هذا المعنى كتب الى مطران دمشق ايونيس اعمة ابن الخوري ثابت الصددي · ثم الى المطرانين الشقيقين ومتى وعبد الاحد المارديني يعاتبهما و يستغرب تجنبهما ويناشدهما بالرب ان يتحاشيا كل بلبلة وتبديد للطائفة · رابعاً واما رعيته بحلب فاقام عليها الخوري جبرائيل طحان نائباً عنه مدة غيابه · والقس حنا اسطنبوليه وكيلاً علَى حفظ حقوقه الزمنية واعلن منشوراً تاريخه ٣١ تشرين الاول سنة ١٧٨١ للاقليرس والشمامسة واهل الاخوية ماله ضبط سلوكهم وخدماتهم · ومنشوراً آخر لنظم حالة الكنيسة وجه خطابه فيه الى وكلاء البيعة وهم الخواجا جبرائيل اخوه · والخواجا جبرائيل فتال · والمقدسي يوسف قرمز ورؤساء الصنعة نعمة الله اسطنبوليه · والياس ضاهر · ونصر الله ناسيس · وعبد الله يازجي · وعبد العزيز حمصي · وانطون

---

١ عن سجل رسائل دير الشرفة ورقة ٨٥ في ١٨ آب سنة ١٧٨١

ومن ساعتهم بثوا الرسائل الى كل الابرشيات في هذا المعنى ووجهوا رسالة مع ساعٍ خصوصي الى المنتخب موقعةً باسمائهم وختومهم والتمسوا منه ان يرضى بانتخابهم ويصير اليهم دون تمهل

١٣٨ وكان وصول الساعي الى حلب فالقلاية عندما كان السيد ميخائيل متقيلاً فتسلم جرجس شماسه الرسالة وطرق الباب فاستيقظ وهو يقول : ما حملك على ايقاظي قبل الوقت : هل مات البطريرك : فتعجب الشماس . ولما قرأ ما كتب اليه راى ان يرفض طلب منتخبيه لعدة موانع سردها في جوابه اخصها كونهم منفصلين عن الكنيسة الجامعة وهو الخاضع لها ثم كتب الجواب فكرّ الساعي راجعاً به . وشرع السيد ميخائيل يستمد العون الالهي والنور من روح القدس ليتروّى في هذا الامر الجلل

فلما اطلع الشعب بماردين على جوابه : اجتمعوا ثانيةً وكرّروا طلبهم واعدين انهم يتركون كل عناد ويتفقون معه على قبول الايمان الكاثليكي فيحذفون اسماء زعماء البدعة وزيادة يامن صُلب من اجلنا من التقديسات الثلاث وختموا رسالتهم وهم يكررون التماسهم ان يرضى بانتخابهم . ووقعوا بختومهم على الرسالة وارسلوها للوقت

وفي اثناء ذلك كان المطران متى المومأ اليه يسعى في ضعضعة الاتفاق فكتب الى انصاره الموصليين يقول : ان ثقتي بكم : وعليكم اعتمادي لانكم اخوتي واولادي : فاياكم والميل الى تمليقات الفرنج المقلوبين (اي مبدلي مذهبهم يعني الكاثليكيين) فلا ترضوا ان يستولي ابن جروة على البطريركية . واما انا فلا بد من نصبي بطريركاً على اية صورةٍ وباية وسيلةٍ كانت . ووكل عنه

رجلاً له شقيق راهب في دير مار متى اسمه الربّان موسى اللاشة واسم الرجل عيسى اللشة · فكتب الى هذا الرّبان موسى والى القس عزّو يك دَست يستقدمهما اليه واعداً ان يرقيهما الى درجة الاسقفية عَلَى ان يقيماه بعد ذلك بطريركاً اذ لم يوافقه غيرهما في طمعه واستبداده · ومال الى حزبه نفرٌ من رعاع شعب الموصل وهولاء اجابوه : ان لا تسمح ابداً ان يتولىَّ البطريركية احدٌ سواك ونحن واموالنا وعيالنا قدامك

اما شعب ماردين فنزعوا الى الكثلكة كما وعدوا السيد ميخائيل · وكانوا من الخورنات الثلاث التي في بيعة الاربعين شهيداً و بيعة القديسة شموني و بيعة مار ميخائيل · وتبع مثلهم اعالي قرية القصور وديار بكر وقرية قطربل الكبيرة · وفي اسرع وقت اخذت المضابط في شان انتخاب السيد ميخائيل بطريركاً تتوارد الى ماردين · فاولاً مضبطة شعب حلب · وكانت مصدقة بختوم ثلاثمائة وخمسين شخصاً و بتوسط الخواجا يوسف فرّا والخواجا يوسف قرمز و كيلي السيد ميخائيل عرضت عَلَى الوالي والقاضي فصدّقاها بختميهما و بصك إنهاء موجه الى الباب العالي : فبعثوا بنسخة منه الى ماردين ضمن مضبطتهم · ثم بنسخةٍ الى شعب دمشق باسم الخواجا انطون مخلد وهذا جمع الوجوه في دار المعلم لطفي كبيرهم لانه طبيب محمد باشا امير الحج (١) : فسعى المذكور في نيل انهاء من القاضي و بعثوا به ضمن مضبطتهم الى ماردين · ومثل ذلك كتبت في كل من الابرشيات مضابط مشفوعة بتصديق وانهاء من قاضي بلدها · فكانت مضابط

---

١ ان عائلة لطفي من اقدم سريان دمشق واشرفهم وقد ورد ذكر احدهم في كتاب قديم لمطران شكرالله رسمه شماساً سنة ١٦٥٤ عَلَى بيعة العذراء ومار بهنام بدمشق

﴿ الباب السابع ﴾

في حالة الطائفة على عهد بطريركية السيد ميخائيل جروه

الفصل الاول

١٣٧ وفاة البطريرك كوركيس — سرقة الشقيقين متى وعبدالاحد امواله — اتفاق عموم السريان عَلَى انتخاب السيد ميخائيل جروه بطريركاً — ابلاغ ذلك الى المنتخب
١٣٨ رفضه الدعوة لسبب الشقاق — وعدهم قبول الايمان والطاعة — ترغيب متى الموصليين — وعد بعضهم له — اجماع شعب ماردين وديار بكر والموصل وحلب ودمشق وحمص وحماه وتوابعهنَّ عَلَى نصب ميخائيل ١٣٩ رضى السيد ميخائيل — نظمه شؤون ابرشية حلب وكنيستها وشعب مصر — رضى المجمع المقدس بسفره الى ماردين ١٤٠ سفره دخوله اليها مكرماً — تعليمه — مقاومة متى — مواجهة المنتخب متى — تنازله له عَلَى شرط الايمان القويم شغب متى — استمالة الوجوه الحاكم تكثلك خورنات ماردين

١٣٧ ان تكثلك السريان الموصليين قد تم بسرعةٍ عجيبة اوغرت صدر البطريرك كوركيس استياءً وغيظاً · فلم يبرد غليله بما نكل بهم الى ذلك الحين : فاخذ يسعى سرًّا في ازعاجهم ايضاً · وبينما هو يهجس في ايجاد وسائل فعالة يظفر بها : اذا بمرضٍ عضال دهمه في شهر تموز من سنة ١٧٨٠

فاستدعاه الى منبر العدل الالهي • وكان متى بن يشوع الثعلب وهو من قرابة البطريرك اندراوس والأسقف سفر وهو المعروف بالمطران قورلس التيلي يتوقع مثل هذه الفرصة ليستولي على البطريركية • فلما اقبل الرهبان الى غسل جثة البطريرك : وشرع الاقليرس والاساقفة وكانوا عشرة في التجنيز : اسرّ عبد الاحد مطران الدير الى المطران متى شقيقه (١) ان هذه احسن فرصة لنبتدي بنيل اربنا • فدخلا مخدع المتوفى وفتحا الصناديق وسرقا كل ما تركه من المال مع الفرمان الذي استحصله لردع الكاثليكيين ولجأا الى الفرار • واقبل القوم الى فحص المخدع • فلما شعروا بما جرى وذكروا ان الشقيقين المومأ اليهما لم يحضرا وقت تشييع الجنازة : تحققوا انهما المختلسان فعنفوهما على الجسارة وطالبوهما بالمسروق فاعتزلا وغابا عن النظر • وفيما كان بقية الاساقفة متحيرين في من يقيمونه خلفاً : فهذا يريد البطريركية لنفسه وهذا ينتظر ايهم ينتصر ليتبعه : جلس اراكنة الشعب من اليعقوبيين والكاثليكيين وبداوا بالمذاكرة قايلين : إن الضيقات والخسائر التي سببها الفريقان الى الان بعض لبعض : فضلاً عن انها لم تجد نفعاً ولا اتت بالنتيجة المرغوبة : زادت الشقاق والعداوة واستنزفت اموال الطائفة لخرابها ولنفع الغير • مع ان الاختلافات الدينية التي بينهم جزئية لا يُحفل بها اذا اعتصبوا جميعاً على التمسك بعرى المحبة وتوحيد الاعتقاد والرئاسة• فاجمعوا على انه ليس بين الاساقفه من يفوق السيد ميخائيل جروة علماً وحزماً وقنوتاً • ومن ثم فهو الاجدر بالبطريركية • فأجمعوا على انتخابه براي واحد •

١ عُرف اسم هذين الشقيقين من دفتر رسامتهما سنة ١٧٦٩ في كتاب الرسامات الذي في الزعفران

قصد حلب حتى دخلها في ١٢ اب ١٧٧٩ وعاد الى وظيفته

ولم تمضِ ايام حتى كتب البطريرك الى وكيله بحلب ان يقدم فرمانه الى عثمان باشا الحاكم ويطلب تسليم الكنيسة له ونفي ابن جروة وبلغ الخبر الى السيد ميخائيل فاختفى في بيت ابيه . فلما قرأ الحاكم اوراق الشكاية والفرمان ارسل جنده يوم الاربعاء ١٣ تشرين الاول فذهب بعضهم الى حيث كان المطران ودخلوا الجامع الملاصق للبيت وتسلقوا الحائط ونزلوا اليه من بغتةٍ فحصلت رعبة لاهله وللنساء والبنات خاصة فبادرهم المطران سائلاً عن سبب نزولهم الى داره بهذه الصورة وعاتبهم عليها . فقالوا هذا ما امر به الحاكم فرافقهم الى السراي . وذهب نفر من الجنود الى الكنيسة حيث كان القسوس والشعب يصلون صلاة الرمش فقبضوا عليهم وعلى خمسة من اكابر الشعب : المقدسي يوسف قرمز . وعبدالله دقاق . وعزوز حمصي . ونمري ناسيمس . ويوسف سريوار وزجوهم مع المطران في حبس السراي . وفي اليوم الثالث ساقوهم الى الاوردي في الراموسة مسير ساعة ونصف على طريق خان تومان حيث اوقفوهم قدام الوالي فامر بسجنهم مكبلين بالحديد فكانت الارض مهادهم والسماء غطاؤهم واذاعوا عنهم الحكم بالقتل والصلب والنفي ان لم يودوا من الغرامة اموالاً تفوق مقدرتهم فايقنوا بفقد حياتهم

١٣٦ فاغتمَّ المومنون غماً لا يوصف وكانوا يصلّون من اجل نجاتهم ويوسطون اناساً من الاعيان ليشفعوا فيهم . وفي ٢٥ تشرين الثاني وهو الثالث عشر من سجنهم الواقع ليلة تذكار مار ديمتريوس الشهيد الهم الله الحاكم رأفةً فاطلقهم بعد ان فرض عليهم مبلغ عشرين الف قرش وطلب منهم كفلاء بالمبلغ فكفلهم اناس على ان يجمعوه في اسبوع واحد . فرجع الراعي البار الى الكنيسة

وقدم شكراً لله على سلامتهم ولانه نسب نجاته الى شفاعة مار ديمتريوس : امر ان يعيد له في اليوم السادس والعشرين من تشرين الثاني من كل سنة · وجمع المال المطلوب من حسنات المومنين فانزعجوا من هذا العطاء (١)

هذا وكنا قد ذكرنا آنفا ان القس سليمان ابن الشدياق حنا اذعن لارشاد السيد ميخائيل واضحى كاثليكياً فهذا كان يعرج على الفرقتين تارةً يقول انه كاثليكي : وطوراً يعقوبي لوجوده بين اليعاقبة في ارها ثم في حلب ومنها انتقل الى ماردين · فاذا كان والده الشدياق شاهداً حفلة تكريس الميرون بدير الزعفران زجره البطريرك لامرٍ ما · فاتخذ القس سليمان ذلك حجة ليعلن كثلكته انما لخوفه من البطريرك تظاهر انه يريد زيارة ضريح مار بهنام باثور : فسافر الى الموصل سنة ١٧٨٠ وبعد سنة قرر دستور الايمان المقدس بين يدي البادري روافائيل وكذلك الشدياق والده · ومن ذلك الحين طفق القس سليمان يجاهد مع القس نعمة في سبيل اجتذاب الشعب الى الديانة الكاثليكية · ففرح به السيد ميخائيل

ولما كان طقس الموصل اطول مما في الرها ورغب القس سليمان في اختصاره نهاه السيد ميخائيل واجاز له فقط ان يهذب العبارات التي فيها شبهة انها تخالف التعليم السليم وذلك بعد مشاورة البادري روفائيل نائبه · ثم نهاه عن استعمال البرشان المخبوز في غير يومه وحثه على حفظ العادة السريانية بان يحضر المومنون القداس قياماً منتصبين · واعتنى السيد المذكور في سفر عائلة القس سليمان الى الموصل صحبة الخواجا يونان بن عبدالجليل النقار والخواجا ابراهيم جبرائيل التاجرين في ازمير

١ عن سجل رسائل جروة ١٥ تموز سنة ١٧٧٩

بنفسهم لم يستطيعوا منعها · ولهذ فلا يقدر ان يرفع البلية غير الله فقط · ووافى اليه كتاب من المجمع المقدس يعزّيه ويمدح فطنته كما قيل : اذا طردوكم من مدينة اهربوا الى اخرى · الحق اقول لكم انكم لا تكملون مدن اسرائيل حتى ياتي ابن الانسان لاغاثتكم وفيما كان الغير يعزونه كان هو ايضاً يعزي غيره فانه لم يبرح من تفقد شعب الموصل بواسطة الرسائل · فمن ذلك قوله لهم :

ان هذا البطريرك ما زال يسعى في مضرتنا بقدر ما تصل يده لان عدوّ الخير ايضاً لا يخلو من اعوان · غير ان تعبه يأول الى امتحان المختارين الذين حياتهم كلها جهاد في سبيل البر · اما نحن فتسليتنا من بعد الله بالقس بشاره وزملائه فانهم آلة خير بيد الله · اني عالم باتفاقكم على الايمان : لكن عليكم العمل ليكمل الايمان ويخزى العدو

اما ما كان من المؤمنين بحلب فان الحاكم قبض عَلَى قسوسهم واكابرهم وبلغ اليهم امر الفرمان لينقادوا للبطريرك والا عاقبهم اشد العقاب فلكي يتخلصوا احتجوا بكذب مدعى البطريرك عَلَى ان تاريخ مرافعته كان سنة ١٧٨٠ وتاريخ الفرمان في ٢٦ ذي القعدة سنة ١١٩٣ الموافق لتشرين الثاني سنة ١٧٧٩ فضلاً عن انه لاحق له عليهم لانهم ليسوا من شيعته · غير ان الحاكم لم يصغِ اليهم بل زجهم في سجن الزنجيل وفرض عليهم دفع عشرين الف غرش واطهقلم فجمعوا المال من الشعب واستدانوا البقية بالفائدة

وكان جوخدار عبدي باشا يطالب قسوس اليعاقبة بحق خدمته وهما الخوري يوسف الصددي والخوري سليمان الرهاوي وكانا يماطلانه من يوم الى يوم حتى عزل عبدي باشا ونصب غيره اسمه عثمان وكان صارماً جافياً · فلما ضجر

الجوخدار من المطالبة رفع عرضحالا يقول فيه علَى لسان الكاثليكيين : اننا تباع عيسى ابن مريم : وهولاء تلاميذ الزعفران شمسيون قد ضبطوا بعضا من اولادنا واخذوهم الى ديرهم ليعلموهم هذه العباده (١) · ومع ذلك يجبون منا في كل سنة عشرة اكياس مالاً فالى متى هذا الظلم ونحن في ظل الدولة العلية ·

فلما قرأ هذا الكلام القى القبض علَى الكاهنين واتباعهما وحبسهم تسعة ايام وفرض علَى الخوري سليمان ثلاثماية غرش فلما خرج من السجن عرض ماحدث له على بطريركه ناسباً الشكاية الى الكاثليكيين · فكتب الى الخواجا جبرائيل جروة شقيق المطران يعاتبه ويطالبه بالحقوق الابوية وحقوق دير الزعفران وهي خمسمائة غرش وتهدده بجبس كل من يخالف امره · فلم يكترث احد بكلامه بل كتبوا يوبخونه علَى قساوته وما كان من تعديه عليهم حتى افقرهم وكان اذ ذاك السيد ميخائيل واخصاؤه يستنجدون المحسنين ملتمسين ان يفهموا اولي الامر العثمانيين ما تمادى به الظلاّم عليهم · فورد اليهم كتاب من يوسف ماريا كستلّي بتاريخ ٢٣ كانون الثاني و٢٣ اذار سنة ١٧٧٩ يعزي الشعب بتوسط القس يوسف حجار نائب المطران ويوكد لهم النصر من الله (٢)

١٣٥ وكان وكلاء البطريرك قد اخفوا الفرمان وتظاهروا بالفشل حتى امنوا الكاثليكيين فكتبوا الى السيد ميخائيل ان : قد هدأت العواصف وسكن الاضطهاد والتمسوا رجوعه · فخرج للسفر وفي طريقه عرّج علَى اورشليم فزار القبر المقدس واستمد العون الالهي · وكانت اقامته هناك اربعين يوماً : وبعدها

١ راجع هنا عدد ٤١

٢ عن سجل الرسائل المحفوظ في الشرفة

القس بشاره والقس نعمة وخمسة قسوس آخرين الى المنفى · فألقى القبض عليهم وزجهم في سجن الزنجيل وعزم عَلَى اجراء الفرمان حرفياً : غير انه منذ بلغ الخبر الى الخواجا الياس الصرّاف وهو في حجرته في خان الاغوات : اسرع الى الحاكم وشفع فيهم · فرضي الحاكم ان يرسلهم الى سجن القلعة حيث اقاموا خمسة عشر يوماً في آخرها فرض عليهم الفاً وخمسمائة غرش واطلقهم · فلما خرجوا من السجن ارتد منهم ثلاثة الى اليعوبية · ولم يثبت منهم سوى اربعة · القس بشاره · والقس نعمة · والقس قرياقس والقس خدر فكان الفريقان يصلون في الكنيستين بالمناوبة بامر الحاكم : الكاثليكيون اولاً ثم اليعقوبيون

الفصل العاشر

١٣٤ اجراء الفرمان بحلب — هرب المطران الى الاسكندرية — حبس قسوسه واطلاقهم بعد دفع عشرين الف غرش — خصومة الجوخدار مع قسوس اليعاقبة — حبسهم — عتاب البطريرك جواب الشعب ١٣٥ مكيدة الخصوم — رجوع السيد ميخائيل انكشاف الدسيسة — حبس السيد ميخائيل وقسوسه ووجوه شعبه في الراموسة مع خطر ابادتهم ١٣٦ السعي في نجاتهم ليلة تذكار مار ديمتروس بعد دفع عشرين الف غرش جعل اليوم عيداً — سفر القس سليمان ترزي الى ماردين — اجهاره بالكثلكة في الموصل نهيه عن تقصير الطقس

١٣٤ ثم أُرسل الفرمان الى حلب الى عبدي باشا حاكمها · ومنذ شاع الخبر اشار المومنون على السيد ميخائيل ان يهرب فاقام القس يوسف حجاراً نائباً عنه وهرب ليلاً بزي العلمانيين الى اللاذقيه فقبرس وما زال ينتقل من بلد الى اخر حتى وصل بعد شهرين ونصف من مبارحته حلب الى الاسكندرية حيث اقام سبعة اشهر مختفياً في بيت المعلم ابرهيم شدياق · وكتب من محله الى العاصمة والى روميه يطلب النجدة والسعي في استحصال فرمان في استقلاله من سلطان بطريرك دير الزعفران · فاجابه وكيله المطران ديونوسيوس حجار من روميه ان بطريرك الارمن استحصل اوامر قاطعة علَى الكاثليكيين بحيث ان السفراء

الاعظم · فلما قرأ الصدر هذا الكلام قام فيه عرق الغضب ثم تلهب غيظاً بكلام الارمن ووكلاء بطريرك السريان حتى عرض المسئلة عَلَى السلطان نفسه · فامر للحال بكتابة امر سام بنفي السيد ميخائيل وقسوسه واكابر شعبه وهم الخواجا يوسف فرّا وكيل القنصل الفرنساوي وترجمانه · ونفي خمسة من الموصل · فتسلم الوكلاء هذا الفرمان ورجعوا به الى ديار بكر فرحين (١)

١٣٢ وتمهيداً لاجراء الامر السامي المؤمّل صدوره كان البطريرك قد دبر مكيدة شيطانية لينكي الحلبيين ويضعفهم بها · وذلك انه اقام الراهب عبد الله ابن الخوري حنا شدياق الرهاوي مطراناً لحلب ودعاه ديونوسيوس نكايةً بابن جروة · فقدم المذكور الى حلب متظاهراً انه تعين للقدس فنزل عند والدته · وطفق يلاطف الكاثليكيين ليأمنوا منه : ثم تآمر مع الارمن المشاقين لينتقموا من المطران ميخائيل فقصدوا حاكم البلد واستمالوه اليهم بالهدايا وسألوه ان يرسل ابن جروه واكابر شعبه الى المنفى (٢) · فبينما كان المطران البار يقدس القداس في صباح يوم الاحد : اذا بالجنود باغتوه فالقوا القبض عليه وعَلَى قسوسه واكابر شعبه وساقوهم الى السراي حيث بادرهم الحاكم بالشتم والامر بالشنق فمن لنا بمن يصف ما اصاب المؤمنين من الغم · وكان نفر من المتقدمين حاضراً فتراموا عَلَى قدميه وشفعوا في المحكوم عليهم وشهدوا ان المطران من

١ عن سجل رسائل دير الشرفة عدد ١٩ — ٢٩ حزيران سنة ١٧٧٨ وعدد ١٠٣ شباط سنة ١٧٨١

٢ عن سجل رسائل دير الشرفة ج ٣٠ عدد ١١ ت ٢ سنة ١٧٧٨

الصلحاء ولم يؤذِ احداً فتناقص غضب الحاكم وقبل الشفاعة لكنه امر بحبسهم في قوناغ التفنكجي باشي · فاقاموا هناك ثمانية ايام مع خطر فقد حياتهم

وفي اثناء ذلك دخل المطران عبد الله الكنيسة واكره الكاثليكيين على موافقته في الصلوة وامرهم ان يقدموا الاعتراف للكهنة الذين معه ويدفعوا له وثيقةً انهم لن يعودوا الى المعتقد الكاثليكي : وكان البادري ريكاريكو رئيس الفرنسيسيين يشجع المومنين فطلبوا من الخصم مهلة ثلاثة ايام وذلك املاً في نجدة ترد من السفير اليهم · اذ كان القنصل الفرنساوي وترجمانه الخواجا فنطون وقنصل الفلمنك يسعون في نجاتهم (١) وما زالوا يسعون حتى رضي الحاكم ان يفرض عليهم دفع مبلغ كبير غرامة فادوها واطلقوا

١٣٣ ولما وصلت هذه الاخبار الى الموصل كتب البادري روفائيل الى السيد ميخائيل يعزّيه في شدائده ويهنئه علَى سلامته · ويشير عليه ان يدبر طريقةً لدى سليمان باشا المنصوب جديداً في بغداد وهي ان يسعى لديه في استحصال فرمان سلطاني للاستقلال علَى روساء اليعاقبة : كما دبر هو فنال فرماناً بصرف سبعة اكياس لتاييد البطريركية لحنا هرمزد الكلداني · غير ان ظروف الزمان لم توافق هذا التدبير الحسن

اما البطريرك كوركيس فمنذ وصل الفرمان الى يده سيره الى الموصل اولاً وبعد تسجيله بتوسط وكلائه في المحكمة قدموه الى الحاكم طالبين ان يرسل

---

١ سجل دير الشرفة عدد ١٩ — ٣ نيسان سنة ١٧٧٧

الفصل التاسع

١٣١ استيناء البطريرك ١٣٢ ارساله المطران متى ثعلب لمقاومة اهل الموصل — وعده بقبول الايمان — اختلاسه اموال الكنيسة ودير مار متى — نفيه الى ماردين تهييجه غضب البطريرك — ارسال البطريرك وفداً الى العاصمة ابآن اضطهاد الارمن للوشاية بخصومه —صدور فرمان شديد ١٣٢ مكيدة شيطانية تمهيداً لاجراء الفرمان—حبس السيد ميخائيل وخصومه ضبط الكنيسة— تلطيف لشفاعة ١٣٣ نصيحة الاستقلال فالتخلص — اجراء الفرمان بالموصل — حبس القسوس بالاغلال—اطلاقهم بخساره وشفاعة—ارتداد قسوس الى الشقاق

١٣١ وما عمّت اخبار الموصل ان بلغت الى البطريرك كوركيس فارسل المطران متى بن يشوع المارديني (١) وتلميذه الراهب الياس اليها ليتلافى نقلاب الشعب وخروجه من طاعته ومذهبه: وسلّمه منشوراً ماآله حروم ولعنات على كل من هجر اليعقوبية: وكتبا الى الحاكم يستنهض فيها مساعدته وهمته في ردع المذكورين والتنكيل بهم اشد التنكيل اذا عصوا. فامتثل المطران اوامر بطريركه وقرأ المنشور في البيعة. واذ لم ينجع هذا العلاج. رفع الكتب الى الحاكم فابتدأت المناقشات والخصام فالحبس والتغريم (٢) حتى ارتد اثنان من القسوس

١ كما في كتاب الرسامات لدير الزعفران تسقف متى سنة ١٧٦٩

٢ عن سجل رسائل دير الشرفة عدد ١٠٣ شباط سنة ١٧٨١

الى اليعقوبية · ولما أُطلق الذين زُجوا في السجن · اجتمعوا بالمطران متى وعاتبوه ثم بينوا له بكل لطفٍ البراهين التي حملتهم عَلَى اقتبال المعتقد الكاثليكي فاذعن لكلامهم ووافقهم فيه بل وعد ان يتبعهم · غير انه لما كان محباً للمال اكثر من حبه الحق · احتال بالاقليروس واكابر الشعب واختلس بعض الاثاث الثمينة من الكنائس ثم طلع الى دير مار متى واختلس مبلغ عشرين كيساً كما كان اخوه قد عمل في دير الزعفران

فلما احس الشعب بجسارته وشوا به الى الحاكم فحبسه خمسة عشر يوماً واسترد المال وغرمه مبلغ الف وثمانماية غرش ونفاه الى ماردين ومنها انتقل الى ديار بكر حيث كان البطريرك فهيج غضبه عَلَى شعب الموصل

واذ ذاك كان قد حدث في القسطنطينية وانقره ماحدث في الموصل فان جانباً من الارمن المنفصلين هناك انتموا الى الكنيسة الكاثليكية فاثار بطريركهم اضطهاداً هائلاً عليهم · فاغتنم البطريرك كوركيس هذه الفرصة لينكي المهتدين في طائفته ولا سيما في حلب والموصل · فانفذ الى العاصمة رجلاً من اخصائه اسمه الشماس يشوع مع نفر من رهبانه · فاستعانوا ببطريرك الارمن وبنزاريت الصراف في الباب العالي ورفعوا عرضحالاً الى الصدر الاعظم قالوا فيه عَلَى لسان البطريرك ان المطران ميخائيل جروة الحلبي اتفق مع الافرنج واغرى شعبي الذي في حلب والموصل وغيرها الى اتباع رايه الى ان قال : وهذا مخلٌ بالانجيل الشريف وبحقوق الدولة العلية و بالبطريركية معاً وهوما يحمل التبعة العثمانية عَلَى التمرد على السلطان لاتفاقهم مع البابا وملوك الافرنج على ملكنا

على كنيسة مار يوحنا ولم يلقوا مقاومة لان شعب الخورنتين تكثلكوا جميعاً ٠ بل امتدوا الى كنيسة مريم الطاهرة والى كنيسة مارزينا ٠ وكان تمسك اهالي الموصل وهذه القرية المباركة عجيباً حتى اعتقدوا منذ مبتدئهم ان الشركة مع المنفصلين في الامور المختصة بعبادة الله محرَّمة ٠ ولهذا وغيره كان السيد ميخائيل يفتخر بهم ويتخذهم وشعب الموصل قدوةً لبقية الابرشيات ولقد قرأنا في رسائله قوله اكثر من مرة ان جماعتي قرقوش والموصل عينان لجسم طائفة السريان

وفي عيد دخول المسيح الى الهيكل اي بتاريخ ٢ شباط سنة ١٧٨٠ اتفق شعب قرقوش عَلَى الانتماء الى الكنيسة الكاثليكية جميعاً وكان ذلك بهمة القس بشارة والبادري روفائيل والشقيقين الخواجا الياس الصراف والخواجا يوسف ولدي الخواجا اسحق الحلبي فلما رفعت البشائر في ذلك الى السيد ميخائيل طار فرحاً وخرَّ ساجداً وشاكراً لله على انه سكب غزير مراحمه عَلَى شعبه المبارك غير انه فرط من اهالي قرقوش غلط خسرَّ المتاخرين كنزاً عظيماً وذلك انهم طرحوا في بئر بيعة الطاهرة كل كتاب فيه شبه بدعة وكانت مجلدات كثيرة جداً حاوية اموراً مفيدة للعلوم وللتاريخ (١)

ونتمةً للنجاح انار الله فئةً من يعاقبة العقر فانضموا الى الكنيسة المقدسة وكانوا عشر عائلات ٠ فالتمسوا من القس بشارة ان يصير اليهم فلباهم وبقي عندهم ايام ارشدهم فيها وبعد ان ايدهم كرَّ راجعاً فصادف نجاحاً آخر وهو انه قد بقي من قسوس خورنة الطاهرة كاهنان يعقوبيان وهما القس عبد الحي والقس خور بريخو: وكانا قد اصرَّا على عنادهما الى ذلك الحين ٠ فحضرا عند القس بشارة

---

١ عن رواية شيوخ القرية عن اجدادهم

وقالا له لم يبقَ فائدة من بقائنا على ما كنا عليه واكثر الشعب لحق بكم فارشدهما ومنحهما الحلة في مبادي اذار من تلك السنة · فحصل بقية الشعب اليعقوبي في الموصل بدون قسيس وكل هذا جرى بغيرة وسعي كاهن واحد وكان من المتزوجين اعني به القس بشارة اخطل

١٣٠ واراد القس بشاره ان يشرك السيد ميخائيل بثمرات غرسه فكتب اليه هو والبادري روفائيل بتاريخ ٦ شباط سنة ١٧٨٠ دفتر اسماء القسوس والاكابر الذين دخلوا في الايمان المقدس بالموصل في تلك المدة الوجيزة · عدا الذين ذُكروا قبل ثلاث سنين ونصف

في خورنة مار توما القس نعمة ابن القس بهنام صائغ · القس عزّو ابن القس عبد الكريم يك ... · القس عبدالله شاهي · القس عمسو ابن القس يعقوب · الخواجات · الشماس الياس الوكيل · الشماس بهنو والمقدسي عبدالله ولدا سليمان الخانجي · هندي ويونان ولدا جبرائيل · يونان وعبد الاحد ولدا عبد الجليل · جرجس بن ارميا · بهنام يوسف سكر · زاو عامر · خدر زهرة · شاكر هزوم · متي بن اسحق يونان · والامل في البقية

في خورنة الطاهرة القس بشاره اخطل · القس قرياقس ابن القس حنا · القس ابراهيم ابن الشماس عبد المسيح شلوح · القس خدر كتوله · القس عبدالحي · القس خدر بن بريخو · الخواجات : رزق الله ابن الخواجا عزوز · فريجة ابن الخواجا عيسى عزوز · بهنام كركجي باشي ابن حنا كركجي · متى بن حنا كركجي · بهنام شابا · الياس ابن المقدسي عبد الكريم · اسحق الوكيل · عبد الجليل بن عبد الرحمان النجار · الياس بن فتحي سنبل

داخل من ذلك الباب الى غير ذلك من الاهانات والكاهن البار يحتمل كخروف وديع

١٢٨ كان الشعب المهتدي الى الكنيسة الجامعة في الموصل في حاجة الى كهنة منوَّرين مدرَّبين في الديانة الكاثليكية اذ لم يكن القس بشارة يأمن ثبات القسوس المهتدين حديثاً الى الايمان على كثرتهم فاجتمع بالبادري روفائيل للمشاورة فقرّ رايهما علَى ان يستشيروا السيد ميخائيل جروة ويسالاه ان يرسل القس زكرياء فكتبا اليـه اكثر من مرة فاستحسن رايهما واوعز الى القس زكريا بالسفر وفيما كان هذا على اهبة السفر مرض فكان ذلك سبباً لانتقاله من عالم الشقاء

غير ان العناية الربانية عوضت عن هذه الخسارة باجتذابها كاهناً آخر من قرية برطلّي ملقب بهذا الاسم وهو القس زكريا كندو · وكان حسن السلوك فاتخذته اكثر عائلات برطلّي معلماً لهنّ في الاعتراف · وله زميل اسمه القس عبده ساكا يحسده علَى هذا · وكان القس زكريا منذ اهتداء توما بن عبدالمسيح سنة ١٧٧٨ يريد الانضمام الى جماعة المهتدين ينتظر فرصة يعلن فيها افكاره حتى خاصمه رفيقه بحضور الشعب في البيعة : فقال للحاضرين ان هذه الحادثة نفسها اجلى بينة علَى جهلنا وضلالنا وعلَى قداسة الكنيسة الكاثليكية : ولهذا فانا منذ الان مسيحي (اي كاثليكي) · وخرج فتبعه اربعون عائلة في جملتهم اربعة شمامسة · ومن يومه نزل الى الموصل مصحوباً بالمقدَّمين الذين تبعوه · وعرض امره علَى الباشا حاكم البلد فسمح له بالصلوة في الكنيسة مع تبعته · ثم حضر عند القس بشارة فرحب به واحتضنه وسلمه القس نعمة ليرشده فثقفه زمانـاً حتى اقتبل الحل · ومنذ ذلك اخذ قسوس قرقوش و برطلي يترددون الى دار القس

نعمة ليتعلموا منه فرائض وظيفتهم

ولما رجع القس زكريا الى قريته : خرج المهتدون الى لقائه وادخلوه بالتراتيل وضرب الصنوج · وكذلك حدث في قرية بعشيقا حيث اهتدى شماس اسمه يعقوب خوش بزار سنة ١٧٨٠ وتبع مثله ثلاثون عائلة · وكان اهتداؤهم بهمة شعب الموصل لما بينهم من المصاهرة · واذ طردهم الاضداد من الكنيسة عقيب خصام طويل · اضطروا الى اقامة القداس والصلوة في بيت الشماس يعقوب : اما الفصح فكانوا يكملونه في قرية برطلي او في الموصل الى ان ارتسم اسحق ابن هذا الشماس كاهناً لهم

وفي تلك السنة توفي عبدالله باشا والي بغداد وولي مقامه سليم او سليمان افندي التفليسي ففرح الكاثليكيون لحبه لهم : وكانت عبادة سر القربان المقدس وعيد الجسد وعيد مار يوسف قد درجت في الموصل فارسل السيد ميخائيل اليهم ما ترتب من الطقس لحفلتها وذلك على طلب الشعب · ومنذ ذلك الحين اخذ اتقياء الشعب يصومون صوم الجسد ثلاثة ايام قبل حلول عيده وذلك تطوعاً لا فرضاً بيعياً :

ثم انه لما كان الشمامسة قد ماتوا بقرقوش في وباء سنة ١٧٧٢ وكثير منهم ترملوا فتزوجوا زواجاً ثانياً فمنعوا من الخدمة لهذا السبب استفتوا السيد ميخائيل في هل يفسح لهم في الخدمة · ففوض السيد المذكور قضاء طلبهم الى البادري روفائيل ففسح لهم في ذلك فارضاً قانوناً عليهم كالصلوة والصدقة

١٢٩ ولما ضاقت كنيسة مار يعقوب بالمهتدين في قرية قرقوش استولوا

بالايمان الكاثليكي لكنه يخاف كاهناً شرس الاخلاق اسمه القس عزّو ابن القس عبد الكريم من آل يك دست · وكان هذا قد زار اورشليم فاستحب العوائد الكاثليكية ورغب القس نعمة فيها سرّاً · غير انه لما تكثلك القس نعمة لم يتبعه القس عزّو

١٣٧ هذا ولما كان القس نعمة من اجل الكهنة علماً ورصانةً وتقوى ومرشداً لاكثر الشعب استاء الاضداد من اهتدائه فطردوه من كنيسة مار توما فشرع يقدس في بيته او في بيتٍ لاخصائه فيحضر المتكثلكون قداسه ولكي يمنعه الخصوم من ذلك سرقوا بدلته واخفوها في الكنيسة · وكان له نسيبٌ رخيم الصوت اسمه الشماس بهنام بن جرجس صنغ(١) هذا لما رأى ذلك ردَّ البدلة اليه وكان يخدم قداسهُ فيجتمع الناس من كلا الصنفين الى القداس رغبةً في صوت الشماس واضاف هذا الشماس على ترتيله انه كان يجلس في حوش الكنيسة كل يوم احد وعيد ويجادل الناس ويبيّن غلط الخصوم · فاغتاظ القس عزّو وهيج انصارهُ عليه فشتموه وضربوه وسبقوه الى الشكاية · فأُلقي في السجن مع نفر من اتباعه وأُغرموا مبلغاً من المال وصالحتهم الحكومة على شرط ان يُسمح للقس نعمة بالقداس في الكنيسة · ويمنع الشماس من الدخول اليها · فاضطرَّ الى التردد الى كنيسة الكلدان ولبث هكذا عدة سنوات حتى حُسب كلدانياً · اما جرجس ابوه فعاداه نفر من المسلمين واوشكوا ان يكرهوه على قبول الاسلام فهرب وتاه حتى وصل الى روميه وفيها قضى نحبه

وكان القس عزّو ذا دهاء والقس نعمة يخاف من مكيدة يكيده بها · فلكي

١ هو جدّ آل زبوني الذين احدهم السيد اقليميس يوسف داود رحمه الله

يتخلص منه طفق يكثر من ملاطفته ويذكره بانه ما انحاز الى فئة المهتدين الا بنصائحه · وما فتئ يستميله حتى اذعن له بعد تسعة اشهر واقتبل الحل : بل اتفق مع القس نعمة عَلَى وعظ الشعب فاقبلوا الى جماعة المهتدين افواجاً حتى استولوا على كنيسة مار توما بدون تعب ولا مصرف · فاضطر بقيـة الشعب مع قسيسين مصرَّين عَلَى اليعقوبية وهما القس عبدالمسيح ابن القس يعقوب (١) والقس عبده شاهي ان ينتقلوا الى بيعة احوديمه المنفردة في محلة المسلمين وكان ذلك في ١٠ اشباط سنة ١٧٨٠ غير ان الكاهنين ما انقضت ثلاثة ايام حتى تبرما من حالتهما فاغلقا تلك البيعة واتيا بمفاتيحهـا الى القس بشارة قائلين : لقد مللنا من خدمة الدين في محلة خالية من نصارى فاليك المفاتيح لاننا منذ الآن تابعان لكم · فوعظهما الكاهن الغيور زماناً وبين لهما هو والقس نعمة كنه المعتقد القويم واثباته · فرضيا به واقتبلا الحل

واما بقية الشمامسة والشعب فارتبطوا معاً على التنكيل بالقس نعمة لانـه هو المحرك لهذا الانقلاب · فاحتمل اذاهم بقدر مااحتمل القس بشارة واشتهر في العداوة رجل اسمه قسطو بن سعيد فكان يقف في طريق القس نعمة كلمـا انطلق الى بيعة مار توما للقداس والصلوة : فيشتمه ويهينه بانواع شتى حتى لقن فتياناً فدلوا صنارةً من بعض السطوح وخطفوا بها عمامته من رأسه اضحوكةً للمارين · وشاب اسمه ابن كوميا كمن له وراء باب الكنيسة فلما انحنى ليدخلـه قابله بحذاءٍ ملوّث بالقذر فمسح به وجهه ولحيته · ومثله امرأة لطمته بخفهاوهو

١ رُسم كاهناً في بيعة مار توما سنة ١٧٥٣ بيد المطران قورلس بهنام : كذا في الرسامات لدير الزعفران

الفصل الثامن

١٢٦ اقامة المجمع السيد ميخائيل راعياً لما بين النهرين حتى البصرة — اعلان ذلك لشعوبها
نيابة البادري روفائيل عنه — تأييد حق الكاثليك في بيعة الام الطاهرة — اهتداء
قسوس في خورنة مار توما — لا سيما القس نعمة ١٢٧ مضايقة الاضداد اياه
طرده — ازدياد تباعه من اجل شماسه — اهتداء قسوس في خورنة مار توما
صبر القس نعمة على الاهانات ١٢٨ استدعاء القس زكريا الى الموصل
وفاته — اهتداء القس زكريا في برطلي حفلة حله — حالة
المهتدين في بعشيقا — تفسيح لشمامسة قرقوش ١٢٩ استيلاء
كاثليك قرقوش على الكنائس — اهتداء بقيتهم
سنة ١٧٨٠ — غلطهم في دثر كتبهم القديمة
اهتداء اهالي العقر ١٣٠ اسماء المهتدين
من كهنة ووجوه بالموصل

١٢٦ واخبر السيد ميخائيل الكرسي الرسولي بخبر انتشار الايمان الكاثليكي بين السريان في الموصل وقراها. وانه اضطر الى رسامة القس بشاره قبل ان توافي الرخصة اليه. وانه مازال يتفقد اولئك المهتدين برسائل الارشاد والتأييد. فوردت اليه من اسطيفان برجيا رسائل الاستحسان والمديح بتاريخ ١٦ اذار و٢٣ ايار سنة ١٧٧٨ ومع الرسائل تفويض باسم الحبر الاعظم اليه ان يسوس المؤمنين في بلاد مابين النهرين كلها: الرها وديار بكر وماردين والموصل وبغداد والبصرة وما يليها جميعاً وذلك الى حين نصب بطريرك واساقفة للطائفة. فرضي الراعي الغيور بجزيل الامتنان ان يحمل هذا النير الثقيل بل استحبه اسوةً بعمل

المخلص وتلاميذه · ووعد ان يفرغ جهده في ان يقيم في كل من الانحاء المذكورة كاهناً سريانياً او راهباً من المرسلين جديراً بذلك (١) وبعد هذا وافاه من لدن البابا بيوس السادس منشور تاريخه ١١ ايار سنة ١٧٧٨ ايد فيه له التفويض المذكور · ثم وافت اليه من المجمع المقدس سنة ١٧٧٩ هدية حبرية اي تاج وخاتم وصليب صدر مع رسائل مديح ليتشجع

وفي هذا الشان كتب الى تلك الانحاء كلها فاعلن للمومنين مرسوم الحبر الاعظم · واقام البادري روفائيل رئيس الرسالة نائباً عنه على شعب الموصل وتوابعها شارطاً عليه ان لا يسمح بتبديل شيء من الطقس السرياني كما هي ارادة الكرسي الرسولي ايضاً وكان ذلك موافقاً لرضى الاقليروس والشعب الموصلي فكتبوا : اننا نقبلك راعياً بكل سرور وارتياح ومن مكاننا نهتف ثلاث مرات حسب الطقس السرياني اكسيوس يستحق ويستوجب

ولما كان يشق على اليعاقبة نموّ الكاثليكيين واقامتهم القداس والصلاة في كنيسة الطاهرة : وكان الكاثليكيون مستمسكين بحقهم سألوا الحاكم ان يويد لهم هذا الحق · فاصدر امراً بان تسلم الكنيسة لهم وامضى الامر بختمه · فانتعش الكاثليكيون وزادت جراءة الميالين اليهم في خورنة مار توما فاهتدى في ايام الصوم الكبير سنة ١٨٧٩ ثلاثة قسوس مع تلاميذهم وهم : القس نعمة ابن القس بهنام صائغ من المحلة الشطية وكانت نسبته الى بيت العناقيد · والقس قرياقس ابن القس حنا ومعهما القس خدر كتوله من محلة القلعة ومن خورنة الطاهرة · وتبعهم كاهن من رهبان دير مار متي مع تلاميذه اما القس نعمة فكان يعتقد

١ عن سجل رسائل دير الشرفة عدد ٣٤ — ٢١ آب سنة ١٧٧٩

لم تكن ديانة هذا الكاهن حقيقية وفضيلته راهنة لما احتمل كل هذا منا وافضى ذلك بهم الى ان قصدوه وهو في بيته واعلموه انهم راغبون في اتباعه · فرحب بهم وجعل يرشدهم بلين ولطف جزيل حتى طلبوا اليه ان يسمع اعترافهم فافهمهم : ان ما من احد يقبل الى كنيسة الحق والى اقتبال تعليمها القويم: الا اصابته نوائب وشدائد لامتحان ثباته : الى ان قال : فهل انتم مستعدون للاحتمال · اجابوا نعم · فاحتضنهم وسمع اعترافهم ومنحهم الحل · فلما خرجوا من عنده اصبحوا دعاة لاخوانهم الى طريقته · ولما كان القس بشارة عارفاً بفعلة الرسامين وزارعي المقاثيء وامثالهم : ان اكثر اشغالهم بعيداً عن البلد فيكادون لا يدرون ما يجري في الكنيسة من المواعظ والقداس والاعتراف والتناول : وربما كانوا من الذين لا يدخلون الكنيسة الا مرتين للمعمودية والدفن طفق يذهب في طلبهم ساجاً على ظروف منفوخة · فيلاطفهم ويرشدهم ويرغبهم في خوف الله فيعترفون له بخطاياهم ويتوبون الى الله فضلاً عن اتباعهم الكنيسة المقدسة · ونتيجة ذلك انهم اهتدوا ولازموا بيت الله بنشاط عجب منه الناس كافة

وفي تلك الايام عاد البادري روفائيل من العاصمة ناجحاً واذ اجتاز بحلب فرح باخبار القس الجديد · فتسلم صك الشهادة لقسوسية تلميذه وجاءه بها · ولدى قدومه الموصل اهتدى في كنيسة الطاهرة اول تشرين الثاني كاهن اسمه القس ابرهيم ابن الشماس عبد المسيح شلوح وتبعته جملة عائلات فكان الحل يمنح كل يوم لعشرين شخصاً او اكثر · واهتدى في قرقوش في ٩ تشرين الثاني

القس عيسى حبيب الذى من قبيلة عطا الله (١) هذا كان يقدس في مار زينا· واذ عزم ان ينضوي الى الكنيسة الكاثليكية· امر خادم قداسه ان يقول عند تلاوة قانون الايمان· نومن بالروح القدس المنبثق من الاب والابن · ويهمل ذكر ائمة البدعة السبعة من الشملاية الكبيرة · فلما سمعه الشعب زجروه · فالتفت الكاهن وقال دعوه لاني انا امرته· فلما قاوموه ايضاً قال· اذا كنتم لا ترضون بي فانا ايضاً لا ارضى بكم وهاءنذا منذ الان مسيحي (كاثليكي) ثم خلع البدلة ومن ساعته ذهب الى بيعة مار يعقوب وانضم الى المهتدين· فعانقه القسوس ورحبت الجماعة به ولما كانت عشيرة آل عطا الله كبيرةً ومن اغنياء القرية: تبع مثل القس عيسى تلاميذه وعائلات عديدة من اقاربه فاصبح عدد القسوس الكاثليكيين اربعة وتعين القس عبد المسيح رئيساً عليهم بامر المطران ميخائيل: وبقي لليعاقبة ثلاثة قسوس فقط (٢)

وكانت عادة ردية غالبة في قرقوش وهي زواج الاقرباء الاقربين بعضهم ببعض واذ بلّغ القس عبد المسيح ذلك للسيد ميخائيل وجه الى القرية ارشاداً لتبطيل ذلك · ووعد انه يرسل كتاب لاهوت ادبي متى تم استخراجه الى اللغة العربية كي يتعلم القسوس ما ينبغي لهم

---

١ عن رسائل المرسل المذكور — ومن كتاب القس بشارة الى السيد ميخائيل والرسالتان محفوظتان في الشرفة

٢ عن رواية شيوخ القرية لنا لاسيما اسحق قاشا والقس ايليا حبش عن الذين سلفوهم

يصلون فيها (١) فلم يصغ الى كلامه

وبلغت هذه الاخبار الى السيد ميخائيل مع التماس ان يعجل الرسامة ولو قبل موافاة الجواب من روميه · فخاف الحبر الغيور ان يفسد ذلك الزرع المسيحي الجيد وتذهب الفرصة فلجأ الى مشورة علماء الفقه فعوّل على الرسامة · ولهذا حضر المقدسي بشارة وقرر دستور الايمان المقدس فرقاه المطران الى درجة الكهنوت سراً في ٢٥ نيسان سنة ١٧٧٨

وفي خلال ذلك لما كان احمد باشا الجليلي صديق البادري روفائيل مقيماً في حلب وافى امر من القسطنطينية بنصبه حاكماً على الموصل فاعتني بعض الاصحاب قبل سفره وقدموا القسيس الجديد اليه ملتمسين ان يشمله بحمايته وحسن نظره فلباهم بكل لطف (٢)

١٢٤ وكان اهالي قرقوش من بعد اهتداء القس افريم ينحازون افواجاً الى الايمان الكاثليكي حتى انه في اقصر مدة اضحى ثلثا القرية كاثليكيين مع كاهنين اخرين وهما: القس ابراهيم والقس افريم آسو· ولهذا فمنذ وصل احمد باشا الى الموصل هرع اكابر قرقوش الى السلام عليه واخبروه باحوالهم فايد ما كان قد امر لهم به اخوه فرجعوا مسرورين وقد تضاعف نشاطهم في نشر الايمان المقدس حتى وصلوا الى قرية برطلي فاخذ اهلها يتبعون مثلهم فاهتدت اولاً ثلاث عائلات كبيرة يقال لمقدمهم توما بن عبد المسيح من آل مكروه وحذا حذوه بعض من

١ عن سجل د·م·ج· عدد ٢٩ — ٥ تشرين الثاني سنة ١٧٧٨

٢ عن سجل دير الشرفة عدد ٢٧ — ١٩ حزيران سنة ١٧٧٨ وعدد ١٠٣ شباط سنة ١٧٨١

قار به وجملة افراد من غير عائلات · ونوى غيرهم اللحاق بهم لكنهم اخروا ذلك خوفاً من القسوس

وكذلك فعل اهالي قرية بعشيقا فتكثلكوا بالتدريج بهمة اهالي الموصل ولما بلغت اخبار الذين ذكرناهم الى حلب اهتز السيد ميخائيل والقسوس زكريا وعبدالمسيح فرحاً ولا سيما القس بشاره الجديد

وفي اواخر تموز سنة ١٧٧٨ غادر القس بشارة حلب بعد اقامته فيها ستة اشهر وبرفقته القس عبدالمسيح : وكما كان وعد بدّل زيه ولم يدع لحيته تنبت لحذره شر الاضداد · وكان وصولهما الى الموصل قبل عيد السيدة · فخرج المهتدون الى ملتقاهما بفرح عام · ولبث القس بشارة مستتراً زماناً حتى ذهب اكابر قرقوش به الى الكهيا سليمان باشا وعرّفوه انه قسيسهم وكان اكابر الموما اليهم : حنا الكيخوا · ومتى ابن المقدسي عيسى ويوحنا حوتن · والشماس دنحا ويوحنا بن متى هدايه والخواجه هداية وكيل آل عبد الجليل · فأمنهُ ووعده المساعدة عند الحاجة وحينئذٍ شرع القس بشاره يتظاهر بزي قسيس وابتدأ بوظيفته بغيرة تحاكي غيرة الرسل الاولين ولا سيما في خورنة السيدة الطاهرة فأتى فيها بثمر غزير حتى حسده القسوس المشاقون وكانوا يسخرون به قدام شعبهم وحملوا جهالهم على ان يوسعوه شتماً واذىً ويقذفوا عليه الاقذار · وكثيراً ما عثروه بعصا او بنليون ليضحكوا عليه وذات يوم بلغت الغباوة بهم الى ان خطف احدهم عمامته والقاها على الزبل فاحتمل بشارة ذلك بصبرٍ بل كثيراً ما عاد اكثر من مرة الى حيث أُهين فكرر السلام على اولئك الجهلة فأخجلهم · وهذا العمل اثر فيهم فوبخ بعضهم بعضاً متعجباً وقائلاً : لو

الكلدان لم يكونوا يسمحون لهم بالصلوة الا بعد نهاية حفلاتهم · فبينما كانوا ذات يوم خارجاً ينتظرون نوبتهم كالعادة واذا بعبد الرزّاق اخطل شقيق بشاره اقبل وقال لرفقائه : الى متى نصلي عند الغير وكنيستنا واسعة : قوموا اتبعوني اليها فلا بد لنا اليوم من قضاء الصلوة فيها وعليّ الضمان اذا عارضكم احد " ولدى سماعهم كلامه هبوا جميعاً الى كنيسة الطاهرة فلما ابصرهم الاضداد خافوا لان مقدمهم شجاع جبار فصلوا صلاة الفرض بتهليل · وفي اثناء الصلوة تجمع الاضداد وهم حاملون العصي وهجموا على المهتدين يشتمون و يضربون · فخطف الاخرون العصي من بعض خصومهم وتضارب الفريقان حتى صارت فتنة عظيمة افضت الى رفع الدعوى الى نائب الحاكم فقال الخصم له ان الفرنج اصحاب المذهب الجديد هجموا علينا ونحن في الصلوة وضربونا كما ترون · فامر المتسلم باحضار الكاثليكيين وسألهم عن الحادثة فتكلم عبد الرزاق واثنان آخران وقالا : اننا لم نأتِ هجوماً ولا ضربنا احداً بل هم ضربونا وسبقونا للشكاية · واما حقنا في البيعة فمعلوم لانها كانت لاجدادنا · كما يظهر من الكتابة المنقوشة على الرخام فوق باب المحراب حيث يقرأ : ان الخواجا عيسى (١) المرحوم ابن الخواجا عبدالله هو الذي رمّ الكنيسة ووسعها بموجب حجة من المحكمة ورخصة من الحاكم وأحدنا فرج الله هو ابنه · وكان عيسى الموما اليه قد شيد باب المذبح وموضع الذخائر وصورة العذراء سنة ١٧٤٤ على عهد الحاج حسين باشا المرة السادسة · فلما أتم كلامه حدثت مخاصمة وجدال حمل المتسلم على حبس القسوس وسبعةٍ من كل فريق . بعد عشرة ايام فرض عليهم غرامةً كبيرة جمعوها من الشعب عموماً وادّوها وامر القسوس

١ ان عائلة الخواجا عيسى اسمها اليوم آل عزوز

ان يسمحوا للكاثليكيين بالصلوة من بعد صلاتهم (١)

١٢٣ وفي تلك الاثناء اي في اواخر شهر نيسان من سنة ١٧٧٨ اهتدى كاهن آخر في قرقوش اسمه القس افريم مسيحو وتبعه ماينيف على مائتي عائلة · فانطلق البادري موريس كرزوني الى القرية ليعظهم ويرشدهم وبعد ان منحهم الحل عاد الى الموصل وكتب خبرهم الى السيد ميخائيل بتاريخ ٣٠ ايار فبشره وحثه عَلَى ان يعجل في ارسال بشاره بعد ان يرسمه قسيساً والقس عبدالمسيح لانه كما قال بقي وحده بين المرسلين يتكلم بالعربية وعَلَى اهبة السفر الى اوربا من اجل مرض في عينيه والبادري روفائيل غائب في القسطنطينية(٢) واذ ذاك حضر سليمان باشا عبد الجليل الى قرقوش قريته فاتفق المهتدون مع القس افريم وعرضوا عليه ان عددهم يزيد على عدد اليعاقبة ومع ذلك لايملكون من الكنائس الثمان ولا واحدة وانه قبل سنوات كان قداعطاهم كنيسة فاستردها اضدادهم · فرق لهم الوزير واعطاهم كنيسة ماريعقوب ولئلا يعارضهم احد ايد عطيته بوثيقة

وبعد قليل وصل الخبر الى البطريرك فانفذ كتاباً الى الباشا قال فيه ان الذين اعطيتهم الكنيسة في قرقوش هم تابعوا الفرنج اعداء السلطان والمسلمين فيحل سلب اموالهم وسبي عيالهم الخ حتى قال فاذا تركتهم هكذا تبقى خطيتهم في رقبتك وانا بريّ من ذنبهم امام الله والسلطان الذي سلمني الكنائس والذين

١ نقلاً عن جملة شيوخ لنا فكان كلامهم مطابقاً لما هو مكتوب عَلَى الرخام في البيعة المذكورة الى اليوم

٢ عن سجل دير الشرفة عدد ٢٧ في ٢٧ حزيران سنة ١٧٧٨

الفصل السابع

١٢٢ اعاقة رسامة بشارة — تفقيهه — اهتداء شماس وسبعين شخصاً في الموصل — دخول
المهتدين الكنيسة — هياج الاضداد ١٢٣ اهتداء كاهن ومابقي عائلة في قرقوش
ضبطهم كنيسة — تشكي البطريرك من الحاكم — ارتسام بشارة كاهناً — توصية
الحاكم فيه ١٢٤ اهتداء كاهنين في قرقوش — بلوغ عدد المهتدين الى ثلثي
اهاليها — اهتداء في قرية برطلّي و بعشيقا — رجوع القس بشارة
متنكراً — تأمين الحاكم له — اهانات الاضداد له — توبتهم واهتداؤهم
بحلمه ١٢٥ عناية القس بشارة بالشاردين — عودة البادري
روفائيل بصك رسامة بشارة — اهتداء كاهن
في الموصل وآخر بقرقوش — اصلاح
عوائد في قرقوش

١٢٢ اما ما كان من المقدسي بشاره فانه لما دخل حلب في شهر كانون الثاني مع رفيقه رحب بهما السيد ميخائيل والقس زكريا الذي كان وصوله الى هناك قبل سنتين وسرّ الحبر البار باستماعه من ضيفه اخبار الاهتداء السريع العجيب في الموصل وقرقوش ٠ فكتب الى الشعب يطمنهم الى سلامته ٠ واثنى على غيرتهم وصبرهم حتى قال : طوبى لكم لانكم ضاهيتم المسيحيين والشهداء الاولين ٠ وكان القس زكريا يثني على المنتخب ويشهد له ان له كل الاستحقاق والجدارة بدرجة الكهنوت ٠ وكان جواب المطران ان لا رخصة له ان يرقي الى الكهنوت من لا يختص بحلب وقال للمنتخب ان يتوجه الى لبنان الى السيد يوسف قدسي بما انه هو النائب الرسولي على السريان المهتدين كافةً ٠ وهو يمنح

المنتخب الدرجة المطلوبة · فاغتم بشاره واستصعب هذا السفر وخاصةً لخوفه من ان يفضي به التماهل الى الوقوع في ايدي الاضداد فتخيب الامال حتى قال: اني لا اعرف جبل لبنان ولا السيد المذكور بل لم اسمع بخبره قبل الان· وعُرض على القس زكريا ان يرجع الى الموصل ويقوم بخدمة الشعب · فقال: لا سبيل الى ما تقولون لاني شيخ والبطريرك حاقد عليَّ فلا جرم انه يبيدني · حينئذٍ اتفقوا والقس عبد المسيح معهم على ان يعرضوا المسألة على المجمع المقدس فكتب كلٌّ من الاربعة رسالة في هذا الشان

ولبث المقدسي بشاره والقس عبد المسيح عند المطران المذكور وهو يعلمهما ما كان ضرورياً للكاهن راعي النفوس ويحرضهما على قداسة السيرة والنمو في الايمان مهما قاسوا من اجل ذلك من الاهوال والشدائد · وان يستشير بشارة الاباء المرسلين عند اقتضاء الحاجة · وفي خلال ذلك انضمَّ الى فئة المهتدين في الموصل في شهر نيسان شماس شهير اسمه عبدالله وهو ابن اخت القس زكريا ولحق به خمسون رجلاً وعشرون امرأةً · واراد غيرهم ان يتبعوا مثلهم لكن اوقف الخوف استعدادهم

قلنا ان المهتدين اعتادوا على قضا الصلوة في بيعة مار اشعياء التي للكلدان· فكان يصيبهم اذى واهانات جمه اثناء مسيرهم الى تلك الكنيسة · لان الاضداد كانوا يكمنون لهم في الطريق لهذه الغاية وخصوصاً لما كثر عددهم من رجال ونساء · وفي جملة القاصدين تلك البيعة رجل ضرير اسمه قرياقس يحمل عصا · كان هذا كلما صادف الاضداد كامنين للشر ضربهم بعصاه وهو يقول دعوني اضرب فانه ليس على الاعمى من حرج · فلما اضجرهم ذلك · ولاسيما لان

والسريان المشاقين فحبس احدهم وأُهين · فلما قضى مدة حبسه ودفع الغرامة المحدودة عليه توجه من ساعته الى حلب ليعرض امره على قناصل الدول · و كذلك البادري اغناطيوس عرض عليهم في رسالة حملها المقدسي بشارة كل ما اصابه · وبعد سفر المذكور قدم الفرمان السلطاني الذي بيده الى اولي الامر ليعرفوا كم تعدى البطريرك وهم عليه : الاهانة والسجن والتنكيل والغرامة الفاحشة كل ذلك بدون فحص او محاكمة · فاقروا بجور البطريرك وحمقه · وبامر الحاكم القي القبض عَلَى البطريرك وزج في الحبس مع خادمه وبعد يومين فرضت عليه ثلاثة الاف ذهب غرامة فاداها وخرج : وهكذا وقع في الحفرة التي حفرها لغيره · ولدى وصوله الى دير الزعفران لحق به كدر آخر وهو ان عبد الاحد بن يشوع احد مطارينه سرق من صندوقه ثلاثين كيساً من المال · فامسكه وضربه سبعمائة سوط وارسله الى الحاكم فحبسه وغرمه غرامةً كبيرةً ومن ذلك أُهين اسم اليعقوبية في ماردين وغيرها

وفي تلك الاثناء ارتد ايليا الالقوشي بطريرك الكلدان الى النسطورية بعد ان بقي كاثليكياً زماناً · فاقامت الفرقة الكاثليكية المطران يوحنا هرمزد ابن اخيه خلفاً له غير انه كان في حاجة الى فرمان سلطاني لتأييده فسافر البادري روفائيل الدومنكي الى العاصمة لقضاء هذا الامر بسعي شقيقه هناك لانه كان كاتباً في سفارة النمسا · وعند وصوله الى ماردين رافقه البادري اغناطيوس يريد حلب وفي هذه المدينة افترق الاب روفائيل يريد العاصمة حيث سعى فنال مرامه (١) · اما الاب اغناطيوس فعرّف القناصل بكلما جرى له وللمرسل

١ عن سجل دير الشرفة عدد ١٠٣ شهر شباط سنة ١٧٨١

ديار بكر · فاجتمعوا للمشاورة واجمعوا على جذب البطريرك الى العاصمة للمحاكمة مع السفراء · وما عتم هذا الخبر ان بلغ البطريرك فراعه الامر وخاف عَلَى نفسه وندم على مافرط منه : واذ لم يجد وسيطاً للصلح احسن من المطران ميخائيل كتب اليه يلتمس منه المصالحة · فكانت تلك احسن فرصة يأخذ بها بثاره منه ماتعدى به عليه وعَلَى المهتدين في كل الجهات لكنه اظهر فضيلةً قلما توجد بين المنفصلين · لانه توسط للصلح واقنع القناصل فوعدوه بالعفو عَلَى ان يكتب البطريرك اليهم رأساً و يستغفر منهم ومن المرسلين كل بمفرده واعداً انه يكف بعدها عن تلقيب المهتدين باسم الفرنج · فشكرهم المطران وكتب الى البطريرك في ذلك · وفي اقصر وقت ادى البطريرك ماارادوا صاغراً واغتنم البادري اغناطيوس فرصة وجوده في حلب ليخفف ضيق المهتدين بماردين فجمع لهم اسعافاً من حلب ثم من الموصل وقراها وقد ذهب اليها بنفسه

ولما كان السيد ميخائيل يهمه هدى سريان الرها · فكان يكاتب الشدياق حنا ابن عم البطريرك وابنه القس سليمان ترزي وجيه نصارى الرها عَلَى ان هذا القسيس كان يوماً تلميذاً للمطران في دير الزعفران · وكان نتيجة المكاتبة ان اتفقت جملة عائلات عَلَى تلبية القس سليمان ففرح السيد ميخائل واسترخص المجمع المقدس في تصريف القس المذكور ليولى امر تلك العائلات «١»

---

١ عن سجل دير الشرفة عدد ٢٣ رسالة ايطالية سنة ١٧٧٢

واوعزت اليهم في تلك الليلة ألاّ يذهبوا في الغد الى بيعة الكلدان للصلوة· وفي الصباح اشتهرت شكاية البطريرك على المذكورين وعليّ انا · لان الحاكم ابتدأ بالشغل فقبض علَى شماس اسمه ميرزه كان قد اهتدى حديثاً وطرحه في السجن واعدّ آلاتٍ لتعذيبه هو وغيره حتى الموت بدون محاكمة · فلما شعر الكاثليكيون بالمكيدة : وخاصةً الشماس توما ابن الشدياق عبد الاحد سعيد · والخواجا حنا رومي وعمسو الكركجي : تشجعوا وسعوا في تخلية الشماس ميرزة وفي نجاة انفسهم ايضاً· فافهموا الحاكم ان الذين يؤمل منهم المال فقراء لا يحصل منهم كبير فائدة فاقتصر علَى تسعة فقط منهم والقى القبض عليهم وارسلهم الى سجن الزنجير فكان انصار البطريرك يذيعون عنهم خبر الصلب والقتل حتى خاف اهاليهم واصابتهم غموم وامراض ولا سيما النساء · واذ ذاك ذهب المطران بشاره الى السجناء وقال لهم ان غرامتكم سبعون كيساً · فاذا اطعتم البطريرك يدفعها عنكم ويطلقكم· ثم اقبل البطريرك ايضاً وقال لهم الكلام نفسه وكان جواب المحبوسين للاثنين واحداً : اننا لسنا براجعين الى الهرطقة ولو قطعونا ارباً · وكان المسلمون نفسهم يشهدون ان الحق مع الذين سجنوا والبطريرك ظالم (١)

وكان البادري اغناطيوس مختليا يفحص اوراقه فوجد الفرمان السلطاني الذي كان سفير دولة فرانسا قد استحصله سابقاً وفيه تعطى الحرية للمرسلين اللاتينيين ولكل من ينتمي اليهم: ويحرم علَى البطريرك ان يكره احداً في الدين·

١ الرسالة محفوظة بين الاوراق المفردة في الشرفة

فقدم الفرمان الى الحاكم وطالبه بالعمل به · فلما سمع البطريرك قراءته خاف ورجع الى ديره

واما السجناء ففرض الحاكم عليهم دفع ثلاثماية غرش غرامةً واطلقهم · وكان هذا المبلغ ثقيلاً نظراً الى فقر مالهم لكنهم تحملوه صابرين وتعاهدوا على الاتفاق ما حيوا · ونفر منهم انتقلوا الى حلب خوف ان يعود البطريرك الى الاشتداد · وكان نحو مائة عائلة متأهبة للاهتداء فلما عاينوا ما صار اخروا ذلك لخوفهم ما عدا رجلاً شجيعاً اسمه بشاره بن اصلان النعلبند بن رزقو فانه اجهر اهتداءه فحبس ثلاثة ايام فلما غرّموه ستين غرشاً أُطلق سبيله

ولما رجع البطريرك الى الدير قال لقومه انه لم يفتح عيون شعبي ويحملهم على مذهب الفرنج الا هولاء البادرية ثم اقسم بالله العظيم انه لن يبقي منهم في ماردين والموصل احداً الا ابعده ولا سريانياً تبعهم الارده الى طاعته · ومن ساعته كتب الى المفتي يقول : اما تقطعون رؤوس الفرنج وترسلونها الى اسطمبول واما اضطر الى تسكير كنيستي · ولانجاز ذلك بعث اليه بهدايا وسأله ان يعطي فتوى في ان المرسلين يفسدون البلاد العثمانية ويسير الفتوى الى دار السعادة لكي يصدر امراً في طردهم من جميع البلاد · وكان المتوسط لتنفيذ هذا الطلب المطران بشاره ووافق ذلك وصول المقدسي بشاره مع رفيقه الى ماردين كما قلنا فاختفيا في دار المرسلين وأُلقي حينئذٍ القبض على البادري اغناطيوس وزج في السجن وكبل بالحديد فذاق عذاباً اوصله الى الموت · ثم وضعت عليه غرامة مبلغ جزيل فاداها وخرج

١٢١ واشتد الاضطهاد على المرسلين في ديار بكر ايضاً بسعاية الارمن

فمنذ دخل بيت اهله قبل ايديهم شاكراً لهم تمنيهم الصلب له · فوقع كلامه موقع التبكيت في قلبهما : فانضما الى فئة المهتدين (١) وثبت آل تبوني في الديانة المقدسة الى اليوم وارتد البعض الى الوراء لسبب هذا الاضطهاد : ولكنه اهتدى اكثر منهم في الموصل وقراها

١١٨ ولم يكن لجمهور الذين اهتدوا في الموصل الى الان كاهن يقدس لهم القداس ويجمع شتاتهم من البيع الغير السريانية · فاجتمعوا في منتصف شهر ايلول من سنة ١٧٧٧ بالاب روفائيل الدومنكي المرسل للمفاوضة فلم يجدوا شخصاً جديراً بهذا المقام مثل المقدسي بشارة اخطل : فانتخبوه للقسوسية وكتبوا الى السيد ميخائيل بينوا له احتياجهم الى كاهن وشهدوا في حسن سلوك بشاره وغيرته التي بذلها لاجتذابهم ولم يزل يبذلها لتشجيعهم والتمسوا ان يرسمه كاهناً دون اعاقة ودون ان يعلم به احد خوف ان يشعر الاضداد بالامر فيخطفوه ويبيدوه فتتبدد الخراف الجديدة · ووافقهم شعب قرقوش الغيورون ووعدوا السيد المذكور انهم ياخذونه بعد رسامته الى قريتهم ليقيم فيها آمنا اذا كان يخشى معارضة الاضداد له وكتب المرسل الدومينكي يؤيد طلب الشعب واعتنى بسفر المنتخب

فسافر بشارة وصحبه القس عبد المسيح القرقوشي وكان كما سبقت اشارتنا اليه منذ اقتباله الايمان قد امتنع عن اقامة القداس خوفاً من الغلط · وانما قصد حلب لكي يتفقه في معرفة واجباته حسب الاصول الكاثليكية ثم يقدم الذبيحة الالهية · وبعد سفرهما كتبت توصيات جديدة في المنتخب وقد حرص المهتدون

١ عن رواية احد الشيوخ عن والده

في ذلك اشد الحرص حتى ارسلوها مع ساعٍ متنكر الزي لما كان داخل قلوبهم من خوف البطريرك واعوانه · واما المسافران فكان وصولها الى ماردين يوم كان المهتدون هناك والبادري اغناطيوس نفسه في ضيق فاختفيا في دار المرسل

١١٩ اما الضيق الذي اصاب المهتدين بماردين يومئذٍ فنقتبس كلام البادري اغناطيوس لوصفه (١) قال : ان البطريرك كوركيس بعد ان آذى مطران الارمن باربعة ايام لسبب اقتباله السريان المهتدين في بيعته وتشجيعه اياهم عاد الى التنكيل بالسريان المهتدين · فركب بغلته يوم السبت ١٥ ايلول سنة ١٧٧٧ وتوجه الى السراي بدون ان يعلم بـه احد : وهناك اختلى بالحاكم وبالديوان افنديسي والتفنكجي باشي واستمالهم الى انجاز بغيته : فكتب اسماء اربعة وثلاثين من اكابر المهتدين في جملتهم الخواجا حنا طبيب والشماس حنا رومي والشماس جرجس وقدم الدفتر الى الحاكم وهـو يوكد له انه يصيبه منهم سبعين كيساً من المال : بل من كل فرد منهم الف ذهب اذا تشدد عليهم في ان يرجعوا الى مذهبه · واضاف اليهم اسم بطرس عازار مطران الارمن · فاذعن الحاكم لطمعه واخذ يفتكر في تدبير ينجح به · امـا انا فشعرت بالمكيدة قبل كل احد حيث لمحتُ وانا على سطح ديري اصلي الورديه مساءً : البطريرك ذاهباً فتشاءمت من ذهابه في ذلك الوقت وتوجستُ منه خيفةً فاخذتُ اتتبع المسالة واستفحص عنها فاذا هي لم تكن عبثاً · فعمدت الى اولادنا السريان

(١) عن رسالته الى السيد ميخائيل بتاريخ ٨ تشرين الاول سنة ١٧٧٧ وهي محفوظة في خزانة الاوراق بالشرفة

هو عن الفرق الذي بين البطاركة وانما قال هذا لينجي نفسه ويخفي اسرار الديانة عن الاجانب · فلما سمع احمد اغا هذا الجواب غضب فشتم البطريرك والقسوس وارسل الخمسة الى السجن وضم اليهم خمسة من وجوه اليعاقبة من كل من خورنة الطاهرة ومار توما ومسكنته ومار اشعيا قسيسين قسيسين حتى بلغ عددهم ثمانية عشر · واختفى البقية من القسوس والوجوه

ولما كان للمرسلين جاه ودالة لدى الحكام بسبب طبهم · قصد البادري روفائيل الدومنكي احمد اغا والحاج عبد الباقي وشفع في المهتدين · فقالا لحسن باشا ان هولاء كلهم فقراء لا يحصل منهم ما تومله · ففرض عليهم اربعة اكياس مالاً فادى الكاثليكيون مائتي غرش واطلقوا · والبقية حصلتها الحكومة من الجماعات الاربع

وما عمت هذه الاخبار ان بلغت مسامع السيد ميخائيل · فكتب بتاريخ اول تموز سنة ١٧٧٧ يعزيهم قائلاً · اني فارح بكم يامسروري واكليلي · فلقد بلغني ما كابدتم من العذاب والحبس والتعييرات والشدائد · لكن كفاكم تعزيةً انكم احتملتم ذلك من اجل البر والدين الصحيح · فابذلوا جهدكم في ان لا ينقطع اسم الديانة الكاثليكية من بينكم بل يزداد يوماً فيوماً ثم · سألهم اين يصلون وعند من يعترفون · فاجابوه ان صلاتهم في بيعة المرسلين او في بيعة مار اشعيا التي للكلدان وانهم يعترفون عند البادريه وعند القس عيسى البناء · ثم كتبوا دفتر اسمائهم وكل منهم يتسابق ليكتب اسمه قبل الاخر · ويتغايرون على اقتبال الايمان في الموصل وخاصةً في قرقوش لكون اناسها منفردين وفي حماية آل عبد الجليل مواليهم وكان قد انحاز الى الايمان الكاثليكي منذ يسير القس عبد المسيح

فتوّته واقتبل الحل بيد المرسلين · ولما كان هذ الكاهن من الاغنياء وذا جاه تبع مثله كثيرون

١١٧ ! وما تمتع المهتدون في الموصل بالراحة حتى عاد البطريرك الى التنكيل بهم · وذلك ان وكلاءه اخبروه ان المهتدين يدخلون في الكثلكة افواجاً · فبعث برسائل وهدايا الى الحكام وطلب حبسهم · فبثّ المتسلم الجنود والقى القبض على اربعين منهم · وطفق ينذرهم بالحبس بل بالقتل والصلب اذا لم يرجعوا الى طاعة بطريركهم فاجابوه بجراءةٍ ما هجرنا مذهب البطريرك رغبةً في رفع لواء العصيان عليه ولكنا وجدنا فيه من الكفر والضلال مالا يسع ضميرنا في حريته وتخيره الا نبذه واطراحه وليس من شيءٍ يكرهنا عَلَى تركه · عَلَى ان المتسلم لم يحفل بكلامهم بعد ان اعمت بصيرته الهدايا فامر الجلاد واسمه حمّودي ان يسوقهم جميعاً الى السجن ويكبلهم بالحديد كل عشرة بسلسلة · وبلغ احدهم واسمه فرجو تبوني ان اباه نذر ان يهب ثياب ولده كل من بشره بصلبه لاصراره عَلَى المذهب الكاثليكي وإبائه الردّة مع ما بذل له ابوه من النصيحة · فلما سمع فرجو هذا الكلام : رفع نظره ويديه الى السماء وقال : ربي أنعم عليّ بهداية والديَّ ثم ابدني كيفما شئت فبكى رفقاؤه وايقنوا بالهلاك وقضوا تلك الليلة ساهرين مصلين · فكان منظرهم اشبه شيء بشهداء سبسطيه الاربعين · وفيما هم يصلون ويلتجئون الى مريم العذراء : اذا بها تراءت لهم وقالت بصوتٍ مسموع : انكم في الغد تخرجون من السجن · فاطرقوا الى الارض وقد شعروا بشجاعةٍ تحاكي شجاعة الشهداء الاولين · وفي الغد باكراً فرض المتسلم عَلَى السجناء دفع سبعمائة وخمسين غرشاً غرامةً واطلقهم في شهر ايلول سنه ١٧٧٠ · اما فرجو

الفصل السادس

١١٥ منشور حرم وتهديد من البطريرك لردع المهتدين في الموصل ١١٦ رسائله الى متسلم البلد — حبس قسوس واكابر من عموم الطوائف — نجاة المهتدين بشفاعة المرسل تعزية السيد ميخائيل المهتدين — وصفهم حالتهم له — اهتداء كاهن في قرقوش ١١٧ التنكيل بار بعين شاباً — نجاتهم بشفاعة العذراء ١١٨ انتخابهم المقدسي بشارة كاهناً — سفره واختفاؤه بماردين ١١٩ وصف هياج المضطهدين في ماردين بقلم مرسل ١٢٠ تبرئة المرسل حبس البطريرك — حبس المرسل ١٢١ اطلاق المرسل — سفره الى حلب برفقة البادري روفائيل — تهديد القناصل تذلل البطريرك وصلحه

١١٥ ثم ان البطريرك كوركيس وجه غيظه نحو المهتدين في الموصل فاثار عليهم اضطهاداً يعجز القلم عن وصفه فبادئ بدء ارسل منشوراً قرئ في البيعة وكان قد صدره بنصائح وتهديد وحرم حتى قال للقسوس والوجوه : انصحوا الذين قلبوا (اعني هجروا المذهب اليعقوبي) وصاروا فرنجاً . فاذا انتصحوا وتابوا فياحبذا : والا فلا تعمذوا اولادهم ولا تدفنوا موتاهم ولا تباركوا اعراسهم . واكتبوا اسماءهم وارسلوا دفترها الينا عاجلاً لنرفعه الى الحكام ونكسر رؤوسهم . فعملوا كما قال . وعلاوة على ذلك اذاعوا ان : قد صدر الحكم في قتل وصلب كل مسيحي (اي كاثليكي) من شعبنا : وبشروا بطريركهم ان سليمان باشا الجليلي المحب للمرسلين وتباعهم قد

خرج للسفر وهذه احسن فرصة لانجاز مقاصدكم فاوقعت هذه الاخبار ‌سجساً عظيماً حتى كان الاصحاب والاقرباء يلومون المهتدين وينصحونهم ليرتدوا الى الوراء : غير ان المهتدين تشجعوا اكثر وجددوا عهودهم وكان الواحد يقول للاخر ما هذه الحركة الا دليل على ان الطريقة التي تمسكنا بها تعليم قويم كما نقرا ان الناس احبوا الظلمة وابغضوا النور لئلا تظهر اعمالهم انها شريرة فلنثبت فيه . فاذا احضرونا قدام الحكام يضع الله في فمنا ما ينبغي ان نقوله .

١١٦ ولما بلغت هذه الاخبار الى البطريرك كتب من ساعته الى المتسلم وكان اسمه حسن باشا كتاباً مشدداً استنهض فيه همته الى ان ينتقم عوضه من الذين خلعوا طاعته . ووكل عنه الخواجا حنا الصراف ليسلمه رسالة البطريرك ويكلمه في هذا الشان . ثم غاب هذا الرجل ووكل عنه الحاج عبد الباقي وسلمه رسالة ثانية وفعها الى المتسلم المذكور فقال فيها : ان اناساً من طائفتي صاروا فرنجاً فالتمس منك ان تردعهم . فكتب الى احمد اغا التفنكجي باشي : ان ألقِ القبض على الفرنج المسيحية (الكاثليكيين) لا النساطرة ولا اليعاقبة . فكتب اسماءهم واحضر خمسة من المقدمين وهم الشماس اسحق ابن القس حنا والياس قندلا . وعبد المسيح قندلا . وبني بشاره . وعبد الله بن مريومه وقال لهم قد بعث ابوكم يشتكي عليكم فما جوابكم . فاجاب الشماس اسحق (١) اعلم يا اغا ان لنا نحن النصارى اربعة بطاركة اي آباء كلٌّ منهم يأمر العوام قائلاً اعملوا هذا واعدلوا عن ذاك ولما كان المشتكي ادرى بالمسائل منا نحن الأميين فاسأله

---

١ هو كاتب هذه الاخبار في رسالةٍ الى السيد ميخائيل تاريخها ١١ ايلول سنة ١٧٧٧ وهي محفوظة بين الاوراق في الشرفة

بهم اشد تنكيل اذ طرحهم في السجن وغرّمهم الاموال وهذا العمل حمل الشماس توما ان ينتقل بعائلته الى ديار بكر . وبعض المرسلين ان يذهبوا الى حلب حيث اخبروا المطران ميخائيل بذلك فاغتمّ . وبقي البادري اغناطيوس في ماردين ففوّض السيد ميخائيل سياسة المهتدين اليه لانه لم يكن لهم كاهن من جنسهم خوفاً من الظلم . واليك خبر هذا الاضطهاد عن رسالة بتاريخ ٨ تشرين الاول سنة ١٧٧٧ لهذا المرسل الى السيد ميخائيل (١) كتب

« ان البطريرك واعوانه تظاهروا الى اليوم كحملان وديعة لكننا عرفنا من اعمالهم انهم ذئاب خاطفة حتى انه لو اتصلت يد البطريرك الى انجاز حقده لجعل ماردين مجزرةً لذبح المهتدين : انه في العام الماضي اوشك ان يصير كاثليكياً اذ غُلب بنصائحنا : وفي هذه السنة ظفرت به شراسة المطرانين بشارة واخيه والحمية الموهومة التي هيجه المذكوران الي العمل بها . فاظهر عدوانه اولاً على بدروس ورتبيت اعني بطرس عازار مطران الارمن المعروف بالغيرة لانه كان يقبل السريان المهتدين في بيعته واستعان بمطران ديار بكر للارمن المشاقين على التنكيل به وقدم هدايا وافرة الى والي ديار بكر وحاكم ماردين . فارسل مطران ديار بكر جبالاق وكيله الى ماردين حاملاً فرماناً شاهانياً مسجلاً في بغداد وبيورلدي من والي بغداد ذلك لكي يستولي على بيعة سورب كيورك اي مار جرجس . غير ان الله وضع حداً لقساوتهم ولصبر المؤمنين الابرياء . لان الحكام وافقوا الخصم زماناً حتى قبضوا ما أُرشوا بــه : ثم ابطلوا تنفيذ الفرمان وسائر الاوامر وايدّوا المطران بدروس بناءً على بيورلدي سابق كان المطران المذكور قد

٢ وجدنا الرساله في خزانة الاوراق بالشرفة

استحصله من سليمان باشا والي بغداد مامور فيه ان لا يعارضه احد في حقوقه »

وكان المطران المشاق اثناء سياق الدعوى في بلد ارغنه مستعداً للتوجه الى ماردين راساً لكي يستولي عَلَى بيعة الارمن · فسير اليه البطريرك كور كيس ساعياً وبشره بقرب النجاح واوعز اليه ان ياتي الى ماردين سريعاً · فلما وافاه هذا الخبر طرب فرحاً وعمل وليمةً للساعي وللحاضرين عنده · غير انه ياالعمق احكام الله · لانهم بينما هم ياكلون ويطربون أُصيب المطران والساعي من بغتة بارتعاش عقبه عقد لسان المطران فبات يتقلب ظهراً لبطن حتى قضى عند ظهر الغد وما عتم هذا الخبر ان ذاع في ماردين فاتخذه الناس من نصارى ومسلمين عقاباً الهياً بان به ظلم المشاقين وبراءة السيد بطرس عازار والكاثليكيين انصاره · والاغرب من ذا هو ان البطريرك كور كيس لم يعتبر ولا كف عن الشر بل ازداد عتوًّا نظير فرعون واشتد عَلَى المهتدين والارمن نخسرهم الفاً وخمسمائة ذهب (١)

---

١ عن رسالة البادري اغناطيوس السابق ذكرها

المسكونة كلها. فهذه الامور معلومة عندنا الى اليوم

عن دير الزعفران سنة ١٧٧٦ مسيحية

واعلم ان هذه صورة الايمان قد رضي بها وختمها بعد حين البطريرك يعقوب ايضاً الذي من قلعة الامرأة (١)

فلما ذاع خبر الرسالة في ماردين طرب الكاثليكيون فرحاً وكان اكثرهم مستترين خيفة منه. واقبل اليه بشاره احد مطارنيه واخوه فوبخاه على عمله وهيجاه على اعادة غيرته الموصلية فخدثته المحبة الذاتية فوعدهما بقسم انه سوف يفرغ جهده في ابادة كل الذين انتموا الى الكنيسة الكاثليكية ومن هذا يستبين رياؤه ومكره او انه جبان يخاف من ادنى مقاومة فيسير حسب هوى مرؤوسيه او يفدي الرئاسة بدينه. وابتدأ بالاضطهاد بحجة اهتداء رجل من اكابر رعيته يقال له الشماس توما ابن الشدياق عبد الاحد سعيد. فارسل اليه رسولاً من دير الزعفران يعاتبه على انتمائه الى الفرنج. فاجابه ان ارجع الى مرسلك وقل له ألقِ اللوم على نفسك لانك كتبت الى سيدنا البابا بقبول تعليمه والخضوع له ثم نكثت عهدك. فاغتاظ البطريرك وارسل اليه في الغد خادمه واسمه يعقوب ليخاصمه فتكون له حجة يشتكي بها عليه. والتقى يعقوب بالشماس وهو في السوق فبادره يعقوب قائلاً: عار على مثلك ان يتبع ميخو المحروم (اي المطران ميخائيل جروه). فاحتد هذا وكان بيده غليون فكسره على راس الخادم ومن ساعته قدم

١ عن رسالة للاب اوغسطين الكرملي حاوية اخبار هذا البطريرك وهو محفوظة في خزانة الاوراق بالشرقة — اما صورة الايمان فمحفوظة في دار البطريركية بماردين

عليه شكاية واعلم المفتي بما جرى فاستبشع دسيسة البطريرك وارسل يوبخه قائلاً : اما كفاك ما جرى منك بحلب حتى جئت تؤذي الناس بماردين ايضاً. فخاف وارسل المطران بشاره الى الشماس يعاتبه بلطف ويصالحه. وبعد ايام جاء البطريرك الى ماردين فذهب اليه الشماس وبرفقته خشمان اغا التفنكجي باشي سابقاً. فلاطفه اولاً ثم قال له. لي كلام اقوله لك بعد انصراف الاغا. فقال انا دخلنا عليك معاً فلا نخرج الا معاً. فاذا كان لك كلام تقوله تفضل. حينئذٍ عاتبه البطريرك قائلاً : انك كبير جماعتي وشماس فكيف لم تستحِ من ان تصير فرنجياً وتترك الحق الذي في بيعتنا. فقال الشماس. اني اتبعتُ الحق ومن يعمل ذلك حقه الافتخار لا الخجل. وانما الذي ينبغي ان يخجل هو مثلك ذو مقام سامٍ يعرف اني لستُ فرنجياً وينسب اليَّ هذا الاسم. ويعرف الحق ثم ينكث عهده كما فعلت انت. وبعد عتاب طويل ختم البطريرك كلامه قائلاً. اذا باركك عشرون مسيحاً فانت محروم من فمي. فقال له الشماس. حل نفسك ثم احرم غيرك وانصرف (١)

وبعد ايام اراد الشماس توما ان يخطب له ابنةً من الارمن فلم يعطه البطريرك كاهناً يبارك خطبته. فقصد المفتي صديقه وساله رخصةً في ذلك منه ومن يوسف اغا الحاكم لقسيس من الارمن. وبلغ الخبر الى البطريرك فاوعز الى ارميا احد كهنته ان يؤدي هذه الخدمة (٢)

١١٤ وفي اواخر صيف تلك السنة اشتد البطريرك عَلَى المهتدين ونكل

---

١ عن رسالةٍ للشماس المذكور وجدناها في خزانة الاوراق بالشرفة

٢ عن رسالة الشماس المذكورة

موافق لرسالة قدسكم ٠

اولاً نومن ونقر ونعترف نحن السريان عموماً بالآب المجيد والابن الوحيد والروح القدس الفارقليط ٠ اله واحد رب واحد جوهر واحد : ثلاثة اقانيم بثلثة اسماء اله واحد فعل واحد سلطة واحدة ٠ وهو ثلاث خواص ٠ خاصة الآب الابوة وله الارادة كما نسبه الابن قائلاً : نزلت من السماء ليس لاعمل بمشيتي بل بمشية من ارسلني ٠٠٠ وخاصة الابن البنوة وله الفعل لقوله كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان ٠ وخاصة الروح القدس الانبثاق وله التخبير كما كتب : واذا جاء روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لانه لا يتكلم من عنده بل يتكلم بكل ما سمع ويخبركم بامور آتية ٠ فهم منفصلون بالاقانيم متساوون بجوهرهم العام

ثم لما تم الوعد في خلاص البشر نزل الكلمة اي الابن الازلي من غير انفصال من ابيه وحل في حشا مريم العذراء وتجسد من فعل روح القدس ٠٠٠ واخذ منها جسداً كاملاً بنفس حية عاقلة ناطقة خالية من الخطية الاصلية ٠ واتحد اللاهوت بالناسوت اتحاداً بغير افتراق ولا اختلاط ٠٠٠ وظهر منها انسان حقيقي ٠٠٠٠ وعاش بالجسد وعلمنا ومات وخلصنا ٠ ومن اللاهوت والناسوت قام ابن واحد مسيح واحد اقنوم واحد قائم من اللاهوت والناسوت اعني من طبيعتين كاملتين الهية وانسانية متحدتين غير منقسمتين ٠ واستمرت كل منهما حافظة ما لها من غير تبلبل ٠ واتحادهما جوهري في الاقنوم الالهي اعني اتحاد اقنومي ٠ فلا يجوز ان نقول في المسيح طبيعة واحدة ممتزجة كرأي اوطيخا المحروم ٠ ولا طبيعين واقنومين كراي نسطور ٠ بل المسيح اقنوم واحد قائم من طبيعتين

كتعليم العسلي الفم مار افرام ومار يعقوب : هو هو آله تام· وانسان· تام · قال مار قورلس طبيعة واحدة متأنسة متجسده لله الكلمة · فيدعى الاهاً تاماً من جهة كمال لاهوته· وانساناً تاماً من جهة كمال ناسوته· وهو منظور وغير منظور· منظور بناسوته وغير منظور بلاهوته· وهو ابن البشر وابن الله الحي كما اعترف به هامة الرسل مار بطرس· فاجابه الرب· طوبى لك ياشمعون بن يونا· ان اللحم والدم لم يعلن لك لكن ابي الذي في السموات· وانا ايضاً اقول لك· انك انت الصخرة وعلى هذه الصخرة ابني بيعتي وابواب الجحيم لن تقوى عليها واعطيك مفاتيح ملكوت السماوات· وما ربطته على الارض يكون مربوطاً في السماوات· وما حللته على الارض يكون محلولاً في السماوات· ومعنى قوله هو· انك بهذا الايمان الذي اقررت به صرت صخرة الايمان المقدس· وعلى هذا الايمان ابني بيعتي· لان مار بطرس كان قد رآه انساناً وعرفه الهاً· وهو الذي اتلد من البتول وختوم بتوليتها باقية· اعني قبل الولادة وفي حال الولادة وبعد الولادة· فكبر بالقد والقامة حتى اعتمذ·· فنزل عليه روح القدس·· ففي كل ما دبره المخلص بين انه آله تام وانسان تام دون افتراق اللاهوت من الناسوت : حتى انه في موته لما افترقت نفسه من جسده لم يفترق لاهوته من نفسه ولا من جسده· بل كان في حضن الاب في العلى وكان مع النفس في الهاوية ومع الجسد في القبر

فهذا هو الايمان الصحيح الموضوع على اساس الانبياء والقديسين مار بطرس ورفقائه الرسل والمبشرين والاباء القديسين الذين اجتمعوا في المجامع المقدسة وحددوا هذه الحدود السادات البابوات العظام ليس من عندهم بل من المجامع : الاول النيقاوي المقدس الى حد الرابع عشر مجمع القديسين الذين صاروا في

الفصل الخامس

١١١ اهتداء في ماردين لوجود كرمليين — مقاومة البطريرك — ابكامه في المحكمة — رسالة باباوية اليه — اذعانه لكلامها ١١٢ صورة جوابه عليها ١١٣ توبيخ مطرانين له — نكثه بوعده — مقاومته شماساً مهتدياً ١١٤ خبرا تشداده عَلَى الارمن والسريان
عن رسالة المرسل شاهد العيان

١١١ وفي خلال ذلك انتشرت الديانة الكاثليكية في بلد ماردين ايضاً وكان المرسلون الكرمليون يعظون الناس فانهم من بعد رجوع السيد عمانوئيل بايه الى ايطاليا سنة ١٧٥٣ لم يزلوا يترددون الى ديار بكر وبغداد حتى صارت لهم دار بماردين وفيها نحو سنة ١٧٧٥ راهبان منهم والمقدم البادري اغناطيوس· فعلق بعض السريان بمودته من بعد خمول الفئة الكاثليكية من جراء الاضطهاد· فلما اتصل خبرهم بالبطريرك كوركيس نصحهم فلم يصغوا الى كلامه فنهض الى مقاومتهم كما فعل بالحلبيين قبل سنتين فانه رفعهم الى الحاكم فسجنوا وتغرموا الاموال حتى افتقروا· لكنهم ازدادوا جراءةً فجادلوه في ديوان الحاكم ثم في المحكمة حيث بينوا غلطه واخمدوه· فاضطر الى ان يقر بوجوب حرم ايمة البدعة السبعة ووعد ان يبطل ذكرهم في الصلوة· فلم يصدقوه: فشرط على نفسه بحضور القاضي ان يدفع سبعة اكياس مال اعني ثلاثة الاف غرش عَلَى اسم كلٍ منهم كيساً ولدى رجوعه الى القلاية استقدم اليه البادري اغناطيوس وعاتبه عَلَى احداثه هذا السجس والانقسام

وكانت قد وافت رسالة كرشونية من البابا بيوس السادس الى هذا البطريرك تاريخها سنة ١٧٧٥ يرشده فيها ويدعوه الى الاتحاد · ولم يكن المرسل المومأ اليه يجد فرصة مناسبة لاظهارها · فلما سمع عتاب البطريرك طفق ينصحه مبيناً له صحة اعتقاد الكنيسة الرومانية وان قبوله اياه خير من ان يتمادى في العناد فيضرّ بابناء جنسه واولاده ويقاوم الله · قال هذا وقدم له الرسالة فقرأها ملياً وخجل مما فيها من عبارات التواضع والمودة والرغبة في خلاصه وخلاص شعبه · فاقرّ بالحق ومدح غيرة الحبر الاعظم ومحبته · وكتب جواباً مسهباً على نسقها بتاريخ سنة ١٧٧٦ اظهر فيه موافقته وخضوعه على انه صاحب الكرسي الروماني حسب قانون نيقيه وشهادة ابن العبري والمقدم والرئيس الاكبر على سائر بطاركة المسكونة فأُرسل الى روميه عن يد البادري اغناطيوس · واليك ملخص الرسالة مع حفظ عباراتها ·

الى الاب الكلي الغبطة مار بيوس السادس الحبر الروماني الاقدس · اغناطيوس كوركيس الثالث بطريرك السريان الانطاكي سلام يفوح عبيره يعرب عن ودٍ راسخ مع صدق خلوص الاتحاد : الاب الاكرم · · · · قضيب السياسة عَلى الرعاة : الذي ضاهى ملكيصادق بكهنوته وابراهيم بكرمه وداود بدعته ويوسف الصديق بعفته وبطرس الرسول برئاسته وبولس بكرازته

غب تقديم الماطونيات امام العتبة الابوية نعانق الاسكفة البطرسية · · · ونحيي بالسلام الصفة (السدة) البطرسية التي بواسطتها تمنح المنح الكهنوتية للانام

وبعد فقد وصلت ليدنا رسالتكم الشريفة التي كتبتم فيها لضعفنا ان نوضح لكم الايمان الصحيح هوذا الايمان المتمسكون به نحن السريان وهو

قندلا · عبدالله فارة · بطرس ابنه · عبدوني الصباغ · توما زمريّا · عبد الكريم بن عبد الاحد عبد السيد

(ومن خورنة الطاهرة) الشماس اسحق ابن القس حنا (١) · عبد الاحد كركجي باشي · مراد ابنه (٢) · المقدسي الياس صهره · بشاره النقار · متى وبهنام ولداه · حنا ويه الحداد · الياس بن عمه · الياس حبص · بهنام ابن البغدادي · الياس ابن الشماس يعقوب · يعقوب بن بني (بهنام) بشاره · الياس ابن الحلوة · دنحا النجار · وحيدا النجار · ابرهيم بن قدسي البدوي · عبدالله تابع عبد الكريم · عيسى البنّا شكر بن خدر النقار · عبد الكريم بن الياس يوحانا · بهنام مشموس · مرقس بن الياس · رحماني بن نعمان النجار · عبدالله بن ميناس · بحو بن عبد الاحد تبوني . بشاره بن آرو . عبدالله بن مريوحه . قرياقوس الدباغ ابن خالته . عبد الرزاق اخطل . المقدسي بشاره اخوه . اولاد الشماس خدر نعمة وابرهيم والياس · شمعون بيري · المقدسي عبدالله مارميناس عبد الله ححلي · فرج الله تبوني · قرياقس بن خدر قرقوشي · اسحق وسليمان ولدا عبد النور اخي القس زكريا · الياس كركجي · عبد الاحد · متى الخانجي · ابرهيم سابليه · بهنام شايا · الشماس بهنام حلوبة

هولاء تحالفوا علَى الثبات في الدين القويم · وبعد ان كان بعضهم غير متدينين · تمسكوا بامور العبادة وخوف الله وطفقوا يجتمعون معتزلين في بيت

---

١ هو كاتب دفتر هذه الاسماء في رسالة محفوظة في دير الشرفة

٢ هو جد عائلة آل بني الشهيرة

احدهم او في البرية خارج البلد للمحادثة الروحية ولقراءة اخبار القديسين والتمثل بالامثال الادبية . فينضم اليهم الناس وهم يتعجبون قائلين . الم نعهد هولاء من الشاردين فمن اين لهم هذه المفاوضات لعمرنا ان طريقتهم هي المرضية لله . وزد على هذا ان القس عيسى الكلداني كان يشجعهم ويؤيد عملهم ويسمع اعترافهم كلما حضروا كنيسته . على ان خوارنة الكلدان المنتمين الى بيعة مار اشعياء تكثلكوا قبل خوارنة بيعة مسكنتة فان كثلكتها لم تتم الا في ايام الغلاء والوباء اي نحو ١٨٢٧

وكان بشاره كلما اشكل عليه امر يستشير البادري روفائيل مرشده فيوضحه له

واذ لم يطب ذلك للاضداد شكوه هو ومرشده الى الحاكم وخاصموه فعوقب المرشد وسُجن بشارة وأُهين زماناً ثم اطلق وقد تضاعفت حميته (١)

فلما خرج المقدسي بشارة من السجن ازدادت جراءته ومودة رفقائه له . فتشاوروا في ان ينتخبوه ليقام كاهناً لهم . ولخص القس زكريا اخبار هذا الاهتداء في كتاب وجهه بتاريخ ١٩ كانون الاول سنة ١٧٧٧ الى الكردينال رئيس المجمع

اخبر نيافتكم انا القس زكريا الموصلي انه صار لي سنتان منذ اقتبلتُ الايمان الكاثليكي اي منذ بلغني خبر السيد ميخائيل جروة فجئت الى حلب الوذ به فقبلني ... وان في قرية قرقوش التي في شرقي الموصل نحو ستين او سبعين عائلة كاثليكية يترددون الى الموصل لاخذ الاسرار عند المرسلين او عند الكلدان وغيرهم نحو خمسين عائلة كبيرة يصلون في بيوتهم لانهم لسذاجتهم يشكّون في الكلدان لسبب عوائد نسطورية باقية عندهم ولا يطيب لهم غير طقسهم السرياني . وان هناك كاهناً من تلك القرية اسمه عبد المسيح ميال الى قبول الايمان المقدس منذ كان شماساً ثم ارتسم كاهناً بيد اسقف يعقوبي . فلما كتبت له عن السيد ميخائيل كشف نيته لكاثليك قريته ففرحوا به ورافقوه الى المرسلين فاعطوه الحلة : ولخوفه من الغلط امتنع من القداس وقال اذهب الى حلب واتعلم ثم اقدس واسمع اعترافات المومنين

ففي الموصل جملة كاثليكيين وغيرها اكثر منماية نفر مشتاقون ولعدم وجود

---

١ عن سجل دير الشرفة عدد ١٠٢ شباط سنة ١٧٨١

قسيس من جنسهم تاخروا٠فهولاء فرحوا كثيراً بعمل السيد ميخائيل لانهم كانوا يعرفونه منذ ارسله البطريرك اليهم وهو راهب كاهن (١) ٠ ومن بعد وصولي الى هنا تضاعفت حرارة المؤمنين وتضاعف ايضاً الاضطهاد عليهم ٠ لان البطريرك اليعقوبي حبسهم وغرّمهم مبالغ جزيلة وعزم على ابادة بعضاً منهم غير ان الله لم يسمح بذلك ٠ وكان في جملتهم شاب اسمه المقدسي بشارة نجيب لبيب مولع بمطالعة الكتب اهتدى منذ عشر سنوات فامتنع لهذا السبب من اقتبال درجة الشماس من اليعاقبة حتى الصغيرة ٠ فألقى المهتدون نظرهم عليه وانتخبوه لان يقام كاهناً عليهم لكونهم كغنمٍ بلا راعٍ الخ

١١٠ واذ ذاك لما أضحت العقيدة الكاثليكية كالشمس حتى كادت تطبق البلاد الشرقية كلها عَلَى اختلاف طقوسها٠ فانقشع جهل المنفصلين انقشاع الغيم عن وجه السماء ٠هرع الشعب الى كنيسة الحق يريد الانتماء اليها ٠وفي امدٍ يسير بين سنة ١٧٧٢ الى ١٧٧٨ ٠ تكاثر عدد السريان الكاثليكيين في ماردين والموصل وغيرها وطفقوا يتحاشون شركة المنفصلين في امور العبادة ٠ نذكر اسماء اخص العائلات من المهتدين في الموصل في تلك السنة لكي تفتخر بها ذريتها في عصرنا (٢)

(من خورنة مار توما) ابرهيم عبد الجليل النقار وابنه عبد الواحد ٠ الياس قندلا ٠ بجو (عبد الاحد) ابن الياس قندلا ٠ عمسوا (عبد المسيح) اخو الياس

---

١ عن سجل دير الشرفة رسالة ايطالية ١٩ كانون الاول سنة ١٧٧٧

٢ عن رسالة القس بشاره الى المطران ميخائيل بتاريخ ٢ آب سنة ١٧٧٧ وهي مخزونة بين اوراق الشرفة

قال · الذي يُرى يرى · والذي لا يُرى لا يرى · احدهما يتلألأ بالعجائب والاخر يحتمل المصائب · فلذلك نالت كلمة الله المصائب لانها مصائب بشرها القديس · ونالت البشرية العجائب باتحادها باقنوم اللاهوت · فهو مسيح واحد فاعل آيات اللاهوت مع ناسوته · ومحتمل مصائب الناسوت مع لاهوته بدون افتراق

وقال في تفسيره قول المسيح « اذا جاء ابن الانسان في مجده » هنا ترى انعطاف سيد الكل الى بشريته المتحدة بجوهر لاهوته لقوله « اذا جاء ابن الانسان في مجده » وبهذا بيَّن ان مجيئه الاول كان في غاية الاتضاع اللائق ببشريته ومجيئه الثاني يكون في غاية الشرف والعظمة اللائقة بلاهوته · ظهور صورة بشريته متحدةً بجوهر لاهوت صورة ازليته · فغاية الاتضاع هو لباس الخالق صورة مخلوقه وتشبه السيد بصورة عبده واحتمال ما احتمله : وغاية الشرف هو اتصال المخلوق بخالقه والعبد بسيده · فيا لهذا السر العظيم

وقال مار يعقوب الملفان في حساي احد السعانين · السبح والسعانين في الاعالي للذي خلص جنسنا من ظلام الخطية بذراعه المتين— السبح والسعانين في الاعماق لصورة الاب المجيد الذي شاء واتخذ له صورة من البشريين

وبعد هذا فليقابل المشكك هذا التعليم مع تعليم القديس لاون المذكور في كتاب مختصر المجمع الخلقيدوني · ثم يحكم في كم ظلم الذين رفضوا تعليم هذا الملفان ورئاسته التي نصبها المسيح لا البشر · فتقرأ هناك : ان الذي هو اله تام : هو بعينه انسان تام · والاثنان موجودان في المسيح الواحد : اتضاع الناسوت وعلو اللاهوت وكل من الصورتين تفعل ما يختص بها بالاشتراك مع الاخرى ·

اعني الكلمة يفعل فيه ما يختص بالكلمة · والبشرية ما يختص بالبشرية

فترون ايها الاحباء ان تعليم مار قورلس الذي بوهمكم تحتجون به هو نفس تعليم مار لاون والكنيسة الجامعة اعني بطبيعتين الواحدة الهية للكلمة · والثانية انسانية للجسد · والاثنتان كاملتان متحدتان بدون انفصال

نسال الله سبحانه ان يفيض المواهب الالهية عليكم اجمعين وينير عقول المخدوعين ويجعلنا مخادع مقدسة لروح قدسه بصلوات مريم الطاهرة وجميع القديسين امين

حرر بحلب في ٢١ اذار سنة ١٧٧٦

١٠٩ فلما سمع المهتدون في الموصل وقرقوش قراءة هذه الرسالة الابوية طربوا فرحاً واضطرمت قلوبهم غيرة واخذ كل منهم يكرر كلامها على رفيقه فانضم كثيرون اليهم · واغتاظ الاضداد فتهددوهم بالوشاية بهم الى البطريرك والحاكم حتى ارتعب القس زكريا فهرب الى حلب بحجة زيارة القدس فرحب السيد ميخايل به وساله عن رفقائه المهتدين في قرقوش والموصل فخبره انهم كانوا قبلاً قليلين مستترين فلما قرأوا رسالة سيادته هبوا الى نشرها فحملوا كثيرين على الانتماء اليهم فاجهروا بالايمان المقدس دون خوف · ثم قرر دستور ايمانه قدامه ونال منه الحل وتعين معلماً في المدرسه

وكان الذي فاق المتكثلكين في الموصل بالغيرة ونشر التعليم القويم المقدسي بشارة الذي سبقت الاشارة اليه · فانه كان يتفقد رفقاءه ويثبتهم ويحاول اجتذاب غيره الى الاقتداء بمثله فوافقوه وكانوا ينتظرون فرصة للاجهار بالايمان

وفي جملة الذين انضووا اليهم سنة ١٧٧٥ كاهن اسمه القس زكريا بن عبد النور وابنا اخته سليمان وعبدالله ففرحت الجماعة الصغيرة وكتبوا الى السيد ميخائيل يبشرونه بالنجاح ويستطلعون رايه في امرهم · علما منهم انه يفوق اساقفة ذلك الزمان حزماً وعلماً فطرب الحبر الجليل فرحاً واخذ يواصل رسائل الارشاد اليهم والى شعب قرقوش وهو يؤكد لهم عن نفسه انه لولا وجوده الحق وطريق الخلاص في الديانة الكاثليكية لما هجر اليعقوبية وتبع الكرسي الروماني

١٠٨ ولكي يتحقق القاري صحة هذا الخبر نلخص ههنا رسالة المطران ميخائيل جروه الى سريان الموصل وغيرهم ومنها يستدل عَلَى غيرته في نشر الايمان الكاثليكي واليك نصها بتصرّف

باسم الذات الازلي الواجب الوجود الاَله الواحد الضابط الكل

(ديونوسيوس ميخائيل مطروفوليت حلب)

النعمة الالهية والبركة السماوية تحلّ وتستقر عَلَى اولادنا واحبائنا السريان · وبعد فاننا اليكم مشتاقون ولكم في الصلوة ذاكرون · حفظكم الله من كافة التجارب ومنحكم مواهبه واشرق عليكم انواره الروح قدسية · ووهبكم النعم التي منحها لرسله فقووا عَلَى الكفرة والمضادين وظفروا باصحاب البدع وردوّا الضالين الى الايمان الكاثليكي المستقيم : وجعلوهم للبيعة الواحدة الجامعة خاضعين ولرئيسها الواحد نائب المسيح وخليفة بطرس طائعين · وذلك حين سلمه رعاية اغنامه الناطقة حيث قال له ثلاث مرات أتحبني : ارعَ لي خرافي ونعاجي وكباشي ·

وسلمه مفاتيح الملكوت · وجعله صخرةً قوية لا تقوى عليها ابواب الجحيم : اعني كافة الهراطقة والمشاقين الذين جعلوا ذواتهم ابواباً ومداخل للجحيم بمقاومتهم لهذه البيعة المقدسة · · · · فلهذا صاروا مبدءًا للضلال والفساد حتى قُطعوا من الشركة مع الذين تبعوهم : فتاهوا عن المسيح الذي هو راسها الاصلي الغير المنظور · وهو الذي قال : انا هو الباب والطريق والحيوة من يتبعني لا يمشي في الظلام · ومن يدخل بي يجد المرعى · وقال عن كنيسته : ان المعاندين لا يقدرون على مقاومتها بل ينصدمون بها فيُسحقون · كما خبر الملفان عنها اذ قال : ان البيعة تصرخ اني على صخرة شمعون بطرس راس التلاميذ بُنيتُ فلا اخاف · صدمتني الامواج والزوابع فلم تزعزعني · وقاومني نسطور فسقط

فيالسعادة من كان ابناً لها مرتضعاً حليبها يعني تعليم روح القدس : انها حقاً سفينة النجاة المعبر عنها بسفينة نوح التي نجا من دخلها وغرق في مياه التعاليم الفاسدة من كان خارجاً عنها · نساله تعالى ان يجعلنا واياكم ابناء مختصين بهذه الكنيسة ولا يفصلنا من راسها المنظور الذي هو الحبر الروماني خليفة بطرس ونائب المسيح راسها الغير المنظور · فنقبل كلما تقبله الكنيسة الرومانية ونرفض كل ما ترفضه كما من فم المسيح · هي جسده السري وهو راسها

ثانياً ان المشكك في لفظة الصورتين اي الطبيعتين المشروح عنهما في طومس لاون المنفذ الى المجمع الخلقيدوني · فاسأله ان يتأمل بضمير سليم فيما انا ناقله عن كتاب البرهان تاليف بطرس الراهب المكنى بأبي شاكرين والكتاب موجود في قلاية الربان ابرهيم الارديني (لا الامدي) بالزعفران ويتضمن خمسين مقالة · ففي آخر الفصل الرابع من المسالة الثالثة التي عنوانها في الاتحاد

اسم مار يعقوب وكانت مهجورة · وهذا العمل انساه اوجاعه وشدائده فاقبل الى تلك البيعة فنظفها و كرسها وطفق يقدس ويرشد الناس فيها · وكان اشد اضداده قسيس يقال له القس حبش اتصل به الغيظ الى ان يؤذيه دون مراجعة الحاكم بل حلف وهو في حالة السكر ان يقتل القس يوحنا فخرج الى الزقاق وهو يشتم المهتدين و يلعن نفسه ان لم ينجز قوله بقتل القس حنا ووقف يترقب مروره · ولكن الله باحكامه التي لا تدرك خيّب امل القسيس الجاهل في تلك الليلة فانه بعد ان انتظر بغيته ولم يصادفه دخل الى العشاء وفيما هو يأ كل وقفت لقمة في حلقه فمات مخنوقاً · فاتخذ الناس هذه الحادثة قصاصاً ربانياً فخافوا بعدها من مقاومة الكاهن

وفي سنة ١٧٧٢ داهم قرية قرقوش وباء هائل طالت مدته من عيد القيامة الى شهر تموز فباد به من القرية وحدها اربعة الاف في جملتهم ثلاثة عشر كاهناً احدهم القس يوحنا الكاتب فدفن في كنيسة مار يوحنا (١) · وبعده تبلبلت احوال القرية وتغلّب اليعاقبة عَلَى المهتدين لوجودهم يومئذٍ بلا راعٍ وضبطوا منهم كنيسة مار يعقوب · ولما كان اليعاقبة ايضاً في حاجةٍ الى قسوس يخلفون الذين ماتوا بالوباء · وافى اليهم من دير الزعفران اسقف رسم لهم في قرقوش شمامسة وقسوساً جداً فاشتد بذلك ساعدهم وخافهم الكاثليكيون فاستتروا و كانوا يقصدون الموصل او قرية كرمليس لاستماع القداس · وبعضهم يؤثرون الصلوة في منازلهم عَلَى الصلوة عند الكلدان لوجود بقايا من العوائد النسطورية

---

١ عن رخامة في جدار الكنيسة المذكورة منقوش عليها خبر الوباء مع ما ذكرناه

عندهم (١) · ومع هذا لم يفشلوا بل وصل عددهم الى ما ينيف عَلَى المائة عائلة · وامتد نجاحهم الى الموصل حتى تبعهم احد القسوس من قرقوش واسمه القس عبد المسيح

١٠٧ اما انتشار الايمان الكاثليكي او بالحري نهضته بعد خموله بين سريان الموصل فابتدأ باهتداء شاب اسمه بشارة بن عبد الاحد بن يعقوب اخطل: هذا كان مولعاً بمطالعة الكتب · وطاب له تعليم المرسلين وقنوتهم: فمال الى الاهتداء وتتلمذ للبادري روفائيل الدومنكي عقيب مطالعته مؤلفات المفريان اسحق بن جبير · ولكي يتحقق الامور غادر الموصل متظاهراً انه يريد زيارة الاراضي المقدسة وبرفقته اثنان من اقربائه فشهدوا وهم في حلب واورشليم العبادات الكاثليكية مثل رياضة درب الصليب واحترام القربان والطواف به وغيرها · فاستحلوها وازدادت رغبتهم في ذلك حتى انهم شرعوا منذ عودتهم الى الوطن يجتمعون باخصائهم و يقرأون لهم الكتب الكاثليكية سراً فوافقوهم ونزعوا جميعاً الى الكنيسة الكاثليكية فنالوا الحلّ عَلَى يد المرسلين · غير انهم لما كانوا محتاجين الى قسيس سرياني يسوسهم: اخذ بعضهم يلازمون بيعة المرسلين: وغيرهم بيعة مار اشعياء التي للكلدان وكان كاهن هذه الكنيسة بتولاً واسمه القس عيسى بنّا يرحب بهم ويشجعهم على الثبات في ما عوّلوا عليه · وما زالوا عَلَى هذا حتى بلغت اليهم اخبار المطران ميخائيل جروه فازدادوا شجاعة وعدداً ·

١ حكانا شيخ من قرقوش عن جدّه انه وجد مذبح مار كوركيس مغطى بجلد حمار وقيل له ان النساطرة تسلموا ذلك بدل الطبليث ويشيرون به الى العفو الدي ركبه السيد المسيح

الفصل الرابع

١٠٦ كثلكة سريان اثور — اهتداء كاهن بقرقوش — رفعه الى الحاكم حبسه وضربه
نجاته بسخاء نساء — ارشاده الشعب علناً — اعطاؤه كنيسة حقيرة — موت خصمه
قصاصاً ١٠٧ — ظهور الكثلكة بالموصل من بشارة الشاب — هدى القس
زكريا — تردد المهتدين الى كنيسة الكلدان — طرب السيد ميخائيل
بذلك ١٠٨ رسالة موءثرة من السيد ميخائيل الى المهتدين
١٠٩ تحمس في قرقوش والموصل — غضب الاضداد
هرب القس زكريا الى حلب — همة بشارة
اخبار الاهتدا الى رومية ١١٠ اسرعة
الهدى في الموصل — اسماء
المهتدين

١٠٦ جملة الذين اتصل بهم صيت المطران ميخائيل سريان اثور والموصل فانطبق تعليمه على ما كان باقياً الى ذلك الحين من خمير التعليم السليم الذي كان المرسلون الاولون قد تركوه بينهم : فقبله نفر منهم · غير انهم لسذاجتهم وخوفهم من الرؤساء والحكام لم يتمكنوا من انشاء طائفة كاثليكية وانما كانوا افراداً مستترين · وداموا على هذه الحالة حتى ظهرت في قرقوش نحو سنة ١٧٦١ فئة من المهتدين · و بعد سنوات بلغ عددهم الى عشر عائلات كبيرة كما اشرنا سابقاً ثم انضم اليهم كاهن من الانقياء من آل الكاتب واسمه القس يوحنا ابن القس كور كيس · هذا استحسن سلوك المهتدين واعجب بصبرهم على ما قرّفهم به قسوس القرية · ففحص عقيدتهم وفاوض فيها قسيس قرية كرمليس التي بجوار قرقوش

وكان اهلها قد هجروا بدعة نسطور بسعي المرسلين فشرح له بجلي الكلام عقائد البيعة الكاثليكية و بين له انها تنطبق غاية الانطباق على الحقائق الراهنة فاصاب الحديث قلبه· فقابله على كتاب التعليم المسيحي الذي اتى به زوار القدس ومع كتابٍ للمفريان اسحق بن جبير فتيقن ان عقيدة السريان لا تصلح للخلاص الم يخضعوا لرئاسة الحبر الروماني و يقبلوا تعليمه· فانضم الى المهتدين وذاع خبره· فاقبل القسوس اليه يلومونه آسفين كانه مرق من دين المسيح· فكلمهم طويلاً في هذا الشأن حتى ابكمهم واوقعهم في حيرة· وفئة منهم وشوا بالقس يوحنا الى حاكم الموصل فاستدعاه اليه وانتهره قائلاً : أانت هو القسيس الذي مرق من دينه وفرّق شعب قريتي· ثم ارسله الى السجن وجلده خمسمائة سوطاً وبسعي قسوس الموصل اليعاقبة امر بحلق نصف لحيته وغرمه خمسمائة غرش واطلقه

غير ان جراءة القس يوحنا تضاعفت فكان ينصب كرسي الانجيل في ساحة القرية ويعلم الشعب المعتقد القويم علانيةً فيسمعه بلذة· واذ كثر عدد المهتدين بذلك حنق الاضداد ورفعوه الى الحاكم ثانيةً فامر بسجنه وضربه ايضاً· ولما بلغ خبره الى القرية شفقت عليه ثلاث من النساء المثريات معروفة اسماؤهن الى اليوم وهنّ مريم ومصرى وشوشان· وافتدينه باموالهنّ والتمسن من الحاكم ان يعطيه محلاً يصلي فيه فلباهنّ وامر به فأعطي مذبحاً في بيعة مار جرجس· فرجع ظافراً فرحاً واتخذ ذلك المحل وسيلةً لوعظ الشعب فكانوا يخرجون راضين عنه وبعكس ذلك القسوس الاضداد تضاعف غيظهم وبعد سنة ونصف وشوا به ايضاً فسجن وضُرب حتى تهشم جسمه· وعند ذلك حرك الله قلوب المحسنات المومأ اليهن الى الشفقة فسعين في تخليصه بل بذلن المال فأعطي بيعة صغيرة على

مراقبة املاك الدير (١) فتقلدها زماناً حتى سلمها للربان ايليا الاخر · و كان السيد شكرالله في مدة رئاسة الدير قد جمع البسةَ مقصبة لا تصلح للاستعمال لعتقها فاحرقها وضمَّ الى قيمة فضتها البسةً غيرها تسوى جملةً ستمائة غرش · فلما قضى نحبه أُقيم الخوري ميخائيل ماردينى مطراناً وولي رئاسة الدير : والخوري عبدالله وكيلاً عَلَى الاملاك · وذات يوم من سنة ١٧٧٣ بينما كان الخوري المذكور مبتلى بحمى وقد فقد الرشد وعنده بومراد طعمة شريك ارزاق الدير : جاء الى الدير الخوري عبدالله مونس والخوري سركيس المارونيان فعرض بومراد عليهما ان يكتبا عن لسان المريض شهادة إبرآء للمطران شكرالله · فأبيا لانهما لم يسمعا هذا الكلام من الاصيل · ثم انه لما عجز المطران ميخائيل ماردانى عن الرئاسة لشيخوخته سعى في رسامة الخوري جرجس خباز مطراناً · وكتب صكاً بصورة وصية وذلك في ٥ تموز سنة ١٧٧٤ بان يقام هذا المطران الجديد رئيساً من بعده · واذ ذاك كانت اقامة السيد يوسف قدسي في الدير واحياناً في دير الام المحزونة بزوق مصبح · ثم لما توفي المطران جرجس خباز خلفه الربان ايليا في الرئاسة بتأييد السيد يوسف قدسي · واذ ذاك كان في الدير انطون قدسي اخو هذا المطران · فبينما كان الربان ايليا غائباً يجمع اسعافاً للدير احسَّ المطران يوسف ان كل ما كان المطران شكرالله قد اخذه سلمه للربَّان ايليا : فلما طالبه به انكر الربَّان وعصاه وحدث نزاع من جرى ذلك اذ كان المطران يطالبه بثمانمائة غرش تسلمها من السيد شكرالله وبحساب الدير منذ وفاة المطران جرجس : والربَّان ايليا يطالبه بخمسمائة غرش مصاريف وبمائتي غرش معاش للدير عيَّنها المجمع المقدس

١ عن رسائل دير الشرفة عدد ٢٥ — ٥ ايلول سنة ١٧٧٩

من مجموعات الاسقف سفر. فتحا كما قدام السيد بطرس يوسف بطريرك الموارنة وميخائيل فاضل مطران صور على الروم . فقضيا للمطران في حق الولاية على الدير لانه بموجب مراسيم المجمع هو مدبر السريان كافةً . وعلى الربان بالخضوع والتسليم ودونا حكمهما في ورقة. وطال النزاع ثلاث سنوات حتى كتب السيد ميخائيل جروة بتاريخ ٢٥ حزيران سنة ١٧٨٠ الى بطريرك الروم يتشكى من تصرف الربان ايليا و يلتمس من غبطته ان يراقب بنفسه الدير وسكانه ويلقي بينهم الصلح والسكينة

ومن اخص ما وجه اليه السيد ميخائيل اهتمامه وعنايته بأمور الطائفة على اثر اجهاره بالايمان الكاثليكي : انه اوفد الى روميه القس الياس دب (ويسمى القس الياس شدياق) الحلبي وذلك لامرين احدهما ليسعى لدى المجمع المقدس باستحصال فرمان من الاستانة بتوسط السفراء الكاثليك لفصل ابرشية حلب السريانية الكاثليكية ومطرانها من حوزة البطريرك اليعقوبي. والثاني ليستحصل من الحبر الاعظم ورئيس المجمع المقدس توصيات الى المؤمنين في اوربا واسبانيا خاصةً ليجمع منهم مبلغاً لايفاء الديون المتراكمة عليه بسبب الكنيسة الحلبية . فأتت أتعاب هذا القس الفاضل بالثمار وكان موضوع سرور وتعزية لقلب السيد ميخائيل جروه كما سترى في عدد ١٦٩

للسيد ميخائيل · اما الرهبان الفرنسيسيون مع ارسانيوس شكري مطران الموارنة والخوري حنا مرجان فكانوا يدّعون بانه يحق للمطران يوسف قدسي وكان الخوري يوحنا مرجان ولاسيما الرهبان القدسيون يعيبون عليه تمسكه براسيم الطقس السرياني بل ادّعوا ان تلك عوائد هرطوقية مع كونها قديمة في بيعة الله الجامعة · فرفعت الدعوى الى المجمع المقدس وكثير من روساء الطوائف وقسوسهم دافعوا عن المطران ميخائيل وشهدوا باستقامته وغيرته وخلوصه · ومن جملة العرائض التي وجهها الى المجمع المقدس بحق المطران ميخائيل عريضة بتاريخ ١٧ تموز سنة ١٧٧٦ مذيلة باسماء وجماعة كهنة السريان وهم : الخوري يوسف حجار والخوري انطون والخوري يعقوب الاورفلي والخوري موسى والخوري جرجس خباز والقس زكريا الموصلي والقس حنا استنبوليه والقس انطون والقس عبدالله والقس بشاره والقس جرجس والشماس نعمة الله جروه والشماس نصرالله حمصي والشماس جرجس يازجي والشماس جرجي عبدالله والشماس ابراهيم طحان وجبرائيل جروه وجبرائيل فتال ويوسف قرمز والياس ضاهر والياس جروه ونعمة الله استانبولي ويوسف يشوع ويوسف سريدار وانطون موصلي ونصرالله ناسيموس (١)

ولما ان علم الكرسي الرسولي بذلك حتم ان يقيم السيد يوسف قدسي في دير مار افرام بلبنان ويعتني من محله بشأن سائر السريان ما عدا حلب فانها تبقى للسيد ميخائيل راعيها الشرعي · حينئذٍ رجع السيد يوسف قدسي الى الدير والخوري يوحنا مرجان قصد السفر الى روميه ليثبت رايه ضد مطرانه · لكنه

١ عن سجل المطران ميخائيل المحفوظ في دير الشرفة

اوقف عن السفر فقصد ليفورنو واقام فيها نحو تسعة عشر عاماً وبعد ذلك عاد الى الشرق وقدم الطاعة. فكتب اذ ذاك المجمع المقدس الى الرهبان القديسين وسائر المرسلين اللاتين ان يحترموا الطقس السرياني ومراسيمه ولا يعيبوا منها شيئاً.

اما البطريرك كوركيس ففضلاً عن انه لم يخجل من رسالة السيد ميخائيل احتدم غيظاً متأسفاً على ما خسر. ونقل عنه في رسالة من ماردين ان البعض هيجوه على الانتقام من السيد ميخائيل فقال: لا يليق ببطريرك نظيري ان يقاوم من هو اصغر منه وسأعمل مثل عمي البطرك فانه لما نصب بطرك فرنجي في حلب ضبط الكنيسة منه ونفاه الى اطنه هو ومطارينه ورهبانه فبادوا في السجون وكانوا ثلاثة عشر. قال هذا والتفت الى الحاضرين صارخاً: الله وكيل عليكم اما كنت اقول لكم هذا دائماً. أليس هكذا يذيع صيتي ويتعظم اسمي قالوا نعم كما تقول: قال اطلب من ستي العذراء ان يستولي الفرنج على كنيسة حلب تماماً لكي اذهب الى حلب نظير عمي وانفي واقتل المطران واقليرسه وشعبه (!)[1]

١٠٥ ويجدر بنا ههنا ان نذكر لمعة من اخبار دير مار افرام الرغم فنقول: انه كان في ذلك الدير على عهد المطران شكرالله جروه: الخوري جرجس خباز وكان المطران المذكور قد رقاه كاهناً. والخوري ميخائيل مارداني والخوري فرج الله والخوري عبد الله والخوري ايليا الذي استجلبه الى المعتقد الكاثليكي المطران ميخائيل جروه يوم كان في دير الزعفران واقتبل الحلّ بحلب لدى سفره الى لبنان حيث اقامه السيد يوسف قدسي خورياً وولاه

---

١ عن اوراق في صندوق لدير الشرفة

والعيد · فيصفهم صفوفاً : الصبيان اولاً ثم الكبار ويعلمهم بنفسه ما يجهلونه من امور الايمان والفرائض الدينية · ثم يامر الكهنة ان يعملوا مثله بالمناوبة · فكانت هيئة ذلك الاجتماع اشبه شيء باجتماع الشعب الاسرائيلي وصغاره حول المسيح · وكان يودي الزيارة الراعوية التي يقال لها النورية على حقها اذ يجمع افراد كل عائلة يفتقدها برفقة اثنين من الكهنة فيرشدهم ويحرضهم عَلَى الاعتراف والتناول ويدلهم عَلَى من يقدمون الاعتراف له (١) ثم يكتب اسماءهم في دفتره وينتقل الى زيارة غيرهم ·

وكان المطران شكرالله جروه قد توفي نحو سنة ١٧٦٩ وصارت سياسة الطائفة الى السيد يوسف قدسي المقيم بلبنان · فاتصلت اليه اخبار النجاح الكاثليكي بحلب فقدم اليها في شهر اذار سنة ١٧٧٦ ولدى وصوله حرّك عدوّ الخير بعض المفسدين فوسوسوا للسيد المذكور ان يدّعي بانه المطران الشرعي لحلب دون المطران ميخائيل وبلغ روح التعصب به وبنصيره الخوري حنا مرجان الى انهما كانا يكنّيان المطران ميخائيل والمتكثلكين معه نصف هراطقة الى غير ذلك بل كان بعضهم يقول ان برصوم لا يزال في قلبه (٢) فحدث من ذلك سجس

---

١ عن سجل رسائله ١ حزيران سنة ١٧٧٦

٢ يجدر بنا ههنا ان ننقل نبذة من رسالة كتبها المطران ميخائيل بتاريخ ٣ آب سنة ١٧٧٦ الى وكيله الخوري ديونوسيوس حجار برومية لكي يبرئ نفسه مما اتهمه به الخوري حنا مرجان والسيد يوسف قدسي وغيرهما قال : اني خدمت شماساً في الكنيسة مذ كان عمري اربع عشرة سنة ثم صرت راهباً قانونياً ثم دياقونا واستمررت سالكا بهذه الخدمة بغير لوم الى السنة السادسة والعشرين · وبالتزام كلي ارتضيت ان ارتسم كاهناً وبعد رسامتي بقليل اصابتني اضطهادات عظيمة حتى ان الكنيسة تسكرت نحو اربعين يوماً من ارباب

كثير . امـا المرسلون الكبوشيون والكرمليون والمطران اغناطيوس كربوس والاقليروس وعموم الشعب فكانوا يقولون ان التصرف في الرعية الحلبية يحق

الديون واخيراً بمعونة الله وسعي والدي المكرم فتحت الكنيسة بعد ان تكلفت لاجلها دراهم وافرة عدا الاتعاب الكثيرة التي عانيتها . ولما نظر الشعب والكهنة حسن تدبيري وسلوكي فالجميع اي الكاثليكيون والهراطقة انتخبوني رئيساً للكنيسة وحرروا عرضاً للبطريرك الاراتيكي يطلبون منه ذلك فالزمني المذكور بقبول طلبتهم ولاجل خير الجمهور اكرهت ذاتي عَلَى القبول واستمررت سبع سنين ونصف كاهناً ومترأساً عَلَى الكنيسة وفي هذه المدة ثقفت اشياء كثيرة من امور الكنيسة معتبرة جداً ثم ارسل البطريرك فاحضرني اليه وصيرني خورياً ثم خوري ابسكبوس وبعد مدة اجتمع الشعب الاراطقة والكاثليكيون وبفم واحد حرروا عرضاً مختماً من الجميع وارسلوه الى البطريرك اليعقوبي فيه يطلبون منه بلجاجة ان يرسمني مطراناً عَلَى كرسي حلب . فلما عرض عَلَى البطريرك طلبهم ابيت كلياً ولكن لالحاح الشعب اتفق جميع الاساقفة عَلَى رسامتي فبذلت كل مجهودي لانجو من ثقل الرئاسة التي لست بكفوء لها ولكنهم بالالحاح غصبوني بالاذعان لرغبتهم بعد ان خدمت كل الدرجات خدمة معتبرة بموجب القوانين . وبعد ان رسمني البطرك مطراناً عَلَى حلب اقامني رئيس اساقفة بموجب سند من يده وجعل تحت يدي طرابلس وحماه وحمص والنبك وصدد والقريتين وجميع ايالاتها ثم دير مار موسى الحبشي الذي هو كرسي مطرنية ثم دير مار اليان الذي هو ايضاً كرسي مطرانية . فهذا هو مقدار اعتبارنا لدى البطريرك الاراتيكي ولدى جميع شعبنا وليس هذا فقط بل انني قبل حضوري الى هذا الطرف واعترافي جهاراً بالايمان الكاثليكي حينما كنت عند البطريرك المذكور اعرض عليَّ بالحاح مطرانية اورشليم واراد ان يصيرني مفريانا اي جاثليقاً فلم اقبل شيئاً من هذا . ولما كنت عنده مرض مرضاً به اشرف عَلَى الموت فاجتمع الاساقفة جميعاً وبفم واحد انتخبوني للبطريركية فرفضتُ جميع هذه الاشياء ورذلت هذه الكرامات التي كانت موضوعة امامي كلها لاجل رغبتي واشتياقي الوطيد الى الاتحاد بالايمان الكاثليكي المقدس الذي قد كنت اجتهدت بتأسيسه وتوطيده في السنين المتقدمة ... الخ (راجع سجلات دير الشرفة)

سوى بغضهم وعداوتهم لنا · وذلك انهم عرفوا اشمئزاز الدولة العلية من الفرنج واسمهم بالمعنى المدني الحربي : فلقبونا به لكي يهيجوا غضبها علينا كما وشى اليهود قبلاً بالمسيح قائلين ان هذا يمنع ان تعطى الجزية لقيصر "

ثانياً نريد ان تفهموا اخوتكم المغرورين اننا نقبل الثلاثة المجامع الاولى مثلكم · انما لما كان تعليم تلك المجامع يثبت المجمع الرابع وهو ايضاً يؤيدها : لهذا نقبله ايضاً ومعه نقبل المجامع التي بعده لانه ليس فيها ما ينقض تلك بل يؤيدها

ثالثاً واما رئاسة الحبر الروماني والقول بالطبيعتين : الالهية التي كانت منذ الازل : والانسانية التي اتخذها الابن له لما تجسد : فنقبل القضيتين لان كتب طائفتنا القديمة السالمة من آراء المحدثين تشهد لها وتؤيدها حسب تعليم الكنيسة الجامعة ·

وعليه فاذا قال احد ان المطران ميخائيل قلب (غيّر) دينه : جاوبوه ان المطران المذكور نشأ وتربّى في هذا الايمان الرسولي وعليه ارتسم شماساً وكاهناً ومطراناً وعليه ايضاً يحيا ويموت · لاني لم اتغيّر ولا قلبتُ عن ايمان المسيح ورسله الاطهار ولا عن ايمان ملافنة طائفتنا السابقين لعهد الشقاق

١٠٤ فلما كتبت هذه الرسالة بتاريخ ٢٥ كانون الثاني سنة ١٧٧٥ نشر المطران نسخها في حلب وماردين والموصل والرها ودمشق حيث وصل خبر حرمه الظلمي (١)

ولبث المطران ميخائيل بحلب في مودة مع سائر الطوائف الكاثليكية ولا سيما الروم · وكان حريصاً علَى طقوس بيعته يقيمها على حقها بغيرة فريدة فيحرض

---

١ عن نسخة مخزونة بين الاوراق في الشرفة

الاقليرس على السهر لتلاوة صلاة الليل و بقية الصلوات في اوقاتها وهو يذكرهم ان الرب يسوع ايضاً كان ينفرد بتلاميذه للصلاة كلما فرغ من الوعظ . وذلك تعليما لنا بمثاله . وحتم على كهنته ان من يؤخر مجيئه الى الصلوة الى بعد التسبحة سحراً يمنع من القداس في ذلك اليوم (١) . وصيانةً للطقس السرياني المتصل عهده الى الرسل من التغيير اعتنى باستنساخ كل ما ينبغي ان يتلوه الكاهن والشماس في القداس لكي يبقى دستوراً يعمل به على ممرّ الزمان وعرضه على المجمع المقدس للطبع (٢) وما عدا هذا كان المطران ميخائيل يجمع المومنين ايام الاحد

١ تخليداً لحفظ العوائد السريانيــة نذكر هنا ما شكا به هذا الحبر المفضال الى الكردينال رئيس المجمع من تصلف الخوري يوحنا مرجان (ويسمى كذلك الخوري حنا مراد شاه) احد كهنته الذي جسر على راعيه فاستخف بالعوائد المقدسة فكتب ما يأتي :

(اولاً) بطل استعمال الاسفنجة لمسح الكاس وهي رمز عن اسفنجة الخل والمرارة وجعل كتانةً عوضها (ثانيــاً) استخف بوضع الطبليت لكل قداس وكان من رسم البطريرك اندراوس (ثالثاً) امتنع من تقبيل يد الاسقف وتبخيره (رابعاً) يكشط القربانة و يقدس على النصف المطبوع منها (خامساً) لا يركع بركبتيه بعد التقديسات في صلوة الفرض بل بركبةٍ واحدة يسيراً (سادساً) نحن نصلي منتصبين وهو يمشي و يصلي فيشككك (سابعاً) علم ان الدياقونين لا يلتزمون بتلاوة الفرض (ثامنــاً) نادى ان صوم نينوى غير واجب وقد كان محفوظاً منذ عهد الطوباوبين اندراوس و بطرس والذين بعدهما (تاسعاً) ان الاسكيم الذي يلبسه الاسقف يكون عندنا من الشال وحضرته اشار على السيد يوسف قدسي ان يتخذه من الحرير (عاشراً) تكون المصنفة عندنا من جنس البدلة للاسقف وُسمح بها للخوري البتول لنسكه وحضرته يريد ان تكون للمتزوجين ايضاً (حادي عشر) علم ان يدهن المترشح للكهنوت بالميرون خلافاً لطقسنا . عن سجل دير الشرفة عدد ١٢—١٢ تموز وعدد ١٧ سنة ١٧٧٦ وعدد ٢٥ سنة ١٧٧٧

٢ نسخة هذا الكتاب محفوظة في مكتبة القلاية بحلب

كذلك الكاثليكيون من الروم والارمن والموارنة وقصدوا القاضي والمفتي واعيان المسلمين وطلبوا اليهم اعادة البطريرك الى مقره اذ انه لا يملّ من احداث القلق والتعدي فاجابوا الى سؤلهم فاضطرّ البطريرك ان يقرر في المحكمة قدام مصطفى القاضي واعيان البلد انه قد اقام المطران ميخائيل جروه وكيلاً مطلقاً على كنيسة حلب واوقافها واخذ من الشعب وثيقة فيها الزموا ذواتهم ان يدفعوا له كل سنة خمسماية غرش نوريه وخمسة وسبعين غرشاً لمطران القدس واعطى القاضي اعلاماً شرعياً في ١٥ جمادى الثانية سنة ١١٨٩ (مسيحية ١٧٧٥) تأييداً لاقرار البطريرك وعلى ذلك المنوال عاد الى ماردين بصفقة خاسرة وكلف الكاثليكيين خسائر طائلة من جراء ذلك غير انه ماوصل الى الرها الا وندم على ماقرر فاطلق الحرم على المطران ميخائيل وسماه ميخا الشقي وسمى تباعه فرنجاً ٠ واذاع ذلك في جميع الابرشيات فقبل السيد ميخائيل ذلك بالتسليم والحلم ثم رأى ان يسطر رسالة الى السريان الكاثليكيين في الجهات ليبري ساحته وشعبه من الافتراء واليك نسخة الرساله بتصرف :

١٠٣ « اما بعد فقد بلغنا ان بعض الناس اخذوا يعيرونكم بسببنا قائلين ان المطران ميخائيل صار فرنجياً وغير ايمانه ٠ فلئلا يتوهم السذَّج اذا ما سمعوا هذا الكلام من الاكبر منهم فيشار كون الثالب رأينا من الواجب ان نفضح المفتري الاول فنقول اولا ينتسب الانسان الى غيره اذا تزيا وتشبه بخصائصه وعوائده٠ والحال انا لم نتزيَّ بازياء الفرنج فلا تقلدنا لبس البرنيطه ولا تبعنا عوائدهم ولا طقوسهم : وانما المطران ميخائيل باق على هيئته كما كان عندكم ٠ ولم يزل طقسنا ولغتنا وكتبنا كلها سريانية كما كانت بلا زيادة ولا نقصان ٠ على ان

الفرنج يقدّسون علَى الفطير ونحن على الخمير : هم يعمذون الطفل بقولهم انا اعمذك ونحن بقولنا يعمَّذ فلان : هم لا يدهنون المعمد بالزيت المقدس ونحن ندهنه به• هم يمنحون المعمذ سر التثبيت نحو السنة الثانية عشرة من عمره ونحن حالاً بعد العماذ • حلة القدّاس عندهم لا تغطي البدن وعندنا طويلة تستره حتى القدمين• هم ينزعون الاسكيم وقت القداس ونحن نبقيه• حسابهم يسبق حسابنا احد عشر يوماً وحسابنا على النسق القديم • عندهم امساك يوم السبت اكراماً لمريم العذراء وعندنا الاربعاء • اعياد الفرنج تختلف عن اعياد السريان • يبتدىء الصوم الكبير عندنا يوم الاثنين وعندهم يوم الاربعاء •نحن لا نعرف صوم الازمنة الاربعة كما ان الفرنج لا يعرفون صوم الباعوثه اي صوم نينوى • صلاة الفرض عندنا نوع وعندهم نوع آخر • والحاصل ان ضدنا لم يحمله على تسميتنا فرنجاً سوى العداوة والجهل

ونظراً الى المعتقد نقول ان مذاهب شتى من النصارى واليهود تنتمي اليها شعوب جمة كلهم باسم فرنج وهم في بلاد الفلمنك والانكليز والليه والمسقوف وبروسيا وسويسرا والبرتغال ودنمرك ونرويج : مع ان كلمة فرنج مشتقة من اسم فروجيا كما ان كلمة سريان مشتقة من اسم سوريا والروم من الروملي والارمن من ارمنية• فياترى الى ايةٍ من هذه الطوائف نسبونا بتلقيبنا فرنجاً ؟

اما اذا كان تلقبنا باسم فرنج لقبولنا المجمع الخلقيدوني فنقول : لقد كان الاقرب الى الصحيح ان يدعونا روماً لان هذا المجمع التأم في خلقيدونية التي في بلاد الروم ويقال لها اليوم قاضي كوي : واكثر آباء هذا المجمع من بلاد الروم والشرق ليس بينهم من الفرنج غير نوّاب البابا• فما سبب هذه التسمية لنا

الكرسي الرسولي مع كتب من الرؤساء المشار اليهم رفعوا فيها اخبار اتحاده مع
الكرسي الروماني وطلبوا تأييده في مطرانية حلب على السريان الكاثليك · وسطر
المطران ميخائيل ايضاً كتاباً بشأن خضوعه للسدة الرومانية وذلك بتاريخ غرة
كانون الثاني سنة ١٧٧٥ وفيه قال : ان ولد قداستكم ديونوسيوس ميخائيل
السرياني في حلب ··· قد حركته النعمة الالهية الفائقة لاعلان اتحاده بالبيعة
الواحدة الجامعة واعتناق الايمان الكاثليكي المقدس والارتباط قلبياً مع
كرسيكم الروماني الذي كان مرتاحاً اليه منذ صبائه حتى الآن اذ وفقه الله
تعالى بنعمته على اعتلان هذا الامر ··· وانا حالاً مقيم في دار والدي (١) على
انفراد منتظراً بامل وطيد اعتلان رضاكم وايهاب بركتكم الطاهرة وتأييد ضعفي
بشمول انظاركم » وبعد مدة غير مديدة وردته البرأة الحبرية من لدن بيوس
السادس وتاريخها في ٢٤ حزيران سنة ١٧٧٥ ومعها كتب من رئيس بروبكند
ومن جملة ما كتب اليه الحبر الاعظم نورد ماياتي

« لقد فرحنا برسالتك وبدستور ايمانك وشكرنا الرب ابا الانوار عَلَى ذلك
فنقبلك ونصافحك روحياً ونعطيك الطوبى على انك دعيت كما دعي الرسل
وخضعت كما خضعوا فاضحيت نظيرهم ركناً من اركان البيعة المقدسة »

ثم انه ارسل اليه حلة حبرية وصليب صدر وخاتماً وتاجاً · ومن ذلك
الحين اقام السيد ميخائيل القس ديونوسيوس جحار ترجمان المجمع المقدس وكيلاً
عنه في روميه وذلك بصك ارسله اليه

---

١ كان والده الشماس نعمة الله حاصلاً عَلَى وظيفة ترجمان قنصلية الفلمنك بحلب

الفصل الثالث

١٠٢ استياء البطريرك — قدومه الى حلب — اغتصاب الكاثليك عليه — اعلانه رغماً تأييد السيد ميخائيل نائباً امام المحكمة — عودته خائباً — اذاعته الحرم على السيد ميخائيل ١٠٣ تفنيد السيد ميخائيل — صورة التفنيد ١٠٤ نشره اعتناءه بكتب الطقس وتعليم الجهال — توبيخ المجمع للسيد يوسف قدسي — قدومه الى حلب — خصامه همجية البطريرك ١٠٥ اخبار المقيمين بدير مار افرام الرغم

١٠٢ اما البطريرك كوركيس الثالث فعندما بلغه الخبر بان المطران اجهر بالايمان الكاثليكي وتبعه الشعب استعر غضباً وسارع الى حلب محفوفاً بموكب من قسوس ورهبان عازماً ان ينتقم من الراعي والرعية و ينكل بهم اشد التنكيل وكان دخوله اليها يوم الجمعة صباحاً الواقع في ٢٢ ايار سنة ١٧٧٥ واليك ماكتب السيد ميخائيل بهذا الصدد في ٩ حزيران سنة ١٧٧٥ الى البابا بيوس السادس قال « ان الاضطهاد الذي كنا نخشاه قد لحق بنا حيث ان البطريرك اليعقوبي قد اتى الى مدينة حلب وضبط الكنيسة من الكاثليكيين واراد ان يكره الكهنة على الاشتراك معه في الصلاة واشتكى عليهم و كبس بيوتهم (١) ولا يزالون مختفين . وقد كلفنا ذلك خسائر جمة (٢) تم اغتصب عليه مع السريان

١ قيل ان الصبيان كانوا يطوفون وراءه في الازقة و يصيحون برصوم برصوم فهيجوا عليه الكلاب واخذت تنبح فالتفت الى حاشيته يقول : كأن كلاب حلب قد صارت فرنجاً

٢ عن سجل مكاتيبه خاصة دير الشرفة

الشمامسة والشعب (١) التمسوا فيها تأييد الصلح وتوطيد الوفق والاشفاق على اموال المؤمنين لئلا تنفق في سبيل المآرب النفسانية · وكان المطران ميخائيل يبذل وسعه لاقناعه في تأييد ذلك الاتفاق ويحثه على اتباعه فلم يجد نفعاً

١٠٠ وما عدا هذا فان الكاثليكيين كتبوا الى المطران يوسف قدسي وكان في لبنان يستقدمونه الى حلب ليدبر شؤونهم فاجابهم : انه لايتمكن من المصير اليهم الا بعد ثباتهم على صخر متين وبين لهم اسفه على مايقاسونه من البطريرك الجاهل · ثم وصى القسوس ان يحافظوا على طقسهم ويبطلوا عوائد استحدثها بعضهم عن طقس الموارنة مثل لفظهم « كاس دمي » في الكلام الجوهري · وحثهم على التعبد لقلب يسوع واتخاذهم اياه محامياً للطائفة جمعا · ثم ختم رسالته وهو يحرضهم على الصبر الجميل وطلب اليهم اسعافه لتكميل بناء بيعة ومذبح دير مار افرام الرغم · وفي رسالة اخرى اخبرهم انه اوفد اليهم من دير مار افرام القس جرجس خباز عسام ينظرون في حاجته ويجمعون الزدق اي الحقوق الابوية له · فجمعوا له خمسين غرشاً ماعدا النورية التي كانوا يلتزمون باداثها له وما يلمون للبطريرك كل سنة ولمطران القدس واعتذروا انهم في ضيق

وفيما كانت الاحوال على ماقدمنا وافت باسم السيد ميخائيل رسالة (٢) مطبوعة بالسريانية والكرشونية من البابا اقليمس الرابع عشر بتوقيع الكردنال يوسف كستلي رئيس بروبكندا بتاريخ سنة ١٧٧٣ مآلها تحريضه على الاجهار

---

١ تراها في خزانة دير الشرفة حيث احد الموقعين هو الشدياق ذكرى جد القس ذكرى الماروني اليوم

٢ من هذه الرسالة نسخ شتى في مكتبة دير الشرفة

بالديانة الكاثليكية وفيها بينات صريحة في اثبات رئاسة الحبر الروماني والطبيعتين في السيد المسيح وادرج فيها الحبر الاعظم شرحاً وافياً لطومس لاون الاول الحبر الروماني الذى كان وجهه الى اوطيخا وحرم فيه بدعته واثبت المعتقد الصحيح · ولما قرىء ذلك الطومس في المجمع الخلقيدوني هتف الاباء بصوت واحد قائلين : هذا هو ايمان الاباء والرسل · لقد تكلم بطرس بفم لاون وكان في رسالة اقليمس الرابع عشر بينات في اثبات المطهر · وختمها واصفاً الخير الذي يعود علَى جماعة السريان اذا ما اتحدوا مع الكنيسة الجامعة حسب امر المسيح · فلما بلغ خبر الرسالة مسمعي البطريرك كوركيس عنف السيد ميخائيل تعنيفاً شديداً وتوعده بالهلاك · غير انه تعالى الهم المطران صبرًا وصانه من مكائد البطريرك وفتح له سبيلاً الى الفرار من دير الزعفران فهرب الى حلب

١٠١ وكان وصوله الى رعيته في اوائل كانون سنة ١٧٧٤ فهرع الى لقائه الشعب ورؤساء الطوائف الكاثليكية واكابرها مع الاقليروس والمرسلين ولاسيما الكبوشيين · ولما دار البحث عن رسالة الحبر الاعظم واطلع عليها اعلن الخضوع للكرسي الروماني ولكنه حرصاً على سلامة الشعب لئلا يتعدى عليه البطريرك بسببه رأى ان يقيم في بيت ابيه اولاً دون ان يدخل الكنيسة · وجرى اقراره بصورة الايمان الاربانية في ١٦ كانون الاول سنة ١٧٧٤ بحضور السيد اغناطيوس كربوس اوجربوع مطران الروم اذ كان الوكيل عن السيد يوسف قدسي المدبر لطائفة السريان الكاثليك والاب انطون رئيس الكبوشيين وغيرهما من المتقدمين من الاقليروس والشعب · فاقتبل الحل من يد السيد المذكور واعترف الاعتراف العام لدى الاب انطون وبعد الحفلة اوفد صورة ايمانه الى

وارتدّ الى اليعقوبية حياءً من بعض اصحابه

٩٨ ولما راى المطران ميخائيل ان لا فائدة من التماهل في اجهار الايمان الكاثليكي وان لا جهاد دون شجاعة فعزم عَلَى مواجهة البطريرك كور كيس واعدّ له هدية لانه كان مولعاً بالمال وجمع اليه اهل ثقته من القسوس والشمامسة فدلهم عَلَى الوسائل التي ينبغي اتخاذها لنيل البغية فتوجه سنة ١٧٧٢ الى ماردين بعد ان نصب الخوري يوسف بن جرجس حجار نائباً عنه · ولدى وصوله الى دير الزعفران طفق يجامل البطريرك ويصرّح له ان العوائد الكاثليكية قد رسخت في عقول الحلبيين فاذا عمد هو او غيره الى مقاومتهم ينفرون و ينبذون طاعته فضلاً عن ان تلك العوائد لا تناقض الايمان ولا مراسيم الطقس السرياني بل تؤيدها · ثم سلمه الهدية ملتمساً ان يأذن له بالاجهار بالديانة الكاثليكية · فاخذ البطريرك الهدية واجبر مهديها عَلَى الاقامة بالدير منزوياً وحرّج عليه العودة الى ابرشيته فاقام ثمَّ نحواً من اربع سنين يقدس في العزلة بجوار البطريرك ويخدمه الشماس الذي جاء به من حلب · و كان دأبه ارشاد الناس فانحاز اليه نفر من اهل البلد ومن الرهبان نذكر منهم خاصةً الربان هندي الموصلي وسنأتي بذكره تحت عدد ١٧١ وهو الذي أقيم بعد ذلك رئيساً عَلَى دير مار بهنام الشهيد · والمطران متى بن يشوع المارديني المعروف بالتعلب وهو الذي خلف البطريرك كور كيس خلافة غير شرعية واضحى عدوّاً للسيد ميخائيل جروه · فلما احسّ البطريرك بعمل المطران حرد وغضب واوشك ان يصرفه الى الحاكم ليزجه في سجن القلعة الصعب فاغتم غماً شديداً حتى انهُ فقد لذة الوسن و كان يخشى عليه

ن التشويش في عقله · واخذ نور عينه اليسرى ينقص و يضعف

٩٩ اما البطريرك فلم يكترث بضيق المطران بل كتب سنة ١٧٧٢ الى وكلائه بجلب ان يزعجوا انصار المطران فرفعوا الشكوى عليهم الى الحاكم وآل لامر الى ان الحاكم امر بالقاء القبض على كهنة الفريقين واكابرهم ولاسيما الخوري موسى والخوري حنا المكتبي" وكيلي البطريرك والخوري يوسف حجار نائب المطران مع الخوري سليمان والخوري يوسف الصدّي فزجوا قاطبة في مخيس حالك ظلوا فيه اياماً كثيرة حتى بلغ بهم الضيق الى القنوط · فتوسط اناس للصلح وقالوا ان المعتقد الكاثليكي قد رسخ في قلوب اكثرهم رسوخاً هيهات ان تعقبه رجعة · فالى مَ الخصام والخسائر فاذعن الخوريان موسى وحنا واتفقا مع الخوري يوسف نائب المطران ميخائيل علَى الانضوا اليه والصلاة جملة في الكنيسة بل كتب الخوري حنا صورة الاتفاق ووقع عليها هو ورفقاؤه من الكهنة والشعب وايدوها بحجة شرعية وبيورلدي من الوالي وتعهد اعيان البلد باجرائها · فأطلقوا في ٢٧ تموز من الحبس ودخلوا الكنيسة بجبور عام محرضين بعضهم بعضاً علَى حفظ الوداد والثبات على الاتفاق وكتبوا الى المطران الذي كان حينئذٍ لدى البطريرك في ماردين ان يعلن انحيازه الى الكثلكة دون خوف او وجل من اي كان ولكن ما عتم وكلاء البطريرك ان نكثوا وعدهم علَى ان الخوري حنا جمع نورية البطريرك وضم اليها مبلغاً استدانه من المسلمين ورهن عندهم بعض الاواني القدسية وانصرف بالمال فاراً الى بطريركه · اما بقية الكهنة فاوفدوا بتاريخ غرة آب رسالة الى البطريرك موقع عليها اسماء عشرة من الكهنة وزهاء تسعين من

والسهر عليها وايجاد الوسائل الى اجتذابهم رويداً رويداً الى الايمان الكاثليكي كما صرّح في بعض رسائله اذ قال « اني من حينما ارتسمت مطراناً عَلَى هذه الكنيسة رفعت اسماء الأراتقة المحرومين من الصلوات: وابطلت اعيادهم المشهورة ورفعت صورهم من المذابح التي كانت مقامة عَلَى اسماء الاراطقة المحرومين وكرّستها عَلَى اسماء قديسين معظمين: ونظمت وثقفت كل مايخص الرتب

والان تعرفون عوائد جماعتنا ساكني حلب ان كان الوردية وان كان القداسات (المتتابعة) وان كان جميع الامور المتعلقة بعوائد الكنيسة واليوم صار لنا هلقدر سنين في الابوية ان كان في مطرانيتنا وان كان في المفريانية وان كان في البطريركية ما اردنا منهم شيئاً ولا قلنا لهم لاي سبب انتم متمسكون بهذه العوائد وحبيناهم محبة عظيمة عَلَى علمكم وعلم هلقدر بلاد وشهود من سائر الطوائف المسيحية والان يا اخانا ٠٠ قد قاموا عَلَى هوى نفوسهم ساكنوا حلب واعطوا الف قرش لباشا حلب والف قرش الى ؟ اعيانهم والقاضي وجابوا القسان والفقراء قالوا لهم من هذا البطريرك كوركيس ٠٠٠ بطرك في حلب وحدنا وعملوا اشياء في حلب اذا كتبناها ما يسعها الورق فصارت اخبارهم معلومة عند كل" طائفة السريان وقيموا علينا المطارين والكهنة والاختيارية وبقوا يقولون لنا قم رح لحلب وصير معهم مرافقة امام الباشا والحكام والقضاة وخسرهم مالاً عظيماً واكياساً شتى ونحن بقينا حائرين ان رحنا يصير لهم خسائر عظيمة خلاف عملنا ومرامنا وان لم نرح ما يبقى لنا عيشة عند طائفة السريان ويصير خصام ٠ ثم اعلموا انه في هذه السنة قد صار طاعون عظيم في ماردين ونواحيها وفي بدئه توفي اخونا الشماس موسى صانعك وتلميذك في دير الزعفران وفي نهايته توفي اخي الشماس اشعيا في الموصل ٠ ولكن صار نحو اربعة اشهر زال الطاعون ٠ ومن هنا اولادكم المباركون اخوتكم شماس ملكون وتوبحان وخواجا حنا عبدال وخواجا زكريا وشماس يوسف وخواجا اسحق رومي وخواجا خليل وخواجا حنا وسهركم شماس جرجس وخواجا سليمان وخوري يشوع وقس يعقوب مع باقي الاختيارية يقبلون يدكم ٠ وايضاً اخونا المطران شمعون وهو مطران الكلدان يهديكم القبلة الروحانية

الى رومية العظمى الى الاخ المبارك اونيس ورتبيت

بموجب عادة البيعة الجامعة : ووضعت لهم عبادة سيدة الوردية وعبادات اخرى مقتبسة من البيعة اللاتينية ورتبت لهم عيد الجسد السيدي وعيد جميع القديسين وعيد مار يوسف كل ذلك لكي اقرّبهم بالتتابع من الاتحاد بالايمان الكاثليكي (١) ولم يفتر ايضاً من المكاتبة الى اخصائه في الرها وديار بكر والموصل وغيرها ليستميلهم الى الايمان القويم فلباه صديق له في الرها يسمى الشدياق حنا الموصلي" وكان يحذو حذوه ثم اهتدى ايضاً بتعليمه وبارشاد المرسلين كاهن من وجوه السريان بديار بكر اسمه القس الياس بن فتح الله وذلك سنة ١٧٧٠ فلما علم به الاضداد هاجوا وماجوا واتفقوا مع المسلمين فرفعوه الى والي البلد فحبسه وجلده وغرّمه مبلغاً يفوق طاقته فاستدان من الناس وادى الغرامة ومن ساعة خروجه من السجن غادر ديار بكر واخذ يسوح في البلاد يجمع اسعافاً لايفاء ماترتب عليه من الدين ٠ وبعد العناء الشديد تمكن من الوصول الى رومية حيث قلد وظيفة ترجمان اللغة السريانية والكلدانية وهوالذي طبع الاشحيم السرياني ثانيةً سنة ٢٧٨٧ (٢) تحت مناظرة السيد ميخائيل

وسنة ١٧٧١ قدم المطران اقليميس ابرهيم الصدّي فارشده المطران ميخائيل فاقرّ بالايمان الكاثليكي واعترف اعترافاً عاماً لديه ثم قرّر مرّاً بحضور المطران ميخائيل في الكنيسة امام ذخيرة عود الصليب وايقونة العذراء صورة الايمان الكاثليكي ونال الحلّ من الهرطقة (٣) ولكنه لدى عودته الى النبك نكث بعهده

---

١ عن سجل مكاتيبه المحفوظ بدير الشرفة ص ٨٥ و٨٦

٢ عن رسالة في خزانة دير الشرفة بتاريخ ١٥ تموز سنة ١٧٧٠

٣ عن صك اعتقاده سنة ١٧٧١ المحفوظ في خزانة دير الشرفة

ففي جملة ماقال له : « ان كان سالفنا قد سكت عما طلبوه فسكوته مبدّب ثلب الناس له واما نحن فاذا سكتنا نخاف ان يقال عنا انا فرنج فاذا كنت انت لاتردعهم نعمل فيك عملاً يذكر في التواريخ · واعلم انه قد رجع اخونا والشماس اشعيا من استنبول بخط شريف يساوينا مع بطريرك الروم ويقدرنا على كل شيء ونوكد لك اننا قد وكلنا عنا لدى الباب العالي رجلين كما كان عمنا جرجس الاول قد دبر » لابل امر المطران ميخائيل ان يحضر بين يديه · اما الجماعة فنهضوا وكتبوا اليه كتاباً شديد المقال فيه طلبوا اليه ان يصرف النظر عن استدعاء المطران اليه لئلا يتبدد الشعب وهو كثير التعلق به · فلم يجد البطريرك ذريعة لانجاز مقصده حذراً من سوء العاقبة (!)

---

١ ان غبطة بطريركنا عثر عند القس جبرائيل قطمرجي الارمني الكاثليكي بماردين عَلَى رسالتين وجههما هذا البطريرك كوركيس الثالث الى الورتبيت ايونيس الارمني الكاثليكي ومنهما يتضح انه كان يتفاخر بالمودة للكاثليك و يتغاضى عن اتخاذ جماعة حلب العبادات التقوية تبعاً لعادة البيعة الرومانية بل كان يميل الى الايمان الكاثليكي كما يؤيد ذلك دستور الايمان الذي بعثه الى الحبر الاعظم كما سيأتي في المتن · ولكنه لشدة حرصه عَلَى مقامه البطريركي كان ينقاد الى مطارنته وشعبه فبعثه ذلك الى اشتداد الشدة عَلَى جماعات السريان المنضمين الى البيعة السريانية واليك نص الرسالتين المذكورتين بتصرف قليل :

اغناطيوس جرجس الثالث بطريرك انطاكيه

سلاماً الاهياً لاخينا المبارك ··· الطوباني اونيس ورتبيت المحترم ··· نحن عَلَى الدوام ذاكرينكم في الصلوات والخدمات والقرابين ··· وايضاً سابقاً كنا كتبنا لحضرة اخينا العزيز البطريرك البطروسي البطريرك ميخائيل المحترم (بريد به بطريرك الارمن الكاثليك الذي كان في جبل لبنان) ··· ونرغب ان تكتب لنا وتعلمنا عن صحتك وعن مجيئك الى ماردين بالتفصيل ··· اهدِ منا الحقيرين القبلة الروحانية الى اخينا العزيز البطريرك ميخائيل المحترم وسلامنا عَلَى اخوتنا المطارنة والكهنة والرهبان الساكنين في تلك الاماكن المقدسة

ومن هذا الطرف اخوتنا واولادنا اولهم مطران جرجس مطران القدس الشريف ومطران بشاره ومطران حنا يهدونكم تقبيل الايدي واخونا المكرم الخواجا حنا والخواجا زكريا وابن اختكم الخواجا حنا رومي والخواجا اسحق سهركم والخواجا خليل اخوه واولادنا المباركون الباطري اوجينو والباتري انجيلو يهديانكم تقبيل اليد . واولادنا شماس موسى تلميذك ويونان قس حنا فنه واخوه يعقوب يقبلون ايادي البطريرك ميخائيل —

عن ماردين ٧ تشرين الثاني سنة ١٧٧٠ مسيحية

يصل الى جبل كسروان ليد اخينا المحترم اوانيس ورتبيت المكرم

مكتوب آخر من البطريرك جرجس الثالث الى الورتبيت المذكور بتاريخ صباح عيد انتقال الطاهرة البتول ام النور ١٥ آب سنة ١٧٧٢

سلام الرب ... نعلم به صدق محبتكم هو انه وصل ليدنا مكتوبكم وكتبتم لنا انه قد وصل الى يدكم مكتوبكم .. وحررت لنا انك قد احببت ان تسكن عند القديسين اخترت لك شرب ماء الحيوة ... ورذلت العالم وما فيه من شوقك في حسن نظام البيع المقدسة التي هناك واردت لذاتك من بعد العمر الطويل السكون في الملكوت السموي وعبرت عن مرعيث ماردين وجعلته باختيارك لحضرة القس بليط ان يصير مطراناً ويسكن في ماردين ويدبر المرعيث كما يجب ... فنحن من محبتنا لحضرتك كنا مشتاقين ان ننظرك ونسكن مع بعضنا بعض في ماردين ولكن لما نظرنا انك باختيارك وهبت مرعيثك للقس يوسف لكي يصير مطراناً ويضبط مكانك عَلَى كنيسة القديس سورب كيورك وكتبت لنا ان نتقيد عليه ونحبه ونحسبه اخاً لنا لحضرتك ... ونقف معه بالصدق والاستقامة مع كل من يضاده وهوذا قد كتب الجماعة لحضرتكم وعرفوكم كل شيء لاننا نحن واقفون في جميع اشغالكم لانه عام اول لما جاء الى ماردين بيدروس ورتبيت وبقي مقدار اربعة اشهر تعبنا معه تعبا عظيما وما تركناه يتكلم كلمة واحدة مع الجماعة ولا خليناه يصلي ام يقدس في بيعة سورب كيورك لاننا دائماً ليلنا ونهارنا واقفون في خدمة القديس كيورك ومرعيثه وقد كتبت لنا بانه اي شغل لنا انتم تقضونه والان انه مفهوم انكم في رومية العظمى واخبار حقارتنا وصلت الى بلاد بعيدة بانه هلقدر سنين ما تركنا احداً من المسيحيين يخسر مصرية في بلد من البلاد

حينئذٍ توسط المطران جرجس فتال واشار على البطريرك ان يكتفي اذ ذاك بان يرقيه الى رتبة الخوري فرقاه ثم دخل الخوري الجديد عَلَى البطريرك وشرع يقبل يديه مناشداً اياه ان يصغي الى ما يقوله له وشرع يورد له اقوى البينات مما يوجب عليه الانضمام الى الكنيسة الجامعه وقبول تعليمها القويم وبرهن له ايضاً عظيم النفع الناجم لطائفة السريان من هذا العمل: وانها اذا تمادت في العناد والانفصال: لن تلقى غير التقهقر والخراب ·· وكان جواب البطريرك: ان كل ماقلته حق وصحيح انما دعني الان اداري زماني وفي فرصةٍ مناسبة نعمل جميعنا بما ترغب به فقال الخوري ياابانا لا تهتم للغد لانه يكفي كل يوم شرّه بل اتبع الحق كما تبعه كثيرون قبلك فلم يؤثر الكلام فيه ومع ذلك فلشدة حبه له ولان اهل حلب مصرّون على طلبهم اياه مطراناً قال له ان انت طاوعتني ورضيت بالرسامة اعمل بما تريد· فاحتار في نفسه حتى قال له المطران جرجس فتال سراً: انك اذا تماديت في رفض الاسقفية ربما يقيمون عوضك رجلاً فظاً وجاهلاً يهدم ما كنت قد اسسته الى الان · فاذعن وتمت الرسامة في ٢٣ شباط سنة ١٧٦٦ وعمره ٣٥ سنة وشهران ودُعي ديونوسيوس · وشرط عليه البطريرك وموازروه ان يوافقهم عَلَى المذهب اليعقوبي وان يبطل العوائد المستحدثة واذ كان يعلم ان معظم شعب حلب يترقب قدومه ليجهر علناً بالايمان الكاثليكي والاَّ فيجدون لهم راعياً غيره من الكهنة الكاثليكيين اقبل عليه المطران جرجس يقول له: لا تكترث بشروط البطريرك بل تمسك بما بدأت فيه والله قادر ان يدبرك · فعوّل عَلَى العمل بما يريده بعد رجوعه الى حلب

وكان الحلبيون المجاهرون بالكثلكة يصلون يومئذ خارجاً عن كنيسة

السريان وقد سالوا السيد يوسف قدسي ان يساويهم مع طائفة الروم في الاعياد والاصوام ففسح لهم برسالة كتبها في دير الام المحزونة بزوق مصباح تاريخها ٢٥ نيسان سنة ١٧٦٦ مآلها الاقتصار على البطالة من الشغل يومين فقط لكل من عيدي الميلاد والغطاس بدلاً من ثلاثة ايام وتحويل اعياد مار بهنام ومار افرام ومار يليان ومار موسى الحبشي الى تذكارات مع انها كانت اعياد بطالة وفسح لهم ايضاً باكل السمك ايام الصوم الكبير وصوم العذارى الذي يقال له صوم نينوى

ولما قدم السيد ميخائيل الى حلب بصفة مطران عليها للمرة الاولى تلقاه السريان بحفاوة وكبكبة ثم سألوه ان يجعل حداً للتحذر الزائد من غوائل روساء اليعقوبيين وان يجهر بالايمان الكاثليكي في الكنيسة · بيد انه لم يوافقهم على ذلك ولم يكن يماطل في الاعلان بالكثلكة الا لخوفه من ان يكون ذلك داعياً لقدوم البطريرك اليعقوبي الى حلب والاستيلاء على الكنيسة واثارة الاضطهاد على الكهنة والشعب · ومع ذلك فانه قرر سراً دستور الايمان الكاثليكي

٩٧ ثم انه توفي كوركيس الثاني بطريرك اليعاقبة وخلفه كوركيس الثالث الموصلي فاحب المطران ميخائيل ان يسبر غور امياله بشأن الايمان الكاثليكي فاوعز الى بعض الشمامسة ووجوه الشعب ان يكتبوا الى البطريرك يسألونه ان يسمح لمطرانهم ابطال ذكر زعماء الموفستية من الشملايات وحذف زيادة يامن صلبت لاجلنا من التقديسات الثلاث اقتداء بمثل سالفه · فلما وقف البطريرك على عريضتهم احتدم غيظاً وكتب في ٥ كانون الاول سنة ١٧٦٩ الى المطران ميخائيل رسالة ذكر فيها جسارة الشمامسة والوجوه ثم القى الذنب عليه لانه لم يصدهم عن هذا العمل ·

ليمنع الكاثليكيين من البيعة وانا لا اطيق ممانعته و يسوءني تكديرك بابطال العوائد الفرنجية وان كنت قد ايدتها في منشور سنة ١٧٦٠ · فلما قرأ القس ميخائيل هذا الكلام لم يرتخ عزمه ولا خاطر بنفسه بل شاور اهل ثقته في ان يداري الرؤساء المضادين بالمجاملة والحزم لئلا يصيبه ما اصاب المهتدين السابقين فتضيع الفائدة · فاذا تمكن من استمالتهم الى مذهبه كان ذلك احسن وسيلة لهدى الطائفة جمعاء الى الايمان القويم والا فيكون قد كسب جانباً كبيراً منها بمثله · وانجازاً لغرضه قرّ الرأي ان يصير الى البطريرك بنفسه كالمغتاظ من الحلبيين و بهذه الحجة يدخل معه في الحديث و يحاول اقناعهُ للخضوع للكرسي الروماني فانصرفوا وهم يدعون له بالتوفيق

الفصل الثاني

٩٦ سفر القس ميخائيل الى البطريرك — ارتسامه خوريًا ثم اسقفًا السيد يوسف قدسي بعض الاعياد ٩٧ وفاة البطريرك وتخلف غيره — غضب هذا عَلَى الحلبيين لطلبهم حذف اسماء ايمة الدعة — وعيده للمطران — اهتداء قسيس في ديار بكر ومطران بحلب ثم نكثه العهد ٩٨ سفر المطران الى البطريرك ليستميله — عناده صرامته ٩٩ تشدده عَلَى انصار المطران بحلب — ارسالهم مضبطة ١٠٠ مراسلة الكاثليكيين السيد يوسف قدسي — وفود رسالة البابا باسم المطران استياء البطريرك: تشدده عَلَى المطران — هرب المطران ١٠١ اعلانه الخضوع للبابا سرًا ثم علنًا — تأييد الكرسي الرسولي السيد ميخائيل في مطرانية حلب

٩٦ وبلغ البطريرك وهو في ديار بكر خبر قدوم ابن جروة فاجتمع بنفر من اساقفته واستشارهم في شانه فقرّ رايهم ان يسميه مطرانًا لحلب في حال وصوله عسى ان تشغله هذه الوظيفة عن مقاصده المعلومة · وكان منتخبهم قد خرج الى السفر في ١١ تشرين الاول سنة ١٧٦٥ حتى وصل يوم السبت ليلة تقديس البيعة واخذ يتظاهر بالملل من سياسة الشعب وبالشوق الى الاعتزال كما كان في اول امره · فلم يصغ البطريرك الى مقاله بل اوعز الى احد الاساقفة ان يوقفه على انتخابه · فابى مغتاظًا واعلن انه يريد الرجوع اذا لم يعدلوا عن رسامته ·

الكنيسة · وزد علَى هذا انه كان يقرن السيرة النظرية بالعملية فيصرف النهار بالوعظ واستماع الاعترافات والليل في المطالعة والهذيذ في ما يقرأه لا ياخذ من الراحة لبدنه الا الضروري للعافية ولا يصيب من الطعام الا ما لزم لسد حياته وروى احد اخصائه عنه انه كان يلازم لبس المسح وزنار الحديد الشوكي تحت ثيابه فاكسبه ذلك حب رؤسائه وحرمة اقرانه وهيبة الشعب له حتى كان يخيل للكاثليكيين انه مرسل من الرهبان لا كاهن يعقوبي

٩٥ وما عدا هذا اخذته الشفقة على جنس النساء فألف منهنّ جمعية عابدات واخوية تحت حماية مار موسى الحبشي ورسم لسلوك الفوجين رسوماً اثبتها البطريرك كوركيس الرهاوي في منشورٍ منه بتاريخ ٢٥ تشرين الاول سنة ١٧٦٠ وايدها بتوقيعه وختمه و بتوقيع غريغوريوس مطران القدس وساويرا توما مطران الرها : فقُري في البيعة من الباب الملوكي على مسامع الشعب (١) وفي جملة ما جاء فيه قوله انا رخصنا واثبتنا جمعية العابدات والارامل الناذرات والقانون المرتب لسلوكهنّ العوائد الحميدة بخصوص الطواف بصورة العذراء في اعيادها وحفلة عيد مار يوسف الصديق خطيب مريم العذراء في ١٩ اذار ومسبحة الوردية والاخوية التي انشأها ولدنا القس ميخائيل جروه ونوصي بقية الكهنة ان يخضعوا لرئاسته عليهم · فاضحت هذه الاخوية كرهبانيةٍ انتمى اليها كثير من النساء والبنات وافضت بهنّ الى ان خلعن الزينة العالمية وقلائد الذهب ولبسنَ الحداد وتمنطقن بزنانير من جلد في طلب العريس السماوي ·

---

١ هذا المنشور وجدناه في خزانة الاوراق بالشرفة تاريخه ٢٥ تشرين الاول سنة ٢٠٧١ يونانية

وجمع صيانة لعمله من الفساد الرسوم المذكورة في كتابٍ استنسخ منه خمسين نسخة ختمها بشهادة التثبيت وفرقها عَلَى اعضاء الجمعية (١) وكان يصيب القس ميخائيل مقاومات من اعداء الفضيلة لكنه لم يكترث بها حتى سماه بطريركه جرو اسدٍ وحملاً. ولم يخفَ ذلك عَلَى العامة فانه بينما كان ذات يوم يلقي الوعظ رفعت امرأة صوتها وقالت له: طوبى للبطن الذي حملك والثديين اللذين رضعتهما. حتى ساغ لعمه غريغوريوس شكر الله جروة مطران القدس الذي ترأس دير مار افرام بلبنان وولي النيابة الرسولية عَلَى السريان من بعد السيد جبرائيل فيزون: ان يحمس كهنته بعد ذلك اي بتاريخ ١٠ كانون الثاني سنة ١٧٦٩ بمثله قائلاً لهم: غاروا من ابن اخي فانه باذل جهده في تكميل وظيفته (٢) اكثر منكم

ولما انقضت عَلَى القس ميخائيل سبع سنين ونصف وهو يحاور المرسلين ويطالع الكتب علّه يجد ما يردُّ عليهم: تحققت لديه صحته فتهيأ لاقتباله وطفق يلاطف المرسلين ولا سيما اليسوعيه حتى سمح لهم ان يعلموا شعبه ويرشدوه في الكنيسة نفسها. فلما وصل خبره الى البطريرك والاساقفة استأوا من تصرفه ولا سيما للمفريان كوركيس ابن اخي البطريرك جرجس الاول فانه القى اللوم عَلَى البطريرك بل تهدده واضطره الى ان يكتب الى القس ميخائيل بتاريخ سنة ١٧٦٤ ويقول ان الناس يلومونني والمفريان اكثر فانه تهددني بالتوجه الى حلب في اواخر الشتاء

---

١ علمنا ذلك من نسخة محفوظة في مكتبة قلايتنا السريانية مختومة بهذا الكلام

٢ عن سجل دير الشرفة عدد ٤٥ بتاريخ ١٥ ايار سنة ١٧٧٧

ثم عاد ميخائيل الى حلب يواصل التجارة (١) ويقوم بخدمة درجته في الكنيسة · ولحظ ان اهالي حلب المسيحيين عَلَى اختلاف طقوسهم كانوا تلقنوا من المرسلين بعض العوائد التقويّة كعبادة الوردية وعادة الاعتراف العام ونيل الغفرانات الخصوصيــة والكاملة · فطفق ميخائيل يقتبس منهم الوسائل نفسها وينشرها بين ذويه زاعماً انها من اصل يعقوبي عند من ندّد بانها من عوائد الكاثليك حتى استجلب اليه جانباً من الكاثليكيين وضمّ اليه فئة من اهل الورع وكان يفاوضهم في الزهد في حطام الدنيا وانشأ اخوية مار موسى الحبشي والف لها رسوماً مآلها الكمال المسيحيّ وعزم على الانتقال باخويته الى النبك مع تلامذته الى دير مار موسى الحبشيّ المنفرد في الجبل المجاور لتلك البلدة ابتغاء الانقطاع عن العالم والعيش الرهباني · وكان المتوليّ عَلَى ابرشية حلب يومئذ عَلَى اليعقوبين جرجس فتال مطران القدس فسأله الشماس ميخائيل ان يقيم واحداً من تلاميذه كاهناً وهو الشماس انطون ابن الخوري عبد الاحد معظّم وكان قد عينه رئيساً لدير النبك على اولئك الرهبان فلباه المطران عَلَى شرط ان يقتبــل الرسامة هو ايضاً فاعتذر اولاً ثم رضي فاختلى اياماً كعادة الكاثليكيين وبعد الرياضة ارتسم الاثنان كاهنين في ١٤ تموز سنة ١٧٥٧

٩٤ فلما اضحى ميخائيل كاهناً ضاعف نشاطه في اتخاذ الوسائل المذكورة لتأييد مذهبه · وحدث اذ ذاك لسريان حلب ضيقة شديدة حملت المطران جرجس على الهرب فاقام القس ميخائيل وكيلاً عنـــه وانتقل هو الى حمص

١ قيل انه ابتدأ يتعلم التركية والايطالية الا اننا لم نتحقق ذلك واعله تعلم التركيـة لتردده عَلَى الرها

وحماه · وكان كور كيس الرهاوي قد ولي البطريركية فايدّ نيابة القس ميخائيل بمنشور تلي في البيعة فتحول الكاهن النشيط عن عزمه على الحياة النسكية الى القيام بخدمة النفوس وكان مكبًا على الدرس والمطالعة مواظبًا على الارشاد ساعيًا في تفقد الشعب خاصة اثناء المجاعة الشديدة المعروفة بغلاء الطاقه التي اصابت حلب فاظهر القس ميخائيل غيرة فائقة على اغاثة البائسين حتى دُعي ابا الفقرا وكان هو وتلاميذه ممتازين بالوداعة والورع حيثما وُجدوا · وكانوا يفتخرون بعلمه وربما بالغوا بانه ابكم المرسلين الفرنج باجوبته · وما زالوا على هذا حتى التقى القس ميخائيل بفرنسيس رئيس اليسوعية في بيت احد المسيحيين فتعاتبا طويلاً وافضى العتاب بهما الى جدال جدّي في مسائل المعتقد والتهذيب ولكنهما حرصًا على الفائدة اشترطا ان يكون ذلك خطًا (١) · وفي هذا الجدال ابان كلٌّ من المجادلين حدة ذكائه وطول باعه في العلم فكانت براهين المرسل قويةً مقنعةً حملت القس ميخائيل على ان يميل الى الاذعان بالحقائق الكاثليكية واسرَّ ذلك دون ان يظهر لانصاره فشلاً ولا تغييرًا · وانما كان يطالع الكتب مستمدًا النور من ابي الانوار ليهديه الصراط المستقيم والسبيل الى الحيوة الابدية ولما كان الله موجودًا للذين يطلبونه وقريبًا ممن يبتغيه : حرّك فيه اشمئزازًا من العوائد المنحرفة التي ادخلها الجهل والابتعاد عن الكنيسة الحقيقية فشرع يعتني في تبديلها بعبادات جارية ومستحبة في الكنيسة الجامعة · وكأن الله هيأ بذلك قلبه للانضمام الى هذه

---

١ عرفنا خبر تعصبه وجداله مع الاب فرنسيس من كراسة تدون فيها جدالهما و يوجد منه نسخة في خزانة كتب بطريركنا مار اغناطيوس افرام الثاني ونسخة اخرى لدى الخواجا الياس خياط ابو يني بحلب

حلب في ١٢ تموز الى دمشق ثم عاد الى حلب سنة ١٧٥٧ وقضى فيها فصل الشتاء وكان البرد يومئذ قارساً اذ جمد فيه الماء جموداً غريباً وفي اثناء ذلك رسم الشماس يوسف بن جرجس الحجار قسيساً ورقى القس جرجس جوزيه الى رتبة الخورفسقفوس ورسم ايضاً الشماس موسى قسيساً ورسم يوسف ابن الشدياق موسى ناسيموس شماساً ثم بارح حلب يوم عيد مار يوسف من تلك السنة · وتوفي القس جرجس جحار في حلب سنة ١٧٦٠ وفيها كذلك توفي في دير مار افرام الرغم المطران جبرائيل فيزون فتولى النيابة بعده السيد غريغوريوس شكرالله جروه المار ذكره

ثم انه في جملة البلاد التي كان فيها جماعة سريانية كاثليكية مدينة الرها ووجد فيها سنة ١٧٥٣ نحو ماية عائلة كاثليكية اسم كبيرها الخواجا موسى الصائغ وكان ابنه يتلقى العلوم في مدرسة بروبكندا (١) برومية استعداداً لدرجة القسيسية· فلما لحظ المطران جبرائيل فيزون انه لم تنجح تلك المدرسة التي كان الاسقف سفر قد وقف لها راتباً اثني عشر غازياً في السنة راى ان يستبدلها بمدرسة انشأها في دمشق تحت نظر رهبان دير مار افرام الرغم ووافقه على ذلك المجمع وخصص لنفقتها السنوية خمسين ريالاً من ريع الدراهم المتبقية مما كان جمعه الاسقف سفر

ومن الامور التي دبّرتها العناية الصمدانية هو انه ظهر في الفرقة اليعقوبية بحلب قسيس اشتهر بالعلم والحزم والغيرة وكان حسن السيرة وهو القس ميخائيل ابن الشماس نعمة الله جروه شقيق المطران شكرالله جروه الكاثليكي · ولما كان

---

١ راجع ههنا عدد ٨٩

لهذا القس شأن كبير في حوادث ذلك الزمان وقد قاوم النعمة الالهية زماناً حتى استظهرت عليه فاجهر بالايمان الكاثليكي ثم صار بطريركاً عَلَى جماعة السريان الكاثليك رأينا ان نوجز ترجمته فنقول (١)

٩٣ ولد ميخائيل في ٣ كانون الثاني سنة ١٧٣١ واسم ابيه الشماس نعمة الله جروه وامه سيدة ابنة القس شكرالله نشاد واخوته جبرائيل ويوسف ويوحنا والياس وتربى احسن تربية فما بلغ اشدّه حتى اتقن القراءة والكتابة السريانية والعربية واخذ يشتغل مع ابيه بالتجارة ومع ذلك كان مكباً عَلَى مطالعة الكتب المقدسة والدينية والتقوية واشتهر في حب الاستقامة · وكان في هيئته معتدلا كامل الصورة لطيف الجنان مهيب الطلعة سريع الفهم حسن الشمائل حتى ان المطران كوركيس الرهاوي الذي صار بعد ذلك بطريركاً خصه بمودّته فرسمه دياقوناً (٢) سنة ١٧٤٤ وله من العمر اربع عشرة سنة ثم ارسله في نحو سنة ١٧٥١ الى الرها فلما وجد الشماس ميخائيل هناك صبياناً وشباناً يصرفون ايام الاحد والعيد في الملاهي الباطلة غار عَلَى تهذيبهم فبنى لهم من نفقته محلاً في فناء الكنيسة وجعل يعلمهم فيه مبادي الديانة والصلوات وكان مرسله واثقاً به ينهي اوامره الى القسوس عَلَى يده (٣)

---

١ عن ترجمة حياته التي كتبها بيده وهي في دير الشرفة · وعن ترجمة اخرى له كتبها ابن اخيه البطريرك بطرس جروه · انما اصلحنا ما بالغ هذا الثاني في تبيين اهتداء عمه واسندنا التصليح الى آثار يأتي شرحها

٢ لم تزل العادة جارية حتى اليوم عند اليعاقبة ان يرسموا الفتيان شمامسة دياقونيين

٣ عن رسالة لهذا البطريرك بتاريخ ١٥ ايلول سنة ١٧٥١ وهي محفوظة في الشرفة

﴿ الباب السادس ﴾

في حالة الطائفة على عهد قسوسية ميخائيل جروه واسقفيته

الفصل الاول

٩٢ نيابة السيد جبرائيل فيزون — فتحه مدرسة بدمشق بدلاً من مدرسة الرها
عنايته بالمهتدين في حلب — وفاته ٩٣ مبادى ميخائيل جروه — ادخاله
عوائد وعبادات كاثليكية — جمعه اخوية على اسم موسى الحبشي — رسامته
كاهناً ٩٤ نيابته — مجادلته رئيس اليسوعية — ابطاله عوائد
ذميمة — قشفه ٩٥ نظمه جمعية عابدات — تأييد
الاخويتين بمنشور — نيابة السيد شكر الله
جروه — ملاطفة القس ميخائيل
للمرسلين — توبيخ رؤساء
اليعاقبة له

٩٢ ان جماعة حلب السريان كانوا منذ عهد كوركيس الاول بطريرك اليعاقبة منقسمين الى فرقتين يعقوبية وكاثليكية · اما اليعقوبيون فكانوا يتظاهرون بالانتماء الى رؤساء اليعاقبة عن سياسةٍ اي خوفاً من ان يصيبهم اذى او يغرّموا غرامة مالية ولم يكن منهم متمسكاً بالمذهب المنوفستي عن اقتناع وتعصب الاّ فئة يسيرة · واما الكاثليكيون فكانوا محافظين على وديعة الايمان التي كانوا قد ورثوها عن اجدادهم منذ عهد البطريركين المغبوطين اندراوس و بطرس الرهاوي

وكانوا سالكين حسب العوائد التقوية التي تسلموها منهما وكان يتبعهم في الايمان الكاثليكي جماعات متفرّقة من سائر السريان المنتشرين في سوريّه ومابين النهرين

وكان القائم بسياسة السريان الكاثليك المتفرقين على ما قلنا المطران نعمه قدسي ولكنه كان مقيماً في قمم لبنان بعيداً عن الجماعة وكانت همته قد فترت فوجه المجمع المقدس نظره الى القس جبرائيل فيزون المار ذكره فرُسم مطراناً على اسم كرسي اورشليم وقلد النيابة البطريركية علَى السريان الكاثليك فقام باعباء النيابة بكل نشاط وغيرة

واول ماابتدأ به السيد جبرائيل فيزون انه رسم الشماس بهنام ياقين الحلبي قسيساً وسنة ١٧٥٥ في الايام الفصحية توجه الى حلب لافتقاد الجماعة · ولما كان اليعقوبيون قد تغلبوا على الكنيسة والقلاية نزل في دير الكرمليين فصار الكاثليكيون يترددون اليه وكان يعظهم علَى الصبر والثبات · ولسبب الشتات الذي كان اصابهم اهملوا بعض الاصوام المختصة بطقس السريان كصوم العذارى اي صوم نينوى فامرهم بحفظه (١) ثم انه اثناء اقامته بحلب رقى في معبد دير الكرمليين القس بهنام الى رتبة الخورفسقفوس في ١١ حزيران الواقع في يوم احد العنصرة وفي الاحد التابع رسم في دار الخواجا فرج الله استنبوليه شماساً اسمه سفر بن جرجس الحجار ودعاه يوسف وشماساً آخر كذلك سماه يوسف · وغادر

١ عن رسالة للسيد ميخائيل جروه كتبها الى المجمع المقدس قال : ان هذا الصوم كان محفوظاً قديماً علَى عهد الطوباويين اندراوس و بطرس ثم تُرك لما تبدد الكاثليك الى ان ترأس السيد جبرائيل فيزون فأرجعه · ثم تولى عمي المرحوم شكر الله جروه فأبطله وهما (كذا في سجل دير الشرفة ١٥ ايار سنة ١٧٧٧)

٩١ ومن بذار الحقيقة الكاثليكية الذي بذره المرسلون المار ذكرهم اخذ اهالي القرى التي في آثور تنزع الى الكنيسة الكاثليكية فكانوا بادئ بدء يستغربونها فيصعب عليهم ترك رؤسائهم او يخافونهم · ثم ينتبهون الى الضلال والجهل المستحوذ عليهم حتى تشجعوا وانضموا الى الكنيسة الجامعة في عين كاوا و كرمليس ماعدا تلكيف وباطناي والقوش · و بعدهم اراد البعض من اهالي قرية بيث خديده التي في قرقوش ان يقتفوا اثر مجاوريهم المذكورين وذلك ان ثلاثة منهم قصدوا زيارة القدس سنة ١٧٦١ واسماؤهم عيسى وموسى وعبد الله وشهدوا هناك عبادة درب الصليب والوردية وزياح القربان فاستعذبوها واستشنعوا عوائدهم السابقة · وكانت قد طبعت في رومية كتب تقوية بالكرشونيه يتضمن بعضها شرح التعليم المسيحي المطبوع منذ سنة ١٦٤٢ وغيرها الصلوات النفيسة وغيرها كتاب الاقتداء بالمسيح · ولدى عودتهم الى الوطن كانت معهم نسخ من تلك الكتب فكانوا يستطيبون قراءتها على مسامع ذويهم ويخبرونهم بما عاينوا · فلما ذاع خبرهم اجمع قسوس القرية على نهيهم عن قراءتها وآذوهم ومزقوا واحداً منها دون ان يفحصوه · ثم هيجوا الاهالي فهجموا على زوّار القدس المشار اليهم يريدون قتلهم فهربوا · ثم رجع احدهم بعد سنة فلما احس به جيرانه من دخان التتون هاجوا و كبسوا بيت الراجع فاختفى تحت القش فلما لم يجدوه عمدوا الى احراق القش فبكت الزوجة وولولت حتى صرفتهم · ولما صار الليل هرب الرجل واخبر صاحبيه · ولما كانت الحركة من الله ظهر غيرهم يقولون مقالتهم و كانوا قد تعلموها من اهالي قرية كرمليس ومن البادري كرزوني الذي وُجد في تلك القرية · وفي تلك الاثناء

رجع من زيارة القدس ايضاً ستة رجال بولس ابن القس متى بابا ومتى ابن المقدسي عيسى وحنّو ابن القس عمانوئيل وحوتو بن نيسان هداية وعبدال زومايا وبطرس اخوه وكانت معهم نسخ من تلك الكتب فطفقوا يرشدون اقرباءهم واصحابهم ويستميلوهم الى الديانة الكاثليكية واذ ذاك رجع الثلاثة الهاربون وانضموا الى الستة واتباعهم حتى اضحوا عشر عائلات وعزموا علَى الثبات بل على الذهاب في كل يوم احد وعيد الى قرية كرمليس لاستماع القداس · فنهاهم القسوس فصاروا يذهبون خفيةً · وكانوا في الايام الفصحية يقطعون مسافة سبع ساعات فيتناولون الفصح في دير مار اوراها عند الكلدان · واصابهم من جرى ذلك بعض الاذى والخسارة · فلما راى الناس ذلك انضمّ غيرهم اليهم ولبثوا علَى هذه الحال حتى انتشرت الديانة الكاثليكية في قرقوش وتبعهم كهنة دافعوا عنهم كما سيأتي

المسيحيين النساطرة واليعاقبة ان يشيدوا على اسمها المبارك كنيسة الطاهرة٠ وعقب الحرب مجاعة هائلة فانفصل الاخ الكرملي وعاد الى اوربا وارسل البادري فرنسيس الى العمادية ليعالج مرض حاكمها صديقه (١) واذ وافقه موقع البلد واهله اخبر البادري عبد الاحد فلحق به لكنه مرض وتوفي في القوش فحملت جثته الى دير مار كوركيس الذي في جوار الموصل وقبرت فيه ٠ وجاء عوضه البادري لنزا سنة ١٧٥٤ وقبل ان يتعلم لغة البلد الزم الحاكم البادري فرنسيس ان يزايل العماديه و يتوجه الى مدينة قرص ليعالج مرض والده لان اصله من هناك فسافر ورجع في سنة ١٧٥٥ وابتدأ الاثنان بالتبشير والتعليم ٠ وفي مدة يسيرة اجتمع اليه كثير من الكلدان والسريان حتى ضاقت بهم كنيستهما الصغيرة وحينئذ توجه البادري لنزا الى القسطنطينية برسالة مآلها انهاء من الحاكم يسوّغ بناء الكنيسة فاخذ امراً في توسيعها

ولما رجع لنزا سنة ١٧٥٦ صادف الحالة سيئة لان بطريرك النساطرة كان قد مال الى طاعة الكرسي الرسولي فخاصمه الشعب ٠ والحرب الاهلية مستعرة وقد بدأت مجاعة في الموصل وماردين سنة ١٧٥٧ وتبع ذلك في سنة ١٧٥٨ حمى خبيثة كانت تميت المصاب بها في مدة سبعة ايام فان عاش طاش نحو اربعة اشهر وان مات فات فلما هدئت الحرب تغيرت نية الحاكم اذا استماله انصار النسطرة الى مقاومة المهتدين ٠ فاستنجد المرسل والي بغداد ٠ وفي هذه الاثناء قدم مرسل ثالث سنة ١٧٦٠ اسمه لاوبلدو سلديني وتوجه الى العمادية فاكرمه حاكمها فشرع يبشر نساطرة الجبال و يطبب الناس و يجمع عقاقير طبيه من الجبال

١ قيل ان امراء العمادية هم سلالة الخلفاء العباسيين الذين كانوا ببغداد

الطبية واستقام لاو بلدو في العمادية محبوباً ومكرماً زماناً حتى عزم بعض الاضداد ان يسمموه فانتقل الى زاخو فرحب الاهالي به وبالغوا في اكرامه لان فضائله ادهشتهم وبقي في زاخو وجوارها الى ان توفاه الله سنة ١٧٧٩ بعد ان قضى سبع سنوات في الرسالة · والى اليوم يلهج اهالي زاخو باسمه ويتبركون من ضريحه كما شهدنا نحن بنفسنا

واما البادري لنزا فانطلق سنة ١٧٦١ الى جبل لبنان بصفة زائر رسولي واقبل عوضه بادري آخر اسمه البادري موريس كرزوني فاحبه اهالي الموصل · وكان يكثر التردد الى قراها فاجتذب كثيراً من اهاليها الى الحق · وفي سنة ١٧٦٤ جعل مقره في العمادية وجبالها ماينيف علَى ثماني عشرة سنة فاتقن علم اللغة الكردية والف فيها غرماطيقاً وقاموساً مشروحاً بالايطالية لافادة المرسلين وطبع الكتابان في روميه سنة ١٧٨٧ وكان المجمع المقدس قد انفذ في سنة ١٧٧٣ ثلاثة مرسلين وهم منصور پروفو من نابلي وروفائيل تركنوسكي ووالنتين فوك فاقاموا في الموصل · واشتهر روفائيل ومنصور في استجلاب الناس اليهم · غير ان الحاكم الزم منصوراً بالذهاب الى جزيرة قردو لمعالجة اخا حاكمها فمات وقتل طعناً بالخناجر بينما كان يصلي في خلوة · وبعده توفي روفائيل سنة ١٧٨٨ بعد ان تعب في الرسالة اثنتي عشرة سنه · حينئذٍ عاد البادري موريس الى الموصل سنة ١٧٨٨ علَى كبر سنه وكان معه البادري منصور سايلاني الذي من ديرانكونا فعلى ايدي هولاء الفضلاء انتشرت الديانة الكاثليكيه في الموصل ولا سيما في قراها · ثم مازالوا يكثرون حتى بنوا لهم ديراً في العمادية ثم ديراً آخر في قرية مار ياقو القريبة من قرية شيوز سنة ١٨٤٨ بنفقات محسنين من الفرنساويين

لسبب الاضطهاد في اصفهان (١)

ولدى رجوع السيد عمانوئيل الى بغداد توفي احمد باشا وزيرها فاضطربت الاهالي من بعده حتى نُصب فيها اربعة ولاة في مدة سنتين فاغتنم الارمن هذه الفرصة وسعوا في حبس السيد عمانوئيل سنة ١٧٤٩ في سجن مظلم ومعه قس اسمه البادري قسطنطين وراهب اسمه البادري فيدال هرب وكان يعتني بامر السجينين ثم أُطلقا بعد دفع غرامةٍ حُددت عليهما · ولما نُصب سليمان باشا التغليسي صهر احمد باشا والياً هدئت المدينة فاراد السيد عمانوئيل السفر الى ايطاليا سنة ١٧٥٣ وفي طريقه افتقد الكاثليكيين فوجد في ماردين من الارمن اربعمائة عائلة كلهم كاثليكيون (٢) وكنيستهم لهم مع مطران وثلاثة رهبان وخمسة قسوس · ومن الكلدان خمسين عائلة لهم كنيسة ومطران مع قسيسين · ومن السريان عشرين عائلة ما عدا المتشردين خوفاً · ووجد في ديار بكر خمساً وعشرين عائلة سريانية يلي امرها قسوس الكلدان والمرسلون · وفي الرها وجد مائة عائلة متجمعة من ارمن وسريان وكلدان وكبيرهم الخواجا موسى الصائغ وكان ابنه يتلقى العلوم في مدرسة برو بكندا (٣)

٩٠ اما المرسلون الدومنكيون فكان سبب قدومهم الى بلاد ما بين النهرين

---

١ يعرف من التقليد في مابين النهرين ان جملة عائلات ارمنية في ماردين وغيرها اصلها من بلاد العجم انضووا اليها هرباً من اضطهادٍ حدث في اصفهان نحو هذا الزمان

٢ راجع هنا عدد ٦٢

٣ عن التقرير الذي قدمه عمانوئيل بايّة الى البابا — راجع هنا عدد ١١و١٢و١٣

قسيس كلداني من الموصل اسمه القس خدر قبيلتهُ معروفة في ايامنا بآل القس زكور · هذا لجأ الى روميه سنة ١٧٣٦ هرباً من جور بطريرك النساطرة حيث اقام مدة ثماني سنين حتى قضى نحبه · واذ كان في مدة اقامته هناك يحضر وعظ الرهبان المذكورين استعذبه فالتمس من البابا بندكتس ١٤ ان ينفذ مرسلين منهم الى وطنه ولما كان البابا قد خصص ديراً صغيراً في جبل ماريو ليجتمع فيه الرهبان الراغبون في نشر الدين القويم في بلاد الارمن أبى طلب القس الكلداني بكل سرور فوجه الى الموصل البادري فرنسيس تُرياني والبادري عبد الاحد لاونشيني واصحبهما بالاخ لياندري الكرملي لمعرفته بتلك البلاد ولغتها فقصدوا الموصل ودخلوها باسم اطباء فلما علم النساطرة واليعاقبة بخبرهم اجمعوا مع المسلمين عَلَى قتلهم او نفيهم بامر حاكم البلد غير ان اغوات اقوى منهم دافعوا عنهم طمعاً في طبهم بل سمح لهم الحاكم ان يقيموا فروض ديانتهم ايضاً فامنوا و كانت الموصل اذ ذاك مضطربة بحروب اهليـة والقتال مستعراً بين محلة ومحلة وبين عشيرة وعشيرة وزد عَلَى هذا هجوم نادر باشا طهماز عَلَى المدينة يحاصرها · فان هذا القائد كان قد استولى عَلَى مملكة ايران بيأسه وغار عَلَى بلاد التتر والهند ودوخها · ثم ساق جيوشه الى البلاد العثمانية فاستولى على بغداد وكركوك واربل وتقدم الى الموصل في اواخر شهر آب سنة ١٧٤٣ فافسدت جنوده القرى ونهبوا جزيرة قردو وقتلوا ما فيها من المسيحيين · ثم حاصروا الموصل تسعة ايام متوالية · حينئذ اتفق اغوات البلد واندفعوا الى مقاتلة طهماز حتى هزموه · ورُوي ان المسيحيين قاموا اثناء الحصار للدعاء فتراءت لهم مريم العذراء فحامت عنهم ونصرت الموصليين واذ وقع ذلك في قلب الحاج حسين باشا حاكم البلد موقع الخشوع امر طائفتي

٨٨ وفي اثناء ذلك كان مجمع بروبكندا قد انفذ سنة ١٧٢٠ البادري يوسف ماريا وارله الكرملي الى بغداد باسم نائب رسولي ٠ واذ لم يتجرأ احد من السريان والنساطرة ان يقبله في بيته خوفاً من وشاية الارمن بهم الى الوالي كان المرسل في مدة ثمان سنين ينتقل تارة الى ديار بكر وتارة الى البصرة او يقيم في بغداد مستتراً وبقي على هذا حتى هرب الى حلب واستقر فيها ٠ فأرسل عوضه الراهب عمانوئيل بايه الكرملي نائباً رسولياً ايضاً وذلك في اواخر سنة ١٧٢٨ فنزل ببغداد في بيت احد الكاثليكيين وكانوا قليلين لا يستجرئون ان يحضروا عنده لخوفهم ٠ وبعد زمان رجع هذا النائب الى ديار بكر حيث تعلم اللغة التركية ورجع الى بغداد فانضمَّ اليه البادري يوسف ماريا آتياً من حلب عَلَى شيخوخته واقام معه الى ان سافر عمانوئيل الى الهند الى نائب ملك فرنسا فاخذ منه رسائل توصية مع هدايا الى والي بغداد ورجع بها سنة ١٧٣١ وشيد معبداً عَلَى اسم مار توما الرسول وفتح مدرسة للصبيان ٠ وحينئذٍ رجع البادري يوسف الى حلب وجاء عوضه راهبان اخران وكان عدد الكاثليكيين اذ ذاك ثلاثين عائلة فقط من سريان وكلدان وكانوا يترددون الى معبد اللاتين والى كنائس المشاقين ايضاً لسذاجتهم ولما كان ذلك يسيء الارمن وشوا بعمانوئيل الى الوالي فامر بسجنه هو والبعض من اتباعه ٠ ثم رسم عليه غرامة ثلاثين الف غرش واطلقهُ ٠ فلما وصل خبره الى سفير دولة فرنسا سماه قنصلاً لدولته ٠ واذ ساء هذا التدبير في اعين الارمن وجهوا عداوتهم الى النساطرة فقدموا ١٢٥٠٠ غرش الى الوالي واستولوا عَلَى كنيستهم سنة ١٧٤٤ ولما عالج النساطرة استرجاعها ثني الارمن عليهم وخسروهم مبالغ حتى

تكرّر التعدّي عَلَى النساطرة فنزعوا الى الكنيسة الكاثليكية جميعاً وقرروا دستور الايمان المقدس بين ايدي المرسلين في ٥ حزيران سنة ١٧٤٥ وبعد مرافعات كثيرة جرت بينهم وبين الارمن اخذت الغيرة امرأة من النساطرة المتكثلكين فوهبت دارها فبني كنيسة برخصة الوالي وفي حضوره

٤٩ وقبيل هذا اي في سنة ١٧٤٢ توفي الشيخ الوقور الاب يوسف ماريا وارله فتأيد عمانوئيل نائباً رسولياً فانطلق الى رومية حيث رُقي الى الاسقفية وعاد الى بغداد· ولدي اجتيازه بالموصل وجد فيها من الكاثليكيين عشر عائلات كلداناً وعشر عائلات سرياناً وكان المرسلون ينزلون لدى مرورهم في بيت الخواجا عبد الاحد كبيرهم· ووجد في قرية القوش مائة عائلة يسوسها كاهن اسمه جرجس· ولما كان ايليا البطريرك النسطوري محباً لحاكم الموصل امكنه ان يضطهد بسهولة يوسف الثالث أودو بطريرك الكلدان وارسله الى المنفى وعذّب القس جرجس المومأ اليه ايضاً اذ كواه في جبينه بكعبٍ من نحاس محميّ في النار وعذّب كذلك عشرين من اتباعه · وكان هذا الكاهن يقول بعدها : اني كسبت نفوساً للمسيح بالكي الذي في جبيني اكثر مما بوعظي · ووجد السيد عمانوئيل في قريه دهوك ثلاثين عائلة كاثليكية · وفي قرية باطناي مائتي عائلة مع كاهن · وفي قرية تلكيف مائة وخمسين عائلة مع كاهنين بدون كنيسة· ولما ازمع النزول الى بغداد وعد الموصليين بارسال بعضٍ من الاباء الكرمليين الذين ببغداد اليهم· ومن بغداد نزل الى البصرة سنة ١٧٤٧ وكان فيها سابقاً اثنتا عشرة عائلة متفرقة الجنس ثمانٍ منها كاثليكية فقط ففي هذه المرة وجد مائة وستين عائلة كاثليكية مجتمعة

الفصل السابع

٨٧ اخبار المرسلين—اضطهادهم في ديار بكر ٨٨ ضيقاتهم في بغداد
اهتداء النساطرة ببغداد ٨٩ اخبار بايه عن كاثليك الموصل
وقرأها و بغداد والبصرة — حبسه — عودته
الى اوربا — افتقاده كاثليك ماردين
وديار بكر والرها

٨٧ كان الايمان الكاثليكي قد انتشر في بلاد مابين النهرين والعراق وكردستان في جملة مرات متفاوتة فيها تقرّب الناس اليه تارةً وطوراً ارتدوا عنه لسذاجتهم وضعفهم · ولما كان حدوث ذلك بفرصة وجود المرسلين من قبل الكرسي الرسولي : وجب ان نسبق بالتلميح الى اخبارهم اجمالاً وايجازاً ولو تأخر تاريخ السنين فنقول ان الرهبان الكبوشيين كانوا قد انتقلوا من الموصل الى ديار بكر ورئيسهم الاب يوحنا سنت انيان الى حلب (١) · فلما بقي الاب يوسف رايه الكرملي في ديار بكر : ازعجه الاضداد ولا سيما الارمن حتى رشوا

بتاريخ ٩ ايار سنة ١٧٣٨ من امضاء القس يعقوب الى ديونوسيوس جرجس مطران حلب اليعقوبي المشار اليه وهو يومئذٍ في أمد عند البطريرك فيها يصف قلة واردات كنيسة حلب ويسأله ان يرسل دراهم لايفاء الديون ويلح عليه بالرجوع حالاً الى حلب ويذكر بين وجهاء الشعب والشمامسة الشماس نعمه جروه والمقدسي جرجس نجله والمقدسي الياس ابيه والمقدسي جرجس صباغ والشماس موسى الحكيم والشماس حنا بن عبدالدائم والشماس فرج الله واخوته والشماس شكرالله والشماس نعمه والشدياق يوسف والشماس بولس والشماس نعمةالله والشماس برصوم عم القس يعقوب وابنه الشماس ابراهيم والشماس انطون

١ راجع هنا عدد ٦٢

حاكمها فضربه خمسمائة عصاً وهشم رأسه بالخنجر ثم غرمه ستماية غرش . فتوجه الى حلب وعرض نفسه على القنصل الفرنساوي وبسعيه نال امراً شريفاً باسترجاع المال واعطاء الحرية للمرسلين . غير ان ارمن ديار بكر لم يرتدعوا بهذا حتى صدر امر ثانٍ من السلطان سنة ١٧١٢ في حق المرسلين والمهتدين وبقيت الحال على هذا الى سنة ١٧٢٠ اذ قدم ديار بكر حاكم قاسٍ فقدَّم الارمن اليه شكايتهم على المرسلين انهم افسدوا عقيدة المسيحيين وجمعوا منهم اموالاً فعطلوا الخراج الواجب دفعه الى خزينة السلطان . فامر جنده بدون تروٍ ان يرصدوا دار المرسلين وكل من رأوه يدخل اليهم رفعوه اليه . وفي صباح عيد الدنح او الغطاس وشى الارمن بفرقة من الكلدان والسريان انهم يترددون الى دار المرسلين خفيةً وان مرسلاً احمر اللحية يرشدهم في ضلالته . فاحاطت الجنود بداره وهرب البادري بزردس كوش الى دار امير كردي يقال له همير اغا . فلما عرف الحاكم ذلك امنه فاحضره ثم غدر به فكبله بالحديد وسجنه خمسة وعشرين يوماً كان يضربه فيها كل يوم خمساً وعشرين ضربة بالعصا ويعذبه بكلبات من حديد محمية بالنار . وبعدها وضع عَلَى راسه طاسة من نحاس محمية بالنار حتى أُغمي عليه حينئذ شفق همير اغا عليه فافتداه بثمانمائة غرش واخذه الى بيته وعالجه . ثم سعى المذكور في كتابة مضبطة وقع عليها المسلمون والنصارى شكاية عَلَى الحاكم فكتب اليه من الباب العالي توبيخ وتعنيف فكفَّ عن الاضطهاد اياماً ثم عاودته الفظاظة فطلب المرسل المسكين فهرب الى حلب . واذ ذاك ورد جواب المضبطة في تاريخ سنة ١١٣٣ (مسيحية ١٧٢٥) يامر الحاكم بالكفّ عن اذية المرسلين وان لا يقضي عليهم بدون فحص بل يعاقب الواشين بهم اليه

قسوسهم في السجون وساعد شكرالله في اضطهاد السريان منهم فكانت البلية عظيمةً يعجز اللسان عن وصفها

٨٦ على ان الاضطهاد الذي قاساه السريان اثناء تمسكهم بالايمان القويم كما مرَّ بك الى الان كان قد انتج منهم بحلب جيلاً جديداً فتبعهم جانب من سريان ديار بكر وماردين والموصل وقراها ودمشق وضواحيها كما سنذكر ايضاً فكان يسوء الروساء اليعقوبيين انفصال رعيتهم منهم : والحكام اقرب الى مساعدتهم مما الى التلطف بالكاثليكيين · والله يعلم كم غرّموا وحبسوا ونفوا بل قتلوا في سبيل الدين القويم · الا ان المنفصلين كانوا رغما عن ذلك ينزعون الى الديانة الكاثليكية افواجاً تارةً علناً وطوراً خفية : فمن هولاء راهب في ماردين اسمه بشاره ابن القس نعمة الطنبورجي · هذا سال شكرالله بطريركه ان يجعله مطراناً فاجاب الى طلبه على شرط ان يدفع له خمسمائة غرش · فلما راى بشاره ان اعمال شكرالله وغيره من بطاركتهم تقضى بالسيمونية عزم ان ينضم الى الكنيسة الكاثليكية . فتوجه الى حلب في شهر ايار سنة ١٧٣٥ حيث قرر دستور الايمان القويم فنال الحلة . واذ وجد الاحوال غير موافقة للبقاء بحلب قصد دير مار افرام بلبنان فرحب به السيد غريغوريوس نعمه قدسي واكرم مثواه فلما بلغ البطريرك شكرالله ذلك اوعز الى مطرانه بدمشق ان يثأر من بشاره فحرمه وارسل صورة الحرم الى لبنان . ثم نال من الحكومة انها انفذت جنوداً في طلبه فقبضوا على كاهن ماروني بدله وساقوه الى دمشق متوهمين انه المطلوب واذ عرفت الحكومة ذلك اطلقت سبيله

ولحق ببشاره القس ميخائيل بن هداية العالم بالكتب السريانية · هـذا

استنار لدى مطالعته الكتب باستقامة نية فلما اظهر نفسه حرمه المطران وارسل ورقة الحرم · فكتب القس ميخائيل اليه يقول : اذكر يااباناً المطران يوم كنا انا وانت في ماردين والزعفران نحرف الكتب القديمة ونمحو العبارات الدالة علىَ ضلالنا وعلَى استقامة الكنيسة الرومانية · وحيث اني اعتنقت دين الحق وآمنت فاعرف انت شأنك (١)

اما الراهب بشاره طنبورجي فلما امتحنه السيد نعمه قدسي ووجده ثابتاً كما كان قد وعد وجديراً للاسقفية اقامه مطراناً على حلب (٢) وولاه رعاية شعبها الكاثليكي وكان لحزب اليعاقبة في تلك السنة انصار اقوياء وهم شكر الله بطريركهم في ماردين · وغريغوريوس توما في القدس · وديونوسيوس جرجي مطران حلب واقليرسه وهم الخوارنة نصر الله ونعمة الله وميخائيل وعبد الاحد · والقسوس عبد الله ويعقوب والياس بن جرجس وحنا ويليان (٣) نخاف المطران من غوائل المضادين المذكورين وغيرهم فلم يذهب الى ابرشيته · واما شكر الله بطريركهم فبقي الى سنة ١٧٤٤ وفيها مات فولي كرسيه جرجس الرهاوي ابن عم البطريرك عبدالمسيح

١ الرسالة محفوظة بين الرسائل القديمة في الشرفة

٢ اننا لم نجد في الآثار خبراً بتسقف الراهب بشاره · وما قلناه عنه فمن تاريخ كتاب انجيل لدير الزعفران والان هو في المكتبة البرجيانية في آخرها ما ياتي : كمل هذا الانجيل في ٢٥ كانون الاول سنة ١٧٣٧ على يد بشاره مطران حلب كتبه لنفسه في الشيبانية بجبل الدروز في بيت الشيخ بو صلب

٣ كذا في آخر فنقيث شتائي لكنيسة حلب بخط جرجس ابن الخورى نعمة في سنة ١٧٣٨ والكتاب موجود فيها الى اليوم · وقد وجد في خزانة كتب دير الشرفة رسالة

رئاسة الدير والاسقف لا يريده · فلما ابطأ جواب القس نعمه قدسي من دمشق
ووقع الاسقف في تناقض : اشار البعض على الشماس ان ياخذ الرسامة بيد
مطران الموارنة كما كان قد رسمه كاهناً فوافقه هذا التدبير وكلم فيه الخورسقف
يوسف السمعاني والخوري اندراوس ترجمانه فوعده بالمساعدة حتى دخل في
رياضة الاختلاء استعداداً للرسامة · وفي اثنائها قضى الاسقف سفر نحبه في ٤ نيسان
سنة ١٧٣١ وقد جاوز السنة الحادية والتسعين من العمر فجنزوه واودعوه القبر
في كنيسة الدير وحدث نزاع علَى تركة المتوفّى بين اولاد اخوته والقسوس اذ كان
القسوس يدّعون ان المال والتركة وقف : والورثة ان ذلك ممتاز عن الوقف
الذي كان عند المجمع المقدس وديعةً · ثم استخص كل فريق لنفسه شيئاً وما
بقي رسم عليه القاضي حسب وصية المتوفى

ولهذا وُضعت بلاطة من رخام علَى قبره نُقش عليها صورة تاج وصليب وعكاز
وكتب تحتها بالسريانية وبالحرف السطرنجيلي ههنا مقبور اثناسيوس سفر
السرياني اسقف ماردين الكامل في الفضيلة · توفاه الله في ٤ نيسان سنة ١٧٣١
نيح الله روحه في ملكوته · وكذلك باللاتينية · ولوح آخر في الجدار مكتوب عليه
باللاتينية فقط ان اثناسيوس سفر اسقف ماردين السرياني قد كتب منذ سنة ١٧٢٨
في وصيته على يد القاضي انّ تركته هي اربع لوكات دي سنطي (اي ٣٨
سكوت روماني) التي مدخولها ١٢ ريال في السنة · وان يُنفق هذا الوارد علَى
ثلاثة قداديس كبيرة في السنة : قداس في عيد انتقال العذراء · وقداس في
عيد مار اثناسيوس وقداس في عيد مار اغناطيوس النورّ والباقي يُنفق حسنات
قداديس اعتيادية تحريراً سنة ١٧٢٨

وكان رحمه الله فاضلاً مجيداً متضلعاً في السريانية والعربية والتركية والفارسية والايطالية · وصنف كتاباً سريانياً سماه طريقة التوبة (١) · واعتنى ايضاً منذ عام ١٧١١ في استكتاب الطقوس البيعية باسرها واعدّها للطبع اذ كان الناسخ تحت يده القس عبد الاحد بن سفر الرهاوي · وكتب اخبار السيد بيكات وخبر رحلته هو الى بلاد الهند (٢)

وفي سنة ١٧٤٢ جاء بطريرك الكلدان الى رومية وكانت اقامته في دير السريان

ولنرجع الى اخبار السريان الكاثليكيين بحلب فنقول : انه بعد اضطهاد اثناسيوس المشاق بسنتين اي في شهر اذار من سنة ١٧٢٥ قدم من ماردين اليهم المطران اصلان يوم كان يعقوبياً ولحق باثره البطريرك شكرالله واثار اضطهاداً قاسياً على الكاثليكيين اذ كان يذيع ان معه فرماناً سلطانياً يامر بان كل سرياني لا يطيعه يستوجب نهب امواله ونفيه فطفق هذا الذيب المحتال يجمع اموال الناس وهو يستدعيهم اليه واحداً بعد واحدٍ ويوعز اليه ان يعطيه كذا وكذا مبلغاً والا فيسلمه الى الحاكم معلناً انه فرنجي · وانضمّ اليهما ثالث وهو سلفستر مطران الروم المشاقين خصم البطريرك قورلّس السادس الكاثليكي الذي نصب من بعد سالفه اثناسيوس لان هذا سلفستر كان قد نال فرماناً في تلك السنة ورجع به الى حلب هاجماً على الكاثليكيين فارسل اساقفتهم الى المنفى وزج

---

١ لهذا الكتاب نسختان في مكتبة الشرفه

٢ هذا الكتاب محفوظ في مكتبة الواتكان المصحف العربي عد ٢٣٢ اطلع عليه غبطة بطريركنا مار افرام الثاني

الفصل السادس

٨٥ تخلف شكرالله لاسحق = اضطهاد اثناسيوس الكاثليكيين من سريان وارمن = هرب المضطهدين الى رومية = وفاة الاسقف سفر = وصيته = اتفاق ثلاثة ذئاب عَلَى خراف المسيح

٨٦ تأصل الدين القويم بحلب = انتشاره في غيرها

٨٥ وفي تلك الغضون اصيب البطريرك اسحق بالفالج فلما بلغ خبره الى المفريان ابن صنيعه وكان منتظراً ذلك ليخلفه في البطريركية التي لسببها ارتد الى اليعقوبية من بعد اقراره بالايمان الكاثليكي : اسرع الى ماردين وطفق يتملق المريض بالتصنع والهدايا حتى ولاه البطريركية عوضه وتنزل هو عنها وطلب فحمل الى الموصل مسقط راسه فتوفي هناك . وكانت رسامة شكرالله بيد المفريان شمعون الطور عبديني وموازرة يوحنا كارس القرقوشي ابن يغمور مطران قرقوش ودير مار بهنام الشهيد والمطران اصلان الامدي الذي صار بعد ذلك كاثليكياً وكتب كتاباً اوضح فيه صحة الاعتقاد بطبيعتي المسيح من بعد الاتحاد . و بعد ذلك وجّه البطريرك الجديد هذا المفريان شمعون الى حلب لكي يتولى مكانه فيؤذي الكاثليكيين و يدمرهم فعالجوا في ابعاده عنهم حتى اضطر ان يرجع الى ماردين هارباً خائباً

غير انه قبل ان يتمتع الحلبيون بالراحة تماماً . عاد اليهم اثناسيوس بطريرك الروم من العاصمة سنة ١٧٢٣ باوامر صارمة عَلَى الروم .

دّ يده على الكاثليكين من الطوائف الاخرى ايضاً · فالقي القبض على
كياس قساوة مطران الارمن وجلد بالعصي وزج في حبس القلعة · ثم دفع
امة كالعادة وكانت مبلغاً كبيراً وهرب الى روميه · وفي جملة اللاجئين اليها
مئذٍ هرباً من المظالم القس نعمه حوبه· هذا كان المفريان ابن جبير قد رقاه
درجة القسوسية بروميه منذ سنة ١٧١٣ ورجع من بعد رسامته الى دير
ر افرام بلبنان ومنه الى حلب فلما اشتدّ اثناسيوس على الكاثلكيين اختفى من
جه المضطهدين وبعد سنتين· ذهب بشقيقته الى روميه ونزل في دير مار افرام
في معه وقتما كان المطران جبرائيل حوا الماروني وقسيس كلداني مقيمين فيه ·
اذ اضطرّ الاسقف سفر الى صرفهما ليعطي المحل لقسيس طائفته حرداً واشتكيا
ليه الى الكردينال انه سمح لامرأةٍ ان تقيم في الدير فامر الكردينال ان تقيم اخت
قسيس في بيت علمانيين ويخرج من الدير كل من ليس هو من طائفة السريان

وفي تلك الايام فرغ اثنـان من تلامذة بره بكندا السريان من دروسهما
هما الشماس جبرائيل بن منصور طيسون الدمشقي (١) والشماس اندراوس دقماق
ماردينيي · فرقاهما السيد جبرائيل حوّا مطران قبرس الماروني الى درجة الكهنوت
ي كنيسة تلك المدرسة · وكانت الحفلة شائقة شهدها البعض من وجوه
شرقيين · وكانت رسامة القس جبرائيل على كنيسة مار بهنام بدمشق بتاريخ
تموز سنة ١٧٢٩ وكان القس اندراوس راغباً في ان يخلف الاسقف سفر في

---

١ ان صك رسامة هذا كاهناً وتاريخها محفوظ على جلد رق بين اوراق الشرفة — واما
كيتـه فكتبها بخط يده لاتينياً تيزون في كتاب قداس قديم في مكتبة القلايه بحلب كان
خص القس اندراوس دقماق

القداس والصلوة الفرضية (١) · وبعد رسامته ايده البابا وبعث المجمع المقدس اليه بحلة حبرية وعين له من الاموال التي جمعها الاسقف سفر باسم الطائفة راتباً شهرياً لمعيشته · وكانت اقامة هذا النائب في دير مار افرام عين الرغم واحياناً في زوق مصبح في كنيسة الام المحزونة (٢) · وكان من محله يكتب الى الجهات الخالية من الرعاة ويسوسهم على قدر الامكان وكان كلما دعت الحاجة يذهب هو بنفسه او يرسل غيره من قسوس الدير الى دمشق لانها لم تخلُ من كاثليكيين من جنسه

٨٤ ولنرجع الآن الى اخبار حلب : كنا قد رأينا ان شكرالله بن صنيعه لما اقامه اسحق بطريرك اليعاقبة راعياً لشعبه بحلب : اتفق مع اثناسيوس بطريرك الروم على مقاومة الكاثليكيين فلما قرر دستور الايمان الكاثليكي والخضوع للحبر الروماني قدام الخوري يوسف السمعاني كما قدمنا عدد ٧١ اغتاظ اثناسيوس من ريائه وتقلبه · وبعد هذا قدم حلب سنة ١٧١٩ مطران ارمني يقال له ابرهام وبعد سنةٍ اعلن بكونه كاثليكياً فابطل ذكر اسماء ايمة الملحدين من الصلوة وقدّس بمزج الخمر والماء خلافاً لعادة الارمن المنفصلين ورسم قسيسين من طقسه · فنهض اثناسيوس الى مقاومة شكر الله وابرهام فاستحصل فرماناً لنفي الاثنين الى جزيرة ارواد فالقي القبض عليهما سنة ١٧٢٠ وزُجا في السجن ووجد يومئذ في حلب القس عبد النور الامدي ايضاً وهو الذي كان قد ضُمّ الى سجناء اطنه ثم سافر الى العاصمة الى المفريان ابن جبير ومنها الى روميه

١ كذا وجدنا في كتاب خدمة القداس حسب استعمال ذلك الزمان

٢ كذا في رسائله العديدة المحفوظة في الشرفة

ومرسيليا و باريس فانحاز الى شيعة الانكليز ومنها الى اليعقوبية • فهذا القسيس او بالحرى يهوذا الجديد لما رأى ماجرى بابن صنيعة نهض لمساعدته فاتى بفرمان في اطلاقه ورافقه الى ماردين حيث نصب مفريانا بيد البطريرك اسحق باسم باسيليوس وتوجه من ساعته الى العاصمة واقام الحجة على موارنة حلب زاعماً انهم سبب اهتداء السريان وثباتهم في الايمان الكاثليكي من بعد نفي بطرس بطريركهم وانقراض بطريركيته • فنال خطاً شريفاً بنفي مطران الموارنة وقسوسه • ووافى الخط الى حلب على عهد رجب باشا واليها • فحدثت اذ ذاك فتنة عظيمة بين الفريقين فحبسهما حتى انتهت بدفع غرامة اربعة عشر كيساً وبعدها صالحهم الوالي

اعتقاد البيعة المقدسة وبيان وحدتها (١) ثم ترجم كتاب الاقتداء بالمسيح من اللغة اللاتينية الى السريانية الفصيحة وهو الذي وجد في مكتبة الموارنة برومية فنشره القس كورييل الاذربيجاني بحروف الكلدان وتوجد النسخة الاصلية لهذه الترجمة الجليلة في خزانة الكتب الواتكانية تحت عدد ٤٥٣ على ما افادنا غبطة بطريركنا العلامة · وجاء في آخرها ما نصه « ترجمة المفريان اسحق وهذه نسخته الاصلية بخط يده رحمه الله وكان ذلك في مدينة رومية الكبرى سنة ١٧١٥ نقله من اللغة اللاتينية الى السريانية حين نفوه الترك الى كنيسة رومية المقدسة الجامعة الرسولية · اشترى هذ الكتاب القس خدر بن المقدسي هرمز الموصلي الكلداني

وانفس ما كتبه الخلاصة الفلسفية واللاهوتية كما ذكرنا في عدد ٧٠ لمار توما الاكويني اكب على تعريبها ايام وجوده في القسطنطينيه وكتاب فلسفة ارسطو· وكان يحسن اللغات السريانية والعربية واللاتينية والايطالية والتركية والارمنية (٢) وقد ذكر السيد العلامة يوسف السمعاني هذه المؤلفات بالاجمال قال : ان باسيليوس اسحق اقامه البطريرك بطرس مفريانا كاثليكيا وبعد وفاة راسمه اعتزل في روميه خوفا وفيها قضى سنة ١٧٢١ بعد ان ترجم كتبا كثيرة لاهوتية وفلسفية وادبية من اللاتينية الى العربية والسريانية ثم وصفه هذا العلامة في المكتبة الشرقية المجلد ٢ صفحة ١٠ بقوله « صديقنا الحميم اسحق رئيس اساقفة نينوى الذي لجأ الى رومية لسبب اضطهاد اليعاقبة اياه من اجل تمسكه بالايمان الارثذكسي وهو

---

١ عن نسخة اقتنيناها ورد في مطلعها ما نصه تأليف مار باسيليوس اي مفريان اسحق السرياني الموصلي من عيلة بيت جبير نفعنا الله بصلواته

٢ الآثار الخطية ص ١١٧ حاشية ٤

حتى الان (سنة ١٧٢١) لا يزال مكبًّا عَلَى نقل المؤلفات الفلسفية واللاهوتية عن اللاتينية الى العربية »

وبقي الاسقف سفر وخادمه في الدير وحدهما . فعهدت اليه النيابة البطريركية · وحيث انه طعن في السن كان اصدقاؤه وخاصةً الكردينال بونفيلي الذي في ايامه و بمساعدته اشتُري الدير برومية ينصحه ويطلب منه بالحاجةٍ ان يأتي بشبانٍ من الطائفة ليقيموا في الدير ويقرأوا العلوم · وكان الاسقف يعد ولا يفعل

وما زال عَلَى هذا حتى كثر رهبان الموارنة برومية ولم يكن لهم مأوى غير ديرهم الصغير وكانوا يلتمسون من الكردينال ان يرخص لهم في الاقامة في دير السريان محتجين ان للطائفتين طقساً واحداً ولغة واحدة فلم يسمح لهم · وانما كان يحرّض الاسقف سرًّا على ان يستجلب تلامذةً من طائفته ليقيموا في الدير فلم يفعل فلما رآه مشتت الراي لشيخوخته كتب في ٢ شباط سنة ١٧٣١ الى القس نعمه قدسي المار ذكره ان يتوجه الى رومية سريعاً قبل ان يموت الاسقف ليجعله مطراناً فيقوم باعباء بطريركية السريان و ياتي معه بشبان ليقرأوا العلوم في مدينة بروبكندا · وكتب الاسقف سفر ايضاً الى المذكور ان يصير اليه فيقيمه خلفاً له في ديره · غير ان القس نعمه تعذّر سفره فانطلق الى لبنان وأقيم مطراناً فدعي غريغوريوس نعمه لكرسي اورشليم ففوّض الكرسي الرسولي اليه رعاية سريان حلب ومصر وسائر بلاد المشرق الى ان تعود الحرية فيتعين اساقفة لكل من الابرشيات · فكان ينادي باسمه بعد الحبر الاعظم في

الفصل الخامس

٨٢ الامر بانصراف الشرقيين من رومية — همة المجمع باقامة مطران لحلب ولسائر المتكثلكين من السريان — انتخاب نعمه قدسي لهذه الغاية
٨٣ وفاة المفريان ابن جبير — مصنفاته — شيخوخة الاسقف سفر — رسامة نعمه قدسي مطراناً سنة ١٧٣١
٨٤ مقاومة اثناسيوس الرومي وغيره للسريان والموارنة

٨٢ راينا توّاً ان كثيراً من الشمامسة والقسوس والاساقفة الشرقيين كانوا قد لجأوا الى روميه هرباً من الاضطهاد الثائر في بلاد المشرق وفي جملتهم السريان فجرى من اجل معيشتهم واقامتهم في دير مار افرام بروميه قالُ وقيل حمل المجمع المقدس على ان يأمرهم بالرجوع كل الى محله وكان ذلك وبالاً على المطران يشوع بن عبدالاحد فانه لما بدأ بالسفر وقعت عليه دفة المركب فكانت علة قتله في ١٧ نيسان سنة ١٧١٥ وكان عالماً يحسن اللغات السريانية والعربية والتركية ومتعوداً على القشف والفقر الاختياري

ولما كان جلُّ مقصد المجمع المذكور اقامة راعٍ سرياني بحلب يسوس شعبها الكاثليكي وامثاله في بقية انحاء الطائفة : انتدب لهذه الغاية القس عبدالاحد ابن سفر المار ذكره في عدد ٧٠ وهو شقيق البطريرك بطرس الشهيد ولكن المنية ادركته في ٢٧ تموز سنة ١٧١٥ فلم تحقق الآمال التي عقدت فيه ولما نُعي خبره الى روميه سمى المجمع القس بطرس بن يوحنا مصرشاه شقيق المطران يشوع

عوضه سنة ١٧١٦ واوعز اليه ان يذهب الى بطريرك الموارنة ليقتبل السيامة منه فاستقال اولاً . ولما بيَّن له رئيس المجمع في رسالةٍ وجهها اليه الاسباب الموجبة لرسامته اذعن ولكن حدث مانع آخر وهو ان البطريرك الموما اليه ذكر ما اصاب شعبه الحلبي من الاذى والسجن من جراء السريان الذي تكثلكوا فامتنع من رسامته (١) ولما كان عبد الازلي اسقف اليعاقبــة قد طُرد في تلك السنة من دمشق توجه المنتخب بامر المجمع (٢) اليها فاقام غير خائفٍ الى ان توفاه الله سنة ١٧٢٠ فلما نُعي خبره الى روميه كتب رئيس المجمع الى القس نعمه قدسي تلميذ بروبكندا السابق خبره ان يتوجه الى دمشق خلفاً لبطرس مصرشاه فيسوس الكاثايكيين من محله . فلما امتثل الاوامر لم يتمكن من وجود فرصة مناسبة لرسامتهِ فاقام في دمشق الى سنة ١٧٣١

واذ ذاك كان المفريان باسيليوس اسحق بن جُبَير قد ناهز الثانية والتسعين من عمره وضعف بصره . وكان يخدمه صبيٌّ من قرى روميه فاستغفلهُ وسرق منه بعض النقود والاثاث وفرّ بها هارباً . وبعد قليل انطفى سراج حيــاة هذا العلامة الفاضل والواعظ الفصيح في دير مار افرام بروميه في ٨ ايار سنة ١٧٢١ فجنزوه في الدير نفسه واودعوا جثمانه القبر في كنيسة بروبكندا فخلف جملة مصنفات بديعة اوردنا ذكر بعضها في محله تحت عدد ٤٣ ومنها تحت عدد ٥٠ ومنها كتاب في

١ عن رسالةٍ لنائب البابا بباريس في ٥ كانون الثاني سنــة ١٧٢٣ بسعي بطريركي الارمن والسريان اليعاقبة: ورد الى والي حلب امر سلطاني يأمر الموارنة بالانتقال الى بطريركهم بلبنان او ان يخضعوا للبطريركين المذكورين فاقتضى لابطاله مبلغ كبير (راجع الآثار الخطية ص ٥٤٧)

٢ عن الكيان ج ٢ عمود ٤٢٨ : والسمعاني المكتبة الشرقية جلد ٣ في البحث عن المنوفستيين

سجنه وكان يصلي في نفسه وهو صاعد الدرج ويقول : الهي اعطني صبراً وجراءة وضع كلامك في فمي حسب وعدك الصادق : لستم انتم المتكلمين لكن روح ابيكم يتكلم فيكم اذا اوقفوكم امام الحكام من اجل اسمي . واذ التفت الى ورائه ابصر جمهور خصومه هائجين كالمجانين وقد خلع بعضهم رداءهم وغيرهم انزلوا عمائمهم الى اعناقهم وبصوت واحد كانوا يصيحون : فرنجي فرنجي · اليوم نريد ان نشرب دمك . ولما ادخلوه الى الديوان امروه بالجلوس فجلس عند الباب قدام جميعهم واخرج اوراقه من عبه . وحينئذٍ سال الحاكم البطريرك عن مدّعاه فقرر كما في الامس . ثم سال القسيس فاخذ يطالع اوراقه ويفند اقوال البطريرك واحداً فواحداً فلما اتم جوابه قال له الحاكم الا تعلم ان بيد البطريرك خطاً همايونياً يامر بان ينفي كل من لا يخضع له منكم وان هولاء جميعهم شهود على عصيانك ؟ فاجاب اما فرمان مولانا السلطان فاني احترمه واطيعه . ولكن حيث ان البطريرك واتباعه يكفرون في صلاتهم فبي هذا لا يمكني ان اتبعهم ابداً . وفي اثناء ذلك خرج الحاكم الى حجرته لامرٍ ما . فسأل الكهيا المفتي اصحيح كلام القسيس ام لا . فاجاب نعم نعم صحيح ولكن لتحقيقه ائتونا بالكتب فامرا بجلبها ولما علم الاخصام ان قد حان الوقت لفحص كتبهم طفقوا يضجون باعلى اصواتهم حتى قال القسيس اسمعوا صياح السفه · وتفاقمت جسارة الجمهور وتوحشهم حتى تعلق بعضهم بشبابيك الحديد واوشكوا ان يقتلعوها . وكان غيرهم يضربون بالحجارة . فنهض الاعيان والمفتي والقاضي والكتاب على الارجل واخذوا يشتمون البطريرك · وخرج الحاكم حافياً وصاح اين الجنود فحضروا · فقال اضربوا الكفرة واطردوهم فطردوهم · ثم امر باخذ البطريرك الى السجن

وقد رسم عليه غرامةً كبيرة لجريمته (١) · وسرّح سبيل القس ايليا · فلم يعد احد الى معارضته وكان يقدس في الكنائس الكاثليكية وجماعته معه · وبعد سنة توجه الى حلب فروميه فتعزّى بمشاهدة الحبر الاعظم والمفريان اسحق والاسقف سفر وسواهم (٢) فأنسوا باستماع اخباره ومجدوا الله منجح عبيده وناصر بيعته عَلَى المستكبرين بفك قلوبهم والتقى القس ايليا بروميه مع جملة اساقفة وقسوس وشمامسة شرقيين كانوا قد لجأوا اليها بسبب الاضطهاد الثائر في بلادهم . ثم رجع القس ايليا الى ماردين وما زال يثبت الكاثليكيين حتى حلت وفاته عَلَى عهد شكر الله خليفة البطريرك اسحق اليعقوبي

١ كان الحكام قديماً يتولون البلاد بضمانة عَلَى مبلغ معلوم من المال يودونه للخزينة سنةً فسنةً ثم يستوفونه من العشور والغرامات

٢ الى هنا عن كراسة حاوية اخبار ايليا ابن الاكزير بخط يده بلهجة ماردين ولها نسخ في الموصل وماردين

بالقاضي . واذ ذاك سمع ضجيج جماعة البطريرك خارجاً . فصاح " صوت من في حوش السراي . قال القسيس افندم هولاء رهط البطريرك جاء بهم كأنه ليغلب بكثرة الناس لا بكلام الحق . فقال البطريرك . افندم هولاء جميعهم شهود عَلَى خصمي . فامر بطردهم فطردوا ولما جاء القاضي مع جماعة العلماء وجلسوا . عرضوا عليه الدعوى من اولها الى آخرها . فقال لايجوز ان نسمعها الا من فم الخصمين نفسهما . فقرر كل من الخصمين كلامه فسجله النائب . وبعدها قال القاضي : ان هذه الدعوى طويلة وقد ادرك المساء فلنتركها للغد وانحل المجلس فأخذ القسيس الى سجنه

٨٠ ومنذ رجع القسيس الى سجنه كتب الى الحاكم يقول : ياصاحب الدولة نصرك الله . ان مراد البطريرك هو ان يسند مدّعاه بماله ورجاله : وانا لاشاهد لي سوى كتب كنيسته . وقد حبستني واطلقته . فاسألك ان تسمح لي بالذهاب لآتيك بها قبل ان يتمكن من اخفائها فتبقى عندك الى وقت المحاكمة : وحينئذ اذا ظهر صدقي خل سبيلي والا فاخرج لساني من قفا رقبتي وارسل الورقة مع اخيه . فلما قرأها الحاكم صوّب طلبه فارسله برفقة جنود واثنين من العلماء ونواب من قبل القاضي والمفتي ليأتوا بالكتب فانطلقوا عند الغروب واذ صادفهم الراجعون من السوق تجمعوا مضطربين . ولدى وصولهم الى قرب كنيسة الكلدان صادفوا ساعور كنيسة الاربعين راكضاً فامسكوه . ولما دخلوا الباب البراني وجدوا البطريرك قائماً والناس حوله فتقدم اخو السجين وامسكه من لحيته وهزها قائلاً يا قايافا أأنت تريد ان تقتل اخي ? اليوم اشرب دمك . فصاح - انا اكون صاحب فرمان وانت تقطع نصف لحيتي ? ثم ان

يوسف اغا البلوك باشي اوقف الجنود عَلَى الباب وادخل اربعة من اليعاقبة وار بعةً من الكاثليكيين . فلما صاروا داخلاً اشار اليهم القس ايليا فاخذوا كتابي الصلوة من الكودين . واذ لم يجدوا كتاب برصوم قديسهم كبسوا بيت خدرر الدقاق الذي بجوار الكنيسة فوجدوه واخذوا بالرجوع اذ كان الهائجون من الرجال والنساء يصيحون : ارجموه اقتلوه . والبطريرك يحرم ويلعن كل من يضرب حجراً . وبالكاد امكنهم ان يصلوا الى دار القاضي سالمين فتسلم القاضي الكتب فوضعها في كيس اخضر وختمه بختمه وختوم البقية وصرف الناس . ووصل الجنود الى السراي فاخبروا الحاكم بما جرى وعند ذلك ترامى القسيس عَلَى قدميه وقبلهما وقال : اطال الله عمرك ان الكتب بقيت عند القاضي وانا خائف ان يعبث احد فيها . فاجابه لا تخف ان القاضي احسن مني . ثم امر بكيس الكتب فلما جيء به فكّ ختومه واخرج الكتب وسال القسيس اين مكان الكفر فلما عرّفه به وضع له علامة وسأله عن الذين يحسنون تفسير الكلام . فكتب اسماء اربعة من القسوس وهو يلتمس منه ان يتوعدهم بالصلب ان لم يفسروا بالحق . فضحك ورد الكتب الى الكيس وختمه واودعه عند الخزندار وصرف القسيس الى السجن آمراً ان يُعطى حريته

٨١ وفي تلك الليلة جمع البطريرك رؤساء القرى وغيرهم حتى اناساً من الموصل وديار بكر كانوا عنده وتهددهم بالحرم اذا لم يرافقوه في الغد الى السراي ويطالبوا قتل القسيس . فشهم غنيٌّ من قرية قلعة الامراة يقال له عبد الاحد فوزع مبلغاً وافراً من المال عَلَى المسلمين في تلك الليلة نفسها عَلَى ان يتفقوا معهم على طلب قتله فاجتمعوا صباحاً في السرايِ وأُتي بالقسيس من

فرنجي فرنجي ٠ ومـا زال يعذبه و يهينه حتى انقضى من الليل نصفهُ وحينئذ
كبله بالحديد وهو بين حي وماتٍ وجاء اخوه صباحاً ليبشره بان القاضي حلف
لاكابر الكاثليكيين بالطلاق انه ان يقضي علَى قسيسهم بالقتل : فلما وجد اخاه في
تلك الحالة طار عقله من راسه و بكى عليه شديداً ثم عزّاه بامثال الشهداء ورجع
فاخبر الخواجات بامره ٠ واذ بلّغوا الخبر الى الامير المعزول ركب من ساعته الى
المتسلم وقال له : ان خصوم هذا القسيس كانوا قد وعدوه بعشرين كيساً ليوسف
باشا امير بغداد فاذا قتله البلوك باشي تهدر تلك الدراهم فغضب واحضر السجان
وو بخه علَى عمله ثم ارسل خادمه وفك اغلال القس وعزّاه ٠ و بعد يومين قدم
الحاكم الجديد فنقل القس ايليا حاملاً اغلاله على كتفه امام الناس الى سجن
اخر وكان المرحاض فاضطرّ ان يجلس على الاقذار ٠ وفي الغد نُقل السجناء الى
اضيق من هذا السجن فناموا علَى اكتاف بعضهم والقمل يرعاهم ٠ وفي الليلة
الثالثة الى سجن اضيق في جامع السراي فجلس القس ايليا عند الباب ليستنشق
الهواء من خلاله ٠ وكانت مجاعة في ماردين وكلما جاءه المومنون بـه من طعام
يتناوله من وراء الباب و يوزعه على السجناء وطالما ازدحموا عليه فكاد يفطس نفسه
وهو يقول لهم امهلوني فاطعمكم جميعاً ٠ فلا يفضل له الا مقدار حصة واحدمنهم

٧٩ وبعد انقضاء اربعين يوماً علَى هذا المسكين وهو في سجنه المذكور
طلب من اخيه ورقة كتب فيها عرضاً الى الحاكم ٠ فلما قرأها تأسف عليه
وعاتب الكهيا علَى انه لم يخبره في كل هذه المدة بالقسيس ثم احضر البطريرك
فاقبل مكتنفاً بمائتي رجل من العلمانيين وقد تردّوا جميعاً بزي الرهبان ما عدا
المطارين والقسوس والشمامسة ٠ واحضر القس ايليا الى المحاكمة ٠ وبدأ الحاكم

بالكلام فسأل البطريرك قائلاً : ما ذنب هذا الراهب · فاجاب انه كان من تبعتي والان صار فرنجياً وضبط احدى كنائسي وجعلها للفرنج وانا معي فرمان وادعو للسلطان خاضعاً لحكمه والمدينة والحرمين · واما هذا الراهب فيدعو للبابا الفرنجي وياتي من الفرنج بذهب فيوزعه عَلَى الناس ليصيروا مثله · فقال الحاكم : هل اخذ الكنيسة تبرعاً ام بامر الحاكم سالفي · قال بامر سالفك قال فهذا لاذنب له · واما قولك انه يأتي بدراهم ويوزعها فحسناً يصنع لان الناس بذلك يؤدون الخراج من دون تعب · واما دعاوه للبابا فهذا لايليق · ثم التفت الى القس ايليا وسأله ماقولك انت · فاجاب : ياصاحب الدولة اني كنت راهباً عند هذا البطريرك فلما وجدت كفراً في مذهبه انفصلت من مشاركته وعند هذا الكلام نهض الحاكم واخذه ناحيةً وساله في اي شيء يكفر البطريرك واتباعه · فاجاب انهم يزعمون ان الله بطبعه اللطيف الشريف قد مات · ثم يشركون في صلاتهم قائلين يارب ترحم علينا يابرصرم اسمع لنا · ولما جلس الحاكم في موضعه اردف القس ايليا : واما قول البطريرك انه خاضع للمدينة والحرمين فكذب ورياء يستملك به امره عندكم · لانه من يقول هكذا فهو مسلم لانصراني قال الحاكم حقاً قلت · واما قوله انه يدعو للسلطان فكذب ايضاً لانه يقول بالسريانية ارفع يارب تاج الملك المؤمن الذي يحوز الغلبة بصليبك ثم اردف : ولما كان السلطان احمد[1] لاصليب له فيكون البطريرك قد دعا عليه لا له وعند ذلك نهض الحاكم ومشى الى راس الديوان وقال ان هذه دعوى مهمة أتونا

---

[1] كان جلوس السلطان احمد عَلَى سرير الملك سنة ١٧٠٣ من بعد خلع اخيه السلطان مصطفى راجع هنا عدد ١٤

على قدميه معتذراً ان البطريرك طاعن في السن ومريض فلا يطيق سجن القلعة
فتركه الحاكم في حجرة الكاتب وبعث بالقسيس الى سجنه قائلاً : اذا بعثت بك
في الغد الى الشرع تكلم بحريتك ولا تخف · قال هذا لعلمه بالفرق الذي بين
اليعاقبة والكاثليكيين

٧٧ وفي الغد سحراً قدم الاضداد سبعمائة غرش الى الحاكم على ان يقضي
بقتل خصمهم. فتسلمها وذهب الى البستان فتبعه المفريان متى اخو البطريرك
والقمبورى مطران القدس ووعداه بخمسة اكياس اخرى اذا قتل القس ايليا ·
فرجع من البستان وسلم القسيس لرئيس السجن واسمه عيسى بيك فكبله بالحديد
واعلمه بالرشوة · وفي ذلك اليوم نفسه ركب البطريرك الى دير الزعفران وجمع
مجلساً من المطارين ومن اغنياء شعبه واستشارهم في كيف يبيد خصمه · ثم جمع
من الاغنياء مبلغاً كبيراً ووضعه في صرّة مع قماش يسوى مائتي غرش وارسله
الى الحاكم مع امراة طورية عاهرة وبيدها رسالة يقولون فيها : ايها الامير ان كل
ما وصل اليك حلّ لك وما عداه نعدك باربعة عشر كيساً اذا قتلت هذا القسيس
ودمه علينا · واذا رُفعت دعواه للسلطان فنحن المسؤولون · ووصلت الصرة الى
حرَم الامير فاخذنَ القماش وارسلن المال مع الرسالة الى الامير · فلما قرأ الرسالة
تعجب من قساوة قلوبهم · فاشفق على القسيس وارسل في ذلك المساء في
طلب وجوه الكاثليكيين : الخواجا عبد المسيح بن اصلان والقدسي عبد الاحد
ابن القس عوديش والخواجا عبدال واحضر القس ايليا ايضاً وبعد ان اطلعهم على
مؤامرة خصومه استشارهم في كيف يدبر الامر · فقال له القس ايليا : ايها
الامير انت عارف ببراءتي وان خصومي يريدون قتلي ظلماً لاظهاري شرهم وان

ل طالبي حق . فالان اطالبك بدمي امام الله حاكم الحكام . فدمع وقال ان كلامك كله حق ولكن علمني طريقة بها آخذ دراهم واخلصك . فقال : اذا شئت ان تحقق خداعهم ألقِ عليَّ القيود غداً كأنك تريد قتلي وارسل فطالبهم بما عدوك . فاذا اتوك بالمال حوّل دعواي الى الشرع واوصِ القاضي ان يسمع دعواي وانا ابين ضلالهم . فتبسم وقال : لست انا بناصرك بل الله . فانصرف الان وارقد براحتك . فرجع الى سجنه

وفي الصباح كبلوه بالحديد على اعين الخصوم ثم ارسل الحاكم يطالبهم بالمال فاحتجوا انهم ارسلوا يستدينونه من ديار بكر . وفيما كانت الحال على ماذكرنا تعين لماردين حاكم جديد يقال له خليل اغا والمتسلم الجديد تابعه سبقه اليها وكان ذاك بعد ان بقي القس ايليا ستة ايام في السجن . واذ اضطر الحاكم المعزول ان يسلمه الى السجان ابقى القس ايليا عنده لكي يطلق سبيله . وفي الغد طالبه الخصوم بكل ماوصل اليه منهم من مالٍ واقمشة فردها اليهم مغتاظا

٧٨ : وفي عشية عيد انتقال العذراء ١٤ آب ترك البطريرك صلاة العيد وجمع اليه جمهوراً كبيراً من السريان والارمن المشاقين مع وجوه اهالي القرى ومطارينه وذهب بهم جميعاً الى المتسلم الجديد فعرضوا عليه ان يستخرج القس ايليا من بيت الامير ويضيفه الى السجناء فسيق الى سجن الزنجير حيث كبل بسلسلة ثقيلة . وفي تلك الليلة رشوا الباولك باشي بخمسين غرشاً ليعذبه حتى الموت فنقع خيوطاً من القنب ثم عرّى القسيس من ثيابه الى وسطه واوثقه به شديداً ولما اغمي عليه واوشك ان يموت : قطع القنّب بخنجره وسكب على جسمه ماءً بارداً . فلما اخذ بذلك قليلاً من الراحة طفق يجلده بسياطٍ قائلاً

فحصل بتوسطها على ورقة رخصة بتوقيع الامير وختمه ليصلي في كنيسة مار ايليا التي في قرية الجفتلك لانها في ملك زوجة الامير · فذهب اليها في صباح الاثنين مدخل الصوم الكبير وكان ذلك اليوم موسماً لزيارة الكنيسة فتوارد اليها خلق كثير رغماً عن ممانعة اضداده اذ كان احدهم وهو القس سعيد عامو يرجعهم قائلاً ان المستولي على الكنيسة فرنج (كاثليكيون)· فقدس القس ايليا ووعظ فبدأ الكاثليكيون منذ ذلك اليوم ان يقصدوا تلك البيعة رغبةً في استماع وعظه

ولما كانت ادارة الكاثليكيين بحلب من بعد استشهاد البطريرك بطرس بيد المرسلين كتبوا يهنئونه ويرخصونه في استماع الاعترافات ووافت رسالتهم في اواخر الصوم فقضى اغلب الناس فصحهم على يد القس ايليا والمعتذرون كملوه في بيوتهم

٧٦ : وساء نجاح القس ايليا اضداده خوف ان يلحقه الشعب كله فكتبوا الى بطريركهم في هذا الشان فانفذ اناسه الى العاصمة حيث استحصلوا فرماناً يامر ان كل سرياني يتبع الفرنج ولا يطيع بطريركه تضبط امواله ويبعد عن وطنه وما عتم ان وصل هذا الفرمان الى البطريرك وصورته الى ماردين مع رسالة منه الى حاكمها ما لها ان بماردين رجلاً من تبعتي يقال له ايليا ابن الاكزير قد عصاني وتبع دين الفرنج واجتذب الى حزبه كثيرين فاسالك ان تنتقم منه فتقتله او تبعث به الى المنفى · ولدى وصول الفرمان والرسالة الى الحاكم استدعى اليه القس ايليا واطلعه على ما كتبه البطريرك فلما راى نفسه في الخطر اذ عزم البطريرك على هلاكه : خطرت على باله الرسالة التي كان خصومه قد كتبوها ضده : فقال له ايها الامير ان الشكاية المرفوعة الى جلالة السلطان ليست عليّ

انا بل عليك لأنك ساعدتني على الحق وما اعزودا الي الا لخوفهم منك · واراه الرسالة · فلما تصفحها الحاكم سخط وقال للقس ايليا لاتخف فاني اقيمك اليوم بطريركا فتعذر مستعفياً · غير ان الحاكم صرفه وقد اصرَّ على انجاز وعده · واستدعى اليه وكيل البطريرك واوعز اليه ان يكتب الى موكله ليأتي هو بنفسه ويدعي بما في خاطره وكان احد الشعانين فكتبوا الى البطريرك : ان توجه سريعاً قبل ان تذهب البطريركية من يدك فلم تمض ايام الا حضر فطلب الحاكم القس ايليا واجلسه في ديوانه ثم احضر البطريرك فدخل عليه مع ثلاثة من وجوه شعبه فلم يلتفت اليهم ولا رخص لهم في الجلوس بل التفت الى البطريرك مغضباً وقال له : اهذا هو خصمك · فاجابه نعم ولكنه ابني وانا اقمته شماساً فضحى الان قسيساً وحيث انك سلمته الكنيسة فامرك عليَ راسي · قال الحاكم اذا كان ابنك فكيف تاتي بامر في قتله · ولندع الآن هذا البحث · هات فرمانك · فارسل من اتاه به · ووقتئذ قال له القس ايليا ان لك في انحاء الطائفة وفي ماردين كنائس كثيرة وانا لم اتسلم سوى هذه الكنيسة المهجورة وذلك برخصة الامير ولا اصلي فيها الا مرة في الاسبوع افعلى هذا اشتكيت عليَّ عند السلطان وسعيت في قتلي اما كان ههنا حكومة وشرع لتبيين ذنبي · قال قد صار ماصار : سود الله وجه المفسدين · قال ان المفسد الكبير هوانت وعند هذا الكلام وصل حامل الفرمان فاخذه الحاكم وطفق يقابله مع نسخته بينه وبين المكتوبجي ويهزُّ برأسه حتى قال للبطريرك : من تكون انت حتى تعبث في فرمان السلطان وتخدع الحكام · فالان احبسك في القلعة وابعث بالفرمان الى اسطمبول لنرى ماذا يستوجب مزوِّر الفرامين السلطانية · فترامى الوكيل

اليه فالقى القبض عليه و كبله بالحديد في سجن يقال له عين الطون بغا • واذ اغتاظ البطريرك يوسف والكاثليكيون عاتب الخواجا اسحق كبيرهم وجهاء السريان فاقرّوا بالغلط والفظاظة وجمعوا اربعة اكياس من المال افتدوا بها الشماس فأطلق من بعد حبسه سبعة ايام فطال لسانه علَى اضداده اكثر من قبل • وتوجه البطريرك اسحق الى حلب و يوسف الثاني الى ديار بكر والكركري الى الاستانة فباد في الطريق

وفي تلك الاثناء اهتدى قسيس اسمه القس نعمه بن عجم المعروف بأبي الفقر خله البطريرك يوسف بديار بكر ورجع الى ماردين وكان يقدس للسريان الراجعين الى الايمان الكاثليكي في كنيسة مار ايليا التي في قرية الجفتلك : غير انه لم يكن كفواً للمصلحة لشراسة زوجته فانتقل الى ديار بكر وكان يقدس في الكنائس الكاثليكية

الفصل الرابع

٧٥ حبس الشماس ايليا — وسيلة رسامته — قداسه واستماعه الاعترافات
٧٦ فرمان في التنكيل بمن يخالفه — اجتماع الخصمين وعتابهما قدام
الحاكم ٧٧ المؤامرة عَلَى قتل القس ايليا — تعجب الحاكم
٧٨ مضايقة القس ايليا عَلَى عهد متسلم وحاكم جديد
٧٩ مرافعة الخصمين ٨٠ جلب كتب البيعة
٨١ تبرئة القسيس — معاقبة البطريرك
سراح البطريرك

٧٥ : وفي سنة ١٧١٣ فشا الطاعون بديار بكر فتوفي به البطريرك يوسف الثاني وخلفه آخر باسم يوسف الثالث · وجاء الى ماردين حاكم جديد القى اصدقاء سالفه في سجن الدمرغ ومعهم الشماس ايليا واثنان من انصاره وهما الخواجا نعمه ابن المدوزلي وابراهيم ابن الطوبال بدسيسة اضداده فبقوا خمسة وعشرين يوماً واطلقوا · ثم جددوا شكايتهم على الشماس · وكان الحاكم المعزول منذ وصوله الى العاصمة قد استعمل امراً في نصبه ثانية فرجع ودخل ماردين عَلَى رغم اعيان البلد · واذ ذاك عثر الشماس عَلَى رسالة لخصومه مضمونها قدح في هذا الحاكم وبلغهم امر الرسالة فارتاعوا لعلمهم انه لو رآها الحاكم لاذاقهم العطب فتراموا عليه وصالحوه والتمسوا من المطران احنوخ (وكان كاثليكياً مختفياً) ان يرسمه كاهناً فرسمه في دير الزعفران عَلَى شروط كاثليكية · وكان للقسيس الجديد صديق اسمه ابراهيم بن كوتي وكوتي امه خادمة في بيت الامير

وملاطفتي · قال ذلك رياءً منه · ثم قال له البطريرك يوسف ارى من اللازم ان تُقام انت قسيساً ثم اسقفاً حفظاً للشعب المقتفي اثرك الصالح

واشتهى البطريرك اسحق ايضاً ان يرى الشماس عساه يسترده اليه فانطلق اليه يوم سبت والتقى عند الباب باحد مطارينه وكان ميالاً الى الديانة الكاثليكية لكنه مستتراً لخوفه فقال له تكلم بجراءة لاني الفيتهم يتوجسون هتكك ضلالاتهم وجهلهم · ولما دخل على البطريرك صرف الذين عنده وبادر الشماس بقوله : ترى ماذا صنعنا ياولدي حتى انك فضحتنا بين الناس · قال لانكم تبيحون الظلم والقتل خلافاً لشريعة الانجيل والذمة وانتم مقطوعون من الكنيسة الجامعة ومن اخوّة سيدنا البابا الذي له التقدم على سائر بطاركة العالم · قال حاشانا ياولدي مما تقول بل ان البابا الحالي قد باركنا انا وخالي البطريرك المرحوم وذلك انه شهد يوماً قداس الاسقف سفر وساله عن تفسيره فلما فهمه قال اذا كان هذا قداس السريان فما بالكم في خصام · قال لانهم ياتون بذكر برصوم وديوسقورس وزملائهما الخمسة فقال ليس في هذا من ضرر فدعوهم يذكرونهم ثم باركنا نحن وشعبنا · قال الشماس ارني علامة من البابا وبركته لاذعن واصدقك (١)

وفيما هم في الحديث واذا بالقس موسى الكلداني جاء من قبل بطريركه ليدعو البطريرك اسحق الى الحضور في رسامة قسيس جديد · فقال له نرجوك ان تنصح شماسنا ان يطيعنا فانه يريد ان نقيمه كاهناً ونسلمه كنيسة دون ان

---

١ طالع مجلة المشرق عدد ١٢ لسنة ١٩٠٩ صحيفة ٧٤٢

ياتي بذكر قديسينا · قال القسيس الشماس يلزمك ان تطيع رئيسك · اجابه ذاك ان اعطِ مشورة عَلَى نسطورك فلماذا انتم لاتاتون بذكر نسطور في قداسكم: أليس لانه مساوٍ بالشقاوة لاولئك السبعة · فانصرف وهو يقول مالي ولكم وبعده انصرف الشماس ايضاً

٧٤ ولما انتهت حفلة الرسامة في بيعة الكلدان وجلسوا: شرع البطريرك اسحق يشكو الى البطريرك يوسف من الشماس ايليا · فاجابه متعجباً من ان الشماس ليس ببطريرك ولا مطران حتى يخافه بطريركه · ثم ذكره بمثل اللبوة وهي تعيش عَلَى لحوم الوحوش كيف قتل لها ابن آدم جروين فبكت وملات البرية صراخاً وعويلاً فقال لها ابن آوى: قد كنتِ ابكيتِ امهات كثيرات فليس بكثير ان يبكيها صياد · ثم قال له وانما مرادي ان تذكر كم مرة اذيت الروساء في عمرك كالبطريرك بطرس الرهاوي والمفريان اسحق والمطران رزق الله وغيرهم من الذين سعيت في حبسهم ونفيهم وموتهم: فليس بكثير اذا سلط الله عليك هذا الشماس · فقال: اما اولئك فاعمالهم عاقبتهم · اما انا المسكين فما ذنبي · قال بل كنت انت السبب المحرك

وفي شهر تموز من سنه ١٧١٢ تظاهر البطريرك اسحق انه رضي برسامة الشماس ودعا بطريرك الكلدان الى الحفلة فجلسوا صباحاً في سطح الدير وراء القبة وحينئذٍ وعد اسحق ان يقيم ايليا قسيساً على شرط ان يعطيه حجة في المحكمة يعده فيها بالخضوع · فقال ايليا ترى اي قسيس ارتسم بحجة من القاضي · وما الذي تملكني لاعطيك حجة شرعية · فسكت وانصرف كلٌّ الى محله · وعند المساء حضر المطران انكركي وشرع يخاصم الشماس ثم قصد الحاكم ووشى به

والشماس ايليا نفسهما لاغيرهما · فلما شعر الاعداء بالتدبير قصدوا الحاكم وطلبوا اليه ان يمنع الرسامة وقد وعدوه برشوةٍ معتبرة · فاستدعى الحاكم اليه ايليا سراً واطلعه عَلَى نيّات اضداده واعداً ان يسعى في اقامته قسيساً في فرصة اخرى مناسبة

واذ ذاك توفيت زوجة الشماس ايليا وحاول الاضداد ان يصدوه عن اخذ رسامة القسوسية · ولذلك وعدوه بخمسمائة غرش اذا رضي ان يتزوج بثانيةٍ وعرضوا عليه ابنةً غنية بحيث انه اذا اضحى بعل امرأتين لم يكن يحلّ له ان يرقى الى درجة القسيس عَلَى ماصرّح بولس الرسول · غير ان الشماس ايليا لم يصغ اليهم · وكان بين انصار ايليا شماس آخر لبيب ذكي عارف بلغات شتى اسمه شكري ابن الخواجا جاني لكنه لم يكن يتجرأ ان يظهر نفسه فعمد السريان الكاثليك على ان يقام الشماس شكري قسيساً ثم اسقفاً لكي يستطيع فيما بعد ان يكرّس قسيساً من ارادوه · ووعدهم الحاكم بالاجابة الى طلبهم وذلك املاً في الاستفادة من الفريقين

فلما اطلع الاضداد على هذا التدبير ايضاً اشاروا الى بطريركهم ان يؤخر مجيئه الى ماردين زماناً · وبلغ هذا الخبر الى الحاكم فدعا اليه اثنين من مطارين الزعفران وامرهما ان يقيما شكري اسقفاً فامتنعا محتجين انه تابع تعليم الافرنج وان رسامة مثل هذا ممنوعة في قوانينهم بل ان اليعاقبة قدموا رشوة للحاكم فالقى شكري في السجن وكانت هذه الاخبار تصل الى اسحق بطريركهم فتوجه سنة ١٧١١ الى ديار بكر وقدم شكاية عَلَى شكري وعَلَى السيد ملكون وبذل مالاً كثيراً حتى استحصل امراً بجلب الاثنين الى ديار بكر وحاول ان يغري شكري

ليصير قسيساً وهو ليس من جماعته . فقال شكري قدام الوالي كنت سألت هذا البطريرك ان يجعلني راهباً فطلب مني دراهم فاجبته انك في غنىً عما تطلبه مني لان المال ياتيك من كل الانحاء وانجيلنا يقول في ذلك مجاناً اخذتم مجاناً اعطوا . فاغتاظ مني ورفعني الى ديوانك فلما سمع الوالي هذا الكلام ارسل المطران ملكون والشماس شكري الى السجن ثم بعد قليل امر البطريرك اسحق ان يحضر بين يديه فسأله : كم سنة مضت عليك وانت بطريرك . قال سنتان . قال وكم ارسلت الى مولانا السلطان . قال لاشيء . فامر بمثول شكري وقال للبطريرك انّ هذا يدفع الى الخزينة عشرة اكياس في السنة فأعطنا انت حساب سنتين ولا تعد تكون بطريركاً . وامر بحبسه وبتكبيله بالحديد . وبعد الجهد الجهيد ادّى عشرة اكياس والسيد ملكون خمسة ورجعا الى ماردين . ولبث السيد ملكون في جهادٍ حسن حتى نصحه تلاميذه ان يبارح ماردين كي يستريح من جور الظلام فانتقل الى ديار بكر فاضطهده الارمن المشاقون فهرب الى القسطنطينية وهناك طرح في السجن بسعي بطريرك المشاقين وكبل بالحديد حتى قضى نحبه فيها سنة ١٧١٧ وبقي الكاثليكيون الارمن والسريان بماردين رعية بلا راع

٧٣ وفي سنة ١٧١٢ اتفق وجود البطريرك اسحق في ماردين مع يوسف الثاني بطريرك الكلدان وهذا هو ايليا بن معروف من قرية تلكيف . وكان يرغب ان يرى الشماس ايليا فلما التقى به احتضنه وقبله وسألهُ : أأنت الشماس ايليا هادم البدع قال انا هو عبدك لان الحكيم يقول للبناء وقت وللهدم وقت وجرى الحديث بينهما عن البطريرك اسحق فساله هل للبطريرك نية بالرجوع الى حظيرة الكنيسة الكاثليكية المقدسة فانه منذ حضوري لم يفتا من تكريمي

وافى في تلك السنة من روميــة يجمع كتباً لمكتبة الواتكان الشهيرة و يتفقدٌ احوال الكاثليكيين فحضر شكير عنده فقال له الخوري يوسف ان الناس يلومونه عَلَى ريائه لجمعه بين الله وباعال اي لموافقته الكاثليكيين والمشاقين في وقتٍ واحد فخجل ثم اقرّ بالمعتقد السليم وصدق حقوق البيعة الرومانية وان ما سواها غشٌ وتاييداً لاقراره كتب بخط يده دستور الايمان الكاثليكي وسلمه اياه ملتمساً ان يقدمه الى المجمع المقدس فصار فرح بين الكاثليكيين وتعزّوا من حادثةٍ محزنة اصابتهم قبيل ذلك وهي ان شاباً سريانياً يقال له عبد الملك بن اسحق اتهمه جاره فسجن هو وابوه ونكل بهما بالضرب والاغلال حتى شنق عبد الملك سنة ١٧١١ عَلَى يد عبدي باشا لتمسكه بدينه

الفصل الثالث

٧٢ جهد اليعاقبة بماردين — منع رسامة كاهن كاثليكي — رفعهم السيد ملكون الى القضاء — وفاته شهيداً ٧٣ اجتماع بطريركي الكلدان والسريان في شأن رسامة ايليا ٧٤ تتمة البحث في الرسامة المذكورة حبس الشماس — اهتداء قسيس وعدم كفاءته للمصلحة

٧٢ وفي اثناء هذه الامور كان اسحق بطريرك اليعاقبة قد توجه الى الموصل واصحب معه عبد الازلي اسقف دمشق · وفي غيبته اراد الكركري نائبه ان يوسع بيعة الاربعين شهيداً فبنى فيها تحت الليل معبداً على اسم برصوم قديسهم · ولما بلغ الخبر الى الحاكم استدعى الكركري اليه فهرب وقبض على تلميذه وعلى وجوه الشعب ورتب الحاكم عليهم دفع الفي غرش غرامةً فادّوها وهدموا البنيان الجديد · وكانوا ينسبون هذه الحركة الى الشماس ايليا

وكان رأي السيد ملكون ان يتحاشى الكاثليكيون التعرضات وألاّ يالوا جهداً في تحصيل النجاح الراسخ وان ذلك لا يتم لهم الا باقامة كاهن منهم يتولى امرهم ويجمعهم الى بعضهم بعض بواسطة الارشاد ويوزع عليهم اسرار البيعة ويحثهم على الثبات فيكون ذلك احسن وسيلة لتخجيل اضدادهم بل لاستمالتهم الى الايمان الكاثليكي المقدس وشرعوا يعملون الروية في اختيار الشخص اللائق لتلك الغاية وراوا ان يكون الراسم والمرسوم كاثليكيين ثابتين وهما السيد ملكون

سنة ١٧١٣ ثم رجع الى دير الزعيم برسالة نصائح من المجمع الى المقيمين فيه · ومنه توجه الى حلب في شهر تموز لانه نُعي اليه وفاة والده

وكان المفريان اسحق بن جبير منذ قدومه الى روميه سنة ١٧٠٦ يصرف اكثر اوقاته في تكميل ترجمة الخلاصة اللاهوتية وسماها المختصر في الالهيات للقديس توما الأكويني حتى جمعها في اربعة مجلدات ضخمة كلها بحجم واحد وخط جميل المجلد الاول في ٦٨١ صفحة كبيره والثاني في ٥١٦ والثالث في ٨٧٥ والرابع في ٤٠٩ (١) · وبدا بتعريب كتاب اخر وهو فلسفة ارسطو

---

١ المجلدات الاربعة محفوظة في مكتبة الموارنة بحلب كما وصفناها · ولها نسخ متفرقة: نسخة من ج ١ في مكتبة الروم الكاثليك ومن ج ٣ في مكتبة القس جرجس منش الماروني وجزء من ج ٤ في مكتبة الورتبيت بولس بليط — كل مجلد يبتدي بعد البسملة بهذ العنوان : المختصر في الالهيات لمار توما الاكويني · وفي ظاهر هذه الصفحة ان جرمانوس فرحات اوقفه مؤبداً عَلَى كنيسة مار الياس بحلب — باعتناء يوسف بن اوغسطين الهندي وفرنسيس بن حنا حصرم في سنة ١٧٢٦ — ويليها بخط الموقوف : هذه النسخة الاولى المترجمة من اللاتينية الى العربية في مدينة رومة وعليها المعول لانها الاولى — وفي اخر كل مجلد : قد اقتنى هذا الكتاب جرمانوس اسقف حلب — وفي اخر ج ٣ قد تم الكتاب في رومة عَلَى يد الشماس يعقوب بن بندسار القسطنطيني الارمني الكاثليكي في ٨ ك١ سنة ١٧٠٨ ترجمه الى العربية العبد الحقير في روساء الكهنة اسحق الموصلي ابن المرحوم الشماس عبدالحي السرياني الكاثليكي وذلك برفقة اخوتنا المطران يشوع خادم القدس الشريف واسقف سفر اسقف ماردين — حرر في كنيسة السريان داخل رومة وقفاً للدير المذكور «عن مجلة المشرق سنة ١٩٠٨ ص ١٧٤ — ٣٨٦» وقد رأى القس جرجس منش المار ذكره ان تعريب الخلاصة اللاهوتية الذي نشره بالطبع سيادة المطران بولس عواد لا يفرق عن ترجمة ابن جبير سوى بفصاحة العبارة طالع هناك ص ٣٧٧

لشارحها بطرس باربي الباريسي الشهير (١) فجاء الكتابان كنزاً غزير المنفعة لافادة الشرقيين من بعد اهتدائهم واصدق دليل عَلَى جلد ابن جبير وفضله عَلَى ابناء وطنه الشرقيين

واذ ذاك كان دير الرغم يتوسع بمقدار توسيع حال المنضوين اليه · غيران عددهم لم يكن اكثر من عشرة بل لما ارسل الاسقف سفر اليهم اسعافاً سنة ١٧٢٦ مع نسخ من اشحيمه السرياني لم يكونوا اكثر من ثلاثة وهم القس نعمه حوبه والقس نيقوديمس وبطرس بن موسى الماردني والبقية كانوا يترددون الى دمشق وضواحيها يدعون السريان المنفصلين الى حضن الكنيسة الكاثليكية

٧١ : عَلَى ان طريق الاهتداء الى الكثلكة كانت قد تمهدت في دمشق وضواحيها كما في سواها بعمل المرسلين فتبعهم في سنة ١٧١٥ جانب من سريان دمشق كما تبعهم غيرهم في سواها فابطلوا ذكر أئمه الحدين من صلواتهم فخاّهم كيرلس يوحنا بطريرك الملكيين · واذ ذاع خبرهم اقبل غريغوريوس شكير بن صنيعة من القدس ليستردهم الى عقيدته وكان البطريرك اسحق اليعقوبي قد اقامه راعياً لشعبه بحلب فلما وجدهم مصرين عَلَى الايمان الكاثليكي تظاهر بموافقتهم وتوجه الى حلب لكي يعود اليهم بيدٍ قوية فينكيهم ولدى وصوله اليها علق بصداقة اثناسيوس بطريرك الروم المشاقين لانجاز مكيدته · وكان الخوري يوسف السمعاني قد

---

١ ان نسخة فلسفة ارسطو محفوظة في مكتبة الموارنة بحلب تحت عدد ١٩٩ وهي حسنة ذات ٦٩٨ صفحة كل صفحة ٣٧ سطراً بخط الشماس يعقوب الارمني القسطنطيني · وفي آخرها : هذا كتاب الفلسفة قد اخرجه الحقير المفريان اسحق من اللاتينية الى العربية برومة في ايام اقليميس الحادي عشر الحبر الاعظم «عن مجلة المشرق لسنة ١٩٠٨ ص ٣٧٤»

هي للبادري ميخائيل الكبوشي على يد وكيله الشيخ بو شديد كاتب الامير عبدالله واذ كتبوا حجة المبيع ارسلوها الى صيدا الى البادري منصور رئيس الكبوشية ففرح وكان قد بلغه خبر الممانعة واغتمام السريان فكتب يرحّب بهم ويشجعهم على البناء حيث لم يبقَ عليهم خوف من احد وزاد على هذا انه بعث لهم بكاس وصينية لخدمة القداس الالهي فقدموا الشكر لله الذي سهل امرهم . وابتدأوا ببناء الدير وساعدهم الشيخ بو رزق . وكانت ساقية الماء الاتية من عين الرغم تخرق الدير من ناحية الى مقابلها . وبعد الفراغ من العمل كتبوا في سنة ١٧٠٥ رسالة الى المجمع المقدس والى اساقفة السريان المقيمين في رومية وارسلوها عن يد البادري طيمثاوس وكيل الكبوشية فاخبروهم عن حالهم وعددهم انهم خمسة القس سليمان خور والشماس نعمه حوبه الحلبيان والشمامسة شكري صهر الاسقف سفر وجرجس بن عبدالله ست اصابع والياس الماردينيون وطلبوا ان يأتيهم احد الاساقفة ليفتقدهم ويرسم الشمامسة قسوساً لكي ينطلقوا اذا فتحت الطريق الى بني جنسهم المنفصلين فيكرزون فيهم بالايمان المقدس فايد المجمع المقدس طلبهم لكن الاساقفة اعتذروا محتجين بضيقة المكان والمعيشة وقالوا ننتظر ريثما يكثر عدد الطلبة وتتوسع الحال والمكان وكتب اليهم المفريان اسحق بن جبير يهنئهم ويشجعهم ويؤمل من اجتماعهم خيرات وبركات

واذ ذاك كان بطرس بن مصر شاه ابن اخي المطران يشوع قد اكمل دروسه ورسمه الاسقف سفر كاهناً فتوجه الى بلاد الشرق فلما وصل الى صيدا عرفه البادري منصور بخبر الدير الجديد واشار عليه ان يذهب اليه فيفيد سكانه بالعلوم والفضائل كما استفاد هو في مدرسة روما وكيلا وفي الوقت نفسه يأمن من غوائل

الزمان · فاذعن لهذا الراي وفرح الاخوة به (١)

غير ان الله احب ان يمتحن صبر عبيده فسمح ان ياتي ناصيف باشا الى الجبل في تلك السنة وينهب الجبل والدير · وكان الاسقف سفر قد استدعى الشماس شكري صهره اليه ليجعله كاهناً فسافر الى رومية · وسافر كذلك الياس الشماس الآخر لضجر استحوذ عليه

ولما كان المجمع المقدس يهمه امر السريان الكاثليكيين بحلب ويرغب ان يقيم لهم راعياً عالماً ونشيطاً وكان راضياً عن مسلك القس عبد الاحد بن سفر شقيق البطريرك بطرس الشهيد· اختاره لهذه الوظيفة وكتب الى الشعب الحلبي يعرفهم بجدارته وينصحهم ان يقبلوه فيرقى الى درجة الاسقفية ثم انفذه سنة ١٧١٢ الى بلاد الشرق موعزاً اليه ان يفتقد دير مار افرام وشعب حلب · فوصل الى صيدا في شهر تموز ونزل عند القنصل وفي آب توجه الى الدير واذ وجد الشماس نعمه حوبه جديراً لدرجة الكهنوت أرسله الى الاسقف سفر كي يرسمهُ · وبقي هو في دير الزغم زماناً فلما اخذ بالتوجه الى حلب ادركته المنية في ٢٧ تموز سنة ١٨١٥ قبل وصول الرسالة الى حلب واغتم تلامذة برو بكندا على فقده لعظيم قدره عندهم فاقاموا جنازاً عن نفسه

واما ابن حوبه فمنذ وصوله الى روميه اوعز المجمع الى الاسقف سفر ان يرسمه فحاول اولاً ابقاءه عنده ليعاونه في تبييض الخلاصة اللاهوتية الذي عرّبه المفريان ابن جبير · لكن المجمع اصرّ على رسامته فرسمه في ٨ كانون الاول

١ هذا خبر دير مار افرام الزغم كتبه احد الشمامسة سكانه والنسخة في كراسة موجودة في مكتبة غبطة بطريركنا مار اغناطيوس افرام الثاني

عنده • فلما وصل الشماس نعمة الى هنالك وكلم سركيس قال له : هل معل
كتاب من بطريركنا فاجابه : اننا كاثليكيون لاشركة لنا معاسحق بطريرك
ومع ذلك لم يخيبه سركيس بل ذهب به الى قرية صوليه حيث كان الام
عبدالله يبني ديراً للكبوشيين والباذري ميخايل يراقب البناء وعرض امرالشماس
على كليهما • فوعداه بالمساعدة ورافقاه الى الاشبانية حيث حضر المطران الياس
صافي الماروني ايضاً فرحب بالشماس واوصى اهل القرية به فاعطوه ارضاً وبد
بالبنــاء وعاونه سركيس • حينئـذ كتب الشماس الى عين طورا الى القس
سليمان خور واطلعه على خبره وطلب حضوره • فاجابه ذاك ان ابنوا لنا محلاً
نقيم فيه ثم اصير انا اليكم

واذ ذاك كتب اسحق بطريرك اليعاقبة الى عبد الازلي اسقف دمشق
اليعقوبي (١) واوعز اليه ان يسعى بواسطه الحكومة كي يؤذي الشمامسة الهاربين
من حلب فارسل في طلب الشماس نعمه فاعتذر فكتب الى سركيس يقول ل
اياك ومخالطة ابن حوبه فانه فرنجي: والا فيصيبك الضرّ بسببه • فترك سركيس
الشغل من ساعته ومنع البناء • وكان في دير اليشاع شاب من سريان ماردين
مبتدئ بالرهبانية واسمه جرجس بن عبد الله ست اصابع (٢) هذا بلغه ان الشماس
نعمه في ضيق فهرع الى معاونته فخلى سركيس وانصرف عنهم وحضر القس
سليمان خور ايضاً من عين طورا • وبحضور الشيخ بو فرحات والشيخ بو مغلبه

١ كانت رسامة هذا الاسقف في حلب سنة ١٧٠٦ بيد البطريرك كوركيس الاول
كذا عن كتاب السياميذ لدير الزعفران

٢ ان في ماردين عائلة بهذا الاسم الى اليوم

الدرزي عاتب سركيس بكل لطف على منعه البناء فاراه رسالة من البطريرك اسحق يقول له فيها · ان هولاء الشمامسة خارجون عن ملتنا ومحرومون ثم وكل من يخالطهم فاخشى ان يغضب اسقفنا عليَّ · وعند ذلك امتنع الشيخان ايضاً من اعطائه الارض فاقام ابن حوبه ورفقاؤه بالقرية في يأس وكان القس سليمان يقيم القداس في كنيستها الى ان توفي خوريها فاقبل المطران الياس صافي رئيس الابرشية وجنزه وبعد الدفنة اوصى شعبه بالقس سليمان فقال لهم انه كاثليكي فاعترفوا عنده واسمعوا قداسه الى ان اقيم لكم كاهناً · وبعد ذلك اقبل الاسقف عبد الازلي اليعقوبي من دمشق وقال للقس سليمان بلغني انك تقدس كل يوم فقل لي عند من تعترف · فاجابه انه في كل مدة ياتينا قسوس ورهبان وبادريه فكلما كانت لي حاجة الى اعتراف اعترفت عندهم · قال انك سرياني فينبغي ان تقدم اعترافك لي وتبان لي ما هو ايمانك والى اي بطريرك تنتمي · اجابه القس سليمان · اما الآن فلا خطية لي اعترف بها · واما ايماني فارثذ كسي ابن الكنيسة الجامعة التي رئيسها الحبر الروماني · وحدث بينهما قال وقيل بحضور مشائخ القرية فنهاه الاسقف عن القداس وحرم رفقاءه · فاجابه القسيس · ان لهذه الكنيسة مطرانًا وهو الذي سلمنيها فاحكم انت على رعيتك وساعده اهل القرية · فرجع عبد الازلي الى دمشق ساخطاً وانفذ اليهم حرماً وقفل عن دمشق وقيل بل طُرد منها طرداً · غير ان الشمامسة لم يعبأوا بحرمه ولا بدعائه بل شجعوا القس سليمان في ثباته

٦٩ وكان لسركيس ابي رزق ابنة كاثليكية هذه التمست من والدها ان يبيعها البقعة اللازمة للدير فلباها بصورة شرعية في حضور اكابر القرية فباعتها

وسعى لدى القاضي والمفتي ووجهاء المسلمين في نجده فنجدوه واقسموا انهم يقيمو
بطريركاً اذا امكن · وشاع هذا الخبر فخاف وجهاء السريان فسيروا ساعياً ال
حلب يعلمون بطريركهم بالواقع · واذ راعه ذلك ارسل من ساعته اناساً الى العاص
لمداركة الامر وتوجه هو الى ماردين فاستدعى اليه الشماس ايليا والمفريان وطف
يلاطفهم باكياً حتى حنّ المفريان عليه فانفرد في قرية المنصوريّة

ولما اطمأن البطريرك اذاع منشوراً بفسخ كل الخطبات والمصاهرا
الممتزجة · واردف ان عنده فرماناً سلطانياً ليعاقب كل سرياني لايصلي مع
ويخضع لاوامره فتضبط امواله ويرسل الى المنفى · وختم ان كل من لايعط
حجةً في المحكمة يقر فيها بالطاعة له يبيده ويدفع امواله لبيت المسلمين · فاضطر
الناس بسبب هذا المنشور حتى بلغ خبره الى الحاكم بواسطة الخواجا اسحق كب
طائفة الارمن · فاغتاظ ووبخ البطريرك · وعزى البطريرك ذلك الى الشماس ايا
واخذ يسعى في ابادته · فهرب الى القرى واقام زماناً هناك حتى عثر علَى رسا
من البطريرك يعد فيها باجرٍ عظيم وبركات وافرة كل من يقتل الشماس اي
او يلقيه في اتون الدبس ويحرم كل من يتهاون في ذلك فاختفى

وفي سنة ١٧٠٨ حدث طاعون في ماردين أُصيب هذا البطريرك في اثن
وعظه اذا كان يقدح في الكاثليكيين ويقول انه لم يصبنا هذا البلاء الاقصاصاً لتب
البابا الذين يقسمون المسيح الى اثنين · وعند قوله هذا وقع فحمل الى دير الزعفران وب
ثمانية ايام اي في شهر حزيران تونيّ · وبقي الكرسي فارغاً نحو سنتين حتى اقبل المفري
اسحق من حلب وكرّس بطريركاً في ديار بكر في ٨ شباط سنة ١٧٠٩ ثم عاد ا
حلب فاقام شكر الله صنيعة اخا يشوع الوكيل مطراناً لها وكرّ راجعاً الى ماردين

الفصل الثاني

٦٨ قصد الهاربين من حلب ان يبنوا ديراً بلبنان — منع اليعاقبة بتوسط اسقفهم بدمشق ٦٩ تكميل البناء — فرح الاساقفة الذين بروميه بتدشينه ٧٠ نهيبة الدير — انتخاب ابن اخي البطريرك الشهيد مطراناً لحلب — وفاته وجناز عن روحه بروميه الفراغ من مصنفات ابن جُبَير — عدد رهبان دير الرغم — اهتداء جانب من سريان دمشق — ابن صنيعة — تقريره الايمان بحضور السمعاني

٦٧ وفي خلال ذلك كان الشمامسة الهاربون من حلب لسبب الاضطهاد قد اخذوا بالرجوع اليها اذ كان البادري انطون صاويجا رئيس اليسوعيين والبادري جرجس الكبوشي يعتنيان بالرعية المترملة فاشارا عليهم ان يقصدوا السيد يعقوب بطريرك السريان الموارنة ويطلبوا منه محلاً في جبة بشري ياوون اليه ويخبروه بوجود غيرهم مستعدين ليقتفوا اثرهم · ولدى وصولهم الى لبنان تبعهم الشماس عبد المولى ابن اسحق والشماس نعمه حوبه وكانا مقيمين في دير مار اليشاع للرهبان الحلبيين · فلما حضر هولاء بين يدي البطريرك المذكور وعرضوا عليه ما عزموا على عمله : نهاهم عن التوجه الى ناحية بشري لكونها تحت حكم باشا طرابلس · ونصحهم ان يتوجهوا الى قرية الشبانية من مقاطعة الدروز التي تحت حكم الامير ابي اللمع فيجدوا رجلاً سريانياً يعقوبياً من راشيا اسمه سركيس بو رزق كان قد قصد ان يشيّد هناك ديراً للسريان فلعله يرضى باقامتهم

افرام ويعقوب ويوحنا فم الذهب والعلماء موسى بر كيفا وغيره قد كفروا فليُحسب كفري مثل كفرهم · وكانت قدام البطريرك جملة كتب مطبوقة فتناول الشماس على الفور واحداً منها يحوي تفسير الانجيل وشرع يقرأ فيه فصلاً في صوم المسيح وتجريبه من الشيطان وما يلي هذا الكلام من تفسير الملافنة : ان ذلك حدث بجوهره او بطبعه البشري لا بالالهي · ووضع الكتاب في محله وهو يقول أرأيت كيف ميز الملافنة الطبيعتين في المسيح · فاحتد البطريرك ورفس الكتاب برجله قائلاً ان الذين افسدوا هذه الكتب كانوا بلطاء واشقياء نظيرك · فقال أليس هذا هو كتابك وموضوع مطالعتك وكذلك الذين سلفوك فان كان حقاً اعمل به كما انا عامل والا فاحرقه · فابكم عن الجواب واطرق كالدائخ وغلبه البكاء فبكى · ورجع ايليا من ساعته الى ماردين تاركاً الحضّار في حيرة يقول احدهم للآخر كيف عرف الشماس هذا الكتاب وهذا المكان منه · وبلغ خبره الى السيد ملكون فتلقاه وقبّله فاه قائلاً حقاً انك بولس الثاني وروح الله نطق فيك

ومع ذلك لم يمنع البطريرك الشماس من الوعظ بل اقنع اناساً ان ينصحوه وفي جملتهم ثلاثة قسوس اغنياء من المرافقين الى حفلة تقديس الميرون في يوم خميس الاسرار من السنة نفسها · فحلوا في بيت الشماس ايليا ضيوفاً وباداوه بالاسف على فقده · ثم طفقوا يعددون له ما كان السريان يستقبحونه آنئذٍ في الكاثليكيين الذين يكنونهم بالفرنج من انهم يكذّبون ظهور النور على قبر المسيح يوم سبت النور : وفيضان الميرون وقداسة برصوم وزملائه : ويجيزون عزوبة قسوسهم وشربهم الخمر واستنشاقهم العطوس واقامتهم القداس في الصوم الكبير (١)

(١) حسب طقس السريان لا يقام القداس في الصوم الكبير الا يومي السبت والاحد

و يسمحون في اكل الزفر في ايام القطاعات المرضى و يتبعون الحساب الجديد ·
وكان الشماس يفند كلاً من حججهم باجوبةٍ سديدة ابكمهم بها فخيرهم

وتمت حفلة تقديس الميرون في دير الزعفران منذ سحر يوم خميس الاسرار فشهدها السيد ملكون وتلاميذه وفي جملتهم الشماس ايليا · واذ ذاك تآمر البعض من اهالي القرى عَلَى قتل المذكورين وكان جند الحاكم هناك للمحافظة فمنعوهم · وفي اثناء الصلوات كان الجمع يصيحون صياح كهنة البعل قائلين · طلع الميرون فاض الميرون · والمسلمون يسألونهم مستهزئين كم دناً ملأتم من ميرونكم · واما الكاثليكيون فكانوا يبكون شفقة عَلَى جهلهم الكثيف حتى قال بعضهم : ان الميرون سر من سبعة اسرار البيعة لكنه ليس باشرف من سر الاوخارستيا · فكما إن هذا البطريرك لا يستطيع ان يجعل القربانة ثلاثاً : كذلك يكذب في زعمه ان قارورة ميرونه ملأت بفيضها خمسين دناً بل افاضت معها مياه الآبار

٦٧ وفي سنة ١٧٠٧ سافر البطريرك جرجس الى حلب اذ كان جانب من الكاثليكيين يصلون في بيعتهم مع اليعاقبة لخوفهم : وغيرهم يصلون في الكنائس والمعابد الكاثليكية او في بعض منازلهم · واما شعبه بماردين فكان قد اقام عليهم مطراناً كركرياً اسمه يعقوب نائباً عنه · ولم يكن هذا المطران يتكلم الا بالكردية ولا يعرف من السريانية سوى القراءة فقط · وذات يوم قام الشماس ايليا ليقرا ويعلم كسابق عادته فتضايق الكركري وزجره قائلاً باللغة الكردية : ابرو خواندن نه لازمه غيرته تو نينه كو بخويني ؟ اي ان قراءتك لا لزوم لها افليس من يقرا غيرك · فخرج الشماس مغتاظاً · وكان بماردين يومئذٍ المفريان عازار مائلاً الى الايمان الكاثليكي لكنه كان يخشى اظهار حاله فجرّأه الشماس عَلَى الاعلان بايمانه

البطريرك : قد كانت تلك ساعة شيطانية فاصلحت بين اولئك المغضوبين .
فانصحك ياولدي ان لا خلاص خارجاً عن البيعة الجامعة

الشماس : اني معتقد بهذه البيعة واريد ان احيا واموت فيها . فلماذا تقبلها
يا ابانا بلسانك وتقاومها بعملك

البطريرك . اني اقاوم البيعة الخالية من العلامات

الشماس : وما هي علامات بيعتك

البطريرك : علامات بيعتنا هي ان يكون لها بطريرك واساقفة وشمامسة كما عندنا

الشماس : لو صح كلامك لا لكن وجود بيع عديدة كلها واحدة جامعة حتى
بين الهراطقة ايضاً لان الصفات المذكورة موجودة عند جميعهم . والحال انهم
محرومون عندك كما انت محروم عندهم مثلاً عند النساطرة والروم . ولكن معنى
جامعة . . .

« وهنا طفق يشرح له معنى كنيسة واحدة جامعة مقدسة رسولية كما علم المجمع النيقاوي
حتى اثبت حق الرئاسة الاولى العامة للكرسي الروماني »

ثم قال : انصحك يا ابانا ان تذعن للحق وتتبعه ولا تبقى حجر عثرة لشعبك
ولاسيما وانت شيخ قريب من الحضور قدام منبر المسيح

وعند هذا الكلام اغتاظ البطريرك وطفق يبكي و يلطم على وجهه كالنساء
وطرد الشماس من امامه فخرج وقد ازداد ثباتاً وشجاعة وطفق يجادل تلامذة
السيد ملكون حتى في السوق قاصداً اظهار الحق والسريان يوصلون خبره الى
البطريرك فيستدعيه اليه و ينهاه عن مجادلة الفرنج خوف ان يصيدوه والشماس
يقول له لا تخف عليّ

٦٥ ومع ذلك كان يتردد الى السيد ملكون ليرتشد منه حتى اطلعه ببينات سديدة على الاختلافات التي شردت طائفة السريان من اجلها . وما زال على هذا حتى زالت اوهام اليعقوبية من ذهنه ورسخت عوضها الحقائق الكاثليكية ووجوب الخضوع للكرسي الروماني . وكان الشماس يذيع ذلك كله على ابناء طائفته مأذناً اياه بشهادات من كتب ملافنتهم . حتى وافقه كثيرون ولاسيما الكاثليكيون المستترون . وكان المتعصبون من السريان والارمن يقاومونه ويكمنون له في الازقة فيهينونه ويؤذونه . وما زالوا على هذا حتى اذاعوا انه لم يتغير كل هذا التغيير الا لرشوة اخذها من ملكون فاستدعاه البطريرك ايضاً . واستجوبه عن مسائل واذ علم انه ثابت في رايه بل سمع منه نصائح تحمله على ان ينضم الى الكنيسة الجامعة اغتم غماً شديداً وقسم على الشماس ان قل الحق كم اعطاك ابن طاسباز حتى جذبك الى عقيدته . فقال : اعطاني شيئاً لا يثمن وفيت به ديوني كلها وفضل لي منه كثير . واذ عرض البطريرك عليه ان يعطيه مالاً اكثر اذا رجع الى طاعته قال : هل خرفت ياابانا : ان ابن طاسباز لم يعطني دراهم بل هداني الى الايمان الصحيح ونقلني من الظلمة الى النور . فبكى وقال لقد ضاع ما كنا نؤمله منك فانصرف

٦٦ واجتمع الشعب من ماردين ومن القرى المجاورة الى دير الزعفران لحفلة الشبقان اعني المصالحة في صباح اثنين مدخل الصوم سنة ١٧٠٦ فطلب البطريرك الشماس ايليا عساه يرده الى مذهبه في تلك الفرصة فحضر اذ كان البطريرك محفوفاً بالاساقفة والرهبان ووجهاء الشعب فبادره بالسؤال عن اعتقاده واذ قرره كاثليكياً زجره قائلاً : اسكت هذا كفر فاجابه اذا كان القديسون

العلماء مثل البطريرك اندراوس والبطريرك بطرس والمطران عبد الجليل الموصلي (١) والمطران يشوع الحلبي والاسقف سفر المارديني والمطران كرنالك الامدي والمفريان اسحق بن جبير الموصلي وغيرهم من القسوس والشمامسة الذين قضي عليهم بالحبوس والنفي والتغريم فافتقروا بعد ان كانوا اغنياء وتعذبوا بعد ان كانوا في راحة كل ذلك لانهم تركوا الايمان الذي ولدوا فيه وتبعوا البابا الفرنجي

الشماس : هل كان الذين تبعوا البابا جهالاً فاقدي العقل · او لعلهم لم يقرأوا الكتب ولا طالعوها

البطريرك : بلى يا ولدي كانوا جميعهم علماء لكن اطغاهم الشيطان

الشماس : فهل امكن ان يقع بالغش كل البطاركة والاساقفة والرهبان الذين في بلاد المشرق والمغرب مع شعوبهم لانهم خارجون عن بيعتك

البطريرك : نعم جميعهم منشوشون لان البيعة الجامعة المقدسة هي بيعتنا السريانية ليس غيرها

الشماس : ان في هذا لعجباً لانك تسمي بيعتك جامعة وهي صغيرة بالنسبة الى سواها · وما قولك في الشعوب الذين بشرهم بولس الرسول وتلمذهم مثل اهل رومية وقورنش وافسس وغلاطيه هل صلب المسيح وسفك الرسل والشهداء دماءهم من اجل طائفة اليعاقبة فقط ام لاجل هولاء ايضاً

البطريرك : نعم لاجل طائفة اليعاقبة فقط وهل انت في ريب في كلامي انا بطريركك

الشماس : فمن اين نأتيك الان باحد الرسل ليبين لك الحق

---

١ طالع هنا عدد ٢٧

البطريرك : ترى من ذا الذي غيّر افكارك وجعلك غير مصدق لما اقول الا تعتقد بالعجائب الجارية على يدي كالذين دعوت عليهم فماتوا قبل سنتهم مثل ابراهيم الطوراني لما منعني من الغمارة وعطلها وكالميرون الذي فاض بين يدي

الشماس : اني ذاكر ذلك وعارفه ولكن الدعاء بالشر ليس بفضيلة حتى تفتخر بها بل رذيلة ينبغي لمثلك ان يخجل منها لقول الانجيل باركوا ولا تلعنوا ولهذا انتهر الرب اثنين من رسله لما طلبا ان ينزل الله ناراً على قرية في السامرة قائلاً لهما لا تعرفان من اي روح انتما (لوقا ٩ : ٥٥) . واما الميرون فيمكن ان يفيض عند سائر الملل ايضاً اذا سكبوا البلسم المغلي فوق الزيت كما تعمل انت

البطريرك : وهل تنكر اعجوبة البطريرك ابن وهيب (١) الذي حرم الكهف فوُجد في الغد وقد فُصلت منه قطعة كبيرة وهي موجودة الى اليوم عند ذيل الجبل على طريق قلعة المرأة

الشماس قد رأيت ذلك الجبل فلم اجد صخرة واحدة فقط منفصلة منه بل ما ينيف على خمسمائة قد تدحرجت مع تمادي الزمان وقبل ان يولد ابن وهيب فلو لزم لكل صخرةٍ حرم لاقتضى لكل منها بطريرك يرشقها بالحرم . كفاك يا ابانا من هذه الخزعبلات التي لا يصدقها البلداء نفسهم . هذا راي ذنب للصخر حتى استحق الحرم . امــا انا فاذكرك باعجوبةٍ حدثت من قداستكم سنة ٢٠٠٥ (١٦٩٤ مسيحية) لما تنازعت انت والاربعة المطارين يوم عيد مار برصوم في وقت القداس فكسرتم العكازات على رووس بعضكم وخرجتم قبل نهايته

---

١ نصب يوسف بدر زاخي او نيقولاوس ابن وهيب سنة ٧٩٠ ; وكان احد الثلاثة المتنازعين على البطريركية كما في الملحق على تاريخ ابن العبري

ثيابه · واتفق المقاومون من الارمن مع بعض السريان وكانوا يرجمونه بالحجارة ويحاولون ان يقتلوه وهو يحتمل ذلك صابراً · وانتقل الى دير القديسة بربارة خارج باب المشكية فنظف كنيسة ذلك الدير من الزبل وكرسها واستعملها فتوارد الناس الى استماع وعظه حتى في ظلمة الليل وفي ايام الشتاء والثلوج وهو لا يبالي بما يحتمله من الحبوس والخسائر · ولم تطل المدة حتى عرض عليه القسوس والشمامسة من اتباعه ان ياخذوه الى كنيسة المدينة · فلباهم على شرط ان يبطلوا العوائد الخرافية كاكل البيض في الكنيسة ليلة عيد القيامة وذبيحة الحيوانات فأبطلوها ودخلوا الكنيسة برخصة الحاكم · فتبعهم اكثر الشعب والبقية انحازوا الى بطريرك السريان فاعطاهم محلاً في بيعة الاربعين وعددهم زهاء مايتي نفس

٦٢ وكان اشد عدوّ لملكون شماسٌ سرياني من اقارب الاسقف سفر واعظٌ مكرم في طائفته اسمه ايليا ابن الاكزير (١)

هذا وكان السيد ملكون يشتهي مفاوضته علّه يستميله اليه : والشماس يمتنع حتى عثر في سنة ١٧٠٢ على كتابٍ من تأليف المفريان اسحق ابن جبير واذ رآه مطابقاً لاقوال الملافنة السريانيين اخذ يرتاب في معتقد السريان المنفصلين بل خطر له ان يفاتح السيد ملكون في ذلك واتفق دخوله عليه وقتما كان عنده المفريان شمعون الطوراني مع شماسه وكان يجادله ببراهين سفسطية زقاقية ·

١ اننا نقلنا اخبار السيد ملكون والشماس ايليا عن قصة قديمة كتبها الشماس نفسه وغيرها بخط تلميذه بلهجة ماردين ولها نسخ في ماردين وسعرد راجع مجلة المشرق ص ٥٨٩ عدد ٨ سنة ١٩٠٩

واذ لم يصبر الشماس ايليا انتهر مفريانه وانصرف مغتاظاً وقد اثر في قلبه تعليم ملكون فمال الى مودته · ورجع المفريان الى بطريركه شاكياً مقاومة الشماس فاستدعاه اليه وعاتبه فزاد كلامه الشماس اقتناعاً بغلط اليعقوبيين وبصحة اعتقاد الكاثليكيين · واليك ملخص ماجرى بينهما

٦٤ قال البطريرك : قد اشتكى عليك المفريان شمعون لانك قاومته عوضاً عن المساعدة وعاتبني على اني مفضلك على الاساقفة والقسوس بتفويضي اليك وظيفة الوعظ

اجابه الشماس ايليا : اني لم اقصر عن مساعدة المفريان بل زجرته اذ لم يأت ببراهين من الكتاب المقدس والملافنة بل تكلم بامثال ركيكة اخجلتني فانكرتها عليه

البطريرك : اخشى ان يكون ابن طاسباز قد افسد ضميرك · لان هؤلاء القوم كلما وجدوا بيننا عالماً اصطادوه وافسدوا عقيدته فكن على يقين ان ليس في الدنيا كلها معتقد صحيح كمعتقدنا نحن السريان واما هؤلاء فيقولون ان للمسيح طبيعتين ومشيئتين من بعد الاتحاد بخلاف تعليم الملافنة

الشماس : قد تعلمت هذا التعليم منذ نعومة اظفاري فلا يستطيع احد ان يغشَّني

البطريرك : فلماذا تركت المفريان وحده وانصرفت

الشماس : الم اقل لك انه تكلم بما لا يليق فخليت وخرجتُ دفعاً لكل اضطراب وفتنة

البطريرك : ان قلبي خائف عليك من فساد هؤلاء كما افسدوا غيرك من

« الباب الخامس »

في حالة الطائفة علىَ عهد النوَّاب الرسوليين

الفصل الاول

٦٢ همة المرسلين في بلاد المشرق — خبر ملكون طاسباز الارمني — غيرته بماردين ٦٣ ميل ايليا ابن الاكزير الى الكثلكة ٦٤ محاورته مع البطريرك جرجس اليعقوبي ٦٥ توطيد ايليا — اسف البطريرك عليه ٦٦ ابكام ايليا لبطريركه ٦٧ وقائع ايليا مع نائب البطريرك — المؤامرة علىَ قتل ايليـا — وفاة البطريرك بالطاعون

٦٢ لما كانت كنيسة الحق لايصدّها سجن او ضيق او اضطهاد عن النمو والانتشار حدث انه بينما كان بطريرك اليعاقبـة واقليرسه يظنون انهم قد حازوا الفوز باستيلائهم على كنيسة حلب وسعيهم بنفي رؤساء الكهنة الكاثليكيين وتبديدهم الرعية قيض الله سبحانه في ماردين مقرّ بطاركتهم بعض الانام المشهورين ليوطدوا الديانة الكاثليكية في تلك النواحي كما ان الكهنة والرهبان والشمامسة الذين تشتتوا في جهات لبنان تمكنوا من استمالة سريان دمشق الشام وما يليها الى الايمان المقدس · وها اننا نسرد تلك الاخبار ههنا تفصيلاً فنقول

رأينا سابقاً في العدد الرابع عشر من كتابنا هذا ان الرهبان الكبوشيين كانوا قد انتقلوا عام ١٦٦٤ من الموصل الى ديار بكر مع رئيسهم يوحنا الذي اقام يوسف رايه الكرملي نائباً عنه في تلك المدينة وقفل راجعاً الى حلب حيث استمر الى حين وفاته سنة ١٦٩٥ وفيما كان الاب يوسف المشار اليه يتردد الى ماردين صادف فيها شاباً ارمنياً يقال له ملكون ابن المقدسي مراد طاسباز فارسله سنة ١٦٩٠ الى مدرسة بروبكندا في روميه ولبث فيها حتى اتم علمه سنة ١٧٠٠ وارتسم قسيساً وعاد من رومية مجتازاً بحلب وعنتاب ونادى بالايمان الكاثليكي في تلك النواحي · وبعد مدة اقيم ورتبيتاً (ومعنى ذلك علاّمة) ثم اسقفاً · وكان وصوله الى ماردين في السنة الرابعة لبطريركية كوركيس الاول على السريان اليعاقبة ولم يكن الايمان الكاثليكي منتشراً اذ ذاك بين السريان والارمن اليعاقبة في ماردين ولكن النساطرة كانوا قبيل ذلك قد تكثلكوا مع بطريركهم يوسف الاول ثم خلفه بطريرك اخر باسم يوسف الثاني ومقره ديار بكر · وابتدأ ملكون طاسباز وظيفته بحكمة ونشاط لايعرف الملل فاحبه الناس الا انه لم يتبعه في مبتدا الامر الا قليلون منعهم الخوف ان يظهروا ذلك · فلما احس بقية الشعب بهم استنجدوا البطريرك كوركيس فوشى بهم الى الحاكم فأزعج ملكون كثيراً · ثم بارك الله في غرسات ملكون القليلة فازدادت عدد انصاره حتى ذهبوا به الى كنيستهم وقد شرط عليهم ان يحذفوا اسماء الملحدين من الخدم البيعية ويخضعوا للحبر الروماني لكنه لدى دخوله الكنيسة طرده المعاندون من القسوس وشغبوا الشعب فانقسموا الى فرقتين وكان في جملة المقاومين البعض من اقربائه · وجسرت امرأة عجوز فضربته في وسط الكنيسة وكسرت عكازته ومزقت

وكتب هذا القس العلامة في ذلك السجن كتباً اخرى واستنسخ كتاب خدمة الاسرار المعروف بكتاب العب" وهو محفوظ في مكتبة دير الشرفة وكان الفراغ من تبييضه في ١٣ ايلول سنة ١٧٠٤ (١)

٦١ ومما سردناه من الاخبار يسوغ للقاريء ان يتأمل ان انواع الشدائد التي سمحت العناية الربانية ان تصيب البطريرك بطرس ومطارنته وقسوسه وشعبه المختار لتمسكهم بايمان البيعة الكاثليكية ليست بامر غريب اذ ان الرب جل اسمه قد سبق وانبأ اتباعه بانهم معرّضون للاضطهاد وتواريخ الكنيسة تؤيد ذلك · ومن جهة اخرى فلينظر القاريء المنصف الى اي حد من الجهل بلغ ايمة اليعاقبة حتى الاساقفة بل البطاركة الذين امّوا الرتب السامية وهم خلو من الفضائل والعلوم الكهنوتية · على انهم عوضاً عن اقامة البرهان وتبيان الحق الصريح استعملوا كل الوسائل حتى غير الجائزة في شرع الذمة لكي يخدعوا الحكام بالرياء والمكر والافتراء المحض ليحصلوا على مآربهم النفسانيــة اذ كانوا يدعون بان الكاثليكيين بخضوعهم للحبر الروماني اتفقوا مع الملوك الفرنج على سلطانهم وليلاحظ المطالع ان الله عزّ شأنه بسماحه بذلك اعطى برهاناً حسياً على تمييز الحق من الباطل · وذلك ان الرؤساء المنفصلين بمقاومتهم بينات الكاثليك الصريحة وحججهم الدامغة واستعمالهم الجور والجفاء لنيل مآربهم كان يقل عددهم · بل كسدت عندهم اسواق العلوم والفضائل وخلت اديارهم من الرهبان بحيث لم يعد يمكنهم ان يجدوا شخصاً فيما بينهم جديراً بان يتولى رئاستهم وتدبير امورهم

١ تم هذا الكتاب في سجن قلعة اطنه على يد القس نعمة ابن قدسي كتبه للاخ الفاضل القس ارسان ابن الخوري سفر المارديني وكان انجازه في ٢٣ ايلول سنة ٢٠١٥ يونانية

اما الكاثليكيون فبعكس ذلك فانهم بقدر ما ظُلموا وسُحقوا بالحبوس والغرامات والنفي والقتل بقدر ذلك تقدموا في العلوم والفضائل والغيرة والتهذيب وازداد عددهم · فما نكبوا زماناً وانزوى نجاحهم في ناحية الا نموا وكثروا في ناحية اخرى · حتى انهم اضحوا شيئاً فشيئاً جماعات وشعوباً وابرشيات تشمل مدناً وقرى ولهذا فلما كان الكاثليك الحلبيون منكوبين قام لهم اتباع في ديار بكر والرها وماردين والموصل وغيرها حذوا حذوهم ونهجوا منهاجهم ولم يكترثوا للمقاومات والاهانات والعذابات كما سترى ان شاء الله

وفزع من التوقيع على مضبطة تتضمن انتخابهم ورضاهم باقامة المفريان بطريركاً حذراً من ان يجلب ذلك عليهم غرامة او عقاباً من الدولة · وكان المفريان لا يرضى بالوظيفة البطريركية الا على شرط ان يستحصل براءة غير قابلة الالغاء ابداً

اما سفير فرنسا (١) فاغتنم الفرصة من جلوس السلطان الجديد على سرير آل عثمان فتمكن من ان ينال اوامر باطلاق القسوس المسجونين في قلعة اطنه · وكان خروجهم من الحبس في كانون الاول سنة ١٧٠٤ فتوجهوا اولاً الى حلب حيث استقبلهم المرسلون الكاثليك قاطبة بمزيد الاعتبار والاحتفاء (٢) وبعد مدة غير مديدة شخص القس نعمه والقس عبد الاحد الى الاستانة ليتفاوضا مع المفريان اسحق والاب داود الكرملي في شأن استحصال براءة البطريرك ولما لم تنجح المساعي التي بذلت لتلك الغاية بارح المفريان دار السلطنة وظعن الى رومية فبلغها في ٢٦ نيسان سنة ١٧٠٦ وآثر العزلة في دير مار افرام مع الاسقف سفر واكب على اتقان مؤلفاته عملاً بواجبه في افادة بني جنسه ولحق في اثر المفريان القس عبد الاحد ونزل في مدرسة القسوس وعين له اربعة ريالات في الشهر من ريع المال الذي كان جمعه الاسقف سفر وذهب القس عبد النور كذلك الى رومية واقام بخدمة المطران يشوع ثم تركه وسافر الى مرسيليا فباريس وتقلب في مذاهب شتى · وانطلق القس نعمه الى مصر ليسوس السريان الذين فيها وسافر القس ارسان الى جزيرة سقز

---

١ ان السفير المذكور كتب بهذا الشان الى وزير الخارجية كتاباً ترى نسخته في الآثار الخطية ص ١١٨

٢ راجع رسالة السفير في الآثار الخطية ص ١١٨

ومما يستحق الذكر ان اولئك القسوس الاماثل مع احتمالهم شدة المنفى والعذاب على حب الايمان الكاثليكي بصبر جميل قياماً بوصايا بطريركهم الشهيد ومطرانهم القديس كانوا قد اتخذوا السجن معبداً لهم فكانوا يقيمون فيه صلواتهم الطقسية جملةً رافعين الى الله جلت احكامه الادعية الحارة والتسابيح الرخيمة على مثال الفتيان في اتون بابل مستمدين من الرب ان ينعطف نحو الكنيسة السريانية الناشئة حديثاً . بل كانوا يحثون بعضهم بعضاً على التجلد والاحتمال . وكانوا يقضون بقية اوقاتهم في المطالعة والكتابة حسب استعداد كل منهم . والعجب كل العجب من ان احدهم وهو العلامة القس نعمه قدسي المذكور سابقاً اخذ اذ ذاك يصنف كتابه المشهور بعنوان «شرح الاجرومية لملة النصرانية» (١) وقال في مقدمة الكتاب المذكور «وبعد مدة قليلة ونحن في هذا الحال المستصعب . انتقل الى رحمة ربه البطريرك المنتخب . فاضحينا رعية بغير راشد يرعانا . ولا شي يسلينا عادهانا . ولا كتاباً الاهياً نطالعه . ولا معلماً روحانياً نستمعه . سوى رحمة ربنا الكريم . التي عمت البار والاثيم ... فسألني بعض اخواني المأسورين . ان نصرف مدتنا في النحو شارعين . . فاخذنا في شرح الاجرومية . الرسالة المعتبرة في قوانين العربية ... واتينا بشواهد الكلام من الالفاظ الالهية الانجيلية والرسولية والنبوية ليسهل فهمها على الطالبين ...

١ منه نسخة في مكتبة دير الشرفة وهي بخط يده ونسخة اخرى في دير المخلص الملكيين بصيدا ومن ذلك يتضح جلياً ان القس نعمه قدسي قد سبق المطران جرمانوس فرحات في تأليف كتاب قواعد التصريف والنحو في العربية لتعليم الفتيان المسيحيين على ان السيد جرمانس فرحات الف كتابه سنة ١٧٠٥ و١٧٠٦ راجع المشرق ٣ ص ١٠٧٨

السطح وانه يطالب عن كل واحد منهم مائة غرش ليخلي سبيله

واما الرعية السريانية الحلبية فكانت متأسفة على فقدها بطريركها المغبوط ومطرانها البار وكهنتها الافاضل الذين كان بعضهم في حبس اطنه وبعضهم متشتتين في الجهات · ولكنها ما لبثت معتصمة بالصبر على تلك المحن غير متزعزعة في ايمانها القويم · ولم يتح في اول الامر للمرسلين ان يزوروها خوفاً من العقاب بل كانوا يوزعون الاسرار سراً ويحثون الشعب المتيتم على الثبات والاحتمال وبعد مدة ساغ لهم ان يذهبوا سراً الى معبد القنصلية ومعبد الفرنسسكان لحضور القداس ومناولة الاسرار المقدسة (١)

ولم يهمل المجمع المقدس الخراف المتبددة بل سعى بتعيين خليفة للبطريرك بطرس المغبوط فوقع اختياره على المفريان باسيليوس اسحق بن جبير لما كان معروفاً به من شديد التمسك بالايمان القويم وحميم الغيرة على النفوس فضلاً عن غزارة علمه ومناقبه الشريفة واصالة رأيه · واوفد كتاباً الى سفارة فرنسا بالاستانة لتحصيل براة لبطريركية اسحق ووجه ايضاً الراهب داود سان شارل الكرملي الحلبي الاصل بصفة زائر رسولي الى القسطنطينيه وازمير وحثه ليسعى في تسريح القسوس المأسورين في قلعة اطنه · بل ان الحبر الاعظم نفسه بعث بتاريخ ١٦ آب سنة ١٧٠٤ بتحارير الى موسيو دي فريول لكي يستحصل للمفريان براة لتأييده في البطريركية · لكن المفريان اقام في الاستانة زماناً لدى الاباء الكبوشيين في دير مار لويس الملاصق لقصر السفارة وكان الاب ياسنت رئيس الدير يستعين به كترجمان في اللغتين التركية والارمنية · وفي شهر شباط

١ عن رسالة قنصل حلب الى سفير فرنسا في الاستانه بتاريخ ٢٠ حزيران سنة ١٧٠٣

سنة ١٧٠٤ انتقل الى قصر السفارة ومكث فيه نحو سنتين ونصف حاصلاً على مزيد الاعتبار· وفي تلك الفترة اكبَّ على نقل كتاب الخلاصة اللاهوتية والفلسفية للقديس توما الاكويني من اللغة اللاتينية الى العربية (١) وكان قد باشر بتعريبه منذ اخذ يجادل بطريرك اليعاقبة كوركيس · وكان القس توما السرياني يبيض ما كان المفريان اسحق يترجمه

٦٠ اما المساعي التي بُذلت بشأن ترقيته الى السدة البطريركية فحالت دونها عوائق شتى منها انه نشأت فتنة في العاصمة قُتل فيها شيخ الاسلام وخلف السلطان احمد شقيقه السلطان مصطفى في اواخر سنة ١٧٠٣ · ومنها ان الباب العالي كان متعصباً على المفريان لسبب درسه العلوم في رومية ومكثه فيها زماناً· ومنها ان الخصوم كانوا يمثلونه للدولة كعدو الدّ لها · وكتب السفير دي فريول في هذا الشان الى الكردينال سكري باني رئيس المجمع ما تعريبه « ان السيد اسحق مفريان نينوى لكفوءٌ حقيقةً بالمقام البطريركي فاني اجد فيه فضائل سامية تدل على اهليته وغزارة علمه وحسن ورعه وتقواه مما يوليني العجب والاندهال· غير ان الصدر الاعظم يعتده من اخصاء البابا ولاسيما لانه قد بلغه انه قد قضى مدة طويلة في رومية ولذلك قصرت عن اللجاجة بحقه لئلا يفضي به ذلك الى ايقاعه في خطر » (٢) ومن ثم حصل القسوس والشعب الكاثليكي في خوف

---

١ راجع مجلة المشرق عدد ١١ ص ٢٩٠ وص ٣٧١ وما يليها فترى انه يوجد من الترجمة المذكورة نسخ شتى في عين تراز ومكتبة الموارنة بحلب وغيرها ومنها تنجلي لك براعة المترجم وطول باعه

٢ الآثار الخطية ص ١١٢

اوامر من السلطان وشيخ الاسلام فقرئت جهراً بحضور وكلاء من الطوائف الاربع اعني الموارنة والروم والارمن والسريان ما لها انه يحرج على كل مسيحي ان ينتمي الى غير طائفته او يقبل احد الرهبان الفرنج في بيته والا فيعتد عدواً للسلطان وعاصياً على الدولة وعقابه الحبس المؤبد · فنودي بهذا الاعلان في الكنائس (١)

وعلى اثر بلوغ الخبر الى اسحق مفريان اليعاقبة بان البطريرك والمطران رزق الله والقسوس الكاثليكيين قد قُبض عليهم وسجنوا انقلب الى حلب حاملاً امراً من الصدارة العظمى ليستولي على الشعب بدل البطريرك بطرس ويضبط الكنيسة فماطله الوالي ريثما يدفع اربعة اكياس من الدراهم وكان القاضي يعضد اليعاقبة ولذلك اخذ مفريانهم يتهدد الوالي بقوله إلمَّ يقضِ أربه بعد ثلاثة أيام فانه يعود الى ادرنه ويستنجد انصاره للظفر عليه (٢) ولذلك استلم اليعاقبة الكنيسة ودخلوها بكبكبة ورفع احد قسوسهم وهو القس حنا الاحدب دعاء من اجل فضل الله شيخ الاسلام ثلاث مرات وذلك نكاية بالبطريرك بطرس وبالكاثليكيين

واثار هذا المفريان مع يشوع بن صنيمه اضطهاداً شديداً على الكاثليكيين فغرماهم اموالاً كثيرة ظلماً · وجمعا صلبان الكنيسة الفضية وطفقا يبعثان بها الى بيوت الناس باسم بركة و يتقاضيان عن كل بيت مائة او مائتي غرش باسم قرضة قسراً فاضطر بعض السريان الكاثليك الى هجر وطنهم على اثر تلك الغرامات فتوجهوا الى الاسكندرية والقاهرة

---

١ و٢ رسالة قنصل حلب الى سفيره في ١٦ ايلول و٢٠ كانون الاول سنة ١٧٠٢ وجدها غبطة بطريركنا العلامة في دير الكبوشيين بالاستانه

وقيل انه في سنة ١٧٠٤ صدر امر من بطريرك اليعاقبة الى وكلائه ان ينبشوا قبر البطريرك اندراوس ويهينوا عظامه (١) ويكرهوا الشمامسة على العود الى اليعقوبية ويذكروا اسماء ايمة المنوفستيين في الذبتيخات فرجع بعضهم الى اليعقوبية والبعض هربوا الى طرابلس ومن جملتهم : الشماس عبد المولى بن اسحق والشماس ذكرى ابن الخوري ابراهيم والشماس اندراوس بن عبد الاحد الحلبي والشماس نعمه حوبه · وكان الخوري سليمان خور قد وجد سبيلا للتملص من سجن اطنه فهرب الى طرابلس ولاذ بالاب نيقولاوس باريز رئيس اليسوعية فارسله الى دير عين طورا بلبنان · واختفى الشماس ذكرى في دير الكبوشيه والشماس عبد المولى والشماس نعمة الله ذهبا مع القس عبد الله الماروني الى دير مار اليشع بلبنان

٥٩ ولم يرتخ عزم اولياء الامر في اتخاذ الوسائل الفعالة لازالة الاضطهاد اذ كان البطريرك بطرس وهو في السجن يراسل بواسطة قنصل حلب وقنصل سفارة فرنسا ورئيس المجمع المقدس والحبر الاعظم فكان القنصلان يسيران تلك الرسائل الى اصحابها ويلحان علَى السفارة ان تكشف الحقائق للدولة العلية عما قذف به الكاثليك زوراً وبهتانا ويطلبان استحصال اوامر لاطلاق سبيلهم واعادة الحرية الدينية لسائر الكاثليك وكانا يمدان المتبقين في السجن باسعاف لقوتهم نحو خمسة غروش في الاسبوع ويكتبان الى السجان ووالي اطنه بشأنهم · وفي ٢٤ آب سنة ١٧٠٣ كتب الى السفير ان والي اطنه امر بتخفيف التضييق عن المسجونين واجاز لهم ان يخرجوا من السجن ويطوفوا في القلعة ويباتوا ليلاً علَى

١ عن قصة ايليا بن الكزبر راجع هنا عد ٤٣

٢ توجد تلك الرسالة في ارشيف الكبوشيين في الاستانه

ليعاملهم بالشفقة · والحمد لله ان توصياتي نجحت · و بعد ان قدمت لهم بعض المرطبات سافروا راكبين الدواب · وقد اظهروا تجلداً مدهشاً في ما احتملوه على حب الديانة المقدسة (١)

وكان وصولهم الى اطنه في ٢٠ تشرين الثاني فزجهم حارس القلعة في سجن مدلهم · واما المطران رزق الله فاضنته مضض ما قاساه من العذاب وانهكت قواه بحيث انه عند وصوله الى القلعة شعر ان قد حانت الساعة لمغادرة الدنيا الفانية فاعترف لدى احد الكهنة الاعتراف الاخير بدموع التوبة السخينة مكرراً آيات الصبر والتسليم للعناية الالهية و بعد قليل فاضت روحه الطاهرة بيد خالقها وراحت تنال الجزاء المعد للشهداء في سبيل الديانة القويمة وباتت جثته في تلك الليلة بين المسجونين وهم يتلون عليها التشمشتات الطقسية وقدم في الغد مطران الارمن وقسوسه فشيعوها ودفنوها في لحد خصوصي

اما البطريرك بطرس وحاشيته المختارة فظلوا يقاسون العذابات المبرحة في ذلك السجن العميق العديم النور والهواء · وكان قنصل حلب يسعى بارسال اسعافات لهم مما تبرع به التجار وغيرهم لسد جوعهم وارسل اليهم الاب سوواج اليسوعي ثياباً جمعها من المؤمنين · وكان الخواجا مراد اخو الخوري سليمان خور موجوداً يومئذ في اطنه فكان يبذل جهده في اغاثة البطريرك والكهنة المنكوبين وبعد ثلاثة اشهر ونصف قضوها في ذلك السجن المكرب تغير مزاج البطريرك الطوباوي وذلك يوم السبت الاول من الصوم الكبير الواقع في ٤ اذار سنة ١٧٠٢ وغلب الظن ان اعداء الايمان كانوا قد ارسلوا من حلب ايعازاً الى السجان كي

١ عن الاثار المحفوظة في دير مار لويس في الاستانة

بيده بواسطة فنجان من القهوة يمزجه بسمٍّ (١) ويقدمه له · ولما علم البطريرك المغبوط بدنوّ ساعته استدعى القس نعمه قدسي واعترف لديه · واخذ يصلي تائقاً الى الانفصال من هذا العالم واستغاث بمريم العذراء وسأل رفاقه فرتلوا معه في السجن تشمشت العذراء حسب الطقس السرياني قائلين «أيا فخر المؤمنين توسلي الى الوحيد الذي اتلد منك لكي يفيض رحمته علَى كلنا» وما زال يردد صلوات كهذه حتى اكمل جهاده وانتقل الى الخدر السمويّ · وفي الغد اقبل مطران الارمن مع اقليرسه وشعبه وشيعوا جثمانه باحترام واكرام ثم اودعوه اللحد حذاء المطران رزق الله شريكه في مصابه

٥٨ وفي ١٢ اذار وصل الى حلب ساعٍ من اطنه حاملاً رسالة من القس عبدالاحد بن سفر الرهاوي اخي البطريرك بها يخبر ان عمه المغبوط قضى نحبه في برهة ساعتين في ٤ اذار فذهب لاخذ الاكليل المعدّ له(٢) فلما انتشر في حلب نعيه حزن المؤمنون حزناً اليماً شاطرهم فيه شعب سائر الطوائف واحتفل بجناز عن نفس البطريرك الطوباوي اولاً في كنيسة القنصلية فأبنه الاب انطون صاويجا رئيس اليسوعية · وفي كنيسة السريان الموارنة فأبنه الخوري بطرس الماروني · وفي كنيسة الملكيين · وفي برو بكندا (٣) برومية وفي غيرها

وفي ٦ ايلول سنة ١٧٠٢ قدم الى حلب قابجي من لدن الباب العالي ومعه

١ كذا قرأنا في حاشية تاريخية كتبت في آخر فلسفة يوحنا الدمشقي خاصة مكتبة الروم بحلب

٢ رساله قنصل حلب الى السفير في ١٣ آذار سنة ١٧٠٢

٣ كتاب وزير الخارجية في فرنسا بتاريخ ٢٥ تشرين الاول سنة ١٧٠٢ الى الاب فلوريو اليسوعي الآثار الخطية ص ١١٦ حاشية ٢

الفصل الثامن عشر

٥٧ نفي البطريرك مع المطران والقسوس الى سجن اطنه — استقبال القنصل الفرنساوي لهم في الاسكندرونة —وصولهم الى اطنه ووفاة المطران رزق الله تغير مزاج البطريرك وموته ٥٨ حزن المرسلين والمومنين واقامة الجنانيز عَلَى نفسه — ضبط اليعاقبة كنيسة حلب —اثارتهم الاضطهاد عَلَى الكاثليكيين ٥٩ ثبات الكاثليك — عناية اولياء الامر باطلاق المسجونين—اقامة خليفة للبطريرك—انتخاب المفريان اسحق للبطريركية=اشتغاله بترجمة توما الاكويني ٦٠ العوائق دون ترقيته—سفره الى روميه — انطلاق المسجونين اعمالهم في السجن ٦١ نظر في نتائج الشقاق وثمار صبر ابناء الايمان الكاثليكي

٥٧ ثم انه صدر القضاء على البطريرك والمطران والقسوس التسعة ان ينفوا الى قلعة مدينة اطنه « ادنه » وهي على مسافة ستة ايام من حلب ويُزجوا في سجنها المدلهم المكرب · فاخرج المسجونون من حلب وسيقوا مصحوبين بفرقة من الجنود يتقدمهم اغا الباشا· واليك ماكتبه الموسيو بلنك قنصل حلب يومئذٍ الى سفير دولته الفرنساوية في الاستانه بتاريخ ١ كانون الاول سنة ١٧٠١ وهو يصف حالتهم الكئيبة عند قيادتهم الى ذلك المنفى قال « ان بطريرك السريان ومطرانه « رزق الله امين خان » وثمانية من قسانه قد سيقوا الى قلعة اطنه صحبة

العسكر وقد اعطيتهم اربعة وعشرين ريالاً وبذلت كل ما امكنني من المساعي لاغاثتهم في بؤسهم واستحصلت توصيات من باشا حلب الى حارس قلعة اطنه بشأنهم فذهب ذلك كله ادراج الرياح فما كان من الاغا والجنود الا انهم القوا السلاسل في اعناقهم منذ خرجوا من حلب وساقوهم قسراً راجلين مقيدين بالاغلال وتهددوهم بان يبيدوهم في الطريق إلمّ يدفعوا مائتي ريال للقايد. فبلغ الاسرى مع هؤلاء القوم الى اسكندرونه في اسوأ حال» (١)

وكتب ايضاً موسيو فوغاس قنصل فرنسا في الاسكندرونة رسالة بتاريخ ٢٥ تشرين الثاني سنة ١٧٠١ الى السفير فيها وصف حالتهم حين وصولهم الى الاسكندرونه قال «قد كان وصولهم الى الاسكندرونة في ١٥ تشرين الثاني في اسوأ حالة فبادرت لافتقادهم فالفيت المطران مريضاً وقد أُضجع على بطنه فوق ظهر الدابة ... (٢) اما البطريرك فحينما لحني سألني والدموع تنسجم من مقلتيه ان اقرضه مائتي غرش ليعطيها الى الاغا ولسائر الاجناد الموكلين بهم بقصد استمالتهم الى ان يشفقوا عليهم اذ كانوا يتهددون الاسرى بان يلقوا السلاسل في اعناقهم ويغللوا اياديهم ويسوقوهم راجلين حتى اطنه ولم يشفقوا علَى البطريرك ولا علَى المطران المريض اذ كان يخشى ان يموت لا محاله اذا آذوه. فدفعت له ذلك المبلغ دون تردد وبذلتُ كل ما في وسعي لدى الاغا واكرمته ببعض الهدايا

---

١ عن الآثار المحفوظة في دير مار لويس للكبوشيين في القسطنطينية استخرجها غبطة بطريركنا العلامة

٢ وموسيو فوغاس نفسه في كتاب آخر كتبه الى وزير السلطان لويس الرابع عشر بتاريخ ١٥ تشرين الثاني يذكر ان البطريرك بطرس كذلك كان مضجعاً على بطنه فوق ظهر الدابة. طالع الآثار الخطية ص ١١٤

سنة ١١١٣ موقع عليه اسماء تسعة من الكهنة وهم الخوري سفر شاه بن شمعون والخوري حنا بن منصور والقسوس عبد الحي بن ناصر وسفر بن نعمه ومنصور بن عيسى وجرجس بن نعمه ونوري بن ابرهيم · وموسى بن عبيد ويونان بن فضل الله · ثم اسماء مائتين وعشرين من العوام من السريان والارمن (١)

ولدى قراءة هذه الشكاية رافقتها صياحات الخصوم حتى حنق الجميع على المسجونين ولاسيما اهل المحكمة وكل واحد يقول انهم يستحقون الموت (٢)

٥٦ وفي اليوم السادس والعشرين من شهر آب سنة ١٧٠١ سيق المسجونون الى دار القضاء فضرب كلٌّ منهم ثمانين ضربة بالفلقة بدءًا من البطريرك بطرس المغبوط وقد ناهز الستين من العمر وكان في اثناء ذلك ينادي المنادي في صحن المحكمة بأمر القاضي والوالي قائلاً : هذا جزاء اعداء الدولة · ثم اعيدوا الى السجن وهم في رمق يسير وحالتهم المكربة البائسة تفطر القلوب غمًّا وكان يظن انهم يساقون الى القسطنطينية ليعاقبوا فيها كما عوقب قسوس الارمن الكاثليك في ادرنه

ثمَّ ان القاضي أمر المنادي ان ينادي كذلك في الشوارع ان كل مرسل فرنجيٍّ يشاهد في محلة الصليبة او داخلاً بيت احد رعايا الدولة لارشاده يقبض عليه حالاً ويسحب من لحيته الى دار الحكم ليكون عبرة لغيره

وكان المرسلون قد سيروا قبل سنة ثلاثة فتيان الى مدينة باريس علَى نفقة

---

١ عن نسخة العرض محضر باللغة التركية محفوظة في مكتبة الشرفة — ونظن ان جانبًا من المشتكين شاركوا الخصوم خوفًا من جورهم

٢ عن فائدة تاريخية في كتاب الفلسفة لمار يوحنا الدمشقي خاصة مكتبة الروم بحلب

سلطان فرنسا(١) ليتلقوا العلوم في الكلية حتى يصيروا بعد ذلك قسوساً وهم: عبدالله بن سليمان عزيزه شقيق المطران رزق الله وعمره اثنتا عشر سنة. واولانس «نيقولا؟» بن جرجس وهي لانس ابن اخي المطران برثلما المرسل بامر المجمع المقدس الى الهند وعمره ١٥ سنة(٢) والياس ترازيا قديسيه وعمره اربع عشرة سنة وثلاثتهم من عائلات نبيلة قديمة (٣) فسعى الخصوم لدى الحكام فقبض على اهلهم وضربوا ثم أمروا بترجيعهم

ومكث البطريرك بطرس والمطران رزق الله والقسوس التسعة في السجن من اليوم الخامس والعشرين من شهر اب حتى اليوم العاشر من شهر تشرين الثاني والظاهر ان الوجهاء الاثني عشر أُطلق سراحهم بعد ان ضُربوا وكان الموسيو بلانك قنصل حلب يمد المسجونين بعض الاسعافات سداً لقوتهم اذ كان يدفع لهم خمسة غروش في الاسبوع

وكان البطريرك واقليرسه وجماعته وكذلك رؤساء المرسلين الفرنج وقنصل فرنسا قد كتبوا دون تمهل لسفير فرنسا في الاستانه وللفريان اسحق جبير بما جرى وطلبوا اليهما ان يستحصلا اوامر لانقاذ المسجونين. فارسل الفريان اسحق بواسطة قنصل حلب اوامر سامية باسم والي حلب لاطلاق البطريرك. ولما عُرضت الاوامر علَى القاضي لم يلتفت اليها بحجة ان نص الخط الشريف شديد العبارة لا يقبل تأويلاً وكان آخر جوابه انه يطلق المسجونين لو كفلهم اثنا عشر رجلاً من اكابر تجار الفرنج المسيحيين ودفع له ستة اكياس من الدراهم مع ان ذلك لم يكن في الامكان

١ الآثار الخطية ص٥٢٤—٥٣١ وتبرّع الملك بانشاء المدرسة في باريس محافظة للشبان الشرقيين من فساد البروتستان في مدرسة اكسفرد

٢ لا نعلم من كان هذا المطران السرياني. ألعله احد الذين تلقوا العلوم في بروبكندا راجع هنا عد ٤٣

٣ عن رسالة في ٥ تشرين الثاني سنة ١٧٠٠ الآثار الخطية ص٥٣٠

الفصل السابع

٥٥ هياج شيخ الاسلام من كلام الخصوم — توبيخهُ قاضي حلب
حبس البطريرك مع عشرة اشخاص — عرض محضر ضد
الكاثليكيين بتوقيع كثيرين ٥٦ ضرب الاسرى
وغيرهم — صدور القضاء في العاصمة
وحلب بالنفي

٥٥ وكان مفريان اليعاقبة منذ بلغه صدور الفرمان في حق الكاثليكيين قد سارع الى العاصمة وشرع يترقب الفرص الموافقة لينتقم من الكاثليكيين فبينما هو كذلك اذا بكتبٍ من قسوسه الحلبيين يخبرونه فيها بما جرى لهم في المحكمة. وكان السفير النمساوي الذي ابرم مسألة الصلح مع الدولة العلية قد عاد الى فينه. فاغتنم الخصم هذه الفرصة وشكى الكاثليكيين وقاضي حلب مساعدهم الى فضل الله شيخ الاسلام فهيجه الى الغضب فامر بإعادة الدعوى والحكم: وكتب الى قاضي حلب يوبخه قائلا: كيف جاز لك ان تعطي البطريرك بطرس إعلاماً انه ليس بفرنجي وقد جاء برفقة سفير النمسا من فينه الى دار السعادة فلا بد انه شاطرك بالمال الذي اخذه من السفير حتى اثبتَّ لهُ الدعوى. فأعدْ الفحص عاجلا وعاقب الافرنج بما يمكنك من الشدة (١)

٥٦ ولم يبطيء انصار الكاثليكيين ان اوصلوا الخبر الى قنصل حلب فاراد

(١) عن خبر البطريرك بطرس في كراسة عربية محفوظة في مكتبة غبطة بطريركنا مار افرام الثاني

ان يهزّم البطريرك الى لبنان ولكن حال دون ذلك وصول اوامر شيخ الاسلام الجديدة الى القاضي في ١٤ آب سنة ١٧٠١ فالقى القبض على البطريرك بطرس فزجّ في سجن عميق عند باب قنسرين · والحجة في ذلك « ان اربعماية شخص اشتكوا عليه انه يذكر البابا في صلواته ولا يذكر اسم السلطان وانه يبذل المجهود مع المرسلين الفرنج ليؤلف حزباً سياسياً مضاداً للسلطان (١) · وطرح معه ايضاً في السجن المطران رزق الله امين خان · والقس نعمة الله قدسي والقس عبد الاحد بن سفر اخي البطريرك · والقس سليمان بن سفر خور · واخاه القس ارسان · والربان سفر بن عبدالله · والمطران يشوع بن عبد الاحد · ويوحنا اخا المطران رزق الله من العوام · وكان قد اقبل في اليوم نفسه الربان عبد النور بن شكر الامدي بكتب من يوسف الاول بطريرك الكلدان يقول فيها للبطريرك بطرس : ان حامل كتابنا الربان عبدالنور كاثوليكي حقيقي فاقمه مطراناً عَلَى ديار بكر · وكان وكيل البيعة يشوع بن صنيعه رجلاً شرساً منافقاً قد تزوج في حلب وزوجته الشرعية في الحيوة بماردين : فلما وصل عبدالنور الى دار البيعة وهو لا يدري بما جرى · هجم يشوع عليه واخذه الى المحكمة سحباً حيث فتشوه واطلعوا عَلَى ما معه من الرسائل فسجن مع الاخرين · ووقتئذٍ ازدادت جراءة الخصوم حتى طفقوا يصرخون : ان هولاء تبعوا البابا وصاروا فرنجاً اعداء الدولة والدين فيستحقون القتل واتوا بشهود زور شهدوا عليهم بالمدعى الافترائي نفسه · فكتبوا عرض محضر خطاباً للقاضي مصطفى العاص تاريخه ٢٠ ربيع الاول

١ عن رسالة قنصل حلب ٢٧ ايلول سنة ١٧٠١ وجدها غبطة بطريركنا في دير مار لويس للكبوشيين

المطران رزق الله وقفل البطريرك راجعاً على طريق ازمير وقبرس واقام في طرابلس خمسة وعشرين يوماً ينتظر خبر تنفيذ الاوامر (١) وطفق وهو في طرابلس يستعين بالرهبان الكبوشيين ليرشد السريان ابناء جنسه المقيمين بها . وتمكن من ان يضم اليهم الذين كانوا الى ذلك الحين يعاقبة فعزل قسيسهم ووعدهم ان يقيم لهم بداله قساً كاثليكياً (٢) ولم يفارق طرابلس حتى أجريت الاوامر واستتب الامن بجانب . وذلك ان المطران رزق الله هم بتسجيل الخط الشريف واوامر الصدر الاعظم في المحكمة بحضور القاضي مصطفى العاص فاستولى على الكنيسة . ولكن دون ان يسبق بتقديم عرض محضر حسب منطوق الخط الشريف وكان هذا النقص مضراً بالمصلحة (٣)

٥٤ ومن شهر شباط قدم البطريرك الى حلب فتظاهر قسوس اليعاقبة اولاً انهم مائلون اليه فقبلوا يده . لكنه لما دخل يوم الاحد الى البيعة وقدس القداس جاهروا بالعصيان عليه وقصدوا المحكمة قائلين : انه فرنجي لا يذكر اسماء اوليائنا السبعة في الصلوة . وكان القاضي هو الذي سجل الفرمان . فسأل البطريرك لماذا غير العوائد فاجاب اني لم اغير شيئاً . قالوا فلم لا تذكر اسماء ابائنا في الصلوة . قال لانهم لم يكونوا سرياناً من جنسنا بل روماً ومن المفسدين . قالوا بل كانوا سرياناً ومن الاولياء . قال البطريرك اعلم يا سلطانم ان اولئك لم يكونوا من الحواريين تلاميذ سيدنا المسيح ولا من انصاره وليس لاسمائهم ذكر في الانجيل الشريف . فصرفهم القاضي في ذلك اليوم

---

١ و٢ عن الآثار الخطية ص ١١٠ و١١١

٣ عن رسالة ٢٧ ايلول سنة ١٧٠١ من قنصل حلب الى السفير وجدها غبطة بطريركنا مار افرام الثاني في دير مار لويس في الاستانة للكبوشيين

ثم استدعى اليه البطريرك سراً وقال له . اذا استدعيتكم اليَّ المرة الثانية سأطلب منك شهوداً من علماء الطوائف المسيحية عَلَى ان السبعة لم يكونوا من تلاميذ المسيح ولم يرد اسمهم في الانجيل وليسوا سريانا فلما اعد الشهود طبقاً لاشارة القاضي وحضر البطريرك وخصومه الى دار الحكم وعرضت الشكاية عَلَى البطريرك قال له القاضي هات بشهودك فذكرهم وكانوا من ثلاث طوائف فدوّن الكاتب اسماءهم وانصرفوا . وفي موقفهم في اليوم الرابع تقدم الشاهد الاول وكان الخوري ميخائيل ابن البجع من طائفة الروم فتربص وقال : اشهد ان السبعة لم يكونوا من تلاميذ المسيح بل صاروا بعده بنحو ستماية سنة وكانوا من الروم . ولانهم خالفوا الانجيل حرمهم الروم انفسهم . قال هذا ومدح القاضي بابيات من الشعر فاطرب اهل المحكمة . ثم حضر قسوس زكوا هذا الشاهد ثم تقدم شاهدان آخران من الارمن فقررا كالاول : ان اغلب اولئك السبعة كما ورد في كتبهم كانوا من الروم فحرمهم الروم . اخيراً تقدم اثنان من قسوس الموارنة وشهدا كالذين سبقوهما فزكاهما القاضي ايضاً . فلما تدونت الشهادات في السجل أُعطي الاعلام ان البطريرك بطرس ليس بفرنجي وانه لايجوز ذكر السبعة الذين ادَّعى الخصوم بهم فتسلمه البطريرك وارسله الى القسطنطينية الى المفريان اسحق بن جبير ليستحصل فرماناً بموجبه (١) غير ان هذا المفريان الشهير ذكاؤه لم يغفل ان يحذر البطريرك ان هذا النجاح الوقتي لايخلو من عاقبة مخطرة (٢)

١ عن خبر البطريرك بطرس في كراسة عربية محفوظة في مكتبة غبطة بطريركنا مار افرام الثاني

٢ عن رسالة قنصل حلب الى السفير بتاريخ ٢٦ ايلول سنة ١٧٠١ وهي في دير مار لويس للكبوشيين بالاستانة

السيد البطريرك المشار اليه وطلب الاسقف سفر مع بقاء ذلك الملك تحت امر المجمع المقدس وسلطانه وبشرط ان تبقى الحرية مطلقة عَلَى المدى وفي كل وقت لتلامذة مجمعنا ان يترددوا الى الكرم والجنينة ويتنزهوا فيهما في الساعات الملايمة اتباعاً لنية المحسن المشار اليه الكردينال بمفيلي

« صدر عن دار المجمع المقدس برومية في ١٨ تشرين الاول سنة ١٦٩٦ »

ولما جرى شراء المحل على ماتقدم اطلق عليه اسم دير مار افرام السرياني(١) وكانت الكنيسة على اسم سيدة الصحة وابتنى الاسقف سفر مذبحين آخرين الواحد لمار افرام والثاني لمار يعقوب النصيبيني · ورسم لهذا الدير قوانين دقيقة واقام فيه مع البطريرك ولما كان يهم البطريرك والاسقف سفراجتذاب شعب الرها خاصة الى حضن البيعة الكاثليكية عين اثني عشر ذهباً من ريع تلك الدراهم المودعة في رومية لتكون راتباً سنوياً لمدرسة كاثليكية تقام في تلك المدينة · ثم صرف الاسقف سفر جهده في طبع كتاب الصلوات القانونية المسمى الاشحيم لاول مرة وذلك في ايار سنة ١٦٩٦ ليسهل لكهنة الطائفة تلاوة الفرض سواء كانوا في الكنائس او الاديار او لم يكونوا · وقد ورد في اخر هذا الكتاب المطبوع مانصه: « وكان المهم في لمّ هذا الكتاب وطبعه الحقير في رؤساء الكهنة اثناسيوس سفر اسقف مدينة ماردين حيث مولده »

ولنعد الان الى حلب فانه لما استولى عَلَى كنيستها المفريان اليعقوبي سلب اوانيها الثمينة وباعها ودفع قيمتها رشوة ليفوز بأربه واقام يعقوب اخا المطران

١ ان موقع الدير هو في اكمة اسكولينو بين كنيسة مار بولس اول السواح وكنيسة السيدة ذات الثلج

يشوع قسيساً سنة ١٦٩٨ وحاول بكل طاقته ليستميل المطران رزق الله الى معتقده لكنه خاب امله · وظل المطران رزق الله المذكور يقيم القداس والصلوات منزوياً في بيته

٥٢ اما البطريرك بطرس فكان عَلَى ماقلنا في روميه يتوقع الفرج من الله وكان المجمع المقدس يجدّ في اعادته الى مقامه واسترجاع الكنيسة من اليعقوبيين ويجدّ في ان يفهم اولي الامر العثمانيين كنه معتقد الكاثليكيين وان سلوكهم حسب طريقته لا يمس السياسة وذلك بعكس ما اقترف عليهم الخصوم وطال انتظار البطريرك ثلاث سنوات حتى اقتضى لامبراطور النمسا ان يعقد صلحاً مع السلطان مصطفى فطلب الحبر الروماني حينئذٍ الى سلطان النمسا ان يجعل مسألة اعادة البطريرك بطرس الى كرسيه وتسليم الكنيسة الحلبية الى يده في جملة شروط الصلح فاجاب السلطان الى ذلك فسُرّ البطريرك جداً ورسم الشماس عبد الاحد بن سفر شقيقه تلميذ بروبكندا قسيساً في ٥ حزيران واستصحبه كترجمان وكاتم اسرار الى فينه ليشكر للامبراطور معروفه · ثم ظعن من فينه صحبة السفير النمساوي الى القسطنطينية لابرام الصلح عَلَى ما ذكرنا · فاستحصل السفير للبطريرك خطاً شريفاً بتوقيع السلطان مصطفى نفسه سنة ١١١٣ هجرية (١٧٠٠ مسيحية) ومآله تأييد البطريرك بطرس في منصبه مدة عمره كله ونال امرين ساميين في ذلك الشان عينه من الصدر الاعظم ومن فضل الله افندي شيخ الاسلام وكان السريان اليعاقبة قد اوغروا صدره افتراءً على الكاثليكيين (١) اذ كانوا يطلقون عليهم لقب اعداء الدولة والدين · فاستلم البطريرك الاوامر مع توصية من سفير دولة فرنسا الى قنصله بحلب وسيرها مع ساعٍ خصوصي الى

١ الاثار الخطية عن كتابات رسمية ص ١١٠ و ١١١

كنيسة مار يوحنا دي لاتران وظهرت منها كرامات عجيبة ثم انطلق الى مواجهة البابا واطلعه عَلَى حوادثه واحوال رعيته

٥٢ واتفق ان الاسقف سفر الارديني عاد في تلك السنة من بلاد اميركا الى رومية غانماً بعد ان غاب خمس سنوات فيها توفق الى جمع خمسة وثلاثين الف سكوت روماني · بيد انه اغتم جداً لما اخبره البطريرك بطرس بما اصابه واصاب رعيته في سورية وما بين النهرين من الاضطهاد والعذاب · وبعد ذلك جرت المداولة بين البطريرك و بين الاسقف سفر بشأن ما جُمع من الصدقات فقدم البطريرك طلبة الى مجمع انتشار الايمان كي يشتري بجزء من تلك الصدقات ديراً باسم البطريركية في عاصمة الكثلكة ليكون منزلاً لابناء الطائفة خاصة للشمامسة والرهبان والقسوس الراجعين من اليعقوبية وللاساقفة والكهنة المضطهدين · واليك طلبة البطريرك في هذا الشان وقرار كرادلة مجمع انتشار الايمان المقدس بتأييد الحبر الاعظم وقد اتحفنا بهذا الاثر الشريف غبطة بطريركنا العلامة مار اغناطيوس افرام الثاني نقله عن ارشيف المجمع المقدس وهذا تعريب صورة الطلبة والقرار

« ان السيد اغناطيوس بطرس بطريرك السريان يعرض لنيافتكم الجزيلة الحرمة ان ملته لا تملك سائر الملل في رومية اعني منزلاً و كنيسة · والان توجد معروضة للبيع دار مع بيعة تليها · وقد نال السيد البطريرك المشار اليه الاذن من لدن قداسة الحبر الاعظم بان يشتري الدار للغاية المقول عنها السابق ذكرها اي لتكون منزلاً لطائفته · فيرغب الى نيافتكم ان تجيزوا له بان يدفع ثمنها من الدراهم التي جمعها في اميركا السيد سفر لفائدة الكنيسة الانطاكية السريانية

وان الدار المذكورة تخص الرهبان المعروفين باخوة الرحمة وهي قبالة دار القانونيين البريمستراتيين علَى الطريق المؤدية الى كنيسة مريم العذراء الكبرى وقيمتها حسب التخمين تبلغ ستة آلاف وسبعماية وخمسة وعشرين سكوت روماني

ثم اني افيد نيافتكم بان الدار المذكورة يتبعها جنينة وكرم يجدر بتلامذة مدرسة انتشار الايمان المقدس ان يتنزهوا فيه اذ ليس للمدرسة ما لسائر المدارس في رومية محل فسحة للتنزه »

قرار

كرادلة المجمع المقدس

فليشترَ المحل المقول عنه باسم المجمع المقدس بواسطة كاتم اسراره بالقيمة والشروط التي يراها اكثر فائدة وموافقة · ولتنفق علَى الشراء المقول عنه اولاً الالف والخمسماية سكوت التي تبرع بها صاحب النيافة الكردينال بمقبلي · والتسعماية والاربعون سكوتاً التي تبرع بها السيد اثناسيوس سفر اسقف ماردين اما الباقي فليؤخذ من الثلاثة آلاف سكوت الباقية من مبلغ السبعة الاف سكوت التي كان قد عينها المجمع المقدس في ٣ كانون الثاني لايفاء ديون البطريرك اذ قد صار تسديدها من غير وجه مع الباقي من الدراهم التي وضعت في المرابحة لخير كنائس البطريركية الانطاكية السريانية وفائدتها · وينبغي ان يصرح في الصك ان شراء المجمع المقدس الدار المذكورة هو بقصد ان الكنيسة التي فيها تخصص للطائفة السريانية لتقضي فيها طقوسها القدسية ولكي تكون الدار المجاورة لها منزلاً للاساقفة ولمن سواهم من الطائفة السريانية اجابة الى طلب

الفصل السادس

٥١ فوز الخصوم في العاصمة ثم في حلب سنة ١٦٩٥ — رسامة البطريرك بطرس اثني عشر شماساً — هربه الى قبرس فروميه سنة ١٦٩٦ — قلق الرعية خسارتهم الكنيسة للمرة الرابعة — حبس بن جبير للشنق مع غيره — اطلاقه بغرامة — قصده العاصمة شنات غيره ٥٢ عودة الاسقف سفر غانماً — شراء دير بروميه طلبة البطريرك وقرار المجمع — طبعه الشحيم لاول مرة ٥٣ معالجات بروميه لاسترجاع كنيسة حلب — سفر البطريرك مع سفير النمسا فوزه سنة ١٧٠١ عودته الى طرابلس فروميه ٥٤ مناصبة القسوس مرافعة في المحكمة عَلَى مسائل دينية — اعلام في حق البطريرك

٥١ غير ان الانتصار الذي فاز به الكاثليكيون لم تدم مدته فان المفريان اسحق اليعقوبي ابن المقدسي عازار قدم حلب سنة ١٦٩٤ (وكان قد بدأ الغلاء المعروف بغلاء الطاقة وطالت مدته ثلاث سنوات) فاقام مختفياً زماناً ثم توجه الى القسطنطينية وعرض عَلَى الصدر الاعظم ان البطريرك الذي بحلب هو فرنجي متفق مع ملوك الافرنج على الدولة العلية : وبهذا الافتراء امكنه ان يستحصل امراً بعزل البطريرك بطرس وبلغ الخبر مسامع البطريرك بطرس فرسم في الاسبوع الثاني من الصوم الكبير اثني عشر شماساً واحدهم نعمة الله حوبي وقصد بذلك ان يزيد الكاثليك تمسكاً بالايمان القويم ٠ وعزم عَلَى الهرب ولما بلغه ان كوركيس

يريد الحاق اهانة بعظام البطريرك اندراوس سالفه فتح قبره ووضع عظامه في صندوق وسافر بها الى قبرس ليدفنها في مكان امين (١) وسافر المطران يشوع الى رومية وبقي الشعب في خوف وقلق الى اسبوع الآلام ثم وصل من الاستانة المفريان اليعقوبي سنة ١٦٩٥ ومعه جاويش ليسجل ويجري الامر السلطاني اما المطران رزق الله فاختفى في احد البيوت والمفريان ابن جبير في خان التتن وبعد العيد قدّم المفريان ابن جبير عرضحاله الى جعفر باشا الوالي يقول فيه ان البطريرك بطرس ليس بافرنجي كما لقبه خصومه ليهيجوا عليه غضب الدولة بل هو رجل من الصلحاء عثماني من طائفة السريان · واثبت ذلك ببينات حملت الوالي على ان يلطف بالكاثليكيين · غير ان الخصم استعجل وصرف كثيراً حتى استمال الوالي اليه فقبض على ابن جبير والخوري ابراهيم زكرى وعلى اربعة من الشمامسة فضُربوا بالاسواط وأُودعوا السجن · ولما كان الخصم مغتاظاً من ابن جبير خاصةً لتأييده الناس في الكثلكة بوعظه وبراهينه العلمية : رجع الى الوالي واقنعه بالمال ان يقضي عليه بالشنق فوعده لكنه لما تأكد براءته اكتفى ان يغرّمه سبعة اكياس من المال فتسلمها واطلقه هو ورفقاءه فلما خرج الاسرى من السجن تشتتوا من ساعتهم في البلدان فانطلق القس نعمه والقس سليمان الى دمشق ولاذا بقورلس بطريرك الروم وتوجه ابن جبير الى قبرس في طلب البطريرك فصادف عند المينا المطران يشوع وكان عائداً من رومية ومعه القس يعقوب ابن العفش والتقى كذلك بالبطريرك فاشار عليه ان ينطلق الى رومية وتوجه هو الى القسطنطينية وكان وصول البطريرك الى رومية سنة ١٦٩٦ فاودع رفات سالفه في قبر في

١ عن قصة ايليا بن الكزير وفي نسخة ان المرسلين نقلوا عظامه (المشرق ١٠ : ٧٣٢)

بلغهما خبر تسجيل الفرمان اختفيا وكذلك الآباء المرسلون · ولما كان اسحق ابن جبير ماهراً في العلم كتب في محل اختفائه رسالة بديعة الى البطريرك كور كيس ابان فيها ببراهين دامغة حقيقة الاعتقاد بالطبيعتين المتميزتين دون امتزاج ولا انفصال في اقنوم المسيح وان هذا الاعتقاد غير ملتبس ببدعة نسطور ولا مناقض لتعليم المجمع الثالث ولا لما سبقهُ · وبعث بالرسالة اليه فلم يجاوب عليها الا انهِ من بعد رجوعه من حلب كتب كتاباً ركيك العبارة سقيم المعنى لا ينتج عنه نتيجة تشفي الغليل بل انما يدل على الجهل المستحوذ على المنفصلين من البيعة الجامعة (١)

ولما زال الطاعون توجه البطريرك الى لبنان واقام ضيفاً عند السيد اسطيفان بطريرك الموارنه وانطلق المطران اسحق بن جبير الى القسطنطينية ليعالج مصالحة بيعة حلب · فما زال يسعى حتى نال بعد ثلاث سنوات فرماناً يأمر بترجيعها للكاثليكيين تاريخه ٢٦ ذي القعدة سنة ١١٠٤ (مسيحية ١٦٩٢) فعاد به الى حلب اذ كان البطريرك كور كيس مقيماً فيها · ولما بلغ البطريرك بطرس ذلك عاد هو ايضاً من لبنان واستولى على الكنيسة وعزل كور كيس فاختفى في بيت رجل ارمني حتى شعرت الحكومة به فالزمته بالخروج من البلد فقفل الى ماردين

ولما حصل البطريرك بطرس في طمانينة رقّى المطران اسحق بن جبير الى رتبة المفريان على المشرق ودعاه باسيليوس · ورقى ايضاً الشماسين سليمان خور

١ ان رسالة ابن جبير والرد عليها محرر في كراسة قديمة محفوظة في مكتبة غبطة بطريركنا مار افرام رحماني ونسخة منها في مكتبة دير الشرفة

ونعمة الله بن شكرالله قدسي المدرّس العلاّمة الى درجة الكهنوت . وبعدها اقبل المطران يشوع من القدس الى حلب . وكان المفريان الجديد مكبّاً عَلَى الوعظ وارشاد المؤمنين فاعاد اليهم ما كان قد فُقد في ايام الشكوك فخلّف لنا هذا الرجل الجليل كتاباً وسمه بكتاب العلل لدفع الملل يشتمل على مائة وخمسين عظة بديعة (١)

وكان لسفر شقيق البطريرك بطرس في مدينة الرها ولد عمره ست عشرة سنة اسمه عبد الاحد واسم امه مرغريتا تقيّ ذو رصانةٍ وذكاء فريدين وولعٍ في الخدم البيعية وقد تكثلك هو وابوه وغيرهما من قبيلته بهمة البطريرك . هذا ارسله عمه في اواخر سنة ١٦٩٤ الى مدرسة بروبكندا برفقة القس يعقوب ابن العفش فدخلها في ٩ تشرين الثاني وعكف بكل جهده عَلَى اقتباس العلوم والاداب فقضى درس الفلسفة حتى السنة الثالثة من اللاهوت فنبغ فيها وحاز قصب السبق على اقرانه ونال رتبة الملفان (٢) واقام القس يعقوب في رومية وكيلاً عن البطريرك

١ في المكتبة الواتكانية نسخة منه وهي في المصحف العربي عد ٦٨٩ وفي ورقة ٢٢٢ منه يقال « وقع الفراغ من نسخ هذا الكتاب في ٢٥ ايلول سنة الف وسبعماية واربع عشرة مسيحية عَلَى يد كاتبه اكليميس . ومنه كذلك نسخة في مكتبة الموارنة بحلب

٢ عن سجل قديم لتلامذة بروبكندا ص ١٧٩ : اكتشف عليه بطريركنا مار اغناطيوس افرام الثاني

الامي ورقة يشهد فيها برضاه ان يقام كوركيس بطركاً نختمها. ولما وصلوا الى ماردين اقنعوا حسين اغا حاكمها وباذنه اقاموا اسحق مفريانًا وكوركيس بطريركاً في ٢٣ نيسان سنة ١٦٨٧ (١)

٤٩ وكان كوركيس منذ ولي البطريركية قد وجه نظره الى معاداة الكاثليكيين . واتفق ان الدولة العثمانية خسرت اذ ذاك مدينة ساقز فارسل كوركيس مفريانه اسحق ابن المقدسي عازار الى القسطنطينية وفيها اتفق مع ملكا خاله فلاذ الاثنان ببطريرك الارمن وقدّما عرضحال الى السلطان مصطفى بتوسط الصدر الاعظم مضمونه : ان نصارى بلاد العرب قد صاروا فرنجًا على يد رهبان الفرنج وقد نووا ان يسلموا بلاد الدولة العلية لملوك الفرنج . وكان ملكا يسعى لدى الوزارة السنية بكل جده في مصلحة اخيه حتى اصدر السلطان امراً شريفاً يؤيد البطريرك الجديد . وفرمانًا ينهي فيه نصارى بلاده عن ان يصيروا كاثليكيين فتسلم اسحق تلك الاوامر وكرَّ راجعاً بها الى ديار بكر وسجلها في المحكمة واذ ذاك اخذ يزعج المطران اسحق بن جبير حتى طرده من كرسيه فسافر الى حلب . ثم سلم الاوامر ليد ابن اخته فتوجه بها الى حلب . واذ لم يمكنه ان يسجلها في محكمتها لان اسم حلب غير مذكور فيها : اقام في بيت المفتي وكتب الى خاله اي البطريرك كوركيس وملكا واخبرهما بالواقع . فبذل ملكا جهده حتى استحصل فرمانًا يتضمن تلك الاوامر وسيَّره حالاً الى ديار بكر فجاء به كوركيس الى حلب سنة ١٦٩٠ ومعه شمعون بن نقلا احد مطارنته وكان وصوله اليها يوم كان طاعون هائل سارياً فيها . وشرع في اول الامر

---

١ مجموعة اخبار الدولباني منقولة عن اخبار دير الزعفران

يحتال بالكاثليكيين فتظاهر انه يوافقهم في المعتقد القديم فأمنوا منه ثم غدر بهم وذهب الى دار الحكم ليسجل فرمانه فعزل البطريرك بطرس واستولى عَلَى كنيسة السيدة· ثم ارسل مفريانه الى ديار بكر ومكث هو في حلب مدة سنة ونصف سنة لا يفتر من المشاجرة والشكايات على الكاثليكيين(١) ولم يكن من سريان حلب موافقاً ومحباً له سوى بعض الجهلاء اجتذبهم اليه المطران شمعون بريائه اذ كان يدّعي بالقداسة واما اغلب الشعب فكانوا ثابتين عَلَى المعتقد القويم يونبون هذا البطريرك على تركه اياه بعد ان وافقهم فيه· وكان بعض الصبيان يسعون وراءه وامامه ويعيرونه عَلَى ذلك· غير ان شماسين مفسدين من تلامذة المطران رزق الله اتفقا مع هذا البطريرك وهما حنا بن منصور حمصي ونوري ابن القس ابراهيم فاقامهما قسيسين · وكانا قد طلبا من البطريرك بطرس ان يرقيهما الى الدرجة المقدسة فلم يستجبهما لان حنا كان احدب ونوري كان سكيراً · فاضحى الاحدب عدواً مؤذياً للكاثليكيين نظير يليانس المارق ووجه خاصة عداوته نحو العلامة الشماس نعمة ابن شكرالله قدسي حتى حرج عَلَى اتباعه ان يبعثوا اولادهم الى مدرسته· واتصل المرتدان المذكوران الى جمع حزب صغير للبطريرك كوركيس وخصوصاً يوسف بن برصوم والياس كجمون فكانا سنداً كبيراً له

٥٠ اما ما كان من البطريرك بطرس والمطران اسحق بن جبير فمنذ

١ عن ترجمة حياته التي في دير الزعفران وفي مجموعة القس جبرائيل دولباني · وجاء في حواشٍ معلقة عَلَى اول ورقة من كتاب سير قديسين بالكرشونية خاصة دير الشرفة الحاشيه الآتية : بتاريخ الفين واثنتين للاسكندر (١٦٩١ م) اتى الى حلب بطرك كوركيس الموصلي وحكم في حلب ونفي اصحاب الطبيعتين وطردهم من البيعة وأمر ان لا تذكر اصلاً عوائدهم الحديثة واخرجهم من البيعة هم وكتبهم وقدّس الميرون

الفصل الخامس

٤٨ وفاة عبد المسيح — كوركيس خليفته -- حنقـه عَلَى الحلبيين — خطفه البطريركية ٤٩ نيله فرمانًا — قدومه الى حلب ١٦٩٠ — رياؤه — استيلاؤه عَلَى الكنيسة ثالث دفعه ٥٠ اختفاء البطريرك وابن ُجبير — رسالة ابن ُجبير الى كوركيس — هربهما — استرجاعهما الكنيسة ثاني دفعة سنة ١٦٩٢ اقامة ابن ُجبير مفريانًا ورسامة قسوس وشمامسة — مثابرة المفريان على الوعظ

٤٨ وتوفي عبد المسيح بطريرك اليعاقبة في ديار بكر سنة ١٦٨٥ وبقي لهما بطريركان وهما البطريرك مراد في جبل الطور والبطريرك بهنام وكان يطوف في البلاد · ومات مراد فخلفه بطريرك آخر يقال له حبيب وكان امّياً لا يعرف الكتابة · وعَلَى اثر وفاة عبد المسيح اتى كوركيس المفريان من الموصل واستولى عَلَى البطريركية · وايضاحاً لمقالنا رمنا ان نلخص اخبار هذا كوركيس

كان كوركيس ابن الشماس موسى عبد الكريم الموصلي راهباً في دير مار متى شرقي شمالي الموصل انقطع اليه مع اخيه رزق الله واسحق ابن المقدسي عازار ابن اختهما وكان رئيس الدير يومئذٍ المفريان يلدا من قرقوش · وحدث انهم باشروا بترميم بعض ابنية الدير فوشي بهم الى الحاكم فزجهم في السجن ولما اطلقهم انصرف اسحق الى بلاد العجم وكوركيس الى حلب فلم يأذن له حينئذ البطريرك اندراوس ان يشترك في القداس بالكنيسة لانه لم يكن كاثليكياً فعاد الى ديره حاقداً كما اشرنا فرأى ان اسحق رفيقه كان قد عاد ايضاً من بلاد فارس

فقص خبره على الرهبان فعزموا على كسر شأفة الحلبيين واتفقوا على اختيار ثلاثة رجال يقيم احدهم بحلب ليراقب الكاثليكيين والثاني في القسطنطينية ليسعى باستحصال اوامر ضداً لهم والثالث ليتردد في البلاد وينقل الاخبار . وانجازاً لمؤامرتهم سألوا المفريان يلدا ان يمطرن كور كيس فأبى لانه لم يكن راضياً عنه . فوسطوا مصطفى اغا فاكره يلدا على رسامة كور كيس سنة ١٦٨٢ . ويروى ان المفريان عند نهاية الرسامة قال لكور كيس « اذهب فقد اقامك مصطفى اغا مطراناً » . وفي تلك السنة قدم رجل من البلاد يطلب مطراناً لبلاده عوض عبد الجليل الذي توفي ثم . فطفق كور كيس واسحق يرغبان المفريان يلدا في الذهاب الى تلك البلاد فذهب مستصحباً جومه وجمعه الراهبين وظلت الموصل بلا مفريان فتوجه كور كيس واسحق الى ديار بكر وتملقا عبد المسيح حتى اقام كور كيس مفرياناً للموصل واسحق مطراناً لدير مار متى (١) واخذ يترقب كور كيس وفاة عبد المسيح ليستولي على البطريركية وارسل لذلك اخاه الى القسطنطينية فاضحى خادماً عند احد الوزراء

فلما توفي عبد المسيح سنة ١٦٨٥ كما قلنا كتب اكابر ماردين منهم عبد النور المحتسب ويشوع بن فنه وسفر بن الجزل الى كور كيس يقولون ان البطريرك عبد المسيح قد تنيح ونحن خائفين ان ياتي بطرس بطريرك القائلين بالطبيعتين او ابن جبير مفريانه ليستوليا على البطريركيه فاسرع الينا ودبر الطائفة . فظعن كور كيس من ساعته الى ماردين مستصحبا المطران اسحق والشماس عبدالله بن مسعود ولما اجتازوا بجبل طور عبدين قدموا للبطريرك حبيب

---

(١) عن اخبار دير الزعفران

السسطاثيقون الذي بيد الاب المكرم ولدنا العزيز المبارك مار اثناسيوس سفر ابن المرحوم المقدسي حنا على مدينة ماردين العامرة ونصيبين وسائر القرى وزعقنا مع الآباء والكهنة ثلاث مرات اكسيوس والرب الاله يجعله مباركاً سعيداً الى ابد الآبدين آمين (١)

٤٧ ومما يدل على علو همة البطريرك بطرس المغبوط انه اغتنم الفرصة من توجه الاسقف سفر الى روميه ليلتمس له الاجازة من المجمع المقدس كي يجمع صدقات باسم البطريركية السريانية ولذلك حمله كتاباً لتلك الغاية . فتوجه الاسقف الجديد من حلب وبرفقته القس نعمة الله ناقد تلميذ بروبكندا وبقي القس نعمة الله في مرسيليه يرشد الاسرى الايطاليين في المستشفى

ووصل الاسقف الى باريس ومثل بين يدي الملك بزيّ اسقفٍ فرابه امره لان السيد بيكات وصفه في كتبه باسم قسيس . ولا سيما لانه كان ظهر في تلك الايام شابٌ محتال من يعاقبة ديار بكر يحسن اللغات العربية والتركية والفارسية وشيئاً من الايطالية يقال له كرناك او كرنوك . هذا خدع يوسف الاول بطريرك الكلدان فاقامه مطراناً على ماردين فسافر الى حلب وروميه بزي العوام ودخل مدرسة بروبكند في ٢٥ كانون الاول سنة ١٦٧٢ ليقرأ اللاهوت الادبي (٢) ثم خرج منها واخذ يجول في مالطه واوروبا باسم مطران يجمع صدقات باسم طائفة السريان فيتاجر بها وطبع كتاب اشعار وما زال يتظاهر كما قلنا حتى قبضُ عليه وأُودع السجن في نابلي وضاع المال الذي جمعه . ولهذا انكر الملك

١ الاصل محفوظ في مكتبة الشرفة البطريركية

٢ عن سجل تلامذة بروبكندا ص١٢٦ وعرف ذلك بهمة غبطة بطريركنا المفضال

مجلة وهي قطعة طويلة من الورق الملفوف : زالت ريبة الملك فقبله في بلاطه ضيفاً واعزه جداً ٠ ولما عزم علَى الذهاب الى رومية سلمه رسائل توصية الى قداسة البابا انكنتيوس الحادي عشر في شأنه وشان نصارى بلاد العجم فقوبل بالترحاب والاحترام

وسلّم الاسقف سفر كتب البطريرك بطرس لرئيس مجمع انتشار الايمان وشرح لهم حالة الفقر والضيق الحاصلة عليه البطريركيه واوقفهم علَى اطوار ايمة اليعقوبيين وان الامل معقود في اجتذاب شعب منهم الى الايمان القويم بواسطة كهنة او رهبان يتربون تربية كاثليكية واستأذن بالذهاب الى بلاد اميركا وكانت تسمى اسبانيا الجديدة لجمع احسانات سداً لحاجات البطريركية السريانية ٠ فطفقوا يتشاورون فى ذلك وكاتبوا ايضاً البطريرك بطرس ٠ وبعد الانتظار مدة سمح الحبر الروماني للاسقف سفر بالذهاب الى بلاد اميركا لتلك الغاية وكتب له رئيس المجمع شهادة على احتياجه ورخصة لجمع الاسعافات فبارح الاسقف سفر مدينة رومية سنة ١٦٩١

٤٦ واليك صورة الصك بتصرف:

اغناطيوس الضئيلي عبد عبيد الرب يسوع وبرحمته تعالى بطريرك الكرسي الانطاكي:

نهدي السلام والبركات الى اولانا المحبوبين الكهنة والشمامسة والاراكنة وسائر الشعب المستترين تحت ظل مراحم القدوس في مدينة ماردين العامرة اعني شعب المراعيث (الخورنيات) الثلاث في بيعة الاربعين شهيداً ومرت شموني ومار ميخائيل وسائر القرى المحيطة بها اي القصور وقلعة المرأة والمنصورية وبنابيل ودير هليا وكليبين وقرى المشقوق والابرهيمية وما يليها فلتحرسكم العناية الربانية وتحفظكم بالملائكة المقربين آمين

وبعد فننهي الى امانتكم الصادقة بان معلم الاسرار الالهية بولس الرسول يهتف قائلاً: ليس الامر بيد من يشاء بل بيد من يسعى ولا بيد الله المترحم «روميه ٩ : ١٦» الذي من عنده تهبط كل عطية صالحة وكل موهبة كاملة «يعقوب ١ : ١٧» بواسطة روح القدس الذي لما رآنا مرتبكين في امر انتخاب راعٍ صالح ومدبر فالح لنقيمه على كنش(١) ماردين المباركة التي هي منذ القديم فخر المراعيث وبها يفتخر كل المؤمنين من اجل ايمان سكانها وغيرتهم على حفظ القوانين الرسلية والنواميس المقدسة والاوامر الانجيلية ۰ الهمنا ان نختار لكم اسقفاً يرعاكم فلمحنا شخص ولدنا المبارك الاسقف سفر وفاضت محبتنا عليه كما فاضت قارورة الطيب بيد صموئيل على داود «١ مل ١٦: ١٣» وتراءى لنا ان هذا المنتخب هو مسكن للروح القدس اصطفاه الرب من حشا أمه لهذه الخدمة وانه يستحق الرياسة الكهنوتية من اجل كماله

١ كنش لفظة سريانية يراد بها جماعة

بالمحاسن والاعمال الخيرية والفضائل المتنوعة والعلوم الربانيـة · ولذلك توالت الاصوات لكون دعوته من روح القدس فدعي مار اثناسيوس ويستحق هذا الاسم حتى زعقنا نحن والاساقفة الحاضرون اكسيوس اكسيوس اكسيوس يستحق ويستوجب الراعي ورئيس الكهنة مار اثناسيوس مثل الرسل القديسين ان يربط ويحل ويحكم ويكرس قسوساً وشمامة ورهباناً ويقدس مذابح وكنائس ويأخذ من عقود الزواج حق القلاية من رعيث ماردين وما يليها · فالذي يربط ويُحرم من هذا الاسقف يكون مربوطاً ومحروماً من الله ومن حقارتنا · والذي يبارك عليه يقبل البركات من الله والصلوات من ضعفنا · فيجب عليكم ان تفرحوا وتشكروا الله وتستقبلوا هذا الراعي الصالح وانتم حاملون اغصان الشعانين هاتفين اكسيوس كما قلنا نحن الاساقفة وقت تكليله واعلموا اننا قد وضعنا كلمتنا في فمه فينبغي ان تسمعوا اله وتوقروه · ونتوسل اليه تعالى ان يكون قدومه اليكم مباركاً به يتم فرحكم ويزول حزنكم وتنمو ثمراتكم · وقد اوصينا ولدنا السعيد مار اثناسيوس ان يسلك طريق الحق ولا يخترع بدعة تخالف تعاليم البيعة وطريق الاباء القدماء ولا يزدرى بطقس الكهنوت ويمنحه بالباطل وعدم الفطنة واما انتم فعليكم ان تحبوا اسقفكم وتساعدوه في تشييع البيع والاماكن المقدسة ونسأل الله ان يحرسكم ويحفظ اولادكم ويسكنهم في بحابح الجنان مع ابراهيم واسحق ويعقوب بشفاعة معدن الطهر والبركات ام النور والحيوة القديسة مريم العذراء والدة الله ومار بطرس وبولس ولفيف الشهداء والقديسين آمين والمجد لله دائماً

وذيل السسطاتيقون بامضائه وخطه ديونوسيوس رزق الله امين خان مطران حلب · وفي آخره كتب البطريرك مانصه : لما كانت سنة ١٦٨٥ اتيتنا هذا

الشرع : افندم انك ان اصغيت الى دعاوي هذا البطريرك الخرفان يقتضي ان تفتح محكمة الشرع له وحده فانه منذ عدة سنوات يتعب الحكومة · ومراده منها ان تجبر سريان حلب على اتباعه وهم كما تعرف حضرتك لا يريدونه بطريركاً عليهم · ثم التفت الى عبدالمسيح وقال له بصوتٍ عالٍ سمعه رغماً عن طرشه بسبب الشيخوخة · انك معزول فلا حق لك على بطريركنا · فقال عبدالمسيح اني رفعتُ دعواي عليه فلا بد من احضاره الى شرع الله · فاومى القاضي ان يُستدعى البطريرك بطرس فحضر فلما لمحه عبدالمسيح قال سلطانم ان خصمي هو ابن اختي وانا ربيته وصيرته مطراناً فاكل خبزي وعصي عليَّ فصار فرنجياً · قال النائب اسكت لا تقل فرنجياً لان بين سلطان المسلمين وسلطان فرنسا صلحاً ومودةً · فلا تهيج عداوة بسبب خبزك · وانما اسمع نصيحتي انك شيخ طاعن في السن فالاجدر بك ان تقعد في بيتك ويقوم ابن اختك بمعيشتك · قال يا سلطانم انا البسته الشال الذي برأسه (١) فليرده اليَّ · فقال القاضي لبطرس اعطه الشال قال حباً وكرامةً فليرجع معي وانا اعطيه احسن منه · ولدى هذا الجواب احتد عبدالمسيح غضباً وطفق يصيح باعلى صوته قائلاً : فليعطني الشال ههنا اني اريده الساعة الساعة · ثم قال المطران امر الله ورفقاؤه : افندم ان طلبه هو بموجب ديننا وطريقتنا (٢) فانتهرهم القاضي قائلاً : ألاجل ذراع من الشال تضجون

---

١ عنى بالشال اسكيم الرهبانية او القباعة التي يلبسها الرهبان والاساقفة السريان في رؤوسهم تحت القاوغ اما الروم فيضعونها فوق القلنسوة

٢ يعتقد المتاخرون من اليعاقبة وهماً وجهلاً انه بنزع الشال من راس الاسقف والفير اعني العرقية السوداء من راس القسيس تنزع عنهما درجة القسوسية او الاسقفية

في محكمة الشرع وامر بضربهم فشفع البطريرك بطرس لدى القاضي بخاله شفقة على شيخوخته فعفى عنه وامر بضرب الآخرين · وبعد ذلك عاد البطريرك عبدالمسيح الى ديار بكر والمطران امر الله الى دمشق واستقر البطريرك بطرس في حلب بسلام

٤٥ وكان القس سفر المارديني يومئذٍ مقيماً باصفهان بصفة ترجمان للسيد بيكات · ففي سنة ١٦٨٤ انفذه السيد بيكات من همذان مصحوباً بكتب منه الى سلطان فرنسا والى رومية اخبر فيها عن حالة بلاد العجم المدنية والدينية وفي جملة ماكتب السيد بيكات الى صديق له في رومية اسمه سبين ما نصه: ابذل جهدك في اعزاز حامل كتابي هذا القس سفر ليكرم المجمع المقدس مثواه فانه كاهن فاضل عالم يحسن التكلم باللغات الشرقية والوعظ بالعربية والتركية · وقد انتدب الى الاسقفية اكثر من مرة (١) · فلما وصل القس سفر الى حلب: قال له البطريرك بطرس: انك منذ قدومك حلب لاول مرة كنت منتخباً حسب غاية سالفنا السعيد الذكر لتسوس الشرزمة الكاثليكية التي في ماردين وما يليها وتجتذب في الوقت نفسه اولادنا السريان المنفصلين الى طاعة الكرسي الرسولي· فنري من الصواب ان لا تترك هذه الغاية المقدسة بل تبذل النشاط وراء ذلك· وها انا قد عزمنا ان نقيمك اسقفاً لماردين فتذهب اليها وتنجز مانؤمله منك· فرضي القس سفر برأي البطريرك لكنه استأذن ان يكمل سفره رغبة في فائدة الطائفة فاجاز له ذلك ورقاه الى الدرجة الاسقفية على ماردين ونصيبين سنة ١٦٨٥ ودعاه اثناسيوس ودفع بيده السسطاتيقون اي صك الشهادة باسقفيته

١ الاثار الخطية ص ١٠٤

احد رهبانه الى القسطنطينية فاستغفل اولي الامر في هذه المرة واستحصل امراً جديداً ضد الكاثليكيين وذلك سنة ١٩٨٥ فعاد الى ديار بكر ثم جاء الى حلب وذهب الى دار الحكم وسجل ذلك الامر وتمكن من طرد الكاثليكيين من البيعة واستولى عليها ودخلها مع مطرانه امر الله · لكنه لم يتهنا بذلك طويلاً لان البطريرك بطرس تأهب من ساعته للمدافعة عن حقه والتجأ الى الله عز شأنه ان ينصره واستنجد سفير فرنسا بتوسط اصحابه · واليك ما كتبه الى رئيس المرسلين الكبوشيين:

فلتحل بركة الاله على هامة الاب اور بان دي باريس الرئيس العام على الاباء المرسلين الكبوشيين الموقر

اما بعد فان ما جرأني علىَ ان اعتصم بكم اليوم اعتصامي بابي وصديقي الصدوق هو انني منذ كنت عندكم في القسطنطينية : اطلعت على سموّ فضائلكم وغيرتكم الرسولية وعلى مزيد لطفكم الغني مما ابنتموه لي بلسان فعالكم · وعليه التمس منكم السعي لدى فخامة سفير دولة فرنسا في ان يؤيدني في منصبي البطريركي لاخزاء الهراطقة ورفع شأن البيعة الرومانية التي في جملة المحتمين في صيرتها هم الاباء الكبوشيين رهبان دير تورينو اخوتكم الذين بمحادثتهم المقدسة وعيشهم القشف الجذاب حملوني على الاقتداء بهم ولما كانت ابوتكم اكثر تقرباً ممن سواكم الى فخامة السفير لكونكم كاهن معبده ومعلم ذمته فلا احد سواكم يمكنه ان يوليني هذا الاحسان · فابذلوا جهدكم للسعي في انجاز ما ابدأتم بـه ذاكرين المثل الشائع ان الذي يعطي الوجود يلتزم بحفظه · انتم اعطيتموني الوجود الروحي اذ صيرتموني كاثليكياً ثم بطريركاً زايدتموني لاول مرة بالفرمان السلطاني في القسطنطينيه و ببرأة التأييد في رومية حتى حصلت من الاب

الاقدس ابي المؤمنين على الباليون وعلى مايتين وخمسين ريال راتباً سنوياً ٠ بحيث انه لاينقصني اليوم سوى محافظتكم على منصبي بالغيرة التي عهدتها فيكم الى الان ٠ وهذا العمل كما لايخفى عنكم راجع الى خلاص الوف من الانفس التي اصبح اهتداؤها اسهل من ذي قبل وذلك على اثرنا نحن بطريركهم واساقفتهم ورهبانهم وغيرنا من الذين انضموا الى البيعة الرومانية ام سائر البيع ورئيستهن٠ قد كان بودي لولا خشيتي من التكرير والملل ان اتشرف بالكتابة في هذا الصدد الى فخامة السفير وقرينته المبجلة كما ايضاً الى موسيو فابر صديقنا الصدوق ٠ والمرام هو تخجيل وردع الرجل الذي اختلس اسقفية حلب « المطران امرالله » مع كونه متزوجاً فمقته الجميع حتى الهراطقة

الحقير

عن حلب ١٢ تشرين الاول سنة ١٦٨٦

اغناطيوس بطرس

بطريرك انطاكيه وطور عبدين (١)

ثم كتب الى الباب العالي واستعطف الصدر الاعظم من اجل حقوقه ٠ فلم تمر ايام الا وافاه امر سلطاني جديد تاريخه سنة ١٠٩٧ هجرية بـه استرد الكنيسة ٠ فاغتاظ عبدالمسيح وقصد المحكمة مع المطران امر الله وبعض من الشعب وقدم شكاية على ابن اخته ٠ وكان القاضي من الاشراف يقال له طه زاده ذا طبع حادّ ٠ وحضر وكيل البطريرك بطرس بتوصيةٍ من القنصل واسم الوكيل عبد الحي ٠ فلما دخل ووجد البطريرك عبد المسيح واقفاً قال لنائب

١ عن النسخة الفرنساوية التي وجدها غبطة بطريركنا العلامة في دير مار لويس للكبوشيين في القسطنطينية

ووضع كتاب مرعاف اي اشتقاقات وتصاريف الافعال السريانية للمبتدئين وسمه باسم (انارة الاحداث) وجعله على نسق الاشتقاقات العربية مقتدياً بالنحو اللاتيني فاضحى افصح كتاب بهذا المعنى ورغب الناس فيه ونسخوا عليه عدة نسخ يتداولها القراء حتى اليوم (١) وصنف ايضاً كتاب مدرك النجاة ومحجة الفوز بالحياة في صدق الكنيسة المصطفاة بحث فيه عن سر التجسد وفند اراء البدع المرقيونية والاريوسية والنسطورية والمنوفستية وسواها واستشهد فيه مار اوغسطينس والمعلم سكوتو وخاصة مار توما الاكويني علاوة على شهادة ملافنة السريان وذلك في كلامه عن الاتحاد الاقنومي وامكانه (٢) وله تآليف أخرى كثيرة سنأتي على ذكرها في ما بعد

اما البطريرك بطرس فكان يئن تحت ثقل الاضطهادات التي اثارها عليه اعداء الدين فضلاً عن تراكم الديون عليه بسبب الدعاوي والغرامات ومما زاده ابتئاساً انقطاع الاسعاف الذي كان يرده من المجمع المقدس بامر الحبر الاعظم وذلك لسبب الاخبار غير الصحيحة المار ذكرها · ومع ذلك فلم تسمح له كرامته ان يشكو حاله لاحد حتى احس به القنصل فرثى لحاله وحمله على ان يكتب الى

١ لهذا الكتاب نسخ عديدة منها واحدة في مكتبة غبطة بطريركنا العلامة وواحدة في دير الشرفة والثالثة في مكتبة الآباء اليسوعيين ببيروت وغيرها في مكتبة بهنام زكو بالموصل

٢ لهذا الكتاب نسخ ايضاً منها نسخة بخط قاعدي ظريف خاصة دير الشرفة واخرى تخص القس جرجس منش الماروني وهي مصدرة باسم مؤلفها طيمناوس اسحق ابن جبير الموصلي مطران آمد· وفي اول ورقة من الكتاب يقرأ هكذا « قد امتلك هذا الكتاب فتح الله بن سفر اشتماً السرياني في ٢٥ ايلول سنة ١٧٢١ « راجع مجلة المشرق سنة ١٩٠٨ ص ٣٧٢»

نكنيتوس الحادي عشر عن احواله واحتياجه (١) فكتب وارسل الكتاب مع وكيله الاب بوناونتورا الكبوشي · فلم يبطء ان وافاه الجواب سنة ١٦٨٣ · ومن جملة ما كتب اليه حبر الاحبار قوله « يجب عليك ان تؤدي واجبات وظيفتك السامية وتقوم بصدر راعوي قبالة المضادات الممكن حدوثها ··· وانك عالم ان اوجاع هذا العالم مهما اشتدت لا توازي المجد المزمع ان يظهر فينا (٢) فكان هذا الكلام نبوة فاه بها حبر الله وكأنه اشار الى ما كان عتيداً ان يحل بهذا البطريرك القديس من الاضطهاد اذ حُبس ونفي من اجل الايمان فمات شهيداً

الفصل الرابع

٤٤ مخاصمة عبدالمسيح لابن جبير وطرده اياه من آمد بفرمان = ضبطه كنيسة حلب ثانيةً وردها = مرافعة البطريرك الى المحكمة = خيبوبة عبدالمسيح
٤٥ عودة القس سفر = تسقفه على ماردين سنة ١٦٨٥
٤٦ صورة صك اسقفيته = ٤٧ ربية ملك فرنسا
منه واكرامه له = رخصة بروبكندا
له للجولان في بلاد الهند
اقامة البطريرك نائباً
بروميه

٤٤ وكان البطريرك عبدالمسيح يتأجج غضباً على البطريرك بطرس ابن اخته ويأسف اعلى خروج رعية حلب من يده · وما زال على هذا حتى انفذ

١ شذرات اخبار دي ارو يو ج ٦ ص ٣٧٨

٢ عن السجلات الواتكانية بين رسائل انكنيتوس الحادي عشر الى الملوك في السنة السابعة والثامنة لحبريته ورقة ٢٠ و ٢١

قاطعاً باستعرافه بطريركاً على السريان وذلك بتاريخ ٢٥ نيسان سنة ١٦٨٢ (١) لكن الاضداد كرّروا الشكاية عليه عندما رأوا فوزه . وللوقت سير البطريرك ذلك الخط الشريف الى حلب (٢) الى يد المطران رزق الله . فما كان من عبد المسيح الاّ انه هرب من حلب الى ديار بكر وهو يثلب الكاثليكيين والمرسلين باقوال كثيرة مهينة (٣) وكان وصول الخط الشريف الى حلب يوم جمعة الاربعين من الصوم الكبير سنة ١٦٨٢ وفي الغد اعني يوم سبت لعازر تسجل في دار الحكومة بامر محمود باشا الحاكم والقاضي والمفتي . فاستلم الكاثليكيون الكنيسة ورفعوا منها صورتي ديوسقورس وبرصوما واجروا الخدمة الالهية حسب المعتقد الكاثليكي . وحاول احد السريان اليعقوبيين الحاضرين في الكنيسة احداث شغب فاتفق مع ستة من اقرانه وارادوا اعادة ذكر ايمتهم في القداس والصلاة وطردوا المطرانين من البيعة وذهب ثلاثة منهم الى الوالي يقولون: اعلم يا افندينا ان البطريرك الذي يريد الاستيلاء على كنيستنا هو فرنجي فلا نرضى ان يترأس علينا فاوعز اولاً الوالي بتسجيل تقريرهم ثم امر بضربهم وحبسهم لتمردهم على الاوامر السلطانية وبالجهد الجهيد امكنهم ان ينجوا بعد ان ادوا غرامة وهكذا وقعوا في الحفرة التي حفروها لغيرهم (٤) وبسبب ذلك انقضى عيد احد الشعانين دون قداس ولا حفلة ومكث القسوس في السجن خمسة عشر يوماً اعني حتى

١ رسالة السفير دي كراك سنة ١٦٨٢ الآثار الخطية ص ١٠٥ و١٠٦

٢ عن خبر البطريرك بطرس كتب سنة ١٧٨٣ وهو محفوظ في كنشلرية القنصلية بحلب . طالع الآثار الخطية ص ٩٩ و١٠٠

٣ شذرات اخبار دي ارويو جزء ٦ ص ١١٣

٤ الآثار الخطية ص ١٠١ عد ١٦

الاحد الجديد وفيه بلغ البطريرك بطرس الى حلب فوفى ما فُرض عليهم من الغرامة فاطلقوهم ورافقوا البطريرك من السجن الى الكنيسة وصلوا صلاة الشكر لله عَلَى نجاتهم

٤٣ واستمر البطريرك في حلب ملازماً الكنيسة حريصاً عَلَى رعيته العزيزة وبعد ايام رسم الشماس سفر المارديني ابن حنا العطار وعبدالله بن بيشاي وغيرهما من الذين كانوا درسوا في مجمع انتشار الايمان برومية وكان القس سفر المارديني المرسوم حديثاً قد اختاره السيد بيكات ليصحبه الى بلاد العجم بصفة ترجمان وابقاه في حلب ريثما ترده الهدايا من سلطان فرنسا لتحمل الى شاه العجم. فلما ان وردت الهدايا توجه بها القس سفر الى اصفهان الى السيد بيكات وانصرف كذلك المطران غريغوريوس يشوع الى اورشليم مقره. ورسم البطريرك ايضاً شمامسة من عائلات شريفة ومن تلامذة المطران يشوع واخصهم نعمة الله ابن الخواجاقدمي. وسليمان بن سفر خوري. وعبد الاحد بن سفر شقيق البطريرك. فانتظمت الكنيسة بكهنتها وخدمتها عَلَى ما يرام

ولما تواردت اخبار فوز الكاثليكيين الى لبنان رجع القس اسحق بن جبير الموصلي الى حلب فرقـاه البطريرك الى درجة الاسقفية عَلَى ديار بكر ودعاه طيمثاوس عَلَى اسم سالفه طيمثاوس عبد الجليل المذكور انفاً. وفي اواخر سنة ١٦٨٢ سافر الى مرعيته ليسوس السريان الكاثليكيين الذين فيها وفي سائر بلاد ما بين النهرين. ولما وصل الى مقره شرع يجمع ابناءه تارة الى بيعة الكبوشيين وتارة في كنيسة الكلدان. وكان صديقاً للابوين انجلو ويوسف الكبوشيين. وتمكن بوعظه وكتاباته من نشر الديانة الكاثليكية في تلك الجهات. وكان هذا الحبر العلامة عاكفاً عَلَى الدرس والمطالعة والّف كتباً شتى لفائدة بني جلدته.

وفي تلك الايام قدم القس اسحق بن جبير من رومية الى حلب فلما وجد
الاحوال متغيرة والكاثليكيين مدعرين والبطريرك غائباً: رجع علَى وجهه الى
لبنان واقام هناك ينتظر اخبار الفرج

وفي تلك الاثناء لما كان الاباء اليسوعية المقيمون بحلب راغبين ان يمدّوا رسالتهم
الى جهات ما بين النهرين وذلك منذ كان البطريرك اندراوس قد شوّقهم اليه
اخذوا رخصة من المجمع المقدس فقفل البادري ميخائيل نو مع اخ اسمه هيلار
متوجهاً الى ماردين واستأجر بيتاً فاجتمع اليه الكاثوليكيون وشرع يرشدهم في
ما كانوا يجهلونه · فلما سمع اليعاقبة والارمن خبره وشوا به الى حاكم البلد فطرح
الاثنين في السجن وحدّ عليهما غرامة ادياها وعادا الى حلب سنة ١٦٨٢ · ومن
توجه البادري ميخائيل الى فرنسا حيث جمع اسعافاً وعاد الى ماردين بزي طبيب
وقد عزم ان يبشر طائفة الشمسية ايضاً اذ قيل له ان اصلهم مسيحيون وكان
برفقته البادري يوسف بسون والاخ هيلار · فلما وصلوا الى جبال الشمسية (١)
سلبهم اللصوص وجرحوهم فلجاوا الى ماردين ومال الناس اليهم اكثر من
الاول طمعاً في الطب ورجع اثنان منهم الى جبل الشمسية فنجحا · اما الذي
تخلف في ماردين فوشي به ايضاً فالقي في السجن مع اثني عشر رجل من الاهالي
وجدوا عنده لاستماع تعليمه وحدّت عليهم غرامة ثانية اداها المرسل فاطلقوا
وعادوا المرسلون الى حلب خائبين (٢)

١ ان في ماردين فرقة من اليعاقبة يقال لهم الشمسية حتى اليوم وكانوا يعبدون الشمس
ومع انضمامهم في المذهب الى اليعاقبة استمروا علَى عوائدهم · وانهم لا يتزوجون الا من بعض
بعض (راجع اخبار الدولباني فلعلهم بقايا الذين بشرهم اليسوعيون)

٢ اخبار الدولباني جزء ٦ ص ٧٠ و٢٨٢ و٣٦٠

الفصل الثالث

٤٢ مساعي البطريرك بطرس = استرجاعه الكنيسة لاول مرة بقوة فرمان ابكام الاضداد ٤٣ راحته = رسامته كهنة = سفر القس سفر الى العجم والمطران يشوع الى القدس = عودة ابن جبير = اقامته مطراناً لديار بكر = سفره اليهـا = مصنفاته سد احتياج البطريرك = تعزيته بكتاب من الكرسي الرسولي

٤٢ واما ما كان من البطريرك بطرس فانه لما وصل الى القسطنطينية وسلم ب القنصل للسفير موسيو دي كيراك رحب به و بذل جهده في مساعدته· دّم البطريرك عرض حال الى الصدر الاعظم ذكر فيه الخط الشريف الذي .ه متظلماً من خصمه و كان اهل الخير يغيثونه لدى الباب العالي بجاههم الهم · غير ان هذه المساعي ذهبت كلها فراغاً لان خصومه كانوا قـد هيجوا ب الصدر الاعظم عليه فانتظر سنة كاملة اوشك فيها ان يقضى عليه سنق فاختفى وما زال يصلي الى الله بدموع حارّة حتى انفتح له باب الفرج هي رهبان مار فرنسيس وو كيليهما في العاصمة الاب عبد الاحد كرديزافال رسيو يوحنا مونيه · فجعل يوحنا دأبه الدفاع عن البطريرك امـام الصدر عظم وكان الصدر يحتج بما كان الخصوم اوهموه به من ان البطريرك فرنجي ـنيه يؤكّد له انه عثماني وان اباه وآله معروفون في مدينة الرها وان شكاية سومه ليست الا افكاً وافتراءً فاذعن الصدر واصدر خطاً شريفاً يحوي امراً

وفي غرة اذار من سنة ١٦٨١ اجتمع نحو ثلاثين رجلاً من انصار عبد المسيح وانطلقوا الى القنصل يطالبونـه باموال الكنيسة · فلاطفهم واراهم الوثيقة فانصرفوا · لكنهم عرضوا دعواه على القاضي وطلبوا حضور القنصل فارسل ترجمانيه اسحق صرمون وكسبر ناطس · وحضر ايضاً عبد المسيح البطريرك · فلما اطلع القاضي على الوثيقة قضى ان لا يتسلم صندوق المصاغ الا الذي سلمه بيده · فاغتاظ البطريرك وانصاره وكانوا يقذفون القنصل والمرسلين حتى القاضي مفترين عليهم فاحتدم القاضي غضباً وشتمهم وكاد يامر بضربهم فخرجوا من المحكمة هرباً (١)

وثنى البطريرك عبد المسيح على الكاثليكيين وعلى اكابرهم واغنيائهم خاصةً يطالبهم بمبالغ جسيمة لقاء ماصرفه في القسطنطينية وحلب على نيل الخط الشريف واجرائه · واذ رفضوا طلبه قذف حرمهُ عليهم واذاق بعضهم مرارة الحبوس والضرب · ونكايةً بالكاثليكيين رقى الى درجة القسوسية خمسةً من الذين وافقوه وهم سركيس بن شحاذة الشاعر وشحاذه بن عبد العزيز وابراهيم بن نوري وفرج الله بن ملاشه وابرهيمشاه بن يعقوب شاه مسلم النحو والتوكيد وقسبلس متزوج شديد البغضة للكاثليكيين اسمه القس امر الله اقامه مطراناً على حلب ·

غير ان الشدة التي كان عبد المسيح يعامل بها الجماعة افضت الى فرج عن الكاثليكيين · وذلك انه لم يكتف بانزال الحرم على احد الشبان السريان الذين ابوا مخالطته في الدين بل قدّم الشكاية عليه الى ديوان قادر اغا متسلم المدينة بدعوى انه منذ ستة اشهر انقطع عن بيعة طائفته وكان يتردد الى بيعة الموارنـة

١ شذرات اخبار دي ارويو ج ص ٥٧—٦٢ راجع ايضاً الآثار الخطية ص ١٠٠

فطُرح في السجن . وكان الشاب وحيداً لامهِ فكبر امر حبسه في عينيها فبادرت الى المحكمة تشتكي قائلةً يامولانا القاضي ان هذا البطريرك منذ قدم بلدتنا التقى القلق والفساد بيننا وتجاوز الاوامر المعطاة له وذلك باكراهه جماعتنا السريان علَى ان يقدموا لاصحاب البدع المقبولين في طائفته الاكرام الواجب للاولياء الله القديسين ويجبرهم على قبول تعاليمهم المخالفة لتعليم الحواريين والمسيح . ولما لجأنا الى كنائس غيرنا تخلصاً من اذاه شرع يطالبنا باموال تفوق طاقتنا ويعاقبنا بطرائق لاتقبلها الحكومة السنية حتى سعى في حبس ولدي ظلماً واتت ببينات على كل ماقررته .

فاستُدعي البطريرك عبدالمسيح الى المحكمة وأحضر المحبوس لدى القاضي فتكلم مثل امه . فقال القاضي للبطريرك ماجوابك . قال البطريرك كل ماقرره الشاب صحيح . غير اني لم أُجرِ ذلك الا بموجب قواعد ديننا وطريقتنا . فلما قال هذا احتد القاضي وامر بضربه فترامى اصحابه علَى قدمي القاضي قائلين انه شيخ لايحمل الضرب فكف عنه واطلع الوالي علَى الدعوى فاطلق الشاب وحدّ علَى البطريرك غرامةً اداها ولم يعد بعدها يتعرض للكاثليكيين (١)

٤١ وكان السيد بيكات يريد السفر الى اصفهان وقد عين الشماس سفر الماديني ترجماناً له في اللغة الفارسية . غير انه لما كان هذا منتظراً عودة البطريرك بطرس ليقيمه كاهناً . وكان الزائر الرسولي ايضاً منتظراً هدايا من سلطان فرنسا الى صوفي شاه سلطان العجم : خلف ترجمانه في حلب وسافر هو في ٣٠ نيسان سنة ١٦٨٢ علَى ان يحمل اليه الشماس سفر الهدايا من بعد ان يقام قسيساً

١ عن شذرات اخبار اروبو ج ٦ ص ١٦٤ = ١٦٧

صلى جمع القناديل والصلبان والمراوح والكاسات مع سائر الآنية الثمينة ووضعها في صندوق واتى بها الى دار القنصلية لينجو بها وبحياته · ولحقه المطران يشوع وبعده المطران رزق الله · لكنه لمح الجنود مقبلين الى الكنيسة مع خلق كثير فاختفى في احد بيوت المؤمنين

وكان الاباء المرسلون قد اجتمعوا في دار القنصل اذ كان السيد بيكات حاضراً وفيما هم يتأسفون على مصاب البطريرك وانصاره واذا به دخل عليهم بغتة فتلقوه مدهوشين وكانوا يرثون لحالته ويعزونه · فقال لهم ان لا وقت لي اضيعه وانما مرادي السفر الى القسطنطينية حالاً لاسترد الكنيسة واملي بسيدنا يسوع المسيح وبشفاعة السيدة أمنا اني لا اعود اليكم الا ظافراً فهلاً ساعدتموني · على انه من اين لي المصاريف الكافية لاستحصال الاوامر · وماذا يكون من رعيتي اذا ما تخللتها الذئاب · اني اخشى ان يفسد العدو الجاهل في قليل من الزمان ما تعبنا لاصلاحه بكدٍ ونصب مدة سنوات فيعز العلاج بعدها

ولدى هذا الكلام دمع الحاضرون · فقال له الباتري ميخائيل نو اليسوعي اني انا ورفقاي مستعدون ان نبذل جهدنا في تفقد رعيتك وكذلك قال الكبوشيون ورئيسهم · ووعدوه انه سوف يجد في القسطنطينية اسعافاً اكبر من حاجته فشكرهم واخرج من عبه وثيقة مختومة بختمه كان قد كتبها قُبيل ذلك اقر فيها انه مديون الف غرش لموسيو اروبو قنصل دولة فرنسا بحلب وانه اودع عنده رهناً عن هذا المبلغ صندوقاً حاوياً مصاغاً بيعياً على ان لا يسلمه لاحدٍ غيره وذلك عند استيفاء حقه المذكور (١) فلما قرأ القنصل الوثيقة قال له مبتسماً

١ الآثار الخطية ص ١٠٠ عد ١٥

ني لم اقرضك المبلغ فكيف استلم الرهن والوثيقة · غير ان السيد بيكات قاطع كلامه وسلمه الف غرش من عنده ليسلمها للبطريرك · فلما قبضها قال له السيد بيكات : اقبل هذا المبلغ هديةً مني لتنفقه على سفرك · والتمس من القنصل ان يحافظ عَلى الوديعة بقدر استطاعته ويساعد البطريرك في مسألته · فكتب الى السفير كتاب توصية وسلمه للبطريرك · وفي تلك الليلة نفسها توجه البطريرك مستصحباً المطران يشوع الى اسكندرونة فالقسطنطينية

٤٠ ومن بعد سفر البطريرك طفق الاباء المرسلون يفتقدون العائلات ويرشدون الشعب ويحثونهم عَلى الصبر والثبات · وكان بالعكس انصار عبدالمسيح يثلبون الكاثليكيين ويبالغون في وصف قداسة بطريركهم انه مستجاب الدعوة · والذين لاينقادون الى طاعته يخيفونهم بكيت وكيت من الاضرار · وكثيراً ما اخذوهم الى عبدالمسيح او ذهبوا به الى بيوتهم بحجة الصلوة على رؤوسهم · وما زالوا عَلى هذا حتى استمالوا كثيرين الى حزبهم البعض عن يقين والبعض حياءً او مخافةً من دعائه عليهم او انزال الحرومات بهم

ولما بلغهم عمل المرسلين غضبوا واخبروا بطريركهم فرافقهم الى المحكمة وطفقوا يندّدون بالمرسلين قائلين انهم اعداء السلطان والدولة العلية · وزعموا انهم مستعدون ان يأتوا ببينات اثباتاً لذلك · وكان القاضي عالماً بحقدهم ويكذب مدَّعاهم وخاف ان يلج مسألةً تمس السياسات السامية فانتهر المشتكين وصرفهم وهو يقول لهم : ان الصلح سائد بين سلطاننا وسلطان الفرنج فلا تفسدوه من اجل تغرضاتكم او ما كفاكم انكم ضبطتم الكنيسة · فخرجوا مغتاظين وهم يكررون مقالتهم عن البطريرك والمرسلين باعلَى اصواتهم · حتى امتنع المرسلون من الجولان في البيوت زماناً

الاقليروس حسب الطقس ترنيمة سريانية وخرجوا من الكنيسه مع البطريرك والمطارنة والقسوس والوجهاء الى القلاية فباركهم البطريرك ثم عزمهم الى الفطور وكانوا متعجبين من الطقس السرياني البديع وانتظامه الجميل وانصرفوا متهللين شاكرين· ذلك كله دليل على قدر البطريرك بطرس شاهبادين ونشاطه فكأني بهاتف يقول الا فلمثل هذا فليعمل العاملون (١)

الفصل الثاني

٣٨ استيلاء عبدالمسيح عَلَى الكنيسة لاول مرة — ازعاجه المؤمنين بقوة خط شريف ٣٩ شجاعة البطريرك بطرس — نشاطه — سفره الى العاصمة ٤٠ اعتناء المرسلين في الرعية—خصام الاخصام اياهم والقنصل معاً — ابكام القاضي اياهم — تنكيلهم بالمؤمنين —تخجيل عبدالمسيح وكفه عَلَى يد امرأة ٤١ سفر السيد بيكات الى العجم — عودة ابن جبير من روميه هربه الى لبنان — رسالة اليسوعية في ماردين

٣٨ اما البطريرك عبد المسيح فعند ما بلغته هذه الاخبار اخذ يتنغص· ولا سيما لان البطريرك بطرس كان ابن اخته والاسقف بشاره نائبه فلم يرَ بداً من الذهاب الى القسطنطينيه حيث اقام زماناً يحاول و يتوسل و ينفق الاموال

١ راجع شذرات اخبار اروبو ج ٧ ص ٣٥ — ٤٠

عَلَى يد وكلاء بطريركية الارمن فيصرفونها جاعلين لنفسهم حصةً كبيرة منها (١) وذلك كله قصداً بعزل البطريرك بطرس ابن اخته واتخذوا حجة عليه قولهم انه بانحيازه الى الايمان الكاثليكي قد اضحى فرنجياً وصار عدواً للدولة وحدث في تلك السنة ما زاد هذا الافتراء جرماً وهو ان نار الحرب كانت مستعرةً بين العساكر الافرنجية والشاهانية فكانت وشاية الخصوم شيطانية كافية لابادة البطريرك المسكين وشعبه · لكن الله كفاهم شرَّهم بعنايته (٢) اما عبد المسيح فلم يفتر في سعيه حتى نال خطاً شريفاً للاستيلاء عَلَى كنيسة حلب فتسلمه فرحاً وفرَّ راجعاً الى ديار بكر · ثم قدم حلب فدخلها في غرة شباط سنة ١٦٩١ وطفق يجدّ في اجراء الاوامر السلطانية وصرف كثيراً عله يقنع قره محمد باشا والي حلب لاتلاف حياة البطريرك ابن اخته ويزعج الكاثليكيين ويقهرهم · فانفذ الوالي وكيلاً من قبله مع فرقة جنود سلموه الكنيسة فدخلها وضرب اكابر الشعب بالحرم · فطفق الجنود بايعازه يطوفون في الازقة ويدخلون البيوت في طلب البطريرك الكاثليكي واساقفته فنتج من ذلك اضرار جسيمة ولاسيما للنساء والبنات · فلم يجدوا احداً منهم لانهم هربوا واختفوا · الا القسوس فانه قُبض عليهم واودعوا السجن

٣٩ وكان البطريرك بطرس منذ بلغه الخبر قد دخل الكنيسة وبعد ان

١ الآثار الخطية ص ٩٨

٢ الآثار الخطية ص ١٠١ عدد ١٧ عن آثار كنشلرية القنصلية بحلب بتاريخ ٢٩ كانون الاول سنة ١٦٨٣ = وهنا ختم الراوي قائلاً : تمّ هذا التقرير في قلاية البطريرك بطرس وبختمه مع توقيع جملة شهود و بتصديق موسيو دي ارو يو قنصل دولتي فرنسا وهولنده

من العمر سبع وثلاثون سنة واخرجوه الى القلاية باصوات التراتيل والحبو
وكتب البطريرك الجديد دستور ايمانه الى الحبر الاعظم وكتب الاساقفة ا
الحفلة الى البابا ورئيس المجمع ٠ وكتاباً آخر باسم الشعب وذلك في اواخر
١٦٧٨ (١) ٠ واستمر البطريرك بطرس في حلب سالكاً مسلك سالفه و
حبراً جليلاً فضيلاً شهماً عَلَى الدين القويم وكان حسن الصورة والسر
مهاب المنظر رخيم الصوت ذا شمائل لائقة بمقامه متقناً طقس القداس وس
الرتب السريانية ٠ فاجتذب كثيرين من السريان المنفصلين في ديار بكروا
والموصل وغيرها الى الديانة الكاثليكية

وكان المطرانان يشوع ورزق الله مولعين بالعلم ففتح المطران يشوع مك
لتعليم اللغة السريانية وضبط قواعدها والمطران رزق الله مكتباً اخر لتعليم ا
العربي فكانا اول من اجتهد في تعليم هاتين اللغتين بحلب فافادا كثيراً

٣٧ وفي ١٧ تشرين الثاني سنة ١٦٧٩ قدم حلب قنصل جديد يق
له لورنس دي أرو يو و برفقته فرنسيس بيكات القنصل الشهير سابقاً والمس
الكبير للكاثليكيين (٢) وكان فرنسيس هذا قد رقي الى الدرجة الاسقفية وس

النهرين ولي سريان طور عبدين كذا قرأنا في ختمه الرسمي وقد اضيفت اليه هذه الع
« الصليب غلب ٠ الصليب يغلب ٠ الصليب قهر العدو »

١ الشرق المسيحي ج ٢ عمود ١٤٠٩ عن كتاب المشهد التركي ص٥٥٤ اخ ٠ وال
العربية التي في حلب

٢ لما ترك موسيو بيكات قنصلية حلب ورجع الى اوربا سنة ١٦٦٠ دخل مدر
كهنوتية ورقي الدرجات المقدسة وتقلد وظيفة بربور (رئيس دير) الى ان سماه البابا
رسولياً فاقيم مطراناً لخسرو بليس التي هي اصفهان وقد اورد ذكره الخوري الياس عمو

رسولياً لبابل ولبلاد فارس · فانطلق البطريرك ومطارنته الثلاثـة الى
يهما وصار فرح عظيم للفريقين · واعد لهم القنصل غذاء فاخراً دون لحوم
مراعاة لعادة الاساقفة السريان يومئذ · وطاب اذ ذاك للفرنساويين زي
هم : وخصوصاً لما اخرج البطريرك من عبه صليباً ملفوفاً بمنديل وبارك
ة والحاضرين (١) ولما كان البطريرك يتوقع فرصةً ليظهر بها امتنانه ومودته
وافاه الدرع البطريركي وصك التأييد من لدن البابا انكنتيوس الحادي
مسطراً في ١٢ حزيران سنة ١٦٨٠ فانتدبهما في ٢٨ آب الى حفلة لبس
رن او الدرع الابوي فحضروا واستصحبوا بعضاً من حاشيتهم والتجار
ساويين والهولنديين وهم متشحون بالالبسة الرسمية · وتلقاهم البطريرك
رسه بالحلل البيعية · وبعد السلام لبس السيد بيكات حلته ومسك الصليب
كعادة السريان · وكان اربعة من الشمامسة يرشون ماء الزهر ودياقونان
ن وثلاثة من الشمامسة يلوحون بالمراوح وبعد السجود قرئت البراءة البابوية
البطريرك الباليون وبدأ بالقداس فرتله كله سريانياً · وبعد الانجيل القى
ة بليغةً في شرف الكنيسة الكاثليكيه وختمها بالدعاء · ثم وعظ بعده
بيكات فتهلل الشعب لمشاهدتهم اياه بطريركاً ولما انتهى القداس رنم

ي في كتاب سياحته في اوروبا واميركا سنة ١٦٧٥ فقال التقى في فرنسا بالسيد
س بيكات فالفاه شريفاً وقديساً ومنه عرف اخبار حلب واقام السيد بيكات في حلب
. ثم سافر الى العجم في ٣٠ نيسان سنه ١٦٨١ طالع شذرات اخبار دياره بوج ٥
٨ و ٨٨ و ٨٩ وكانت وفاته في همذان في ٢٦ آب سنة ١٦٨٥ طالع مجلة المشرق
لول سنة ١٩٠٥ في حاشية ص ٨٢٨
١ شذرات اروبوج ٨ ص ٥٤٥

علينا باحسان انعامكم وفوق جودكم واكرامكم توصوا فينا الايلجي الذي من
قبلكم في مدينة القسطنطينية عند سلطان محمد حفظه الله بعين عنايته من كيد
الاشرار والمعاندين ووصله الى اقصى درجات الفضائل وهو ارحم الراحمين

واما نحن فعائشين تحت حكمه الجميل فائزين بستر ظله الظليل ومحميين
من اعدائنا بقوة امره وسطوته · ومتنعمين بحكمه العادل في زمان دولته
وايضاً توصوا الايلجي ان يكون نظره علينا ويساعدنا في جميع امورنا ومصالحنا

بسم الازلي السرمدي الضابط الكل الحقير اغناطيوس بطرس
« مكان الختم » بطريرك انطاكيه (١)

٣٦ فلما أرسلت هذه المضبطة توجه للوقت البادري نو رئيس رسالة
اليسوعيين في سوريه الى رومية ليسعى في نيل الباليون وبراءة التأييد· وتوجه
البادري يسطنيان الكبوشي الى القسطنطينية ليسعى في استحصال الاوامر
السلطانية (٢) فكتب وتعب وصرف كثيراً حتى نال خطا شريفاً بتأييد
البطريرك الجديد تاريخه في سنة ١٠٨٩ هجرية الموافق سنة ١٦٧٨ مسيحية
اما البادري نو فعند وصوله الى رومية الفى الحبر الروماني وكرادلته في ريب
بشأن المنتخب للبطريركية وذلك على اثر الاخبار المموهة التي كانت وردتهم
من سوريه من قوم متغرضين مآلها ان المنتخب حديث الايمان فلا يصلح

١ الاصل محفوظ في مكتبة الناسيونال الفرنساوية بين المخطوطات العربية تحت
عد ٤٦٤٢ الاثار الخطية ص ١٠٦ و ١٠٧

٢ الاثار الخطية ص ٩٧ عد ٨

للرئاسة ولا يثبت في الكثلكة وكانوا قد قرروا تاجيل تاييده ريثما يسوغ لهم اختباره وفيما كانوا في تلك المفاوضة اذا بالاب يسطنيان الكبوشي قد حضر فاخذ يدافع عن المنتخب حتى نال الوعد بتأييده · فرجع الى حلب وسجل الخط الشريف في المحكمة وعزل عبد المسيح · فلما بلغ هذا الخبر الى السيد بطرس اسرع الى حلب وولي الكرسي البطريركي · ورجع البادري نو الى فرنسا ليجمع اسعافاً للبطريرك الجديد

واما عبد المسيح فنصب بشاره اسقف حمص نائباً عنه وقفل الى ديار بكر مخذولا · وكان الاسقف بشاره براي واحد مع الكاثليكيين فاقام في الكنيسة حتى قدم السيد المنتخب فقرر صورة ايمانه بين يديه ودخلوا الكنيسة وبعد تقديمهم الشكر اقام البطريرك بابهة للراهب يشوع بن عبد الاحد مصرشاه الحلبي مطراناً لاورشليم وسماه باسمه غريغوريوس (١) · والراهب رزق الله بن امين خان مطراناً لحلب باسم ديونوسيوس وذلك بحضور الاسقف بشاره وبموازرته · وكان هذا الراهب عالماً باللغات السريانية والعربية والتركية محباً للسيرة القشفة والفقر الاختياري · ثم اجتمع الاساقفة المذكورون يوم الاحد الذي بعده وبحضور مطران السريان الموارنة ومطران من الارمن الكاثليك كرسوا السيد بطرس شاهبادين بطريركاً على انطاكية (٢) سنة ١٦٧٨ وله

---

١ كان هذا من جملة الذين نفوا الى اطنه · وبعد نجاته سافر الى رومية وفيها قضى حياته راجع الشرق المسيحي ج ٢ عمود ١٤٤٦ والمكتبة الشرقية في البحث عن المنوفستيين

٢ ان البطريرك اغناطيوس بطرس احب ان يضيف الى عنوان بطريرك انطاكية اسم طور عبدين اشارةً الى انه فيه اجتمعت السلطتان الروحيتان على سريان سوريا وما بين

عن خوفك ممن يقاومونك فاذكر ما نبهنا به الرب بقوله من استحى بي استحي به ٠ ولا تخافوا من الذي يقتل الجسد ٠ فان كان الكرسي الرسولي الروماني حقيقاً بان يطاع فاطعه والا فاكشف لنا عن دخيلة فكرك ٠ ونحن نقيم لنا بطريركاً يرعانا على مروج الحق والخلوص ٠ غير ان عبد المسيح لبث مصرًّا على عناده وفضل مجد الدنيا على مجد الآخرة حينئذٍ اجتمع الاعيان المشار اليهم بالقسوس والرهبان المرسلين وقالوا : لقد خدعنا هذا الغدار بريائه فما رايكم وتدبيركم٠ و بعد بحثٍ طويل اتفقوا قاطبة على اجراء ما كان البطريرك اندراوس المتوفى قد اوصاهم به فكتبوا الى السيد غريغوريوس بطرس شاهبادين واخبروه بما جرى وطلبوا حضوره ليقام بطريركاً (١) فاجاب قد رضيتُ بانتخابكم اياي رغبةً في خير طائفتنا العزيزة وخلاصها وحرمة للسيد المتنيح ولكن حذراً من اذى المقاومين اشرط عليكم ان تشدوا ازري باستحصال اوامر سامية حسب سابق وعدكم فاستصوبوا كلامه وكتبوا مضبطة باسم الاقليرس والشعب اجمعوا فيها على انهم يريدونه بطريركا وعرضوها على اولي الامر فصدقوها بختومهم ٠ واذ ذاك قدم الرهبان المرسلون نفسهم لقضاء هذه المصلحة فاخذوا رسالة من المنتخب الى لودفيك الرابع ملك فرانسا بتاريخ سنة ١٦٧٨ فيها التمس حمايته ومساعدة سفيره في الاستانة وذكره بمودة السريانيين للامة الفرنساوية منذ القديم واليك صورة الرسالة

الى حضرة السلطان لويس سلطان فرنسا وغيرها من الممالك٠ المظفر

---

١ عن خبر اهتداء السريان والارمن في كراسةٍ عربية محفوظة في مكتبة غبطة بطريركنا مار اغناطيوس افرام الثاني

في الحروب بقوة الممالك

الى حضرة الملك الجليل بكر السلاطين المسيحية نادرة الارض المسكونة كلها · رعب العصاة والاشرار · حب الصالحين والابرار · سند الكنيسة المسيحية ملجاء الامراء والرعايا · داود في القوة والشجاعة · سليمان في الحكمة والبراعة · حزقيا في العبودية والتقوى · قسطنطين في النجابة والنجوى · المؤيد المنصور عَلَى اعدائه هادم الهراطقة والبدع · مجدّد العلوم والفوائد · الصورة الحية للفضائل المفخم عَلَى جميع القبائل · حفظه الباري تعالى عَلَى ممرّ الايام · واسبغ عليه البركات وجلائل الانعام · واخضع اعداءه تحت موطيء قدميه · وزاده قبولاً في حضرته ولديه · وكان الحق تعالى سامعاً لصلواتنا ليلاً ونهاراً · ارتفاعاً لشأنه ولنا بذلك افتخاراً · آمين اللهمّ بجاه رب العالمين

اما بعد فالمعروض الى جنابكم العالي الشريف · والمبدى لدى جنابكم السني اللطيف · اني انا الحقير في روساء الكهنة بطرس بطريرك السريان الممتدة من بابل وحدودها الى اقطار مصر وما يليها ارسلنا اثنين من البادرية واحداً من جماعة اليسوعية وواحداً من جماعة الكبوشيين لكي يبلغوكم اخبار كنائسنا التي نريد بنعمة الله تعالى ان نجمعها اتفاقاً مع الكنيسة القاثليقية الرسولية الرومانية · وليكن نظركم الاكسيري علينا بعين الرافة والجود · وتعينونا في النية الصالحة التي تفضل بها علينا سيدنا يسوع المسيح لذكره السجود الى ابد الابدين آمين

وليكن معلوماً لدى عظمتكم العالية ما صنعت السريان القدماء مع الامراء الفرنساوية في محروسة القدس الشريف والمحبة والاتفاق بغاية المودّة التي ابدوها امام السلاطين العظام الذين حكموا عليها · فالمرجو من عظمتكم انكم تتفضلون

﴿ الباب الرابع ﴾

في بطريركية بطرس شاهبا دين الرهاوي

الفصل الاول

٣٤ استدعاء الحلبيين بطرس مطران القدس ليتولى البطريركية — عرض عبدالمسيح نفسه عليهم — قبوله شروطهم — انخداعهم برايه ٣٥ رجوعهم الى مطران القدس — كتابه الى ملك فرنسا ٣٦ سفر اثنين من المرسلين ٠ الواحد لاستحصال براءة سلطانية ونالها والآخر بابا و بة فتأجلت ـ نصب عبدالمسيح نائباً بحلب ـ كثلكة نائبه — تسقيف السيد بطرس — اقامته بطريركاً — محاسنهُ ٣٧ قدوم قنصل جديد مع بيكات — زيارة البطريرك لهما

٣٤ وما عتم المتمسكون باليعقوبيه ان اخبروا عبدالمسيح بطريركهم بوفاة السيد اندراوس وحثوه على استرجاع الكنيسة الحلبية واستمالة شعبها الى طاعته ٠ فتهالل فرحاً لدى هذه البشارة (١) ٠ وكتب الى الحلبيين يقول : قد بلغنا خبر وفاة اخينا البطريرك اندراوس رحمه الله فاغتممنا جداً فهل ترضون ان

١ الاثار الخطية ص ٩٧ عد ٦

نقدم اليكم. وكان اكابر الشعب وهم عبدالله اشتما او اشتماًن «١» واصلان حواره وحسون عبدالحي مصرشاه واصلان دبوزه قد كتبوا الى اورشليم الى مار غريغوريوس بطرس الرهاوي ونعوا اليه خبر وفاة البطريرك وانهم ينتخبونه خلفاً له ويبذلون السعي في استحصال براءة سلطانية لتأييده ثم كتبوا الى عبدالمسيح البطريرك اليعقوبي جواباً فيه قالوا له: اننا لانرضى بقدومك الينا الا اذا آليت على نفسك ان تسلك مسلك البطريرك اندراوس المتنيح وكان السيد غريغوريوس بطرس مطران اورشليم ابنَ اخت البطريرك عبد المسيح فلما اعتمد عَلَى التوجه من اورشليم الى حلب وقع مريضاً. اما عبد المسيح فكتب اليهم اني راضٍ بما شرطتموه لعلمي انه ليست كنيسة صحيحة المعتقد يخلص فيها المسيحي الا الكنيسة الرومانية وهي التي كانت كنيسة ابائنا الاقدمين. ولهذا فاحرم كل المضلين الذين ترفضهم الكنيسة الكاثليكية وها انا متوجه اليكم. ثم اقبل الى حلب فقبلوه واقام عَلَى وعده زماناً حتى اضطر الى الذهاب الى ماردين حيث عذله البعض على كثلكته فارتد عنها وعاد الى مذهبه الاول ونقض عهده السابق الذي كان قد وعد الكاثلكيين به ولما رجع ثانية الى حلب عاتبه اعيان الشعب عَلَى ريائه فاجابهم يا اولادي الحق اقول لكم اني خائف من الذين يقاوموني فدعوني اداري زماني ريثما اربح الجميع فنرجع كلنا دفعةً واحدة الى طاعة الكرسي الرسولي الروماني. فقالوا: كيف يجيز لك ضميرك ان تتلفظ بهذا الكلام وانت معلم الناموس هل تسمح لك ذمتك ان تحابي الله عز وجل. اما

١ نقل الراوون ان عائلة اشتما كانت من اغنى سريان حلب واكثرهم عدداً ملاءت الحارة المعروفة باسمهم الى اليوم.

وكان هذا الاب البار متصفاً بفضائل جمة ولاسيما بالمحبة والرحمة نحو الفقرا والغرباء والبائسين · وتجلت فيه هاتان الفضيلتان خاصةً في مجاعة (١) حدثت في حلب في زمن اسقفيته ودامت سبع سنين فوزَّع كلما كان له على المحتاجين · ولما نفذ كل شيء صلى الى الله بدموع ليلطف بعباده · وفي يوم صلاته سخر الله رجلاً شريفاً كان قادماً من بلاد بعيدة فاعطاه سبعماية كيس من المال (٢) فوزعها في بقية ايام المجاعة عَلَى النصارى والمسلمين واليهود

ومع زهد السيد اندراوس المنبوط وحياته القشفة ومما كان يفرّق عَلَى البائسين والمعوزين كان يسعى في زينة البيعة وتأثيثها بما يليق لبيت الله عزَّ شانه وذكر البطريرك اسطفان الدويهي انه لما انتقل السيد اندراوس من هذه الحيوة ترك لكنيسة حلب اواني فضية كثيرة الثمن

وعام ١٦٧٧ وقع البطريرك الطيب الذكر مريضاً وظهرت عليه دلائل

---

١ ورد في آخر كتاب قراءات العتيقة والحديثة خاصة دير مار مرقس بالقدس المنسوخ في ٤ تموز سنة ١٩٦٧ يونانية ١٦٥٦ مسيحية مانصه « وفي هذه السنة (يريد سنة ١٦٥٦) صار حصار عظيم في مدينة حلب خمسة واربعون يوماً وضيق شديد ونهب وخراب وكسروا الدكاكين والاسواق وقاسينا شدائد مرة عظيمة وبعد الحصار اصاب النصاري شدائد صعبة من ميل التكاليف فالخواجه وصل الى عشرين قرش والفقير الى ستة ذهب والاكبر عشرة ذهب والاحوال صعبة مرة وعَلَى الاموال والبيوت والدكاكين شيء خارج · حتى طلبت الناس الشدائد · وكل هذا من خطايانا · نسأل ربنا يرحمنا ويخلصنا ويخلص المسيحيين فانه قال لبطرس يا بطرس ستأتي ازمنة صعبة عَلَى الكنائس والمؤمنين والطوبى لمن صبر الله يجعلنا من الصابرين

٢ كذا في قصته العربية ويظن ان الشريف المحسن هو فرنسيس بارون المدبر العام الاملاك الفرنسوية في الهند الشرقية · طالع شذرات اخبار دي ارويو جزء ٦ ص ٣٧

تنبيء انه قارب الموت فاغتم الشعب عليه غماً عظيماً · وحدث انـه في غضون مرضه قدم من ماردين الشماس سفر بن حنا العطار السابق ذكره وعمره يومئذٍ سبع وثلاثون سنة وكان البطريرك راغباً ان يرقيه الى الدرجة القسوسية ثم الاسقفية ليكون في حلب من يعضد الكاثليك بعده على ان شقيقه المطران بهنام كان قد انتقل الى رحمته تعالى وكان الشعب خائفين من عبد المسيح بطريرك اليعاقبة · وسُمع البطريرك المريض يوماً يقول للذين حوله « ارى لن تجدوا من بعدي خلفاً يرعاكم باستقامة مثل السيد غريغوريوس بطرس شاهبادين فاشير عليكم ان تقيموه عليكم بطريركاً (١)

ثم انتقل السيد اندراوس من هذه الحياة الدنيا الى الاخدار السموية يوم الاربعاء في ٢٤ تموز سنة ١٦٧٧ وقضى في الرئاسة البطريركية اربعة عشر عاماً وعشرة اشهر وخمسة وعشرين يوماً · فبكاه الشعب قاطبة وسائر الطوائف في حلب واحتفلوا بجنازته ودفنه بكل وقار واودعوه في المغارة التي في كنيسة السيدة · وظلّ الشماس سفر ينتظر الفرصة ليرتسم قسيساً

---

١ كذا في القصة العربية و يوافقها ما جاء في الآثار الخطية ص ٦٥ عد ٥

وعلى عهد هذا البطريرك كان الكلوينيون هائجين في اوربا فكتب احدهم كتاباً استشهد فيه باعتقاد الطوائف الشرقية ليؤيد زعمه بان اعتقاد الكنيسة الرومانية بسر الاوخارستيا مستحدث وانه ليس متأتياً من الكنيسة الرسولية · فكذبه ارنود احد علماء سر بونا وجمع بواسطة نوانتيل السفير الفرنساوي في القسطنطينية شهادات من الطوائف الشرقية تأييداً للمعتقد الكاثليكي وايضاحاً لقدمه وكانت شهادات السيد اندراوس واقليرسه اوضحها وافصحها وهي مؤرخة في ٢٩ شباط سنة ١٦٦٨ واليك التوقيعات المصدقة لتلك الشهادة (١) « + اغناطيوس اندراوس بطريرك طائفة السريان + بهنام مطران طائفة السريان « اخوه » الخوري عبد الله خازن بيعة السريان · الخوري معتوق · الخوري عبد الله · القس يوحنا الراهب · القس نعمه · القس بنيامين حنا · القس عبد الله · القس ابراهيم · القس ابراهيم الصغير (٢)

وفي عهد مطرانية السيد اندراوس و بطريركيته كثرت العبادات التقوية ونمت خاصه في حلب فأنشئت جمعية عابدات من الجماعات الكاثليكية عَلَى

١ دوام ايمان الكنيسة الكاثليكية (منيه جزء ١ عمود ١٢٣٥ و١٢٣٦

٢ قد وجد غبطة بطريركنا الجليل مار اغناطيوس افرام الثاني في آخر كتاب مخطوط خاصة دير الشرفة بلبنان اسماء ثلاثة من القسوس المذكورين وهم الخوري معتوق والقس حنا بن الزعتر والقس ابراهيم بن زكرى وذلك (كان مولد نعمة الله بن الشماس ابراهيم حلبشاه في آب سنة ١٦٦٦ واعتمد بيد الخوري معتوق في ٢٠ آب وكان مولد حلبشاه بن الشماس ابراهيم سنة ١٦٧٠ في اذار واعتمد بيد القس حنا بن الزعتر في ٢٣ آذار والياس ولد ابراهيم شاه اعتمد عَلَى يد القس بن زكرى سنة ١٦٧٥)فيستنتج ان بيت زكرى كانوا سرياناً ثم انحازوا الى الطائفة المارونية

نسق راهبات دير حراش الذي اسسة الموارنة سنة ١٦٤٢ بجوار قرية ترعون بكسروان فكان اول من انضم الى تلك الجمعية اربع ارمنيات وثلاث مارونيات وذلك نحو سنة ١٦٦٥ ولما زارهن مطران هندي كان راجعاً من روميه أدهش لما رأى قنوتهن وحمله قشفهن على البكاء وكان بعض منهن مخطوبات هجرن الدنيا ولحقن اثر العابدات (١) وفي نواحي سنة ١٦٧٠ بلغ عددهن ثلاثاً وعشرين راهبة فاحتفل البطريرك اندراوس بتوشيح السريانيات منهن بالاسكيم المقدس حسب الطقس السرياني الانطاكي وفوض ادارتهن الى مرشدهن الاب يوحنا سانت انيان رئيس الكبوشية بحلب ورخص له ان يضمهن الى راهبات دير حراش ليضحين في رهبانية واحدة · فثقفهن الاب المذكور على قوانين القديسة كلاره ومرنهن على تلاوة فرض السيدة والقرأة الروحية وغير ذلك · وكان لباسهن المسح وفوقه زي الراهبات الكبوشيات حتى انهن عرفن بهذا الاسم · اما اقامتهن فكانت في محل معتزل في دور اهاليهن كل اثنتين او ثلاث في محل واحد فلا يدخل عليهن سوى النساء ولم يكن يخرجن من ذلك البيت الا ايام الاحد والعيد لاستماع القداس · وكان عليهن ازار ابيض اسوةً بسائر نساء البلد وهن مصحوبات بنساء كاملات في العمر والورع وكان دأبهن تثقيف البنات في القرأة والتعليم المسيحي والاستعداد للاعتراف والتناول فأعجب الناس حتى المسلمون بسلوكهن (٢) واهتدى بتلك الواسطة كثيرون الى التوبة والايمان القويم

١ الآثار الخطية ص ٥١١ عد ١٣

٢ الآثار الخطية ٤٢٢ — ٤٢٤ راجع كتاب الاب يسطنيان الكبوشي الفرنساوي ص ٤٦٧ فترى ان لا ذكر لتاريخ السنة ولا لاسم البطريرك الراسم الرهباني

الصحيحة متقداً بغيرة تحاكي غيرة الرسل حريصاً جداً علَى خلاصهم فكان يعظهم في الواجبات المسيحية و يشرح لهم شرحاً واضحاً قانون الايمان ووصايا الله ووصايا البيعة و يعلمهم اسلوب التوبة و الاعتراف بالخطايا٠ ثم وجه عنايته خاصةً الى استئصال العوائد الردية من بين جماعته وازالة الاعتقادات الباطلة كحمل الحروز وانجيل الطفولية الى غير ذلك ولم يغفل عن تعليمهم طريقة استماع القداس الالهي واجلال سر الاوخارستيا و يدربهم علَى انواع العبادة لسيدتنا مريم العذراء و كان هو بنفسه يصرف ساعات في استماع اعترافات المؤمنين في الكنيسة او في القلاية

وكان من الجهة الاخرى يبذل قصارى همه الرسولية في ارشاد الكهنة الراجعين من الضلالة المنوفستية الى حضن البيعة المقدسة واختيار شبان ورعين جامعين الصفات المتطلبة ممن يروم الانضمام الى السلك الاقليرسي فتولى بنفسه تعليم نفر منهم علم الذمة والالهيات وارسل نفراً اخر الى رومية فدخلوا مدرسة انتشار الايمان وفي جملتهم نذكر نعمه ناقد و يعقوب ابن العفش وفتح الله او برتلماوس ابن حنا وابرهيم بن مربي من اقارب البطريرك ٠ دخلوا مدرسة بروبغندا في ٢٤ كانون الاول سنة ١٦٦١ اما ابرهيم بن مربي فكان حسن السيرة ولكبر سنه اكتفى بدرس اللاهوت الادبي فقط علَى الاب جلستينو الكرملي و بارح رومية في ٦ تشرين الثاني سنة ١٦٦٧ لكنه مرض و توفي في مدينة مسينا٠ اما نعمه ناقد فكان سليم القلب هادىء الطبع وخرج من رومية في السنة الثانية لدرسه اللاهوت اعني سنة ١٦٦٩ فاعترضه القرصان وأسروه ولما سمع كردينال المجمع المقدس فكه بكمية من المال وظلّ في رومية حتى ١٦ ايار سنة ١٨٧٠ اما برثلماوس حنا فاذ لم يكن ذكياً طالت مدته ثلاث عشرة سنة اوشك فيها ان

يخرج من المدرسة دون رسامة. وعاد الى الشرق في ٢١ شباط سنة ١٦٧٤(١)

واتخذ البطريرك تلك الوسيلة لتوطيد الايمان الكاثليكي في الكنيسة السريانية ومن جملة الذين رقاهم الى الدرجات المقدسة ما عدا الشمامسة كاهنان فاقاما عنده في القلاية وهما القس يشوع بن منصر شاه والقس رزق الله بن امين خان

وكان البطريرك اندراوس يحكم ماعدا العربية معرفة اللغة السريانية وكان له بعض المام باللغة العبرانية اقتبس مبادئها في صباه اذ كان يتعاطى صنعة الكيميا ومن اخص مزاياه حرصه علَى حفظ الطقس السرياني دون انخرام وضبطه كتاب الصلوات القانونية الاسبوعية المعروف بالاشحيم وكتاب القداس بالسريانية (٢) وكتاب توزيع الاسرار المعروف بكتاب العب وكتاب خدمة القداديس بخصوصياته وكتب منها بخط يده نسخاً نقحها من اضاليل اليعاقبة وبعضها محفوظ في مكتبة قلايتنا بحلب وبعضها في مكتبة مدرسة الشرفة البطريركية(٣)

ولم يشا ادخال احداث علَى طقس البيعة السريانية ومراسيمها الا اجازة القداديس المتتابعة رغبة في فائدة المؤمنين ولكنه اشترط ان لايقدس علَى الطبليث الواحد الا قداس فقط وجعل سنة القطاعة يومي الاربعاء والجمعة من نصف الليل الى نصف الليل بدلا من العادة القديمه بحفظها من الغروب الى الغروب. اذ ان كثيرين بسبب ذلك كانوا لا يحفظون القطاعة

---

١ عن سجل تلامذة برو بكندا ص ٤٣ و ٩٦ و٢٨ وقد اطلعنا عليها غبطة بطريركنا الجليل مار اغناطيوس افرام الثاني

٢ هذا الكتاب محفوظ في مكتبتنا بحلب وهو منسوخ سنة ١٦٦٨

٣ يوجد فيها اكثر من نسخة من كتاب العب ونسخ شتى من كتاب خدمة القداس

الشعب الحلبي من حوزته دون ان يطيق مقاومتهم · وكان قد رقىّ الى درجة الاسقفية راهبين وهما بطرس ابن الشماس شاهبادين الرهاوي (١) ابن اخته وخصصه لبيعة القدس فدعاه غريغوريوس · وآخر اسمه عبد الجليل بن زيتون الطوراني · وتوجه غريغوريوس اولاً الى الموصل وآثور والرها ليجمع اسعافاً لبيعة السريان باورشليم المعروفة ببيت مار مرقس · لانها كانت منذ عهد اسلافه مثقلة بالديون ومرهونة لمطران الارمن فجمع مبالغ من المال

واما عبد الجليل فاذ كان شديد الحمية على طائفته وعده عبد المسيح ان يوليه كرسي حلب بشرط ان يعزل اندراوس ويطرده وسارع الى حلب بحنق عظيم وذلك في مبادي، سنة ١٦٦٥ وهي الثالثة لبطريركية اندراوس · غير انه لم يستطع شيئاً لان الكاثليك كانوا تمكنوا فيها جداً فانقلب راجعاً الى ماردين يندب خيبوبة آماله ثم سافر الى الملبار وسورات وطمس خبره

وقدم بعد ذلك الى حلب راهب موصلي يقال له الربان جرجس بن عبد الكريم كان هارباً من وجه حاكم الموصل · غير انه لم يسمح له بالنزول في القلاية ولا باقامة القداس في الكنيسة كونه غير كاثليكي فرجع على وجهه حنقاً · ولدى وصوله الى دير مار متى بالموصل اخبر رفقاءه بما جرى له في حلب فتحالفوا على مناصبة الكاثليكيين وضبط كنيسة حلب منهم · لكنهم لم يفوزوا بأربهم الا بعد مدة اى حينما تمكن الربان جرجس المذكور من استلام عصا البطريركية

١ ان اسم هذا المطران في مجموعة الاخبار للدولباني بطرس بدين — وفي سجل الرسامات لدير الزعفران بطرس ابن الشماس شاهبادين

عَلَى اليعاقبــة (١) كما سترى

ولما وصل الخبر الى روميه بارتقاء السيد اندراوس الى المنصب البطريركي عقد الحبر الروماني ديوان الكرادلة لتأييد البطريرك وبعث اليه بصك التأييد مع البليون فانتشر الخبر في الجهات ان سريان حلب اضحوا كاثليكيين وكان اليعاقبة يسمونهم افرنجاً قصد اثارة الدولة العلية عليهم · اما عبد المسيح فلم يجد سبيلا الى الاضرار بهم فكتب الى السيد اندراوس طالباً اليه ان يجمع من طائفته اسعافاً لدير السريان بالقدس الشريف وارسل لتلك الغاية الى حلب ابن اخته المطران بطرس مع مطرانٍ اخر اسمه حبيب فرحب بهما البطريرك واكرم مثواهما بضعة اشهر وهو يراقب اطوارهما فلاح له من المطران بطرس مايدل عَلَى حزمه وحذقه وذكائه فوثق به وشرع يورد له البينات الراهنة في حقيقة المعتقد الكاثليكي و يرغبه في الانتماء الى الكرسي الروماني فلم يرَ المطران بطرس بداً من الاذعان لقوله واعترف اعترافاً عاماً لدى الاب انطون رستو اليسوعي وقرّر دستور الايمان القويم بين يدي السيد اندراوس سنة ١٦٦٤ وعلى اثر ذلك اقام قداساً حافلاً يوم الاحد في الكنيسة فشق ذلك على المطران حبيب ورجع الى ماردين مغتاظاً · اما السيد بطرس فجمع مبلغاً من المال من الحلبيين واكمل مسيره الى اورشليم واقام في دير مار مرقس (٢)

وكان السيد اندراوس المغبوط مجدًّا في تثقيف الشعب وتلقينهم التعاليم

---

١ عن كراسة نسخت في دير الزعفران سنة ١٨٧٩

٢ عن الاثار الخطية ص ٩٦ عد ٥ وعن صك في الكنشلرية الفرنساوية بحلب موقعة بختم المطران نفسه · وعن ورقة اخرى في مكتبة فلايتنا بحلب

ازعاج الراغبين في الكثلكة فدبت الرغبة في قلوب المرسلين الكبوشية واليسوعية في قصد تلك النواحي لنشر الديانة

الفصل الثاني

٣٠ قدوم اسحق بن جبير — ارساله الى روميه ٣١ ارسال عبد المسيح رسلاً لضبط كنيسة حلب — اسعاف اندراوس دير مار مرقس في اورشليم حنق الراهب كوركيس على كاثيك حلب — كثلكة بطرس الرهاوي جمع الاسعاف ورود براءة باباوية لتاييد بطريركية اندراوس ٣٢ اواخر البطريرك اندراوس نشاطه الراعوي بالوعظ واسعاف البائسين تخجيله البروتستانت سنة ١٦٦٨ ٣٣ رسامته راهبات ثم قسوساً وشمامسة — مرضه — قدوم الشماس سفر من ماردين اليه وفاته سنة ١٦٧٧ حفلة دفنته

٣٠ وفي هذه الاثناء قدم حلب شاب من الموصل عمره نحو ٣٢ سنة قاصداً زيارة البطريرك اندراوس وقرر الايمان الكاثوليكي بين يديه واسم الشاب اسحق ابن الشماس عبد الحي بن جبير من عائلة عبدالله الصباغ وكانت ولادتـه سنة ١٦٢٩ (١) وقد قرر الايمان الكاثليكي على ما يظن سنة ١٦٦٠ بين يدي

١ لما كانت وفاة ابن جبير سنة ١٧٢١ وقد ناهز ٩٢ من العمر · راجع عد ٦٥ : فتكون ولادته كما قلنا

المرسلين الكبوشيين في الموصل · واقام زماناً في ديار بكر ابتغاء المتجر فثبت في الكثلكة لمخالطته الكاثليكيين فيها (١) واقتبس معرفة التركية والارمنية (٢) ما عدا العربية لغة وطنه والسريانية لغة طقسه · وكان عمه مطران دير مار متى واسمه جمعه (٣) فهذا منذ بلغه خبر البطريرك اندراوس هرع اليه وعرض نفسه لخدمته ومساعدته فتوسّم فيه البطريرك الحذق والذكاء والحمية الدينية فعرض عليه ان يرسله الى رومية ليقرا العلوم الكهنوتية والفضائل فنبغ في الدروس كما شهد له المعاصرون وتؤيد ذلك تآليفه فهشّ اسحق لاتمام رغبة البطريرك وسافر من ساعته الى رومية فدخل مدرسة بروبكندا وعكف بكل جهده على اقتباس العلوم والاداب وتفرغ خاصةً لدرس الفلسفة واللاهوت وبلغ منهما مبلغاً عظيماً وحاز قصبات السبق عَلَى اقرانه في سائر العلوم والفنون اللغوية والادبية · وقيل انه كان يتردد كذلك عَلَى مدرسة الموارنة · وعند انتهاء دروسه قدم الى لبنان فرقاه البطريرك اسطيفان الدويهي الى درجة الكهنوت (٤) سنة ١٦٧٢ · واستمرّ ابن جبير عند الدويهي سنتين كان في اثنائها منصباً عَلَى مطالعة الكتب

٣١ وكانت اخبار النجاح الكاثليكي تغم عبد المسيح فيتأسف عَلَى خروج

---

١ راجع هـ عد ١١ · ويغلب ظننا ان السيد اندراوس عرف ابن جبير في ديار بكر فوعده بالقدوم اليه بحلب

٢ راجع هـ عد ٤١

٣ عن القس جبرائيل دولباني في مجموعته التاريخية

٤ كتب هذا البطريرك بتاريخ سنة ١٧٠١ الى القس بطرس مبارك برومية · حضر عندنا القس اسحق بن جبير وانا بطريرك فمسكته عندنا سنتين ورتبته ورسمته ايضاً · طالع تاريخ سوريه للدبس ج ٧ ص ١٠٨

البطريركية اليَّ شرعاً حسب امرك علَى ان لا يتولاها آخر سواي · غير ان راهبين من طائفتي وهما شكرالله وعبد المسيح اغتنما فرصة غيبتك في الاوردي وذهبا الى ادرنه حيث تمكنا بتوسط بطريرك الارمن ان يستغفلا اولي الامر فنالا فرماناً لعبد المسيح · وهذا الفرمان صدَّقته حكومة حلب اولاً لكنها لما ارسلت نسخته الى ادرنه مع ساعٍ خصوصي وفحصت لم يجدوا لها نسخةً في السجل بل وجدوا انه منذ وفاة شمعون البطريرك سالفي عهدت البطريركية الى حقارتي بموجب فرمان صحيح : فارسلوا لي فرماناً اخر يؤيدني للقيام بوظيفتي ولردع المختلسين الموما اليهما· فلما بلغهما هذا الخبر هربا الى محلٍ قريب من ولايتي واختلسا حقوقي فسببا لي اضراراً · ولهذا استعطف شفقتك ان تسعى في ردع الراهبين المذكورين ووكلائهما مع سائر المتحزبين لهما حتى يردّا ما اختلساه ولا يعودا الى منازعتي (١)

فلما قدم السيد اندراوس هذه الاستغاثة مع كتب القنصل موسيو دي بونت الى السفير سعى بكل جهده حتى نال خطاً شريفاً بقوته تايدت حقوقه في البطريركية وفي كنيسة حلب خاصةً فعاد اليها ظافراً جذلاً واستولى علَى الكنيسة المرة الثانية وعاد الى تكميل وظيفته بطمانية وسلام ورجع عبدالمسيح الى ديار بكر خائباً مغموماً · وكان ضرتهُ قد اغتنم فرصةغيابهفاستولى علَى البطريركية ايضاً فاستعر الخصام بينهما

وكان السيد اندراوس عازماً ان يفتقد الذين انضموا اليه من سريان بلاد

---

١ عن ترجمة العريضة الفرنساوية التي وجدها غبطة بطريركنا في ارخيون دير مار لويس للكبوشيين في الاستانة العلية

مابين النهرين · واذ تشجع بالبراءة والخط الشريف توجه الى الرها وديار بكر وماردين حيث سجل الخط الشريف ليعرف اولي الامر بمقامه ثم اجتمع في ماردين بالكاثوليكيين وكانوا ارسان والشماس عبد النور وحنا العطار وغيرهم وعلم منهم انهم خوفاً من الرؤساء لايتجرأون ان يعلنوا كثلكتهم وانما يترددون الى بيعة الكلدان الذين كانوا قبيل ذلك الزمان قد هجروا النساطرة · واراد ان يقيم احدهم قسيساً فرغبوا اليه ان يعدل عن ذلك حذر ان تنفر الاقليرس والرؤساء من الكنيسة الرومانية وخشية من ان يجد الاعداء سبيلاً الى اثارة الاضطهاد عَلَى الكاثوليك وانما عرضوا عليه اسم شاب من اقاربه يحسن التكلم بالتركية والفارسية ما عدا العربية والسريانية وهو الشماس سفر بن حنا العطار احدهم وكان غائباً في تفليس (١) ووعدوه انهم يرسلوه الى حلب باسم تاجر ليقيمه قساً و يرده اليهم اذا ما هدأت الامور وطلبوه · وكذلك كان جواب اليعاقبة المائلين اليه · ولما تحقق البطريرك شدة المصاعب المذكورة عدل عن التوجه الى الموصل وكرَّ راجعاً الى حلب فصادف اموراً مغمة : وذلك ان الخوري توما معتوق توفي والخوري اصلان اخاه ارتد الى اليعقوبية فوبخه ووعظه كثيراً حتى استغفر منه بمحضر من الشعب وتاب

وجاء المرسلون اليه فقص عليهم ماراه من حسن الاستعداد لقبول الايمان لكن الراغبين في ذلك يتوجسون خوفاً من اعلان زعمائهم ومما قال لهم انه لو وجد في ماردين من المرسلين اللاتين لضربوا عَلَى ايدي المقاومين · وكفوهم عن

---

١ عن خبر السيد اندراوس في مكتبة السيد افرام رحماني ص ٢٧٣ — واما اسماء المذكورين فعن قصة ايليا بن الاكزير الشهيرة

لم يسبقه مثيل حتى بلغ بالبعض الى الخروج من دينهم مع عائلاتهم وبغيرهم الى بيع اولادهم فدفع ثمنهم خراجاً وبغيرهم الى الموت في الحبوس ٠ ولا غرو ان موسيو بيكات قنصلكم الفاضل اطلع جلالتكم علَى ذلك شفاهاً ٠ والان لما علمنا ان جلالتكم استدعت قنصلها موسيو بارون اليها٠ رأينا ان نكتب ايضاً ونعرض لكم حالة المسيحيين المفتدين بدم المسيح ٠ وفي الجملة نشكر الله وجلالتكم على الخير الذى سعى لنا فيه القنصل المذكور ٠ فمن جملة همته : اولاً لما أقمت انا الحقير بطريركاً على السريان اي اليعاقبة (١) افرغ هذا الرجل جهده في تأييدي اذ ارسل الى القسطنطينية كتباً وسعاة فاستحصل بواسطة سعادة سفيركم براءةً لبطريركيتي وغيرها لاسقفيه حلب : ثانياً سعى في اهتداء طوائف الروم والارمن والسريان وفي وفاقهم مع بعضهم ومع الكنيسة المقدسة حتى حصل اليوم بحلب للارمن مطران وعشرون قسيساً وشعب عديد ماعدا بطريركهم ٠ ولنا نحن السريان ماعدا حقارتي انا تسعة قسوس وما ينيف علَى ثمانماية كاثليكي ثابت ولهذا فاخونا بطريرك الروم (مقاريوس) بدأ مع اكثر شعبه ان يعرف الايمان القويم (٢)

فهذا النجاح كله صار على عهد القنصلين موسيو بيكات وموسيو بارون وبسعيهما اذ الاول زرع والثاني سقى وترك جمع الثمر لجلالتكم ٠ وكما تعرف ان الانهر الاربعة التي كانت تسقي اربع جهات العالم كانت كلها من ينبوع واحد

١ من ذلك يستدل ان اسم اليعاقبة هنا مستعمل بمعنى طائفة او امة وليس بمعنى شيعة

٢ لان مقاريوس كان في كثلكته ريب٠ راجع الآثار الخطيه ص ٤٧٠ حاشيه ١

من الفردوس الارضي : فكذلك الخيرات المشروحة مصدرها واحد وهو جلالتكم يافخر الملوك وزين السلاطين المسيحيين — وكذلك اقول ان الاباء المرسلين كدّوا ووعظوا وعلموا وساعدوا المحتاجين حتى ضاهوا الرسل الاولين وكان ذلك كله بمساعي القناصلة اي من كرم جلالتكم خلد الله ملكها

فاملنا الان هو ان تواصل جلالتكم احسانها وترمق بلادنا بعين مراحمها اذ توصي السفراء الكرام الذين في القسطنطينية ان يحاموا عن المسيحيين بلا انقطاع ولا سيما عن طائفتنا ونسال الله ان يجعلنا على اياكم رعية واحدة وكنيسة واحدة امين (١)

٢٩ غير انه فيما كان امر السريان بحلب في نجاح وقد املوا اجتذاب طائفتهم المرغوبة : كان عبد المسيح الرهاوي قد جمع اكثرية اساقفة اليعاقبة فاقاموه في ديار بكر بطريركاً ومن ساعته سافر الى القسطنطينية ونال فرماناً سلطانياً به عزل شكرالله : ثم اقبل الى حلب ايضاً وعزل السيد اندراوس وجدد ذكر ايمة المنوفستيين فاغتم الكاثوليكيون لكن دون ان يقطعوا املهم فانهم اخذوا كتباً من قنصل حلب وكان يقال له موسيو دي بونت وللوقت سافر بها السيد اندراوس الى العاصمة سنة ١٦٦٣ وحلّ ضيفاً في دير مار لويس للرهبان الكبوشيين وكانوا الموكلين بخدمة الاسرار الكهنوتية لسفير فرنسا وتبعته فرفع عريضة الى السفير قال فيها

ايها المشفق على حقارتي المقتدر على تاييد وظيفتي حفظك الله

ان فخامتك تعرف انه منذ توفي شمعون بطريرك السريان اليعاقبة عهدت

١ الاثار الخطية ص٤٦٩ — ٤٨

شقيقه القس بهنام روحيجان مطراناً لحلب وسماه ديونوسيوس · وبعده أقيم هو بطريركاً باسم اغناطيوس · وذلك ان المطران الجديد باشر رتبة تكريس البطريرك وفي نهايتها أجلس البطريرك عَلَى الكرسي وحُمل عَلَى الأكتاف وطيف به في البيعة حتى بلغ الباب الملوكي فقرأ انجيل الراعي الصالح فهتف الشعب متهللاً لقد حلّ اليوم روح القدس في كنيسة السريان ولما خرجوا الى القلاّية بالتراتيل تقدم رئيس الحرس مع حاشية الوالي الى البطريرك الجديد واهدى اليه باقة زهور وهنأه ثم قال انه مامور ان يحمل عَلَى طاعته كل مقاوم · وبعده حضرت فرقة الجنود المزمرين ارسلهم الاغا رئيس القلعة فهناؤه بضرب الطبل والمزمار (١) · ويوم السبت الذي بعد الرسامة ادب القنصل مأدبةً فاخرة دعا اليها السادة المطارين واقليرسهم فشربوا نخب قداسة البابا وجلالة السلطان · وكتبت الرسائل مع تقرير المرسوم الحاوي دستور ايمانه وختمت بختوم الراسم ومواززيه والمرسوم ومعها التماسهم اصدار صك التأييد · فحملها البادري هير ونمس الكرملي الى البابا الكسندر السابع ومنذ ذلك اليوم اتفق البطريركان كير يوحنا واندراوس على ان يكون لهما راي واحد وتدبير واحد فيما الخير في طائفتيهما

وكان مسيو بارون قد ابرم تدبيراً آخر اذ ارسل الى بلاد ما بين النهرين نسخاً من البراءة الشاهانية كي يعرف الناس ان السيد اندراوس قد اقيم بطريركاً فقبله البعض ومنهم طيمثاوس عبد الجليل الموصلي مطران الرها المار ذكره (٢)

---

١ الآثار الخطية ص ٤٦٦ عد ٣٠

٢ الآثار الخطية ص ٤٦٧ عد ٣٤ وفي اثر دير مار ابحاي دُعي اسقف امد وقد ورد ذكره في كراسةٍ عتيقة كتبت عام ١٧٣٨ في دير السريان برومية

فانه قدم حلب في ٢٥ تشرين الثاني سنة ١٦٦٢ وقرّر بين يدي البطريرك الجديد الايمان الكاثليكي والخضوع له وللحبر الروماني وذلك عن نفسه وعن الشعب الرهاوي · وكان عبد الجليل قد انضم الى الكنيسة الكاثليكية قبل ٢٤ سنة اي في سنة ١٦٣٨ في الموصل عَلَى يد الاباء الكبوشيين (١)

٢٨ وختاماً للنجاح المشروح الى الان انفذ السيد اندراوس بتاريخ ١١ شباط سنة ١٦٦٣ رسالةً الى ملك فرنسا بالغ فيها بالثناء عَلَى قنصل الدولة الفرنسية الموسيو بيكات · واليك نسختها

الى جلالة الملك لويس الرابع عشر

البركة الالهية والنعمة السماوية التي حلت عَلَى الرسل الاطهار في الغرفة الصهيونية وفي جبل الزيتون فاوعبت افئدتهم فرحاً وعزاءً · فلتحل وتستقر عَلَى جسد ونفس ومملكة ملك الملوك والابن البكر للكنيسة المقدسة الكاثليكية الرسولية لويس الرابع عشر ايد الله ملكه وخلده وجعل اعداءه موطئاً لقدميه آمين

فلتحل بركة الرب عليك ثانياً وثالثاً وعلى والدتك النبيلة المشرفة وعلى ولدك الشريف وعَلَى الملكة قرينتك الكريمة وعلى بلادك ومملكتك بشفاعة سيدتنا مريم ام النور ومار الياس الغيور وسائر الشهداء والقديسين آمين

وبعد فاننا نكتب عريضتنا هذه الى جلالتكم وقتما المسيحيون في بلادنا الشرقية هم في ضيق عظيم من جراء الغلاء وجمع الخراج · وقد انتج بلاءً

---

١ الى هنا تقرير رؤساء الرسالات بحلب كتبوه في سنة ١٦٦٢ = الآثار الخطية ص ٤٥٠ الى ٤٦٧ عد ٣٤

﴿ الباب الثالث ﴾

في بطريركية السيد اندراوس اخيجان

الفصل الاول

٢٦ السعي في نصب اندراوس بطريركاً — براءة سلطانية لشكرالله على اليعاقبة
ولاندراوس على الكاثليكيين ٢٧ تكريسه بطريركاً سنة ١٦٦٢
تهنئة اولي الامر له — نشر خبر بطريركيته في الجهات
خضوع عبدالجليل الموصلي وشعب الرها له ٢٨ كتابه
الى سلطان فرنسا سنة ١٦٦٣ — ٢٩ بطريركية
عبدالمسيح عزله اندراوس — فوز
اندراوس — قصده افتقاد شعب
ما بين النهرين عودته من
ماردين — تشوق
المرسلين لفتح
رسالة بماردين

٢٦ ولما عرف في حلب خبر شكر الله وعبدالمسيح ووفاة شمعون وما دبّره
اتخذ السريان ذلك فرصة يسعون فيها لاقامة مطرانهم بطريركاً على البطريركية
الانطاكية تعود الى مركز الوحدة المرغوبة · ومن ثم اجتمع اكابر الشعب وقصدوا
اولي الامر وعرضوا عليهم انه ليس مابين مطارين السريان من يجدر ان يخلف

شمعون في البطريركية غير اندراوس فلا يرضون ان يُنصب سواه من الطامعين في هذا المقام · فكُتبت مضبطة شرعية في هذا الصدد واتبعها الوالي والقاضي بتقرير رسمي مع التماس من جلالة السلطان محمد خان الرابع ان يصدر امراً يستعرف به اندراوس بطريركاً على السريان قاطبة ويلزم الشعب ان يطيعوه اينما وُجدوا · وأُرسلت الاوراق مع ساعٍ خصوصي ومصاريف لتنفيذها

غير انه لما كان المرسلون يهيئون القلوب لانجاز المساعي ليتم النجاح وينتشر في جميع الانحاء التي يقطنها السريان (١) كان وكلاء من قبل والي ديار بكر يحاولون في العاصمة تأييد شكر الله بطريركاً حتى صدرت براءة سلطانية باسمه · فبدأت المناقشة بينه وبين عبد المسيح ومع ذلك أُعطي اندراوس براءةً ايضاً وذلك بتوسط سفير دوله فرنسا فيها يؤمر الشعب بالخضوع له (٢) · ولدى وصولها الى حلب في ٣ اب سنة ١٦٦٢ ذهب بها السيد اندراوس الى دار الحكومة حيث امر الوالي بتسجيلها والبس المنتخب خلعةً كالعادة · فرجع وقدامه ستة من القوّاسة بعكاكيزهم · وهذا لم ينله احد قبله · ولدى وصولهم الى الكنيسة اوعز وكيل الوالي باسم مرسله الى الحاضرين من رؤساء الطوائف وهم يوحنا بطريرك الروم ومطرانان من الارمن ان يقيموا المطروبوليت اندراوس بطريركاً حسب طريقتهم (٣) · فاجتمع الاباء المشار اليهم في ٢٠ آب سنة ١٦٦٢ في كنيسة السريان ومعهم الاقليرس والاباء المرسلون وجمع غفير من الطوائف وقد وقفت القوّاسة في الابواب للمحافظة · وقبل كل شيء رقّى السيد اندراوس

(١) الآثار الخطية ص ٤٦٣

٢و٣ الآثار الخطية ص ٤٦٥ عد ٢٩

لقداسه طبليثاً غير مستعمل في يومه (١) ومع ذلك فكان شديد المحافظة على جميع مراسيم الطقس السرياني وضوابطه فلم يخرم منه شيئاً

هذا وكان المطران البار قد جمع اليه شباناً من اتقياء الشعب واكثرهم ثباتاً في الايمان ليعلمهم الواجبات الكهنوتية ابان راحته· ففي يوم الاحد التابع للمجادلة رقى ثلاثة منهم الى درجة القسوسية وواحداً الى درجة الشماسية وهم ابراهيم بن ذكرى ودعاه القس بهنام ونعمة الله بن عبد الله وروحيجان شقيقه ودعاه بهنام والراهب يشوع ابن عبد الاحد مصرشاه شماساً فاصبحا غرساً جديداً حسب افكاره (٢) · وعزل الوكلاء السابقين واقام غيرهم

٢٥ وفي خلال ذلك كان البطريرك شمعون في ديار بكر منغصاً بضيقات شتى من جراء خصميه البطريرك شكر الله الاصيل ويشوع بن قمشه الدخيل · وكان مطران ديار بكر طيمثاوس عبد الجليل الموصلي في تلك السنة المشهور بين اساقفتهم قد تشرب روح الديانة الكاثليكية من تعليم المرسلين الكبوشيين في الموصل منذ سنة ١٦٣٦ في ديار بكر · فشق الانقسام المذكور عليه وعلى غيره واغتاظوا من سوء مثل المتنازعين في البطريركية ومما احدثوه من البلبلة · فطفقوا يلعنونهم· وافضى ذلك بعبد الجليل الى ان لجأ اولاً الى دير ماري ابحاي واقام بين الحبساء (٣) · ثم لسبب مجاعة عظيمة حدثت

---

١ الطبليث لفظة سريانية معناها اللوح وهو يوضع حسب طقس السريان تحت الكاس والصينية وقت القداس · وقد يكون من خشب رمزاً الى خشبة الصليب او من صخر رمزاً عن المسيح نفسه لقول الرسول : والصخرة كانت المسيح اقور ١٠=٤

٢ الاثار الخطية ص ٤٥٦ عد ١١

٣ عن فائدة تاريخية في آخر كتاب الهداية كتبه مطران باسم افرام في دير مار

انتقاماً من الله كما قالوا : ذهب الى الرها فأتخذه الشعب راعياً (١)

واما شمعون فلما كان شيخاً ولم يطق مقاومة شكر الله : وجد كاهناً رهاوياً من رهبان دير ابجاي اسمه عبد المسيح امّياً ساذجاً شديد التمسك باليعقوبية ومبغضاً للكاثليكيين . فاقامه مطراناً ومفرياناً وبعد الرسامة سلمه عكازته وقال للحاضرين : اريد ان يكون هذا بطريركاً من بعدي . وبعد قليل توفي البطريرك شمعون في ماردين في اواخر سنة ١٦٦١ (٢)

واذ ذاك كان قدم حلب قنصل جديد اسمه موسيو بارون وسافر سالفه موسيو بيكات في ١ تشرين الاول سنة ١٦٦١ فتأسف الناس على فراقه وشيعوه مع الفقراء وهم يبكون : وبعكس ذلك فرح غير الكاثليكيين لاملهم ان القنصل لن يتداخل في امور الدين وفي مساعدة الكاثليكيين

ابجاي المعروف بدير السلّم في بلد جرجر سنة ١٦٦١ ثم لسبب فيض الفرات حتى السلم الذي ينزل به الى صومعة القديس : ثم لمجاعة عقبت الفيض كمل كتابته في دير مار زكى في سفح جبل البيرة . ثم في بيعة العذراء فوق قرية ونك فقال : انه قدم الى هناك في تلك السنة طيمثاوس عبد الجليل الموصلي مطران امد واقام مع حبساء الدير وذلك على عهد الاباء البطريرك يشوع بن قمشة والمفريان باسيل عبد المسيح الرهاوي وغريغوريوس برصوما الونكي مطران قفدوقيه المقيم في الدير . والمطران عبدالله الونكي وختم قائلاً : لعن الله هؤلاء البطاركة وانتقم منهم لانهم سببوا الانقسام بيننا حتى اجتمع ثلاثة مطارين في جرجر الامر الذي لم نسمعه قبلاً ولهذا ابعد الله عونه عنا

١ قلنا ان شعب الرها اتخذه راعياً لاننا وجدنا ذلك في رواية المرسلين وفي آثار السريان انه مطران امد وذلك نحو سنة ١٦٦١ نفسها

٢ اما في تاريخ سوريه للسيد يوسف الدبس ج ٧ ص ٢٧٢ عن السمعاني توفى البطريرك شمعون بدمشق سنة ١٦٥٩ — وعن غيرهم باد شمعون غريقاً في الهند سنة ١٦٥٣

وعدة شمامسة مع ثلاثة تجار من السريان · ووجد يومئذ قسيس نسطوري (١) واثنان من تجار بغداد فحضروا ايضاً · وتبع هولاء جمّ غفير من الشعب فجلسوا في قاعة الدار الاسقفية اذ كان فناؤها وبستانها غاصاً بالناس وقد حضروا ليروا ما سيكون فافتتح السيد اندراوس الكلام وبعد ذكره الاختلافات الاعتقادية لكل من المذاهب الشرقية : بين واوضح صدق الديانة الكاثليكية وضرورة الخضوع للحبر الروماني لقيام دين المسيح · وختم مفوضاً المجادلة الى البادري بسون اليسوعي : والبادري بلاس دي انجر الكبوشي · والبادري يوحنابطرس الكرملي · وبعد جدال طويل استغرق ثلاث جلسات ظهر للجمهور ان تعليم المطران منطبق على نص الانجيل على سبيل الوضوح او الاستدلال وان تعليم خصومه مأخوذ عن نصوص منسوبة الى الملافنة وهماً او هي لهم · ذكروا منها ما وافقهم وكتموا ما خالفهم · ومن ذلك حصل ان للمسيح طبيعتين حقيقةً ومشيئتين لاقنومه الواحد الالهي · وفي اليوم الثالث عرضت النتيجة على القاضي فايد وسجل ان اندراوس تابع الانجيل الشريف ومعها تسجلت شهادة الحاضرين ولا سيما شهادة اليعاقبة وارسل المرسلون صورة الجدال الى فرنسا ٢)

فمن تلك المجادلة تاكد جهل القسوس وازداد يقين الشعب في السيد اندراوس وتضاعف عدد المحبين له · وختم الله ذلك باعجوبةٍ · وذلك ان جملة من

---

١ لعله الخوري الياس عمون من نسل بطاركة النساطرة الذي باشر السياحة في اميركا سنة ١٦٦٨ وانما لُقب بالنسطوري نظراً الى اصله كعادة ذلك الزمان

٢ منها عرفنا خبر المجادلة وموضوعها · راجع الآثار الخطية ص ٤٥٥ و٤٥٦ عد ٩ و١٠

الاشرار كانوا قبيل هذا قد قُتلوا بامر سلطاني وضُمَّ اليهم من النصارى اسير كاثليكي اصله من بولونيا في ١٢ شباط سنة ١٦٦٠ بعد ان وُعد بالنجاة اذا اسلم · وكان الداعي للحكم عليه انه قتل مولاه لكي يتخلص من مراودته له فلما عرضت جثث القتلى مدة عشرة ايام للكلاب : عاثت بها الاَّ جثة البولوني فبقيت سالمةً من الفساد ووجهه باسم وروائح ذكية تنبعث منها · فهذا ساء المسلمين فهيجوا في اليوم العاشر كلباً علَى الجثة · لكن ياللعجب العجاب · فان الكلب عند وصوله اليها دار علَى ذاته ثلاث دورات وسقط ميتاً فاضطر المسلمون ان يدفنوا الجثة ولو خلافاً للاوامر (١)

فهذه الاعجوبة جلبت كثيرين الى الكثلكة ولاسيما القسوس التسعة فاقتبلوا الحلة الا الخوري اصلان اخو المطران فانه طفق يستعمل ما امكنه من الوسائل لازعاج اخيه وما زال علَى هذا حتى اعتدَّ مختلاً بموجب اعلام من القاضي فخرج عليه الدخول الى كنيسة السريان · وبعد زمان ارعوى بوعظ المطران نفسه فعاد الى الكنيسة (٢)

٢٤ فلما استولى السيد اندراوس علَى الكنيسة هذه المرة وخضع الشعب له تماماً اخذ يمارس وظيفته بغيرةٍ ودالةٍ وتمكن من اسقاط اسماء الايمة المنوفستيين من الدبتخا في القداس والصلوات واتخذ عن الكنيسة اللاتينية بعض العوائد الحميدة ولاسيما التي لها بعض الاثر في طقس السريان كالماء المبارك وزياح القربان المقدس · وجعل القداديس متتابعة · ولما كان غير مباح في طقس السريان ان يقام اكثر من قداس واحد على المائدة رسم ان يضع كل قسيس

١ الآثار الخطيّة ص ٤٥٧

٣ الآثار المذكورة ص ٤٥٨

وصلاته · نعلم محبتكم ان قد وافتني مشرفتكم وتعزينا بها كما تعزى يعقوب بوجود ابنه يوسف فحمدنا الله عَلَى ما انعم به علينا بالنعمة المعطاة لابوتكم من تدابير الروح القدس · ولكن قبل ما وصل امر قداستكم كان المسيحيون القاثوليقيون يعطوني قوةً عظيمة لقلبي وبينهم الاخ الاجل المحب المتشبه بيوحنا البتول الشريف فرنسيس بيكات قنصل سلطان فرنسا بحلب الذي كل هذا السعي والخير هو من الله ومنه فانه كان يطمني ويسليني وينفق عليَّ من ماله ولم يزل يساعدني بمشورته ويحميني ويظلّ عليّ وعَلَى ارفاقنا القاثليقيين كالنسر عَلَى عشه وفراخه

وكان في حلب يثبت الايمان القاثليقي المقدس الروماني اكثر من خدمته القنصلية · ونشكر ايضاً فضل الاباء المرسلين الكرملية والكبوشية فانهم ساعدوني في جميع اموري اذ ما كان يكفيهم تخفيف تعب قلبي وتخليصه من القلق والاحزان المسببة من اعداء ايماننا · بل كانوا يدورون في بيوت طائفتنا ويكرزون ويشددون قلوب القاثليقيين ويردون الغير الكاثليكيين الى طاعة الكنيسة الحقيقية كما كنت انا الحقير · ومن هذا نتج خير عظيم في كنيستنا فكانت هذه الامور تعزيني · ولكن من الجهة الاخرى لما كنت ارى نفسي وحدي في كنيستنا بين القسوس طائع الكرسي الرسولي وقداستكم اذ لم يكن بيدي تأييد من سلطانكم · كنت ارى هولاء خدمة الشيطان ينظرون اليّ بعين الغضب وهم يبذلون جهدهم كي يفسدوا الخير الذي يصير مع الانفس يومياً بالوعظ في الكنيسة وخارجاً عنها · فكنت بهذا المقدار حزيناً حتى رغبت السكنى في جبل لبنان · فلما وافاني كتابكم انتعشت بقوةٍ الهية عظيمة فآمنت متيقناً انه وان

كان قداستكم بعيدةً عنا بالجسد لكن بالروح قريبة وذلك بالسلطان الذي قلده الله ليدها سلطان الحل والربط · واما اتعابكم بالنفقة السنوية التي خصصتموها لضرور ياتي الجسدية فقد وصلت في السنة العابرة سنة ١٦٥٩ ومقدارها ٢٠١ ريال والباقي راح خرج في الطريق — نسأل الله ان يجازي فضالكم لاني كنت محتاجاً اليها (١) ويفيض علينا وعلى اخوتنا اهل الشرق نور الايمان وعطايا روح القدس وينير عقولهم كما انار الرسل الاطهار لكي نضحي جميعاً رعية واحدة تحت راع واحد ومحتمين بترس واحد لنصادف المجد الابدي · هدانا الله بواسطة جسد ودم ابنه الوحيد ووالدته مريم العذراء وجميع القديسين آمين

الحقير عبد عبيدكم

في ٢١ شباط سنة ١٦٦٠ ديونوسيوس باسم مطران حلب (٢)

٢٣ ولما كان اليوم العاشر من شهر نيسان سنة ١٦٦٠ عقدت الجمعية التي كان والي حلب وقاضيها قد امرا بتأليفها من المسيحيين لتفحص عن تعليم المطران اندراوس هل هو مخالف للانجيل الكريم وحضر الجمعية ما عدا الرهبان المرسلين قسيسان وراهب وعدة شمامسة مع طبيبين وخمسة تجار من الروم · وقسيسان مع ثلاثة تجار من الارمن · وخمسة قسوس

١ ان المطران اندراوس كان عائشاً عيشاً زهدياً كما شهد سلوسترسنت انيان في رسالته بتاريخ ٤ اب سنة ١٦٦٥ اذ قال « في الامس رأيت هذا البطريرك القديس يرسل خادمه ليشتري له زيتاً بعشرة فلوس فيطبخ به بعض البقول لغذائه » راجع الآثار الخطية ص٤٦٨ وترجمة حياة بيكات ص ٧٧

٢ الرسالة محفوظة في السجلات الواتكانية بين مراسلات الاساقفة عدد ٤٥ ورقة ٣٧ و٣٨

حلب. فنفاه ابراهيم باشا سالفك قبل ثلاث عشرة سنة الى قبرس فهرب الى ديار بكر وهو عاص. لا يعطي ذلك الشهادة لمطراننا فنسألك ان تستحصل لنا منه صكاً يشهد فيه ان اندراوس هو مطران علينا وان الشعب مامور بقبوله اماماً حسب العادة. وبعدهم حضر القنصل وساعدهم في طلبهم. وارسلوا هديةً الى والي ديار بكر فكتب مرتضى باشا اليه ان يستدعي شمعون بين يديه والا يدعه ينصرف حتى يدفع له الصك المطلوب. فلم يمضِ زمان طويل حتى وافى الجواب من والي ديار بكر ومعه سسطاتيقون من البطريرك به يؤيد اسقفية اندراوس وتصريفه في الرئاسة فتلي في البيعة على رؤوس الملاء. فخضع الشعب كله الاّ المقاومون فانهم عرضوا ايضاً عَلَى الوالي: ان هذا الرجل فرنجي مخالف للانجيل الشريف. فلتخجيلهم طلب المطران فقرئت البرآءة السلطانية بحضور اولي الامر ووجوه الشعب وقسوسهم: ومنها تبين ان اندراوس سرياني عثماني. وحسب طلبه كتبتْ مضبطة رسمية مآلها ان الذي يناصب المطران ويحمله عَلَى الملل او عَلَى ترك كنيسته يحسب مقاوماً للاوامر الشهانية فيغرم الفي ريال للباشا وخمسماية للقاضي(١) وطلب المطران الى الوالي والقاضي تكذيباً للمفترين ان يتقدما الى جمعيةٍ مؤلفةٍ من مسيحيين عَلَى اختلاف طوا ئفهم ان تفحص عن اندراوس هل حرف الانجيل ام لا فانصرفوا راضين

١ الآثار الخطية ص ٤٥٥

الفصل الثاني

٢٢ ورود البراءة البابوية سنة ١٦٥٩ — انفصال القنصل بيكات = رسالة
المطران الى البابا الكسندر السابع ٢٣ اجتماع علماء الطوايف وتكذيب
الافتراء في جدال رسمي نُسجلت نتيجته في المحكمة -- ختام
ذلك باعجوبة ٢٤ تدابير راعويه ٢٥ منازعة
مطارين اليعاقبة عَلَى البطريركية = تسمية
عبدالمسيح الرهاوي لها = قدوم
قنصل جديد

٢٢ وفي خلال ذلك منّ الله سبحانه عَلَى المطران اندراوس بتعزية كبيرة وذلك بوصول البراءة البابوية اليه في ٢٨ كانون الثاني سنة ١٦٥٩ تأييداً لسلطانه وايعازه اليه باتباع الطقس السرياني (١) بكل تدقيق · ولكن فرحه برسالة البابا اعقبه بعض الغم عَلَى ان القنصل بيكات كان عَلَى وشك مبارحة حلب

وكتب في ٢١ كانون الثاني وفي ٣١ شباط سنة ١٦٦٠ الى قداسته جواباً فيه بعد الشكر اقر بالايمان الكاثليكي والطاعة واثنى على شعبه وعَلَى القنصل والمرسلين وتشكى من القسوس المفسدين واليك رسالته بتصرف :

الى حضرة ابي الاباء ورئيس الروساء الحبر الاعظم سيدنا البابا اسكندر السابع صلاته معنا امين

بعد تقبيل يدي الاب الطاهر ادام الله ابوته واثبت رئاسته ورحمنا ببركته

---

٢ هي البراءة التي مطلعها (من جملة المهمات) الآثار الخطية ص ٤٥٥

واما السيد اندراوس فأدخل الى الكنيسة وعقيب تكريسها استوى عَلَى العرش في ٩ آب من سنة ١٦٥٦ و كان يعلن في وعظه بدالة ان لا خلاص للمنفصلين عمداً من البيعة الجامعة · فلم يجسر احد من القسوس ان يذكر الملحدين (١) في حضوره · فاذا غاب ذكروهم و كانوا يرصدونه ليجدوا عليه حجة يوهقونه بها · و كانوا يطوفون في البيوت و يهيجون الشعب عليه · فلما ضايقته هذه الدسائس هرب الى لبنان في ١٥ ايار سنة ١٦٥٧

٢٠ واما المرسلون فلم يكونوا يكترثون بحقد القسوس بل واظبوا عَلَى افتقاد الشعب ووعظه سراً وعلناً حتى قصد القنصل ابراهيم باشا الوالي وقال له : قد كان لطائفة السريان راهب من الصلحاء يقال له المطران اندراوس ضايقه بعض اولي الغرض وحملوه عَلَى ان يغيب عن البلد فارغب ان تامر طائفته بالتفتيش عنه واعادته · فقبض الوالي عَلَى وجوه الشعب وطالبهم باندراوس فقالوا ان قسوسنا طردوه من البيعة ولا نعلم الى اين توجه · فاستدعى القسوس اليه و كانوا خمسة وامر بحبسهم واقسم ان لن يطلقهم حتى ياتوه به فبقوا في السجن زماناً والجماعة تستعطف الوالي من اجلهم فلم يستجبهم الى ان ضمنوا له رجوع المطران اذا اذن لهم ان يذهبوا في طلبه · فاذن لثلاثة منهم بالذهاب وابقى قسيسين في السجن رهناً فتوجه الثلاثة من ساعتهم في ٢ كانون الثاني سنة ١٦٥٧ الى لبنان واستغفروا من المطران وسالوه ان يرافقهم الى حلب فلم يلبِّ طلبهم

---

١ اليك اسماء زعماء بدعة اوطيخا السبعة : ديوسقورس برصوما طيمثاوس ساويرا فيلكسينس يعقوب البرادعي انتيمس وقد شرحنا اخبارهم في الجزء الاول عدد ١٧١ و١٧٢ و١٨٠ و١٩٥ و١٩٧ و٢١٦

لانه لم يأمن عَلَى نفسه منهم حتى توسلوا بالمرسلين الكبوشيين الذين في طرابلس فاقبلوا اليه وسالوه الرجوع وقالوا له : اعلم انك اذا امتنعت من الذهاب الى كنيستك تقاوم ارادة الله فتخطي · فاذعن ورجع برفقة القسوس في ١٤ ايار سنة ١٦٥٨ · فلما مثلوا بين يدي الوالي والمطران معهم ادّى ماحدد عليهم من الغرامة ورجع معهم الى الكنيسة يرافقه وكيل وقواسه من قبل الوالي فكرسها وجلس على عرش الاسقفية ووعظ والكاثليكيون في فرح والاضداد في ترح · وفي ختام الحفلة اعلن وكيل الوالي للشعب التزامهم بتأييد الطاعة للمطران وحذرهم ان من يخالفه يحسب عدواً للدولة (١) غير ان هذا التهديد لم يرعب القسوس ولا سيما اثنين منهم وهما توما بن معتوق والخوري اصلان اخو المطران اندراوس نفسه · فكانا يقلقان الشعب قائلين : ان هذا المطران فرنجي متفق مع الفرنج على الدولة العلية وهو غير شرعي اذ ليس له وثيقة من بطريركنا يشهد فيها انه مطران وراع علينا وان تعليمه يناقض ديننا · فمن هذه الاشاعات نتج شغب في الشعب حمل البعض عَلَى اهانة المطران وطرده من البيعة · ولكن الكاثليكيين لم يفشلوا بسبب ذلك بل اتفقوا مع القنصل عَلَى تدبيرٍ به كذبوا افتراء الشاغبين فنجحوا

٢١ وذلك ان انصار اندراوس وكانوا من اكابر الشعب قصدوا مرتضى باشا والي حلب وكان قد نصب منذ سنة ١٦٥٧ فقدموا له هديةً قائلين ان لنا مطراناً من الصلحاء ازعجه البعض من جماعتنا وعزلوه لخلو يده من صك شهادة من بطريركنا شمعون المقيم الان في ديار بكر وكان هذا البطريرك سابقاً في

١ عن الآثار الخطية ص ٤٥٤ عن تقرير المرسلين

هذا البطريرك محب للمال ولا يعنيه امر المعتقد فلاستمالته تكفي هدية تقدم اليه . فردهم غيرهم قائلين : ان التذرع بالهدايا الى مثل هذه الغاية مغاير للقوانين لكننا نظن انه يجوز للقنصل ان يتحف البطريرك بهدية دفعاً لشر اعظم وهو انه اذا فاتت هذه الفرصة ونصب لحلب مطران من اليعاقبة لصد" شعبه عن الديانة الكاثليكية ابداً (١) وختم غيرهم ان رسامة اندراوس بيد راسم غير كاثليكي لاتجوز : فالراي عندنا ان يرسل المنتخب الى بطريرك الموارنة فيقيمه مطراناً كما كان قد اقامه قسيساً (٢)

واما قسوس اليعاقبة فكانوا يخشون ان يتراخى بطريركهم فيقيم اندراوس مطراناً فطردوه من البيعة محتجين انه لا يشاركهم في المذهب ولا في الصلوة واخبر اندراوس القنصل بذلك فارسله من ساعته الى بطريرك الموارنة يوحنا بواب المكنى بالصفراوي وقد اصحبه بكتاب منه يساله فيه ان لا يرده الا مطراناً . وفيما كان هذا البطريرك عازماً على الرسامة عارضه بعض الاساقفة لخوفهم ان يرتد اندراوس الى اليعقوبية اذا ما ضايقه الاضداد . فاجابهم البطريرك انا عارف بالرجل مختبر لسيرته وثباته فاجتمعوا على رأيه فتمت الرسامة في ٢٩ حزيران يوم عيد الرسل من سنه ١٦٥٦ فدعي ديونوسيوس وشرط الراسم عليه ان لا يتداخل في امور الموارنة بحلب مطلقاً (٣) . وانفذ المطران الجديد

---

١ عن شذرات اخبار دي ارو يو ج ٦ ص ٨٣ و٨٤

٢ هناك ص ٨٥ .

٣ عن شذرات اخبار دي ارو يو ج ٦ ص ٨٥ . وورد في رسالة اسطيفان الدويهي البطريرك الى بطرس مبارك بروميه بتاريخ غرة ايار سنة ١٧٠١ : ان القنصل بيكات كان بعث عشرة مكاتيب الى المرحوم البطريرك حنا من صفرا حتى يرسم اندراوس اخيجان

صورة ايمانه وخبر رسامته الى البابا الكسندر السابع و كذلك الراسم ومن وافقه في رأيه فسر الحبر الاعظم بذلك · وانتهز السيد اندراوس فرصة مكوثه في قنوبين فنقل كتاب الرسامات لنفسه ولقب نفسه فيه مارونياً لانه لم يكن للمتكثلكين من السريان يومئذٍ لقب اخر يميزهم عن سواهم (١)

وبعد هذا توجه المطران برفقة اسطيفان الدويهي لما قدم اليها خورياً واعظاً لطائفته فكتب الى القس بطرس مبارك قال : ذهبت بنفسي معه و كنت اساعده في كتابة الكرز الذي كنت القيه · ولدى وصوله في ١٦ تموز من تلك السنة ارسله القنصل بهدية الى البطريرك شمعون · فرحب به وهناه لكنه لما علم انه اخذ الرسامة الاسقفية عن الموارنة · اغتاظ واعلن في الكنيسة انه لايستعرفه مطراناً · وبلغ ذلك موسيو بيكات فكتب من ساعته الى القسطنطينية الى السفير الذي بسعيه ورد الى المطران الجديد براءة التأييد يقول فيها السلطان محمد الرابع : ان الذي لايستعرف اندراوس مطراناً يحسب عدواً للدولة : ومنذ وصول هذه البراءة الى حلب عني المطران بتسجيلها في المحكمة فصدر بيورلدي من الوالي وحجة من المحكمة فامر باجرائها · واذ انتشر هذا الخبر خاف شمعون فهرب من ساعته الى ديار بكر (٢) ووافق دخوله اليها هرب يشوع بن قمجه خصمه من وجهه وفزعه الى دير مار ابجاي الذي في بلد جرجر (٣)

فما تنازل معه حتى دخلت انا بينهم وازحت عن باله الصعوبات التى كانت تمانعه فاقامه مطراناً الخ طالع تاريخ سورية ج ٧ ص ٣٠٨

١ هذا الكتاب محفوظ في مكتبة القلاية بحلب وتاريخ كتابته سنة ١٦٥٦

٢ عن الاثار الخطية ص ٤٥٤ عن تقرير اخبار المرسلين

٣ عن فائدة تاريخية في كتاب الهداية مع قاموس كتب في بلدجرجر سنة ١٦٦١

ما جرى لهم معه · وما يلاقونه من المصاعب فشجعهم عَلَى السعي في عمل الخير بحرية فايقنوا بالنجاح في ايامه

واما البطريرك شمعون فما استقرَّ في حلب الآَّ وارسل القنصل ترجمانه اليه فهناه عَلَى فوزه وذكره بوعده فاجاب : امهلوني الى ان تتحسن الاحوال فلا البث ان أعلن انا وشعبي بالخضوع للحبر الروماني دفعةً واحدةً

وكان القس اندراوس اذ ذاك قد عاد الى حلب في سنة ١٦٥٤ وهو متقد شوقاً الى نفع بني جنسه وذهب الى زيارة مسيو بيكات (١) فاحبه ونشأت المودة بينهما · واخذ القس اندراوس يتردد الى كنيسة طائفته لا يخالط اليعاقبة في المذهب ولا في العبادة وانما كان يرشد الشعب في المعتقد القويم كلما وجد فرصةً مناسبة · وكان الذين تكثلكوا في ازدياد يقضون صلواتهم في خفية · فكانوا يجتمعون للمفاوضة مع المرسلين حتى دار البحث في انه منذ وفاة قسطنطين مطرانهم لم يقم عوضه · فقالوا لنغتنم هذه الفرصة وننتخب لنا راعياً يرعانا في مروج الحق فيمكننا قضاء العبادة في كنيستنا على هوانا وايثارنا قال غيرهم واذا تم لنا هذا التدبير تنضم الينا العائلات السريانية التي انحازت الى طائفة اخوتنا السريان الموارنة ووافقهم في ذلك المرسلون الكبوشيون والكرمليون الحافون واليسوعيون : وعرضوا المسألة على القنصل فرأى ان يدعوا البطريرك الى الغذاء

(١) كان فرنسيس بيكات الفاضل من اشرف عائلات مدينة ليون · ومدته في قنصلية حلب من سنة ١٦٥٢ — ١٦٦٠ فبارح حلب سنة ١٦٦٢ وكانت له غيرة عجيبة عَلَى خدمة الله واطلاع عَلَى السياسة العثمانية لمصلحة امته · وكان متضلعاً باللغة الشرقية سخياً مساعداً للمرسلين نجحوا بهمته — طالع شذرات اخبار دي اروبو ج ٦ ص ٨٢

فاهتش لهذا الالتفات · وقال القنصل للبطريرك : مالي ارى كنيستك لا مطران لها · فاجابه لن نلبث ان نقيم لها مطراناً يرضيك · وفي الغد عرّف القنصل المرسلين بالخبر واوعز اليهم ان يجدوا قسيساً بتولاً لا ريب في صحة ايمانه · فطفق الاب برونو الكرملي يثني بحضر الجميع عَلَى القس اندراوس وهو يقول قد تاب عَلَى يدي منذ اربع عشرة سنه وتكثلك وبقي ثلاث سنوات في المدرسة برومية · وهو معروف عندي بطهارة ايمانه ونقاوة قلبه وشجاعته وغيرته الفريدة وتلك الخصال تليق بمن يُنتخب للاسقفية · وشهد بذلك الكبوشيون ايضاً فقالوا اذا أقيم هذا مطراناً كان ذلك عائداً الى تمجيد الله ونجاح بيعته المقدسة وانفتاح السبيل الى اهتداء الطائفة جمعاء مع اتساع حدودها وعدد اهلها فلما فهم القنصل ذلك كله هيا مأدبة ثانيةً دعا اليها البطريرك شمعون وكيريوحنا بطريرك الروم والقس اندراوس · فحضر شمعون مع ثلاثة من قسوسه : وفيما هم ياكلون ذكر القنصل حادثة نجاة شمعون من المنفى فقال : لقد كان ذلك احساناً عظيماً لم يبرح من بالي وانا شاكر لك ماحييتُ · فقال القنصل أرأيت هذا الراهب اندراوس انه سرياني من طائفتكم وصديقاً لي اشتهي ان تقيمه مطراناً فاجابه حباً وكرامةً ولدى انصرافهم قال القسوس لبطريركهم : ألأجل طعام اكلتهُ تعطي وعداً برسامة ابن مربه مطراناً وقد كان ساحراً واخذ الرسامة القسوسية عن الموارنة وهو آتٍ من بلاد الافرنج · فاجابهم : وما الذي خسرناه اننا اكلنا طعامهم وضحكنا عَلَى ذقونهم · واخذ يتحاشى الالتقاء بالقنصل لئلا يطالبهُ بوعده

١٨ وكان المرسلون يتفاوضون في وجود وسيلة تتم بها رغبتهم فقال البعض: ان

عبد الغال بن مربه او ابن مربي (١)

١٦ وكان اخيجان مولوداً في حلب مارديني الاصل (٢) وكان مولعاً بطبخ الكيميا والبحث عن الكنوز الخفية ٠ يطالع لهذه الغاية كتب الخرافات والسحر ٠ وبينما كان ذات ليلة في حجرته مكباً على عمله : اخذه همٌّ عظيم وخيل له انه يسمع داعياً يدعوه باسمه ويقول ٠ ما بالك يا هذا تطلب الكنوز الارضية الزائلة ٠ اطلب الكنز السماوي الذي لا يزول ٠ فنهض مذعوراً ولجأ الى حجرة والده ٠ وفي الصباح باكراً قصد دار الاباء الكرمليين وانفرد برئيسهم البادري برونو ايواس الفرنساوي وقص عليه خبره (٣) فروعه المرسل الغيور واتخذ

---

١ ورد في آخر كتاب قراآت العهد القديم التي تقرأ في القداس في كنيسة مار مرقس بالقدس الحاشية الآتية :

تمَّ الكتاب في سنة ١٩٦٧ يونانية — مسيحية ١٦٥٦ — ونطلب من القاريء ان يطلب لناقله المسكين اصلان باسم خوري بن المرحوم عبدالغال السريان اصله مارديني وهو يسأل الغفران لاموانه ابيه عبدالغال وامه فرحه واختيه زينة ومريم الراقدتين وهذا الخوري اصلان هو اخو اخيجان

٢ كذا لقب نفسه في كتاب قداس بخط يده سنة ١٦٦٨ وهو محفوظ في مكتبة القلايه بحلب — واما قصته فعن كتاب اخبار المتكثلكين من السريان والارمن والكتاب في مكتبة غبطة بطريركنا مار اغناطيوس افرام الثاني وذلك بالمقابلة مع مذكرات اخبار دي اروبو شاهد العين ج ٦ ص ٢٦٨ وما زيد عليها فعن الآثار الخطية الاب انطون رباط ومذكور في محله

٣ كلٌّ من اصناف المرسلين بحلب نسب اهتداء اخيجان اليه ٠ فحسب رواية دي اروبو ج ٦ ص ٣٦٢ تم عَلَى يد البادري نو اليسوعي — وفي الآثار الخطية عن تقرير المرسلين جملة عَلَى يد البادري برونو الكرملي — والصحيح هو ان جميعهم اشتركوا في ذلك راجع الآثار المذكورة ص ٤٥٣

حادثته فرصةً ليحثه على عمل التوبة قائلاً اذا شئت ان تخلص نفسك وتحوز الكنز السماوي احرق ما لديك من الكتب والاوراق الخرافية · فاذعن ومن ساعته رجع الى البيت وجمعها وعاد بها فاحرقها بحضور مرشده كما فعل الذين اهتدوا بوعظ بولس الرسول « قص ١٩:٩ » ثم اعترف اعترافاً عاماً واخذ يتردد عَلَى الدير وسال الرئيس ان يترهب واذ وجده ثابتاً ذكياً نجيباً يمكنه ان يعيد طائفته الى رونقها القديم · اقنعه بالسفر الى لبنان الى السيد يوسف العاقوري بطريرك الموارنة وسلمه كتاباً اليه فسافر الى قنوبين سنة ١٦٤٩ وقبله البطريرك في سلك الرهبان · واذ رآه معتكفاً عَلَى اقتناء الفضيلة والعلم رقاه بعد قليل الى درجة الكهنوت باسم اندراوس وارسله الى مدرسة الموارنة برومية (١) حيث تثقف مدة ثلث سنوات في ما امكنه من العلوم واعمال التقوى

١٧ وكان قد تعين اذ ذاك قنصل فرنساوي بحلب يقال له موسيو فرنسيس بيكات وهو الثاني بالعدد · هذا اجتاز في سفره بجزيرة قبرص فلما صادفه البطريرك شمعون المنفي هناك : التمس منه ان يسعى في تخليصه واعداً انه اذا رجع الى حلب يصير كاثليكياً ويعمل بما يريده القنصل فرقّ له بيكات وشفع فيه عند والي الجزيرة فعفى عنه واطلقه فتوجه شمعون من ساعته الى القسطنطينيه راساً ولم يزل يسعى حتى نال فرماناً سلطانياً لتأييده بطريركاً · فرجع الى حلب وعزل يشوع فهرب الى ديار بكر يستجير بواليها

فلما وصل القنصل الى حلب عرّف المرسلين بما أداه لشمعون وسمع منهم

---

١ عن الدر المنظوم للبطريرك بولس مسعد عن الدويهي ولكن حسب رواية المرسلين ان درسه تم في مدرسة برو بغندا

﴿ الباب الثاني ﴾

في اهتداء الشاب اخيجان بن عبدالغال وقسوسيته واسقفيته

الفصل الاول

١٥ اتفاق ضيقة شمعون بطريرك اليعاقبة وكثلكة قسطنطين مطرانهم لكثلكة شعبهم بحلب ١٦ اتفاق اهتداء اخيجان وتوبته وقسوسيته ودرسه العلوم برومية ١٧ سعي موسيو بيكات قنصل فرنسا في نجاة البطريرك شمعون من المنفى وفي اسقفية القس اندراوس اخيجان ١٨ تسقف اخيجان بوسائل جائزة سنة ١٦٥٦ ١٩ رجوع المطران اندراوس الى حلب — نيلهُ براءة سلطانية — هرب شمعون مناصبة قسوس حلب للمطران ٢٠ ارغام القسوس عَلَى مصالحته سنة ١٦٥٨ — شغب القسوس وافتراؤهم ٢١ ارغام شمعون ان يعطي المطران صك تأْييد — تكذيب الافتراء

١٥ وفي خلال ذلك جرت باحكام الله حوادث مهدت السبيل لقيام كنيسة منتظمة ثابتة من السريان المتكثلكين بحلب وذلك اولاً : كان في اثناء الخطوب المار ذكرها قد توفي بطرس هدايه بطريرك اليعاقبة نحو سنة ١٦٣٩ وخلفه في

البطريركية غريغوريوس شكرالله ابن نعمه الدباغ مطران القدس · ولكن ما استقر هذا في مقامه حتى نازعه المطران شمعون الطورعبديني وخلفه منه فنهض المطران يشوع ابن قمشه الامدي ايضاً على شمعون وطرده فهرب الى حلب واستنجد الرهبان المرسلين فاتخذوا ذلك فرصةً لاجتذابه اليهم · على ان جانباً من طائفته هناك استحبوا هذا العمل وبعضهم انضموا الى الكنيسة الرومانية تماماً · فارتاح شمعون من ساعته الى دعوتهم تخلصاً من خصمه وانفذ كتاباً الى البابا اربانس الثامن تاريخه في ٢ اذار سنة ١٦٤١ نعته فيه بتاج الملة الارثدكسية وعمود دين النصرانية واساسها والصخرة البطرسية · ثم اثنى عَلَى الرهبان الكبوشية لانهم نصحوه وساعدوه واعتنوا بارسال كتابه الى الحبر الاعظم عَلَى يد الكردينال سپاده رئيس المجمع المقدس (١) ولكن بين كان شمعون هذا المسكين يدبر هذه الامور تعقبه يشوع خصمه الى حلب ودفعه الى ابراهيم باشا واليها فنفاه في سنة ١٦٤٤ (وهجرية سنة ١٠٥٤) الى جزيرة قبرص

ثانياً كان قسطنطين مطران اليعاقبة قد طعن في السن والرهبان المرسلون يلاطفونه ولا سيما البادري بولس كوده اليسوعي حتى اذعن لنصائحهم فقرر الايمان الكاثوليكي واعترف اعترافاً عاماً لهذا المرسل وبعد قليل مات مزوداً بالاسرار المقدسة وقد ناهز المائة والعشر من العمر ومدة اسقفيته خمسون سنة (٢) · فهذه الحادثة ضاعفت ثبات المتكثلكين من سريان حلب ولا سيما الشاب اخيجان بن

١ هذه الرسالة محفوظة مع نسختها بالايطالية في السجلات الواتيكانية خزانة ٧ صندوقة ٤ عد ٢

٢ عن الآثار الخطية صفحة ٤٢٠ و٤٢١

واما عن السريان فقد ورد في الحاشية المعلقة على المصحف الواتكاني العربي الموسوم بعدد ١٤١ ما نصه «كتب هذا الكتاب البطريرك نوح في مدينة حلب المحروسة بحارة الجديدة من قرية باقوفه من جبل لبنان سنة الف وثمانمائة وسادس عشر يونانية » ١٥٠٥ مسيحية · وجاء في ورقة ملحقة بكتاب الصلوات المسمى الفنقيث المحفوظ في خزانة الكتب بقلايتنا في حلب الحاشية التالية « رسم روح القدس الايكونومس فلان لكنيسة والدة الله مريم بحلب سنة ١٨٢١ يونانية «١٥١٠ مسيحية » ويليها الحاشية الثانية وهي« وكان عندنا ابونا مار غريغوريوس ومعه الاخ العزيز القس جرجس من دير الزرجل في سنة ١٨٣٣ يونانية « ١٥٢٢ مسيحيـــة » وكان ذلك على يد القس عيسى ابن المرحوم المقدسي اسحق الملقب

الطاعون · القس سركيس بن بطرس الحميري ٣ شباط ١٧٤٥ القس الياس بن جبرائيل فرن ١٣ ايار ١٧٤٥ الخوري بطرس الفيلسوف اللاهوتي بن اسحق التولاني البتروني ٦ آب ١٧٤٦ القس فرج الله بن الخوري عطا الله هردون ١٤ ايلول ١٧٤٨ القس يوحنا بن الخوري ميخائيل الدويهي ٢٥ تشرين الاول ١٧٥١ القس انطون بن يوسف سقر ١٦ ايار ١٧٥٣ الخوري نعمة الله بن زخريا الشراباتي ٢٧ كانون الثاني ١٧٥٣ القس فرنسيس بن القس حنا الباني ٣٠ اذار ١٧٥٣ القس الياس سعد توفى ١٥ شباط ١٧٦٠ القس ارسانيوس بن الشدياق ميخائيل ذكرا في الطاعون تموز ١٧٦١ القس يوسف عبدبني في الطاعون حزيران ٨٧٧٢ القس روفائيل بن حنا شكري طبيب في الطاعون حزيران ١٧٦٢ القس رزق الله بن ميخائيل عبدبنى ١٠ تموز ١٧٧٠ الخوري يوسف حصرم ايلول ١٧٨٣ القس عبدالله بن كرلس حصرم ٤ ايار ١٧٨٩ القس الياس بن جبرائيل ذكرا كانون الثانى ١٧٩٠ القس بوسف الكاروز بن نعمه نجار ٢٧ كانون الثانى ١٧٩٠ القس لويس بن المعلم الياس كنيدر ١٧ تموز ١٧٩٠ القس جرمانوس بن نعمه حجل ٦ كانون الثاني ١٧٨١ القس جبرائيل بن يوسف لورنس ٢٧ تموز ١٧٧٨ القس يوسف بن انطون عاقوري ٢٣ حزيران ١٧٨٧ القس لويس عبدبني بن قس رزق ١٥ اذار ١٧٩١

بالكرباني في جديدة حلب المحروسة

فمن ذلك يُستدل علىَ ان كنيسة السيدة للسريان كان ابتناؤها قبل ابتداء القرن السادس عشر في جوار حلب في المحلة التي سموها جديدة بحيث انه في سنة ١٥١٠ دعت الحاجة الى رسامة ايكونومس عليها ٠ وقيل ان السريان اتوا حلب قبل غيرهم فأفرد لهم محل خصوصي انشأوا فيه كنيسة السيدة وقد قدموا من دمشق وحمص وحماه وتوابعها ومن ماردين

وكذلك الملكيون اتوا حلب في اواخر القرن الخامس عشر وشيدوا لهم في جديدة ايضاً كنيسة علىَ اسم السيدة في بقعةٍ جعلت لهم بالاشتراك مع الموارنة والارمن

الملكيين فهجم عليهم التتر وقتلوهم وسبوهم

ومن بعد اواسط القرن الثالث عشر لم يرد في الآثار السريانية ذكر لاساقفة حلب حتى اواخر القرن الخامس عشر . ولعل سبب ذلك هو لان هولاكو وخلفاءه اباد وا المسيحيين قاطبة من حلب ونواحيها ومن سوريا وغيرها . يدلُّ عَلَى ذلك قول الشاهد المعاصر اي غريغوريوس ابن العبري المفريان في رسالته الى بطريركه فيلكسين سنة ١٢٨٣ اذ بلغه ان بعض الاساقفة عزوا اليه حب الارتقاء الى السدة البطريركية كتب مانصه بحروفه « لم يكن لي رغبة في البطريركية . اولاً لاني قد شبعت من الرئاسة اذ قد قضيت عشرين سنة في المطرانية بالمغرب وعشرين في مفريانية المشرق وقد بتُّ اتوق جداً الى الخلوة ثانياً لاني فائز بالراحة ههنا . ثالثاً وعلى فرض اني كنت اتمنى البطريركية اقتداءً بالذين سلفوا فاليوم عَلَى مَ اتمناها وقد امست ابرشيات المغرب قاعاً صفصفاً . أَأَبتغي انطاكيه وقد باتت تنتحب نادبةً نفسها . أأتمنى مرعيث جوميه ولم يبق فيها من يبول عَلَى حائط . هل اتوق الى ابرشية حلب او منبج او قلنيقس او الرها او حران وقد اقفرت برمتها . هل ارغب رئاسة الابرشيات السبع التي حول ملطية اعني لقبين وعرقا وقليسورا وجوبا وصمحا وقلوذيا وجرجر ولم يبق فيها بيت واحد (١)

ولم يتح للمسيحيين ان يعودوا الى حلب الا في اواخر القرن الخامس عشر على ماجاء في بعض الحواشي المعلقة على بعض الكتب غير انه لم يسمح لهم بالاقامة داخل المدينة بل أُسكنوا في جوارها في الناحية التي اطلق عليها لذلك

(١) التاريخ الكنسي ص ٤٥٦ — ٤٥٩

السبب اسم جديدة حلب او جديدة بجوار حلب

فعن السريان الموارنة قد جاء في اخر كتاب يتضمن الصلوات الطقسية لايام اعياد السنة وهو في مكتبة مطرانيتهم بحلب تحت عدد ٧٠٥ الحاشية التالية « بيان اسامي كهنة الموارنة الذين توفوا في حلب ودفنوا في كنيسة مار الياس منذ دخلت طائفة الموارنة حلب سنة ١٤٨٩ اي سنة الف واربعمايـة وتسع وثمانين مسيحية · حرره جرمانوس الماروني اسقف مدينة حلب غير المستحق (١)

(١ الخوري موسى العبديني · الخوري موسى العبديني الخوري عطاالله الحصروني · الخوري حوشب البزعوني · الخوري داود الحدشيتي · الخوري يعقوب الهدناني · الخوري شحادة الحصروني · الخوري داود البشراني · الخوري اليـاس البشراني · الخوري ابرهيم الهدناني · الخوري موسى الدمشقي · الخوري يوسف الباني · الخوري جرجس الدمشقي · الخوري سركيس من دير نوهرا · الخوري سركيس البسلوقيتي · الخوري رزق الله الباني · الخوري ايوب البشراني · الخوري باخوس البشراني · الخوري جرجس التولاني · القس الياس الهدناني · الخوري يوحنا البشراني · القس جبرائيل الهدناني · القس فرج الله العبديني · الخوري يوسف البشراني · الخوري يوسف البشراني · الخوري جبرائيل الاجيعاني · الخوري شحاده البشراني · الخوري يوحنا الحصروني · الخوري جبرائيل الهدناني · القس يوحنا شحات العبديني · القس رزق الله البلوزاني · القس يوحنا الباني · القس يوحنا بن رندو البشراني · القس اغناطيوس العبديني · القس يوحنا بن حلابو · الخوري عطا الله هرون · القس الياس الحصروني · القس ابراهيم بن نصف الليل · القس الياس بن بحلق الراهب · الخوري انطون بن جلعون سنة ١٧٣٠ القس عطاالله زخيره ١٧٣٢ الخوري زخريا صدقني ١٧٣٢ القس مخلوف ٢٣ ادار ١٧٣٦ القس ميخائيل الحصروني ٢٣ تشرين الثاني ١٧٣٧ الخوري بطرس بن عبد المسيح الساعاتي ١١ حزيران ١٧٤١ القس عبد المسيح لبيان ٣١ اذار ١٧٤٢ القس جرجس بن فرج الله الحصروني في ٥ حزيران ١٧٤٣ اسنـة

اعني غريغوريوس شمشون مطران السريان ومطران الملكيين مع جملة من المسيحيين وامرهم ببناء الجامعين . فلما عاذا لمشاورة وكلاء الكنائس قر رايهم على ان لا يجيبوا الى ذلك الطلب لئلا يفتحوا على المسيحيين باباً جديداً وهو القيام برمّ الجوامع كلما خربت . فلما سمع الحاكم ذلك امر الوفاً من المسلمين فاسرعوا يوم الجمعة الى الكنائس ودمروها ودخلوا كنيسة مار يعقوب وكانت للسريان وكسروا البيم وكاروبي المذبح ومزقوا الصور وفتحوا في الجهة الجنوبية منها محراباً صلوا فيه وصنعوا كذلك ببيعة والدة الله وكانت للملكيين وبكنيسة النساطرة . ونهبوا الكنائس وقلايتي المطرانين فهرب مطران الخلقيدونيين الى انطاكية ومطران السريان الى قلعة جعبر ... (١)

وورد في كتاب ابن الشحنة ما يؤيد هذا الخبر « قال لم يزل النصارى على الكنيسة الكبرى الى ان حاصرت الافرنج حلب سنة ثماني عشرة وخمسماية فأخذ لهم القاضي ابو حسن بن يحيى بن الخشاب اربع كنائس وصيرها مساجد من جملتها الكنيسة العظمى ورمى بالصليب «٢» . ثم قال « واما الباقيات « يريد الكنائس الثلاث الاخرى » التي صيرها جوامع فاحداها كانت في الحدادين ... والثالثة في درب الحطابين ... والرابعة بقرب حمام البيلوني » (٣) فيستنتج من ذلك ان الكنائس وقلايتي المطرانين كانت يومئذٍ داخل المدينة اي ضمن السور اذ ان جماعات المسيحيين كانوا يقطنون المدينة . وكان في

١ فصل ٢٩١ ص ٢٨٩ من التاريخ المذكور

٢ الباب التاسع ص٧٧

٣ الباب العاشر ص ٨٣

حلب وضواحيها اديرة كثيرة اشهرها دير ترعيل فيه درس توما الحرقلي صاحب ترجمة العهد الجديد من اليوناني الى السرياني في اوائل القرن السابع للتجسد ولم تنقطع عَلَى اثر تلك الحوادث سلسلة المطارنة في حلب لا عند الملكيين ولا عند السريان · وقد قام عند السريان بعد غريغوريوس شمشون المذكور الساعة اغناطيوس الرهاوي الذي رقاه الى اسقفية حلب البطريرك اثناسيوس الثامن المعروف بابن قطره الملطي (١١٣٩—١١٦٦) وخلفه باسيليوس الذى رقاه الى اسقفية حلب ميخائيل الكبير (١١٦٧——١٢٠٠)· ومن اشهر اساقفتها غريغوريوس ابن العبري الملطي ولاه رئاستها البطريرك ديونوسيوس عنجور

ومن النقول المقتبسة من تواريخ ابن العبري يستدل عَلَى ان الملكيين والسريان بعد ان ضبطت كيستاهما المذكورتان اعلاه وجدوا يصلون في كنائس اخرى مختصة بهم · ولا ريب انها كانت ضمن السور· قال في الصفحة ٣٣٩ من تاريخه المدني السرياني « يوم الاثنين ٢٩ حزيران سنة ١١٧٠ حدثت زلزلة شديدة لم يحدث مثلها قط ··· وفي هذه الزلزلة هدمت اسوار حلب و بعلبك وحماه وحمص وشيزر و بغراس ·· وكنيسة اليونان بانطاكية وكنيسة الافرنج المعروفة بالقسيان اما نحن فالرب شفق علينا··· فلم تهدم كنيستنا في حلب· ولا ثلاث كنائس في انطاكيه الخ »

وقال في الصفحة ٥١٠ من التاريخ المذكور مانصه (ولما كان اهل بعلبك قد اخربوا سقف كنيستنا الحلبية وكنتُ اذ ذاك مطرانها سنة ١٢٦٠ استحوذ عليَّ الخوف فذهبت لخدمة هولاكو ملك الملوك فزجوني في الحبس بقلعة نجم وهكذا ظلت طائفتنا الحلبية دون راع ولكن اغلبهم كانوا يجتمعون في بيعة

الافسسي سنة ٤٣١ وطالت مدة اسقفيته نحو ثمان وخمسين سنة٠ ومنهم ثوكطستس الذي حضر المجمع الخلقيدوني سنة ٤٥١ وامضى تحديده وتعليمه ان في ابن الله طبيعتين واقنوماً واحداً ٠ غير ان احد خلفائه اعني انطونين اسقف حلب عُرِف بمقاومته لتعليم المجمع الخلقيدوني فنفاه يسطنيان الملك سنة ٥١٨ مع غيره من الاساقفة المنوفستيين واشهرهم فيلكسينس اسقف منبج و بطرس اسقف اوفيميه وقسطنطين اسقف اللاذقية ونونس اسقف سلوقيه واسيدورس اسقف قنسرين ومارا اسقف امد وتوما اسقف دمشق وغيرهم كثيرون

ولبث مسيحيو حلب منقسمين الى الفرقتين اللتين انتشرتا في بلاد سوريا وما بين النهرين منذ القرن السادس اعني الملكية وهي التابعة لتعليم المجمع الخلقيدوني واليعقوبية وهي القائلة بالطبيعة الواحدة في المسيح٠ وكان لكل منهما كنائس واساقفة خصوصيون بحلب «١» يتراسون كلاً من الطائفتين علَى حدة الواحد بعد الاخر ٠ وورد في الفهرست الذي الحقه ميخائيل الكبير بكتاب التاريخ المطول اسماء اساقفة حلب السريان اليعقوبيين منذ عهد البطريرك قرياقس «٧٩٣—٨١٧» الى ايامه اعني الى آخر القرن الثاني عشر

وسنة ٧٢٧ تشعبت في مدينة حلب من الفرقة الملكية شعبة ثانية انحازت الى الضلالة المنوثلتية وطال الخصام بين الفريقين ثم اذعنت الفرقة المنوثلتية للملكيين «٢»

وكان الملكيون مستولين علَى الكنيسة الكبرى وقد وصفها بعض المؤرخين

---

١ راجع اسماء الاساقفة الملكيين في الشرق المسيحي لمؤلفه لكيان جلد ٢ ص ٨٨٣

٢ عن تاريخ ميخائيل الكبير في المقالة الحادية عشرة الرأس التاسع عشر

بقوله · « ان موقعها كان تجاه الجامع الغربي المعروف بالجامع الكبير (١) وهي الكنيسة التي ابتنتها هيلانه امقسطنطين وكانت معظمة عند النصارى حتى قيل انه كان يقف على بابها يوم الاحد كذا وكذا بغلة لرؤساء النصارى من الكتّاب والمتصرفين (٢) »

غير ان ميخائيل الكبير يذكر ان هذه الكنيسة الكبرى كانت تُحسب وتنسب الى اقاق الاسقف المقول عنه اعلاه · ولعل الروايتين تتفقان بمعنى ان تأسيس الكنيسة كان بسعي هيلانه ثم وسعها او اكملها اقاق · وكانت هذه الكنيسة تحت عنوان « والدة الله » وبجانبها قلايه الاسقف · اما فرقة اليعقوبيين فورد عنها في تاريخ سرياني همّ بنشره سنة ١٩٠٤ غبطة بطريركنا العلامة مار اغناطيوس افرام الثاني ان كنيستهم كانت تسمى باسم مار يعقوب وبجانبها قلاية اسقفهم · وما عدا الفرقتين المذكورتين وجد بحلب في اوائل القرن الحادي عشر فئة نسطورية كان لها كذلك معبد دون اسقف

ومن اهم الاخبار ماورد في كتاب التواريخ السريانية المذكور الساعة عن كنائس الفرق الثلاث ماتعريبه « في سنة ١١٢١ مسيحية لما اقبل غوسلين يحاصر مدينة حلب حل اولاً في جبل جوشن غربي حلب وأخرب الجامعين اللذين فيه ···· وبعد ان خمدت الحرب استدعى ابو الحسن حاكم حلب مطرانيها

---

١ ورد في تاريخ ابن الشحنه الذي نشرهُ بالطبع يوسف افندي اليان سركيس السرياني في الباب التاسع ص ٦١ وكان موضع مسجدها الاعظم بستاناً للكنيسة العظمى في ايام الروم · وهي منسوبة الى هيلانه ام قسطنطين

٢ الباب العاشر ص ٨٢

اصفهان «١» ليكون مديراً للمرسلين في الشرق · وفي عهده تشتت المسيحيون في فارس على اثر اضطهاد شديد · وخلف تداوس طيمثاوس براتز الكرملي وكان معاوناً لسالفه غير انه يُسمّى اسقف بابل واستقر في بغداد وخلفه برنردس الكرملي الباريسي سنة ١٦٣٨ وتوجه الى بغداد بنفر من الرهبان الكرمليين ولما عاد الامن الى بلاد فارس اقام لهم الكرسي الرسولي اسقفاً لاتينياً

ولنعد الآن الى اخبار الرسالات الخصوصية فنقول ان يوحنا سانت انيان الكبوشي نال اعزازاً في ديار بكر حتى لدى المسلمين لنجاحه في الطب وسُمح له بالوعظ واستماع الاعتراف في كنائس النساطرة واليعاقبة · ويروى عنه انه لما شفى شقيق الوالي من مرض ثقيل اهدى اليه مائة غرش فابى اخذها وبعد الالحاح قبلها وصرفها في تصليح قناة الماء التي تجري فيها مياه الدجلة الى المدينة فكبر جاه يوحنا وذاع صيت زهده ونال حرية تامة لاستدعاء الناس الى الايمان فمال الناس اليه واقتبل على يده كثير من نساطرة ديار بكر وماردين ويعاقبتهما الايمان الكاثليكي · وكان السريان المتكثلكون في ديار بكر وماردين في خوف متصل من بطريرك اليعاقبة

اما النساطرة فتكثلك منهم مطرانهم يوسف الآمدي وهو الذي نُصب بطريركاً باسم يوسف الاول · فهان على شعبه بامد ان يثبتوا في الايمان الكاثليكي مع ما لقوه من مقاومة ايليا الالقوشي بطريرك النساطرة · ثم تبعتهم البقية مع تمادي الزمان وانتمى اليهم ايضاً بعض اليعاقبة

---

١ راجع هنا عد ٣

كلمة

في مدينة حلب «١»

لما كان بطاركة السريان الانطاكيون الذين تولَوا الرئاسة عَلَى المنضمين من السريان المنوفستيين الى البيعة الرومانية في اواسط القرن السابع عشر قد جعلوا مقرهم في مدينة حلب رأينا ان نصدر الكلام عنهم بنبذة موجزة تنطوي عَلَى تواريخ النصرانية في المدينة المذكورة فنقول :

لما استولى المقدونيون عَلَى بلاد سوريا اطلقوا على مدينة حلب اسم بَرُوْأه اقتداءً باسم احدى المدن اليونانية في بلاد ثراقي · غير ان الاهالي حافظوا عَلَى اسمها الاصلي القديم · ومما جاء في الآثار القديمة ان سمعان احد الرسل الاثني عشر المسمى سمعان الغيور نادى بالبشارة الانجيلية في حلب ومنبج وقنسرين وشميشاط وفارين وزغمه وقورش · وكان كرسي حلب في مقدمة المدن السبع التي كانت كراسيها متعلقة راساً دون توسط كرسي متروبوليتي بالكرسي الانطاكي وهي حلب وقنسرين وجبلة وسلوقيه وخناصره و بلوطون وجبّول

ومن جملة الاثار القديمة التي سلمت من القرن الرابع حتى اليوم بقية الكنيسة التى تشاهد اليوم ضمن جامع الحلوّية · واشهر الاساقفة الذين تبوّأوا كرسي حلب كان اوسطاثيوس الذي نُقل الى الكرسي الانطاكي سنة ٣٢٤ للتاريخ المسيحي · ومنهم اقاق الذي حضر المجمع القسطنطيني الاول سنة ٣٨١ والمجمع

١ نقتطف مواد هذه النبذة كلها مما اتحفنا به غبطة بطريركنا العلامة مار اغناطيوس افرام الثاني وهو الذي استخرج جميع النقول الموردة فيها من الكتب المخطوطة والمطبوعة

كان السريان اليعاقبة اقرب من غيرهم الى الاذعان (١) خاصةً اقرب عهدهم باهتداء الخواجا سفر كبيرهم وتساهل بطرس هدايه بطريركهم كما قدمنا عني المرسلون باستمالتهم قبل غيرهم وكان الراغبون في تعليمهم يترددون سراً الى منازلهم تارة وتارةً الى بيوت بعضهم وطوراً الى كنيسة الموارنة لاستماع القداس والوعظ · ولقد طالما وُشي بالمرسلين فحبس بعضهم وهرب منهم الى لبنان وغيرهم الى روميه · والقصارى انه تألفت من السريان اذ ذاك جماعة كاثليكية لم يكن لها رئيس روحي يرأسها حتى قيض لهم المولى اندراوس اخيجان الاتي ذكره

١٣ وسنة ٦٢٦=١٦٢٦ ارسل البابا اربانس الثامن فئة من الرهبان الكبوشيين الى بلاد المشرق وما بين النهرين ولما خرجوا من مينا اسكندرونة كملوا سفرهم راجلين فوصلوا الى حلب وحلوا عند الاب يوحنا باتستا سانت انيان رئيس الكبوشيين (٢) وكان غيوراً جداً فرافق هولاء المرسلين الى ديار بكر وجعل فيها خمسة منهم ثم انتهوا الى الموصل مع رئيسهم واخذوا يطببون الاهالي قصد اكتساب المعيشة وترغيب الناس فيهم كما فعلوا في توريز وبغداد وديار بكر · فمال اليهم الناس حتى المسلمون واحبهم آل عبد الجليل امراء البلد وكبراؤها وكانوا يهدون اليهم ارزاً وسمناً وقمحاً وغير ذلك ويذبون عنهم الاضداد (٣)

١ حياة القنصل بيكات ص٥٥ والآثار الخطية ص ٤٥٢ عد ٥ وتقرير بوارسون ص ٥٥ ف ٦ عد ٢٨

٢ نظنه اخا البادري سلوستر سانت انيان « المشرق ص ٨٢٩ سنة ١٩٠٥ وذكر الخوري الياس عمون في كتاب سياحته انه اخذ من هذا المرسل كتاب توصيةٍ الى باريس الى ابن اخيه الامير

٣ الآثار الخطية ص ٥١٦ عد ١٧

وبجحة الطب عمذوا اكثر من خمسين طفلاً وجدوهم مدنفين وكانوا يعظون ويرشدون المسيحيين ووقع كلامهم في قلوبهم فدعاهم رؤساء اليعاقبة والنساطرة ليعظوا في كنائسهم · واعطوهم محلاً لمثواهم (١) ذلك دليل على ميل المسيحيين اليهم في تلك البلدة · ومن ذلك يتبين ان المرسلين كانوا يوافقون طقوس الشرقيين وعوائدهم ولم يستميلوهم الى الطقس اللاتيني وعوائده

فكانوا يكرزون ايام الآحاد والاعياد الواحد في بيعة النساطرة والاخر في بيعة اليعاقبة · وكانوا في ايام السبت يرشدون الناس في البيوت ويحافظون على اصوامهم وقطاعاتهم حتى انهم كانوا يمتنعون عن اكل السمك في الصوم الكبير (٢) غير انهم بعد زمان صادفوا من رؤساء اولئك المشاقين ما حملهم على مبارحة الموصل ثم عادوا اليها بامر المجمع المقدس سنة ١٦٦٧ واحتملوا مشقات جسيمة حتى ثبت امرهم (٣) · ومن ثمراتهم اذ ذاك اهتداء شابين من اجل شبان اليعاقبة واذ كاهم اسم احدهم عبد الجليل قبل الكثلكة على يدهم سنة ١٦٣٨ (٤) والثاني اسحق ابن الشماس عبد الحي بن جبير نحو سنة ١٦٥٧ وسنأتي بذكرهما

وجدّ المرسلون في مصالحة بطريرك النساطرة المقيم في قرية القوش واتحاده مع الكرسي الروماني فلم يذعن لنصحهم ·

١٤ ثم ان الكرسي الرسولي اقام تداوس الراهب الكرملي اسقفاً لاتينياً على

---

١ الآثار الخطية ص ٥١١ عد ١٧ وفي شرقي بيعة الطاهرة بالموصل قاعة بهيئة صليب لاتيني يروي شيوخ البلد انها كانت كنيسة للمرسلين الاولين

٢ فرنسا الكاثليكية في الشرق ص ١٤٦—١٤٧

٣ الآثار الخطية ص ٥١٣ عد ١٧

٤ الآثار الخطية ص ٣٦٧ عد ٣٤

في بقعة واحدة وجميعها فناء واحد ومدخل واحد عمومي · فللارمن كنيستان احداهما على اسم الاربعين شهيداً والثانية عَلَى اسم العذراء · وللروم كنيسة على اسم مار نقولا · وللموارنة واحدة عَلَى اسم مار الياس النبي · اما كنيسة السريان وتسميها العامة ستنا السيدة فمنفردة وقد الفيتها اجمل واوسع من سواها وفيها يقيم بطريركهم بطرس هدايا (١) وله معي رسالة من البصرة من لدن الاب باسيل البرتغالي وكلام اودعنيه الاب المذكور لابلغه اياه شفاهاً · فلما دخلتُ عليه الفيته شيخاً وقوراً اديباً لطيفاً وناولته الرسالة فقراها مثنياً على كاتبها وعَلَى فضائله ثم اراني لتابَي انجيل سرياني احدهما كثير الثمن ظريف الخط يرتقي عهده الى سنة ١٢٢٥ كان قد غنمه الاتراك من جزيرة قبرص يوم استولوا عليها فاشتراه مسيحي من القسطنطينية واتاه به · ولما سمع البطريرك كلامي الذي اوصيت بان افاتحه به اجابني : بلّغ تحياتي واحترامي الى قداسة الحبر الروماني وكرّر عليَّ المقالة عند خروجي من عنده (٢)

١٢ واول من افتتح رسالة كاثليكية في حلب هم الرهبان الكبوشيون سنة ١٦٢٦ ثم الكرمليون سنة ١٦٦٧ ثم اليسوعيون وعدد المسيحيين يومئذٍ فيها اربعون الف نفس (٣) وهم من اربع طوائف الروم والارمن والسريان والموارنة وبطاركة اكثرهم كانوا يسكنون في حلب · غير ان الموارنة اقل عدداً

---

١ لكيان جزء ٢ عمود ١٤٠٧ والمكتبة الشرقية ا ص ٥٨٥

٢ الآثار الخطية ص ٣٨٨ عدد ٥ و٦ وص ٣٩٨ عد ٢

٣ الآثار الخطية ص ٣٩٨ عد ٣ وص ٤٥١ عد ٣ وفي رسالة الاب اسكندر الكرملي عشرون الف نفس ص ٤٣٤ عد ٣

وكانوا نحو مائتي عايلة لكنهم كاثليك

ولاقى اولئك المرسلون اول امرهم مصاعب جمة لجهلهم لغة البلد ولتمسك رؤساء تلك الشيع بعوائدهم ومذاهبهم ونفورهم من المرسلين بل اشهارهم الحرم على رعاياهم اذا انتموا اليهم • ولكن المرسلين لم يفشلوا بل كانوا يذهبون خفية الى البيوت ويتفننون في اتخاذ الاساليب لارشادهم وكانوا ذوي تقوى وعبادة • قيل ان المرسل كان يقف عند باب كنيسة الموارنة وهو الفناء العمومي ويعظ فيسمعه الماروني من داخل والارمني والرومي من خارج (١) وكان الناس متعجبين من اولئك المرسلين وتعاليمهم وكانوا يخفون ذلك لخوفهم

وسنة ١٦٢٦ فتح الكبوشيون رسالة في بغداد فتبعهم خمسة وعشرون او ثلاثون بيتاً من السريان اليعاقبة وسبعون او ثمانون من النساطرة • والرهبان الذين تبعوهم حلوا عشرة او اثني عشر قساً ومائتين وعشرين شخصاً (٢)

وورد في آثار المرسلين الكبوشيين ان يعاقبة بغداد انضووا الى الكنيسة الكاثليكية جميعاً وكانوا اربعين عائلة وحلهم البادري يوسطس رئيس الكبوشيين المذكورين • وعلى اثر وفاة قسيسهم كاثليكياً سنة ١٦٣٦ بقي ذلك المرسل يسوسهم وتبعهم النساطرة وانحازوا الى الكثلكة (٣)

وكان المرسلون في حلب يجدّون في شرح التعليم المسيحي للصبيان غير مبالين بالمصاعب التي كانوا يصادفونها • والفوا اخويات تقوية للشبان • ولما

---

١ الآثار الخطية ص ٣٨٨ و٣٩٨

٢ الآثار الخطية ٤٥٠ عد ٢ و٥

٣ فرنسا الكاثليكية في الشرق ص ١٤٨

فاستحبَّ البابا الخواجا سفر حتى سماه كونت القصر الرسولي وانعم عليه بوسام السلسلة الذهبية (١)

الفصل الرابع

١١ في افتتاح رسالات في الشرق بدءاً من بلاد فارس — ثم في البصرة — وحلب
خبر السائح الروماني ١٢ اول المستوطنين في حلب من المرسلين
تداخلهم مع اهلها ١٣ قدوم رهبان كبوشيّين الى
ديار بكر والموصل وما جرى لهم مع النساطرة واليعاقبة
١٤ نصب اسقف لاتيني باسم نائب رسولي
في اصفهان — نجاح يوحنا سانت
انيان في ديار بكر -- اهتداء
يوسف الاول الكلداني

١١ ودخل القرن السابع عشر وقد ثابت همم الرهبان الافرنج بالقدوم الى بلاد المشرق ليعينوا المسيحيين الشرقيين على الانضمام الى البيعة الرومانية · فمنهم الرهبان الاوغسطينيون انتقلوا بامر البابا اقليميس السابع من بلاد الهند الى بلاد فارس وحلوا اولاً في مدينة اصفهان سنة ١٦١٦ وكان يتردد اليها التجار الافرنج · وتبعهم الكبوشيون (٢) ثم الكرمليون والمقدم عليهم الاب بروسبر الاسباني (٣)

---

١ عن التقرير الذي قدمه لاونرد هابيل الى البابا اكسسطس الخامس وهو محفوظ في سجلات الواتكان خزانة ٢ صندوقة ٧ — والشرق المسيحي للكيان جزء ١ عمود ٣٥ و ١٤٠٦ — وكان لاونرد قد اخبران عدد الاساقفة اليعاقبة يومئذٍ كان واحداً وعشرين اسقفاً ما عدا البطريرك ونائبه وذكر اسماء ثمانية من العلماء بينهم

٢ الآثار الخطية ص ٤٤٠ ٣ الآثار الخطية ص ٤٤٤

وسنة ١٦٢٣ جاء الكرمليون الى مدينة البصرة وكان رئيسهم الاب باسيليوس البرتغالي وعند اجتيازه بحلب زار بطرس هدايه بطريرك السريان اليعاقبة «سنة ١٦٠٤ - ١٦٣٩» وجدّ في استمالته الى البيعة الكاثليكية ولما بلغ البصرة صار يكاتبه في ذلك الشان · وكان يرشد في البصرة ونواحيها المسيحيين والصبه وهم الذين يدّعون بانهم تلامذة مار يوحنا المعمذان (١)

وسنة ١٦٢٧ تمكن المرسلون الذين كانوا في اصفهان من اجتذاب مائتي عائلة من السريان والارمن المنوفستيين في تلك الجهات الى حضن البيعة الكاثليكية ٢) وقيل ان اصل السريان المنوفستيين المذكورين كان من طور عبدين نفاهم السلطان تيمورلنك (٣) الى بلاد فارس

وطاف المرسلون المذكورون تلك البلاد باسم اطباء وقصدوا توريز وشيراز واكتسبوا للايمان القويم جماعة من الارمن اليعاقبة المستوطنين فيها ومنحوا سر العماد لاطفال مولودين من غير مسيحيين كانوا مدنفين عَلَى الموت

ومن اخص المدن التي احتلها المرسلون الافرنج كانت مدينة حلب وكانت من اشهر مدن المملكة العثمانية خاصةً لسعة متجرها وكان فيها تجار ايطاليون وبنادقة وفرنسيون · وقد كتب عنها السائح الروماني بطرس دي لافالي سنة ١٦٢٥ ما نصه · « زرتُ محلة المسيحيين بحلب فاذا هي في بقعة خارج سور المدينة قيل لها الجديدة لاستحداثها · وكنائسهم قريبة منها وهي اربع متجاورة

١ الآثار الخطية ص ٣٨٨ — ٣٩٠ و٤٣٦ — ٤٤٩

٢ الآثار الخطية ص ٤٤٠

٣ اخبار البطاركة اليعاقبة المحفوظ في دير الزعفران · راجع عدد ٣ من كتابنا هذا

سعياً وراء مصالحة طائفة السريان وغيرها · وكان مع هذا القاصد كتب
ودرع بطريركي وصك لتأييد داود شاه البطريرك فسر نعمة بذلك
ووجه كتباً الى ابن اخيه وغيره وخصوصاً الى وكيله بحلب الخواجا فر بن
منصور قريع المعروف بذي الجبين يوصيه ان يغتنم هذه الفرصة ويفرغ
جهده في اتمام الاتفاق · وكان الخواجا سفر هذا وجيهاً بين نصارى حلب عزيزاً
لدى الحكام · ثم لما انتهى القاصد الى الرها : اقبل وفدٌ من قبل البطريرك داود
الى لقائه فاخذوه الى دير مار ابجاي الذي عَلَى شاطيء الفرات بين الرها وامد
حيث عين للاجتماع فحضر المطران توما النائب هناك وتفاوض مع القاصد ليلاً
مدة ثلاثة ايام · فقال : لقد ذاع بين الشعب انك قدمت لكي تبدل مذهبهم
وتحرم قديسيهم وبلغ خبر قدومك الى الحكام · ولهذا امتنع البطريرك من
الحضور لئلا يحدث شغب بمجيئه وقد فوض اليَّ تاييد الاتفاق باسمه فان
تدبيره كله بيدي ثم عرض عليه الكتب التى ارسلها البابا والكردينال وختم
البطريرك بيانا لو كالته فاجتهد القاصد ان يواجه البطريرك نفسه ولو بزي العلمانيين
ليفاوضه شفاهاً بما أمر · ويعرض عليه ان يبعث الى روميه شباناً يقرأون العلوم في
المدرسة المخصصة باسم السريان وكتباً علمية لكي تطبع بالسريانية والعربية فلما
وجد القاصد من النائب مدافعة وممانعة التزم ان يفاتحه في المسألة فاراه صورة
الايمان والخضوع للكرسي الروماني وكتاب نعمه المشروحة فيه هذه الامور
فقبلها ووقع عليها · لكنه لما وصل الى قبول المجمع الخلقيدوني ورفْض ديوسقورس
توقف متعجباً كيف قبلها نعمه ووافق عليها وقال بل هذا مستحيل · فلاطفه
القاصد واورد له بينات دامغةً على ان ديوسقورس كان محامياً لاوطيخا وانه اضحى

بذلك شريكا له في جريرته واستشهد باقرار توما الذي كان قد وجهه الى روميه

ثم عرض عليه قبول حساب التقويم الجديد الذي وافق عليه نعمة وأيده البابا · فأذعن لمسائل الاعتقاد · لكنه اراد ان ينصرف القاصد الى حلب ووعد ان يجهد هو في تعويد الشعب شيئاً فشيئاً عَلَى قبوله · ثم قال له ، اذا ماقدم البطريرك حلب : تقابله وتفاوضه كما تشاء · واما الحساب الجديد فأقرّ النائب بصحته لكنه قال لا يمكن اجراؤه الآن دون بقية الطوائف لئلاّ يهيج غضب الدولة العثمانية عليهم بسببه

فلما رأى القاصد ان النائب يختلق التعللات قصد ان يمنع الصلح المرغوب و يحول دون الاجتماع بالبطريرك داود سافر الى بلاد قرمانيه وسيس ثم عاد الى حلب حيث جدّ بتوسط الخواجا سفر في ايصال العلاقات مع البطريرك داود · فمنعها المطران توما ايضاً · ولم يألُ القاصد جهداً في حمل الاساقفة عَلَى انجاز وعدهم لنعمه · فاجابوه ان اتفاقهم مناط بالبطريرك الجديد · وعَلَى الجملة ان هذا القاصد لم يتمكن مع كل ما بذله من الخدم والغيرة من ان يستميل اليه احداً غير الخواجا سفر واتباعه من الاقارب · فاعتنقوا الايمان المقدس ووقّعوا على دستور الايمان وهم يوكدون مع سفر انه لم يحملهم عَلَى ذلك الاّ الهام آلهي · وارسلوا في سنة ١٥٨٦ تقريرهم الى البابا والكردينال ونعمه(١)

١ في خزانة السجلات الواتكانية عدد ١٦٩ اربع اوراق فيها صورة ايمان سفر ابن منصور ورسالتان باسم السريان عموماً الواحدة الى البابا والثانية الى الكردينال · ورسالة البطريرك داود الى القاصد لاونرد · المكتبة الشرقية جزء ٢ ص ١٨٦

معوّلون عَلَى انتخابه بطريركاً خلفاً له · فسُرّ نعمه بذلك وطفق يستنجد الحبر الاعظم عَلَى ان يؤيد المنتخب الجديد بطريركاً انطاكياً كي يتشجع فيأتي بطائفته الى الصلح المرغوب

وكان الكرسي الرسولي قد انفذ كاهناً يسوعياً يقال له يوحنا باتستا البانو برسالة الى السريان الموارنة سنة ١٥٧٨ و سنة ١٥٨٠ · فتلبيةً لطلب نعمة امر الكرسي الرسولي هذا الاب ان يهتم بشؤون السريان اليعاقبة ايضاً ويقابل البطريرك داود شاه · فلم تنجح مساعيه لشدة تمسكهم بمذهبهم بل كان هذا المرسل يشك في صدق نوايا نعمه نفسه · لانه كان يعذر اصحابه محتجاً بانه لو كان المرسل اليهم اسقفاً عوض الكاهن لقبلوه واذعنوا للصلح (١) · فلم يثق الكرادلة بكلامه ولا اكترثوا لمواعيده فاغتم وما زال يكرر طلبته حتى قدم الى البابا عريضة ايطالية مسهبة العبارة ضمنها لمحة من اخباره وهي تدل عَلَى طول باعه في علم التاريخ والفقه وصرّح بان طائفة السريان اولى من سواها بان تنعت بطريركيتها باسم انطاكية · والتمس ان يؤيد داود شاه فيها · واليك كلامه

ايها الاب الاقدس اني انا البطريرك نعمه قاسيت اتعاباً شاقة واكداراً مدة اثني عشر عاماً وخاطرت بحياتي لكي اجتذب شعبي واهيئهم لاحترام كرسيكم المقدس وطاعته فوافقوني على ذلك بشرط ان تؤيد طوباويتكم حقوق البطريركية الانطاكية لطائفتنا كما كانت قبلاً الى يومنا هذا · وخوفاً ان تذهب اتعابي عبثاً قد اقمت ابن اخي نائباً وحرضته عَلَى حفظ الشعب في هذا الاستعداد : وجئت الى ههنا ولما لم يوثق بي و بكلامي تجددت غمومي · فاذكر

---

(١) عن الآثار الخطية للاب انطون رباط الحلبي"

ايها الاب الجزيل الطوبى ان اسم البطريركية الانطاكية بموجب قوانين المجامع القديمة يختص بالسريان فقط · فاذا كان الروم مع ان بطريركيتهم القسطنطينية حديثة وصغيرة جسروا وادعوا بالتقدم على الكرسي الروماني بل اقاموا بطاركة باسم الانطاكي والاسكندري والاورشليمي ايضاً بغير حق : فكم يحق لكرسيكم ان يعيد هذه التسمية الى كرسينا البطريركي · ولا حاجة ان اعرفكم باطوار شعبنا انهم شديدو التمسك بالقوانين والرسوم القديمة · فاذا خاب املي وارتدوا عن عزمهم : تذهب اتعابي المبذولة لهم عبثاً · وعليه اسألكم ان تؤيدوا المنتخب الجديد في البطريركية الانطاكية دون ان تضيفوا اليها نعت اليعقوبية · لان هذا الاسم شنيع اضافهُ الروم اليها عدواناً وقد كان يعمّ السريان وغيرهم من الشعوب · فدبروا كما ترون الخ سنة ١٥٨١ (١)

هذا واذ رأى السريان ان لا امل من عودة نعمه الى بلاد الشرق التأم الاساقفة سنة ١٥٨٣ ونصبوا داود شاه بطريركاً (٢) واقاموا المطران توما شقيقه نائباً عنه · واما نعمه فما زال ساعياً لدى الكرسي الرسولي في ارسال قاصدٍ يدعو طائفته الى طاعة الكرسي الروماني حتى لباه الحبر الاعظم وارسل الى البطريرك داود كتاباً مشفوعاً بكتاب نائبه انطونيوس كردينال بيعة القديسة سورينا · ثم اوفد الى بلاد الشرق في تلك السنة قاصداً يحسن التكلم بالعربية يقال له لئونرد هابيل اسقف صور مع راهبين واصحبهما بفرمان من السلطان مراد خان الثالث فيه يرخص له ان يفتقد كنائس اورشليم وسائر بلاد المشرق

«١» عن السجلات الواتكانية خزانة ٧ صندوقة ٣ عد ٢٠

«٢» كذا تاريخ السنة في جدول اسماء البطاركة بقلاية حلب

انقطعت لتقلبات الدهر وجب ان نحرض اليوم اخوّتك على وصلها وتوثيقها من جديد فانك تعلم ان الايمان واحد وعروسة المسيح واحدة وهي البيعة الجامعة التي نترأسها ونتقدمها البيعة الرومانية الخ

اعطي في رومية ٢٣ حزيران سنة ١٥٦٢ وهي السنة الثالثة لحبريتنا (١)

٨ ولما كان البطريرك نعمه افضل سائر رؤساء طائفته علماً ودراية وقع في قلبه كلام نائب المسيح فطفق يعلم اهل ثقته في امد « وكان يقال لها قره اميد » اي امد السوداء وغيرها ويصرّح لهم بوجوب اتحاد ملته مع الكرسي الروماني. ثم اخذ يبث ذلك التعليم علَى قدر ما كانت الفطنة تسمح له . واقام المفريان داود شاه « وهو اسقف معدن سابقاً » ابن الحاج قسطنطين شقيقه نائباً عنه واوصاه ان يواصل السعي (٢) في انجاز نواياه ويهيء الشعب لقبول الاعتقاد بالايمان الكاثليكي. وحدث في تلك الغضون ان باحثه بعض علماء المسلمين فامسكوا عليه حجة الكفر . فزج في الحبس وجلد ثم اوقف في المحكمة فأُثبتت عليه الوشاية الزورية فقضي عليه بالقتل. فعرض عليه احدهم ان يعلن بالاسلام كي يسلم فأبى. اما الوالي فكان محباً لنعمه من اجل تضلعه بالطب. ولكي ينقذه من تلك التهلكة نزع عمامته عن رأسه ووضعها على رأس نعمه وهو يقول : ها انه أسلم فكفوا عنه (٣) وبقي نعمه علَى هذا زماناً . يرثي لحاله بصوت رخيم فيبكي المسيحيين الذين كانوا يصغون اليه . ولما اخذ نخس الضمير يزعجه والشعب يقلقه انسل هارباً الى رودس

(١) الشرق المسيحي جزء ٢ عمود ١٤٠٥ عن رينلدس سنة ١٥٦٢ عد ٣١

(٢) كذا في العرض المقدم الى البابا وسنأتي علَى ذكره

(٣) الشرح المعلق علَى اسمه في دفتر البطاركة للقس جبرائيل دولباني

فرومية سنة ١٥٧٨ (١) ولجأ الى البابا غريغوريوس ١٣ واقرّ امامه باثمه · فرحّب به البابا وساعده عَلَى التوبة فتاب توبة نصوحاً وجاهر بالايمان الكاثليكي · وكان يبكي هناك قدام صورة العذراء حتى كلّمته · فصور صورة مثلها وارسلها الى امد مع جزء من ذخيرة عود الصليب الكريم (٢)

وكان هذا البابا منشغلاً يومئذٍ بتقويم حساب ايام السنة وكان قد اجتمع اليه العلماء لقضاء تلك المصلحة المهمة · فانضم اليهم نعمة ايضاً وساعد البابا كثيراً لانه كان عالمًا بالرياضيات والطب (٣)

ولحق باثر نعمه اثنان من ذويه وهما المطران موسى والشماس عبدالنور ابن اخت المفريان ايليا فاقاما في روميه زماناً حتى اتقنا اللغة الايطالية فجعل عبدالنور معلماً للغات الشرقية ثم رجع الى وطنه وارتسم قسيساً

وكان البطريرك نعمه منذ حصل في رومية قد أُعجب بمناظرها الجميلة وانتظام الكنيسة الرومانيـة وازدهائها بالعلوم ووسائل القداسة فكتب الى داود شاه وغيره واصفاً لهم كل ذلك ومبيناً ان الكنيسة الرومانية هي كنيسة المسيح الحقيقية ورغبهم في وصالها الذي يضمن لطائفة السريان النجاح ديناً وادباً فكان لكلامـه في قلوب المذكورين احسن وقع فارسل داود شاه صورة ايمانه الى البابا غريغوريوس ١٣ (٤) وكتب الى اخيه ايضاً ان الاساقفة

(١) راجع عدد ١٤٠ من الجزء الثاني من كتابنا هذا

(٢) مجموعة القس جبرائيل دولباني

(٣) جريدة الكنيسة الكاثليكية جزء ١ سنة ٣ ص ٣٧٢ عن دراس

(٤) المصحف الواتكاني صحيفة ١٦٩

ان يؤيدكم في المعتقد القويم · وعلامةً علَى رغبتنا في خلاص النفوس قد سلمنا بيد رسولك القس موسى الراهب والعالم الفاضل كتاباً منا تلقون فيه كلما يلزم لتنويركم وتقوية ايمانكم آملين انكم تقبلونه · علَى انكم بقبوله توافقون الكاثليك في كل شيء »

وهنا اخذ الحبر الروماني يشرح بعض عقائد الايمان الخ

أُعطي في رومية بجانب كنيسة مار بطرس في ٢٦ ايار سنة ١٥٥٣ (١)

ولما تعذر علَى القس موسى المارديني نشر بعض الكتب السريانية في رومية او البندقية وفقاً لرغبة البطريرك انتقل الى جرمانيا ونال شرفاً وسيماً لدى طلاّب اللغة السريانية والطقوس البيعية وكان اول من تتلمذ له العلامة اندراوس مازيوس ناقل كتاب الفردوس لموسى بر كيفا وغيره من التآليف من اللغة السريانية الى اللاتينية · ولما ان رآه رينلدس احد اشراف جرمانيا وتوسم فيه النجابة سعى باستحصال امر من ملك اوستريا القيصري بطبع كتاب العهد الجديد وجرى ذلك سنه ١٥٥٥ اذ نشر الكتاب في فينا بحروف سريانية ظريفة وذلك بفضل الملك وكرمه وهو اول كتاب طبع بهذه اللغة الشريفة ووُزع مجاناً على الشرقيين · بيد ان ذلك السعي لم يؤت بفائدة عامة

ومن جملة السريان الذين اتحدوا مع البيعة الرومانية اغناطيوس داود المعدني خليفة يعقوب الدمشقي فانه اوفد الى الحبر الروماني صورة ايمانه وهي محفوظة الى اليوم في خزانة السجلات الواتكانية (٢)

---

(١) سجل رسائل البابا المذكور جزء ٢ ص ٢١٨ عد ٣٦٥ والمكتبة الشرقية جزء ١ ص ٥٣٥

(٢) كذا اكد لي بعض من رآها لكني لم اتمكن من البحث عنها

الفصل الثالث

٧ في اقرار اسقف الحديثة بالكثلكة بين يدي بيوس الرابع — كتاب البابا الى البطريرك نعمه وكثلكته في روميه—اشتراكه في تصليح كلندار الحساب اليولياني ٩ سعي نعمه بكثلكة طائفته—رسالة جان باتسطا اليسوعي ١٠ سفر القاصد لئونرد هابيل الى الشرق ونتيجة ذلك

٧ في عهد البطريرك نعمة الله المارديني سنة ١٥٦٠ حج الى رومية اسقف يعقوبي يقال له يوحنا ابرهيم قشا · فاكرمه البابا بيوس الرابع وارسل على يده الى البطريرك كتاباً جليلاً حرياً بالذكر واليك نصه : « ان اخانا الحبيب يوحنا ابرهيم قشا اسقف الحديثة (في اثور) زار اعتاب الرسولين (بطرس و بولس) بورع جزيل · واقام هنا عدة اشهر · ولما حضر الينا الفيناه رجلاً ديناً نقياً جداً ووصف لنا صلاح اخوتك فراينا من الواجب ان نحمله كتاباً اليك · · · على ان الوظيفة التي تقلدناها عن غير استحقاق اتدبير هذا الكرسي الرسولي تضطرنا ان نعانق كلاً من روساء الكنائس بحب اخوي وندعوهم الى مشاركتنا في الاعتناء بخلاص القطيع الذي استودعناه الرب · فنؤمل ان تكون رغبتكم في ذلك كرغبتنا · هذا ولا يخفى اخوتك ان المسيح ربنا قلد بطرس وفي شخصه خلفاءه الاحبار الرومانيين العناية بالنعاج · فياحبذا لو وجدت الملة اليعقوبية متحدة مع البيعة الرومانية دائماً · على انها كانت كما تعلم اخوتك قد سلمت بهذا الاتحاد في مجمع فلورنسا الذي وعقد بعناية سالفنا اوجانيوس الرابع وهمته (قبل ١١٨ سنة) · و بما ان علائق ذلك الوصال قد

البطريرك اغناطيوس الاول (١) اليعقوبي سنة ١٥٤٩ راهباً خبيراً من ماردين يقال له القس موسى الى رومية وحمله كتاباً الى بولس الثالث الحبر الروماني فيه اعلن احترامه للبيعة الرومانية وللكرسي البطرسي المقدس · فرحب به الحبر الاعظم وكرادلته ثم ردوه الى بطريركه بكتاب فيه يحثوه واساقفته وشعبه عَلَى الاتفاق والاعتراف الصادق بالايمان الكاثليكي

ولما وصل موسى الى بلاده اخذ يحض البطريرك وتباعه عَلَى انجاز مقاصد الحبر الروماني واساقفته · واخبرهم عن اختراع صناعة الطباعة العجيبة التي كان انتشر استعمالها في بلاد اوربا · فعرضوا عليه ان يعود بصورة ايمانهم الى رومية ويسعى بطبع كتب سريانية منفعة للطائفة فغادر القس موسى ماردين متجهاً الى رومية سنة ١٥٥٢ · وكان بولس البابا قد بارح هذه الدنيا وخلفه يوليوس الثالث · فبلّغ قداسته احترام بطريركه واستعداده الى اقتبال الايمان الارثذكسي · ثم طلب اليه ان يصرح له بقواعد الايمان الضرورية · فعرضها عليه فوجدها موافقة للحق وقررها بين يدي الحبر الاعظم بحضر كرادلة البيعة الرومانية · وحرم كل البدع ولا سيما بدعة ديوسقوروس واوطيخا وسلم بالمجامع المقدسة والملافنة والرعاة القديسين ثم استتلى قائلاً : « التمس من ابي الاباء وراعي الرعاة زينة

(١) قد سمى البعض هذا البطريرك يعقوب الدمشقي · غير انه لما كان جلوسه عَلَى كرسي بطريركية اليعاقبة سنة ١٥١٦ وكان البطريرك الثالث من بعده نعمة الله الذي جلس سنة ١٥١٠ والذي خلف خليفته عبدالله الذى من قلعة الامراة سنة ١٥٢٠—١٥٥٧ ساغ ان نتنج بان ذهاب موسى الى رومية كان باسم عبد الله لا باسم يعقوب · وهذا يوافق قول نعمه القايل كما سترى · انه تعب وكابد اخطاراً مدة ١٢ سنة وهو يمهد السبيل لشعبه حتي يوافقوه عَلَى الصلح مع البيعة الرومانية

المسيحيين وحامل مفاتيح الملكوت يوليوس الثالث ان يتنازل و يقبل ايماني الذي قررته الساعة باسمي و باسم بطريركنا واطلب منكم ايها الكرادلة ان تقبلوا من حقارتي اقراري هذا الذي عرضتم صورته عليَّ وتغضوا الطرف عن تاخري عن الاجهار به حتى اليوم لان البطريرك مرسلي كان قد امرني ان اطالعه واخصه. واما الآن فقد تقرر لديَّ انه حق وانه نيّرٌ كالسراج على المنارة . فاذا كان العالم متسكعاً في ديجور الظلام فهو اعني هذا الايمان يسطع كالشمس ويضيء للناس قاطبة ومن ثم فلا اقبل ايماناً اقل او اكثر منه وليكن حب المسيح مع جميعنا وبيننا الى الابد امين » (١)

٦ وبعد هذا وجه البابا يوليوس الى ذلك البطريرك رسالة قال فيها . لقد سررنا جداً اذ علمنا انك عَلَى اثر ارتقائنا الى السدة الحبرية وجهت الى البابا بولس الثالث سالفنا السعيد الذكر ولدنا الحبيب موسى الراهب السرياني بكتاب فيه اظهرت جزيل اعتبارك واحترامك للكنيسة الرومانية ولهذا الكرسي المقدس . فحقاً انه يسرنا و يطيب لنا جداً ان نشاهد جسد البيعة الذي يرأسه ربنا يسوع المسيح ملتحماً ومتحداً ونرى كل عضو من اعضائه قائماً بوظيفته. وقد كنا وجّهنا اليك جوابنا مع الراهب المشار اليه وازداد اليوم فرحنا لدى مشاهدتنا اياه عائداً الينا بكتاب ثانٍ مسهب العبارة في ذلك المعنى وقد اكد لنا اعتقادك الكاثليكي وطلب الينا ان نزيدك ايضاحاً . فلقينا ذلك الكتاب بمسرة حملتنا عَلَى ان نضمك وشعبك الينا بذراع المحبة ونصافحكم بفم قلبنا مستمدين من المولى

---

(١) ص ٢٥٧ من كتاب الفردوس لبركيفا ترجمة اندراوس مازيوس سنة ١٥٦٧ والمكتبة الشرقية جزء ١ ص ٥٣٥

الى الموارنة اذ لا يوجد اليوم اثر في تلك الجزيرة لهاتين الطائفتين · وكذلك السريان اليعاقية الذين كانوا في فلسطين صاروا لاتينيين والذين في فونيقي صاروا موارنة فانه لا يوجد اليوم اثر لليعقوبية في تلك الديار كلها ما خلا القليلين الذين تواردوا اليها متأخراً من بلادٍ اخرى (١)

٤ وورد في كتب طور عبدين انه لما عزل يشوع برموطه بطريرك الجبل المذكور (٢) ونصب عوضه مسعود دنحا الصلحي انتقل يشوع مع مطران اسمه يوحنا الى حلب ثم الى اورشليم فصادف الرهبان الفرنسيسيين وقرر بين ايديهم الايمان الكاثليكي · فشق ذلك عَلَى اليعاقبة وقيل انهُ قضى مسموماً سنة ١٤٢١ ورجع المطران فاقام في دير على اسم السيدة منقور في الصخر على جبل قريب من دير الزعفران مشرف عليه والماء يقطر فيه من سقف المغارة قطراً حتى قيل له الدير الناطف · غير انه ما استقر المطران المسكين هناك زماناً · حتى وشى به الى امير تلك الجهات فاماته مشنوقاً (٣)

وفي زمان المجمع الفلورنسي المعقود سنة ١٤٣٧ حرك حب الاتفاق بهنام الحدلي بطريرك السريان اليعاقبة المقيم بدير الزعفران (٤) فارسل في سنة ١٤٣٩ عبدالله مطران الرها الى البابا اوجانيوس الرابع (وكان ذلك المجمع قد نقل الى اللاتران برومية) فقرر بين يدي البابا خضوعه وايمانه حسب اعتقاد الكنيسة

(١) حواشي العلامة المطران يوسف داود عَلى تاريخ لومون ص ٤٩٢

(٢) مدته من سنة ١٣٨٩ الى ١٤٢٠

(٣) قيل بل اختلى البطريرك يشوع في الدير المذكور منذ طرد ثم رجع المطران اليه

(٤) كان لطائفة السريان اليعاقبة اذ ذاك ثلاثة بطاركة مقر اولهم ماردين او دير الزعفران والثاني دير كويخات بقيليقية · والثالث دير مار يعقوب بقربة صلح بطور عبدين

الرومانية باسم بطريركه وشعبه فرحب به البابا وقال في براءة اصدرها بتاريخ ٣٠ ايلول سنة ١٤٤٤ ما نصه « لقد سمح الرب بجوده ولطفه من بعد اتحاد اليونان مع الكنيسة الرومانية في مجمع فلورنسا ... وبعد اتفاق الارمن واليعاقبة (الاقباط) ... ان تصل الينا من بعيد طاعة شعوب غيرهم وهم السريان القاطنون فيما بين نهري الدجلة والفرات ... وذلك ان الرب قاد الى هذه المدينة المقدسة اخانا المحترم عبدالله مطران الرها المرسل باسم اغناطيوس الخامس «وهو بهنام الحدلي» اخينا الوقور وباسم طائفته جمعاء . فشخص في حضورنا الى هذا المجمع اللاتراني حيث ختم مجمع فلورنسا المسكوني المقدس » الخ وهنا بعد ان اثنى على الرسول ومدح طائفته التي ارسلته : شرح اعتقاد البيعة الجامعة وفرض عليهم ان يقبلوه

اعطي في اللاتران . في الجلسة العامة في ٣٠ ايلول سنة ١٤٤٤ وهي الرابعه عشرة لحبريتنا

الفصل الثاني

٥ رسالة الراهب موسى الماردين — مبادئ علاقة البطريرك نعمه مع البابا بولس الثالث ٦ جواب البابا بوليوس الثالث — اخبار الراهب موسى — اهتداء داود المعدني

٥ غير ان هذه العهود التي بها كانت الطائفة السريانية تتقرب الى الكرسي الرسولي الروماني لم تثبت زماناً ولم تحصل منها الفوائد المرغوبة فلبث السريان اليعاقبة على شقاقهم الى اواسط القرن السادس عشر . واذ ذاك اوفد

منهم وان لا يجبر السريان اليعقوبيون المنضمون الى البيعة الكاثليكية علَى اقتبال سر التثبيت بالميرون ثانية (١)٠والراجح ان اولئك السريان تبعوا طقس اللاتين شيئاً فشيئاً واختلطوا مع غيرهم حتى فقدوا اصلهم السرياني ٠ تدل على ذلك الاثار التي تشاهد الان في القدس الشريف كالكتابات السريانية القديمة والتصاوير علَى الحجر٠ هذا وكان كثيرون من السريان اليعاقبة خاضعين اللاتين مدة طويلة في انطاكية وطرابلس وقبرس وجهات كثيرة من سوريه و بلاد مصر لما كانت تحت حوزة الملوك المسيحيين والبنادقة (٢) فترى من ذلك كم كان اعتناء الاحبار الرومانيين عظيماً بانفاذ المرسلين الى السريان اليعاقبة

---

(١) كتب البطريرك داود في مقدمة جوابه للبابا معترفاً بان البيعة الرومانية ام الكنائس وراسها٠ ووصف البابا انكنتيوس بصاحب كرسي بطرس زعيم الرسل الذي مدحه المسيح آلهنا٠ ثم شرح معنى قولهم طبيعة من طبيعتين ثم قال : قد طلبتم اتحادنا معكم : وياترى من ينكر هذا العمل وبه نتقرب الى الله ٠ ولكن تأييداً للاتفاق نلتمس من قداستك اولاً ٠انه اذا توفي بطريرك طائفتنا يجتمع الاساقفة و ينصبون بموجب قوانين بيعتنا ورسومها بطريركاً عوضه بحسب القانون والقرعة الرسولية (المكتبة الشرقية ج ٢ عد ٧) ثانياً ان لا يحكم الرؤساء اللاتينيون الذين في جهاتنا علَى بطريركنا واساقفتنا ٠ بل يكون حكمكم علينا مثل حكمكم عليهم ٠ وكما يطيعونكم نطيعكم نحن ٠ ثالثاً ان لا يتعرض الرؤساء اللاتينيون لحريتنا في كنائسنا ولا يستحجبوا من كنائسنا واديرتنا التي في ملكهم حقوق الرئاسة ونحن نؤدي لهم حقوق الحرمة ٠ رابعاً ان لا يلزموا الشخص السرياني الراغب الزواج من الشخص اللاتيني باقتبال سر التثبيت ثانية لان ذلك السر يقضى في طقسنا توّاً بعد العماذ ٠ هذا واذكروا ان شعبنا يحب اللاتينيين ويساعدهم بقدر الامكان باعتاق الاسرى وما اشبه

عبد عبيد الله الحقير اغناطيوس بطريرك سوريه

وانا الحقير مفريان المشرق يوحنا بن معدني اقرّ ان هذا هو ايماني سنة ١٢٤٧

(٢) دوام الايمان الكاثليكي طبعة منيه ج ١ فصل ١١ ص ٦٢١

والنساطرة وغيرهم من الشعوب المنفصلة ليستميلوهم الى موافقة البيعة المقدسة الجامعة

٣ وقد ورد ان البابا اقليميس الرابع بعث مع المرسلين بدستور الايمان المقدس الى اليعاقبة وعرض عليهم قبوله · وارسل البابا نيقولاوس الرابع سنة ١٢٩٩ الى بطريرك اليعاقبة راهباً من الكبوشيه ليحثه على الاتفاق مع الكرسي الروماني · وكتب البابا يوحنا الثاني والعشرون الى بطريرك اورشليم اللاتيني سنة ١٣٢٦ ان يرشد السريان اليعاقبة المقيمين في قبرس ويصدهم عن امور غير مستقيمة كانوا متمسكين بها جهلاً · وارسل هذا البابا الى متى حنو مفريان اليعاقبة الذي كان مقره غالباً في الموصل بالجزيرة او في تكريت بالعراق رسالة توصية في الاسقف اللاتيني الذي رسمه لمدينة توريز قاعدة بلاد الجرجان سنة ١٣٣٣ وفي الرهبان الذين وجههم الى تلك الجهات وحرضه في تلك الرسالة على الصلح وعلى موافقة ملته مع البيعة الرومانية · وسنة ١٣٤٠ التأم مجمع اقليمي في جزيرة قبرس بامر البابا بندكتس الثاني عشر على يد ايليا مطران تلك الجزيرة حضر فيه ايضاً رؤساء كل الطوائف النصرانية اي اللاتين والنساطرة والموارنة والسريان اليعاقبة لانه كان ينضوي الى تلك الجزيرة افواج من اهالي البلاد الشرقية على اختلاف مذاهبهم هرباً من الغوائل او ابتغاء المتجر · وفي ذلك المجمع رفض اليعاقبة وسائر المشاقين باسمهم واسم جماعاتهم واعترفوا برئاسة الحبر الروماني على الكنيسة كلها واقروا بايمان البيعة الرومانية · غير انهم طلبوا ان يلبثوا على طقوسهم التي لا تخالف المعتقد الصحيح · والراجح ان اليعاقبة والارمن الذين كانوا في جزيرة قبرس بدخولهم حظيرة البيعة الكاثليكية تبعوا شيئاً فشيئاً طقس اللاتين وانحازوا

وبقيت منهم بقية بعد شتاتهم

وبعد تلك الحقبة وجد ايضاً بين السريان من جحد مذهب المنوفستيين وانضم الى الخلقيدونيين ولا سيما البعض من رؤسائهم وائمتهم . منهم جورجي مطران ميافرقين الذي خضع في نحو سنة ٧٠٩ لتعليم المجمع الخلقيدوني وناضل عنه رداً على رسالة لرهبان دير مار متى ولحق باثره تلميذاه قسطنطين اسقف حران ولاون خليفته (١) ومنهم اغناطيوس مطران ملطيه في افتتاح القرن الحادي عشر . وموسى اسقف حصن زائد واسحق اسقف عرقا سنة ١٠٣٠ (٢) وكان كاتباً للبطريرك يوحنا بر عبدون الملطي ومنه اقتبل الاسقفية فاضحى ثلاثتهم خلقيدونيين اعني كاثلكيين (٣) . وبطرس اسقف عرقا المعروف بابن الطويل (٤) الذي رسمه البطريرك اثناسيوس السادس الملقب بيحي اسقفاً علَى عرقا فانحاز الى الخلقيدونيين لنزاع حدث يومئذ بين اليعاقبة سنة ١٠٥٨-١٠٩٤ . واهرون اسقف سجستان الذي رسمه المفريان يوحنا السروجي انضم الى الخلقيدونيين سنة ١١٦٦ ثم انطلق الى اورشليم فلبنان وقضى بقية عمره بين الموارنة (٥) ويوحنا موديانا الرهاوي اسقف ماردين المكنى بالمعترف (٦) رسمه البطريرك ميخائيل الكبير سنة ١١٨٣ ثم انضوى الى الخلقيدونيين فتعين مطراناً لميافرقين سنة ١١٦٧-١١٩٩ . ولا شك ان جانباً من الشعب السرياني تبع

(١) المكتبة الشرقية للسيد السمعاني جلد ١ صحـ ٤٦٥ — ٤٦٧

(٢) المكتبة الشرقية جزء ٢ ص ٣٥٣

(٣و٤و٥) طالع تاريخ ميخائيل الكبير في جدول الاساقفة الذين رسمهم كلٌّ من البطاركة في الحقب المذكورة

(٦) تاريخ ابن العبري في السنة المذكورة عند سنة ١٢٣٧ عدد ٨٨

خطوات هولاء المذكورين

٢ وورد في التواريخ ان البابا غريغوريوس التاسع ارسل الى الامم الشرقية في ايام استيلاء الافرنج عَلَى ارض القدس سنة ١٢٣٧ رهبانًا دومنكيين تحت رئاسة الاب فيلبس · وكان من جملة ثمرات رسالتهم ان بطريرك السريان اليعاقبة « اغناطيوس داود » حج الى اورشليم فبلغها في الشعانين فجاهر بالاتفاق مع الكنيسة الرومانية وحرم كل بدعة تخالف عقيدتها وكتب صورة ايمانه وقرّرها بالسريانية والعربية ووجهها الى البابا الموما اليه · بل ان هذا البطريرك لبس ثوب رهبانية الواعظين · فارسل اليه البابا كتاباً اثنى عليه فيه ومدح عمله (١) · وقال بعضهم ان هذا البطريرك انما صنع ذلك تخلصاً من التتار ولهذا ما عتم ان نقض عهد صلحه (٢) · ولكن عمل البابا انوكنتيوس الرابع كذب هذا النقل · فانه بعد عشر سنين اي في سنة ١٢٤٧ وجه الى هذا البطريرك داود والى مفريانه يوحنا بر معدني راهباً دومنيكياً يقال له اندراوس لنجمّلو حاملاً اليهما كتاباً به يدعوهما الى تجديد ذلك العهد فارسل كل منهما صورة ايمانه الى البابا (٣) وبما ان السريان اليعقوبيين المستوطنين في فلسطين والاراضي المقدسة كانوا قد خضعوا للكنيسة الرومانية وكان يسوسهم بطريرك اورشليم اللاتيني ومطارنته اشترط داود البطريرك للصلح شروطاً منها ان يلبث اولئك السريان على طقسهم وعوائدهم · وان لا يكون لبطريرك اللاتين واساقفته الذين في بلاد المشرق سلطان عليهم وان لا ياخذوا الريشيث او الرسم الشخصي

(١و٢) رينلدس سنة ١٢٣٧ عد ٨٨

(٣) الشرق المسيحي ج ٢ عمود ١٣٥٦ عد ٢٩ ورينلدس سنة ١٢٤٧ عد ٣٧و٣٨

﴿ الباب الاول ﴾

في انضمام بعض افراد السريان الى الكثلكة منذ الشقاق حتى اواسط القرن السابع عشر

الفصل الاول

١ : في المتكثلكين توًّا بعد الشقاق منذ سنة ٦٢٧ — ١١٩٩ ٢ : معاهدة البطريرك داود ومفريانه مع الكرسي الروماني سنة ١٢٣٧—١٢٤٧
٣ : تكثلك سريان فلسطين وسوريه وقبرس وما جرى لهم
٤ : اهتداء يشوع برموطه بطريرك طور عبدين ومطرانه وبهنام الحدلي بطريرك الزعفران وعبدالله مطران الرها في مجمع فلورنسا

١ ان الفرقة الثانية من الكنيسة السريانية التي تبعت البدعة المنوفستية اي القول بالطبيعة الواحدة في السيد المسيح على مابيَّنا في الجزء الثاني من تاريخنا بعد ما كانت امة كبيرة منتشرة في بلاد سوريا وما بين النهرين اخذت تنحط وتتقهقر · غير انه وجد في اغلب الاحقاب من خضع لتعليم المجمع الرابع فسموا خلقيدونيين اي تابعي المجمع الخلقيدوني المؤيد من الكنيسة الجامعة ولا سيما لما اعاد هرقل الملك الخلقيدونيين الى حلب ومنبج وحران وامد فاستولوا على كنائسها واديرتها سنة ٦٢٧ واجتذبوا اليهم كثيرين من اهالي البلاد المذكورة

ما دلهم علَى صحة العقيدة الرسلية القويمة وتعليم الكرسي الروماني فنبذوا كلّ حياء وتهذّب واطرحوا الشوائب التي علقت بهم من الشقاق والجهل · وتشبثوا باهداب المعتقد الاصلي الحرّ وما يضاف طبعاً اليه · على ان معاصريهم ومن سبقوهم كانوا يعرفون الحق لكنهم اعرضوا عنه لمرض الغرض او طمعاً في حطام الدنيا وشنّوا الغارات علَى المهتدين وناهضوهم ايّ مناهضة فلم يكن من أبطال الايمان الصناديد الا انهم آثروا الثبات واتباع النور المعلن لهم في بصائرهم على كل ما في هذا العالم الفاني فلاقوا من اجل ذلك كل اذية وكابدوا عذاب الشهداء ولم يحيدوا عن تعليم الملافنة اباء الكنيسة الاقدمين · الذين نكتفي ههنا بايراد قولٍ لاحدهم وهو مار اغناطيوس اسقف انطاكية الشهيد سنة ١٠٦ احد تلامذة الرسل المعروف بالمنوّر فانه ادّى للبيعة الرومانية حق التقدم علَى ما سواها كما في زماننا فكانت شهادته نموذجاً لاقوال الذين قاموا من بعده · لانه سماها (١) الكنيسة الاولى التي لها الكرسي الاول المحاذية للكرسي الرئيسي حسب ناموس المسيح

ولقد ايد اجدادنا الكاثليكيين مثال كثير من رؤساء الكهنة الذين مع بقائهم في اليعقوبية اضطرهم الحق ان يقروا شفاهاً وخطاً بحقوق الكرسي الروماني وبصحة تعليمهِ وقدمهِ وان فيه فقط طريق الخلاص · ولذلك يسوغ لنا بلا حرج ان ندعوهم منفصلين مادياً لا صورياً

(١) عن رسالته السريانية (المقابلة مع اليونانية طالع منيه اباء اليونان جلد ٥ ص ٦٨٥) الى اهل رومية المصدّرة بقوله: اغناطيوس المتّشح بالله الى المعظّمة بمنحة العليّ ويسوع المسيح ابنه الوحيد · البيعة المحبوبة المنوّرة بارادة الله الذي يربط ويضبط كل شيء التي لها الكرسي الاول في بلد رومية ·

والمرجوّ من مطالعي هذا الكتاب من اخوتنا المنفصلين ان ينبذوا التعصب الاعمى ويقايسوا باخلاصٍ وانصافٍ بين سلوك الذين تمسكوا بالمعتقد الكاثليكي وسلوك المصرّين علَى اليعقوبية فيتأتى لهم ان يميّزوا الحق من الباطل

ولا تُذعر قلوبهم ويحجموا انفةً واستعظاماً اذا وجدوا حادثاً ذميماً منقولاً عن احد زعمائهم ولا ينسبوا التغرض الى ناقله بل ليفرغوا غضبهم كله علَى ابليس عدو الخير فانه هو الذي كان يُغري المشاقين بالعناد والتمادي في الضلال وتضرير اخوتهم الكاثليكيين ولعلّ بعض المعتدين كانوا يتوهمون انهم يعملون حسناً فقد قال الرب: « ستأتي ساعة يظن فيها كل من يقتلكم انه يقرب قرباناً لله »

واسأل الله ابا الانوار ان يهدي الجميع الى الاتفاق بالمحبة والاعتقاد في بيعته الواحدة. كي يكونوا واحداً وتكون الرعية واحدةً لراعٍ واحدٍ بمنه تعالى ونور آلائهِ آمين

مأثورة عن كثيرين ممن تباينت مشاربهم ومآربهم : خشيتُ ان يعتورها شيء من الافراط والتفريط فاخذتُ اجمع من الموصل وماردين ودير الزعفران الذي لليعاقبة في جوارها ومن حلب وغيرها كلَّ ما أودع في خزائن كتبها السريانية والعربية من الاخبار والتواريخ ولو في كراريس منثورة أغفال . ولم ادَّخر وسعاً في تصفح ما كتبه السمعاني في مكتبته الشرقية ولو كيان في الشرق المسيحي وما كان يحرّره المرسلون والقناصل في مكاتباتهم عن بلادنا المشرقية . ولم آلُ جهداً في التنقيب في زوايا الدور الاسقفية واوراق الكهنة القدماء وجداول الرسامات ولا سيما في الشرفة الذي لنا في لبنان وفي خزانة المكتبة الواتكانية الغنية الشهيرة . ولقد عُنيتُ ملياً بكل ما استتبَّ لي ان اقف عليه مما نشره الباحثون الأثبات الثقات من الآثار الخطية الى غير ذلك مما سامني العناء الشديد على تراخي الزمان فتوفّر لديَّ رسائل جمة واوراق شتى كان الاقدمون يدوّنونها عن احوالهم وقد وقّعوها باسمائهم واختامهم فقابلت تلك الآثار وتاريخ وقوعها بمجموعتي ومحّصتها مصححاً ما وجب تصحيحه بنهاية الرعاية والتدقيق واغلب ذلك معزّز بشهادة اصحابه اي الراوين عن انفسهم او بشهادة خصومهم . ولم يعد ينقصني الا ما اغتالته ايدي الناهبين او راح طعاماً للنار في حريق . فجاء كتاباً تاريخياً يتكفَّل بسرد ما جرى في متصرَّم الايام لطائفتنا السريانية المعروفة اليوم باسم السريان الكاثليكيين مذ عهد تقرُّبها الى البيعة الجامعة وانضوائها اليها حتى هذا الزمان

وعلى اثر ذلك استفزّني حبُّ الاستقراء والاستقصاء ان اصرف همتي الى البحث عن الطائفة السريانية مذ اوّل تنصُّرها فشرعتُ اطالع كتب التاريخ

والاثار السريانية وغيرها بعزيمة لا تعرف الكلال وانا التقط الاخبار التي تتعلق بطائفتنا حتى حصل عندي كتاب تاريخ طائفي فكسّرته عَلَى ثلثة اجزاء وافتتحتهُ بتمهيد في اصل السريان ولغتهم والفِرَق المشتقة منهم وفصّلتهُ ابواباً تنطوي عَلَى فصولٍ عديدة ورتبتُ الكلام بأعدادٍ تسهيلاً للمراجعة · وختمت بجدولٍ يتضمن اسماء البطاركة الانطاكيين منذ الايام الرسولية قبل الانفصال المشؤوم الى عهد حدوثه وبعد الرجوع الى الحالة الكاثليكية حتى اليوم · فالجزء الاول يشتمل عَلَى اخبار الطائفة السريانية منذ تنصرها الى عهد انفصال الفرقة الاوطيخية وهي التي رذلت بعد ذلك تعليم اوطيخا وعُرفت باسم يعقوبية · والجزء الثاني يحوي اخبار السريان منذ انفصالهم الى عهد صلح جانبٍ منهم مع البيعة الجامعة · والجزء الثالث هو الذي انشرهُ اليوم قبل اخويه وقد وسمتهُ باسم عناية الرحمان في هداية السريان ·

فدونك ايها القارىء اللبيب كتاباً يروقك بلا ريب معناه ويلذّك مبناه لما فيه من الفوائد الجليلة · انك تقف فيه عَلَى اخبار تاريخية كادت تعبث بها ايدي النسيان وتجد اسباباً تحدو الخلف ان يقتدوا بفضائل السلف كصدق العقيدة والاخلاص ورباطة الجأش والتفاني في رعاية الايمان وبذل كل مرتخَص وغالٍ في سبيل حمايته والتمسك به ذلك فضلاً عمّا يتخلله من البراهين الناصعة والادلة المقانع الساطعة المعلنة اخوتنا المنفصلين اي جماعة اليعاقبة ان اجدادنا السريان قد اعتصموا بعرى الايمان الكاثليكي ليس عن هوىً او مأربٍ في النفس ولم ينتحلوا مذهباً مبتدعاً جديداً كما يزعم كثيرٌ ويتّهموننا به بل انهم لتديُّنهم وسموِّ مداركهم وحصافة عقولهم وصفاء نياتهم وجدوا في الكتب والآثار القديمة

مقدمة

الحمد لله الذي هدانا من مفاوز الغواية والردى · الى جوادّ الحقّ والهدى · وأيّد السلف في معارك الجهاد · فخاضوها ونالوا قصارى المراد · وكانوا مثال الاعتصام بالايمان القويم · وقدوةً للسلوك في الصراط المستقيم · حمداً يوتينا نعمة الثباتِ في الحيوة والممات

اما بعد فيقول جامع هذا الكتاب · اني كثيراً ما سمعت شيوخ طائفتنا السريانية يتحادثون و ينوّهون بفضائل الاجداد و يشيدون بذكر ما كانوا عليه من البسالة والجَلَد وما اقتحموه من الاخطار الموبقه و كابدوه من الاوصاب والاذيات المهلكة في سبيل الذبّ عن حوزة الايمان المقدس · فكنتُ ارتاح الى سماع تلك الاخبار الشائقة ونفسي تتهلل جذلاً وافتخاراً غير اني كنتُ آسف عَلَى انها ستجتاحها غوائل النسيان والتحريف اذا بقيت يتناقلها الخلف عن السلف وهي لم تدوَّن في كتابٍ يعصمها من هذه الآفة · وكأني بالرسول المصطفى قد عنانا بقولهِ « اذكروا الايام السالفة التي فيها بعد ما تنورتم (بالايمان والمعمودية) صبرتم عَلَى جهاد كثير من الآلام وصرتم منظراً للناس بالتعييرات والشدائد »(عبر ١٠ : ٣٢) فدعتني الغيرة والمحبة الجنسية ان اجمع شمل هذه الاحاديث والروايات واضمّها منسّقةً في كتاب يكون عبرةً وذكرى في هذا العصر · ولما كانت هذه الاخبار

٥٣٧	١٤ و١٧	فصل فوجد قد	فصل فوجد انه قد
٥٥٤	١٢	المشياقيه	المشاقين
٥٥٤	١٣	————	بنشاطٍ ويتهناون
٥٥٥	١	————	وصلت الاخبار الى سورية ان الياس
٥٥٥	١٦	————	واقامه
٥٨٢	٦	————	الثلاثة عشر
٦٠٣	٤	من كنائس	من سائر كنائس
٦٠٣	٨	الاثني	اثني
٦٠٩	٢	تجدد بينه	بينه
٦١٧	١	أعلن	أُعلن له
٦١٨	١٩	الكرادلة	للكرادلة
٦١٨	٩	وعاصيين	وعاصين
٦٢١	٣	ابتاعها للوقف	ابتاعها
٦٢٣	١٧	شدة	شدة اعظم
٦٢٤	٨	مع ان الدولة لم تكن	والدولة لم
٦٢٥	٣	اتخذها الخصوم	اتخذ الخصوم ذلك
٦٣٢	٨	رتبهُ	رتبه ُ في
٦٣٥	٥	لتلك السنة سنة	له غلاء الكبيرة
٦٣٨	١٠	ومن ثم	وبهذا المعنى
٦٥٥	١٩	فالى	الى

تتمة لوجه ٧٤ سطر ١٩ وكان بزي اعرابي راكب جمل فقطع مضائق طورس وقفدوقيه وبيثونيه حتى دخل على السفير ولاذ به (عن كتاب فرنسا الكاثليكية في الشرق ص ١٥١)

كتاب

عناية الرحمان في هداية السريان

جمعه العبد الفقير الى ربه تعالى

ديونوسيوس افرام نقاشه

رئيس اساقفة حلب على السريان الكاثليكيين

يا اخوتي اذكروا الايام السالفة التي
فيها بعد ما تنورتم صبرتم على جهادٍ
كثيرٍ من الآلام وصرتم منظراً
للناس بالتعييرات والشدائد
(عبرانيين ١٠ : ٣٢)

طبع بمطبعة صبرا في بيروت سنة ١٩١٠

تصليح اهمّ الاغلاط

وجه	سطر	خطأ	صواب
١٦	٣	فر بن	سفر بن
٤١	٥	المطران برفقة	المطران الى حلب برفقة
٥٠	١٣	١٦٣٦ في	١٦٣٦ ثم في
٧٧	١٥	بطريركاً	حبراً
٨٤	١٧	وعادوا	وعاد
٨٤	حاشية ٢	اخبار دولباني	شذرات اخبار دي اروبو
٩٣	١٣	لنتسوس	لنسوس
٩٥	٥	وشمامه	وشمامسه
٩٦	١٩	مفقود	عَلَى سفر هيئته فلما ابرز صك اسقفيته و كان بالخط السرياني الجميل
١٣٨	١٥	اصيب	أصيب به
١٥٧	٢	دراهم	دراهمهم
١٧٣	٥	الهند (٢)	الهند الغربية اعني اميركا (٢)
١٨٣	١	الطيبة واستقام	واستقام
١٨٣	٤	سبع سنوات	تسع عشرة سنة
٢٢٩	٥ و ٦	خوارنة تكشلكوا	خورنية تكشلكت
٢٥٩	١٧	كومبا	كومايا
٢٦٢	١٨	خور	خدر
٢٦٣	١٧	عزوز	عبدالله عزوز
٢٧٢	١١ و ١٤	وعمري سريوار بالقل	ونصري سريدار بالقتل
٢٩٤	١٤	انجيل	الانجيل
٣٠١	٧	وهذا لم	الم

وجه	سطر	خطأ	صواب
٣١١	٧	ايوب	العريان
٣١٢	١٦	مجس	سجس
٣١٤	١٣	البنك	النبك
٣٢٨	١٨	له	لها
٣٢٩	٨	والشماس	والشمامسة
٣٢٩	١٠	وجبرائيل اولاده	جبرائيل واولاده
٣٤٤	١٢	الكلمة فرضيوا	(يماً دتونيثا)فرضوا
٣٥٢	٢و٣	بطيخه	بطيخ مسموم
٣٧٦	١٢	يستجيان	يستجبيان
٤٠٣	١٩	الاسقف	الاسقف فعُني
٤٠٥	١٨	العلالي	التلال
٤١٣	١٨	الخلق	اِلخلف
٤١٤	١١	شمور جتمي	شمو جقى
٤٤٤	١١	مار بهما هندوس	ما رأَبهما هندوش
٤٥٣	١١	براس	و براس
٤٥٤	٦	احكي	اسمكِ
٤٦٠	١٠	فاوفد	فاونده
٤٧٢	١٥	ائمة	مائة
٤٧٦	٧	ابويا	ابويه
٤٨٤	١٧	يسلمه	اسلمه
٤٨٨	١١	وساداته	وسادته
٤٩٢	٩	كثرة	كرة
٥٠٣	١٠	اكفر	كفر
٥٣٣	١٨	السفر	السفر الى روميه

الفهرس

وجه

١ الباب الاول فصوله اربعة في ارتداد افراد السريان عن البدعة

٣٤ الباب الثاني ذو فصلين في هدى اخيجان وقسوسيته واسقفيته

٥٢ الباب الثالث ذو فصلين في بطريركية السيد اندراوس

٧٠ الباب الرابع فصوله سبعة في بطريركية السيد بطرس الرهاوي

١٢٨ الباب الخامس فصوله سبعة في النواب الرسوليين

١٨٦ الباب السادس فصوله عشرة في قسوسية واسقفية السيد ميخائيل جروه

٢٧٤ الباب السابع فصوله ستة عشر في بطريركية السيد ميخائيل جروة

٣٨٣ الباب الثامن ذو فصلين في بطريركية السيد ميخائيل ضاهر

٣٩٨ الباب التاسع فصوله اربعة في نيابة السيد يوليوس

٤٢٦ الباب العاشر فصوله خمسة في بطريركية السيد سمعان زوره

٤٤٤ الباب الحادي عشر فصوله اربعة عشر في بطريركية السيد بطرس جروة

٥٧٢ الباب الثاني عشر فصوله ستة في بطريركية السيد انطون سمحيري

٦٠١ الباب الثالث عشر ذو فصلين في بطريركية السيد فيلبس عركوس

٦١٦ الباب الرابع عشر فصوله ستة في بطركية السيد جرجس شلحت

٦٥٣ الباب الخامس عشر فصوله ثلاثة في بطريركية السيد بهنام بني

كتاب القديس توما الاكويني

1915
1777

138

ܒܝܬ ܐܪ̈ܟܘܐ

ܕܡܠܦܢܐ ܓܘܪܓܝܣ ܒܪ ܐܢܛܘܢ ܕܒܝܬ ܟܝܪܐܙ

Ex Libris

Beth Mardutho Library

The Malphono George Anton Kiraz Collection

ܟܠ ܐܢܫ ܕܫܐܠ ܠܗ ܠܟܬܒܐ ܗܢܐ ܡܢ ܒܝܬ ܐܪ̈ܟܐ
ܐܘ ܦܣܩ ܡܢܗ ܡܕܡ ܢܗܘܐ ܡܫܬܐܠ ܒܝܬ ܠܡܫ̈ܦܛܐ
ܘܢܗܘܐ ܡܢ ܒܢܝ̈ ܡܟܬܒܢܐ ܘܫܒܪܐ ܕܪܫܡܗ ܢܦܠ ܐܘ
ܒܢܘ ܠܗ ܫܒܪܐ ܒܠ ܪܫܡܗ ܢܗܘܐ ܠܗ ܫܒܪܐ ܒܝܬ
ܒܚܝ̈ܘܗܝ ܒܪܫܐ ܕܢܗܦܘܟ ܠܗ ܠܪܘܚܠܗ܀

Anyone who asks for this volume, to read, collate, or copy from it, and who appropriates it to himself or herself, or cuts anything out of it, should realize that (s)he will have to give answer before God's awesome tribunal as if (s)he had robbed a sanctuary. Let such a person be held anathema and receive no forgiveness until the book is returned. So be it, Amen! And anyone who removes these anathemas, digitally or otherwise, shall himself receive them in double.